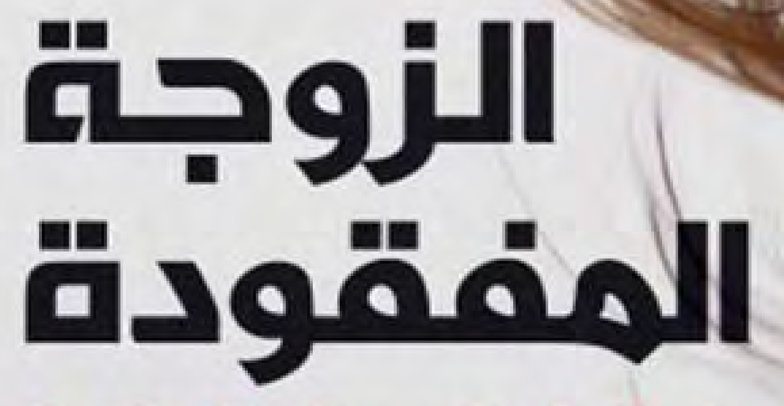


G I L L I A N   F L Y N N

غيليـان فليـن



GONE GIRL

رواية



الزوجة المفقودة

رواية

غيليان فلين

ترجمة

سعيد حسنية

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة





يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

GIRL GONE

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

Publishers CROWN

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

7-2169-02-614-978 :ISBN



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: (+961-1) 785107 - 785108 - 786233

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: (+961-1) 786230 - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+9611) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+9611) 786233

الإهداء

إلى بريت: نور حياتي، الكبير

و

فلين: نور حياتي، الصغير

الحب هو المتغيّر اللا - متناهي في هذا العالم، فالأكاذيب، والكراهية، وحتى الجريمة، هي كلها محبوكة فيه. إنه الإزهار الحتمي لكل متناقضاته، والوردة الضخمة التي تفوح منها، ببطء، رائحة الدم.

- طوني كوشنير، الوهم

الجزء الأول: الفتى يفقد الفتاة

يوم نِك دون

عندما أفكّر في زوجتي فإنني أفكّر في رأسها على الدوام. أبدأ أولاً بالتفكير في الشكل. لاحظتُ مؤخرة رأسها في المرة الأولى التي رأيتها فيها، ولاحظتُ فيه أمراً محبباً، زواياه بالتحديد. كان مثل كوز ذرة صلباً وملتمعاً، أو مثل أحفور ملتصق بمجرى نهر. امتلكت زوجتي رأساً كان الفيكتوريون يطلقون عليه الرأس جميل الشكل.

كان باستطاعتي تمييز رأسها من بين كل الرؤوس وفي كل مكان.

كنت أفكّر في ما يتواجد داخله كذلك: عقلها. دماغها، وكل تلك التلافيف، وكذلك الأفكار التي تسري فيها بسرعة البرق، وكأنها أم أربعة وأربعين. تخيّلت، كالأطفال، بأنني أفتح جمجمتها، وأفكّ تلافيف دماغها وأتفحصها محاولاً الإمساك بأفكارها كي أحدّد طبيعتها. بماذا تفكرين يا آمي؟ إنه السؤال الذي كنت أطرحه على الدوام خلال فترة زواجنا، وإن كنت لم أفعل ذلك بصوتٍ عالٍ، ولو لم أطرحه على الشخص الذي بإمكانه الإجابة عنه. أعتقد أن هذه الأسئلة تحوم فوق كل الزيجات: بماذا تفكرين؟ كيف تشعرين؟ من أنتِ؟ ماذا فعلنا لبعضنا بعضاً؟ ماذا سنفعل الآن؟

فتحتُ عينيّ عند الساعة السابعة تماماً من ذلك الصباح. لم تُفتح رموشي بسهولة، ولم يكن ذلك طرفة عين لطيفة نحو الوعي. كان الاستيقاظ آلياً. كان أقرب ما يكون إلى حركة جفون متثاقلة لمهرّج: كان العالم مظلماً، ثم بدأ وقت الاستعراض! أشارت عقارب الساعة إلى السادسة تماماً معلنة عن الوقت أمامي مباشرة، أي إن أولى الأشياء التي رأيتها كانت الأرقام 6 - 0 - 0 . كان الأمر مختلفاً جداً، لأنني نادراً ما كنت أستيقظ في هذا الوقت المحدّد الذي يخلو من الدقائق والثواني بعد الرقم الذي يشير إلى الساعة. إنني الرجل الذي يستيقظ في أوقاتٍ متفاوتة: 8 : 43 ، 11 : 51 ، 9 : 26 . يعني ذلك أن حياتي تمضي من دون الحاجة إلى ساعة المنبّه.

تسلقت الشمس في تلك اللحظة بالذات، أي عند الساعة 6 - 0 - 0 ، خط الأفق الذي تشكّله أشجار السنديان، وهكذا كشفت عن طبيعتها بوصفها سيدة الصيف الغاضبة. انعكست أشعتها على صفحة النهر متوجهة نحو منزلنا، وكانت أشبه ما يكون بإصبعٍ طويلٍ غاضبٍ يشير نحوي من خلال الستائر المتواضعة لغرفة نومنا. اتهمتني الشمس: شوهدتَ، وسوف تُشاهَدُ مجدداً.

تقلبت متكاسلاً في السرير الذي كان سريرنا في نيويورك، والذي أصبح في منزلنا الجديد، وهو المنزل الذي ما نزال نُطلق عليه وصف المنزل الجديد، وذلك بالرغم من وجودنا فيه منذ سنتين. كان هذا منزلاً مستأجراً يقع بالقرب من نهر المسيسيبي، وهو منزلٌ يكاد يعلن عن نفسه بأنه مناسبٌ لطبقة الأثرياء الجدد، وهو ذلك النوع من المنازل الذي كنت أتطلع إليه عندما كنتُ طفلاً من القسم المتواضع من مدينتنا، والذي كان أعلى بقليل من قسمها المقابل. كان ذلك النوع من المنازل الذي يبدو مألوفاً على الفور: المنزل الذي يبدو عظيماً بحد ذاته، ولا يتطلب شيئاً، وهو منزل جديد بكل معنى الكلمة، لكنه كان من ذلك النوع الذي كانت زوجتي، وما زالت، تشعر بالنفور نحوه.

كان أول رد فعلٍ لها عند وصولنا: " أيُفترض بي أن أخلع روحي قبل الدخول إلى هذا المنزل؟ " لكن سبق لنا أن توصلنا إلى تسوية فيما بيننا: طلبت آمي أن نستأجر منزلاً، لا أن نشتريه، في بلدتي الصغيرة الواقعة على ضفاف المسيسيبي، وذلك لأنها كانت تأمل أن لا نمكث فيه طويلاً جداً. لكن المنازل الوحيدة التي كانت معروضة للإيجار تجمعت كلها في هذا المشروع السكني الفاشل: بدا المشروع أقرب ما يكون إلى مدينة أشباح مصغرة يمتلكها أحد المصارف، والتي أصابها الركود الاقتصادي، ثم تحولت بعد ذلك إلى منازل معروضة بأسعارٍ مخفضة، أي إنها كانت مشروعاً سكنياً أقفل قبل افتتاحه. كان ذلك تسويةً عقدناها فيما بيننا، لكن آمي لم تنظر إلى الأمر بهذه الطريقة. اعتبرت آمي الأمر بمثابة رؤية عقابية من جانبي، وكأنني أشهرُ سكين أنانيتي الشريرة كي أجرّها، على طريقة سكان الكهوف، إلى هذه البلدة التي كانت تتجنبها بشدة، وذلك كي أجبرها على العيش في ذلك النوع من المنازل الذي كانت تسخر منه على الدوام. أفترضُ أن هذا النوع من الاتفاقيات لا يُمكن أن يُحتسب من التسويات، لكن هكذا كانت تبدو كل التسويات التي عقدناها معاً. كان أحدنا غاضباً على الدوام، لكن آمي كانت هي الطرف الغاضب في العادة.

لا تلوميني على هذه المعاناة بالذات يا آمي. معاناة ميسوري. يمكنك لوم الاقتصاد، ولوم الحظ العاثر، ولوم أهلي وأهلك، ولوم الإنترنت، ولوم الأشخاص الذين يستخدمون الإنترنت. كنتُ كاتباً فيما مضى. كنت كاتباً يكتب عن البرامج التلفزيونية، والأفلام السينمائية، والكتب. كان ذلك عندما كان الناس يقرأون على الورق، وفي الزمن الذي كان الجميع يهتمون لما أفكّر فيه. وصلتُ إلى نيويورك في أواخر أعوام التسعينيات، وهي الأعوام

التي شهدت آخر نفحات الأيام المجيدة، بالرغم من أن أحداً لم يكن يعرف بأن الأمر كان هكذا. كانت نيويورك تعجّ بالكتّاب، الكتّاب الحقيقيين، وذلك نظراً لوجود المجلات، المجلات الحقيقية، والأعداد الكثيرة منها. كان ذلك في زمنٍ كانت الإنترنت فيه بمثابة حيوانٍ أليف غريبٍ من نوعه قابعٍ في زاوية مهملة من عالم النشر، أي إنه كان يكفي أن ترمي له بفتات الطعام وتراقبه وهو يرقص في قيده الصغير. كانت جميلةً جداً حينها، وكان من المؤكد بأنها لن تفترسنا في الليل. فكّر في الأمر: كان ذلك في زمنٍ تمكّن فيه الشبان المتخرجون حديثاً من المجيء إلى نيويورك حيث يتلقون أجراً عما يكتبون. لم ندرك في ذلك الوقت بأننا التحقنا بمهنٍ ستتلاشى في غضون عقدٍ من الزمان.

عملتُ في وظيفة لفترة أحد عشر عاماً، ثم فقدتها. حدث ذلك بسرعة كبيرة. بدأت المجلات في كل أنحاء البلاد بإقفال أبوابها، وذلك نتيجة لوباءٍ مفاجئ ساعد الاقتصاد المترنح على انتشاره بسرعة. انتهى بهذه الطريقة عمل الكتّاب (أي ذلك النوع من الكتّاب الذي أنتمي إليه: الروائيون الطموحون، والمفكرون المتأملون، والأشخاص الذين لا تعمل أدمغتهم بالسرعة الكافية التي تمكّنهم من التدوين، أو التواصل مع شبكة الإنترنت أو التغريد فيها [تويتر]، وهم الذين يتشكلون أساساً من المعاندين المتفاخرين. إننا نشبه صانعي القبعات النسائية، أو صانعي السياط التي يستخدمها سائقو العربات وحيدة المقعد. يعني ذلك أن زماننا قد انتهى. خسرت آمي وظيفتها بدورها، وذلك بعد مرور ثلاثة أسابيع على خسارتي لوظيفتي. (أستطيع الآن أن أشعر بآمي وهي تتطلع نحوي ساخرة من الوقت الذي أمضيته في الحديث عن مهنتي، وعن سوء حظي، بينما أكتفي بجملة واحدة عندما أتحدث عن مهنتها. كانت ستقول بأن ذلك هو أمرٌ تقليدي. اعتادت آمي على القول مثل نِك تماماً. كان ذلك أشبه باللازمة بالنسبة إليها: مثل نِك عندما... ثم تضيف ما شاءت بحسب المناسبة، أي إن كل شيء يتعلق بي كان سيئاً بالنسبة إليها). أمضينا نحن الشخصان البالغان والعاطلان عن العمل أسابيع في التسكع في أنحاء المنطقة التي تحيط بمنزلنا في بروكلين. ارتدينا ملابس النوم في هذه الجولات، بينما تناثرت رسائل البريد التي بقيت غير مفتوحة فوق طاولات وأرائك منزلنا، كما تناولنا المثلجات عند الساعة العاشرة صباحاً، واستسلمنا لإغفاءاتٍ عميقة في أوقات ما بعد الظهر.

رنّ الهاتف في أحد الأيام. كانت شقيقتي التوأم على الطرف الآخر

من الخط. عادت مارجو إلى منزلنا الريفي بعد أن فقدت وظيفتها في نيويورك قبل سنة من الزمن. يمكنني القول إن تلك الفتاة تسبقني بخطوة في كل شيء، وحتى في الحظ العاثر. اتصلت بي مارجو من قرطاجة الشمالية، تلك البلدة القديمة والمحبّبة في ميسوري، أي من المنزل الذي نشأنا فيه. تخيّلتها وأنا أستمع إلى صوتها وهي في العاشرة من عمرها بشعرها الداكن، والسروال القصير الذي ترتديه. كانت تجلس على رصيف المياه الخلفي لمنزل جدّنا، وكانت تستلقي على ظهرها مثل وسادةٍ قديمة بعد أن تغمر المياه ساقيها النحيلين، وتستغرق في مراقبة جريان النهر فوق قدميها بلونهما الأبيض، وكانت مستغرقة بتفكيرها الهادئ حتى عندما كانت طفلة.

كان صوت جو [مارجو] دافئاً ومتموجاً، حتى عندما كانت تنقل هذا الخبر ببرودة: والدتنا القوية تحتضر. كان والدنا في حكم الراحل تقريباً. كان عقله (غير المهذب)، وقلبه (التعيس)، غامضَين خلال اقترابه من الضفة الأخرى. لكن بدا لي أن والدتي سوف تسبقه إليها. أعتقد بأنها لن تعيش أكثر من ستة أشهر، ولربما سنة. أعرف بأن جو ذهبت بنفسها إلى الطبيب، ودوّنت ملاحظاتها الدقيقة بخطّها الذي لا يتميّز بالجمال. أشعر كذلك بأن دموعها تساقطت بينما كانت تحاول فهم الكلمات التي كتبتها، والتي كانت عبارة عن التواريخ والجرعات.

قالت لي قبل أن أقاطعها: " حسناً، اللعنة. لا أعرف ما هذه، هل هي تسعة؟ وهل لهذا الرقم معنى؟ " كانت شقيقتي تقوم بمهمةٍ، وهي تسعى وراء هدفٍ تمسكه براحة يدها مثل ثمرة فاكهة. أحسستُ برغبةٍ في البكاء لفرط ما شعرت به من الارتياح.

" سأعود يا جو. سأعود إلى منزلنا. لا يتعيّن عليكِ أن تقومي بهذا بمفردك " .

لم تصدّقني في البداية، لكني تمكنت من سماع صوت أنفاسها في الطرف الآخر من الخط.

" أنا جادٌّ في هذا يا جو. لمَ لا؟ لا يوجد لنا شيء هنا " .

سمعت زفيرها العميق. " وماذا بشأن آمي؟ " .

إنه الأمر الذي لم أفكر فيه بما يكفي. افترضتُ، وبكل بساطة، بأنني سأتمكن من اصطحاب زوجتي النيويوركية، بالرغم مما تمتلكه من اهتمامات في هذه المدينة، وكبريائها النيويوركي، لأنتزعها من والديها اللذين يعيشان في نيويورك - وكذلك إرغامها على التخلي عن مانهاتن، أرض المستقبل المثير -

وأعيد إسكانها في بلدة صغيرة تقع على نهرٍ في ميسوري، وبحيث يكون كل شيء بخير.

لم أفهم حتى الآن مدى حماقتي، ومدى تفاؤلي، وكيف كنتُ مثل نِك عندما فكّرت هكذا، ولم أفكّر بالكارثة التي سيؤدي إليها هذا التفكير.

" ستكون آمي على ما يرام. آمي... " كان من المفترض أن أقول في هذا المجال " آمي تحب ماما " . لكنني لم أتمكن من إبلاغ جو بأن آمي تحب والدتنا، وذلك لأنها، وبعد كل هذه الأعوام، بالكاد تعرف والدتنا. تركت لقاءاتهما القليلة شعوراً بالإحباط للمرأتين. كانت آمي تعمد إلى تشريح حديثهما على مدى الأيام التالية - " وماذا كانت تعني عندما قالت... " - وكأن والدتي امرأة تنتمي إلى إحدى القبائل الريفية التي وصلت حديثاً من التندرا، حاملة معها حملاً من لحم الثيران البرية، وبعض الشارات [الأزرار] للمساومة عليها، وذلك في محاولةٍ للحصول من آمي على شيء لا تعرضه.

لم تكترث آمي كثيراً لمعرفة أفراد عائلتي، ولم تكترث لمعرفة المكان الذي ولدت فيه، لكنني اعتقدتُ لسببٍ ما، بأن العودة إلى المنزل هي فكرة جيدة.

أدّت حرارة أنفاسي إلى تسخين وسادتي، لذلك غيّرت الموضوع في ذهني. لا أعتبر بأن هذا اليوم مناسب للتخمين أو الندم، بل هو يوم للعمل. تمكنت من سماع صوت في الطابق السفلي، وهو صوت طال غيابه عن مسامعي. كانت آمي تحضّر طعام الفطور. سمعت صوت انغلاق أبواب الخزائن الخشبية، وأصوات العُلب المعدنية وهي تصطدم بأكواب الزجاج، وكذلك أصوات ترتيب مجموعة من الأواني المعدنية والمقالي الحديدية. سمعت كذلك أصوات أوركسترا أدوات المطبخ قبل وصولها الصاخب إلى المقطع النهائي، وذلك قبل تدحرج آنية صنع قالب الحلوى على الأرض، واصطدامها بالجدار بصوت يشبه صوت اصطدام الصُّنج. يبدو أن شيئاً رائعاً كان في طور التحضير، وربما كان فطيرة محلاة رقيقة، وذلك لأن هذه الفطائر تُحضّر في المناسبات الخاصة، ولا شك في أن آمي تريد هذا اليوم أن تطبخ شيئاً مميزاً.

إنه عيد زواجنا الخامس.

سرتُ حافي القدمين نحو حافة الدرج، ووقفت مصغياً، بينما كانت أصابع قدمي غارقة في نسيج السجاد الذي يمتد من الجدار إلى الجدار، لكن آمي كانت تكرهه في المبدأ. حاولت تقرير ما إذا كنت مستعداً

للانضمام إلى زوجتي. كانت آمي في المطبخ، ولم تعرف أي شيء عن تردّدي. كانت تدندن لحناً حزيناً ومألوفاً. جهدتُ كي أعرف هذا اللحن - هل كان أغنية شعبية؟ أم تهويدة تجعل الصغار يستسلمون للنوم؟ - أدركت بعد ذلك أنه لحن $H * S * A * M$. الانتحار لا يسبب الألم. توجهت إلى الطابق السفلي.

وقفت عند المدخل وانشغلت بمراقبة زوجتي. كان شعرها الأصفر (بلون الزبدة) مرفوعاً، بينما كانت جديلة شعرها تتمايل مبتهجة وكأنها الحبل الذي يقفزون فوقه. لاحظت بأنها انهمكت شاردة بمصّ طرف إصبعها المحترق بينما كانت تدندن من حوله. كانت تدندن لنفسها لأنها كانت ماهرة جداً في جمع الألحان معاً. سمعنا في بداية عهد تواعدنا أغنية Genesis من محطة الإذاعة: تبدو لمستها سحرية، أجل. لكن آمي بدّلت الكلمات، ودندنت تأخذ قبعتي لتضعها على الرف. سألتها في ذلك الحين لماذا تعتقد بأن أغانيها كانت صحيحة بطريقة ما، فأجابتني بأنها تفكر في أن المرأة التي في الأغنية تحب الرجل حقيقة لأنها تضع قبعته في الرف الأعلى. أدركت أنني أحبها بالفعل في ذلك الوقت، لأنه يبدو أن هذه الفتاة تمتلك تفسيراً لكل شيء.

لكن هناك شيء مقلق يترافق مع تذكّر الذكريات الحميمة، والشعور البارد في الوقت ذاته.

تطلعت آمي إلى الفطيرة المحلاة التي تتقلب في المقلاة، وما لبثت أن لحست شيئاً من معصمها. بدت في تلك اللحظة زوجةً ناجحة. أما لو طوقتها بذراعيّ لكانت فاحت منها رائحة ثمار التوت والسكر.

لكن ما إن انتبهتْ إلى أنني أجول بقربها بسروالي القصير غير النظيف، بينما كانت خصلات شعري مسرحة على طريقة Miser Heat [1] ، حتى استندت بمرفقيها على طاولة المطبخ وقالت: " حسناً. مرحباً أيها الوسيم " .

شعرت بشيء من الخشية والرعب يُمسك بحنجرتي. فكّرت في نفسي: حسناً، هيا بنا.

تأخرت كثيراً في الذهاب إلى عملي. أقدمتُ أنا وشقيقتي على حماقة بعد أن عدنا إلى منزلنا. وضعنا ما كنا نتحدث عنه دائماً موضع التطبيق. افتتحنا حانة بعد أن اقترضنا المال من آمي، وهكذا حصلنا منها على مبلغ

ثمانين ألف دولار، وهو مبلغ كان تافهاً بالنسبة إلى آمي فيما مضى، لكنه أصبح كل شيء تقريباً بالنسبة إليها في هذا الوقت. لكني أقسمت بأنني سوف أعيده لها، ومع الفائدة. لا أعتزم أن أكون الرجل الذي يقترض المال من زوجته - أمكنني عندها أن أتخيّل والدي وهو يقلب شفتيه إزاء هذه الفكرة. حسناً، هناك أصنافٌ كثيرة من الرجال، كانت تلك أكثر عباراته التي تفوح بالتوبيخ، بينما يمتنع عن لفظ النصف الآخر منها، وأنت تنتمي إلى الصنف السيّئ منهم.

لكن ذلك كان بالفعل قراراً عملياً، وخطوة تجارية ذكية. احتجتُ أنا وآمي إلى الحصول على مهنٍ جديدة، وأنا قررت أن تكون هذه هي مهنتي الجديدة. أدركتُ بأنها سوف تحصل في يومٍ ما على مهنتها، أو لعلها لن تحصل عليها، لكننا حصلنا على مدخولٍ بفضل آخر ما تبقى من صندوق التوفير العائد لآمي. بقيت الحانة، مثل ماك مانشن الذي استأجرته، مكاناً يذكّرني بذكريات طفولتي - أي ذلك المكان الذي يقصده البالغون حيث يقومون بكل ما يفعله الكبار. يُحتمل أن ذلك كان هو السبب الذي دفعني إلى الإصرار على شرائها بعد خسارتي لمصدر رزقي. كان ذلك يذكّرني، وبعد كل شيء، بأنني رجل راشد وبالغ، وإنسان مفيد، وحتى لو أنني خسرت المهنة التي أعطتني كل هذه الأشياء. صممتُ على عدم تكرار الغلطة مرة أخرى: إن حشود كتّاب المجلات، والذين كانوا كُثُراً فيما مضى، سوف يستمرون في التناقص - بسبب الإنترنت، وبسبب الركود، وبسبب الجمهور الأميركي الذي يفضّل مشاهدة التلفزيون، أو لعب ألعاب الفيديو. لكن لا يوجد تطبيق يقدم شراباً في يومٍ دافئ داخل حانة باردة ومظلمة. أعتقد أن العالم سوف يطلب الحصول على الشراب على الدوام.

تُعتبر حانتنا حانةً منزوية تشتمل على أعمالٍ فنية غير مترابطة. أما أفضل مكانٍ فيها فهو المشرب الفيكتوري الخلفي بما فيه من رؤوس التنانين التي تبرز من أخشاب السنديان، وهي التي تُعتبر عملاً خشبياً مذهلاً في زمنٍ يسود فيه البلاستيك. أما ما تبقى من الحانة فهو في حقيقة الأمر معرض من المعروضات المتنوعة التي تمثل كل عقدٍ من عقود السنين: أرضية لينوليوم تعود إلى عهد أيزنهاور، وبأطرافها المقلوبة إلى الأعلى وكأنها قطعة من الخبز المحمص المحروق، وجدران غير متينة مزينة بالأخشاب، وكأنها تنتمي إلى مشاهد الخلاعة التي كانت سائدة في أعوام السبعينيات من القرن الماضي، وكذلك مصابيح هالوجين أرضية، والتي تُعتبر إشارة غير مقصودة إلى غرف نوم أعوام التسعينيات من القرن الماضي. أما أفضل

ميزات الحانة فتتمثل بكونها منزلية بشكلٍ غريب، وهي التي تبدو مثل منزل مهمل بحاجةٍ إلى إصلاح أكثر من كونها حانة. لكن الأمر الذي يدعو إلى الابتهاج هو أننا نتشارك في موقف السيارات مع قاعة للعبة البولينغ، وهكذا عندما ينفتح باب حانتنا نتمكن من سماع أصوات التسديدات الآتية من مدخل الزبائن.

أطلقنا على هذا المشرِب اسم الحانة. قالت شقيقتي مفسرةً الأمر: " سيعتقد الناس بأننا ساخرون بدلاً من مفلسين " .

أجل، ظننا في البداية بأننا نيويوركيون أذكياء، وأن الاسم كان مزحةً لن يتمكّن أحدٌ من فهمها على حقيقتها، وعلى الأقل كما فعلنا نحن، لن يحاول أحد فهمها فيما بعد. تخيّلنا كذلك بأن السكان المحليين سيحشرون أنوفهم ويسألون: لماذا أسميتم المكان الحانة؟ لكن زبوننا الأول، وكان امرأة ذات شعرٍ أشيب وتضع نظارة مزدوجة [للقريب والبعيد] وترتدي بذلة ركضٍ بلونٍ زهري، قالت لنا: " أنا أحب الاسم، وهو يشبه اسم الفطور في تيفاني، كما أن قطة أودري هيبورن كانت تدعى قطة " .

شعرنا بعد ذلك بأننا أقل تفوقاً بكثير، وكان ذلك شعوراً طيباً.

وصلت إلى موقف السيارات. انتظرت إلى أن سمعت إحدى التسديدات من قاعة البولينغ - شكراً لكم، شكراً لكم، يا أصدقاء - ثم ترجلت من السيارة. ألقيتُ نظرة إعجابٍ على المنطقة المحيطة بي، ولم أكن قد مللتُ بعد من ذلك المنظر المتقطع: مبنى مكتب البريد الصغير بحجارته الذهبية اللون، والذي يقع في الجهة المقابلة من الشارع (لكنه يقفل أبوابه أيام السبت)، وكذلك مبنى المكاتب بلونها الأصفر الشاحب، والذي يقع في الجهة الجنوبية (والمقفل هذه الأيام، نقطة على السطر). لم تكن البلدة مزدهرة، وعلى الأقل ليس بعد الآن، لكن يمكننا قول ذلك إلى حدٍّ ما. اللعنة، لم تكن البلدة أصيلة حتى، وهي التي تُعتبر واحدة من بلدتين تحملان اسم قرطاجة في ميسوري، لكن بلدتنا تُعتبر، عملياً، قرطاجة الشمالية، وهو الأمر الذي يجعلها تبدو مثل مدينة توأم، وذلك بالرغم من وقوع الواحدة على بُعد مئات الأميال من البلدة الأخرى، كما أنها البلدة الأصغر من بين المدينتين: إنها بلدة فريدة من نوعها تعود إلى بلدات الخمسينيات من القرن الماضي، والتي تمددت إلى أن أصبحت ضاحية عادية من الحجم الوسط، ثم أطلقتْ على هذا التمدّد اسم التطور. لكن هذه البلدة تبقى، بالرغم من كل ذلك، البلدة التي نشأت فيها والدتي، وحيث أشرفت على تربيتي أنا وشقيقتي جو. يعني ذلك أنها تمثّل بعض التاريخ، وعلى الأقل

بالنسبة إليّ أنا.

لكن ما إن بدأت بالسير نحو الحانة عبر موقف السيارات بمربعاته الإسمنتية والعشبية، حتى نظرت مباشرةً ناحية الجنوب ورأيت النهر. هذا ما أحببته في بلدتنا على الدوام: لا تقع بلدتنا على هضبة آمنة تُشرف على المسيسيبي، بل هي على المسيسيبي. يمكنني كذلك أن أسير نحو الجنوب، وأدوس مباشرة على النهر، أي إن السقطة لا تبلغ من العلو أكثر من ثلاثة أقدام قبل أن أصبح بعدها في طريقي إلى تينيسي، وهكذا فإن كل مبنى في القسم الجنوبي من المدينة يحمل خطوطاً مرسومة بخط اليد تعيّن المستوى الذي وصله النهر خلال فيضانه في أعوام 1961 ، و 1975 ، و 1984 ، و 1993 ، و 2007 ، و 2008 ، و 2011 ، والسنوات التي تلتها.

لم يكن النهر فائضاً في هذا الوقت، لكنه كان يجري بقوة، وبتياراتٍ متداخلة قوية. رأيت صفاً من الرجال يتحرك بشكلٍ متناسق مع النهر، وأعينهم مسمرة على أقدامهم وبأكتافٍ مشدودة، وكانوا يسيرون بثبات إلى مكانٍ معيّن. لكن أثناء مراقبتي لهم تطلع أحدهم نحوي فجأة. كان وجهه في الظل، وهكذا رأيته شكلاً بيضاوياً داكناً. حوّلت نظري إلى الجهة الأخرى على الفور.

شعرت بدافعٍ قوي وفوري للدخول إلى الحانة. شعرتُ بعد أن تقدمت مسافة عشرين قدماً بالعرق يغلّف عنقي. بقيت الشمس، كما كانت، عيناً غاضبةً في السماء. شوهدتَ.

شعرت بانقباضٍ في معدتي فتحركت بسرعة أكبر. شعرت بحاجةٍ إلى جرعةٍ من الشراب.

آمي إليوت

8 كانون الثاني، 2005

- صفحة يومية -

Tra and la ! إنني أبتسم ابتسامة يتيمٍ مستعارة وأنا أكتب هذه. أشعر بالخجل لمدى شعوري بالسعادة. بدا الأمر وكأنني إحدى فتيات الكوميديا بالألوان الطبيعية أثناء تحدّثها بالهاتف، وذلك مع شعري المجدول على شكل ذيل الحصان، بينما تقول الفقاعة التي تعلو رأسي: لقد التقيتُ شاباً.

لكن ذلك حصلَ فعلاً. إنها حقيقة تقنية وتجريبية خالصة. التقيتُ شاباً متأنقاً وعظيماً ولامعاً، ومرحاً. كان شاباً هادئاً. دعوني أستعيد المشهد لأنه يستأهل التذكر بالنسبة إلى أجيالي القادمة (أرجوكم، إنني لا أبالغ إلى هذا الحد، أي الأجيال القادمة!) لكنني أعرف مع ذلك بأن اليوم ليس رأس السنة، لكن السنة ما زالت جديدة، لأننا ما زلنا في فصل الشتاء، كما أن البرد قارسٌ جداً.

دعتني كارمن، صديقتي الجديدة - أو دعوني أقول شبه صديقة أو بالكاد، وهي ذلك النوع من الأصدقاء الذي لا يمكن للمرء الاستغناء عنه - للحضور إلى بروكلين، وبالتحديد إلى إحدى حفلات الكتّاب وهي من جملتهم. أقول الآن بأنني أحب حفلات الكتّاب، وأحب الكتّاب، وخاصة لأنني نشأت بين أسرة من الكتّاب، وأنا كاتبة أيضاً. يُضاف إلى ذلك أنني ما زلت أحب كتابة تلك الكلمة - كاتبة - في أي وقتٍ يقدمون لي فيه نموذجاً أو استبياناً، أو وثيقة تستفسر عن مهنتي. حسناً، يمكنني القول بأنني أقوم بكتابة اختباراتٍ للشخصية، أي إنني لا أكتب عن القضايا الكبيرة الراهنة، لكنني أعتقد أنه من الإنصاف القول بأنني كاتبة. يُضاف إلى ذلك بأنني أستخدم هذه اليوميات كي أتحسّن: أي لشحذ مهاراتي، ولجمع التفاصيل والملاحظات التي تهمّني. لكن، ولكي أكون صادقة مع نفسي، أقول بأن هذه الاختبارات التي أحضّرها تكفي كي تجعلني مؤهلة، فخرياً على الأقل. أليس كذلك؟

عندما يكون المرء في حفلة، فإنه يجد نفسه محاطاً بكتّاب حقيقيين وموهوبين، والذين يحتلون مراكز عالية ومرموقة في صحفٍ ومجلاتٍ محترمة.

اختبار: أنتِ تكتفين بكتابة اختبارات للمجلات النسائية. لكن عندما يسألك شخصٌ ما عما تفعلينه لكسب معيشتك، فأنتِ:

- تشعرين بالحرج وتقولين: " إنني مجرد كاتبة اختبارات، وهي مهنة تتميّز بالسخافة! " .

- تنتقلين إلى الهجوم: " إنني كاتبة الآن، لكني أفكر بشيء أكثر قيمةً ويحمل قدراً أكبر من التحديات - لماذا، وماذا تعملينَ أنتِ؟ " .

- تشعرين بالفخر لإنجازاتك: " إنني أكتب اختبارات للشخصية، وأستخدم المعرفة التي حصلت عليها من درجة الماجستير في علم النفس - آه، بقيت حقيقة تتسم بالمرح: إنني ملهمة سلسلة كتب محبوبة للأطفال، وأنا متأكدة من أنكم تعرفونها جيداً، وهي تدعى آمي المذهلة. أجل، فلتفهموا ذلك!

الإجابة الصحيحة هي الإجابة الثالثة، بكل تأكيد.

أعرف مع ذلك بأن أحد أصدقاء كارمن المقربين هو الذي أقام هذه الحفلة، وهو الذي يكتب مقالات حول الأفلام السينمائية وينشرها في إحدى المجلات التي تُعنى بصناعة الأفلام. أخبرتني كارمن كذلك بأنه شابٌّ مَرِحٌ جداً، لكني قلقتُ لبرهة من احتمال أنه يريد إغراءنا، وأنا لا أريد أن يغريني أحد. يعني ذلك أنني بحاجة للوقوع في مصيدة، وأن يحصل ذلك على حين غرة على يد نوعٍ من أنواع الشبان المفترسين الشرسين. لكن، وعدا ذلك، أقدّر ذاتي كثيراً. أشعر كذلك بأنني أحاول أن أكون أكثر جاذبية مما أنا عليه، وذلك كي أعوّض عن افتقادي للجاذبية المزيفة. لكني أدركت أن الحال ليس كذلك لأن كارمن تتباهى كثيراً بصديقها. يعني ذلك أنها تحبه، وهذا يروقني.

صعدنا ثلاثة مستويات من الدرج الملتوي قبل دخولنا إلى موجة حرارة منبعثة من الأجساد وأجواء الكتابة والتأليف، أي ذلك العدد الكبير من النظارات ذات الأُطر السوداء، والكتل الملتفة من الشعر، وكذلك القمصان التي تقلّد القمصان الغربية، والسترات الصوفية السوداء الموزعة على الأرائك، والتي تتدلى نحو الأرض، وكذلك إعلان ألماني لملهى Getaway (Ihre Chance war gleich Null !) ، وهو الإعلان الذي غطى أحد الجدران التي تشقّق طلاؤها. ينبعث في هذه الأثناء صوت فرانز فرديناند عبر جهاز الستيريو بأغنية " دعنا نخرج " .

تحلقت شلة من الشبان حول طاولة مخصصة للعبة الورق حيث انتشرت فوقها أكواب الشراب، ولم يتردد الشبان في سكب المزيد من الشراب بين الحين والآخر، بالرغم من علمهم أن ما تبقى منه ليس كثيراً.

اقتربتُ منهم ووضعت كوبي البلاستيكي الذي أحمله مثل ذلك الرجل الذي يمدّ قبعته لجمع التبرعات، ثم حصلت على عددٍ من مكعبات الثلج، والقليل من الشراب من شاب يحمل ملامح جذابة، ويرتدي قميصاً قصير الكمين والذي تحمل شعار غزاة الفضاء.

لم يمضِ وقت طويل قبل حصولنا على زجاجة كبيرة من شراب التفاح الأخضر، ويبدو أن هذا الشراب كان الوسيلة التي اختارها لنا مضيفنا، وكانت ستكون من نصيبنا ما لم يبادر أحد الحاضرين إلى البدء في جولة شراب محمومة. لكن ذلك يبدو احتمالاً بعيداً، لأنه من الواضح أن الجميع يعتقدون أنهم فعلوا ذلك في المرة الماضية. كانت هذه حفلة في شهر كانون الثاني، أي إن الحاضرين كانوا متخمين بعد الإجازات التي أمضوها، وكانوا يشعرون بالكسل والتوتر في الوقت ذاته. كانت هذه حفلة حيث يقوم الناس بتناول الكثير من الشراب، ويخوضون نزاعات بكلماتٍ منتقاةٍ بعناية، وينفثون دخان سجائرهم من خلال نافذة مفتوحة حتى بعد أن يطلب منهم المضيف التوجه إلى الخارج. سبق لنا أن تحدثنا مع بعضنا بعضاً خلال ألف حفلة أقمناها خلال إجازاتنا، أي إننا شعرنا بالملل الجماعي، لكننا لم نرغب بالعودة إلى برودة طقس كانون الثاني، وذلك لأن عظامنا ما زالت تؤلمنا لكثرة ما صعدنا درج المترو.

بقيت كارمن في هذه الأثناء مع مضيفها الوسيم، وكانا منهمكين في مناقشة معمقة في إحدى زوايا المطبخ. أحنيا أكتافهما وتواجها بحيث بدا منظرهما على شكل قلب. يا للروعة. فكّرت في تناول شيء من الطعام كي أُشغل نفسي، ولكي لا أكتفي بالوقوف في وسط الغرفة مبتسمةً، وكأنني ولدٌ جديد يدخل قاعة طعام للمرة الأولى في حياته. لكني اكتشفت أنه لم يبقَ من الطعام شيء يُذكر. لم أرَ سوى قطعٍ صغيرة من رقائق البطاطا في قعر وعاء كبير من نوع تابرواير. شاهدت فوق طاولة صغيرة صينية مثل تلك التي تتواجد في مراكز التسوق، وكانت مليئة بقطع الجزر الذابل، وضلوع الكرفس المتغضنة والمليئة بالعُقد، وطبقاً آخر لم يلمسه أحد، وكذلك السجائر المتناثرة وكأنها قطع من الخضار المجانية. إنني أقوم الآن بما شعرت بدافعٍ قوي للقيام به: ماذا يحدث لو قفزتُ الآن من شرفة المسرح؟ ماذا يحدث لو أنني رميت هذا الرجل المتشرد الواقف قبالتي على خطوط المترو؟ ماذا يحدث لو أنني جلست على الأرض في هذه الحفلة، وتناولت كل شيء يتواجد فوق الصينية، بما في ذلك السجائر؟

قال لي: " أرجوكِ لا تأكلي شيئاً من تلك الناحية " . إنه هو (المتشرد!

بوم!) لكنني لم أكن أعلم حينها بأنه هو (المتشرد - بوم). أعرف بأنه الرجل الذي سوف يتحدث معي، وهو الذي يتمسك بغروره بحيث يكاد يلتصق به، لكنه ذلك النوع من الغرور الذي يناسبه تماماً. إنه ذلك النوع من الشبان الذين يعتبرون بأنهم يمتلكون القدرة على إغواء عددٍ كبير من الفتيات، والرجل الذي يحب النساء، وهو الذي يمكنه ممارسة الحب معي بالطريقة الصحيحة. إنني أميل إلى الذين يعرفون كيفية ممارسة الحب معي بالطريقة الصحيحة! يبدو لي أن سجلي العاطفي يتمحور حول ثلاثة أنواع من الرجال: طلاب الجامعات المرموقة في المنطقة الشرقية من البلاد، والذين يعتبرون أنفسهم من شخصيات روايات فيتزجيرالد؛ وأذكياء وول ستريت الذين تبدو رموز العملات في أعينهم، وآذانهم، وأفواههم؛ والشبان الأذكياء وذوي الحساسية، وهم الذين يعتبرون بأن كل شيء يفوح بالمرح. يميل الرجال الذين هم من نوع شخصيات فيتزجيرالد إلى أن يكونوا متحمسين في السرير، لكن من دون أن ينجحوا في ذلك، وذلك لأنهم يصدرون قدراً كبيراً من الضجيج، ويقومون بحركات لا تؤدي إلى أي نتيجة تُذكر. أما رجال المال فيُظهرون بعض العنف من دون الصلابة. لكن الشبان الأذكياء يمارسون الحب وكأنهم يؤلفون قطعة من [موسيقى] الروك الرياضية: تتجول يدٌ في مكانٍ، بينما تقدّم إصبعٌ أخرى إيقاعاً جميلاً... إنني أبدو فتاة مستهترة، أليس كذلك؟ انتظروا قليلاً ريثما أقوم بالتعداد... أحد عشر. لا بأس بذلك، لكنني طالما فكّرت بأن 12 هو عدد ثابتٌ ومعقول يُمكن للمرء أن ينتهي عنده.

تابع الرقم 12 : " إنني جادٌ في ذلك " . (ها!) " ابتعدي عن تلك الصينية. يحتفظ جايمس بنحو ثلاثة أنواع من الأطعمة في ثلاجته. يمكنني أن أحضّر لك شطيرة زيتون مع الخردل. شطيرة زيتون واحدة فقط " .

شطيرة زيتون واحدة فقط. إنه ذلك النوع من الكلام الذي يحمل قدراً قليلاً من الفكاهة، لكنه ينضح بنكتةٍ مبطنة، وهي التي تزداد فكاهة في تردادها مع مرور الزمن. فكّرت في نفسي: سوف نسير بعد سنة من الزمن فوق جسر بروكلين عند مغيب الشمس وسوف يهمس أحدنا، " شطيرة زيتونٍ واحدة فقط " ، وسوف نبدأ بالضحك. (أتوقف بعد ذلك. يا للفظاعة. لو يعرف بأنني أفكر فعلاً لما بعد سنةٍ من الآن فلعله سيبتعد عني وسأكون مجبرة على استرضائه).

أعترف، أكثر من أي شيء آخر، بأنني أبتسم لأنه يبدو رائعاً بشكل مذهل، وهو الذي يمتلك ذلك النوع من النظرات التي تجعل عينيك

تتحركان وكأنهما تقولان له: " أنت تعرف بأنك رائع، أليس كذلك؟ " ثم تمضي بالمحادثة بعد ذلك. إنني أراهن بأن الشبان الجذابين يكرهونه، وهو الذي يبدو مثل مراهقٍ ثريّ متغطرس في فيلمٍ سينمائي يعود إلى فترة الثمانينيات من القرن الماضي. يبدو بأنه يستفز شخصاً يفتقد إلى العلاقات الاجتماعية، لكنه يمتلك قدراً كبيراً من الحساسية، ويتلقى أخيراً فطيرة على وجهه بينما تتناثر الكريما على ياقة قميصه المرفوعة، وذلك بينما يندفع الحاضرون في المطعم بالتصفيق ابتهاجاً.

لكنه لا يتصرف بهذه الطريقة مع ذلك. أعرف أن اسمه نِك، وأنا أحب ذلك الاسم الذي يجعله يبدو لطيفاً وعادياً، وأنا أعرف بأنه كذلك فعلاً. قلت له عندما قال لي اسمه: " هكذا إذاً. إنه اسمٌ حقيقي " . انفرجت أسارير وجهه وانطلق يقول: " نِك هو ذلك النوع من الرجال الذين يتمكنون من الشرب، وذلك النوع من الرجال الذي لا يكترث إذا ما تقيأ أحد في سيارته. نِك! " .

مضى نِك في اللعب على الكلمات بطريقة فظيعة، لكنني لم أفهم منها سوى ثلاثة أرباع تلميحاته السينمائية، أو لربما ثُلُثَي هذه التلميحات. (ملاحظة لنفسي: يجب استئجار فيلم الأمر المؤكد *The Sure Thing*). عمدَ بعد ذلك إلى ملء كوب شرابي من دون أن يسألني، وكأنه يريد تمرير آخر كوبٍ من الشراب اللذيذ. أشعر بأنه وضع يده عليّ، وأعلن ملكيته لي: كنتُ أول من جاء إلى هنا، إنها لي، لي أنا. بدا لي أن مجرد كوني ملكيةً لشخصٍ ما هو شعور لذيذ، وذلك بعد سلسلة لقاءاتي الحديثة مع رجالٍ متوترين ومحترمين من الذين تجاوزوا مرحلة الاهتمام بالنساء. يتميّز نِك بابتسامة عظيمة تشبه ابتسامة القطة. أعتقد بأنه يجب عليه قول أشياء في منتهى النعومة بالطريقة التي يبتسم بها في وجهي. لكنه لا يسألني ماذا أعمل لأكسب معيشتي، وهو أمرٌ يروقني، ويمثّل تغييراً ما. (إنني كاتبة، ألم أذكر ذلك؟) يتحدث معي بلهجة متموجة مثل مياه نهر الميسوري. قال لي إنه وُلد ونشأ خارج هانيبال [هنيبعل]، وهي المنطقة التي نشأ فيها مارك توين وأمضى فيها فترة مراهقته، وحيث استلهم روايته توم سوير. أبلَغني نِك كذلك بأنه عمل في قاربٍ بخاري عندما كان مراهقاً، وكان يقدّم طعام العشاء، ويعزف موسيقى الجاز للسياح. لكنه أبلغني عندما أضحك - وأنا الفتاة النيويوركية المتفاخرة التي لم تغامر بالذهاب إلى تلك الولايات الوسيطة المعقدة، أي تلك الولايات التي يعيش فيها عدد كبير من الناس الآخرين - بأن ميسورا [ميسوري] هي مكان ساحر، وأنها الأجمل

في هذا العالم، ولا تفوقها أي ولاية أخرى في الروعة. لكن عينيه رهيبتان برموشهما الطويلة. أمكنني تخيّل ما كان يبدو عليه عندما كان صغيراً.

تشاركنا في سيارة أجرة واحدة في طريق عودتنا إلى المنزل. تراقصت الظلال الناتجة عن أضواء مصابيح الشوارع بينما كانت السيارة تُسرع بنا وكأننا مطاردون. كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عندما وصلنا إلى أحد طرقات نيويورك المقفلة لسببٍ غير واضح. كان المكان يبعد نحو اثني عشر بلوكاً عن شقتي، وهكذا نزلنا من السيارة. كان الجو بارداً، ولم نعرف ماذا ينتظرنا من أمورٍ هامة. بدأ نِك بمرافقتي في طريقي إلى منزلي واضعاً يده وراء ظهري، بينما تجمد وجهانا نتيجة البرد القارس. لاحظنا بعد اجتيازنا المنعطف بأن فرن المحلة يتسلم السكر المطحون عن طريق أنابيب تصل إلى خزاناته وكأنه إسمنت. لم نتمكن من رؤية أي شيء غير ظلال عمال التسليم وسط غمامة بيضاء. بدا الشارع وكأنه مغمورٌ بالأمواج، وهكذا جذبني نِك نحوه، وأطلق ابتسامته المميزة نحوي مجدداً. أمسك بخصلة واحدة من شعري بين إصبعيه وأخذ بتمريرها إلى أقصى حدٍ تصل إليه، ثم جذب الخصلة مرتين وكأنه يقرع جرساً. كانت رموشه مغطاة بالمسحوق، لكنه قبل أن ينحني نحوي لعق السكر من شفتيّ كي يتذوقني.

يوم من أيام

نِك دون

فتحتُ باب حانتي على مصراعيه ودخلتُ إلى الظلمة، ثم تنفستُ أول أنفاسي العميقة في ذلك اليوم. تنفست رائحة السجائر والشراب، ونكهة الفوشار العتيق. رأيتُ زبونةً واحدة في الحانة، وكانت تجلس وحدها في أقصى طرف من المكان. كانت الزبونة امرأة مسنّة تدعى سو، وهي كانت تأتي إلى الحانة في كل يوم خميس مع زوجها إلى أن توفي قبل ثلاثة أشهر. اعتادت المرأة المجيء وحدها كل نهار خميس، ولم تكن تميل إلى التحدث كثيراً، بل تكتفي بالجلوس لتشرب كأساً، وتستغرق في حل الكلمات المتقاطعة فيبدو ذلك وكأنه من الشعائر التي تتمسك بأدائها.

كانت شقيقتي منهمكة بالعمل وراء طاولة الحانة الطويلة. رفعت شقيقتي شعرها مستعينة بالمشابك، كما بدا ذراعاها بلونٍ زهري بينما كانت تضع الأكواب في فقاقيع الماء الساخنة وتخرجها منها. يتميّز وجه جو بأنه نحيل مع شيءٍ من الغرابة، لكن ذلك لا يعني بأنه غير جذاب. لا يستغرق المرء غير لحظاتٍ قليلة قبل أن يفهم ملامح ذلك الوجه: الفكّ العريض، والأنف الضيّق الجميل، والعينين الواسعتين والداكنتين. أما لو كان ما رأيته من ضمن فيلمٍ قديمٍ، لكان من الممكن أن يرفع المرء قبعته ويأخذ بالصفير عند رؤيته لها قبل أن يقول، " والآن، هذه هي فتاة منفتحة ورائعة! " إن وجوه نجمات سينما الثلاثينيات الفاتنات لا تعني شيئاً هذه الأيام، أي في زمن الأميرات اللعوبات، لكنني أعرف بعد كل هذه الأعوام التي أمضيناها معاً بأن الرجال يحبون شقيقتي كثيراً، وهو الأمر الذي يضعني وسط ذلك الشعور الغريب بالمسؤولية، وهو الشعور الذي يتألف من مزيجٍ من الفخر والقلق.

قالت لي وكأنها تلقي عليّ التحية، ومن دون أن ترفع رأسها، وبعد أن أدركت بأن الشخص الذي دخل الحانة هو أنا، وهو الأمر الذي يثير فيّ الارتياح الذي اعتدتُ أن أشعر به عند رؤيتي لها: " أما زالوا يصنعون رغيف البيمنت [الفلفل الحلو]؟ إنه الشعور بأن الأمور قد لا تكون على ما يرام الآن، لكنها سوف تكون كذلك في المستقبل " .

شقيقتي التوأم جو. قلت هذه العبارة مراتٍ عديدة حتى إنها أصبحت بمثابة تعويذة تبعث على الطمأنينة بدلاً من الكلمات الفعلية: توأمي جو. وُلدنا في أعوام السبعينيات، أي عندما كانت التوائم نادرة

الحدوث، وكانت أمراً ساحراً، أي مثل أبناء عمومة مخلوقات خرافية وأبنائها. إننا نمتلك كذلك قدراً من ميزة التخاطر عن بُعد التي تترافق مع التوائم. إن جو هي الشخص الوحيد في هذا العالم الذي أرتاح إليه كلياً. لا أشعر معها بضرورة تفسير أعمالي، أي إنني لا أجد نفسي مضطراً للتوضيح، ولا للشك، ولا القلق. إنني لا أخبرها بكل شيء، ليس بعد الآن، لكني أقول لها أشياءً أكثر مما أقوله لأي شخصٍ آخر. إنني أخبرها أموراً إلى أقصى حدود إمكاناتي. أمضينا تسعة أشهر بظهورٍ ملتصقة، أي إن واحدنا كان يغطي الآخر. بقي ذلك عادةً استمرت معنا طيلة حياتنا. لم أكترث لكونها فتاة، وهو أمرٌ غريب بالنسبة إلى فتى شديد الحساسية لوجود الآخرين. ماذا يمكنني أن أقول؟ كانت باردةً على الدوام.

" رغيف البيمنت [الفلفل الحلو] الذي يبدو مثل فطيرة لحم، أليس كذلك؟ أعتقد أنهم ما زالوا يصنعونه " .

قالت لي: " أريد الحصول على بعض هذه الأرغفة " . قوّست أحد حاجبيها نحوي، وأضافت: " إنني متعجبة " .

سكبت جو، ومن دون أن أطلب منها ذلك، بعض الشراب في كوب ليس بالنظافة المطلوبة. لكن عندما رأتني أحدّق بحافة الكوب المتسخة قامت برفعه نحو فمها، ولعقت الجزء الملوث منه تاركةً عليه بعضاً من لعابها. وضعت الكوب أمامي مباشرةً، وقالت: " أهكذا أفضل يا أميري؟ " .

تعتقد جو بأنني حصلت على أفضل ما قدّمه لنا والدانا، كما تعتقد بأنني الفتى الوحيد الذي خطّطا لإنجابه، وبأنها تسلّلت إلى هذا العالم عن طريق تعلّقها بكاحلي، أي إنها كانت تلك الغريبة غير المرغوب فيها. (كانت بالنسبة إلى والدي غريبةً غير مرغوبٍ فيها إطلاقاً). تعتقد جو بأنها تُركت لتدافع عن نفسها طيلة فترة طفولتها، أي إنها كانت مخلوقاً يثير الشفقة، والتي تحصل على أقل قدرٍ ممكن من المال، وكذلك الشفقة بشكلٍ عام. يُحتمل أن تكون هذه الصورة صحيحة جزئياً، لكني أجد صعوبةً كبيرة في الاعتراف بها.

" أجل يا خادمتي الصغيرة المسكينة " . حرّكت بعد ذلك يديّ بحركة معتادة من أحد أفراد الأُسَر المالكة عندما يصرف خادمه.

ركّزت بعد ذلك على كوب الشراب، وكنتُ بحاجةٍ للجلوس لتجرع كوب أو ثلاثة أكوابٍ. كانت أعصابي متوترة منذ الصباح.

سألتني: " ماذا حدث لك؟ تبدو مرتعشاً " . رمتني ببعض الرغوة التي تحتوي على الماء أكثر مما تحتويه من الصابون. كان الهواء المنبعث من

جهاز التبريد يعبث بأعلى رؤوسنا. كنا نمضي وقتاً في الحانة أكثر مما ينبغي. تحولت الحانة إلى شيء يشبه النادي العائلي الذي لم نمتلكه سابقاً على الإطلاق. سبق لنا أن فتحنا الصناديق المودعة في قبو والدتنا في إحدى ليالي السنة الماضية الصاخبة، أي عندما كانت ما تزال على قيد الحياة، لكنها قريبة من النهاية المحتومة، وكنا وقتها بحاجة إلى الراحة. شاهدنا في تلك الليلة كل الألعاب والدمى وسط صيحات الدهشة والتأوهات بينما كنا نتناول جرعات من الشراب المعلبة. كان ذلك أشبه ما يكون بالكرسمس في شهر آب. انتقلنا بعد وفاة والدتنا إلى منزلنا القديم، وبدأنا بإعادة ترتيب ألعابنا على مهل، ونقلناها واحدةً فواحدة إلى الحانة. فكّرنا كذلك في إدخال لعبة الشطرنج، حتى بالرغم من أن معظم زبائننا كانوا مسنّين.

ملأت جو كوبي، وكذلك فعلت بكوبها. لاحظت أن جفنها الأيسر قد تدلى قليلاً. كان الوقت ظهراً بالضبط، أي إن عقارب الساعة أشارت إلى 12 : 00 تماماً. تساءلت كم من الوقت مضى عليها وهي تتجرّع الشراب. أمضت شقيقتي الغامضة عقداً صعباً من الزمن، وهي التي تركت الجامعة مع أنها تمتلك ذهناً علمياً، ونفسية رعاة البقر، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى مانهاتن في أواخر أعوام التسعينيات من القرن الماضي. كانت شقيقتي واحدة من ظواهر الدوت - كوم، وتمكنت من كسب أموالٍ كثيرة لفترة عامين من الزمن، وما لبثت أن غرقت في فقاعة الإنترنت في العام 2000 . بقيت جو متماسكة بالرغم من ذلك. كانت أقرب سناً من العشرينيات مما هي إلى الثلاثينيات، وكانت تدير أمورها بشكلٍ جيد. تمكنت شقيقتي بعد ذلك من نيل شهادتها، وانضمت إلى عالم الموظفين الإداريين العاملين في الاستثمارات المصرفية. كانت جو ذات مستوى متوسط، أي إنها لم تكن لامعة بشكلٍ خاص، كما أنها كانت بعيدة عن اللوم، لكنها خسرت وظيفتها، وبسرعة، خلال الانهيار المالي في سنة 2008 . لم أعرف بأنها تركت نيويورك إلى أن تكلمت معي هاتفياً من منزل والدتنا، وقالت لي لقد استسلمت. توسلت إليها، وحاولت إقناعها بالعودة، لكنني لم أسمع شيئاً غير الصمت العميق على الطرف الآخر من الخط. قمت بعد ذلك بزيارة محفوفة بالتوتر إلى شقّتها في بويري، فرأيت غاري، شجرة التين المحببة لديها ذابلةً بأوراقها المصفرة في المكان المخصص للإحراق. علمت عندها بأنها لن تعود أبداً.

بدا لي أن الحانة تريحها كثيراً، وهي التي تولّت حساباتها، وتولت كذلك سكب الشراب للزبائن. اعتادت أن تأخذ من الوعاء المخصّص

للبقشيش بصورة منتظمة، لكنها كانت تقوم بالعمل أكثر مني. لم نتحدث أبداً عن حياتنا القديمة. إننا من آل دون، وفَقَدْنا وظائفنا لكن من المستغرب أننا شعرنا بالارتياح لهذا الأمر.

قالت جو على طريقتها في افتتاح محادثة: " والآن ماذا؟ " .

" إيه " .

" إيه، ماذا؟ إيه، إنها علامة تدل على السوء؟ إنك لا تبدو بحالةٍ جيدة " .

هززتُ كتفي دلالة على الموافقة، وما لبثْ أن تفحصّت وجهي.

" هل يتعلق الأمر بآمي؟ " كان ذلك سؤالاً سهلاً. هززتُ كتفيّ مجدداً علامة على التأكيد هذه المرة، وتعني ماذا تنوي أن تفعلي؟

نظرتْ إليّ جو بوجهٍ يطفح بالبهجة، وأسندت مرفقيها على الطاولة، وحضنت ذقنها بيديها، واستغرقت بتفكير عميق حول زواجي. أعرف أن جو تجيد إصدار الأحكام بمفردها. " وماذا بشأنها؟ " .

" إنه يوم سيئ. إنه يوم سيئ فحسب " .

أشعلت جو سيجارتها وقالت: " لا تدعها تُقلقك " . اعتادت شقيقتي على تدخين سيجارة واحدة فقط في اليوم. " تتصف النساء بالجنون " . لكن جو لا تصنف نفسها من ضمن هذه الفئة من النساء، وهي كلمة تستخدمها مع شيءٍ من الازدراء.

دفعتُ دخان سيجارة جو نحو صاحبته، وقلت: " اليوم ذكرى زواجنا. إنها الذكرى الخامسة " .

" واو " . دفعت شقيقتي برأسها إلى الخلف، وهي التي كانت وصيفة العروس في يوم زفافنا. ارتدت في ذلك اليوم ثوباً بنفسجي اللون، ووصفتها والدة آمي بأنها، " السيدة الرائعة ذات الشعر الأسود الفاحم والمزيّن بألوانٍ أرجوانية " . لكن مناسباتٍ كهذه لم تكن بالشيء الذي ترغب في تذكّره. دفعت شقيقتي بكمية أخرى من الدخان في وجهي، وقالت: " آه، فلتذهب المناسبات إلى الجحيم أيها المتمدّن. هناك ما هو أهم من ذلك. أتعني بأنها ستقوم بلعبة أخرى. ماذا تسميها؟ ليس البحث عن الفريسة... " .

قلت: " البحث عن الكنز " .

أحبّت زوجتي هذا النوع من الألعاب، وغالباً ما كانت ألعاباً ذهنية، لكنها أحبت كذلك ألعاب التسلية الحقيقية، وهكذا اختارت للاحتفال بذكرى زواجنا أن تقيم لعبة بحثٍ عن الكنز، بحيث تؤدي كل علامة إلى مخبأ العلامة التالية، ويستمر ذلك إلى حين وصولنا إلى النهاية حيث توجد

هديّتي. كان ذلك هو ما يفعله والدها لوالدتها عند احتفالهما بذكرى زواجهما. لكن لا أريدك أن تفكر للحظة بأنني لم ألاحظ الدور الذي تلعبه الوراثة هنا، وأنني لم أفهم دلالة ذلك. لكنني لم أنشأ وسط عائلة آمي، بل نشأت في منزلي. كانت آخر هدية تذكرت بأن والدي أعطاها إلى والدتي هي مكواة وضعتها فوق طاولة المطبخ، لكنها لم تكن ملفوفة بورق هدايا.

سألتني جو مبتسمةً: " أتريدني أن نراهن على طريقة تعبيرها عن غضبها تجاهك هذه السنة؟ " .

كانت هذه هي مشكلتي مع ألعاب البحث عن الكنز التي تقيمها زوجتي: لم أنجح أبداً في فهم العلامات التي تضعها. أتذكّر أنه في الذكرى الأولى لزواجنا، والتي أقمناها عندما كنا في نيويورك، بأنني فهمت علامتين فقط من أصل سبع. كانت تلك السنة أفضل نتيجة حصلت عليها. كان اللغز الافتتاحي على الشكل التالي:

يشبه هذا المكان ثغرة في الجدار،
لكننا تبادلنا هناك قبلة عظيمة يوم ثلاثاء
من الخريف الماضي.

هل اشتركتَ ذات مرة في مباراة تهجئة عندما كنتَ صبياً؟ أتذكر تلك اللحظة الرهيبة بعد الإعلان عن الكلمة وأنت تبحث في ثنايا ذهنك لتعرف ما إذا كان بإمكانك تهجئتها؟ كان الأمر بمثابة ذعرٍ خالص بالنسبة إليّ.

قالت آمي: ليست الحانة الإيرلندية مكاناً إيرلندياً خالصاً " .

عضضتُ زاوية من زوايا شفتي، وبدأتُ بهز كتفيّ، وبدأت في تفحّص غرفة معيشتنا، وكأن الجواب سوف يظهر أمامي فجأة. أعطتني زوجتي دقيقة طويلة أخرى.

قالت بصوتٍ يحمل شيئاً من التوسّل في لهجته: " تهنا وسط المطر " .

أوقفتُ هزّ كتفيّ.

" إنه ماكمان يا نِك. أتذكر عندما تهنا وسط المطر في تشاينا تاون وذلك عندما بحثنا عن ذلك المطعم الصيني، وكان من المفترض بأنه يقع قرب تمثال كونفوشيوس، لكن تبيّن لنا وجود تمثالين لكونفوشيوس، وهكذا انتهى بنا المطاف في إحدى الحانات الإيرلندية، وكنا مبلّلين بالماء. تناولنا هناك أكواباً قليلة من الشراب فما كان منك إلا أن أمسكتني وقبلتني،

وكان ذلك... " .

" صحيح! كان من الأفضل أن تعطيني علامةً عن كونفوشيوس، وكنت فهمتها على الفور " .

" التمثال ليس أهم ما في الأمر، بل تلك اللحظة. فكّرت في أنها في غاية الحميمية " . قالت هذه الكلمات الأخيرة بلهجةٍ طفولية لطالما اعتبرتها مغرية في الماضي.

" كانت حميمة للغاية " . جذبتها نحوي وقبلتها. " كانت القبلة هناك احتفالاً خاصاً بالذكرى. دعينا نعيد الكرّة في ماكمان " .

رآنا نادل ماكمان ضخم الجثة وملتحٍ أثناء دخولنا، فابتسم ابتسامة عريضة، وما لبث أن سكب لنا الشراب، وذلك قبل أن يبدأ اللغز التالي.

عندما يسيطر علينا التشاؤم والشعور بالوحدة
هناك مكانٌ واحد فقط نلجأ إليه.

تبيّن لي أن ذلك المكان الواحد هو تمثال أليس في بلاد العجائب الذي يتواجد في سنترال بارك، وهو المكان الذي أخبرتني آمي - وهي التي أخبرتني، وتعرف بأنها أخبرتني مراتٍ عديدة - بأنها كانت تشعر بالارتياح بقربه وبتحسنٍ في مزاجها عندما كانت طفلة. لكنني لا أتذكر كل تلك الأحاديث. إنني أقول الصدق هنا، أي إنني فعلاً لا أتذكرها. يُحتمل بأنني أعاني شيئاً من عدم القدرة على التركيز، وهكذا كنت أعتبر بأن زوجتي محيرة قليلاً، وأنا أقصد أفضل ما لهذه الكلمة من معنى: افتقاد الرؤية الواضحة، وخاصة عندما ينظر المرء نحو ضوءٍ ساطع. كان يكفي أن أكون بقربها وأسمعَ حديثها، أي إنه لم يكن ما تقوله هاماً على الدوام. كان يجب أن يكون ما تقوله هاماً، لكن الأمر لم يكن كذلك.

وصلنا في ذلك الوقت إلى النهاية، أي إلى تبادل الهدايا الحقيقية - الهدايا الورقية التقليدية لأول سنةٍ تمر على زواجنا - لكن آمي لم تتكلم معي حينها.

" إنني أحبك يا آمي. أنتِ تعرفين بأنني أحبك " . تبعتها في دخولها مجموعات السياح المدهوشين، وفي خروجها منها، والذين تواجدوا وسط الرصيف، وكانوا لا يعلمون شيئاً مما يجري. كانت آمي تشق طريقها وسط الحشود في سنترال بارك، وكانت تناور وسط الذين يمارسون رياضة الجري، والذين يمارسون رياضة التزحلق بسيقانهم الرفيعة، وبين الآباء الذين انحنوا،

والأطفال الذين يتصرفون مثل الثملين، وكانت تسبقني على الدوام من دون أن تقول أي كلمة، وكانت تسرع دون أن تحدد هدفاً معيناً لها. حاولت في ذلك الوقت اللحاق بها كي أمسك بذراعها. توقفت أخيراً، ونظرت نحوي بوجهٍ خالٍ من التعابير بينما كنت أشرح موقفي، وبينما كانت إصبع خيالية تهدئ من روعي: " آمي. لا أفهم لماذا يتوجب عليّ أن أبرهن عن حبي لكِ عن طريق تذكّر الأشياء ذاتها بالضبط، والطريقة ذاتها التي تتصرفين بها. لا يعني ذلك بأنني لا أحب حياتنا معاً " .

نفخ أحد المهرجين في وجهي شكل حيوان، كما أحضر رجل آخر وردة، بينما انشغل أحد الأطفال بتناول [كوزٍ من] المثلجات، وهكذا تكوّن تقليد أصيل، وهو التقليد الذي لن أنساه أبداً: كانت آمي تُظهر حبوراً دائماً، أما أنا فلم أكن كذلك أبداً، حتى إنني لم أحاول مطلقاً.

تابعت جو كلامها: " دعني أخمّن، فبعد مرور خمسة أعوام لا بد وأنها ستشعر بالانزعاج حقاً. آمل أن تجلب لها هدية قيّمة حقاً " .

" وضعتها من ضمن القائمة العملية " .

" ما هو الشيء الذي يشبه رمز السنوات الخمس؟ هل هو الورق؟ "

.

قلت لها: " الورق هو للسنة الأولى " . يجد المرء نفسه في نهاية السنة الأولى متحمساً بصورةٍ غير متوقعة في لعبة البحث عن الكنز. أهدَتني آمي في ذلك الوقت مجموعة من الأوراق الأنيقة والتي تحمل في أعلاها الحرفين الأولين من اسمي، وكانت الأوراق رطبة جداً بحيث توقعت أن تتبلل أصابعي بعد الإمساك بها. أهديتُ زوجتي في المقابل طائرة ورقية باللون الأحمر اللامع رخيصة الثمن، كما تحمل رسومات المتنزه، والرحلات في الهواء الطلق، ونسمات الصيف الدافئة. لم يحب أحدنا الهدية التي تلقاها، بل أحب الهدية التي تلقاها الآخر. كان ذلك الوضع معاكساً لشخصيات أو. هنري.

قالت جو من قبيل التخمين: " هل هي من الفضة؟ أم البرونز؟ أم الأشياء المنقوشة؟ ساعدني في هذا " .

قلتُ: " الخشب. لا توجد هدية رومانسية مصنوعة من الخشب " .

رأيت سو في الطرف الآخر من الحانة وهي تطوي صحيفتها، وتتركها فوق طاولة الحانة مع كوبها الفارغ، بالإضافة إلى ورقة نقدية من فئة خمسة دولارات. تبادلتُ وإياها ابتساماتٍ صامتة أثناء خروجها من الحانة.

قالت جو: " وجدتها. اذهب إلى المنزل وغازلها، ثم تودد إليها واصرخ:

" هاك بعض الخشب أيتها الحمقاء! " .

تبادلت الضحكات معها حتى توردت خدودنا في الأمكنة ذاتها. كانت تلك دعابة قذرة وغير أخوية، وهي من ضمن الدعابات التي اعتادت جو توجيهها نحوي وكأنها تقذفني بقنبلة يدوية. كان ذلك أحد الأسباب وراء انتشار الشائعات عنا في المدرسة الثانوية بأننا نتودد إلى بعضنا بعضاً سراً. غرام التوائم. كنا قريبين جداً من بعضنا بعضاً: نكاتنا البذيئة، همساتنا على هامش الحفلات. إنني متأكد جداً بأنني لست بحاجة إلى أن أقول ما سأقوله الآن، لكنك [أيها القارئ] لستَ جو، لذلك قد تسيء الظن، ولهذا أقول لك: لم نتودد أنا وشقيقتي إلى بعضنا بعضاً أبداً، وحتى إننا لم نفكر في ذلك أبداً، أي إن كل ما في الأمر هو أننا متحابّان.

أخذت جو في هذا الوقت تشير بيديها إلى حركة أقوم بها مع زوجتي.

كلا. آمي وجو لن تصبحا صديقتين أبداً، لأن كل واحدة منهما تميل إلى التملك، ولطالما كانت جو الفتاة رقم واحد في حياتي، لكن آمي كانت الفتاة الرقم واحد في حياة الآخرين جميعاً. أما بالنسبة إلى شخصين عاشا في المدينة ذاتها - المدينة ذاتها مرتين: أولاً نيويورك، والآن هنا - فهما بالكاد يعرفان بعضهما بعضاً. تبادلت الفتاتان الظهور والاختفاء في حياتي مثل ممثلتين مسرحيتين بارعتين، وتخرج الواحدة من الباب لتدخل الأخرى. تشاركت المرأتان الغرفة ذاتها في مناسبات نادرة، وحتى في تلك المرات كانتا تبديان بعض الانزعاج من الوضع.

تمكنتُ في الفترة التي سبقت تحوّل علاقتي مع آمي إلى الجدية، وقبل خطوبتنا وزواجنا، من التقاط لمحات عن أفكار جو. حدث ذلك على شكل جملةٍ من هنا وجملة من هناك. أستغرب أن لا أتمكن من فهمها فهماً دقيقاً، مثل مَن هي حقيقةً. وكذلك: تبدو على غير طبيعتك عندما تكون معها. وكذلك: هناك فرقٌ كبير ما بين أن تحب امرأةً ما وبين أن تحب فكرة تواجدك معها. وأخيراً: إن الأمر المهم هو أنها تجعلك سعيداً بالفعل.

حدث ذلك عندما كانت آمي تجعلني سعيداً بالفعل.

قدمت لي آمي ملاحظتين حول جو: إنها ميسورية [من ميسوري] جداً، أليس كذلك؟ وكذلك: يتعيّن عليك امتلاك المزاج المناسب لها. وكذلك: إنها بحاجة إليك بعض الشيء، لكنني أعتقد أنه ليس لها أي شخص آخر.

تمنيت عندما انتهينا جميعاً في ميسوري أن تسير الأمور على ما يرام

بينهما، وعلى الأقل أن تتفق المرأتان على أن لا تتفقا، وأن تترك الواحدة للأخرى حريتها. لكنهما لم تفعلا ذلك. كانت جو أكثر مرحاً من آمي، لكن ذلك كان أشبه شيء بالمعركة غير المتكافئة. كانت آمي ذكية، وجدية بعض الشيء، وساخرة في بعض الأحيان. كانت آمي تصيبني بالتوتر في بعض الأحيان، وكان بإمكانها تقديم انتقاد حاد وممتاز، لكن جو كانت تدفعني إلى الضحك على الدوام. أعتقد أنه من الخطير جداً أن يضحك المرء على شريك حياته.

قلت: " جو، أعتقد بأننا اتفقنا على أن لا تذكري أعضائي التناسلية مرة أخرى. يعني ذلك أنه في حدود علاقة القرابة في ما بيننا فإنني لا أمتلك أعضاءً تناسلية " .

رنّ جرس الهاتف. ارتشفت جو جرعة أخرى من شرابها ورفعت السماعة، ثم نظرت نحوي مبتسمة وقالت: " إنه هنا بالتأكيد، لحظة من فضلك! " قالت لي: " إنه كارل " .

يعيش كارل بيلي قبالة المنزل الذي أعيش فيه مع آمي. تقاعد الرجل منذ ثلاث سنوات، كما طلّق زوجته منذ سنتين. انتقل كارل إلى حيّنا بعد ذلك مباشرة كان الرجل بائعاً متجولاً يبيع مستلزمات حفلات الأطفال. شعرت بعد أن عاش لفترة أربعة عقود في الموتيلات بأنه لم يشعر بالارتياح لوجوده في منزل. كان يحضر إلى الحانة كل يوم تقريباً حاملاً حقيبة هارديز مميزة، وكان يشكو من ضآلة ميزانيته حتى يحصل على بعض الشراب مجاناً. (كان ذلك من بين الأمور التي عرفتها عن كارل منذ بداية تردده إلى الحانة - أي إنه يعمل، لكنه مدمن على الشراب). كان لطيفاً بما يكفي ليقبل أي شيء " نحاول التخلص منه " ، وهو كان يعني ذلك حقاً: واظب كارل لمدة شهرٍ بأكمله على الاكتفاء بشرب زيماس التي تعود إلى حوالى العام 1992 ، وهي التي اكتشفنا كميةً منها في المستودع. يجد كارل أثناء إصابته بوعكة تضطره إلى البقاء في المنزل سبباً كافياً للاتصال بنا هاتفياً للقول: يبدو أن صندوق بريدكم مليء تماماً هذا اليوم يا نِكي، ولربما وصلتكم رزمة بريدية. أو: يُفترض أن يهطل المطر، لذلك يُستحسن أن تُقفلوا النوافذ. كانت كل هذه الأسباب واهية. كان كل ما يريده كارل هو سماع قرقعة الأكواب، وأصوات الشراب عند سكبه.

تناولت سماعة الهاتف ثم قمت بتحريك وعاء يحتوي على قطعٍ من الثلج كان يتواجد قرب الهاتف، وذلك كي يتمكن كارل من تخيّل أن ما يسمعه هو صوت شرابه.

سمعتُ صوت كارل الضعيف عبر السماعة: " مرحباً نِكي، وأنا آسفٌ لإزعاجكم. ظننت أنه من الأفضل لك أن تعرف... إن بابك مفتوحٌ على مصراعيه، كما أن قطتك ما تزال في الخارج. لا يُفترض بها أن تكون في الخارج، أليس كذلك؟ " .

أصدرتُ صوتاً يدل على عدم الاكتراث.

قال كارل بتثاقل: " سأخرج لأتفحص الأمر، لكنني متوعكٌ قليلاً " .

قلت: " لا تقلق. حان وقت ذهابي إلى المنزل على أي حال " .

تستغرق الرحلة بالسيارة نحو خمس عشرة دقيقة، حيث أقود شمالاً في طريق ريفر رود. تصيبني القيادة إلى المشروع السكني الذي أعيش فيه بالقشعريرة بين الحين والآخر، وذلك لكثرة أعداد البيوت الداكنة والفارغة، وهي المنازل التي لم تتعرف أبداً على شاغليها، أو المنازل التي عرفت مالكيها قبل أن يُطردوا منها، وهي البيوت التي تقف منتصرة بعد خلوها من البشر.

تلقينا بعد أن انتقلت أنا وآمي إلى هذا المكان زيارة من جيراننا الوحيدين: كانت امرأة في منتصف العمر وأمًّا لثلاثة أولاد، وكانت تحمل مقلاة في يدها، وأبٌ شاب مسؤول عن ثلاثة أولاد ويمتلك صندوقاً يحتوي على ست علبٍ من الشراب (كانت زوجته تركتها له في المنزل مع الأولاد الثلاثة). كان من بين الزائرين كذلك زوجان مسنّان يسكنان في منزلٍ قريب، وبطبيعة الحال كان كارل من بين الزائرين، وهو الذي يسكن في منزلٍ على الجهة المقابلة من الشارع. جلسنا وقتها على المنصة الخلفية للمنزل وراقبنا النهر. تحدث الزائرون بأسفٍ عن نسب الرهونات المعدلة، وعن فائدة الصفر بالمئة، وعن المشتريات من دون دفعةٍ أولى، كما لاحظ الجميع بعد ذلك كيف أن منزلنا أنا وآمي هو الوحيد الذي يطل على النهر مباشرة، والمنزل الوحيد الذي يخلو من الأطفال. سألتنا الأم وهي توزع بعضاً من البيض المخفوق: " هل أنتما وحدكما فقط؟ في هذا البيت الواسع؟ " .

أكّدت ذلك مبتسماً، وأومأت مرحباً بلقمة البيض المخفوق: " إننا اثنان هنا فقط " .

" يبعث هذا على الشعور بالوحدة " .

كانت محقةً من هذه الناحية.

خسرت السيدة صاحبة قول هذا البيت الواسع معركة رهن منزلها، واختفت من أمامنا مع أولادها الثلاثة. بقي منزلها فارغاً. بقيت صورة

الفراشة التي رسمها أحد الأطفال ملصقة على نافذة غرفة المعيشة، لكن ألوان القلم العريض تحولت بفعل الشمس إلى اللون البني. كنت أقود سيارتي ذات مساءٍ غير بعيد فرأيت رجلاً ملتحياً، ومبللاً. كان ينظر من خلف تلك الصورة، وكان يبدو أنه يطوف في الظلمة، وكأنه سمكة تعوم في حوض أسماكٍ يوحي بالحزن. رآني، وما لبث أن أسرع بالدخول إلى المنزل. تركت له في اليوم التالي كيساً من الورق البني مليئاً بالشطائر، ووضعته أمام مدخل منزله. بقي الكيس في الشمس من دون أن يلمسه أحد لفترة أسبوعٍ كاملٍ من الزمن، وهكذا تبلّلت الشطائر وفسدت إلى أن استعدتها ورميتها بعيداً.

الهدوء. كان المجمّع السكني هادئاً على الدوام. ما إن اقتربت من منزلي حتى رأيت القطة التي انتبهتْ إلى ضجيج محرّك السيارة، وكانت تجلس على الدرج. كانت لا تزال على الدرج حتى بعد مرور عشرين دقيقة على مكالمة كارل. كان ذلك غريباً بعض الشيء. كانت آمي تحب القطة التي انتُزعت مخالبها، كما أنه لم يُسمح لها بالبقاء في الخارج أبداً، وذلك لأن هذه القطة، واسمها بليكر، كانت لطيفة إلا أنها غبية إلى أقصى حدّ، وبالرغم من جهاز التتبع (لوجاك) المثبت في مكان ما من لفافات شعرها الكثيفة، إلا أن آمي كانت تعرف جيداً بأنها لن ترى القطة مجدداً إذا سُمح لها بالخروج. كانت بليكر على استعداد للسير مترنحةً وبشكلٍ مباشر نحو نهر المسيسيبي، وأن تعوم طيلة الطريق نحو خليج المكسيك قبل أن تستقر في معدة ذكر سمكة قرش جائع.

لكن تبيّن لنا أن القطة لم تتمتع بالذكاء الكافي الذي يسمح لها بتجاوز درج المنزل. كانت بليكر مستلقية على طرف فسحة المدخل، فبدت مثل حارس سمين وقصير إلا أنه مليء بالفخر. كانت أشبه شيء بالعريف تراي هارد. لكن ما إن اقتربتُ من الممر الخاص بالمنزل حتى خرج كارل ووقف أمام مدخل منزله. شعرت بأن القطة، وذلك الرجل المسن، يراقبانني بينما كنت أخرج من سيارتي وأسير نحو المنزل وسط نباتات الفاوانيا بثمارها الشهية، وكأنها تطالب بأن يتذوقها شخص ما.

كنت على وشك الانحناء كي ألتقط القطة عندما لاحظت أن باب المدخل مفتوح. قال لي كارل هذا، لكن رؤيتي له كان أمراً مختلفاً. لم يكن فتحُ الباب يوحي بأن صاحبه خرج لرمي النفايات وسوف يعود في غضون دقيقة من الزمن، بل كان باباً مفتوحاً على مصراعيه بشكلٍ يُنذر بالشؤم.

خرج كارل من منزله منتظراً ردّ فعلي. شعرت بأنني أؤدي دور الزوج القلِق على زوجته، وكأننا نقوم بتمثيل فيلمٍ سينمائي. وقفتُ في منتصف الدرج وألقيت نظرةً عابسة، ثم صعدت الدرج مسرعاً، صاعداً درجتين في وقتٍ واحد، ومنادياً اسم زوجتي.

الصمت.

" آمي. هل أنتِ في المنزل؟ " .

صعدت إلى الطابق العلوي. لم أعثر على آمي. كان طاولة الكيْ منصوبة، وما زالت المكواة في حالة تشغيل، بينما كان أحد الفساتين ينتظر الكي.

" آمي! " .

عدت إلى الطابق السفلي راكضاً فلاحظتُ أن كارل ما زال مسمراً عند مدخل منزله واضعاً يديه وراء ظهره ومستغرقاً في المراقبة. اتجهت نحو غرفة المعيشة، وتناولت سروالاً قصيراً. كانت السجادة تلتمع بشذرات الزجاج المتكسر بينما الطاولة الصغيرة تحولت إلى قطعٍ متناثرة. رأيت الطاولات الأخرى مقلوبة على جوانبها، كما تبعثرت الكتب على الأرض وكأنها تحولت إلى لعبة ورق. أما الأريكة القديمة والثقيلة فكانت مقلوبة بدورها، وارتفعت قوائمها الرفيعة الأربع في الهواء، فبدت وكأنها جسد ميتٍ. شاهدت وسط كل هذه الفوضى مقصاً حاداً.

" آمي! " .

شرعتُ بالركض منادياً اسمها. شاهدتُ في المطبخ إناء شاي بمياهه التي بلغت درجة الغليان، وتوجهتُ إلى الطابق السفلي حيث كانت غرفة الضيوف خاليةً تماماً، ثم توجهت إلى الباب الخلفي. اندفعتُ عبر باحة منزلنا إلى منصة القوارب الصغيرة، والتي تؤدي إلى النهر. تطلعت جانباً كي أتأكد ما إذا كانت في قارب التجذيف الذي نمتلكه. كان المركب مربوطاً بالمنصة بينما تهادى فوق صفحة المياه، وحيث رأيتها وقد توجهت بوجهها نحو الشمس مغمضةً عينيها. وقفتُ عندها متطلعاً نحو الانعكاسات المدهشة الرائعة فوق صفحة النهر. تطلعت نحو وجهها الجميل والساكن، لكنها فتحت عينيها الزرقاوين على نحوٍ مفاجئ، ولم تقل شيئاً، كما أنني لم أقل شيئاً بدوري، وعدت وحيداً إلى المنزل.

" آمي! " .

لم تكن فوق المياه، ولم تكن في المنزل. لم تكن آمي هناك.

اختفت آمي.

آمي إليوت

18 أيلول، 2005

- صفحة يومية -

حسناً، حسناً، حسناً. أيمكنكم تخمين اسم الشخص الذي عاد؟ نِك دون، ذلك الشاب الذي التقيتُه في حفلة بروكلين، وذلك الرجل الذي قبّل شفتيّ المغمستين بالسكر، والشاب الذي غاب طويلاً. غاب ثمانية أشهر، وأسبوعين، وبضعة أيام، ومن دون أن يبعث إليّ بكلمة، وها هو يعاود الظهور، وكأن كل ذلك كان جزءاً من خطة الاختفاء. تبيّن بأنه أضاع رقم هاتفي. لم يكن هاتفه الخلوي مشحوناً في ذلك الوقت، لذلك كتب الرقم على قصاصة ورق، وما لبث أن دسّ القصاصة في جيب الجينز ثم وضعه في الغسّالة، حاول أن يكشف الرقم، لكنه لم يتمكن سوى من رؤية رقمين: 3 و 8 . (بحسب ما قال).

انشغل بعد ذلك بالعمل، وحلّ شهر آذار بشكلٍ مفاجئ، وهكذا أصبح من المحرج جداً محاولة العثور عليّ، وذلك بسبب تأخر الوقت. (بحسب ما قال).

شعرت بالغضب بطبيعة الحال، لكني لم أعد كذلك الآن. دعوني الآن أعيد ترتيب المشهد. (قالت). اليوم. رياح أيلول تعصف بشدة. إنني أسير في الجادة السابعة وأفكر في ما يمكنني إعداده من طعام الغداء من بين ما تعرضه متاجر الأرصفة من أطعمة، وهي التي تعرض عدداً لامتناهياً من الأوعية البلاستيكية المحتوية على الشمّام والبطيخ وسط قطع الثلج فتبدو وكأنها طازجة. شعرت برجلٍ يحشر نفسه إلى جانبي أثناء سيري. تطلعت إلى هذا الدخيل بطرف عيني فعرفتُ من هو. كان هو. إنه الشاب الذي تحدثت عنه في: التقيتُ شاباً!

لم أتوقف، بل التفتّ إليه وقلت:

أ) " هل أعرفك؟ " (تحايُل، تحمّل التحدي)

ب) " أوه، واو، إنني سعيدة جداً لرؤيتك! " (تلهّف، تنازُل)

ج) ابتعد عني. (عدائية، مرارة)

د) " حسناً، بالتأكيد أخذتَ وقتكَ بهذا الشأن، أليس كذلك يا نِك؟ " (خفيفة، لعوبة، متساهلة)

الجواب الصحيح: د

أما الآن فقد أصبحنا معاً. معاً، معاً. إذاً فالأمر في غاية السهولة.

مذهلٌ هذا التوقيت. مؤاتٍ، إذا أردت. (وهذا ما أقصده). البارحة فقط كان حفل إطلاق كتاب والديّ. آمي الرائعة واليوم العظيم. أجل، لم يستطع راند وماريبيت المقاومة فأعطيا البطلة التي تحمل اسم ابنتهما الأمور التي عجزا عن إعطائها لابنتهما: الزوج! تزوجت آمي الرائعة بعمر العشرين! يا للروعة. لم يكترث أحد لهذا الأمر، ولم يرغب أحد الانتظار كي تكبر آمي الرائعة، وليس أقلّهم أنا. اتركوني أرتدي جوارب تصل إلى الركبة، واتركوا لي أربطة الشعر، ودعوني أكبر من دون غرور مثيلتي الأدبية، وهي النصف الأدبي الأفضل مني، والأنا التي كان من المفترض أن أكونها.

لكن آمي هي مصدر عيش إليوت، وهي أفادتنا كثيراً، وهكذا أفترض بأنه لا يمكنني التسليم بأنني نظيرتها المثالية. تزوجت آمي الرائعة أيبل آندي (آندي القوي) الطيّب بطبيعة الحال. سيكونان مثل والديّ، أي رجل سعيد مع امرأةٍ سعيدة.

لكن الأمر المقلقُ مع ذلك هو الكمية الصغيرة التي وضعها الناشر قيد التوزيع. كانت رواية آمي الرائعة الجديدة ستحظى في سنوات الثمانينيات بطبعة أولى تبلغ مئة ألف نسخة، أما الآن فإن العدد المطلوب هو عشرة آلاف فقط. يفسّر هذا كيف أن حفل إطلاق الكتاب كان حفلاً عادياً، وبعيداً عمّا كان يجري في الماضي. كيف يُمكن للمرء أن يقيم حفلاً لشخصية خيالية بدأت حياتها كطفلةٍ تبلغ السادسة من عمرها، وهي التي أصبحت الآن عروساً في الثلاثين من عمرها، وما زالت تتحدث كالأطفال؟ (فكّرتْ آمي، " يا الله. لا بد وأن خطيبي العزيز يصبح وحشيّ الطباع عندما لا ينال ما يريد... " هذا اقتباسٌ حقيقي. جعلني هذا الكتاب بأكمله أرغب في تسديد لكمةٍ قاسيةٍ لها). يُعتبر هذا الكتاب نصاً يعبق بالحنين، وكان القصد أن تشتريه نساء نشأنَ مع آمي الرائعة، لكنني لست متأكدة مَن منهن سترغب في قراءته فعلاً. أما أنا فقد قرأته بطبيعة الحال. أعطيت هذا الكتاب بركتي، وفعلت هذا مراتٍ عديدة. خشيَ راند وماريبيت أن أعتبر زواج آمي توبيخاً لوضعي كعازبة دائمة. (قالت والدتي التي تزوجت والدي بعمر الثالثة والعشرين: " أما من ناحيتي فأعتقد أنه يجب على النساء الامتناع عن الزواج قبل سن الخامسة والثلاثين).

خشي والداي دائماً أن آخذ آمي بصورةٍ شخصيةٍ جداً، وهكذا شجّعاني على الدوام بأن لا أقرأ هذا الكتاب كثيراً. لكنني لم أستطع إلا أن ألاحظ عندما أخطئ بأمرٍ ما بأن آمي تفعل الشيء الصائب، أي عندما تركت في

النهاية دروس الكمان بعمر الثانية عشرة، إلا أن آمي ظهرت أنها رائعة في الكتاب التالي. (" يا الله، يُحتمل أن يكون الكمان عملاً صعباً، لكن العمل الصعب هو الطريقة الوحيدة للتحسّن! ") أما عندما تخليتُ عن خوض بطولة التنس للصغار في عمر السادسة عشرة كي أقضي عطلة نهاية الأسبوع مع أصدقائي، فقد التزمت آمي بخوض المباراة. (" يا الله، أعرف بأنه من المسلي جداً تمضية الوقت مع الأصدقاء، لكني سوف أخذل نفسي، وكل الآخرين، إذا لم أشترك في البطولة ") . كان ذلك يثير جنوني فيما مضى، لكني بعد أن توجهت إلى هارفرد (أصابت آمي عندما اختارت الجامعة التي تخرّج فيها والداي)، قررت بأن مجرد التفكير في الأمر يثير السخرية. إن مجرد تفكير والديّ، اللذين تخصصا في علم نفس الأطفال، في هذه الصيغة العلنية بالذات من العدائية السلبية تجاه ابنتهما ليس أمراً خاطئاً فحسب، لكنه غبيٌّ وغريبٌ، ونوع من أنواع السخرية. إذاً، فليكن الأمر كذلك.

تميّز حفل إطلاق الكتاب بنوعٍ من أنواع التناقض، أي مثل الكتاب تماماً. جرى الاحتفال في بلو نايت، أحد الصالونات العادية التي تجاور باحة الاتحاد، والتي تتميز بمقاعدها الوثيرة ومراياها الفنية التي يُفترض بها أن تجعل المرء يشعر وكأنه شيء فتيٌّ متوهج. كانت أكواب الشراب تتلألأ فوق صوانٍ يحملها نُدُلٌ تظهر الابتسامات العريضة على وجوههم. أما الصحافيون الجشعون الذين يتجولون بابتساماتهم المصطنعة، والتي تشي بمعرفتهم أموراً كثيرة، وبأرجلهم المتعبة، فيحصلون على شرابٍ مجاني قبل توجّههم إلى مكانٍ أفضل.

يجول والداي في الغرفة ممسكين بأيدي بعضهما بعضاً، وهما اللذان كانت قصة حبهما جزءاً من قصة آمي الرائعة على الدوام: عمل الزوج والزوجة في عملٍ مبدعٍ مشترك لمدة ربع قرن. كان والداي أشقاء [أو توائم] بالروح، وهما يطلقان على نفسيهما هذا الوصف بالفعل، وهو أمرٌ مبررٌ، لأنني أعتقد بأنهما كذلك فعلاً. يمكنني أن أشهد بذلك لأنني درستهما، وأنا طفلتهما الصغيرة الوحيدة، لسنواتٍ عديدة. لاحظت بأنه لا وجود لحساسيات حادة فيما بينهما، ولا لنزاعات معقدة، وهما يسيران في الحياة وكأنهما قنديلا بحر ملتصقان - يتمددان ويتقلصان بصورةٍ غريزية، وهما يملآن فراغات بعضهما بعضاً بكل مرونة. يجعل والداي مثال أشقاء الروح يبدو سهلاً. يقول الناس إن أولاد العائلات التي تعاني من مشاكل يجدون صعوبة في الحياة، لكن أطفال الزيجات الناجحة يمتلكون تحدياتهم

الخاصة بهم.

كان من الطبيعي أن أجلس على أريكة في زاوية الغرفة بعيداً عن الضجيج، وذلك كي أتمكن من إعطاء مقابلاتٍ قليلة لبعض الصحفيين المتمرنين التعساء الذين يطلب منهم مدراء تحريرهم الحصول على بعض " الاقتباسات " .

ما هو شعورك عندما ترين آمي تتزوج أخيراً من آندي؟ تشعرين هكذا لأنك لستِ متزوجة، أليس كذلك؟

إنه سؤال يطرحه:

أ) ولدٌ يشعر بالإحراج الذي يظهر من عينين جاحظتين بينما يوازن دفتر ملاحظاته فوق حقيبته.

ب) شابةٌ تبالغ بثيابها الأنيقة، وبشعرها الملتمع، والتي تنتعل حذاء بكعبٍ عالٍ للإغراء.

ج) فتاة متلهفة بأوشامها، والتي يبدو بأنها تهتم بآمي أكثر مما يُمكن للمرء أن يتوقعه من فتاةٍ لعوبة تضع أوشاماً.

د) كل ما ذُكر أعلاه.

الإجابة الصحيحة: د

أنا: " أوه، أنا مسرورة جداً لأجل آمي وآندي. أتمنى لهما السعادة. ها، ها " .

أما أجوبتي على باقي الأسئلة الأخرى فقد جاءت من دون ترتيب على الشكل التالي:

" بعض الأمور عن آمي مستلهمة مني، وبعضها الآخر خياليّ " .

" إنني مسرورة لأنني عازبة الآن، وذلك لعدم وجود آندي قوي في حياتي " .

" كلا، لا أعتقد أن آمي تقوم بتبسيط دينامية الذكر - الأنثى " .

" كلا، لا أعتقد بأن آمي موضة قديمة. أعتقد بأن هذه السلسلة ناجحة " .

" أجل، إنني عازبة. لا يوجد آندي قوي في حياتي في الوقت الحاضر " .

" لماذا آمي رائعة وآندي قوي فقط؟ حسناً، ألا تعرفون عدداً كبيراً من النساء القويات والرائعات واللواتي يتزوجن رجالاً عاديين. أعني أعداداً من جو وآندي القوي؟ كلا، كنت أمزح فقط، لا تكتبوا ذلك " .

" أجل، إنني عازبة " .
" أجل، إن والديّ هما بالتأكيد شقيقان في الروح " .
" أجل، أحب أن يتحقق ذلك لي في يومٍ من الأيام " .
" أجل، إنني عازبة أيها الأحمق " .

تتوالى الأسئلة ذاتها مرة بعد مرة، وأحاول أن أتظاهر بأنها تستدعي التفكير. ويحاولون هم التظاهر بأنها تستدعي التفكير. شكراً لك يا الله على هذا البوفيه المفتوح.

لكن لم يعد أحد يرغب بعد ذلك في التحدث إليّ. حدث ذلك بسرعة، لكن فتاة العلاقات العامة تتظاهر بأن ذلك هو أمرٌ حسن: والآن يمكنكِ العودة إلى حفلتك! تسلّلت بعد ذلك عائدة إلى الحشد (الصغير) حيث كان والداي يلعبان دور المضيف إلى أقصى حدّ. كان وجهاهما متوردين. كان راند يبتسم بطريقةٍ تشبه ابتسامة مخلوقات ما قبل التاريخ، والتي تُبرز الأسنان بشكلٍ كامل، في حين انشغلت ماريبيت في تحريك رأسها بطريقة تدل على الحبور، كما شبكا أيديهما وأضحكا بعضهما بعضاً، وبدا بأنهما يستمتعان ببعضهما بعضاً. بدا كذلك بأنهما يشعران بالإثارة عندما يكونان بقرب بعضهما بعضاً. أعتقد بأنني وحيدة إلى حدٍّ بعيد.

توجهت إلى المنزل وبكيت لفترة، وأنا التي قاربت الثانية والثلاثين من عمري. لا يُعتبر هذا سناً كبيراً، وعلى الأقل في نيويورك، لكن، وفي واقع الأمر، مضت أعوام كثيرة قبل أن أعجب فعلاً بأي شخص. إذاً، ما هي احتمالات أن ألتقي شخصاً أحبه، أو على الأقل أن ألتقي شخصاً إلى درجة أن أتزوجه؟ أشعر بالضجر لأنني لم أعرف حتى الآن الشخص الذي سأرافقه بقية العمر، أو ما إذا كنت سأكون مع أي شخص.

أعرف أصدقاءً عديدين ومتزوجين - لكن السعداء من بين هؤلاء المتزوجين ليسوا كُثُراً. أما الأزواج السعداء القلائل من بينهم فهُم والداي اللذان ينزعجان من بقائي عازبة، وهما يعتقدان بأنني فتاة ذكية وجميلة ولطيفة، وأنني فتاة تمتلك هواياتٍ واهتماماتٍ كثيرة، ووظيفة جيدة، وأسرة محبة. دعونا نضيف إلى ذلك: المال. إنهما يعقدان حاجبيهما ويتظاهران بأنهما يفكّران بالرجال المناسبين لي، لكننا نعرف جميعاً أنه لم يبقَ أحد - أعني لم يبقَ أحدٌ مناسب - وأعرف أن الرجال يفكرون سراً بأنني أعاني من شيء ما، وهو شيء أخفيه جيداً، ويجعلني غير راضية وغير مرضية.

أما الذين ليسوا أشقاء بالروح، أي الذين استقروا - فهم أكثر رفضاً لعزوبيتي: يقولون إنه ليس من الصعب كثيراً العثور على شخصٍ ما للزواج،

وأنه لا وجود للعلاقة المثالية، وهم الذين يكتفون بالعلاقة الجسدية كواجب، والأحاديث الفارغة من المضمون في غرفة النوم، والذين يتركون للتلفزيون القيام بمهمة الحديث، والذين يعتقدون بأن الإذعان للزوج - أجل يا حبيبي، حسناً يا حبيبي - هو الأمر ذاته مثل الوئام الزوجي. إنه يقوم بكل ما تطلبينه منه لأنه لا يكترث بما يكفي للمجادلة، بحسب ما أعتقد. إن طلباتك الصغيرة تجعله يشعر بالتفوق، هكذا وبكل بساطة، أو بالاستياء، لكنه في يومٍ من الأيام سوف يغازل زميلته في العمل، وهي الشابة الجميلة، والتي لا تطلب منه أي شيء. لكن مع ذلك لا تضعيني في إحدى العلاقات التي نهاجم فيها بعضنا بعضاً على الدوام، ونغلّف الإهانات بغلافٍ من النكات، ونتطلع بحميمية في أعين بعضنا بعضاً ونبتعد، " على سبيل المزاح " ، أمام أصدقائنا على أمل إغرائهم بالوقوف إلى جانبنا في حال حدوث جدالٍ لا يعنيهم أبداً. إن هذه العلاقات التي تترافق مع شرط لو فقط... مريعة: كان هذا الزواج سيكون عظيماً لو فقط... وهنا تحسّ بأن لائحة لو فقط هي أطول بكثير مما يتوقعه أي من الزوجين.

يعني ذلك بأنني أعرف بأنني محقة في عدم الزواج، لكن ذلك لا يشعرني بالارتياح عندما يتزوج أصدقائي، بينما أبقى أنا في منزلي في مساءات أيام الجمعة برفقة زجاجة من الشراب، وعندما أقوم بتحضير وجبة غنية وأقول لنفسي، هذا وضعٌ مثالي. يبدو الأمر وكأنني أواعد نفسي. أشارك كذلك في عددٍ لا نهاية له من الحفلات والأمسيات في الملاهي بعد أن أتعطر وأتزوّد بالأمل، وأجول في الغرفة وكأنني وسط صحراء قاحلة. أواعد رجالاً لطفاء ووسيمين وأذكياء، وهم رجالٌ مثاليون على الورق، والذين يجعلونني أشعر وكأنني في بلاد غريبة، وأحاول أن أشرح ذاتي في محاولةٍ مني لجعل نفسي معروفة. لكن أليس ذلك أمراً هاماً في كل علاقة: أن يُعرف المرء لدى شخصٍ آخر، وأن يُفهم؟ حصل عليّ. حصلت عليّ. أليست هذه هي الجملة السحرية البسيطة؟

يعاني المرء هكذا طوال الليل مع الرجل النموذجي الخيالي [على الورق] - ويُساء فهم النكات الغامضة، بينما الملاحظات الذكية تبقى معلقة من دون أن يفهمها أحد. أو لعل الطرف الآخر يفهم بأنك قدّمتَ ملاحظة ذكية، لكنه لا يعرف ماذا يفعل بها، ولذلك تراه يقوم بإمساكها بيده وكأنها بلغم يعتزم التخلص منه في ما بعد. يُمضي المرء ساعةً أخرى في محاولة العثور على الطرف الآخر، وتمييز الآخر، وتسرفان قليلاً في الشراب، وتبذلان مجهوداً أكبر بقليل. تمضي في النهاية إلى سريرٍ بارد وتمضي بالتفكير.

كان ذلك جميلاً، وهكذا تأخذ حياتك خطاً طويلاً من الجمال.

تلتقي، فجأةً، مع نِك دون في الجادة السابعة، بينما توشك على شراء شمامٍ [بطيخ أصفر] مقطّعاً. يا للروعة، أصبحتَ معروفاً الآن، ومميزاً، أعني كلاكما. تجدان كذلك الأشياء ذاتها التي تستحق التذكّر. (لكن مع حبة زيتونٍ واحدة) . تسيران كذلك على الإيقاع ذاته. كليك. تعرفتما على بعضكما بعضاً للتو، وفجأة تمضي في تخيّل ما يلي: القراءة في السرير، ووافلز أيام الآحاد، والضحك من دون سبب معيّن، وقبلة. إنه وضعٌ يتجاوز الوضع الحسن، بحيث لا يعود بإمكانك أبداً العودة إلى الوضع الحسن. يحدث كل ذلك بسرعة، وتعتقد: أوه، هنا تكمن بقية حياتي، وهي التي وصلت أخيراً.

يوم نِك دون

بدأت في انتظار رجال الشرطة في المطبخ، لكن الرائحة الحادة لإناء الشاي المحترق كانت تتجمع في حنجرتي، وهو الأمر الذي عزّز حاجتي للتقيؤ، وهكذا خرجت إلى الرواق، ثم جلست على الدرجة العليا، وصممت أن أكون هادئاً. واظبت على محاولة الاتصال بهاتف آمي الخلوي، لكنه واظب على تحويلي إلى البريد الصوتي، وتوالت الأصوات التي تقسم إنها سوف تعاود الاتصال بي على الفور. اعتادت آمي على معاودة الاتصال على الفور. لكن بعد مضي ثلاث ساعات كنت قد تركت خمس رسائل، إلا أن آمي لم تتصل أبداً.

لم أتوقع أن تتصل، لذلك عزمت على إبلاغ رجال الشرطة: آمي لا تترك المنزل أبداً تاركةً إناء الشاي فوق الموقد، أو حتى إنها لا تترك الباب مفتوحاً، أو أي شيء ينتظر الكي.

يُضاف إلى كل ذلك وضع غرفة المعيشة. كانت هناك علامات تدل على حدوث عراك. أدركت بأن آمي لن تتصل بي، ولهذا أردت البدء بالخطوة التالية.

كان ذلك الوقت هو الأفضل في ذلك اليوم مع سماء تموز الخالية من الغيوم، والشمس الغاربة ببطء في الأفق، والتي تبدو كضوء كشافٍ ينير جهة الشرق، محولةً كل شيءٍ إلى اللون الذهبي المتوهج، فبدا المنظر وكأنه لوحة فلمنكية. ظهرت الشرطة بعد ذلك. بدا المشهد مألوفاً، وذلك مع جلوسي على الدرج بينما كان طائر المساء يغرّد على شجرة. ترجّل رجلا الشرطة من سيارتهما على مهل، وكأنهما انتهيا من تمضية نزهة في أحد الأماكن المجاورة. كانا شرطيين شابين في منتصف العشرينيات من عمرهما، ومليئين بالثقة، لكنهما يفتقدان إلى الخبرة، لكن شعرت بأنهما تعوّدا تهدئة خواطر الآباء الذين يقلقون على أبنائهم الذي يخرقون نظام حظر التجول. كانت فتاة من أصول إسبانية، وكان شعرها مجدولاً في ضفيرة طويلة وداكنة، وشابٌّ أسود بمظهرٍ يذكّر بمشاة البحرية. تحوّلت قرطاجة في أثناء غيابي عنها إلى مكانٍ يقل فيه (قليلاً فقط) الجنس القوقازي، لكنها بقيت مكاناً يظهر فيه الفصل العنصري بقوة. يفسّر هذا كيف أن الأشخاص الملوّنين الوحيدين الذين أراهم في حياتي اليومية هم من الموظفين المتجولين: رجال التوزيع، والمساعدين الطبيين، وعمال البريد، ورجال الشرطة. (قالت لي آمي ذات مرة " هذا المكان يعجّ بالجنس الأبيض. إنه أمرٌ مقلق " . كانت

آمي الأميركية الوحيدة من أصلٍ أفريقي من بين أصدقائها في منطقة مانهاتن متعددة الأجناس. اتهمتها ذات مرة بأنها تتلهف إلى إبراز دور الأقليات. لكن الأمر لم يسر على ما يرام).

قالت المرأة: " سيّد دون؟ أنا الشرطية فيلاسكويز، وهذا هو الشرطي ريوردان. علمنا بأنك قلقٌ على زوجتك " .

تطلع الشرطي ريوردان نحو الطريق وانشغل بمضغ قطعة حلوى في فمه. لاحظت بأنه يتبع بعينيه طائراً منطلقاً فوق صفحة النهر. حوّل بعد ذلك نظره نحوي، لكن شفتيه الملتفّتين أوحت لي بأنه رأى كل ما رآه الآخرون. إنني أمتلك وجهاً يغريكَ بلكمِهِ: إنني فتى إيرلندي ينتمي إلى الطبقة العاملة، ومحتجز وسط جماعة من الأشخاص العدائيين. إنني أبتسم كثيراً للتعويض عمّا يفتقده وجهي، لكن ذلك ينجح في بعض الأحيان فقط. كنت أضع نظارة عندما كنتُ في الجامعة، لكنها كانت نظارة زائفة وشفافة، والتي كنت آمل أن تعطيني مظهراً ودوداً غير عدائي. شرحتْ جو الأمر على طريقتها: " أتعتقد بأن هذا يعطيك مظهر رجل التحري؟ " كنت أنزع النظارة وابتسم.

لوّحت بيدي نحو الشرطيين: " ادخلوا إلى المنزل لتروا بأعينكم " .

صعد الشرطيان الدرج، وترافق ذلك مع صرير وأصوات حزاميهما ومسدساتهما. وقفت في مدخل المعيشة، وأشرت إلى الفوضى المنتشرة في المكان.

قال الشرطي ريوردان وهو يُحكم قبضته: " أوه " . لكنه بدا أقل ضجراً على نحوٍ مفاجئ.

انحنى ريوردان وفيلاسكويز في مقعديهما قبالة الطاولة في غرفة الطعام بينما كانا يطرحان جميع الأسئلة الأولية: مَن، وأين، ومنذ متى. أصغيا السمع كثيراً إلى درجة أن آذانهما انتصبت بالفعل. أجرى ريوردان بعد ذلك مكالمة لم أسمعها، لكنه سرعان ما أعلمني بأنه تم إرسال رجال تحرٍّ، وهكذا امتلكتُ نشوة من أُخِذ كلامه بكل جدية.

سألني ريوردان للمرة الثانية ما إذا سبق لي أن رأيت أشخاصاً غرباء في الحي مؤخراً، كما ذكّرني للمرة الثالثة بجماعات المتشردين التي تجوب قرطاجة. رنّ الهاتف فجأة فانطلقتُ عبر الغرفة وتناولت السماعة.

سمعت صوتاً نسائياً يقول: " سيّد دون. إنني أتصل من مركز

كومفورت هيل للمساعدة " . سبق لي أن أودعتُ أنا وجو والدنا المصاب بمرض الألزهايمر في ذلك المركز.

قلت لها قبل أن أُقفل الخط: " لا يمكنني التحدث الآن. سأتصل بكِ لاحقاً " . إنني أشعر بالنفور تجاه النساء العاملات في كومفورت هيل: لا يبتسمن، ولا يوحين بالارتياح. يُضاف إلى ذلك أن المعاشات التي يتقاضينها هي معاشات ضئيلة، ومنخفضة جداً، ويُحتمل بأن هذا هو السبب الذي يدفعهن إلى عدم الابتسام أبداً، وإلى عدم الشعور بالارتياح. أعرف بأن غضبي تجاههن هو غضبٌ في غير محله. أشعر بغضبٍ شديد لأن أبي بقي على قيد الحياة بينما غادرت أمي هذه الدنيا.

كان دور جو هذه المرة لترسل الشيك بالمبلغ المتوجب. كنتُ متأكداً من أن جو هي التي ستدفع الشيك الذي يستحق في شهر تموز. لكني كنت متأكداً كذلك من أنها تعتقد بأن الدور يقع عليّ أنا. حدث ذلك من قبل. قالت جو بأننا نتبادل نسيان أمر هذه الدفعات لأننا نريد في واقع الأمر نسيان والدنا.

شرعت في إبلاغ ريوردان عن ذلك الرجل الغريب الذي رأيته في منزل جيراننا المهجور، لكن قُرع جرس المنزل فجأة. قُرع جرس المنزل. بدا الأمر لي طبيعياً جداً، وكأنني كنت أنتظر وصول موزع البيتزا.

أطل رجلا تحرٍّ، وبدت عليهما علامات التعب التي تظهر في نهاية نوبة عملهما. كان الرجل طويلاً ونحيلاً، وبدا وجهه نحيلاً بحيث ينتهي بذقنٍ دقيقة. كانت المرأة بشعة على نحوٍ غير متوقع - كان وجهها نحاسياً إلى حدٍّ يتجاوز البشاعة العادية: عينان صغيرتان مستديرتان وثابتتان كالأزرار، وأنف معقوف، وبشرة منقطة ببقع نمشٍ صغيرة، وشعرٍ خفيف وطويل بألوانٍ رمادية متفاوتة. أعتقد بأنني أمتلك مَيلاً تجاه النساء البشعات، وأنا الذي نشأت على يد ثلاث نساء لا يروق منظرهن للناظرين - جدتي، ووالدتي، وشقيقتها - وكنّ جميعاً على قدرٍ من الذكاء واللطف والمرح، والقوة، وكنّ ودودات طيبات. كانت آمي أول فتاة جميلة أواعدها على الإطلاق، وقد واعدتها حقاً.

تكلمت أولاً المرأة البشعة، وكان صوتها أشبه شيء بالشرطية الآنسة فيلاسكويز. " سيّد دون؟ إنني التحرية روندا بوني، وهذا هو شريكي التحري جيم جيلبين. قيل لنا إنك تشعر بالقلق حول زوجتك " .

قرقعت معدتي بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليسمعه جميع الحاضرين، لكننا تظاهرنا بأننا لم نسمع شيئاً.

قال جيلبين: " أيمكننا إلقاء نظرةٍ في المكان يا سيدي؟ " ظهرت بقع داكنة تحت عينَي الرجل، وشعيرات بيضاء غير منتظمة في شاربيه. لم تكن قميص الرجل غير مكوية، لكنه ارتداها وكأنها كذلك. بدا كذلك وكأنه يفوح برائحة السجائر والقهوة المرة، حتى ولو لم يكن الأمر كذلك. لكن رائحته شابهت رائحة صابون.

تقدمتُ الحاضرين بعدة خطواتٍ قصيرة نحو غرفة المعيشة، وأشرتُ مجدداً إلى الحطام المتناثر حيث كان رجلا الشرطة الأصغر سناً راكعين بحذر. بدا الأمر وكأنهما ينتظران أن يكتشفهما أحد وهما يقومان بعملٍ مفيد. قادتني بوني نحو مقعدٍ في غرفة الطعام بعيداً عن علامات العراك، لكن مع تمكننا من رؤيتها.

تحدثت مع روندا بوني بالأساسيات ذاتها التي سبق لي أن أبلغتها إلى فيلاسكويز وريوردان، وأبقت عينيها الصغيرتين مركّزتين نحوي. ركع جيلبين على ركبته متفحصاً غرفة المعيشة.

سألتني روندا بوني: " هل اتصلتَ هاتفياً بأصدقائك أو أقربائك، أي الأشخاص الذين قد تكون زوجتك معهم؟ " .

" أنا... كلا. ليس بعد. أظن بأنني كنت أنتظر قدومكم " .

قالت مبتسمة: " آه. دعني أخمّن: طفل العائلة المدلل " .

" ماذا؟ " .

" أنت الطفل المدلّل في العائلة " .

" لديّ شقيقة توأم " . أحسستُ في هذا الوقت بما يشبه المحاكمة الداخلية. " لماذا؟ " كان الإناء المفضّل لدى آمي مرمياً على الأرض، لكنه كان سليماً ومستنداً إلى الجدار. كان ذلك الإناء إحدى هدايا زفافنا، وهو عبارة عن إناء ياباني متقن الصنع، والذي كانت آمي تقوم بإبعاده كل أسبوع عندما تأتي المرأة التي تنظف منزلنا، وذلك لأنها كانت متأكدة من أنها سوف تقوم بتحطيمه.

قالت بوني: " دعني أخمّن سبب انتظارك لنا: تعودت أن تترك زمام المبادرة بيد شخصٍ آخر. هذا ما يفعله شقيقي الأصغر. يبدو بأنه نمط يأتي بالوراثة " . كتبت بوني شيئاً في دفتر ملاحظاتها.

هززتُ كتفي بطريقةٍ غاضبة: " حسناً. أتريدين معرفة البرج الذي أنتمي إليه كذلك، أم إنه يمكننا أن نبدأ العمل؟ " .

ابتسمت بوني بلطف وانتظرت.

قلت مشيراً إلى الفوضى المنتشرة في غرفة المعيشة: " انتظرتُ قبل أن

أفعل شيئاً لأنني... أعني بأنه من الواضح بأنها ليست برفقة صديق " .

سألتني: " منذ متى وأنت تعيش هنا يا سيد دون، هل منذ سنتين؟ " .

" بحلول أيلول ستبلغ المدة سنتين " .

" ومن أين انتقلتَ إلى هنا؟ " .

" نيويورك " .

" المدينة؟ " .

" أجل " .

أشارت إلى الطابق الأعلى طالبةً الإذن من دون أن تسأل. أومأتُ وتبعتها، بينما سار جيلبين ورائي.

قلت قبل أن أتمكن من منع نفسي عن الكلام: " كنتُ كاتباً هناك " . إنني أعجز، وحتى بعد مرور سنتين، عن تحمّل أن يعتقد أي شخص بأن ذلك كان الطريقة الوحيدة لكسب معيشتي.

قالت بوني: " يبدو ذلك مذهلاً " .

قال جيلبين: " مذهلاً بماذا؟ " .

قصدت أن يأتي جوابي متوافقاً مع صعودي الدرج: كتبتُ في مجلة (صعدتُ درجة)، كتبت عن الثقافة الشعبية (صعدتُ درجة) في مجلة مخصصة للرجال (صعدتُ درجة). أما عندما وصلتُ إلى أعلى الدرج فقد التفتّ لأرى جيلبين وهو يرسل نظرة إلى الخلف نحو غرفة المعيشة، لكنه انتبه فجأة.

نادى، وهو يبدأ صعود الدرج: " الثقافة الشعبية؟ وماذا يعني هذا بالضبط؟ " .

قلت: " ثقافة الشعب " . وصل الجميع في هذا الوقت إلى أعلى السلّم، وكانت بوني تنتظرنا. أكملتُ حديثي: " الأفلام السينمائية، التلفزيون، الموسيقى، لكن في ما عدا الفنون الراقية، ومن دون زخرفة " . جفلت لدى نطقي بهذه الكلمة زخرفة؟ يُحتمل بأن هذين الأحمقين يحتاجان إليّ لترجمة تعابيري الإنجليزية، فاصلة، لغة الساحل الشرقي إلى الإنجليزية، فاصلة، سكان الغرب الأوسط. *Me do sum scribbling of stuffs I get in my noggin after watchin ، them movin ، pitchers* !

قال جيلبين مشيراً نحو بوني: " إنها مغرمةٌ بالأفلام " . أومأت بوني بالموافقة.

تابعتُ كلامي: " إنني أقوم الآن بإدارة الحانة، وهي تقع في وسط

المدينة. قمت كذلك بتدريس صفٍّ في معهد للصغار كذلك، لكن القيام بذلك كان يدل على أنني بحاجةٍ إلى المال، لكن ليس مديناً بأي مبالغ مستحقة .

كانت بوني تتطلع نحو الحمام وأوقفتني أنا وجيلبين في الممر. قالت: " الحانة؟ أنا أعرف المكان، وكنت أنوي الذهاب إليه. أحببتُ ذلك الاسم. إنه مناسبٌ جداً " .

قال جيلبين: " تبدو هذه خطوة موفقة " . توجهت بوني نحو غرفة النوم فتبعناها. تابع جيلبين: " الحياة المحاطة بالشراب ليست سيئةً أبداً " .

قلت قبل أن أنتبه إلى أن تعليقي غير مناسب: " يكمن الحل أحياناً في قعر الزجاجة؟ " .

توجهنا جميعاً بعد ذلك إلى غرفة النوم.

قال جيلبين ضاحكاً: " ألا أعرف أنا ذلك الشعور " .

قلتُ: " أترون كيف أن المكواة لا تزال في حالة تشغيل؟ " .

أومأت بوني ثم فتحت باب خزانتنا الواسعة، ثم سارت إلى الداخل وأنارت المصباح، ثم مرّرت يديها المغطاة بالقفازات فوق القمصان والفساتين قبل أن تنتقل إلى الخلف. أصدرت بوني صوتاً مفاجئاً وانحنت، ثم التفتت نحونا حاملةً بيدها علبةً مربعة ملفوفةً بورق مزخرف ذهبي اللون.

أحسست ُبانكماشٍ في معدتي.

سألتني: " هل هي ذكرى مولد أحدهم؟ " .

" إنها ذكرى زواجنا " .

جفل كلٌّ من بوني وجيلبين مثل ما تفعل العناكب، لكنهما تظاهرا بأنهما لم يفعلا ذلك.

لاحظت عند عودتنا إلى غرفة المعيشة بأن الشرطيين الشابين قد غادرا. ركع جيلبين على ركبتيه ليعاين الأريكة المقلوبة.

قلت: " آه، من الواضح بأنني أشعر بالصدمة قليلاً " .

قال جيلبين: " إنني لا ألومك أبداً " . لاحظت أن عينيه ذات اللون الأزرق الشاحب تتحركان في مكانهما، وهذه حركة تثير الأعصاب.

" أيمكننا فعل أي شيء؟ للعثور على زوجتي. أعني لأنه من الواضح بأنها ليست هنا " .

أشارت بوني إلى صورة زفافنا المعلقة على الجدار: ظهرتُ أنا ببذلة التوكسيدو، وظهرت مجموعة من الأسنان متجمدة في وجهي، وأحاطت

ذراعاي حول خصر آمي بطريقة رسمية؛ بينما ظهرت آمي بشعرها الملفوف بشدة الذي غطته طبقة من الرذاذ، كما ظهرت طرحة فستانها وهي تتطاير بفعل نسيم شاطئ كايب كود، وظهرت عيناها مفتوحتين إلى أقصى حدّ، وذلك لأنها اعتادت أن تغمض عينيها في اللحظة الأخيرة، وكانت تبذل أقصى جهدها كي لا تُغمض عينيها. كان ذلك في اليوم الذي تلا ذكرى الاستقلال، وكان الكبريت الناتج عن الألعاب النارية يتمازج مع ملح المحيط، أي إننا كنا في فصل الصيف.

كان الكايب مكاناً مناسباً لنا في ذلك الوقت، وأنا أتذكر بأنني عشت حينها أشهراً عدة اكتشفت فيها بأن آمي، صديقتي، كانت ثرية جداً كذلك، وهي الطفلة الوحيدة المدللة لأبوين عبقريين. كان والداها نموذجيين إلى حدٍّ ما، أو أيقونتين وهو التعبير الذي اقتبسته من سلسلة كتب تحمل اسمها، والسلسلة التي اعتقدتُ بأنه يجب عليّ تذكرها عندما كنت طفلاً. كان اسم السلسلة آمي الرائعة. شرحت لي آمي الأمر بطريقة هادئة وموزونة، وهي فعلت ذلك وكأنني مريض يصحو من غيبوبة. بدا الأمر وكأن عليها أن تفعل ذلك مراتٍ عديدة من قبل، ولم ينجح الأمر - أي الاعتراف بالثروة والترحيب بها بكل حماسة، أي إنها أفشت هوية سرية لم تشارك هي في تكوينها.

أخبرتني آمي مَن كانت، وما كانت عليه، ثم ذهبنا معاً إلى منزل إليوت المسجل رسمياً في نانتوكيت ساوند، كما أبحرنا سوية وفكّرت: إنني شاب من ميسوري. أطير عبر المحيط مع أشخاصٍ شاهدوا أماكن أكثر مني بكثير. لكن، حتى لو بدأت برؤية الأمور الآن، ولو عشتُ بمستوى عالٍ فلن أتمكن من اللحاق بهم. لم يدفعني كل ذلك إلى الشعور بالغيرة، بل شعرتُ بالارتياح. أعرف بأنني لم أسعَ وراء الثروة أو الشهرة. يعود ذلك إلى أن نشأتي لم تكن وسط أسرة من الحالمين بالمجد، والذين يحلمون بأن يكون ولدهما الرئيس التالي للبلاد. تربيت، بدلاً من ذلك، على يد والدين عمليَّين، واللذين تصورا مستقبل ولدهما موظفاً في أحد المكاتب، والذي يكسب معيشته بطريقة أو بأخرى. كان من المدهش بالنسبة إليّ أن أكون قريباً من إليوت، وأن أُبحر عبر المحيط الأطلسي وأعود إلى منزلٍ أعيد ترميمه بفخامة، والذي شُيّد في العام 1822 على يد أحد قباطنة سفن صيد الحيتان، وأن أتناول فيه وجبات أطعمة عضوية وصحية والتي لا أعرف حتى تهجئة أسماءها. كووينا. أتذكر بأنني فكرت بأن كووينا هو نوعٌ من أنواع الأسماك.

وهكذا تزوّجنا على الشاطئ في يومٍ صيفي، وأمام مياه المحيط الزرقاء، وأكلنا وشربنا في ظلال خيمة بيضاء تتماوج مثل شراع. أمضينا ساعاتٍ قليلة في هذه الخيمة، ثم أدخلتُ آمي إلى ظلمتها، ودفعتها نحو الأمواج، وذلك لأنني أشعر بأنني غير حقيقي إلى حدٍّ بعيد، واعتقدت بأنني تحولت إلى مجرد وميض. لكن قطرات الندى المتجمدة على بشرتي هي التي أعادتني. أعادتني آمي نحو الخيمة المتوهجة حيث كان الأسياد يحتفلون، وكان كل شيء شهياً. هكذا كانت حفلة تغازلنا.

انحنت بوني لتتفحص صورة آمي وقالت: " زوجتك جميلة جداً " .

قلتُ بينما شعرت بتقلصٍ في معدتي: " إنها، إنها جميلة " .

سألتني: " أي ذكرى هي اليوم؟ " .

" الخامسة " .

شعرت بالتوتر وبالرغبة في عمل شيءٍ ما. لم أرغب في التحدث عن طيبة زوجتي، بل أردتهم أن يخرجوا ليبحثوا عنها. لم أقل هذا بصوتٍ عالٍ، وذلك لأنني تعودت أن لا أقول الأمور بصوتٍ عالٍ، حتى وإن تطلب الأمر ذلك. أحاول احتواء توتري والسيطرة عليه إلى درجةٍ مقلقة. تتواجد في أعماقي مئات موجات الغضب، واليأس، والخوف، لكنك لن تستطيع تخمين ذلك من مجرد النظر إليّ.

سأل جيلبين: " الخامسة. إنها ذكرى عظيمة. دعوني أخمّن، هل حجزتم في هيوستن؟ " كان هيوستن المطعم الوحيد الراقي في البلدة. قالت لنا والدتي عندما انتقلنا عائدين إلى البلدة أنتم بحاجة لتجربة مطعم هيوستن. كانت والدتي تعتقد بأن هذا المطعم هو سر قرطاجة الفريد، وكانت تأمل أن تشعر فيه زوجتي بالسرور.

" حجزنا في هيوستن بطبيعة الحال " .

كانت هذه خامس كذبة لي أمام الشرطة، وكانت هذه مجرد بداية.

آمي إليوت دون

5 تموز، 2008

- صفحة يومية -

أنا متخمة بالحب! ومليئة بالحيوية! ومفعمة بالالتزام بشكلٍ مخيف! تسيطر عليّ كذلك الحماسة الزوجية والسعادة مثل تلك التي تتصف بها نحلة منشغلة طوال الوقت. إنني أحوم حوله بإيجابية، وبانشغالٍ دائم في العمل وترتيب الأشياء. تحولت كذلك إلى شيءٍ غريب، وأصبحت زوجة. يُضاف إلى ذلك أنني أقوم دائماً بإدارة دفة الحديث، ويحدث ذلك بشكلٍ شبه دائم وبطريقةٍ غير طبيعية، وبقصد أن أتمكن من النطق باسمه بصوتٍ عالٍ. لكني أصبحت زوجة، أي إنني تحولت إلى عبء، وطُلب مني التنازل عن بطاقة الأنثى العازبة. لم أكترث لذلك. إنني أقوم بتسوية دفاتر شيكاته، كما أشذّب له شعره. شعرت كذلك بحنينٍ إلى الماضي، حتى إنني كدت في إحدى المراحل أن أستخدم كلمة محفظة *pocketbook* وأخرج من الباب مرتدية معطفي الفضفاض والمصنوع من التويد، واضعةً أحمر الشفاه، وذلك في طريقي نحو صالون التجميل. لا أشعر بأن شيئاً يزعجني على الإطلاق، فكل شيء يبدو وكأنه سوف يسير على ما يرام، وهكذا فإن كل إزعاج يتحول إلى قصة مسلية يُمكن سردها على مائدة العشاء. وهكذا قتلتُ... اليوم، يا عزيزي... ها ها ها ها! آه، إننا نقضي وقتاً ممتعاً!

يشبه نِك الشراب الحاد، فهو يعطي كل شيء وجهة النظر التي تليق به، لكن ليس وجهة نظرٍ مختلفة، بل وجهة النظر الصحيحة. إنني لا أكترث، عندما أكون مع نِك، ما إذا تأخرت فاتورة الكهرباء بضعة أيام، وإذا ما كان آخر اختبار لي على درجةٍ من السوء. (كان أحدث اختبار، ومن دون مزاح، على الشكل التالي: " أي نوعٍ من الأشجار تفضّل أن تكون؟ " أما من ناحيتي فإنني أفضّل أن أكون شجرة تفاح! وهذا لا يعني أي شيء!) لا أكترث كذلك ما إذا كان توقيع كتاب آمي الرائعة الجديد قد سار على ما يُرام، وما إذا كانت الآراء حول الكتاب سيئة، ولا إذا ما كانت مبيعاته منخفضة بشكلٍ مذهل بعد بداية متواضعة. لم يعد يهمني كذلك لون طلاء غرفتنا، أو مدى تأخري نتيجة ازدحام السير، أو ما إذا كانت النفايات التي تحتاج إلى إعادة تدوير يُعاد تدويرها بالفعل. (لا يهمني، ألا تفعل نيويورك ذلك؟) لا يهمني الأمر لأنني وجدت الشخص الذي يناسبني تماماً. إنه نِك، المسترخي والهادئ، والذكي، والمسلي، وغير

المعقّد. إنه الشخص غير المتألم والسعيد، والرائع، والكبير.

وضعت جانباً كل الأمور التي لا أحبها في نفسي، وأودعتها جانباً بعيداً في ذهني. يُحتمل بأن هذا هو أفضل ما أحبه فيه. لا أعني ما يجعلني أشعر به، بل الطريقة التي يحوّلني فيها. إنني أشعر بالمرح، وأميل إلى اللعب. أشعر بالجرأة، كما أشعر بأنني سعيدة بشكلٍ طبيعي، وبأنني راضية تماماً. إنني زوجة! أعتقد أنه من الغريب قول هذه الكلمات. (إنني جادة بشأن إعادة التدوير في نيويورك، لكنه مجرد تلميح).

إننا نقوم بأشياء سخيفة، مثل ما فعلناه في آخر عطلة نهاية الأسبوع لنا، أي عندما قدنا السيارة إلى ديلاواير، وذلك لأن أياً منا لم يقم علاقة في ديلاواير. أريد الآن رسم المشهد، لأن ذلك يهم أجيالنا المقبلة. عبرنا حدود الولاية. تستقبلنا لوحة أهلاً بكم في ديلاواير! وكذلك الولاية الأولى، وكذلك: بلاد التسوّق من دون ضرائب.

ديلاواير، إنها ولاية الهويات الغنية العديدة.

أشرت كي يأخذ نِك أول طريقٍ ترابية رأيتها، وتابعنا السير لفترة خمس دقائق إلى أن وصلنا إلى أشجار صنوبر منتشرة في كل الجوانب. لم نتكلم. أرجع مقعده إلى الخلف، اقتربتُ منه وأدرت ظهري له مواجهةً الزجاج الأمامي، وهكذا توجّه ضغط جسدي نحو عجلة القيادة. كان صوت منبه السيارة يصدر أصواتاً بالتوافق مع حركتنا معاً، وكانت أصواتاً خافتةً تقلّد الأصوات الصادرة عني، كما أن يديّ أصدرتا ضجيجاً مكتوماً عندما كنتُ أضغط بهما على الزجاج الأمامي. يمكننا أنا ونِك القيام بأمور ممتعة في أي مكان، كما أن أياً منا لا يشعر بالذعر من المكان الذي نتواجد فيه. إنه أمرٌ نشعر كلانا بالفخر تجاهه. عدنا بالسيارة إلى المنزل بعد ذلك على الفور. أحسست في طريق العودة بشعورٍ غامرٍ من السعادة.

إننا نحب منزلنا، وهو المنزل الذي شيّدته [مداخيل كتب] آمي الرائعة، وهو منزل مشيّد بالأحجار بنية اللون، والذي اشتراه والداي لنا، وفي مكان يسمح بالتنزه، ويتميز بواجهته الكبيرة والعريضة التي تطل على مانهاتن. إنه منزلٌ فخم يجعلني أشعر بالذنب، لكنه مثالي. إنني أواجه شعور الفتاة الثرية والمدللة حيث أمكنني ذلك، كما أقوم بأشياء كثيرة بنفسي. شمل ذلك قيامنا بطلاء الجدران بأنفسنا أثناء عطلتَي نهاية أسبوع: الأخضر الربيعي، والأصفر الفاتح، والأزرق الصقيل. كان ذلك من الناحية النظرية، لأنه تبيّن لنا بأنها ليست الألوان التي أردناها، لكننا تظاهرنا بأننا نحبها على أيّ حال. ملأنا منزلنا بمختلف الأشياء التي تُستخدم للزينة من

الأسواق المخصصة لهذه الأنواع من المشتريات. اشترينا كذلك الأسطوانات التي يحب نِك سماعها بواسطة مشغّل الأسطوانات. جلسنا الليلة الماضية على سجادة فارسية قديمة، وتناولنا الشراب، بينما كان الظلام يخيّم على السماء، ومع إضاءة أنوار منازل مانهاتن. قال نِك: " هكذا تصورتها على الدوام. تصورتها هكذا بالضبط " .

اعتدنا كذلك على التحدث مع بعضنا بعضاً في أيام عطلة نهاية الأسبوع تحت أربع طبقات من الأغطية، بينما يبقى وجهانا دافئين تحت شرشفٍ أصفر بفعل أشعة الشمس المسلطة عليه. كانت أرضية الغرفة تبعث على البهجة كذلك: كانت قطعتا سجاد قديمتان تصدران أصواتاً وكأنهما تناديانا عند دخولنا من الباب. أحببت ذلك، وأنا التي تحب كل ما هو لنا، وأحب القصة العظيمة التي جرت وراء المصباح الأرضي القديم، أو ذلك الإناء غريب الشكل الذي يقبع قرب وعاء القهوة، وهو الذي لا يحمل أي شيء غير مشبك أوراقٍ واحد. إنني أمضي أيامي وأنا أفكّر بكل الأشياء الحلوة التي يمكنني تقديمها له - الخروج لشراء ألواح صابون معطرة برائحة النعناع، والتي يبقيها في راحة يده وكأنها حجرٌ دافئ، أو لربما قطعة صغيرة من السمك المرقط [الترويت] والتي أطهوها وأقدّمها له تذكاراً لأيامه التي كان يمضيها في زورقه النهري. أعرف بأنني قد أبدو مرحة، لكني أحب ذلك، بالرغم من أنني لم أعرف سابقاً بأنني قادرة على أن أكون مرحة مع أي رجل. كان ذلك أمراً يثير الارتياح عندي. أشعر كذلك بالذهول عندما أرى جواربه، وهو الذي ينجح في توزيعها في أوضاعٍ فوضوية، فيبدو الأمر وكأن أحد الكلاب الصغار قد حملها من غرفة أخرى.

إنها الذكرى السنوية الأولى لزواجنا وأشعر بأنني متخمة بالحب، بالرغم من أن الناس أبلغونا مرةً بعد مرة بأن السنة الأولى ستكون صعبة. بدا الأمر وكأننا أطفالٌ سذج ننطلق نحو خوض حرب. لم تكن السنة الأولى صعبة، وخاصة لأننا خُلقنا لبعضنا بعضاً. إنها الذكرى السنوية الأولى لزواجنا، وأعرف أن نِك سيغادر عمله عند الظهر، كما أن لعبة البحث عن الكنز بانتظاره، لكن كل العلامات تتعلق بنا، وبشأن السنة التي مضت علينا معاً.

في كل مرةٍ يُصاب فيها زوجي العزيز
بالرشح يباع هذا الطبق بالذات.

الجواب: حساء توم يوم الذي يُباع في شارع الرئيس من المدينة

التايلاندية. سيكون المدير هناك في هذا المساء حاملاً معه إناء للتذوق، والعلامة التالية.

يوجد كذلك ماكمان في المدينة الصينية وتمثال أليس في سنترال بارك. يُضاف إلى ذلك نزهة كبرى في أنحاء نيويورك. سننتهي أخيراً في شارع فولتون، سوق السمك، حيث ننوي شراء زوج جميلٍ من الكركند وسوف أحمل الوعاء في حضني بينما يدخل نِك متوتراً إلى جانبي في سيارة الأجرة. سنمضي مسرعَين بعد ذلك إلى منزلنا وسوف أضع الكركند في إناء جديد أُدخله في موقدنا القديم. يحصل كل ذلك بكل اللطف الذي تُظهره فتاة عاشت مواسم صيفٍ عديدة في الكايب، هذا بينما يقهقه نِك ويتظاهر بأنه يختبئ خوفاً خارج باب المطبخ.

اقترحت إحضار بعض شطائر اللحم. أراد نِك الخروج من المنزل والتوجه إلى أي مطعم ذي نجوم خمس. يمكن للمرء أن يتخيّل تقديم وجبات منتظمة ونُدُلٍ يقومون بالخدمة ويذكرون أسماء مشاهير. يعني ذلك أن الكركند هي الفاصل المثالي، كما أن الكركند هي التي يقول لنا الجميع (مرة بعد أخرى) إنها معنى الزواج: التسوية!

إننا عازمون على تناول الكركند مع الزبدة، بينما تغني لنا امرأة في إحدى أسطوانات الجاز القديمة التي نمتلكها بصوتها الآتي من البعيد. إننا نعتزم أن نثمل ببطء بذلك الشراب الإسكتلندي اللذيذ، وهو الشراب المفضّل عند نِك. سأعطيه هديّته التي هي عبارة عن أوراقٍ تتضمن الحرفين الأولين من اسمه، والتي طلبها من كراين وشركاه، وهي المطبوعة بأحرف sans - serif خالصة باللون الأخضر، كما أنها طُبعت على أوراق سميكة ومصقولة باللون الأصفر الفاتح، والتي تحافظ على الحبر اللامع، وعلى الكلمات التي يخطّها. إنها الأوراق اللازمة لكاتب، ويُحتمل أن زوجة الكاتب ترغب في الحصول على رسالة حب أو اثنتين.

يُحتمل بأننا سنتناول شطيرة لحمٍ في وقتٍ متأخرٍ من الليل، وذلك قبل أن نتناول المزيد من الشراب الإسكتلندي. أقدّم لكم إذن أسعد زوجين في هذا الحي! كيف يقولون إن الزواج هو عملٌ صعب.

نِك دون

ليلة...

نقلت بوني وجيلبين جلسة الاستجواب إلى أحد مراكز الشرطة الذي يبدو مثل مصرفٍ محلي فاشل. تركاني وحيداً في غرفة صغيرة لمدة أربعين دقيقة. أقنعتُ نفسي بعدم التحرك. إن التظاهر بالهدوء يبعث على الهدوء الفعلي. استندت إلى الطاولة، وأسندتُ ذقني براحة يدي. شرعت بالانتظار بعد ذلك.

سألتني بوني: " هل ترغب بالاتصال بوالدَيْ آمي؟ " .

قلت: " لا أريدهما أن يشعرا بالذعر. سأتصل بهما إذا لم نعرف عنها شيئاً في غضون ساعة " .

أجرينا بعد ذلك ثلاث جولات من الأحاديث المتشابهة.

دخل الشرطيان في النهاية وجلسا في الجهة المقابلة من الطاولة. جهدتُ كي أمنع نفسي من الضحك لأن هذا المشهد ذكّرني ببرنامج تلفزيوني. كانت هذه غرفة مشابهة لتلك التي واظبتُ على مشاهدتها من خلال المحطات التلفزيونية السلكية طوال مساءات عشر سنواتٍ مضت. أخذ الشرطيان المتعبان والمتوتران يتصرفان مثل نجوم التمثيل. كان هذا مركز شرطة آبكوت المصطنع كلياً. كانت بوني تحمل كوب قهوة من البلاستيك، ومظروفاً أسمر. بدت مثل شرطية حقيقية. شعرت بإحساس من الابتهاج، وشعرت للحظة بأننا أناسٌ ممثلون: دعونا نلعب لعبة الزوجة المفقودة!

سألتني بوني: " هل أنت على ما يرام هنا يا نِك؟ " .

" إنني على ما يرام، لكن لماذا تسألين؟ " .

" إنك تبتسم " .

تلاشى شعوري بالخفة: " أنا آسف، فالأمر لا يتعدى... " .

قالت بوني وهي تغمرني بنظرة وكأنها تربّت على يدي: " أعرف. الأمر غريبٌ جداً " . تنحنحت قليلاً قبل أن تتابع: " نريد أولاً التأكد من أنك تشعر بالراحة هنا. قل لنا إذا احتجتَ لأي شيء. نريدك أن تعرف بأنك كلما أعطيتنا معلومات أكثر الآن كلما أصبح ذلك أفضل، لكن يمكنك أن تغادر في أي وقت، أي إن ذلك ليس بمشكلة " .

" سأعطيكم كل ما تحتاجون إليه " .

قالت: " حسناً. عظيم. شكراً لك. حسناً. أريد أولاً استبعاد كل الاحتمالات المزعجة، وكل الأمور التافهة. إذا كانت زوجتك قد تعرضت

للخطف بالفعل - إننا لا نعرف ذلك، لكن لو كان الأمر كذلك - فإننا نرغب في إلقاء القبض على الرجل، وعندما نقبض عليه فإننا سوف نحتجزه بقسوة، أي إنه لن يتمكن من الخروج، ولن يتمكن من الحركة " .

" حسناً " .

" يتعيّن علينا، وبسرعة، استبعاد أن تكون أنت الفاعل، وسوف يحصل ذلك بسهولة، وذلك كي لا يتمكن الرجل من العودة والقول بأننا لم نتأكد من أن الفاعل ليس أنت. تعرف ما أقصده. أليس كذلك؟ " .

أومأت بصورة عفوية. لم أعرف بالفعل ما قصدَته بكلامها، لكن أردتُ أن أبدو على أقصى درجةٍ ممكنة من التعاون. " افعلوا كل ما تحتاجون لفعله " .

أضافت: " إننا لا نريد إخافتك. لكن علينا النظر في كل الاحتمالات " .

" لا مانع عندي " . فكّرت بأن الزوج هو المشتبه به دائماً. يعرف الجميع بأن الزوج هو المشتبه به على الدوام، إذاً لماذا لا يقولون ببساطة: إننا نشتبه بك. أنصحك بمشاهدة برنامج دايت لاين.

قالت بوني: " حسناً، هذا عظيم يا نِك. دعنا أولاً نأخذ عيّنة من الجهة الداخلية من خدّك، وذلك كي نتمكن من استبعاد كل الحمض النووي DNA الموجود في المنزل الذي لا يعود إليك. أتقبل ذلك؟ " .

" بالتأكيد " .

" أريد كذلك إجراء مسحٍ سريع ليديك بحثاً عن مخلفات طلقة نارية. أقول مجدداً بأننا نفعل ذلك من أجل استبعاد احتمال... " .

" مهلاً، مهلاً، مهلاً. هل وجدتم شيئاً يدفعكم إلى الاعتقاد بأن زوجتي... " .

قاطعني جيلبين: " كلا. كلا. كلا يا نِك " . قرّب كرسياً من الطاولة، وجلس عليه بوضعٍ عكسي. تساءلت في نفسي ما إذا كان رجال الشرطة يقومون بذلك بالفعل، أم إن ممثلاً ذكياً فعل ذلك من قبل ثم بدأ رجال الشرطة بالقيام بذلك، لأنهم رأوا ممثلين يلعبون أدوار رجال الشرطة وهم يقومون بهذا فأظهروا بذلك أنهم مرتاحون؟

تابع جيلبين: " إن ذلك مجرد روتين ضروري. إننا نحاول تغطية كل الاحتمالات: نتفحص يديك، ونقوم بأخذ عيّنة، وإذا ما تمكنا من فحص سيارتك كذلك... " .

" طبعاً، وكما قلت لكم من قبل. افعلوا ما تريدون " .

" شكراً يا نِك. إنني أقدّر ذلك حقاً. يقوم بعض الرجال أحياناً بجعل

الأمور صعبة علينا، فقط لأنهم يقدرون على ذلك " .

لكني كنتُ على عكس ذلك تماماً. غرس والدي في نفسيتي لوماً غير منطوقٍ في طفولتي. كان ذلك النوع من الرجال الذين يبحثون دائماً عن أمورٍ يغضبون بشأنها. دفع هذا الأمر جو لأن تأخذ موقفاً دفاعياً، كما دفعها لعدم تقبّل توجيه كل السخافات التي لا تستحق اللوم عليها. أما أنا فقد تحولتُ إلى خاضعٍ للسلطة. تقول والدتي، ووالدي، والأساتذة: [أنا على استعداد للقيام] بأي شيء لتسهيل مهمتك يا سيدي أو سيدتي. سعيتُ في الماضي للحصول على سلسلةٍ ثابتة من الرضا. قالت لي جو ذات مرة: " أنتَ على استعداد فعلياً للكذب، والخداع، والسرقة - وحتى القتل - لإقناع الناس بأنني شخصٌ طيب " . كنا في ذلك الوقت نقف في الصف منتظرين دورنا للحصول على فطائر محشوة في مطعم يوناه شميل، والذي لا يبعد كثيراً عن شقة جو القديمة في نيويورك - وهذا هو سبب تذكّري تلك اللحظة - وهكذا فقدتُ شهيّتي في ذلك الوقت لأنني كنت صادقاً تماماً إلى الحد الأقصى، لكن من دون أن أعرف ذلك. فكّرتُ، حتى وهي تقول لي هذا الكلام: لن أنسى هذا أبداً. إنها واحدة من تلك اللحظات التي سوف ترسخ في ذهني إلى الأبد.

مضيت في الحديث مع رجال الشرطة، وشمل حديثنا الألعاب النارية التي تُطلق بمناسبة الرابع من تموز، وتحدثنا كذلك عن الطقس، وذلك بينما خضعت يداي لفحصٍ بحثاً عن بقايا بارود تخلفت عن طلقةٍ نارية، وبينما كانت تلك اللفافة الناعمة داخل خدي برأسها الملفوف بالقطن. تظاهرتُ بأن الأمر عادي وأنني أقوم بزيارة إلى طبيب الأسنان.

عندما انتهى كل ذلك وضعت بوني كوباً جديداً من القهوة أمامي، وربتت على كتفي. " أنا آسفة لكل ذلك. كان ذلك الجزء الأسوأ من مهمتنا. أتعتقد بأنك على استعدادٍ الآن للإجابة عن أسئلةٍ قليلة، والتي نعتقد بأنها سوف تساعدنا؟ " .

" أجل، بالتأكيد. يمكنك البدء على الفور " .

وضعت بوني أمامي على الطاولة جهاز تسجيل رقمي غير سميك، وقالت: " أتمانع؟ لن تضطر بهذه الطريقة إلى الإجابة عن الأسئلة ذاتها مرة بعد أخرى... " أرادت بوني تسجيل حديثي كي ألتزم بروايةٍ واحدة. فكّرت في نفسي يتعيّن عليّ الاستعانة بمحامٍ، لكن الأشخاص المذنبين وحدهم هم الذين يحتاجون إلى محامين، لذلك أومأت بالموافقة، وقلت: لا مشكلة في ذلك.

قالت بوني: " إذاً: آمي. منذ متى أنتَ وآمي تعيشان هنا؟ " .

" إننا نعيش هنا منذ سنتين فقط " .

" وهي في الأصل من نيويورك. المدينة " .

" أجل " .

قال جيلبين: " هل تعمل زوجتك ولديها وظيفة؟ " .

" كلا. كانت تكتب اختباراتٍ عن الشخصية " .

تبادل الشرطيان النظرات: أي اختبارات؟

قلت: " كانت تكتب اختبارات في مجلات المراهقين والنساء. كانت اختبارات من قبيل، " هل أنت من النوع الذي يغار؟ يمكنك إجراء هذا الاختبار لتعرف! هل يجدكِ الرجال مخيفة؟ يمكنكِ إجراء اختبارنا هذا لتعرفي! " .

قالت بوني: " تبدو رائعة. أحببتُ هذه الاختبارات. لم أعرف أن هذه هي وظيفة حقيقية. أعني، هل أن كتابة هذه الاختبارات تبدو مثل مهنة؟ " .

" حسناً إنها ليست مهنة، وعلى الأقل لم تعد مهنة بعد الآن. تمتلئ الإنترنت باختباراتٍ مجانية. لكن آمي كانت أذكى بكثير - وهي التي تمتلك درجة ماجستير في علم النفس - وهي تمتلك فعلاً درجة الماجستير هذه " . اندفعت بالضحك على تكراري العبارة ذاتها، ثم أكملت: " لكن الذكاء لا يتمكن من تحقيق النجاح وحده " .

" ثم ماذا؟ " .

هززتُ كتفي: " ثم عادت إلى هنا. يمكنكِ أن تقولي إنها تلزم المنزل في هذه الأيام " .

صاحت بوني، وكأنها اكتشفت أخباراً مفرحة: " أوه! هل يعني ذلك إذاً بأن لديكم أولاداً؟ " .

" كلا " .

" أوه. إذاً ماذا تفعل في معظم الأيام؟ " .

كان ذلك سؤالاً أطرحه على نفسي. كانت آمي ذات مرةً امرأة تقوم بالقليل من كل شيء، وعلى الدوام. أما عندما تزوجنا فقد درست الطبخ الفرنسي دراسة معمقة، وأظهرت مهارة في استخدام السكاكين بسرعة فائقة، وكذلك في استخدام صلصة بوروندي. سافرنا إلى برشلونة في ذكرى مولدها الرابعة والثلاثين. أذهلتني آمي عندما تكلمت اللغة الإسبانية، وهي التي تعلمتها سراً على مدى أشهر. تمتلك زوجتي ذهناً متألقاً وبديهة سريعة، وفضولاً لا يشبع. لكن هوسها كان مدفوعاً بالمنافسة: كانت بحاجة إلى أن

تُذهل الرجال وإلى إثارة غيرة النساء: تستطيع آمي بالطبع أن تطبخ وجبات فرنسية، وأن تتكلم الإسبانية بطلاقة، وذلك مع اهتمامها بالحديقة، وحياكة الصوف والاشتراك في السباقات، وأن تتاجر بالأسهم بشكلٍ يومي، وأن تبدو نموذجية وهي تقوم بذلك. كانت بحاجة إلى أن تكون آمي الرائعة في كل الأوقات. تعتاد النساء هنا في ميسوري على التسوّق في تارجت، وعلى تحضير وجبات شهية تحتاج إلى جهدٍ، وكذلك على السخرية من مدى ضآلة ما يعرفنه من اللغة الإسبانية التي يتذكرنها من المدرسة الثانوية. لا تهتم النساء هنا بالمنافسة. أما الإنجاز الذي حققته آمي في هذا المجال فقد تقبلنه ببساطة، ولربما فعلن ذلك مع بعض الإشفاق. تعلّق الأمر بأسوأ نتيجة ممكنة بالنسبة إلى زوجتي المعتادة على التنافس: مدينة مليئة بالنساء اللواتي لا يرغبن بالتنافس.

قلت: " لديها هوايات كثيرة " .

سألت بوني التي بدت قلقة: " هل يُقلقك شيء ما؟ ألا تكترث بالمخدرات أو بالشراب؟ إنني لا أسيء إلى زوجتك بكلامي هذا. يمضي عددٌ كبير من سيدات البيوت، وأكثر ممّا تتوقع، يومهن بهذه الطريقة. يشعر المرء بأن النهار طويل عندما يكون وحيداً. أما إذا تحوّل الشراب إلى المخدرات، وأنا هنا لا أتحدث عن الهيروين، بل عن الحبوب المسكنة للآلام التي يصفها الأطباء، كما توجد ماركات كثيرة تُباع هنا، وفي هذا الوقت " .

قال جيلبين: " أصبحت تجارة المخدرات خطرة، كما أن عدداً من رجال الشرطة قد صُرفوا من العمل - خُمس قوات الشرطة، ونحن عازمون على المضي قُدُماً. أعني أن الوضع سيئ ويكاد يفوق طاقاتنا على العمل " .

سألت بوني بشكلٍ استفزازي: " هل فقدت سيدة البيت، وهي السيدة اللطيفة، أحد أسنانها الشهر الماضي بسبب بعض الأوكسي كونتين؟ " .

" كلا. يُحتمل أن تتناول آمي كوباً من الشراب، أو ما يشبه ذلك، لكنها لا تتعاطى المخدرات أبداً " .

تطلعت بوني نحوي. كان من الواضح أن ذلك لم يكن الجواب الذي أرادته. " أليس لديها بعض الأصدقاء المقربين هنا؟ نرغب في الاتصال ببعضهم، وذلك للتأكد فقط. لا أريدك أن تشعر بالإهانة، لأن الأزواج يكونون أحياناً آخر مَن يعلم عندما يتعلق الأمر بالمخدرات. يخجل الناس، وخاصة النساء، من التحدث عن هذا الموضوع " .

تمكنت آمي في نيويورك من تكوين صداقاتٍ والتخلي عنها أسبوعياً، وكان الأمر أشبه بالمشاريع بالنسبة إليها. كانت تُظهر حماسة كبيرة تجاههم:

باولا التي كانت تعطيها دروساً في الغناء، والتي كانت تمتلك صوتاً رهيباً (التحقت آمي بمدرسة داخلية في ماساشوستس، وكنت أحب تلك الأوقات التي تتحدث فيها بلغة أهل إنجلترا الجديدة: صوتاً رهيباً)؛ وجيسي التي تعرفت عليها نتيجة دورة في تصميم الأزياء. لكن عندما سألتها عن جيسي أو باولا بعد شهرٍ من الزمن تطلعت نحوي وكأنني أسمعها الكلمات لأول مرة.

تواجد كذلك الرجال الذين كانوا يلاحقون آمي على الدوام، وكانوا متلهفين للقيام بالأشياء التي كان من المفترض أن يقوم بها الأزواج، والتي فشل زوجها في القيام بها، مثل إصلاح قائمة كرسي، والبحث عن الشاي الآسيوي المستورد المفضّل لديها. إنهم الرجال الذين أقسمت آمي بأنهم أصدقاؤها، ومجرد أصدقاء. كانت آمي تُبقيهم على مسافةٍ قريبةٍ منها، وهي مسافة تكفي كي لا أتضايق منهم كثيراً، وفي الوقت ذاته كانوا قريبين بما يكفي كي تستدعيهم بتحريك إصبعها.

في ميسوري... يا الله. لم أعرف ذلك حقيقة، لكن الأمر خطر في ذهني عندها فقط. فكّرت في نفسي أنني مغفلٌ بالفعل. أمضيت عامين هنا، لكن بعد فترة الاستقبالات والترحيب بالزوار في بداية تلك فترة الأشهر الأولى التي تميّزت بالحماسة، توقفت آمي عن استقبال أي شخص بصورة منتظمة. لكن كان لديها والدتي التي توفيت بعد ذلك، وأنا. كانت الصيغة الرئيسة في أحاديثنا هي الهجوم والدفاع. لكن بعد مرور سنة على عودتنا إلى المنزل سألتها بكل تواضع: " هل أحببتِ قرطاجة الشمالية يا سيدة دون؟ " أجابت حينها: " أتعني قرطاجة الجديدة؟ " لم أسألها عما تقصده، لكنني أدركت بأنها إهانة.

" لديها عدد قليل من الأصدقاء المخلصين، لكن معظمهم يعيش هناك في الشرق " .

" وماذا عن أهلها؟ " .

" إنهم يعيشون في نيويورك، المدينة " .

سألت بوني بعد أن رسمت ابتسامة غامضة على وجهها: " ألم تتصل بعد بأيّ من هؤلاء الأشخاص؟ " .

" كنت أقوم بكل الأشياء الأخرى التي طلبتم مني القيام بها. لم يتسنَّ لي ذلك بعد " . قمتُ بتوقيع إذنٍ لتتبع بطاقات الائتمان والبطاقات المصرفية الآلية، وتتبع هاتف آمي الخلوي، كما أعطيتُ رقم جو الخلوي، واسم سو، وهي الأرملة التي تزورنا في الحانة، والتي يُحتمل بأنها تتمكن

من أن تشهد بالوقت الذي وصلت فيه.

هزّت بوني رأسها وقالت: " صغير العائلة. أنت تذكرني فعلاً بشقيقي الصغير " . صمتت للحظة قبل أن تُكمل: " قلت هذا بقصد المديح. أُقسم " .

قال جيلبين: " إنها تهتم به كثيراً " . أضاف مع متابعته التدوين في دفتر ملاحظاته: " حسناً. قلتَ إنك غادرت المنزل نحو السابعة والنصف صباحاً، ووصلتَ إلى الحانة قرابة الظهر، وأنك كنتَ على الشاطئ خلال ذلك الوقت " .

يوجد رأس بحري يبعد نحو عشرة أميال إلى الشمال من منزلنا، وهو عبارة عن مجموعة متنوعة من الرمال والحصى، وزجاجات الشراب المكسورة المتناثرة، لكنها لا تبعث على السرور كثيراً. يُضاف إلى ذلك أن براميل النفايات تفيض بأكواب الفلين وحفاضات الأطفال المتسخة. لكن توجد هناك طاولة يمكن استئجارها في مكانٍ قريب، وهي التي تحظى بكمية لا بأس بها من أشعة الشمس، ويمكن للمرء تجاهل كل الفوضى المحيطة به إذا ما حدّق إلى البحر مباشرة.

" أقوم أحياناً بإحضار قهوتي وصحيفتي وأكتفي بالجلوس هناك. أريد أن أستمتع بالصيف قدر استطاعتي " .

لكن كلا، فأنا لم أتحدث مع أحد على الشاطئ، ولم يرني أحد.

قال جيلبين: " إنه مكان هادئ في منتصف الأسبوع " .

لكن لو تحدث رجال الشرطة مع أي شخصٍ يعرفني، فسوف لن يتأخروا في معرفة بأنني نادراً ما أذهب إلى الشاطئ، وأنني لا أحضر قهوتي أبداً لمجرد الاستمتاع بالصباح. إنني أمتلك البشرة الإيرلندية البيضاء، ولا أحب التأمل الذاتي، أي إنني لستُ من الذين يحبون الشواطئ. لكني أبلغت الشرطة بهذه القصة لأنها فكرة آمي بأن أذهب للجلوس في مكانٍ أكون فيه وحيداً، وأراقب البحر الذي أحب، والتأمل في حياتنا المشتركة معاً. قالت لي ذلك هذا الصباح بعد أن فرغت من تناول كعكتها المحلاة. استندت بمرفقيها على الطاولة وقالت: " أعرف بأننا نمر بأوقاتٍ صعبة. لكنني لا أزال أحبك كثيراً يا نِك، وأعرف بأنه يتعيّن عليّ العمل على عددٍ كبير من الأمور. أريد أن أكون زوجة صالحة لك، وأريدك أن تكون زوجي وأن تكون سعيداً. لكن يتعيّن عليك أن تقرر ما تريده " .

بدا لي بأنها تدربت كثيراً على هذا الحديث، كما ابتسمت بفخرٍ وهي تلقيه. لكن حتى عندما كانت زوجتي تُظهر كل هذا اللطف تجاهي

كنت أفكّر: يتعيّن عليها أن تتدرب جيداً على إلقاء هذا الحديث بطبيعة الحال. إنها تريد أن تتصورني مع ذلك النهر سريع الجريان، بينما يتلاعب الهواء بشعري وأتطلع إلى الأفق وأفكّر بحياتنا معاً. لا أفهم لماذا لا أتمكن من الذهاب إلى دنكان دونتس.

يتعيّن عليك أن تقرر ما تريده. لكن من سوء حظ آمي أنني قررتُ فعلاً.

رفعت بوني عينيها اللتين كان تشعّان حبوراً عن دفتر ملاحظاتها. سألتني: " أيمكنكَ أن تقول لي ما هي فئة دم زوجتك؟ " .

" آه. لا، لا أعرف " .

" ألا تعرف فئة دم زوجتك؟ " .

قلتُ من قبيل التخمين: " ربما O ؟ " .

عبست بوني ثم أصدرت صوتاً يشبه أصوات اليوغا. " حسناً يا نِك، سأقول لك الأشياء التي يُمكننا أن نقوم بها للمساعدة " . تلت بوني اللائحة: وُضع هاتف آمي الخلوي تحت المراقبة، كما وزّعت صورتها، وتم تتبع بطاقات ائتمانها. استجوبت الشرطة كذلك الرجال الذين يُعرف عنهم قيامهم باعتداءاتٍ في المنطقة. وُضعت منطقتنا الواسعة تحت المراقبة، كما وُضع هاتف منزلنا تحت المراقبة، وذلك تحسباً لورود أي مكالمات هاتفية تطالب بدفع فدية.

تحيّرت الآن في ما أقوله. فتشتُ في ذاكرتي عن الأسطر المناسبة: ماذا يقول الزوج في هذه المرحلة من الفيلم؟ يتعلق ذلك في ما إذا كان مذنباً أم بريئاً.

" لا يمكنني القول إن ذلك يطمئنني. أتريدين القول إن هذه هي قضية اختطاف، أو قضية أشخاصٍ مفقودين، أو ماذا يجري بالضبط؟ " أعرف ذلك من الإحصائيات التي أعرفها من البرنامج التلفزيوني ذاته الذي لعبت فيه دور البطولة: إذا لم يظهر أي شيء خلال الساعات الثماني والأربعين الأولى من قضيةٍ ما فإن أغلب الاحتمالات تشير إلى أنها سوف تبقى من دون حل. يعني ذلك أن الساعات الثماني والأربعين الأولى هي الحاسمة. " أعني أن زوجتي اختفت. زوجتي اختفت! " أدركتُ بأن هذه هي المرة الأولى التي أقول فيها ذلك بالطريقة الصحيحة: أي مع الهلع والغضب. كان والدي رجلاً يمتلك تنويعاتٍ متفاوتة من المرارة، والغضب، والاشمئزاز. جهدت طوال حياتي كي أتجنب أن أصبح مثله، وهكذا تكوّن عندي عجزٌ تام عن إظهار الكثير من العاطفة السلبية. لكن هناك شيء

آخر وهو أنني أبدو مثل التمثال. يُمكنني أن أشعر بالغليان في أعماقي، لكن الشخص الآخر لن يلاحظ شيئاً على وجهي، كما أنه يلاحظ أشياءً أقل من الكلمات التي أتلفظ بها. كانت تلك مشكلةً دائمة: إما أنني أُظهر تحكماً كثيراً، وإما لا أُظهر شيئاً من هذا القبيل.

قالت بوني: " إننا نأخذ الأمر بجدية بالغة يا نِك. يتواجد الرجال الآن في مكاننا بينما نتحدث، وهو الأمر الذي سيعطينا معلوماتٍ إضافية يمكننا البناء عليها. أما الآن فكلما أعطيتنا معلوماتٍ أكثر عن زوجتك كلما كان ذلك أفضل. ماذا تشبه؟ " .

خطرت في ذهني العبارات التي يقولها الزوج العادي: إنها حلوة، إنها عظيمة، وهي لطيفة، ويمكن الاعتماد عليها.

سألتها: " ماذا تعنين ماذا تشبه؟ " .

قالت بوني: " أعطِني فكرة عن شخصيتها، مثلاً، ماذا أحضرت لها بمناسبة ذكرى زواجكما؟ هل أحضرتَ لها مجوهرات؟ " .

قلت: " لم أحضر لها أي شيء بعد. كنتُ سأفعل هذا المساء " . انتظرتها أن تضحك وتقول: " صبيّ العائلة المدلل " مجدداً، لكنها لم تفعل.

" حسناً. إذاً أخبرني أشياء عنها. هل هي صريحة؟ هل هي - لا أعرف كيف أقول هذا - هل هي نيويوركية؟ أعني ما يُمكن أن تُظهره من خشونة؟ والأمور التي تسيء إلى الآخرين؟ " .

" لا أعرف. إنها ليست ذلك النوع من الأشخاص الذي لم يسبق له أن التقى بالغرباء، لكنها ليست - ليست مزعجة إلى الحد الذي يجعل الآخر يرغب... في إيذائها " .

كانت هذه هي الكذبة رقم 11 ، وذلك لأن آمي هذه الأيام مزعجة إلى الحد الذي تنزع فيها للإيذاء في بعض الأحيان. إنني أتحدث عن آمي في هذه الأيام تحديداً، وهي التي تحمل شبهاً بعيداً بالمرأة التي وقعتُ في حبّها. كان ذلك تحولاً عكسياً يشبه ما كان يحدث في القصص الخيالية. تخلّت آمي القديمة، وهي الفتاة صاحبة الضحكة الكبيرة والبساطة، عن طبيعتها في غضون سنواتٍ قليلة، وتحوّلت إلى كتلةٍ من الجلد والروح مرميةً على الأرض. خرجت من كل ذلك آمي الجديدة الباردة، والعدائية. يعني ذلك أن زوجتي لم تعد زوجتي، لكنها مجرد كتلة من الشريط الشائك، والتي تتحداني لفكّ عُقدها، لكني لم أكن مستعداً لهذه المهمة بأصابعي السميكة والمخدرة والمتوترة. إنها أصابع ريفية غير المدربة لهذا العمل الدقيق والخطر، أي حلّ [عُقَد] آمي. كنتُ عندما أُمسك بإحدى

العُقَد تتأوه، وتلجأ إلى دفتر ملاحظاتها الذهني، وهو الدفتر الذي تدوّن فيه كل نقاط النقص عندي، وهي التي تذكر، وإلى الأبد، خيبات الأمل، ونقاط الضعف، والنقائص. أما آمي القديمة فكانت مرحة، ومسلية، وكانت تدفعني إلى الضحك، لكني نسيتُ كل ذلك. كانت تضحك بدورها من أعماق قلبها، وبكل قوة، وهي الطريقة الأفضل للضحك. كانت تعبّر عمّا يزعجها وكأنها تتخلص منها: كانت هناك أمور تزعجها لكنها تعرف كيف تتخلص منها.

لم تكن في الماضي ذلك الشخص الذي تحولت إليه، الشخص الذي كنت أخشاه كثيراً: امرأة غاضبة. إنني لا أمتلك مهارة التعامل مع النساء الغاضبات، لأنهن يُبرزن فيّ أشياءً غير مناسبة.

سألني جيلبين: " هل تميل إلى التحكم بالآخرين؟ أي هل تحب تولي المسؤولية؟ " .

فكّرت في روزنامة آمي، وهي التي تمتد ثلاثة أعوام في المستقبل. أما إذا تطلعت في برنامجها لسنةٍ قادمة، فسوف تجد بالفعل عدة مواعيد: مع طبيب الجلد، وطبيب الأسنان، والطبيب البيطري. " إنها تجيد التخطيط - إنها لا ترتجل شيئاً كما تعلم. تحب آمي كذلك إعداد اللوائح والتأكد من وجود الأشياء، وهي تحب إنجاز الأمور. هذا هو سبب أن ذلك لا معنى له... " .

قالت بوني بتعاطف: " يُمكن لذلك أن يخرجك عن أطوارك إذا لم تكن من ذلك النوع. يبدو أن شخصيتك تنتمي تماماً إلى الفئة ب " .

قلت: " أعتقد بأنني أميل إلى الهدوء " . أضفت بعد ذلك القسم الذي كان يُفترض بي إضافته: " إننا نكمّل بعضنا بعضاً " .

تطلعت إلى الساعة المعلقة على الجدار، وما لبثت أن لمست يدي.

" لماذا لا تمضي وتتصل بوالدَي آمي؟ أنا متأكدة من أنهم سيقدّرون ذلك " .

تجاوز الوقت منتصف الليل. أعرف أن والدَي آمي يأوون إلى السرير عند الساعة التاسعة مساءً، وهم يفتخرون - للغرابة - بأنهم ينامون باكراً. يعني ذلك أنهم نائمون الآن، أي إن المكالمة تحمل أخباراً هامةً في منتصف الليل. كانا يضعان هواتفهما الخلوية، وعلى الدوام، خارج الخدمة عند الساعة 8 : 45 . يعني ذلك أن راند إليوت سيضطر إلى السير خارج سريره مسافة الممر بأكملها ليتناول سماعة الهاتف الثقيلة والقديمة. سيضطر كذلك إلى البحث عن نظارته، وأن ينتبه جيداً للطاولة التي تحمل المصباح. سيُقنع إليوت نفسه بكل الأسباب التي تجعله لا يقلق بشأن هذه المكالمة الهاتفية

المتأخرة، وكل الأسباب البريئة التي جعلت الهاتف يرنّ هكذا.

اتصلتُ مرتين قاطعاً المكالمة سريعاً، وذلك قبل أن أمضي بالمكالمة. لكن ماريبيت هي التي ردّت على المكالمة، وليس راند. أجابت ماريبيت بصوتها العميق الذي دوّى في أذني. لم أقل غير عبارة " ماريبيت، أنا نِك " لكنها لم تدعني أُكمل.

" ما الأمر يا نِك؟ " .

توقفت كي آخذ نَفَساً.

" هل يتعلق الأمر بآمي؟ قُلْ لي " .

" إنني، آه. أنا آسف، كان يجب أن أتصل... " .

" قُل لي بالله عليك! " .

قلتُ متلعثماً: " إننا... إننا لا نستطيع العثور على آمي؟ " .

" ألا يمكنكم العثور على آمي؟ " .

" لا أعرف... " .

" هل آمي مفقودة؟ " .

" إننا لا نعرف ذلك بالتأكيد. إننا ما زلنا... " .

" منذ متى؟ " .

" لا نعرف بالتأكيد. غادرتُ المنزل في هذا الصباح، بعد السابعة بقليل... " .

" هل انتظرتَ حتى الآن كي تتصل بنا؟ " .

" أنا آسف. لم أرغب في... " .

" يا الله. لعبنا كرة المضرب هذه الليلة. كرة المضرب، وكان يُمكن أن... يا إلهي. هل تعرف الشرطة بذلك؟ هل أعطيتهم علماً؟ " .

" إنني في مركز الشرطة الآن " .

" أريد التحدث مع المسؤول هناك يا نِك. من فضلك " .

توجهتُ، مثل ولدٍ صغير، نحو جيلبين. ترغب والدة زوجتي في التحدّث معك.

أدى الاتصال مع آل إليوت إلى جعل القضية رسمية. بدأت هذه الحالة الطارئة - اختفاء آمي - بالانتشار.

كنتُ عائداً إلى غرفة الاستجوابات عندما سمعت صوت والدي. كنت أسمع صوته في بعض الأحيان، وعلى الأخص في لحظات مخجلة بشكلٍ خاص. كنت أسمع صوته في رأسي. لكن هذا كان صوت والدي الذي

يتواجد هنا. تخرج الكلمات من فمه كما تنفجر الفقاعات في الهواء. حمقاء حمقاء حمقاء. تعوّد والدي بعد أن فَقَدَ تركيزه الذهني على التفوّه بهذه الكلمة لكل امرأة تزعجه حتى في أتفه الأشياء: حمقاء حمقاء حمقاء. تطلعت نحو غرفة الاجتماعات، فوجدته جالساً هناك على أريكة إزاء الجدار. كان رجلاً وسيماً ذات يوم، وشديد التركيز بذقنه المثلومة. كانت عمتي تصفه بأنه حالم بعمق. رأيته جالساً في هذا الوقت يتمتم وقد اتجه بنظره نحو الأرض. كان شعره غير مسرّح، بينما بدت بعض بقع الوحل على سرواله. بدا بمنظره هذا وكأنه شقّ طريقه لتوه بين أجمةٍ من الشوك. ظهر خطٌّ ملتمعٌ من اللعاب نازلٌ فوق ذقنه، فبدا مثل الخط الذي يتركه حلزونٌ في مسيره. رأيته وهو يشدّ عضلات ذراعه، وهي التي لم تختفِ تماماً بعد. رأيت شرطية متوترة جالسةً إلى جانبه بشفتين مزمومتين، وكان واضحاً بأنها تحاول تجنّبه: حمقاء حمقاء حمقاء. قلت لكِ حمقاء.

سألتها: " ماذا يجري؟ إنه والدي " .

" هل تلقيتَ اتصالنا؟ " .

" أيّ اتصال؟ " .

قالت مبالغةً في تشديدها، وكأن ولداً بعمر العاشرة يقف أمامها: " كي تأتي لتأخذ والدك " .

" أنا... زوجتي مفقودة. أمضيت معظم الليل هنا " .

حدّقت إليّ، وبدا أنها لم تستوعب ما قلتُه أبداً. لاحظتُ بأنها توازن ما بين الإبقاء على هيبة مركزها والاعتذار. عاد والدي للكلام مجدداً، حمقاء حمقاء، فبدا أنها اختارت الإبقاء على هيبة مركزها.

" سيدي، حاول كومفورت هيل الاتصال بك طيلة اليوم. خرج والدك من أحد المخارج المخصصة للطوارئ في وقتٍ مبكر من هذا الصباح. أصيب والدك ببعض الخدوش والجروح كما ترى، لكنها ليست خطرة. عثرنا عليه قبل ساعات قليلة وهو يسير على غير هدى في طريق ريفر رود، ولهذا حاولنا الاتصال بك " .

قلت: " كنتُ هنا في هذا المركز، وفي الغرفة المجاورة. كيف أن أحداً لم يلاحظ ذلك؟ " .

قال والدي، حمقاء حمقاء حمقاء.

" سيدي، أرجوك، لا تتحدث معي بهذه اللهجة " .

حمقاء حمقاء حمقاء.

أمرت بوني أحد رجال الشرطة - الذكور - كي يصطحب والدي إلى

المنزل بحيث أتمكن من الانتهاء من العمل في مركز الشرطة. وقفنا فوق الدرج خارج مركز الشرطة، ورأيته يستقر في السيارة محافظاً على تمتمته. لم يلاحظ والدي وجودي بالقرب منه أبداً، حتى إنه لم يتطلع إلى الخلف بينما كانت السيارة تُسرع مبتعدة.

سألتني: " ألستم على وفاق مع بعضكما بعضاً؟ " .

" إننا تعريف عدم الوفاق " .

انتهى رجال الشرطة من توجيه أسئلتهم لي، وما لبثوا أن وضعوني في إحدى سيارات دورية تابعة للشرطة، وكانت عقارب الساعة تشير إلى نحو الثانية بعد منتصف الليل. زوّدني رجال الشرطة بنصيحة الاستسلام إلى النوم، والعودة عند الساعة الحادية عشرة ظهراً لعقد مؤتمرٍ صحفي عند الساعة الثانية عشرة.

لم أسأل رجال الشرطة ما إذا كان باستطاعتي الذهاب إلى منزلي. قلت لهم أن يأخذوني إلى منزل جو، لأنني أعرف أنها ستبقى مستيقظة لتشاركني الشراب، ولإعداد شطيرةٍ لي. كان ذلك كل ما أريده في ذلك الوقت: امرأة تعدّ لي شطيرة من دون أن تطرح عليّ أيّ أسئلة.

قالت جو بينما كنتُ أتناول شطيرتي: " ألا ترغب بالخروج للبحث عنها؟ يمكننا أن نفعل ذلك بالسيارة " .

قلت بلهجة عدم اكتراث: " يبدو أن ذلك غير مجدٍ. أين يُفترض بي أن أبحث؟ " .

" نِك، إن الأمر في غاية الجدية " .

" أعرف ذلك يا جو " .

" إذاً تصرّف يا لانس وكأنه كذلك. لا تقف متردداً هكذا " . أصدرت صوتاً بلسانها، وهو ما اعتادت عليه للدلالة على الحيرة التي تلازمني، وكانت تُرفق ذلك بحركةٍ غامضة من عينيها، وتتجاهل اسمي الرسمي الأول. إن شخصاً يحمل الوجه الذي أمتلكه يستحق أن يُطلق عليه اسم لانس. ناولتني كوباً مليئاً بالشراب. " اشرب هذا، وهذا فقط. يتعيّن عليك أن لا تكون ثملاً في الغد. أين يُمكن أن تكون؟ يا الله، إنني قلقةٌ جداً عليها " . ملأت كوبها بالشراب مجدداً، وأفرغته في جوفها، ثم حاولت أن تتجرع الشراب مجدداً أثناء تجوالها في المطبخ. " ألا تشعر بالقلق يا نِك؟ ألا تقلق بأن يكون رجلٌ ما رآها في الشارع، وقرّر أن يعتدي عليها؟ أو أن

يضربها على رأسها و... " .

قلت: " لماذا قلتِ يضربها على رأسها. ماذا تعنين بذلك؟ " .

" أنا آسفة. لم أقصد أن أصوّر مشهداً معيناً، وكل ما في الأمر... لا أعرف. إنني لا أكف عن التفكير... في أن يقوم أحد المجانين... " سكبت كمية أخرى من الشراب في كوبها.

قلت: " بما أنك تتحدثين عن المجانين، هل عرفتِ أن والدي خرج مجدداً، لكنهم عثروا عليه وهو يتجوّل على غير هدى في ريفر رود. لكنه عاد الآن إلى مركز رعاية كومفورت " .

هزّت كتفيها علامة الموافقة. كانت هذه هي المرة الثالثة في ستة أشهر التي يخرج فيها والدي من المركز. انشغلت جو بإشعال سيجارة، وكانت أفكارها لا تزال مركزةً على آمي. سألتني: " أعني، ألا يوجد شخص يمكننا التحدث إليه، أو أي شيء يمكننا أن نفعله؟ " .

قلت غاضباً: " حباً بالله يا جو! أتريدنني بالفعل أن أشعر بأنني عاجز أكثر مما أنا عليه الآن؟ أنا لا أعرف أبداً ماذا يُفترض بي أن أفعل. لا يوجد شيء اسمه " عندما تكون زوجتك مفقودة اتصل بالرقم 101 " . أبلغتني الشرطة بأنه يمكنني المغادرة، وهكذا غادرت المركز. إنني أفعل ما يطلبونه مني " .

تمتمت جو التي كلّفت نفسها منذ وقتٍ طويل بمهمة تحويلي إلى متمرد: " إنك تفعل ذلك بالطبع " . لكنها لم تنجح في ذلك لأنني كنت طالباً لا يتجوّل كثيراً في المدرسة الثانوية. كنتُ كاتباً يلتزم بالمواعيد، وذلك حتى بالمواعيد الوهمية. إنني أحترم القوانين، وذلك لأنه إذا احترمتَ القوانين فإن الأمور ستمضي، في العادة، بسهولة.

" يا الله يا جو، يُفترض أن أعود إلى مركز الشرطة في غضون ساعاتٍ قليلة، اتفقنا؟ ألا يمكنك أن تكوني لطيفة معي للحظة واحدة؟ إنني أشعر بالرعب " .

أمضينا خمس ثوانٍ في التأمّل، وما لبثت جو بعدها أن ملأت كوبي مجدداً، وهذه علامة على اعتذارها. جلست بقربي ووضعت يدها على كتفي.

قالت: " مسكينة آمي " .

آمي إليوت دون

21 نيسان، 2009

- صفحة يومية -

مسكينة أنا. أريد الآن أن أرسم المشهد: نتواجد أنا وكامبل وإنسلي في سوهو، وذلك بهدف تناول طعام الغداء في مطعم تابلو. تتواجد أمامي أطباق كثيرة من الكعكة المحشوة، وكرات لحم الضآن، وبعض الحشائش الخضراء [روكا]، لكنني لا أعرف سبب جمع كل هذه التشكيلة. إننا نقوم بالأمور بطريقة عكسية: الغداء أولاً، ثم تناول الشراب في إحدى المقصورات الصغيرة التي حجزتها لنا كامبل، وهي غرفة صغيرة حيث يستطيع المرء الاسترخاء بترفٍ في مكان لا يختلف كثيراً عن غرفة المعيشة. لكن المرء يستمتع بالقيام ببعض الأشياء السخيفة والتافهة في بعض الأحيان. ارتدينا معاطف سميكة وجذابة، وانتعلنا كعوباً عالية، كما وضعنا في أطباقنا تشكيلاتٍ صغيرة من الأطعمة التي تُعتبر عديمة القيمة، وللزينة فقط، أي مثلنا نحن تماماً.

ناقشنا مسألة دعوة أزواجنا للانضمام إلينا في تناول الشراب. جلسنا في مقصورتنا الصغيرة بعد أن فرغنا من تناول الطعام، ولم تلبث إحدى النادلات أن وصلت وقدّمت لنا أنواع الشراب الذي طلبته أنا. بدت النادلة وكأنها تؤدي اختباراً للقيام بدورٍ صغير في فيلم الفتاة التي نزلت لتوها من الحافلة.

لم يعد لدينا ما نقوله. إنه نهار ثلاثاء، لكننا لم نشعر بأنه يوم خاص. تناولنا الشراب بعناية: يمتلك كل من إنسلي وكامبل مواعيد غامضة في صباح اليوم التالي، كما أن بعض الأعمال تنتظرني، وهكذا لم نكن مستعدين لليلة خاصة، لكننا أردنا الاسترخاء قليلاً، وذلك بالرغم من شعورنا بالملل. كنا على استعداد للمغادرة لو لم نكن منتظرين الظهور المحتمل لأزواجنا. واظبت كامبل على التطلع على هاتفها البلاك بيري، بينما تفحصت إنسلي عضلات ساقيها من زوايا مختلفة. وصل جون أولاً، وقدّم قدراً كبيراً من الاعتذارات إلى كامبل مرفقةً بابتساماتٍ عريضة وقبلات لنا جميعاً. إنه الرجل الذي شعر بالسرور لتواجده هنا، وكان مسروراً على الأخص للوصول في آخر جزء من ساعة الكوكتيل، وبحيث تمكن من تجرع كوب من الشراب والتوجه إلى المنزل مع زوجته. أما جورج فقد وصل بعد نحو عشرين دقيقة. كان مظهره وديعاً ومتوتراً، ثم قدّم عذراً واهياً عن عمله،

لكن إنسلي بادرته بحدة: " تأخرتَ أربعين دقيقة " ، لكنه ردّ عليها: " أنا آسف لأنني كنت أكسب المزيد من المال لنا " . لم يتحدث الزوجان مع بعضهما كثيراً بينما تبادلا الحديث مع كل الآخرين.

لكن نِك لم يظهر أبداً، وكذلك لم يتصل. انتظرنا خمساً وأربعين دقيقة إضافية. قدّمت كامبل تفسيراً من عندها (قالت: " يُحتمل أنه فوجئ في الدقيقة الأخيرة بشيء لا يحتمل التأجيل " ، ثم وجّهت ابتسامة نحو جون الطيّب الذي لا يُفاجأ بأشياء لا تحتمل التأجيل، والتي يمكنها التأثير على خطط زوجته). أما إنسلي فقد وجّهت غضبها نحو زوجها بعد أن أدركت بأنه ثاني أكبر المغفلين في المجموعة (" هل أنت متأكد بأنه لم يكن يحتمل التأجيل يا عزيزي؟ ").

أما أنا فقد ابتسمت، وقلت: " مَن يعرف أين هو... لكنني سأمسك به في المنزل " . بدا الرجال في مجموعتنا متعجبين: أتعني بأن ذلك كان خياراً مطروحاً؟ يمكنك التغيّب عن هذه الليلة من دون عواقب وخيمة؟ من دون الشعور بالذنب أو بالغضب، أو الركون إلى الصمت؟

حسناً، لربما لا ينطبق هذا عليكم أيها الرجال.

إننا نتبادل، نِك وأنا، الضحكات بصوتٍ عالٍ في بعض الأحيان على بعض الأشياء الفظيعة التي تقوم بها النساء لجعل أزواجهن يبرهنون عن حبهم لهنّ، مثل الأعمال التي لا فائدة منها، والتضحيات التي لا حصر لها، والتنازلات الصغيرة التي لا تنتهي. إننا نطلق على هؤلاء الرجال وصف القرود الراقصة.

سيأتي نِك إلى المنزل يا عزيزتي ورائحة العرق تفوح منه، وكذلك رائحة الشراب بعد يوم في ملاعب الكرة، لكني سرعان ما أهرع إلى حضنه، وأسأله عن المباراة، وأسأله كذلك ما إذا صديقه جاك يستمتع بوقته، وسيقول لي: " أوه، أخبرني عن مجموعة من القردة الراقصة - يا لجنيفر المسكينة التي عانت من أسبوع مجهدٍ فعلاً، وهي تحتاج إليه في المنزل بالفعل " .

أسأله كذلك عن زميله في العمل الذي لا يتمكن من الخروج للمشاركة في الشراب لأن صديقته تحتاج إليه فعلاً ليكون إلى جانبها لأنها تتناول الغداء مع صديق خارج المدينة. إنهم يستطيعون أخيراً الالتقاء بهذه الطريقة. وهي تستطيع كذلك أن تُظهر مدى الطاعة التي يُبديها قردها: إنه يأتي عندما أتصل به، ثمّ انظروا كم هو أنيق المظهر!

يمكنك ارتداء هذا، ولا يمكنك ارتداء ذلك. قم بهذا العمل الآن، وقم

بهذا العمل في الوقت الذي يناسبك، وأنا أعني بذلك الآن. أطلب منك كذلك أن تتخلى نهائياً وقطعياً عن الأمور التي تحبها من أجلي، وهكذا أعرف بأنك تحبني على أكمل وجه. إنه الاختبار الذي تجريه النساء - والذي يجري بينما نتجول بين المكتبات التي نرتادها، وساعات الكوكتيل التي نستمتع بها، وهناك أمورٌ قليلة تحبها النساء أكثر من القدرة على تفصيل التضحيات التي يقوم بها رجالنا لأجلنا. تجري المكالمات الهاتفية والرد عليها على هذا النحو: " أوه، هذا رائعٌ جداً يا عزيزتي " .

إنني سعيدة لأنني لست جزءاً من ذلك النادي، وأنا لا أشارك فيه. إنني أتجنب كل ما يُعتبر إجباراً عاطفياً، وأتجنب إجبار نِك على لعب دور الزوج السعيد - دور الذي يهزّ الكتفين، والمبتهج، والمطيع الذي يقوم برمي النفايات، يا عزيزي! هذا هو الرجل الحلم لكل زوجة، وهي الصورة التي تعاكس أحلام كل رجلٍ عن المرأة الحلوة، والعاطفية، والمسترخية.

إنني أحب التفكير بأنني امرأة واثقة وآمنة وناضجة بما يكفي لأعرف بأن نِك يحبني من دون الحاجة إلى أن يبرهن لي ذلك بصورة دائمة. إنني لست بحاجة إلى مسرحيات القرود الراقصة التي تثير الشفقة، والتي أردّدها فيما بعد أمام أصدقائي. يعني ذلك أنني راضية بأن أسمح له بأن يكون على طبيعته.

لا أعرف لماذا تعتبر النساء هذا الأمر في غاية الصعوبة.

توقفت السيارة التي كنت أستقلها عندما عدت إلى المنزل بعد العشاء في الوقت ذاته الذي ترجل فيه نِك من سيارة الأجرة التي تقلّه. رأيته واقفاً في الشارع، وقد مدّ ذراعيه نحوي بينما ارتسمت ضحكة عريضة على وجهه - " حبيبتي " - وأندفعُ قافزةً نحو ذراعيه وما يلبث أن يضغط بخده، الذي بدأت الشعيرات تنبت فيه، على خدّي.

سألته: " ماذا كنتَ تفعل هذه الليلة؟ " .

" كان بعض الرجال يلعبون بعد انتهاء دوام العمل، وهكذا بقيت معهم قليلاً. آمل أن لا تنزعجي من ذلك " .

قلتُ: " بالطبع، تسليتَ أنت أكثر مني في هذه الليلة " .

" هل حضر الجميع؟ " .

" أوه، حضرتْ كامبل وإنسلي وقرداهما الراقصان. إنهم مملون، أي إنك حسناً فعلت بعدم مجيئك. كان لقاءً مملاً بالفعل " .

جذبني بشدة نحوه بذراعيه القويتين، وحملني صعوداً على الدرج. قال لي: " يا الله. أنا أحبك " .

جاء دور الشراب الحاد بعد ذلك، وليلة من النوم الدافئ في سريرنا الواسع، والناعم.

نِك دون

بعد مضي يومٍ واحد

لم أتبع نصيحة جو بشأن الشراب. أنهيت نصف الزجاجة وأنا جالس على أريكتها بمفردي. اندفعت موجة الأدرينالين الثامنة عشرة في الوقت ذاته الذي اعتقدتُ فيه بأنني سوف أستسلم للنوم أخيراً: كانت عيناي تنغلقان، وأتقلّب فوق وسادتي، ثم رأيت زوجتي وقد جمدت الدماء شعرها الأشقر. كانت تبكي وسط ألمٍ مبرح، وتمضي في التمرغ فوق أرض مطبخنا. كانت تنادي اسمي. نِك، نِك، نِك!

لجأت إلى زجاجة الشراب مراتٍ عديدة محاولاً إقناع نفسي بالاستسلام للنوم، لكن تبيّن لي أن ذلك هو روتين فاشل. أعتقد أن النوم يشبه هرةً لا تأتي إلا إذا تجاهلتها. تجرعت المزيد من الشراب، وتابعت تعويذتي. توقف عن التفكير، جرعةٌ أخرى من الشراب، أفرغ ما في رأسك من أفكار، جرعة شراب أخرى، الآن، جدياً، أفرِغ ما في رأسك من أخبار. افعل ذلك الآن، جرعة شرابٍ أخرى، يتعيّن عليك أن تكون صاحياً في الغد، وأنت تحتاج إلى قسطٍ من النوم! جرعةٌ أخرى من الشراب. لم أتمكّن سوى من الحصول على إغفاءةٍ متوترة عند انبلاج الفجر، لكني استيقظت بعد مرور ساعة من الزمن مع شعورٍ بالصداع. لم يكن صداعاً شديداً، بل من النوع الذي يُمكن للمرء أن يتحمله. شعرت في ذلك الوقت بالضعف والبلادة. شعرت بانزعاج شديد، وبدا الأمر وكأنني ثملتُ قليلاً. سرتُ متردداً نحو سيارة جو وهي من نوع سوبارو. أحسست أن هذه هي خطوة غريبة من جانبي، وكأن رجلَيّ تتحركان إلى الخلف. إنني أمتلك هذه السيارة جزئياً، وكانت الشرطة تكرمت بقبول تفتيش سيارتي التي هي من نوع جيتا [فولسفاغن] تفتيشاً لطيفاً بالإضافة إلى تفتيش حاسوبي. أكّدت لي الشرطة أن كل ذلك هو من الإجراءات الشكلية. قدت السيارة إلى منزلي للحصول على بعض الملابس اللائقة.

تواجدت ثلاث عربات للشرطة في جوار منزلي. رأيت جيراننا القلائل وهم يجولون في المكان. لم أشاهد كارل، لكني رأيت جان تيفرر، ومايك، والد التوائم الثلاثة الذين بلغوا الثالثة من أعمارهم (وكانوا نتيجة التلقيح الصناعي) - ترينيتي، وتوفر، وتالولا. (قالت آمي التي تُعتبر ناقدة صارمة لكل ما هو مستحدث: " أكرههم جميعاً، وفقط بسبب أسمائهم "). لكن عندما ذكرت لزوجتي بأن اسم آمي كان مستحدثاً ذات يوم، قالت لي: "

نِك، أنت تعرف القصة التي تقف وراء تسميتي " .

أومأت جان نحوي من بعيد من دون أن تنظر إليّ، لكن مايك سار نحوي فور خروجي من السيارة. " إنني آسف يا رجل. قُل لي إن كنت أستطيع أن أساعدَ بشيء. أي شيء. قمتُ بجزّ العشب هذا الصباح، وهكذا لن تضطر إلى القلق بهذا الشأن " .

كنتُ أتبادل أنا ومايك مهمة جزّ العشب في كل الأراضي المتروكة في حيّنا، وذلك بعد أن حوّلت الأمطار الغزيرة التي هطلت في الربيع هذه الباحات إلى ما يشبه الغابات، وهو الأمر الذي شجّع على تكاثر حيوانات الراكون. تتواجد حيوانات الراكون في كل الأمكنة، وهي تبحث عن شيء تأكله بين نفاياتنا حتى وقتٍ متأخرٍ من الليل، وحتى إنها تتسلل إلى الطبقات السفلية من منازلنا، وتتجول في شرفاتنا وكأنها حيوانات أليفة ومتكاسلة. تبيّن لنا أن جزّ العشب لم يدفع هذه القوارض إلى الابتعاد، لكننا تمكّنا على الأقل من رؤيتها عند اقترابها.

قلت: " شكراً يا صديقي. شكراً لك " .

قال: " أتعرف يا صديقي بأن زوجتي أصيبت بالهستيريا منذ أن سمعت بالخبر، هستيريا تماماً " .

قلت: " إنني آسف لسماع ذلك " . أشرت نحو باب منزلي وأضفت: " يتعيّن عليّ أن... " .

" إنها لا تفعل شيئاً غير الجلوس والبكاء أمام صورة آمي " .

كنتُ متأكداً بأن ألف صورة لها قد ظهرت عبر الإنترنت بشكلٍ مفاجئ، وذلك لا لشيء إلا لإشباع فضول النساء من أمثال زوجة مايك. لكنني لا أتعاطف مع النساء اللواتي يعشقن البكاء.

قال مايك: " اسمع. أريد أن أسألك... " .

ربتُّ على ذراعه، وأشرت مجدداً نحو الباب، وكأن عملاً ملحاً ينتظرني. أسرعتُ بالابتعاد قبل أن يتمكن من طرح أسئلة إضافية، وقرعتُ باب منزلي.

رافقتني الشرطية فالاسكويز إلى الطابق الأعلى، ثم إلى غرفة نومي، وأخيراً إلى خزانتي، ومررنا أمام صندوق الهدايا المكعّب الفضي اللون. سمحتْ لي الشرطية بالبحث في أغراضي. دفعني هذا الوضع إلى الشعور بالتوتر، وعلى الأخص لأنني اختار ملابسي أمام هذه الشابة بضفيرة شعرها الأشقر الطويلة، وهي المرأة التي تتفحصني لتكوين رأيٍ عني. انتهى بي الأمر إلى انتقاء ثيابي بطريقةٍ عشوائية: كانت النتيجة أنني انتقيت ملابس

تصلح للعمل وغير رسمية، أي سروالاً واسعاً وقميصاً بكمين قصيرين. بدا الأمر وكأنني ذاهب إلى مؤتمرٍ ما. فكّرت بأن ذلك يصلح لكتابة مقالة شيقة، أي انتقاء الملابس المناسبة في حين أن الشخص الذي تحبه مفقود. بدا بأنه من المستحيل القضاء على ذلك الكاتب الجشع الذي يسكنني، والذي يتطلع للإثارة.

حشرتُ جميع ملابسي في حقيبة والتفتُّ من حولي، وتطلعت إلى صندوق الهدايا الرابض على الأرض. سألتها: " أيمكنني إلقاء نظرة على داخله؟ " .

ترددتْ قليلاً، ثم حسمت الأمر. " كلا، إنني آسفة يا سيدي. أفضّل أن لا تفعل ذلك الآن " .

كانت حافة ورق الهدايا مشقوقة بعناية. " هل تطلع شخصٌ ما إلى داخل الصندوق؟ " .

أومأت.

استدرتُ حول فالاسكويز ومضيت نحو الصندوق، وقلت: " إذا تطلع شخصٌ آخر فيه، فإن ذلك يعني... " .

ظهرت الشرطية أمامي فجأة: " سيدي، لا أستطيع السماح لك بفعل ذلك " .

" هذا غير معقولٍ أبداً. إنه لي، ومن زوجتي أنا... " .

عدت للاستدارة من حولها، وانحنيت، ثم وضعت إحدى يديّ على حافة الصندوق، لكنها مدّت ذراعها نحو صدري من الخلف. شعرتُ، للحظة، بموجة من الغضب لأن هذه المرأة سمحت لنفسها أن تقول لي ما أفعله في بيتي. جهدت كثيراً في محاولتي أن أكون ابن والدتي، لكن صوت والدي يتسلّل إلى رأسي من دون دعوة ليغرس فيه أفكاراً فظيعة، وكلمات بذيئة.

" هذا هو مسرح جريمة يا سيدي، وأنت... " .

حمقاء غبية.

دخل زميلها ريوردان إلى الغرفة على نحوٍ مفاجئ، وشاركها في الهجوم، وهكذا تعيّن عليّ إبعادهما عني - حسناً، حسناً، اللعنة - لكنهما أجبراني على نزول الدرج. شاهدت امرأة راكعة على أطرافها الأربعة قرب الباب الأمامي، وكانت تتنقل فوق أرضية الغرفة باحثةً فيها عن بقع دماء كما افترضت. رفعت نظرها نحوي من دون اكتراث، وما لبثت أن عادت للركوع على الأرض.

أجبرت نفسي على التخلص من كل مشاعر الغضب بينما كنت عائداً

بالسيارة إلى منزل جو بهدف ارتداء ملابسي. كان ذلك واحداً فقط من سلسلة طويلة من الأمور المزعجة والسخيفة التي قامت بها الشرطة في سياق هذا التحقيق (إنني أحب القوانين المنطقية، وليس القوانين التي تخلو من المنطق)، لذلك كنت بحاجة إلى الهدوء: أمرتُ نفسي بأن لا أواجه رجال الشرطة. سأعيد إذا كان ذلك ضرورياً: لا تواجه رجال الشرطة.

رأيت بوني فور دخولي مركز الشرطة. قالت لي بلهجةٍ تشجيعية وكأنها تقدم لي فطيرة ساخنة: " حضر والدا زوجتك يا نِك " .

كانت مارييبت وراند إليوت واقفَين وقد أحاطا بعضهما بعضاً بأذرعهما. بدا الزوجان وسط مركز الشرطة وكأنهما يستعدان للظهور في صورٍ ترويجية. كنت أراهما دائماً في هذا الوضع بأيديهما المتشابكة، وأنفيهما المتلامسَين. تكوّنت عندي عادة التنحنح في كل مرة أزور فيها آل إليوت، وهي حركة تعني بأنني على وشك الدخول، وذلك لأن آل إليوت قد يكونان في أي زاوية، ويعبّران عن تقديرهما لبعضهما بعضاً. كانا يتبادلان القبل في أي وقتٍ يفترقان فيه، كما أن راند يلمس مؤخرة زوجته عندما يمرّ بقربها. كانت كل هذه أموراً غريبةً عني. حصل والداي على الطلاق عندما كنتُ بعمر الثانية عشرة، وأعتقد أنه لربما شاهدت عندما كنت صغيراً جداً قبلات بريئة على الخدّين عندما لا يكون هناك مفرٌّ من ذلك. أما في الكرسمس، ومناسبات غيره فلم يكن أي شيء من هذا القبيل. أما في أفضل أيام زواجهما فإن التواصل فيما بينهما كان محصوراً بأمور المنزل العملية: نفد الحليب من المنزل مجدداً. (سأحضر بعض الحليب هذا اليوم) أريد كيّ هذا بالطريقة الصحيحة. (سأفعل هذا اليوم). ما هو مدى صعوبة شراء الحليب؟ (لا جواب). نسيتَ الاتصال بالسبّاك. (تأوه). لماذا لا ترتدي معطفك الآن، وتخرج للحصول على بعض الحليب. الآن. كانت هذه الرسائل والأوامر تصدر عن والدي، وهو ينتمي إلى الإدارة الوسطى في شركةٍ للهاتف، والذي كان يعامل والدتي في أفضل الحالات على أنها موظف يفتقد إلى الكفاءة. لكن ماذا عن أسوأ الحالات؟ لم يعمد والدي إلى ضربها أبداً، لكن غضبه الخالص والمكتوم كان يملأ المنزل لمدة أيام، وأسابيع، كما يتشبّع الهواء بالرطوبة ويصعب تنفسه، في حين يتجوّل والدي مبرزاً فكّه الأسفل، وهو الأمر الذي يعطيه مظهر الملاكم الجريح والمطالب بالثأر، ويصرّ بأسنانه بصوتٍ عالٍ بحيث يُمكن سماعه عبر الغرفة. كان يعمد كذلك إلى رمي أشياءٍ بقربها، وليس عليها بالضبط. إنني متأكدٌ بأنه أقنع نفسه بالقول:

إنني لم أُصِبها أبداً. إنني متأكدٌ كذلك بأنه بسبب هذا التفصيل بالذات لم يرَ والدي في نفسه صورة المعتدي. لكنه أفلح في تحويل حياتنا الأسرية إلى رحلةٍ لا نهاية لها من الوجهات الخاطئة يقوم بها سائق محكومٌ بالغضب، وكذلك إلى عطلةٍ لم تتصف بالتسلية أبداً. لا تجعليني أستدير بهذه السيارة. أرجوك، استدر بها بالفعل.

لا أعتقد أن مشكلة والدي تتعلق بوالدتي بشكلٍ خاص، وذلك لأنه لا يحب النساء بشكلٍ عام. كان يعتقد بأن النساء يتصفن بالغباء، وضآلة القيمة، والإزعاج. تلك الحمقاء الغبية. كانت تلك هي عبارته المفضلة لأي امرأة تتجرأ على إزعاجه: سواء أكانت سائقة سيارة، أم نادلة، أم معلمات صفّنا في المدرسة، وهو الذي لم يلتقِ أي واحدةٍ منهن فعلياً في اجتماعات الأهل والمعلمات، وهي الاجتماعات التي تهيمن عليها النساء. ما زلت أتذكر ذلك اليوم الذي فازت فيه جيرالدين فيرارو بترشيحها لنيابة رئاسة الجمهورية في العام 1984 . جلسنا جميعاً في ذلك الوقت لمشاهدة الأخبار قبل العشاء. وضعت والدتي، اللطيفة والصغيرة الحجم يدها فوق رأس جو وقالت: حسناً أعتقد أن هذا رائع. أطفأ والدي جهاز التلفزيون عند ذاك، وقال: لا بد بأنها مزحةٌ سمجة. يشبه الأمر مشاهدة قردٍ وهو يقود دراجةً هوائية.

استغرقت والدتي خمس سنوات قبل أن تقرر أخيراً بأنها لم تعد تتحمل المزيد. وصلتُ إلى المنزل من المدرسة في أحد الأيام لأعرف بأن والدي قد ترك المنزل. كان هناك في الصباح، لكنه غادر بعد الظهر. أجلستنا والدتي إلى مائدة الطعام، وأعلنت لنا: " قررت أنا ووالدكم بأنه من الأفضل للجميع أن ننفصل " . انفجرت جو بالبكاء، وقالت: " إنني أكرهكما أنتما الاثنين " ! لكن بدلاً من أن تُهرع إلى غرفتها، مثل ما كان يقتضي النص، توجهت إلى والدتي وحضنتها.

غادر والدي المنزل، وهكذا أصبحت والدتي المتألمة والنحيلة سمينة وسعيدة. لم تكن سمينةً جداً، لكنها أصبحت سعيدة إلى أقصى حدّ، وكأنه كان من المفترض أن تكون هكذا على الدوام: بالوناً فارغاً يكتسب الهواء. تحوّلت والدتي في غضون سنة إلى سيدة منشغلة ودافئة ومبتهجة، وبقيت هكذا حتى ماتت. كانت شقيقتها تقول أموراً مثل: " شكراً لله، لقد عادت مورين " ، وكأن المرأة التي تولت تربيتنا لم تكن والدتنا الأصلية.

أما بالنسبة إلى والدي فقد واظبتُ طيلة سنوات على التحدث معه هاتفياً مرة في كل شهر، وكانت أحاديثنا مهذبة ومحملة بالأخبار، وتعداداً

للأمور التي حدثت. أما السؤال الوحيد الذي طرحه والدي بشأن آمي فكان " كيف حال آمي؟ " ، وهو السؤال الذي لم يُنتظر من ورائه أي جوابٍ غير، " إنها على ما يرام " . بقي والدي عنيداً بشدة حتى عند بدء إصابته بالنسيان خلال الستينيات من عمره. إذا أتيتَ باكراً على الدوام فلن تتأخر أبداً. كان ذلك شعار والدي، ويشمل ذلك بداية الألزهايمر، والذي هو عبارة عن انحدارٍ بطيء نحو التدهور الحاد والمفاجئ في حالته، وهو الذي أجبرنا على نقل والدنا الذي يحب الاستقلالية، والذي يكره النساء إلى مركزٍ ضخمٍ يفوح برائحة حساء الدجاج والروائح الكريهة، وهناك بقي محاطاً بالنساء اللواتي يساعدنه على القيام بكل ما يحتاجه.

كان والدي يمتلك قيوده الخاصة به. كان ذلك هو ما ردّدته والدتي طيبة القلب أمام مسامعنا. كانت له قيوده، لكنه لم يقصد إيذاء أحد أبداً. كان ذلك كلاماً لطيفاً رددته أمامنا، لكنه تسبّب بالأذى. إنني أشك في أن شقيقتي سوف تتزوج: كانت تعزل نفسها عندما تشعر بالحزن أو الغضب، وكانت تخشى الرجل الذي ينتقد دموعها الأنثوية. إنني سيئ مثله. أما الجانب الحسن مني فقد أخذته عن والدتي. إنني أتمكن من المزاح، ومن الضحك، ومن المداعبة، ويمكنني كذلك أن أحتفل وأدعم الآخرين وأثني عليهم. يعني ذلك أنه يمكنني، أساساً، العمل في وضح النهار، لكن لا يمكنني التعامل مع النساء الغاضبات أو الباكيات. أشعر في بعض الأحيان بأن غضب والدي ينتابني أنا بأبشع طريقة. يمكن أن تخبركم آمي عن هذه النقطة. كانت ستخبركم بالتأكيد لو كانت هنا.

راقبتُ راند وماريبيت للحظة قبل أن يتمكنا من رؤيتي. تساءلت عن مدى غضبهما تجاهي، وأنا الذي ارتكبتُ عملاً لا يقبل المسامحة، أي عدم الاتصال بهما لهذا الوقت الطويل. سيضطر والدا زوجتي إلى الاحتفاظ بذكرى الليلة التي لعبا فيها كرة المضرب بسبب الجبن الذي سيطر عليّ: تلك الأمسية الدافئة، والكرات الصفراء المتكاسلة وهي تتقافز عبر باحة اللعب، وأصوات الأحذية المخصصة لكرة المضرب، وليلة الخميس التي أمضياها بينما كانت ابنتهما مختفية.

قال راند إليوت بعد أن رآني: " نِك " . تقدم نحوي ثلاث خطواتٍ كبيرة. لكن بينما كنت أستعد لتلقي لكمةً من لكماته تقدّم مني واحتضنني بشدة.

همس لي فوق رقبتي قبل أن يبدأ بالتمايل: " كيف حالك " . ابتلع لعابه أخيراً، وكتم تنهيدة، ثم أمسكني من ذراعيّ وقال: " سوف نعثر على

آمي يا نِك. لا يمكن أن يكون الحال غير ذلك. أنت تثق بهذا، أليس كذلك؟ " . حدّق نحوي بنظرته الحزينة لثوانٍ إضافية أخرى، ثم ما لبث أن انهار مجدداً فأصدر ثلاث تنهيدات مثل تلك التي تصدر عن الفتيات، والتي انطلقت منه مثل الحازوقة [الفواق] . انضمت ماريبيت إلى المجموعة ودسّت وجهها تحت إبط زوجها.

تطلعت نحوي عندما افترقنا بعينين واسعتين، وقالت: " إنه مجرد - مجرد كابوس رهيب. كيف حالك يا نِك؟ " .

عندما سألتني ماريبيت كيف حالك لم يكن ذلك مجرد مجاملة، بل كان سؤالاً حميماً. تفحصّت وجهي، وكنت متأكداً من أنها تتفحصني، وأنها سوف تتابع كل فكرةٍ من أفكاري، وكل عملٍ من أعمالي. كان آل إليوت يعتقدون بشدة بوجوب أخذ كل ميزة بعين الاعتبار، وأن تُدرس بعناية، وأن تصنّف. إن كل ميزةٍ تدل على شيء، كما يُمكن استخدامها كلها. كانت الوالدة، والوالد، والابنة جميعاً من المثقفين وهم الذين يحملون ثلاث درجاتٍ متقدمة في علم النفس، وهم يفكرون في الوقت الذي يسبق التاسعة صباحاً أكثر مما يفكر معظم الناس طيلة شهرٍ بأكمله. أتذكر أنني في إحدى المرات رفضتُ أن أتناول فطيرة بالكرز عندما كنا نتناول طعام الغداء، فما كان من راند إلا أن التفت برأسه، وقال: " آه! يا لك من متمرد ينفر من الأمور السهلة، وهذا هو رمز الوطنية " . لكن حينها أردت إنهاء الأمر بدعابة فقلت، حسناً، إنني لا أحب شراب الكرز كذلك، فما كان من ماريبيت إلا أن لمست ذراع راند وقالت: " يعود السبب إلى الطلاق. إن كل المأكولات الشهية، وكل الحلويات التي تأكلها الأسرة سوية، تمثّل كلها ذكريات سيئة بالنسبة إلى نِك " .

كان الأمر سخيفاً لكنه مليء بالمرح، وخاصة مع هؤلاء الأشخاص الذين يستهلكون طاقةً كثيرة في محاولة منهم لفهمي. أما الجواب فهو أنني لا أحب الكرز.

كان مركز الشرطة يعج بالحركة بحلول الساعة الحادية عشرة والنصف. انطلقت أجهزة الهاتف بالرنين، وكان الناس يصرخون عبر الغرفة. ظهرت فجأةً امرأة بقربي لم أتمكن من سماع اسمها على الإطلاق، والتي لاحظت بأنها ثرثارة. لم أتمكن من معرفة الوقت الذي مضى على وجودها بالقرب مني، لكنني سمعتها تقول: " .. . أما النقطة الهامة هنا يا نِك، فهي حمل الناس على التفتيش عن آمي، ومعرفة بأنها تمتلك أسرةً تحبها وتريد

استعادتها. سيكون ذلك عملاً مضبوطاً جداً. نِك، سيتعيّن عليك أن... نِك؟ " .

" أجل " .

" يريد الحاضرون سماع تصريحٍ من زوجها " .

رأيت جو وهي تتقدم نحوي عبر الغرفة. سبق لها أن أوصلتني إلى مركز الشرطة، ثم توجهت نحو الحانة كي تهتم ببعض أمورها، أمضت هناك ثلاثين دقيقة، وقد عادت الآن لتتصرف وكأنها تركتني لمدة أسبوع، وها هي تشق طريقها بين الطاولات متجاهلة الشرطي الشاب الذي عُيّن لمساعدتها على الدخول، لكنها تقدمت بطريقة رائعة ومنضبطة، وفخورة.

قالت جو وهي تقرص ذراعي، وهي طريقتها الخاصة في معانقتي: " كيف سارت الأمور حتى الآن؟ " . لا يُحسن شبان آل دون المعانقة بشكلٍ جيد، وهكذا وصل إبهام جو إلى الجهة اليمنى من صدري. همست لي بشيء فكّرت فيه بدوري: " أتمنى لو أن والدتي موجودة معنا " . سألتني عندما ابتعدت عني: " ألم ترد أخبارٌ جديدة؟ " .

" كلا، لا شيء على الإطلاق... " .

" تبدو وكأنك مرتعب " .

" أشعر بأنني تافه " . كنت على وشك أن أقول إنني كنتُ أحمق لأنني لم آخذ بنصيحتها بشأن الشراب.

ربتت جو على ظهري، وقالت: " لو كنتُ مكانك لأنهيت الزجاجة بدوري " .

قالت المسؤولة عن العلاقات العامة التي ظهرت بشكلٍ مفاجئ: " لقد حان الوقت تقريباً. لا أعتقد أن هذه هي علامة سيئة بالنسبة إلى إجازة الرابع من تموز " . بدأت المرأة بتوجيهنا جميعاً نحو غرفة اجتماعات تثير الكآبة - ستائر من الألومينيوم، ومقاعد قابلة للطي، ومجموعة من المراسلين الذين بدا عليهم السأم - ثم قادتنا نحو المنصة. شعرت بأنني متكلم من الصف الثالث في مؤتمر متواضع. ارتديت ثياب عملٍ عادية وكئيبة، كما أحسستُ بأنني أخاطب جمهوراً أسيراً من الناس المتعبين من السفر والحالمين بما سيأكلون عند الغداء. لكنني لاحظت بأن الصحفيين قد تحركوا عندما رأوني. يمكنني أن أقول إنهم رأوا شاباً أنيق المظهر. تقدمت بعد ذلك موظفة العلاقات العامة لتضع ملصقاً كبيراً فوق لوحة إعلانات قريبة. كان الملصق عبارة عن صورة كبيرة لآمي بأبهى مظهرٍ لها، وبوجهها الرائع الذي يدفع المرء للتطلع عليه مرةً بعد أخرى: لا يُمكنها أن تكون بهذه الروعة، أليس كذلك؟ " لكن أمكنها ذلك، وهكذا كانت. حدّقت في صورة

زوجتي بينما كانت آلات التصوير تلتقط صوراً لي وأنا أحدّق بالصورة. عدتُ بذاكرتي إلى ذلك اليوم في نيويورك عندما عثرت عليها مجدداً: شعرها الأشقر، والمنطقة الخلفية من رأسها، كانا كل ما تمكنت من رؤيته منها، لكني عرفت بأنها هي، ورأيت في ذلك علامة. كم من ملايين الرؤوس رأيتُ في حياتي، لكني عرفت بأن هذه هي جمجمة آمي الجميلة وهي تطوف في الجادة السابعة. عرفتُ حينها بأنها هي، وأننا سوف نكون معاً.

سطعت أضواء آلات التصوير. التفتّ فرأيتُ بقعاً. كان المشهد سوريالياً. اعتاد الناس على الدوام قول هذا لوصف اللحظات التي هي غير اعتيادية على الإطلاق. فكّرت في نفسي: ليس لك أدنى فكرة عما هو سوريالي. تزايد في هذه اللحظة ضغط ذكرياتي، وشعرت بأن عيني اليسرى تنتفض مثل ما يفعل القلب.

استمرت آلات التصوير في التقاط الصور فوقفت الأسرتان معاً، وبدت أفواهنا مزمومة، لكن ما عدا جو التي بدت أقرب ما يكون إلى إنسانٍ حقيقي، لكن بقيّتنا بدوا مثل رموز أشخاص فقط، ومثل شخصيات الدمى التي يتم تحريكها صعوداً ونزولاً. أما آمي فقد بدت في اللوحة التي ترتاح فيها أكثر حضوراً منا. سبق لنا جميعاً أن شاهدنا هذه المؤتمرات الصحفية، وعند اختفاء نساء أخريات. أُجبرنا على تأدية المشهد الذي يتوقعه مشاهدو البرامج التلفزيونية: الأسرة القلقة لكن المتمسكة بالأمل، والأعين المتأثرة بالكافيين والأذرع التي تشبه أذرع الدمى.

تردد اسمي في الغرفة، وخيّم جو من الترقب الجماعي على الغرفة. بدأ العرض.

عندما رأيت هذا العرض في وقتٍ لاحق لم أتمكن من تمييز صوتي، كما أنني بالكاد ميزت وجهي. كان تأثير الشراب في غاية الوضوح، وبدت بشرتي وكأن الوحل قد تسلّل إلى باطنها، وهذا ما جعلني أبدو مثل متشرد سمين، وكأنني رجلٌ يحب الملذات إلى درجة يفتقد معها إلى الاحترام. قلقت كثيراً بسبب الارتعاش الذي أصاب صوتي، وهكذا لجأت إلى المبالغة في التصحيح فخرجت الكلمات ناقصةً من فمي. بدا الأمر وكأنني أقرأ تقريراً عن سوق الأسهم. قلت بطريقة تخلو من الإقناع تماماً، وبشكلٍ متقطع: " إننا لا نريد سوى عودة آمي سالمةً إلى المنزل... " بدا المشهد كذلك وكأنني أقرأ أرقاماً بطريقة عشوائية.

صعد راند إليوت إلى المنصة وحاول إنقاذي: " ابنتنا، آمي، هي فتاة رائعة، ومليئة بالحياة. إنها ولدنا الوحيد، وهي ذكية وجميلة ولطيفة. إنها

آمي الرائعة فعلاً، ونحن نريد أن تعود إلينا، ونِك يريدها أن تعود " . وضع إحدى يديه على كتفي، ومسح الدموع عن عينيه، لكني تحولت إلى قطعة من الفولاذ من دون أن أقصد ذلك. عاد والدي ليقول مجدداً: الرجال لا يبكون.

استمر راند بالكلام: " إننا جميعاً نرغب في عودتها إلى حيث تنتمي، أي مع أسرتها. أقمنا مركز قيادة في دايز إن... " .

أظهرت نشرات الأخبار كيف أن نِك دون، زوج المرأة المفقودة، يقف جامداً بقرب والد زوجته، مكتوف اليدين بعينيه الخاليتين من التعابير، والملل الظاهر على محياه بينما كان والدا زوجته يبكون. كان هناك ما هو أسوأ من ذلك. جاءت ردة فعلي التي انتظرتها طويلاً، والحاجة إلى تذكير الناس بأنني لست مغفلاً، وأنني كنت إنساناً لطيفاً بالرغم من مظهري الذي خلا من التأثر، وبالرغم من وجهي الذي يحمل مظهر العدائية والكبرياء.

هكذا جاءت ابتسامة القاتل من اللامكان، وبينما كان راند يتوسل عودة ابنته.

آمي إليوت دون

5 تموز، 2010

- صفحة يومية -

لا أريد أن أضع اللوم على نِك. إني أرفض - أرفض! - التحوّل إلى فتاة متغطرسة وغاضبة وخشنة. قطعت عهدَين على نفسي عندما تزوجت نِك. العهد الأول: لا مطالب القردة الراقصة [الأزواج الذين يخضعون لأوامر زوجاتهم]. العهد الثاني: لن أقول بتاتاً، بالتأكيد، لا أمانع في ذلك (إذا أردت البقاء خارج المنزل لوقتٍ أطول، وإذا كنت ترغب في تمضية إجازة كما يمضيها الفتيان، وإذا كنتَ ترغب في عملٍ ترغب القيام به) ثم معاقبته لأنه قام بالأشياء التي قلتُ بأنني لا أمانع فيها. لكنني أقلق الآن لأنني أقترب بشكلٍ خطرٍ من خرق هذين العهدين اللذين قطعتهما على نفسي.

لكن، وبالرغم من كل ذلك، فإن هذا اليوم هو الذكرى الثالثة لزواجنا، وها أنا وحدي في شقّتنا، كما أن وجهي متوتر من كثرة الدموع. حسناً، يعود السبب إلى أنني تسلمت في فترة بعد ظهر اليوم رسالةً صوتية من نِك، وكنت أعرف مسبقاً بأنها سوف تكون سيئة. علمت ذلك من لحظة بدء رسالة البريد الصوتي، وعلمتُ بأن المكالمة صادرة عن هاتفه الخلوي، كما تمكنت من سماع أصواتٍ عدة رجال، وما يشبه أصداء فجوة واسعة، وكأنه يحاول تقرير ما يريد، ثم سمعت صوتاً مشوشاً بتأثير صوت محرك سيارة الأجرة، وهو صوت مفعم بتأثير الشراب. أدركت عندها بأنني سأغضب - سمعت ذلك الشهيق السريع، والشفتين المزمومتين، والكتفين المرفوعين، وشعور لا أريد أن أفقد صوابي، لكنني على وشك أن أصل إلى هذا الوضع. ألا يعرف الرجال هذا الشعور؟ لا يريد الإنسان أن يفقد صوابه، لكنه يُجبَر على ذلك تقريباً. يحصل كل ذلك لأن قاعدةً، وقاعدة جيدة، وقاعدة لطيفة تعرضت للانتهاك. يُحتمل أن تكون كلمة قاعدة هي الكلمة الخطأ. ماذا بشأن كلمة بروتوكول، أو مجاملة؟ لكن هذه القاعدة/البروتوكول/المجاملة - ذكرى زواجنا - قد تعرضت للانتهاك لسببٍ وجيه. إنني أفهم ذلك بالفعل. كانت الشائعات صحيحة: صُرف ستون كاتباً من العمل في المجلة التي يعمل فيها نِك، أي ما نسبته ثُلُث الموظفين. لم يُصرف نِك من العمل، في الوقت الحاضر على الأقل، لكنه بطبيعة الحال يشعر بأنه مضطر لدعوة الآخرين لتناول الشراب. إنهم رجال، ومحشورون

في سيارة أجرة، ومتوجهون نحو الجادة الثانية، لكنهم يتظاهرون بأنهم شجعان. ذهب عدد قليل من الرجال قاصدين زوجاتهم في منازلهم، لكن عدداً كبيراً منهم بقي خارج المنازل. يعني ذلك أن نِك سوف يُمضي ليلة ذكرى زفافنا في شراء الشراب للرجال. (صديقي هنا صُرف من العمل لتوه، لذلك يحتاج إلى من تعانقه). سيقوم هؤلاء الرجال العاطلون عن العمل بالإعلان أن نِك هو رجل عظيم لأنه يشتري لهم الشراب بموجب بطاقة ائتمان مرتبطة بحسابي المصرفي. سيمضي نِك وقتاً رائعاً في ذكرى زواجنا، وهي المناسبة التي لم يذكرها في الرسالة. قال لي بدلاً من ذلك أعرف بأنه لدينا خطط أخرى، لكن...

فكّرت، لا لسببٍ إلا لكوني فتاة، بأن ذلك سوف يُصبح تقليداً: نشرت رسائل حب صغيرة في كافة أنحاء المدينة، وهي عبارة عن تذكارات للسنة الماضية التي أمضيناها معاً، أي لعبة البحث عن الكنز التي أعدّها في كل عام. أمكنني تصوّر العلامة الثالثة التي تلتصق بقطعة من الشريط اللاصق والتي تتدلى من حرف V من كلمة LOVE المنقوشة على تمثال روبرت إنديانا القائم بالقرب من سنترال بارك. أعرف أنه في الغد سوف يأتي سائح بعمر الثانية عشرة والذي يتخلف وراء والديه ليلتقطها، ثم لا يلبث أن يرميها وكأنها الورقة التي تلف قطعة لبان.

كان الجزء الأخير من لعبة البحث عن الكنز نموذجياً، لكنه لم يعد كذلك الآن، وهو عبارة عن حقيبة مصنوعة من الجلد ورائعة تماماً. خصصت الجلد للذكرى الثالثة. يُحتمل أن تكون الهدية التي تتعلق بالعمل فكرة سيئة، وذلك بالنظر إلى أن العمل لم يعد ساراً كما يُفترض أن يكون. إنني أحتفظ الآن في مطبخنا بكركدنّين اثنين حيّين، مثلما أفعل دائماً، أو بالأحرى مثل ما يُفترض أن يكون عليه الأمر على الدوام. أشعر بحاجة إلى مكالمة والدتي هاتفياً كي أعرف ما إذا كان بإمكاني الاحتفاظ بهما لهذا اليوم، وذلك كي أجول مترنحةً حول صندوقهما، أو أعبث به، وأواجههما بعينيّ المتعبتين من فرط الشراب، وأقوم بغليهما بعد ذلك من دون سبب وجيه. سأقتل الكركدنّين من دون أكلهما.

اتصل بي والدي هاتفياً ليتمنى لنا ذكرى زواج سعيد. تناولت السماعة وأردت أن أتظاهر بالهدوء، لكني بدأت بالبكاء عندما بدأت بالكلام. شرعت بما تفعله الفتيات الصغيرات للتأثير في حديثهن، أي تبادل الكلام والبكاء.......

- لذلك اضطررت إلى إبلاغه بما حدث، فما كان منه إلا أن قال لي إنه يمكنني فتح زجاجة شراب وتناول القليل منها. يناصر والدي الانخراط في

التأمل الإيجابي. لكن نِك سوف يغضب عندما يعرف بأنني أخبرت راند، وبطبيعة الحال فإن راند سوف يقوم بدور الوالد عندما يربت على كتف نِك ويقول له: " سمعت يا نِك بأنه طرأت عليك جلسة شراب في ذكرى زواجكما " . سيقهقه بعد ذلك. سيعرف نِك بهذه الطريقة، وسوف يغضب مني لأنه يريد من والديّ أن يعتقدا بأنه مثالي - يبتسم ابتسامة عريضةً عندما أخبرهم قصصاً عن زوج ابنتهما الذي لا يخطئ.

لكن هذه الليلة لن أفعل ذلك. أعرف، أعرف بأنني مجرد فتاة.

أشرقت الشمس عند الساعة الخامسة، وكانت درجة التماعها تماثل سطوع أنوار الشوارع في الخارج، وهي التي انطفأت لتوها. أحببت ذلك التحول عند استيقاظي على الدوام. كنت أغادر السرير في بعض الليالي التي أعجز فيها عن النوم، وأسير عبر الشوارع عند الفجر، ثم أنتظر انطفاء الأنوار كلياً، وعندها كنت أشعر بأنني رأيت شيئاً خاصاً. أشعر عند ذاك برغبةٍ في أن أعلن أوه، انطفأت مصابيح الشوارع! أما في نيويورك فالوقت الفاصل لم يكن الساعة الثالثة أو الرابعة بعد منتصف الليل، وذلك بسبب وجود عددٍ كبير من رواد الحانات الذين ينادون بعضهم بعضاً وهم يحشرون أنفسهم في سيارات الأجرة، ويصرخون في هواتفهم الخلوية بينما يدخنون بشراهة آخر سجائرهم قبل النوم. أما الوقت الأفضل فهو الخامسة صباحاً، أي عندما تصبح قرقعة الأحذية على الرصيف أمراً غير مسموحٍ به. يتواجد معظم الناس في ذلك الوقت في بيوتهم، وهكذا يشعر المرء بأنه يمتلك المكان بأكمله.

أريد الآن سرد ما حدث: وصل نِك إلى المنزل بعد الساعة الرابعة بقليل. كانت رائحة الشراب والسجائر، ورائحة البيض المقلي، تفوح منه، بالإضافة إلى رائحة كريهة وقوية. كنت ما زلت مستيقظة في انتظاره، وكان دماغي ما زال يفكر في كتاب القانون والنظام. جلس على أريكتنا الواسعة وحدّق في الهدية فوق الطاولة، لكنه لم يقل شيئاً. حدّقت فيه بدوري. كان من الواضح لي بأنه لن يفكر في تقديم اعتذار - اسمعي، أنا آسف لأن الأمور تعقدت اليوم. كان كل ما أردته هو اعترافٌ سريعٌ بما حصل.

قلت: " يوم سعيد بعد الذكرى " .

تنهد قليلاً، وأصدر أنةً عميقةً وحزينة. " آمي، مررتُ بأتعس يومٍ في حياتي. أرجوك أن لا تزيدي الأمر سوءاً " .

نشأ نِك في كنف والدٍ لم يعتذر على الإطلاق، وهكذا فإن نِك ينتقل إلى الهجومية عندما تسوء الأمور معه. أعرف هذا، وعادةً ما كنت أنتظر

إلى أن تهدأ الأمور.

" كنت أقول ذكرى سعيدة " .

" ذكرى سعيدة يا زوجي المغفل الذي تجاهلني في يومي الكبير هذا " .

جلسنا صامتين لدقيقة من الزمن وشعرت بتوتر في معدتي. لم أشأ أن أكون الطرف السيئ هنا. إنني لا أستحق ذلك، كما أن نِك يعرف كيف يصمد.

سألت بعفوية: " حسناً، كيف سارت الأمور؟ " .

" كيف سارت الأمور؟ كانت مريعة. فقَدَ ستة عشر من أصدقائي وظائفهم. كان الأمر كارثياً. يُحتمل أن أفقد وظيفتي بدوري بعد أشهرٍ قليلة " .

أصدقاء. إنه حتى لا يحب نصف الرجال الذين خرج معهم، لكنني لم أقل شيئاً.

" أعرف بأنك تشعر بالإحباط يا نِك الآن. لكن... " .

" لكن الأمر ليس محبطاً بالنسبة إليك يا آمي، وهو لن يكون محبطاً بالنسبة إليك على الإطلاق. لكن ماذا بشأننا نحن؟ الأمر مختلفٌ جداً " .

عدنا إلى القصة القديمة ذاتها. يركّز نِك على أنني لا أمتلك سبباً للقلق بشأن المال، وأنا لن أفعل ذلك أبداً. إنه يعتقد بأن ذلك يجعلني أكثر ليونة من أي شخصٍ آخر، وهو أمرٌ لا أخالفه فيه. لكنني أعمل وأسجل وقت وصولي من العمل وخروجي منه. أعرف أن بعض صديقاتي لم يحصلن على فرصةٍ حقيقية للعمل على الإطلاق، وهنّ يتحدثن عن النساء العاملات بلهجة تعاطف تشبه اللهجة التي يتحدث فيها المرء عن فتاةٍ سمينة تمتلك " وجهاً لطيفاً " . تنحني صديقاتي إلى الأمام للقول، " لكن إلين تحتاج لأن تعمل بطبيعة الحال " ، وهو أمرٌ يشبه أحد مشاهد مسرحية نويل كوارد. إنهن لا يتحدثن عني، لأنني أستطيع ترك وظيفتي على الدوام إذا ما رغبت في ذلك. يمكنني كذلك أن أبرمج أيامي حول الجمعيات الخيرية، وتجميل المنازل، والاعتناء بالحدائق والتطوع. إنني لا أعتبر أن التركيز على هذه الأمور هو شيء خاطئ في الحياة. أعرف أن معظم الأشياء الجميلة والطيبة قامت بها نساء لا يلقين من الناس سوى الانتقاد. أما أنا فلديّ عملي.

" نِك، أنا أقف إلى جانبك هنا. سنكون على ما يرام مهما تقلّبت الأحوال. إن مالي هو مالك أنت " .

" لكن اتفاقية التنازل عن الملكيات في حال وفاة أحد الزوجين أو الطلاق لا تنص على ذلك " .

أعرف أنه ثمل، وذلك لأنه لا يذكر هذه الاتفاقية إلا عندما يكون ثملاً. يعود بعد ذلك شعور الاستياء بالرغم من أنني أبلغته مئات المرات، وفعلاً مئات المرات، وقلت له هذه الكلمات: هذه الاتفاقية هي اتفاقية عمل فقط. إنها ليست لي، ولا حتى لوالديّ، بل لمحامِي والدي. إنها لا تذكر أي شيء عنا، لا عنكَ ولا عني.

مشى نحو المطبخ فأخرج محفظته، ونثر الدولارات على الطاولة الصغيرة، ثم طوى ورقةً ورماها في سلة النفايات مع مجموعةٍ من إيصالات بطاقات الائتمان.

" من المريع أن تقول ذلك يا نِك " .

" إنه شعور مريع يا آمي " .

سار نحو طاولة المطبخ كما يسير ثملٌ بعناية في مستنقع، ثم سكب لنفسه بعض الشراب.

قلت له: " ستمرض " .

رفع كوب شرابه في إشارةٍ إلى أنه يشرب نخبي. " أنتِ لا تفهمين الأمر يا آمي. أنتِ لا تتمكنين من فهمه. عملتُ منذ أن كنتُ في الرابعة عشرة من عمري. لم أتعود الذهاب إلى مخيّمات تدريبات كرة المضرب، ومخيّمات الكتابة الإبداعية، وتحضيرات امتحانات التقييم المدرسي، وكل هذه التفاهات التي يقوم بها الجميع في نيويورك، وذلك لأنني كنتُ منشغلاً بتنظيف الطاولات في مركز التسوّق، وكذلك عملتُ في جزّ العشب، وكنتُ أقود السيارة إلى هانيبال، وأرتدي أزياء مثل هاك فين لأجل السيّاح، كما كنتُ أنظف أواني القلي في منتصف الليل.

شعرت بدافعٍ للضحك، والقهقهة في واقع الأمر. أردت أن تكون ضحكة كبيرة من القلب والتي تغمر نِك، وما نلبث أن نندفع كلانا بالضحك، وينتهي الأمر. أردت أن أضحك على هذه السلسلة من الوظائف الوضيعة. يذكّرني زواجي أنا ونِك على الدوام بأمورٍ منها: يقوم الناس بأشياء مريعة للحصول على المال. اعتدتُ كذلك منذ زواجي من نِك على الإشارة إلى الناس وكأنهم أصناف متنوعة من الطعام.

" يتعيّن عليّ أن أعمل أكثر من أي شخصٍ آخر في المجلة، وذلك لمجرد البقاء فيها. عملت عشرين عاماً فيها للوصول إلى ما أنا عليه اليوم، والآن كل شيء مهددٌ بالتلاشي. لكنني لا أمتلك أدنى فكرة عمّا يمكنني أن

أعمل بدلاً من الوظيفة، عدا عن عودتي إلى البلدة، وأن ألازم النهر مجدداً " .

قلت: " يُحتمل بأنك كبرت في السن بحيث لم تعد قادراً على لعب دور هاك فين " .

" سحقاً لكِ يا آمي " .

توجّه بعد ذلك إلى غرفة النوم. لم يسبق أن قال لي هذه الكلمة من قبل، لكنها خرجت من فمه بسهولة تامة بحيث إنني افترضتُ - وهذا لم يخطر في ذهني على الإطلاق - بأنه فكّر في هذه الكلمة. فكّرت في هذا مرات عديدة، لكني لم أفكّر أبداً بأنني من ذلك النوع من النساء اللواتي يقول لهنّ أزواجهن ذلك. سبق لنا أن أقسمنا بأن لا نتوجه إلى غرفة النوم غاضبين. سمعنا ثلاث نصائح من تلك التي يسمعها المتزوجون حديثاً تكراراً، مثل ضرورة تقديم التنازلات، والتواصل، وضرورة عدم التوجه إلى غرفة النوم غاضبين. لكن بدا لي أخيراً بأنني الطرف الوحيد الذي يقدّم التنازلات، وتواصلنا لم ينجح في حلّ أي شيء، كما أن نِك يُتقن الذهاب إلى غرفة النوم وهو غاضب. يُمكن لهذا الرجل أن يُقفل الباب على عواطفه. لم يتأخر نِك في البدء بالشخير فعلاً.

لم أتمكّن من منع نفسي من القيام بعملٍ محدد، حتى ولو كان ذلك ليس من شأني على الإطلاق، وحتى مع علمي بأن نِك سوف يغضب إذا علم بذلك: توجهتُ إلى سلة النفايات واستخرجت الإيصالات منها، وذلك كي أعرف أين أمضى الليل بأكمله. تبيّن لي بأنه قصدَ حانتين، وناديين. تخيّلته في كل واحدٍ من هذه الأماكن وهو يتحدث عني مع أصدقائه. أدركتُ بأنه لا بد وأنه تكلّم عني بسبب كل هذا الخبث الذي أبداه أمامي بكل سهولة. تمكنت كذلك من تخيّل الرجال في أحد النوادي المكلفة، وفي تلك النوادي الفخمة التي تجعل الرجال يعتقدون بأنهم مخلوقون كي يحكموا، وأن النساء خلقن لخدمتهم. تخيّلت كذلك الموسيقى الرديئة في القاعات المزودة بتجهيزات الصوت، والتي يُقصد أن تكون رديئة، بحيث لا يتمكن أحد من الكلام فيها. تصورت كذلك امرأةً تحيط بزوجي (وتقسم بأنها تفعل ذلك للتسلية فقط) بينما يسترسل شعرها على ظهرها. تخيّلت كذلك شفتيها اللتين تغطيهما طبقةً من أحمر الشفاه الملتمع، لكن لا يُفترض بي الشعور بأنني مهددة. أعرف بأن كل ذلك مجرد ألاعيب صبيانية يُفترض بي أن أسخر منها، لكن يجب أن أتمتع بروحٍ رياضية.

فتحتُ بعد ذلك تلك الورقة المطوية فلاحظت خطّ فتاة - حنة -

ورقم هاتفها. كنت أتمنى لو أن الأمر يشبه ما يحدث في الأفلام، أي إن يكون الاسم سخيفاً، مثل كاندي، أو بامبي، أو أي اسم يُمكن للمرء أن يسخر منه. تمنيت أن يكون الاسم المكتوب ميستي مع قلبين مرسومين فوق حرف I . لكن الاسم كان حنة، وهو اسم امرأةٍ حقيقية. أعرف أن نِك لم يُقدم على خيانتي أبداً، وهو أقسم لي بذلك، لكني أعرف كذلك بأنه يمتلك فرصاً كثيرةً لذلك. يمكنني أن أسأله عن حنة، وهو سوف يقول لي، لا أدري لماذا أعطتني اسمها، لكن لم أرغب أن أكون فظاً، وهكذا تقبلته منها. يُحتمل أن يكون كل ذلك صحيحاً، ويُحتمل أن لا يكون. يُمكنه أن يقوم بخيانتي من دون أن يُخبرني بذلك على الإطلاق، وهو سيقلّل من تقديري كثيراً لأنني لم أكتشف الأمر. سيراني قبالته على مائدة الفطور وأنا أتناول الحساء ببراءة، وسوف يعرف بأنني حمقاء، وكيف لأي شخص أن يحترم الحمقى؟

بدأت الآن بالبكاء، واسم حنة بين يدي.

إنه أمرٌ في منتهى الأنثوية، أليس كذلك؟ أعني الانطلاق من ليلة صبيانية وتكبيرها إلى خيانة زوجية من شأنها تدمير زواجنا.

لا أعرف ماذا يُفترض بي أن أفعل. أشعر بأنني زوجة تحب الصراخ، أو مجرد امرأة ضعيفة حمقاء - لا أعرف لأي فئة أنتمي. لا أريد أن أكون غاضبة، ولا يمكنني أن أقرّر ما إذا كان يجدر بي أن أكون غاضبة. فكرت في قضاء الليل في أحد الفنادق، وذلك كي أجعله يقلق بشأني، وذلك لمجرد التغيير.

مكثت في مكاني لدقائق قليلة، ثم أخذتُ نَفَساً عميقاً، وتوجهت إلى غرفة نومنا المشبعة برائحة الشراب، لكن عندما استلقيت على السرير استدار نحوي، وغمرني بذراعيه، وقرّب وجهه من عنقي. تلفظ كلانا، وفي الوقت ذاته بكلمة " أنا آسف " .

نِك دون

بعد مضي يوم

انطلقت فلاشات آلات التصوير، فأسرعت إلى إلغاء الابتسامة، لكن ليس بالسرعة الكافية. شعرت بموجة الحرارة وهي تلفّ عنقي، وما لبثت قطرات العرق أن تقاطرت فوق أنفي. غبي، نِك، غبي. لكن ما إن بدأت في استعادة سيطرتي على ذاتي حتى انتهى المؤتمر الصحفي، وهكذا فات وقت إعطاء أي انطباعٍ آخر.

سرت خارجاً مع آل إليوت. أحنيت رأسي مع انطلاق المزيد من الفلاشات. أوشكت على الوصول إلى الباب المخصّص للخروج عندما تقدّم جيلبين عبر الغرفة. أوقفني الرجل ثم قال: " أيمكنني التحدث معك لدقيقة يا نِك؟ " .

زوّدني جيلبين بآخر المستجدات، ثم عدتُ وإياه إلى المكتب: " قمنا بتفتيش ذلك المنزل في الحي الذي تسكنه، والذي دخل إليه مجهولون. يبدو أن بعض الأشخاص مكثوا هناك وتناولوا الطعام فيه. عثرنا كذلك على منزلٍ آخر على طرف المجمع الذي تسكنه، والذي يحتوي على بعض الساكنين " .

قلت: " أعني أن هذا هو ما يُقلقني. يخيّم الناس في كل مكان. يبدو أن هذه البلدة مليئة بالمطرودين، والعاطلين عن العمل " .

كانت قرطاجة حتى قبل سنةٍ من الزمن مدينة شركة، وكانت تلك الشركة هي ريفر واي مول المزدهرة. كان مركز التسوق هذا مدينة صغيرة بحد ذاتها، وهو الذي كان يحتوي على أربعة آلاف موظف من السكان المحليين - أي خُمْس السكان. شُيّد ريفر واي مول في العام 1985 ، وكان مركز تسوق كبير بهدف جذب المتسوقين من كل منطقة الغرب الأوسط. ما زلت أذكر يوم الافتتاح عندما كنت أنا وجو، ووالدتي ووالدي، نتفرج على الاحتفالات من آخر صفٍّ من الحشود في موقف السيارات الشاسع، وذلك لأن والدي كان يرغب في أن يتمكن من المغادرة بسرعة من أي مكانٍ كان. اعتدنا في مباريات كرة القاعدة أن نركن السيارة قرب المخرج لكي نخرج عند الجولة الثامنة. كنت أعبّر مع جو عن سلسلة متوقعة من الاعتراضات الفظة: إننا لا نبقى حتى نهاية المباراة. لكن ابتعادنا هذه المرة كان مرغوباً فيه، وذلك لأننا مضطرون لاستيعاب المدى الكامل لهذه المناسبة: الجمهور الذي يفتقد إلى الصبر، والذي يستريح بتغيير استناده من

قدمٍ إلى أخرى، ورئيس البلدية الذي يقف فوق منصة بألوانٍ ثلاثة، الأحمر والأبيض والأزرق، والكلمات الرائجة: الفخر، والنمو، والازدهار، والنجاح، وهي كلها تخيّم علينا، والجنود في ميدان معركة الاستهلاك، وهم المسلحون بدفاتر شيكاتٍ ذات الأغلفة الجلدية والحقائب اليدوية المزخرفة. أتذكر كذلك الأبواب وهي تُفتح والاندفاع نحو القاعات التي تتمتع بتكييف الهواء، والموسيقى المسجلة سلفاً، ورجال المبيعات المبتسمين، والذين كانوا جيراننا. سمح لنا والدي بالدخول في ذلك اليوم، كما انتظر دوره في الطابور ليشتري لنا شيئاً: أكواباً بلاستيكية تفوح منها رائحة عصير برتقال.

بقي ريفر واي مول لفترة ربع قرن علامةً مميزة. لكن الركود الاقتصادي برز فجأة. أقفل ريفر واي متجراً إثر متجر إلى أن أُقفل مركز التسوق الضخم بأكمله. يعني ذلك أن هذا المركز يشكّل اليوم ما مساحته مليونَي قدم مربع من الصدى. لم تأتِ أي شركة لتدعي ملكيتها له، كما امتنع رجال الأعمال عن تقديم أي خطة لإنقاذه، ولم يعرف أحد مصيره، أو مصير الأشخاص الذين عملوا هناك، بمن فيهم والدتي التي خسرت وظيفتها في شو - بي - دو - بي، وهكذا خسرت عقدين من الزمن ركوعاً، وترتيباً للعُلب وجمع الجوارب المليئة بالعرق، وهي التي مضت من دون أي حفلٍ وداعي.

أدى انهيار هذا المركز التجاري إلى إفلاس قرطاجة عملياً. خسر الناس وظائفهم، وخسروا منازلهم، كما عجز أي شخص عن توقّع أي شيء حسن في وقتٍ قريب. إننا لا نرى نهاية لهذا الوضع. لكن بدا بأنني وجو نرى هذه النهاية، وهو ما سنراه جميعاً.

توافق هذا الإفلاس مع حالتي النفسية توافقاً تاماً. شعرت بالملل على مدى سنواتٍ عدة. لا أقصد ذلك الملل الطفولي المترافق مع التأوه (بالرغم من أنني لم أكن بعيداً عن ذلك)، لكني أتكلم عن الانزعاج الشديد الذي يغلّف كل المشاعر. بدا لي بأنه لم يبقَ أمامي أي شيء يمكنني اكتشافه. بدا لي أن مجتمعنا ما هو إلا مجتمع ثانوي بشكل تامٍ ومدمر. إننا أوائل البشر الذين لم يعد بإمكانهم أن يروا أي شيء للمرة الأولى بشكلٍ مباشر. إننا نحدّق في عجائب هذا العالم بعيون متعبة. الموناليزا، الأهرامات، مبنى إمباير ستايت، حيوانات الغابات أثناء هجومها، وجبال الجليد القديمة المنهارة، وانفجار البراكين. إنني عاجزٌ عن تذكّر رؤية أي شيء بشكلٍ مباشر من دون أن يسبق لي رؤيته في فيلمٍ سينمائي أو في برنامجٍ تلفزيوني، أو ربما في إعلانٍ تلفزيوني بائس. إننا نعلم جميعاً أنشودة الدهشة: لقد رأيته

من قبل. إنني رأيت كل شيء فعلياً، والأسوأ من كل ذلك، والأمر الذي يدفعني إلى الجنون، فهو: إن الاختبار الثاني هو الأفضل على الدوام، فالصورة تبدو أكثر نقاءً، والمنظر أكثر دقة، كما أن زاوية الكاميرا، والتسجيل الصوتي يؤثران على عواطفي بطريقةٍ يعجز الواقع عنها بعد الآن. لا أعرف ما إذا كنا إنسانيين [بشراً] فعلاً عند هذه النقطة، أعني نحن الذين نشأنا مع التلفزيون، والأفلام السينمائية، والآن مع الإنترنت. إننا نعرف الكلمات المناسبة لنقولها إذا ما تعرضنا للخيانة؛ وكذلك نعرف الكلمات التي نقولها، والتي تناسب وفاة أحد أحبائنا. نعرف ما نقول إذا أردنا لعب دور القيادة، أو الطرف الذكي أو الأحمق. إننا ننطلق على الدوام من النص النمطي ذاته.

إننا نعيش في عصرٍ يصعب فيه كثيراً على المرء أن يكون إنساناً [أو شخصاً]، بدلاً من مجموعة من سمات الشخصية المنتقاة من شخصيات معلبةٍ سلفاً.

لكن إذا كنا جميعاً نقوم بالتمثيل فعندها لا يمكن أن يتواجد شيء اسمه شقيق الروح، وذلك لأننا لا نمتلك أرواحاً أصيلة.

يبدو بأننا وصلنا إلى النقطة التي يبدو فيها بأن لا شيء يهم، لأنني لست شخصاً حقيقياً، وكذلك الآخرون.

لكنني مستعد لأن أفعل أي شيء كي أشعر بأنني حقيقي مجدداً.

فتح جيلبين باب الغرفة ذاتها التي استُجوبتُ فيها في الليلة السابقة. شاهدتُ في وسط الطاولة الصندوق، وكان نذير شؤم في مركزه الجديد. اجتاحتني موجة من الرعب. لماذا لم أعثر على الصندوق من قبل؟ كان يجب أن أعثر عليه.

قال جيلبين: " هيا. نريدك أن تلقي نظرة على هذا " .

فتحته بحذرٍ شديد، وكأنني سوف أعثر على رأسٍ في داخله. لم أجد سوى مظروفٍ أزرق مصقول مكتوبٌ عليه اللغز الأول.

ابتسم جيلبين بسخرية: " أريدك أن تتصور الإرباك الذي نشعر به. إننا نعالج قضية شخصٍ مختفٍ، وها إننا نجد مظروفاً مكتوباً عليه اللغز الأول " .

" يتعلق هذا المظروف بلعبة البحث عن الكنز التي تعدها زوجتي... "
.

" صحيح. إنها تتعلق بذكرى زواجكما. ذكر لنا والد زوجتك هذا " .

فتحتُ المظروف وسحبتُ منه ورقة باللون الأزرق السماوي، وكانت جزءاً من أوراق آمي الخاصة بها، وكانت مطوية طيةً واحدة. شعرت بالاختناق. كانت عمليات البحث عن الكنز التي تعدها زوجتي تؤدي إلى سؤالٍ واحد. مَن هي آمي؟ (بماذا تفكر زوجتي؟ ما هي الأشياء التي كانت تعتبرها مهمة خلال السنة الماضية؟ وما هي اللحظات التي أعطتها أكبر قدرٍ من السعادة؟ آمي، آمي، آمي، دعونا نفكّر في آمي).

قرأت اللغز الأول بأسنانٍ مصطكة رعباً، فبالنظر إلى وضع زواجنا في السنة الماضية كانت حالتي يرثى لها.

أتصوّر نفسي تلميذتك،
مع أستاذ بهذه الوسامة والحكمة
ينفتح ذهني (دون أن أذكر فخذيّ!)
لو كنتُ تلميذتك فلن تكون هناك حاجة للزهور
لربما موعدٌ مسروقٌ خلال ساعات عملك
أسرِع إذاً، وابدأ بالعمل، أرجوك
سأعلّمك هذه المرة شيئاً أو اثنين.

كان ذلك خريطة طريق لحياة بديلة. أما لو سارت الأمور بحسب رؤية زوجتي، لكانت اقتربت مني البارحة وأنا أقرأ هذه الأبيات، ولكانت راقبتني بتلهف، بينما الأمل يصدر عنها مثل الحمى: أرجوك اعثر على هذه. أرجوك اعثر عليّ.

كانت ستقول أخيراً، إذاً؟ وسأقول عندها:

" أوه، إنني أعرف هذا فعلاً! لا بد من أنها تعني مكتبي الكائن في الكلية. إنني أستاذٌ مساعد هناك. أعني لا بد وأنها تعني ذلك المكان، أليس كذلك؟ " . أعدت قراءة المقطع بعينين شبه مغمضتين. " هوّنت عليّ الأمر لهذه السنة " .

سألني جيلبين: " أتريدني أن آخذك بالسيارة إلى هناك؟ " .

" إنني أقود سيارة جو " .

" إذاً سوف أتبعك " .

" أتعتقد بأن الأمر هام؟ " .

" حسناً. يُظهر لنا هذا تحركاتها قبل يومٍ أو يومين من اختفائها، لذلك لا يمكننا القول إن الأمر غير هام " . نظر جيلبين إلى الورقة، وقال:

" إنها جميلة، أليس كذلك؟ يشبه الأمر ما نشاهده في أفلام السينما: البحث عن الكنز. إنني أتبادل البطاقات أنا وزوجتي في هذه المناسبة، وربما نُحضر بعض الطعام. يبدو أنكما تقومان بالأمر الصحيح، أي إنكما تحافظان على الرومانسية " .

ثم نظر جيلبين بعد ذلك إلى حذائه، وبدا خجِلاً، ثم حرّك مفاتيحه في إشارةٍ لنا للمغادرة.

قدّمت لي الكلية مكاناً كئيباً لا يتسع سوى لطاولة، وكرسيين، وبعض الرفوف. مررتُ أنا وجيلبين بطلاب الكلية الذين يدرسون في الصيف، وهم يشكّلون مجموعةً من الشبان الصغار (الذين يظهر عليهم السأم بالرغم من انشغالاتهم، فأصابعهم مشغولة بالنقر على نصوص الملفات، أو بالبحث عن مقطوعاتٍ موسيقية) وكذلك مررنا بأشخاص طيبين أكبر سناً، والذين افترضتُ بأنهم من موظفي مركز التسوّق الكبير الذين صُرفوا من العمل، ويحاولون التدرّب على مهنة جديدة.

سألني جيلبين: " ماذا تدرّس؟ " .

" صحافة، صحافة المجلات " . مرّت بقربي فتاة تنقر نصاً وهي تسير، ويبدو أنها كانت منشغلة تماماً فكادت تصطدم بي. ابتعدت الفتاة جانباً من دون أن ترفع نظرها. دفعني ذلك إلى الغضب الشديد. بدت، وكأنها تريد أن تقول ابتعِد عن طريقي أيها العجوز!

" ظننت بأنك لم تعد تعمل بالصحافة بعد الآن " .

قلتُ مبتسماً: " وهو الذي لا يستطيع أن... " .

فتحتُ باب مكتبي ودخلتُ جوّه المشبع بالغبار ورائحة المكان المقفل. كنت قد أخذتُ إجازة الصيف، وهكذا مرّت أسابيع عدة منذ أن دخلتُ إليه. رأيت مظروفاً آخر على طاولتي وقد كُتب عليه اللغز الثاني.

سألني جيلبين: " هل تحتفظ بمفاتيحك في سلسلة؟ " .

" أجل " .

" يعني ذلك أن آمي استعارتها للدخول إلى مكتبك؟ " .

فتحتُ المظروف من جانبه.

" لدينا مفاتيح احتياطية في المنزل " . اعتادت آمي الاحتفاظ بنسخة إضافية من كل شيء، وذلك لأنه كثيراً ما كانت تضيع مني المفاتيح، وبطاقات الائتمان، والهواتف الخلوية، لكني لم أرغب أن أخبر جيلبين بهذا. لم أرغب بإضافة دليلٍ آخر على تهمة طفل العائلة المدلل. " لماذا؟ " .

" أوه، أردتُ فقط التأكد من أنها غير مضطرة إلى طلب المفاتيح من البواب، أو أي شخصٍ آخر " .

" لاحظت أنه لا وجود لما يشبه فريدي كرويجر هنا " .

أجاب جيلبين: " لم يسبق لي أبداً أن شاهدت هذه الأفلام " .

وجدت داخل المظروف ورقتين مطويتين. حملت إحدى الورقتين رسم قلب، بينما كُتب على الثانية كلمة لغز.

ملاحظتان اثنتان، ومختلفتان. شعرت بانقباضٍ في معدتي. لا يعلم إلا الله وحده ماذا تنوي آمي أن تقوله. فتحت الورقة التي تحمل رسم القلب، لكني تمنيت لو لم أسمح لجيلبين بالمجيء معي، وما لبثت أن رأيت الكلمات الأولى.

زوجي العزيز

اعتبرتُ أن هذا المكان هو المكان المثالي - قاعات التعليم الفارغة - كي أخبرك بأنك رجلٌ لامع. لم أقل لك ما يكفي، تلك الإحصائيات والحوادث الغريبة، والحقائق الغريبة وقدرتك المربكة على الاقتباس من أي فيلم، وبديهتك السريعة، والطريقة الجميلة التي تعبر بها بالكلمات عن الأشياء. أعتقد بعد كل هذه السنين التي قضيناها معاً بأنه يُمكن للزوجين نسيان روعة التقائهما معاً. إنني أتذكر عندما التقينا للمرة الأولى كيف ذُهلت بك، ولهذا أريد أخذ لحظة من الزمن لأخبرك بأنني ما زلت معجبة بك، وأن أكثر ما أحبه فيك هو أنك رجلٌ لامع.

امتلأ فمي باللعاب، وكان جيلبين يقرأ من فوق كتفي، وما لبث أن تأوه بالفعل، ثم قال: " يا للسيدة الرائعة " . تنحنح بعد ذلك وأضاف: " هاه. هل هذه لك؟ " .

استخدم طرف الممحاة من قلم الرصاص ليرفع زوجاً من ملابس النساء الداخلية (تقنياً كانت هذه عبارة عن سروالٍ داخلي - ضيق، ومطرز، وباللون الأحمر - لكني أعرف أن النساء يجفلن من تلك الكلمة - وبالمناسبة فإن غوغل تكره كلمة panties) . كان هذا اللباس الداخلي معلقاً على مقبض في جهاز تكييف الهواء.

" أوه، هذا محرجٌ جداً " .

انتظر جيلبين تفسيراً ما.

" آه، في إحدى المرات كنت أنا وآمي. حسناً يمكنك أن تقرأ رسالتها. أردنا تلطيف الأجواء قليلاً في بعض الأحيان " .

ابتسم جيلبين. " أوه. فهمت الآن، الأستاذ الذي يشعر بالإثارة، والطالبة المستهترة. فهمت الآن. إنكما تقومان بالشيء الصائب تماماً " . مددت يدي نحو اللباس الداخلي، لكن جيلبين سبقني بإخراج كيس الأدلة من جيبه، وما لبث أن دسّه فيه. قال من دون أن يوضح: " إنه مجرد إجراء احترازي " .

قلت قبل أن أتمكن من كبح جماح كلماتي: " أوه، أرجوك لا تفعل. ستموت آمي... " .

" لا تقلق يا نِك. إنه مجرد إجراء روتيني يا صديقي. إنك لن تصدق العقبات التي يتعيّن علينا أن نتجاوزها. إننا نفعل ذلك تحسباً، وتحسباً فقط. هذا غريب جداً. ماذا يقول اللغز؟ " .

سمحت له أن يقرأ الرسالة من فوق كتفي مجدداً، لكن رائحته النفاذة دفعتني إلى تشتيت تركيزي.

سألني: " إذاً، ماذا تعني هذه؟ " .

قلت كاذباً: " لا أعرف... " .

تخلصت أخيراً من جيلبين، ثم قدت السيارة من دون مقصدٍ معيّن عبر الطريق السريعة، لكني فكرت في تفحص هاتفي الخلوي ذي الخط المؤقت. لم أجد شيئاً، لكني لم أترك رسالة. قدتُ السيارة بسرعة أكبر لفترة أطول، وكأن بإمكاني التوجه إلى أي مكان، ثم استدرتُ بالسيارة وقُدتها نحو خمس وأربعين دقيقة عائداً إلى المدينة لزيارة آل إليوت المقيمين في فندق دايز إن. سرت نحو الردهة التي كانت مكتظة بأعضاء اتحاد باعة الغرب الأوسط كانت حقائبهم المدولبة مركونة في كل مكان بينما انشغل مالكوها بالمشروبات المجانية بأكواب بلاستيكية صغيرة، ويتواصلون مع شبكة الإنترنت، ويُطلقون الضحكات المصطنعة والغريبة، بينما كانوا يبحثون عن بطاقات الزيارة. دخلت إلى أحد المصاعد مع ستة رجال، وكلهم يتميزون بالصلع، ويرتدون أزياء باللون الخاكي، والقمصان الخاصة بلعبة الغولف والحبال المجدولة التي تتدلى لتصل حتى البطون البارزة off bouncing lanyards bellies married .

فتحت لي ماريبيت الباب بينما كانت تتكلم بهاتفها الخلوي. أشارت إلى جهاز التلفزيون، وهمست لي: " لدينا صينية مليئة بشرائح اللحم المطبوخة إذا أردت يا عزيزي " . توجهت بعد ذلك إلى الحمّام، وأقفلت الباب بينما استمرت في تمتماتها.

خرجت بعد دقائق قليلة في الوقت الذي بدأت فيه نشرة أخبار

سانت لويس للساعة الخامسة بالتوقيت المحلي، وهي النشرة التي كان عنوانها الرئيس اختفاء آمي. همست ماريبيت أمام الشاشة حيث كانت تحدّق بنا صورة آمي: " صورة رائعة. سيراها الناس وسوف يعرفون حقاً كيف تبدو آمي " .

فكّرت في هذه الصورة - صورة رأسية التُقطت بسبب حب آمي للتمثيل - الجميلة لكن المقلقة. تعطي صور آمي إحساساً بأنها تراقبك فعلاً، أي مثل ما كانت لوحات المنازل القديمة التي تتحرك أعين أصحابها من اليسار إلى اليمين.

قلت: " يتعيّن علينا إحضار بعض الصور الواضحة الجديدة كذلك، أي الصور التي تلتقط الحياة اليومية " .

أومأ آل إليوت واحداً بعد الآخر، لكنهما لم يقولا شيئاً واكتفيا بالمشاهدة. أما بعد انتهاء المشهد فقد خرق راند الصمت المخيّم، وقال: " أشعر بالغثيان " .

قالت ماريبيت: " أعرف ذلك " .

انحنى راند إلى الأمام، واضعاً يديه على ركبتيه وكأنه يتهيأ للنهوض من دون أن يتمكن من ذلك. سألني: " كيف حالك يا نِك؟ " .

" أشعر بالاضطراب الشديد في واقع الأمر. أشعر بأنه لا فائدة تُرجى مني " .

وقف راند أخيراً، وقال: " أتعرف؟ أريد أن أسألك عن موظفيك يا نِك. توجّه إلى الثلاجة الصغيرة، وسكب لنفسه بعضاً من شراب الزنجبيل، ثم التفت نحوي، ونحو ماريبيت. " أيريد أحدكم شيئاً؟ أي شيء؟ " هززتُ رأسي بالنفي، بينما طلبت ماريبيت بعض الصودا.

سأل راند بصوتٍ عميق، لكنه علا مع الكلمة الأخيرة: " أتريدين بعض الشراب معه يا حبيبتي؟ " .

أغمضت ماريبيت عينيها، وانحنت قليلاً، ثم وضعت رأسها بين ركبتيها وقالت: " بالتأكيد. أجل، أريد ذلك " . أخذتْ بعد ذلك نَفَساً عميقاً، ثم عادت إلى وضعها السابق بالضبط، وكأنها كانت تؤدي حركة من تمرينات اليوغا.

قلت: " أعطيتهم أسماء الجميع. لكن ذلك لن يفيد شيئاً يا راند. لا أعتقد أن ذلك هو المكان المناسب للبحث فيه " .

وضع راند يده فوق فمه، ثم حرّكها صعوداً فانضغطت عضلات خده حول عينيه. " بالطبع، إننا نفعل الأمر ذاته في عملنا يا نِك " .

اعتاد راند وماريبيت الإشارة إلى سلسلة آمي الرائعة على أنها عملهما، وهو الأمر الذي اعتبرته سخيفاً على الدوام: إنها كتب للأطفال، وهي التي تدور أحداثها حول فتاة صغيرة ونموذجية، والتي تظهر صورها على جميع أغلفة الكتب، والتي هي رسم كاريكاتوري لآمي التي تخصّني [زوجتي] . لكن بطبيعة الحال كان ذلك عملاً، وعملاً كبيراً. بقيت هذه الكتب لعقد من الزمن من ضروريات المدارس الابتدائية، وعلى الأخص بسبب الاختبارات التي تظهر في نهاية كل فصل.

تقوم آمي في كتب الصف الثالث على سبيل المثال بالإمساك بصديقها بريان وهو يُطعم سلحفاة الصف بقدرٍ أكثر من القدر المناسب. حاولت آمي إقناعه منطقياً، لكنه عندما استمر في إعطاء السلحفاة المقادير الإضافية ما كان منها إلا أن وشت به إلى معلمتها: " سيدة تيبيلز. لا أريد أن أكون مخبرة، لكنني لا أعرف ماذا أفعل. حاولت إقناع بريان بنفسي، لكن الآن... أعتقد بأنني أحتاج إلى مساعدة شخصٍ بالغ... " أما النتيجة فكانت:

1) أبلغ بريان آمي بأنها صديق غير جدير بالثقة، وتوقف عن التحدث معها.

2) أما صديقتها التي تفتقد إلى الشجاعة سوزي، فقالت إنه لم يكن يجدر بآمي أن تُبلغ بالأمر، بل كان الأجدر بها أن تستخرج الطعام الزائد سراً من دون معرفة بريان.

3) أما صديقة آمي الأخرى جوانا، فقالت إن آمي شعرت بالغيرة، وإنها أرادت أن تطعم السلحفاة بنفسها.

4) رفضت آمي التراجع - لأنها شعرت بأنها فعلت الشيء الصائب.

لكن مَن هو على حق؟!

حسناً، الأمر في غاية السهولة، لأن آمي دائماً على حق، وفي كل قصة. (لا أريد أن يعتقد القارئ بأنني لم أُثِر هذا الأمر في جدالي مع آمي الحقيقية، وذلك لأنني فعلتُ ذلك أكثر من مرة).

إن هذه الاختبارات، والتي كتبها عالما نفس، وهما والدان مثلك! كان من المفترض بها اختبار سمات شخصية الطفل: هل إن ولدك يميل إلى الانعزال، ولا يتحمل أن يقوم أحد بتصحيح أخطائه، أي مثل بريان؟ أم إنه يشجّع الآخرين على سلوكهم الخاطئ، أي مثل سوزي؟ أم إنه يميل إلى إثارة المشاعر، أي مثل جوانا؟ أم إنه مثالي، أي مثل آمي؟ شاعت تلك الكتب كثيراً بين أوساط طبقة الموظفين المتخرجين الصاعدة: كانت مرجعاً

موثوقاً في تربية الأولاد، وكانت بمثابة مكعب روبيك في تنشئة الأطفال. تحوّل آل إليوت إلى أثرياء بفضل هذه الكتب. وصل الأمر إلى حد أن كل مكتبة مدرسة في أميركا كانت تحتوي على كتاب آمي الرائعة.

سألته: " هل يساورك القلق بأن هذا قد يرتبط بأعمال آمي الرائعة؟ " .

قال راند: " لدينا بالفعل عدد قليل من الأشخاص الذين يستحقون أن نتفحصهم " .

أطلقتُ ضحكة قبل أن أقول: " هل تظن بأن جوديت فيورست هي التي خطفت آمي لصالح ألكساندر كي لا يعاني مجدداً من أيامٍ صعبة ورهيبة، وسيئة، وسيئةً جداً؟ " .

تطلع راند وماريبيت نحوي وهما يوحيان بالدهشة والإحباط. كان ذلك شيئاً بلا طعم وغير مناسبٍ. يبدو بأن دماغي كان مليئاً بكل الأفكار غير المناسبة في الظروف غير المناسبة. كانت تلك أموراً ذهنية يصعب عليّ السيطرة عليها. بدأت بإنشاد أغاني " بوني موروني " بيني وبين نفسي كلّما رأيت صديقتي الشرطية. إنها نحيلة مثل قضيب معكرونة. ردّد دماغي ذلك الإيقاع بينما كانت التحرّية روندا بوني تخبرني عن تفتيش النهر بحثاً عن زوجتي المفقودة. أبلغت نفسي إن كل ذلك هو مجرد آلية دفاعية، مجرد آلية دفاعية غريبة، لكني أحب أن تتوقف.

غيّرت وضع ساقي بكل عناية، كما تكلمت بدقة، وكأن كلماتي مجرد مجموعة من أواني القاشاني غير المرتبة. " أنا آسف. لا أدري لماذا قلتُ ذلك " .

قال راند: " إننا متعبون جميعاً " .

قالت ماريبيت: " سيحضر رجال الشرطة ليحاصروا فيورست، وكذلك تلك الساقطة بيفرلي كليرلي " . كان ذلك عذراً أكثر منه دعابة.

قلت: " أعتقد بأنه كان يجب عليّ أن أقول لكم عن الشرطة. إن هذا أمرٌ عادي في هكذا نوع من القضايا... " .

قال راند مقاطعاً: " تفحُّص الزوج أولاً. أعرف هذا. قلتُ لهم بأنهم يضيعون وقتهم. كانت الأسئلة التي طرحوها علينا... " .

تدخلت ماريبيت بالقول: " كانوا عدائيين بعض الشيء " .

تقدمتُ نحو الثلاجة الصغيرة، وسكبتُ لنفسي شراباً، وقلت: " إذاً، تحدثوا معكم؟ تحدثوا عني؟ " شربت ثلاث جرعاتٍ متتالية، لكني شعرت بأنني في وضعٍ أسوأ على الفور. كانت معدتي مضطربة وأحسست بضغطٍ في

المريء. " أيّ نوعٍ من الأسئلة طرحوها عليكم؟ " .

" سألونا ما إذا سبق لك أن آذيتَ آمي، وما إذا كانت آمي تحدثت عن تهديدك لها. وسألونا ما إذا كنتَ زير نساء، وما إذا كانت آمي ذكرت بأنك خنتَها. قالوا، أليس هذا متوقعاً من آمي؟ لكني أجبتهم بأن ابنتنا ليست ضعيفة " .

وضع راند إحدى يديه على كتفي، وقال: " نِك، كان يجدر بنا أن نقول قبل كل شيء آخر: نعرف بأنك لا تؤذي آمي على الإطلاق، حتى أنني أخبرتُ رجال الشرطة. أخبرتهم قصة حمايتك للفأر من مصيدة الغراء في ذلك المنزل على الشاطئ " . تطلع راند نحو مارييبت، وكأنها لم تعرف بهذه القصة، فما كان من مارييبت إلا أن أعطته كامل انتباهها. " أمضيتَ ساعةً وأنت تحاول الإمساك بذلك اللعين، وبعد ذلك وضعتَ ذلك الفأر الصغير اللعين في السيارة، ونقلته إلى خارج المدينة؟ " .

شعرت بموجة ذنبٍ شديدة، وبانزعاجٍ شديدٍ تجاه نفسي. شعرت أخيراً، وللحظة من الزمن، بأنني على وشك الانخراط في البكاء.

قال راند وهو يقرصني للمرة الأخيرة: " إننا نحبك يا نِك. أنتَ ابننا. إننا آسفون جداً لأنه، عدا فقدان آمي، يتعيّن عليك مواجهة سحابة الشك هذه " .

كرهتُ عبارة سحابة الشك، وكنت أفضّل بدلاً منها عبارة تحقيق روتيني، أو مجرّد شكليات.

قالت مارييبت بعد أن تطلعت نحوي من دون اكتراث: " تساءلوا عن حجزك لطاولة في ذلك المساء " .

" الحجز؟ " .

" قالوا إنك أبلغتهم بأنه لديك حجزاً في مطعم هيوستن. لكنهم تحققوا من ذلك، فاكتشفوا بأنه لا وجود لذلك الحجز. بدا بأنهم مهتمون بذلك " .

لم يكن لديّ أي حجز، ولم يكن لديّ أي هدية، لأنني لم أكن بحاجة لذلك الحجز في تلك الليلة، أو لتحضير هدية لم تكن لتستلمها إطلاقاً فيما لو خطّطتُ لقتل آمي في ذلك اليوم. تُعتبر تلك من سمات القاتل البراغماتي [الواقعي] جداً.

لكني براغماتي إلى حد اقتراف الخطأ. يُمكن لأصدقائي أن يُبلغوا رجال الشرطة بهذا، وبكل تأكيد.

" آه، كلا. كلا، لم أقم بأي حجز. لا بد وأنهم أساؤوا فهمي. سأقول

لهم ذلك " .

تهالكتُ على أريكة بقرب ماريبيت، وذلك لأنني لم أرغب بأن يلمسني راند مجدداً.

قالت ماريبيت: " أوه. حسناً. هذا جيد. هل قمتَ بعملية البحث عن الكنز هذه السنة؟ " لكن لون عينيها تحوّل إلى الأحمر مجدداً. " قبل... " .

" أجل. أعطوني اللغز الأول هذا اليوم. عثرتُ أنا وجيلبين على اللغز الثاني في مكتبي في الكلية. إنني ما زلت أفكر فيه " .

سألتني والدة زوجتي: " أيمكننا إلقاء نظرةٍ عليه؟ " .

قلتُ كاذباً: " إنني لا أحمله معي " .

سألتني ماريبيت: " هل... هل ستحاول حلّ هذا اللغز يا نِك؟ " .

" سأفعل يا ماريبيت. سأقوم بحلّه " .

" إنني أكره أن تُترك الأشياء التي لمَسَتها هناك... " .

رنّ هاتفي، والذي يجب أن أتخلص منه، لكني تطلعت على شاشته، ثم أقفلته. يتعيّن عليّ أن أتخلص من هذا الشيء، لكن لم أحصل بعد على الفرصة.

قالت ماريبيت: " يجب أن تردّ على كل مكالمة يا نِك " .

" عرفتُ المتصل. إنه أحد زملائي من المتخرجين والذي يبحث عن تبرعات " .

جلس راند على الأريكة بقربي. غرقت الوسائد القديمة، والتي عانت كثيراً من كثرة الاستهلاك تحت أوزاننا، وهكذا اندفعتُ نحو راند وتلامس ذراعانا، وهو أمرٌ لم ينزعج منه. كان راند من ذلك النوع من الرجال الذي يقول إنني أحب العناق كلما اقترب منك، وذلك من دون أن يسأل ما إذا كان ذلك الشعور متبادلاً.

عادت ماريبيت إلى الحديث عن الأعمال: " إننا نعتقد بأنه من المحتمل بأن يكون أحد المهووسين بآمي هو الذي أخذها " . التفتت نحوي وكأنها تعرض قضيةً أمامي. " صادفنا بعض هؤلاء عبر السنين " .

كانت آمي مغرمةٌ بتجميع قصص عن الرجال المغرمين بها. كانت تتحدث عن الذين يلاحقونها بنبرةٍ مكتومة ومع أكواب الشراب، وذلك على فتراتٍ متقطعةٍ خلال زواجنا - الرجال الذين ما زالوا هناك، والذين يفكرون فيها على الدوام، ويرغبون في التقرّب منها. شككتُ بأن تكون هذه القصص مبالغاً فيها: كان الرجال خطرين على الدوام، لكن إلى درجةٍ محددةٍ جداً بحيث تكون كافية لإثارة قلقي، لكنها ليست كافية لجعل طلب الشرطة

أمراً ضرورياً. يعني ذلك أن الأمر ما هو إلا عالم مسرحي ألعب فيه دور البطل الذي ينفخ صدره بالنسبة إلى آمي، والمدافع عن شرفها. كانت آمي مستقلةً جداً، وإلى أقصى درجات الحداثة، وهي كذلك إلى درجة لا تعود معها قادرة على تقبّل الحقيقة: أرادت أن تلعب دور الأميرة.

" هل حدث ذلك مؤخراً؟ " .

قالت ماريبيت وهي تعضّ على شفتها: " كلا. ليس منذ وقتٍ قريب. لكن كانت هناك فتاة مضطربة كثيراً في المدرسة الثانوية " .

" ماذا تعني بكلمة مضطربة؟ " .

" كانت مهووسة بآمي. حسناً، كانت مهووسة بآمي الرائعة. كان اسمها هيلاري هاندي، وكانت تتصرف على شاكلة سوزي، وهي صديقة آمي المفضلة في الكتب. كانت جذابة في البداية على ما أعتقد. بدا أن هذا لم يعد كافياً بعد ذلك بالنسبة إليها. أرادت أن تكون آمي الرائعة، وليس سوزي التي تلعب دوراً ثانوياً. بدأت الفتاة بتقليد آمي التي هي في كتبنا. ارتدت ملابسها مثل آمي، كما صبغت شعرها باللون الأشقر، كما أنها بدأت بالتواجد بالقرب من منزلنا في نيويورك. كنت أسير ذات مرة في الشارع فرأيت هذه الفتاة الغريبة وهي تتقدم راكضةً نحوي، وما لبثت أن أحاطت ذراعها بذراعي، وقالت: " سأكون ابنتكِ الآن. سأقوم بقتل آمي، وسأكون آمي الجديدة لك. إنك لا تهتمين بهذا التغيير، أليس كذلك؟ أعني طالما لديك آمي. بدا الأمر وكأن ابنتنا ما هي إلا قطعة من تلك القصة الخرافية، والتي يمكننا إعادة كتابتها " .

قال راند: " حصلنا في النهاية على أمرٍ بحجز تلك الفتاة لأنها رمت بابنتنا على الدرج في المدرسة. إنها فتاة مضطربة جداً. إن ذلك النوع من الذهنية لا يتلاشى أبداً " .

قالت ماريبيت: " جاء ديزي بعد ذلك " .

قال راند: " وديزي " .

كنت على علم بأمر ديزي. التحقت آمي بمدرسة داخلية في ماساشوستس تدعى آكاديمية ويكشاير. سبق لي أن رأيت صوراً تمثّل آمي وهي ترتدي تنانير للرياضة، وتضع ربطات رأس وكانت هذه الصور تُظهر خلفياتٍ خريفية على الدوام، وكأن المدرسة لا تستند إلى المدينة بل إلى شهر تشرين الأول. التحق ديزي كولينغز بمدرسة داخلية للفتيان، والتي كانت في وضع توأمة مع ويكشاير. كان ديزي في قصص آمي شاحباً، وشخصيةً رومانسية، كما أن علاقتهما كانت من ذلك النوع الذي يشيع في

المدارس الداخلية: مباريات كرة القدم الباردة، وحفلات الرقص الساخنة، والملابس الضيقة ذات اللون الليلكي، ورحلات بسيارة جاغوار تقليدية. كان كل شيء ينتمي قليلاً إلى منتصف القرن.

كانت آمي تواعد ديزي، وكانت العلاقة جدية على مدى عام. لكنها بدأت في اعتباره مقلقاً: تكلم معها وكأنهما في وضع خطوبة، وقال بأنه يعرف عدد أولادهما وأجناسهم. قال بأنهم سوف ينجبون أربعة أولاد، وكلهم من الصبيان. كان ذلك يشبه وضع أسرة ديزي بشكلٍ مريب، كما أنه عندما أحضر والدته للاجتماع بها شعرت آمي بالدهشة بسبب التشابه المذهل القائم ما بينها وبين السيدة كولينغز. قبّلتها السيدة الأكبر منها سناً في خدّها ببرودة، ثم همست بهدوء في أذنها، " حظاً سعيداً " . لم تعرف آمي ما إذا كانت هذه الكلمات تحذيراً أم تهديداً.

قطعت آمي علاقتها مع ديزي، لكنه ظل يحوم حول حرم مدرسة ويكشاير، وكان أشبه ما يكون بالشبح بكنزته السوداء، بينما كان يتكئ على أشجار سنديان قديمة وقد تساقطت أوراقها. عادت آمي ذات مرة من حفلة رقص جرت في إحدى ليالي شباط، لكنها لم تلبث أن وجدته في سريرها، وكان عارياً فوق أغطية السرير. بدا مضطرباً نتيجة تناوله حبوباً تزيد قليلاً عن المعدل المقبول. ترك ديزي المدرسة بعد ذلك بوقتٍ قصير.

لكنه ظلّ يتحدث معها بالهاتف، وحتى الآن، كما أرسل لها مظروفاتٍ سميكة ومليئة وهي التي كانت ترميها من دون أن تفتحها، لكنها فعلت ذلك بعد أن تعرضها عليّ. حملت هذه المظروفات ختم بريد سانت لويس، لكن الفاصل الزمني ما بين إرسال مظروفٍ وآخر لم يزد عن أربعين دقيقة. أخبرتني ذات مرة: " إن هذه مصادفة مريعة وكارثية. كان أقارب ديزي من جهة والدته يعيشون في سانت لويس. كان ذلك هو كل ما تعرفه إلا أنها لم تكترث لمعرفة المزيد. بحثت في سلة النفايات عن أحد هذه المظروفات، ثم قرأت الرسالة، وكانت دبقة بصلصة ألفريدو، لكنها كانت رسالةً عادية إلى أبعد الحدود: الحديث عن لعبة المضرب والسفر وأشياء عاديةٍ أخرى، وكذلك عن أمورٍ إسبانية Spaniel . حاولت أن أتخيّل ذلك المتأنق نحيل القامة، وهو شاب يضع ربطات عنق قصيرة ونظارة بلون بيت السلحفاة، وهو يتسلل إلى منزلنا، ويُمسك آمي بأصابع ناعمة وأظافر مطلية، ثم يضعها بعد ذلك في صندوق سيارته المكشوفة ويأخذها... للتنزه في فيرمونت. ديزي. أيمكن لأي شخص أن يصدق بأن ديزي هو الذي فعل ذلك؟

قلت: " يعيش ديزي في مكانٍ ليس ببعيد في الواقع، أي في سانت

لويس " .

قال راند: " الآن، أترى؟ لماذا لم تعالج الشرطة هذه النقطة؟ " .

قلت: " يتعيّن على أحدهم أن يفعل. سأذهب بنفسي غداً بعد انتهاء التفتيش هنا " .

قالت ماريبيت: " يبدو أن الشرطة تعتقد... أن الفاعل قريب جداً من المنزل " . ركّزت عينيها عليّ لفترة طويلة، وما لبثت أن ارتعشت وكأنها تطرد الفكرة من ذهنها.

آمي إليوت دون

23 آب، 2013

- صفحة يومية -

الصيف. الطيور الصغيرة. أشعة الشمس. أمضيت النهار في التجوال حول بروسبكت بارك. كانت بشرتي ناعمة وعظامي هشة. مكافحة المعاناة. كان ذلك بمثابة تحسّن كبير منذ أن أمضيتُ الأيام الثلاثة الماضية في منزلنا، وأنا مرتدية ثياب النوم ذاتها، وكنت أعد الدقائق حتى الخامسة، أي عندما سأتمكن من تناول شراب. حاولت دفع نفسي على تذكّر المعاناة في دارفور، وأن أضع الأمور في نصابها الصحيح. أعتقد أن كل ذلك من شأنه زيادة استغلال شعب دارفور.

انكشفت أمورٌ كثيرة خلال الأسبوع الماضي. أعتقد أن هذا هو كل شيء، وأن كل شيء حدث مرةً واحدة، يعني ذلك بأنني أعاني من الترددات العاطفية. خسِر نِك وظيفته في الأسبوع الماضي. أعتقد أنه من المفترض أن يتلاشى الركود في هذا الوقت، لكن أحداً لا يعرف متى بالضبط. خسِر نِك وظيفته في الجولة الثانية من عملية صرف الموظفين، أي كما توقّع تماماً، بعد أسابيع قليلة من الجولة الأولى. إننا لم نصرف العدد الكافي من الموظفين [في الجولة الأولى]. يا للحمقى.

ظننت في البداية بأن نِك سوف يكون على ما يرام، هو الذي أعدّ لائحة طويلة من الأمور التي أراد دوماً القيام بها. كان من بين تلك القائمة أمور صغيرة: تغيير بطاريات الساعات وإعادة ضبطها، وكذلك تغيير أنبوب تحت الحوض المخصص للجلي، وإعادة طلاء كل الغرف التي طليناها من قبل ولم تُعجبنا ألوانها. إنه يعيد القيام بأشياء كثيرة مرةً بعد أخرى. يبدو أن القيام بالأمور ذاتها مرة بعد أخرى هو أمرٌ مناسب. بدأ بعد ذلك بالأمور الأكثر أهمية: قرأ رواية الحرب والسلام. فكّر كذلك في تلقي بعض الدروس في اللغة العربية. يُضاف إلى ذلك أنه يُمضي وقتاً طويلاً في محاولة تخمين المهارات التي سوف تكون رائجة في أسواق العمل على مدى العقود القليلة التالية. تأثرت كثيراً لأجله، لكنني لا أريده أن يلاحظ ذلك.

واظبتُ على سؤاله: " أمتأكدٌ أنت بأنك على ما يرام؟ " .

طرحت في البداية هذا السؤال عليه بكل جدية عندما كنا نرتشف القهوة. نظرت في عينيه مباشرة بعد أن وضعت يدي فوق يده. حاولت بعد ذلك أن أطرح السؤال ذاته بطريقة غير رسمية، ومن دون اكتراث،

وبشكلٍ عابر. حاولت أخيراً أن أطرح السؤال بكل نعومة فوق السرير بينما كنتُ أمسّد شعره.

كان يعطيني الجواب ذاته في كل مرة: " إنني على ما يرام. لكنني لا أريد التحدث عن الموضوع بالفعل " .

كتبتُ اختباراً يناسب الزمن الذي نعيش فيه: " كيف تتعامل مع صرفكَ من العمل؟ " .

أ) أجلس مرتدياً ثياب النوم، وأتناول الكثير من المثلجات - التأمل هنا يأخذ صفةً علاجية!

ب) أكتب في شبكة الإنترنت وفي كل مكان أشياء بذيئة عن رئيسي القديم، لأن التنفيس عن الاحتقان يبدو عظيماً!

ج) أحاول ريثما أحصل على وظيفةٍ جديدة أن أعثر على شيء مفيد أقوم به أثناء أوقات الفراغ الجديدة التي حصلتُ عليها مؤخراً، مثل تعلّم لغة رائجة أو قراءة الحرب والسلام.

كان هذا الاختبار بمثابة تحية تقدير إلى نِك - لأن الجواب ج هو الجواب الصحيح - لكنه اكتفى بأن ابتسم ساخراً عندما عرضته عليه.

انتهت بعد مرور أسابيع قليلة كل هذه الفوضى، وتوقفت محاولات البحث عن الأمور المفيدة. بدا الأمر وكأنه استيقظ ذات صباح تحت لوحة رثة ويعلوها الغبار والتي كُتب عليها، لماذا تقلق بحق السماء؟ اتسعت عيناه وأخذ بمشاهدة برامج التلفزيون، ويتجول عارياً، ويشاهد الأفلام على التلفزيون. بدأ كذلك في تناول الكثير من الوجبات الجاهزة، وما لبثت أكواب الفلين أن فاضت عن سلة المهملات. إنه لا يتحدث معي، وهو يتصرف وكأن الكلام يسبب له الألم، أو كأنني امرأة سيئة إذا ما طلبتُ منه التحدث معي.

لكنه بالكاد هزّ كتفيه عندما أخبرته بأنني صُرفتُ من العمل. حدث ذلك في الأسبوع الماضي.

قال لي: " هذا فظيع. أنا آسف. تمتلكين، على الأقل، مالاً يفيض عنك " .

" نحن نمتلك مالاً. لكني مع ذلك أحببتُ وظيفتي " .

بدأ نِك بالغناء، " لا يحصل المرء على ما يريده على الدوام " . لم يكن الغناء باللحن الصحيح، ولا بدرجة الصوت الصحيحة. تمايل نِك مع الأغنية وكأنه يرقص، فأدركت بأنه ثمل. كان ذلك في وقتٍ متأخرٍ من مساء

يوم جميل تميّز بالسماء الزرقاء بينما كان منزلنا يعبق بالرطوبة وبالرائحة الشهية للطعام الصيني، بينما كانت جميع الستائر مسدلة. بدأت بالتجوّل من غرفةٍ إلى غرفة كي أرفع الستائر وأسمح للهواء المنعش بالدخول، وأثرتُ بذلك ذرات الغبار، لكن عندما وصلتُ إلى غرفةٍ مظلمة تعثرت بكيسٍ من الطحين، ثم لاحظت وجود أكياسٍ أخرى. بدا المشهد مثل مشهد الهرة في أفلام الصور المتحركة التي دخلت غرفة مليئة بمصائد الفئران. لكن عندما أشعلت الأنوار رأيت عشرات أكياس التسوّق، وكانت جميعها من محلات لا يقصدها المصروفون من العمل في العادة. كانت هذه الأكياس من متاجر ملابس الرجال الراقية، والمحلات التي تخيط بذلاتٍ يدوياً [عند الطلب]، أي حيث ينقل رجل المبيعات ربطات العنق لكل زبونٍ بمفرده بعد أن يعلقها على ذراعه ثم يأخذها إلى الزبائن من الرجال الذي يسترخون في مقاعد جلدية وثيرة. أعني أن هذه المتاجر هي للخاصة.

" ما كل هذا يا نِك؟ " .

" من أجل إجراء مقابلات الوظائف، هذا إذا بدأوا التوظيف من جديد " .

" وهل ستحتاج إلى كل هذا القدر؟ " .

" إننا نمتلك المال " . ابتسم ابتسامة ساخرة بينما وقف مكتوف اليدين.

" أترغب على الأقل في تعليق هذه الثياب؟ " . أقدم بليكر على قضم عددٍ من الأغطية البلاستيكية ففصلها عن بعضها بعضاً. رأيت بقعة من قيء الهرة قرب بذلة يبلغ ثمنها ثلاثة آلاف دولار. رأيت كذلك قميصاً مفصلةً بيضاء اللون بغطاءٍ لونه برتقالي حيث نامت الهرة عليه.

قال: " لا أرغب ذلك في الواقع " . نظر نحوي وابتسم ابتسامةً عريضة.

لم أكن يوماً من النوع الذي يهوى الإزعاج، بل كنتُ فخورة لأنني غير مزعجة. انزعجت كثيراً لأن نِك يجبرني على أن أكون كذلك. إنني على استعدادٍ للعيش مع قدرٍ معيّن من الإهمال والكسل، ومن انعدام الحيوية. أدرك كذلك بأنني أنتمي إلى الفئة أ أكثر من نِك، كما أنني أحاول أن أكون حذرة في عدم فرض هوسي بالترتيب، وعدم فرض طبيعة القائمة المحضرة سلفاً عليه. أعرف أن نِك ليس بذلك النوع من الرجال الذي يفكر في تنظيف [كنس] المنزل، أو تنظيف الثلاجة. إنه لا يكترث لذلك النوع من الأمور. لكني لا أهتم لذلك فعلاً. إنني أحب الإبقاء على مستوى معيّن

من المعيشة - أعتقد أنه من حقي أن أقول إن النفايات يجب أن لا تتراكم، وإنه يجب عدم ترك الأطباق في حوض الجلي لمدة أسبوع، وهي التي تحمل بقايا الأطعمة التي جفّت عليها. أعتقد بأن التشارك المناسب في العيش في منزلٍ واحد يتضمن كل ذلك، لكن نِك لا يقوم بأي شيء بعد الآن، ولهذا أنا مضطرة لإزعاجه، وهو الأمر الذي يزعجني بدوره: إنك تحوّلني إلى ما لم أكنه يوماً، ولم أرده يوماً، أي إلى شخصٍ مزعج، وذلك لأنك لا تقوم بأبسط أدوارك الأساسية. لا تفعل ذلك، لأنه لا يتعيّن عليك أن تفعل.

أعرف، أعرف. أعرف أن خسارة المرء لوظيفته هو أمرٌ يبعث على القلق الشديد، وعلى الأخص بالنسبة إلى الرجل. يقولون إن الأمر يشبه حدوث موتٍ في الأسرة، وعلى الأخص بالنسبة إلى رجلٍ مثل نِك الذي اعتاد أن يعمل على الدوام. يدفعني ذلك إلى أن أتريّث كثيراً، وإلى احتواء غضبي، وحتى التخلص منه. " حسناً، أتمانع إذا قمت بتعليق هذه الثياب؟ أعني كي تظل مرتبة عندما ترتديها؟ " .

" لماذا لا تتناولين بعض الشراب حتى الثمالة؟ " .

الرجل والمرأة يفقدان وظيفتيهما. أليس ذلك أمراً في منتهى الظرافة؟ أعرف بأن حظّنا هو أفضل من حظوظ معظم الآخرين. إنني ألجأ إلى الإنترنت لتفحص وضع صندوق التوفير الخاص بي، وذلك كلّما لاحظتُ بأنني متوترة. لم أطلق تسمية الصندوق على حسابي قبل أن يفعل نِك ذلك، وذلك لأن الحساب ليس ضخماً جداً. أعني أن الحساب لا بأس به، وهو كبير نوعاً ما، أي 785 , 404 دولاراً، وهو الرصيد الذي أملكه بفضل والديّ. لكنه ليس ذلك المبلغ من المال الذي يسمح لك بالتوقف عن العمل إلى الأبد، وعلى الأخص في نيويورك. كان الهدف الذي سعى إليه والداي هو أن أشعر بأمانٍ كافٍ بحيث لا أضطر إلى المفاضلة بين خيارات تستند على المال، سواء في التعليم أو في المهنة، لكن بشكلٍ لا أكون ثريةً بشكلٍ كافٍ بحيث أختار عدم العمل. يسخر نِك من هذا الوضع، لكني أعتقد بأن هذه هي فكرةٌ عظيمة تبناها والداي. (وهي فكرة مناسبة، وذلك بالنظر إلى أنهما استعارا طفولتي لكتبهما).

لكني كنت ما زلت أشعر بالغيظ بشأن الصرف من العمل، صُرفنا نحن الاثنان، قلتُ لوالدي عندما اتصل بي وسألني ما إذا يستطيع هو ووالدتي المجيء لزيارتنا. قال إنهما يريدان التحدث معنا. قال إنهما يرغبان المجيء فعلاً هذا المساء إذا كان ذلك مناسباً بالنسبة إلينا. قلت له إن

ذلك مناسبٌ بطبيعة الحال، لكني بقيت أفكّر في ذهني، سرطان، سرطان، سرطان.

ظهر والداي على مدخل منزلنا، ولاحظت بأنهما بذلا مجهوداً. يتمتع والدي بالحيوية والاندفاع والتوقّد، وهو لا يشكو من أي عيوب فيما عدا بعض التغضنات تحت عينيه. ارتدت والدتي فستانها الأرجواني اللامع الذي تعودت على ارتدائه على الدوام في مناسبات المحاضرات أو الاحتفالات، أي عندما كانت تتلقى دعواتٍ كهذه. تقول والدتي بأن هذا اللون يتطلب الثقة من الشخص الذي يرتديه.

بدا والداي في حالةٍ عظيمة، لكنهما أظهرا بعض الخجل. دعوتهما للجلوس على الأريكة، وجلسنا صامتين لبرهةٍ من الزمن.

تكلم والدي أخيراً قبل أن يتوقف للسعال: " أريد إخباركما شيئاً يا ولدينا، يبدو بأن والدتكما وأنا... " . وضع يديه على ركبتيه فبدت عُقد أصابعه شاحبة. " حسناً. يبدو بأننا وقعنا في أزمةٍ مالية " .

لا أعرف كيف يُفترض أن تكون ردة فعلي: صدمة، مواساة، أم خيبة أمل؟ لم يسبق لوالدايَّ أن اعترفا بمتاعبهما أمامي. لم أعتقد سابقاً بأنهما يعانيان من متاعب كثيرة.

تابعت ماريبيت كلامها: " إن حقيقة الأمر هو أننا كنا عديمَي المسؤولية. عشنا العقد الماضي من السنين، وكأننا كنا نكسب القدر ذاته من المال الذي كنا نكسبه في العقدين السابقين، لكن ذلك لم يكن صحيحاً. إننا لم نكسب نصف ذلك المقدار، لكننا كنا في حال إنكار. كنا... متفائلين، ولربما كلمة التفاؤل هي كلمة ملطفة. واظبنا على الاعتقاد بأن الجزء التالي من كتاب آمي سوف يحرز نجاحاً. لكن ذلك لم يحدث. تابعنا اتخاذ القرارات السيئة. أقدمنا كذلك على الاستثمار بطريقة حمقاء، كما أنفقنا المال بطريقة حمقاء. أما الآن... " .

قال راند: " كنا مفلسَين عملياً. إن منزلنا، وكذلك هذا المنزل، هما مرهونان " .

فكّرتُ، بل افترضتُ، بأنهما اشتريا هذا المنزل لنا نقداً. لم أكن أعرف أبداً بأنهما يدفعان أقساطاً عنه. شعرت بموجةٍ من الحرج لأنني محمية مالياً كما يقول نِك.

قالت ماريبيت: " ارتكبنا، كما سبق أن قلت لكم، بعض الأخطاء في الحكم على الأمور. أعتقد بأنه يجب علينا أن نكتب كتاباً بعنوان: آمي الرائعة ونِسَب الفوائد المعدّلة. نريد أن نفشل في كل امتحان، وسوف نكون

القصة التحذيرية. وندي، صديق آمي، يريد ذلك الآن " .

أضاف راند: " رأس هاري في الرمال " .

سألتُ: " وماذا يحدث بعد ذلك؟ " .

قال والدي: " يعود ذلك إليكما كلياً " . تناولت والدتي من حقيبتها منشوراً بدا بأنه من إعدادٍ منزلي، ووضعته على الطاولة أمامنا. بدت في هذا المنشور رسومات الأعمدة والخطوط البيانية ودوائر الحصص التي حضّراها بواسطة حاسوبهما المنزلي. قلقتُ كثيراً عندما تخيّلت والديّ أثناء تحديقهما في دليل المستخدِم في محاولةٍ منهما جعل اقتراحهما في حالة حسنة بالنسبة إليّ.

بدأت مارييت بالقول: " أردنا أن نسألك ما إذا كان بإمكاننا اقتراض بعض المال من صندوق التوفير الخاص بك بينما نفكّر في ما يمكننا عمله لبقية حياتنا " .

بدا والداي الجالسان أمامنا مثل طالبَين جامعيين متلهفين لأول فترة من فترات تدريبهما. ارتعشت ركبة والدي إلى أن وضعت والدتي طرف إصبعٍ حانية فوقها.

قلت: " حسناً، صندوق التوفير هو مالكما، ولهذا تستطيعان الاقتراض منه بطبيعة الحال " . أردت أن ينتهي هذا الوضع، أي تلك النظرة المتفائلة التي بدت على وجهَي والديَّ، وهي النظرة التي لم يكن باستطاعتي تحمّلها. " كم من المال تحتاجان لوفاء كل الديون، ولكي تشعرا بالارتياح لفترةٍ قادمة؟ " .

نظر والدي نحو حذائه، بينما أخذت والدتي نَفَساً عميقاً. قالت أخيراً: " ستمئة وخمسون ألفاً " .

" أوه " . كان ذلك كل ما تمكنت من قوله. كان ذلك كل ما لدينا تقريباً.

قال نِك: " أعتقد أنه يجب علينا مناقشة الأمر فيما بيننا... " .

قلت: " كلا. كلا. يمكننا أن نفعل هذا. سأذهب كي أُحضر دفتر شيكاتي " .

قالت مارييت: " أتمنى في الواقع لو أنك تستطيعين تحويل المبلغ إلى حسابنا في الغد. سيكون ذلك أفضل بالنسبة إلينا، وإلا سوف نضطر للانتظار لمدة عشرة أيام " .

أدركت عند ذلك بأنهما واقعان في ورطة كبيرة.

نِك دون

بعد مرور يومين

استيقظت مرهقاً على أريكة قابلة للطي في جناح آل إليوت. أصرّ آل إليوت عليّ بالبقاء، وذلك لأن منزلي لم يُفتَح بعد. أصرّا بدرجة الإلحاح ذاتها التي أظهراها لتلقي الشيك على مائدة العشاء: يبدو أن الضيافة هي قوة قاهرة من قوى الطبيعة. يتعيّن عليك أن تدعنا نفعل هذا من أجلك. قبلت قصدهما وأمضيت الليل في الإصغاء إلى شخيرهما من خلال باب غرفة النوم. كان شخير أحدهما عميقاً ومتقطعاً، أما شخير الآخر فكان أشبه بالتنهد غير الإيقاعي، وكأن النائم يحلم بأنه يغرق.

إنني أتمكن من النوم بسرعة، وكأن ذلك يحصل بكبسة زر. يمكنني أن أقول، سوف أنام بعد أن أضع يديّ في وضع تضرع على خدي، وهكذا أغط بعد ذلك في نومٍ عميق يشبه نوم الأطفال. لكن زوجتي التي تعاني من الأرق تبقى متحركة إلى جانبي في السرير. لكني مررت في الليلة الماضية بالوضع الذي تعاني منه آمي. بقي ذهني في حالة عمل بينما كان جسدي متوتراً. كنت أجلس مع آمي على الأريكة لمشاهدة برامج التلفزيون، وأبقى من دون حراك بينما تظل زوجتي في حالة حركة، وتتقلب باستمرار إلى جانبي. سألتها ذات مرة ما إذا كانت تعاني من متلازمة الساق المضطربة. سبق لي أن رأيت إعلاناً عن هذا المرض، وكانت وجوه الممثلين متغضنة بقلق، بينما كانوا يحركون سيقانهم ويحكّون أفخاذهم. أجابتني آمي بأنها تعاني من متلازمة كل الأمور المضطربة.

راقبتُ سقف غرفة الفندق وهي تتحول من اللون الرمادي إلى اللون الزهري، ثم إلى الأصفر، إلى أن نهضت لأرى الشمس متوهجة في وجهي، وكانت فوق النهر، وقد ارتفعت ثلاث درجات شمسية. بدأت الأسماء في التوارد في ذهني - بينغ! هيلاري هاندي. اتُّهم هذا الاسم المحبوب بهذه الأفعال المقلقة. أما ديزي كولينغز فهو مهووس سابق عاش سابقاً في منزل لا يبعد عن منزلنا سوى ساعة بالسيارة. سبق لي أن لاحظت مدى شبههما بي. كانت تلك حقبة اخدم نفسك: العناية الصحية، العقارات، والتحقيقات البوليسية. يُمكن لكل شخص اللجوء إلى الإنترنت ليكشف كل شيء بنفسه، لأن الجميع يعملون فوق طاقتهم، كما أن عدد الموظفين هو أقل من اللازم. كنتُ صحفياً في الماضي، وأمضيت ما يزيد عن السنوات العشر في إجراء المقابلات مع الناس كي أكسب معيشتي وحملهم على الكشف عن

أنفسهم. قمتُ بالعمل بشكلٍ جيد، كما أن ماريبيت وراند اعتقدا ذلك. شعرتُ بعرفان الجميل لأنهما قالا لي بأنني ما زلت محل ثقتهما، وأنا الزوج الذي يقبع تحت سحابةٍ كثيفة من الشكوك. أم هل أخدع نفسي عند استخدامي كلمة كثيفة؟

تبرع فندق دايز إن بتخصيص قاعة لا تُستخدم كثيراً لتكون بمثابة مركز لحملة العثور على آمي دون. كانت القاعة عاديةً جداً، أي إن البقع البنية اللون كانت منتشرة على جدرانها بالإضافة إلى الروائح المنتشرة. لكن ماريبيت بدأت بعد طلوع الفجر مباشرة في تجميلها، وتنظيفها، ومسح الغبار عنها، وترتيب لوحات الإعلانات، ومراكز أجهزة الهاتف. حمل أحد جدران القاعة صورة كبيرة تمثّل آمي. عكست تلك اللوحة نظرة آمي الهادئة والواثقة، وتينك العينين التي تتبع من ينظر إليهما، بينما بدت اللوحة جزءاً من حملةٍ رئاسية. بدت القاعة في الواقع، وبعد أن فرغت ماريبيت من تنظيفها، في غاية الفعالية، وكانت تفوح بالأمل الذي يلازم سياسيًّا يشعر باقتراب فشله، والذي يحيط به عددٌ كبير من الواثقين بنجاحه والذين يرفضون الاعتراف بالهزيمة.

وصلت بوني بعد الساعة العاشرة بقليل، وكانت تتحدث إلى هاتفها الخلوي. ربتت على كتفي، ثم بدأت بتشغيل إحدى الطابعات. وصل المتطوعون جماعاتٍ جماعات: وصلت جو مع نصف دزينة من صديقات والدتنا الراحلة، وكلهن تجاوزن الخامسة والأربعين من أعمارهن، ويرتدين جميعاً سراويل ضيقة تنتهي عند الكاحل. بدا منظرهن وكأنهن يتدربن على رقصةٍ ما: كانت اثنتين منهن نحيلتين بشعرٍ أشقر وقدرٍ من السمرة، وكانتا تسعيان لقيادة المجموعة، بينما اقتنعت الباقيات بالمركز الثاني. وصلت كذلك مجموعة من السيدات المسنّات من ذوات الشعر الأشيب والصوت العالي، وكانت كل واحدةٍ منهن تحاول أن ترفع صوتها فوق أصوات الأخريات، بينما انشغل بعضهن بكتابة نصوص الرسائل. كانت النساء من ذلك النوع الذي يمتلك قدراً كبيراً من الطاقة، وحيوية الشباب بحيث يتساءل المرء ما إذا كنّ يحاولن التظاهر بهذه الحيوية. ظهر رجلٌ واحد فقط، وكان شاباً حسن المظهر يقاربني سناً، وأنيق الملبس، لكنه كان بمفرده. بدا بأنه لم يدرك بأن وجوده يحتاج إلى بعض التفسير. راقبت ذلك الوحيد وهو يجول بين أصناف الحلويات ويسترق النظر بين الحين والآخر على لوحة آمي المعلقة.

أنهت بوني تجهيز الطابعة، وما لبثت أن تناولت إحدى الفطائر المغطاة بالنخالة. اقتربت كي تقف إلى جانبي.

سألتُ بوني: " هل تراقبون كل شخصٍ يأتي ليتطوع؟ أعني، لعله يكون أحد الذين... " .

" أتعني الشخص الذي يُظهر قدراً يثير الشبهة من الاهتمام؟ بالتأكيد " . قطعت أطراف الفطيرة ودفعتها إلى فمها. قالت بصوتٍ منخفض: " لكن إذا أردتَ الحقيقة فإن القتلة يشاهدون الأفلام التلفزيونية ذاتها التي نشاهدها. إنهم يعرفون بأننا نعرف بأنهم يحبون... " .

" حشر أنفسهم في التحقيقات الجارية " .

أومأت بوني: " هذا صحيح، ولذلك تراهم يبدون حذراً أكبر إزاء هذا النوع من الأمور. لكن أجل، إننا نتفحص كل هؤلاء الذين يبدون في حالة غريبة، وذلك للتأكد فعلاً من أنهم كذلك " .

حركت أحد حاجبي.

" كنت مكلفةً مع جيلبين بقيادة التحريات في قضية كايلا هولمان قبل سنواتٍ قليلة. أتذكر كايلا هولمان؟ " .

هززتُ رأسي. لا أذكر شيئاً عن هذه القضية.

" ستجد على أي حال بعض الأشخاص غريبي الأطوار الذين ينجذبون إلى أمورٍ كهذه. راقِب هاتين السيدتين... " أشارت بوني نحو سيدتين جميلتين تجاوزتا الأربعين من العمر. " إنهما تبدوان من ذلك النوع، أي إنهما تُظهران اهتماماً كبيراً في طمأنة الزوج القلق " .

" أوه، مهلاً... " .

" ستُفاجأ، وأنت الرجل الوسيم. إن هذه الأمور تحدث كثيراً " .

تطلعت نحوي في هذه اللحظة بالذات إحدى النساء، وهي الشقراء ذات البشرة التي تميل إلى السمرة، ووجهت نحوي ابتسامة هي الألطف والأكثر خجلاً، ثم خفضت رأسها مثل هرة تنتظر يداً تربت عليها.

قالت بوني: " ستبذل جهداً كبيراً مع ذلك، وهي ستكون الآنسة الصغيرة الأكثر انشغالاً في هذه المسألة، وهذا أمرٌ حسن " .

سألتها: " كيف انتهت قضية كايلا هولمان؟ " .

هزّت رأسها نفياً.

بعد ذلك، وصلت بعض النساء الأخريات، ومرّرن بينهن قارورة من واقي الشمس، ومسحن به أذرعهن العارية، وأكتافهن، وأنوفهن. فاحت بعد ذلك رائحة جوز الهند في الغرفة.

قالت بوني: " أتذكر يا نِك، بالمناسبة، عندما سألتك ما إذا كانت آمي لديها أصدقاء في هذه المدينة؟ ماذا بشأن نويل هوثهورن؟ لم تذكرها لي، وهي التي تركت لنا رسالتين " .

حدقت بها بشرود.

" إنها نويل التي تسكن في الحي الذي تسكنه أنت. هل هي أمٌّ لثلاثة أولاد؟ " .

" كلا، إنها ليست صديقتها " .

" إن هذا غريبٌ جداً، لأنها تعتقد بأنها كذلك بكل تأكيد " .

قلت: " يحدث هذا لآمي كثيراً. إنها تتحدث إلى الناس لمرةٍ واحدة، فيعتقدون بأنهم على صداقةٍ معها، والأمر في غاية الإزعاج " .

" هذا ما قاله والداها " .

فكّرت في أن أسأل بوني مباشرة عن هيلاري هاندي وديزي كولينغز. قررت أن لا أفعل، وذلك لأنني سوف أبدو في حالٍ أفضل إذا ما كنتُ الرجل الذي يُمسك بزمام الأمور. أردت أن يراني راند وماريبيت في وضع البطل الذي يتحرك. لم أتمكن من نسيان النظرة التي وجّهتها ماريبيت نحوي: " يبدو أن الشرطة تعتقد جازمة بأن القضية... غير بعيدة عن المنزل " .

قلت: " يعتقد الناس أنهم يعرفونها لأنهم قرأوا الكتب التي تتحدث عنها " .

قالت بوني وهي تومئ: " أفهم ذلك. يريد الناس الاعتقاد بأنهم يعرفون أشخاصاً آخرين. يريد الآباء الاعتقاد بأنهم يعرفون أولادهم. وتريد الزوجات الاعتقاد بأنهن يعرفن أزواجهن " .

بدا مركز التطوع بعد مرور ساعة أقرب إلى تجمعٍ لنزهة عائلية. حضرت بعض صديقاتي القديمات لإلقاء التحية ولتعريفي على أولادهن. جاءت فيكي، وهي إحدى أفضل صديقات والدتي، مع ثلاثة من أحفادها، وجميعهن متوردات الخدود خجلاً، وفي عمر المراهقة.

الأحفاد. كانت والدتي تتحدث عن الأحفاد كثيراً، وكأنها كانت تشك في إمكان حصولها عليهم. كانت كلما اشترت قطعة أثاث تقول لنا بأنها فضّلت ذلك الطراز بالذات لأنه، " سيكون مفيداً عند قدوم الأحفاد " . أرادت أن تعيش لترى بعض أحفادها، وعلى الأخص لأن جميع صديقاتها لديهن أحفاد. اصطحبت أنا وآمي والدتي وجو في أحد الأيام لتناول العشاء وذلك للاحتفال

بأفضل أسبوع للحانة حتى ذلك اليوم. قلت لهما بأننا نمتلك سبباً للاحتفال. قفزت والدتي من مكانها وانفجرت بالبكاء، ثم عانقت آمي التي انخرطت بالبكاء بدورها، ثم تمتمت تحت أنف والدتي: " إنه يتحدث عن الحانة. إنه يقصد الحانة فقط " . حاولت والدتي بعد ذلك أن تتظاهر بأنها منفعلة لذلك. قالت والدتي بأفضل صوت من المواساة، وهو الأمر الذي دفع آمي إلى البكاء مجدداً: " هناك وقتٌ كثير للأطفال " . كان ذلك غريباً لأن آمي قررت أنها لا تريد أطفالاً، وهي كررت هذه الحقيقة مرات عديدة. لكن هذه الدموع أعطتني بصيصاً غريباً من الأمل بأنها لربما غيّرت قرارها. يعود ذلك إلى عدم وجود وقتٍ كافٍ في الحقيقة. كانت آمي في السابعة والثلاثين من عمرها عندما انتقلنا إلى قرطاجة، وهي ستبلغ التاسعة والثلاثين في شهر تشرين الأول.

فكّرت بعد ذلك: يتعيّن علينا تقديم حفلة عيد زائفة، أو أي شيء من هذا القبيل، إذا كانت الأمور ستستمر هكذا. يتعيّن علينا أن نعطي هذا التجمّع أهمية بطريقةٍ ما، واحتفالاً ما، وذلك من أجل وسائل الإعلام، وأي شيء يعيد إحياء الانتباه. يتعيّن عليّ التظاهر بأنني متمسك بالأمل.

سمعت صوتاً خارجاً من الأنف يقول: " هل عاد الابن المبذّر " . التفتُّ لأرى رجلاً نحيلاً يرتدي قميصاً فضفاضة بكمين قصيرين ينشغل بتمسيد شاربه الطويل. كان ذلك ستكس بكلي، صديقي القديم، والذي تعود على مناداتي بالابن المبذر بالرغم من عدم إتقانه لفظ الكلمة، ولا حتى معناها الدقيق. افترضتُ بأنه كان يعني المرادف الملطف لكلمة غبي. أما اسم ستكس بكلي فيبدو أقرب ما يكون إلى اسم لاعب كرة القاعدة، وهو ما كان يفترض أن يكونه ستكس، لكنه لم يمتلك المهارة اللازمة مع أنه امتلك الرغبة الصادقة ليكون كذلك. كان هو الأفضل في المدينة والذي نشأ مع اللعبة، لكن ذلك لم يكن يكفي. تلقى الرجل صدمة حياته عندما فُصِل عن الفريق، وهكذا انتهى كل شيء بالنسبة إليه بعد ذلك. تحوّل بعد ذلك إلى باحث عن الوظائف الغريبة، وأصبح صاحب أمزجةٍ متقلبة. سبق له أن زارني في الحانة مراتٍ عديدة طالباً العمل فيها، لكنه كان يهز رأسه إزاء كل وظيفة يومية وضيعة أعرضها عليه، وكان يقول بمرارة: ما بك يا رجل؟ ماذا لديك غير ذلك؟ لا بد وأن لديك شيئاً آخر.

قلت على سبيل التحية، ومنتظراً أن أعرف ما إذا كان في مزاجٍ ودي: " ستكس " .

قال واضعاً كفّيه تحت إبطيه: " سمعت أن الشرطة تتعاطى مع هذا

الأمر بفتور " .

" ما زال الوقت مبكراً على هذا القول " .

" ما بك يا رجل؟ أليست هذه عمليات بحث في غاية الضعف؟ لاحظتُ بأنهم بذلوا مجهوداً أكبر في العثور على كلب رئيس البلدية " . كان وجه ستكس شديد السمرة، لذلك تمكنت من الإحساس بالحرارة التي تصدر عنه عندما اقترب مني، وشعرت برائحة الليسترين واللبان. " لماذا لم يعتقلوا بعض الأشخاص؟ يوجد عدد كبير من الأشخاص تستطيع الشرطة الاختيار من بينهم، لكنها لم تُحضر أحداً. لماذا لم تُحضر شخصاً واحداً؟ ماذا بشأن بلو بوك بويز؟ هذا سؤال طرحته على السيدة التحرية: ماذا بشأن بلو بوك بويز؟ لم تُزعج نفسها حتى بالإجابة عن سؤالي " .

" ومَن هم بلو بوك بويز؟ هل هم عصابة؟ " .

" إنهم الشبان الذين صُرفوا من العمل في منشأة بلو بوك في الشتاء الماضي. صُرفوا من دون أن يرتكبوا ذنباً من أي نوعٍ كان. يمكنك أن ترى هؤلاء الشبان المشردين وهم يتسكعون في المدينة على شكل مجموعات، ويبدو بأنهم في حالة سيئة فعلاً. يُحتمل أن جماعة بلو بوك بويز هي من قامت بهذا العمل " .

" لم أفهمك بعد. ما هي منشأة بلو بوك هذه؟ " .

" أنت تعرفها، إنها مطبوعات ريفر فالي التي تقع على طرف المدينة؟ إنهم يصنعون تلك الدفاتر الزرقاء التي كنتَ تستخدمها في كتابة المقالات والدراسات في الجامعة " .

" أوه. لم أكن أعرف ذلك " .

" تستخدم الكليات الآن الحواسيب، وهكذا انتهى عمل بلو بوك بويز " .

قلت متمتماً: " يا الله. يبدو بأن المدينة تُقفل بأسرها " .

" تعوّد أفراد بلو بوك بويز على تناول الشراب، والمخدرات، ومضايقة الناس. أعني بأنهم كانوا يفعلون ذلك من قبل، إلا أنهم كانوا مضطرين للتوقف دوماً والعودة إلى العمل في أيام الاثنين. لكنهم الآن يمضون على سجيتهم، ومن دون أي ضوابط " .

كشّر ستكس عن صفّ من الأسنان المتكسرة التي وجّهها نحوي. رأيت بقعاً من الطلاء على شعره، وهو الذي كان طلاء المنازل مهنته في الصيف منذ أيام دراسته الثانوية. كان يقول، إنني متخصص في الأعمال الدقيقة، ثم ينتظر من السامع أن يفهم الدعابة. أما إذا لم يضحك السامع فكان يسارع

إلى شرحها.

سأل ستكس: " إذاً، هل توجهت الشرطة إلى مركز التسوق التجاري؟ "

هززتُ كتفي دلالة على عدم فهمي لمقصده.

" اللعنة يا رجل. ألم تكن مراسلاً في الماضي؟ " بدا أن ستكس قد انزعج من مهنتي السابقة، وكأنها كذبة استمرت لفترة طويلة. " اتخذ بلو بوك بويز مقراً صغيراً ورائعاً لهم في المركز التجاري. إنهم يجلسون على الأرض، ويبيعون المخدرات. تشنّ الشرطة غارات عليهم بين الحين والآخر، لكنهم يعودون في اليوم التالي. قلتُ هذا لتلك السيدة التحرية: فتشوا ذلك المركز التجاري اللعين. قلت هذا لأن بعض أفراد تلك الجماعة أقدموا على اغتصاب فتاة بشكل جماعي هناك قبل نحو شهرٍ من الزمن. أعني بأنه تتواجد هناك مجموعة من الرجال الغاضبين، وهكذا فإن فرص المرأة التي تمر من هناك ليست بالجيدة " .

أجريت اتصالاً مع بوني عندما كنت في طريقي إلى منطقة البحث في فترة ما بعد الظهر، وفتحتُ الموضوع معها بعد إلقاء التحية.

" لماذا لم تفتشوا مركز التسوّق؟ " .

" سنفتش ذلك المركز يا نِك. أرسلنا بالفعل بعض رجال الشرطة إلى هناك " .

" أوه. حسناً. قلت لك ذلك لأن أحد أصدقائي... " .

" ستكس. أعرف ذلك. إنني أعرفه " .

" أخبرني بكل تلك الأشياء التي... " .

" بلو بوك بويز. أعرف ذلك. ثق بنا يا نِك، إننا نتولى الأمر. إننا نرغب بالعثور على آمي بقدر ما تريد أنت ذلك " .

" حسناً إذاً. شكراً لكِ " .

شعرت أن حماسي لم يكن ضرورياً، لذلك شربت مقدار كوب فلين كبير من القهوة وانطلقت إلى المنطقة التي عيّنوها لي. فتشت الشرطة ثلاثة أمكنة في فترة ما بعد ظهر هذا اليوم: the Gulley boat launch (والذي بات يُعرف الآن باسم المكان الذي أمضى فيه نِك الصباح، ولم يره أحد)؛ وغابات ميلر كريك (التي بالكاد تستحق هذا الاسم، لأن المرء يرى مطاعم المأكولات السريعة من خلال الأشجار)؛ وكذلك متنزه ولكي، وهي منطقة طبيعية مليئة بالطرق الصالحة للتجول في الجبال، والطرق الصالحة للجياد. عيّنتني الشرطة لأكون في متنزه ولكي.

كان أحد رجال الشرطة المحليين عند وصولي يخاطب حشداً من نحو اثني عشر شخصاً، وجميعهم من ذوي السيقان السمينة ويرتدون سراويل، ويضعون نظارات، ويعتمرون قبعات، ويضعون كمامات أوكسيد على أنوفهم. بدا المشهد، وكأنه اليوم الافتتاحي لمعسكرٍ ما.

رأيت فريقين مختلفين من مراسلي المحطات التلفزيونية. كان ذلك في عطلة يوم الرابع من تموز. ستُحشر آمي بين أخبار احتفالات الولايات، ومشاهد حفلات الشواء. أعرف أن المراسلين سيمطرونني بأسئلة لا طعم لها. بدا جسدي على الفور جامداً، وغير إنساني، نتيجة لكل هذا الاهتمام، بينما وجهي " القلِق " بدا زائفاً. فاحت في الجو رائحة فضلات الخيول في هذا الوقت.

أسرع المراسلون في اللحاق بالمتطوعين عبر الطرقات الترابية. (من ذاك الصحفي الذي يعثر على زوجٍ مشتبهٍ به وجاهز للمراقبة، ثم يتركه بعد ذلك؟ لا بد وأنه صحفي سيئ يتقاضى أجراً منخفضاً وهو الذي غادر بعد صرف كل الصحفيين المحترمين). طلب مني أحد رجال الشرطة من الشبان أن أقف في هذا المكان المعيّن، أي عند مدخل عددٍ من الطرقات، وقرب لوحة إعلانات تحتوي على كمية كبيرة من المنشورات القديمة، وكذلك عدد من مذكرات الأشخاص المفقودين الخاصة بآمي، وتبدو زوجتي فيها تحدّق من تلك الصورة. كانت زوجتي تتبعني في كل مكان في هذا اليوم.

سألت الشرطي: " وماذا يُفترض بي أن أفعل؟ أشعر بأنني مجرد أحمق هنا. أنا بحاجة إلى أن أقول شيئاً " . سمعت صوت حصانٍ وهو يصهل بطريقة حزينة.

قال لي: " إننا بحاجة إليك هنا بالفعل يا نِك. نريدك أن تكون ودوداً ومشجعاً " . أشار الشرطي إلى براد ماء باللون البرتقالي اللامع كان بقربي. " يمكنك تقديم الماء، وأن تشير إلى أي شخص بأن يأتي نحوي " . استدار الشرطي وسار نحو الإصطبلات. خطر لي بأنهم يتقصدون منعي من الدخول إلى أي مسرحٍ محتملٍ للجريمة، لكنني لم أكن متأكداً من الهدف من وراء ذلك.

وقفت من دون أن أقوم بأي عمل، لكنني تظاهرت بأنني منشغل مع براد الماء. ظهرت سيارة رياضية والتي وصلت متأخرة، وكانت باللون الأحمر اللامع. خرجت من السيارة مجموعة من السيدات اللواتي تجاوزن الأربعين من أعمارهن، واللواتي سبق لي أن رأيتهن في مقر البحث. أما المرأة الأجمل من بينهن، والتي أطلقت عليها بوني لقب معجبة، فقد رفعت بيدها

شعرها على شكل ذيل حصان بحيث تتمكن إحدى صديقاتها من رشّ رقبتها بطاردٍ للحشرات. لوّحت المرأة يدها بعد انطلاق الرذاذ. تطلعت نحوي بطرف عينها، ثم ابتعدت عن صديقاتها بعد أن عاد شعرها للانسدال على كتفيها، وما لبثت أن تقدمت نحوي وهي تبتسم تلك الابتسامة الصفراء، والمتعاطفة، والتي تعني إنني آسفةٌ جداً. كانت عيناها البنيّتان واسعتين، بينما انتهت قميصها الزهرية اللون فوق سروالها الأبيض القصير. انتعلت المرأة صندالاً بكعبٍ عالٍ، وكان شعرها ملتفاً حول لفافاتٍ ذهبية اللون. فكّرت في نفسي، هذه هي الملابس المناسبة للتفتيش.

أرجوكِ، لا تتكلمي معي أيتها السيدة.

" مرحباً يا نِك. أنا شاونا كيلي. إنني آسفةٌ جداً " . امتلكت المرأة صوتاً أعلى مما هو مقبول، وكان أشبه شيء بنهيق حمارٍ متحمسٍ. مدّت يدها، لكنني شعرت بموجةٍ من القلق عندما بدأ أصدقاء شاونا بالسير على الطريق وبالنظر خلفهم نحونا نحن الاثنين بطريقة ذات مغزى.

قدّمت لها كل ما أمتلكه: شكري، والماء، والإحراج الذي شعرت به. لم يصدر أي حركة تدل على نيّتها المغادرة، حتى بعد أن بدأت بالتحديق إلى البعيد، أي نحو الطريق الذي اختفت فيه صديقاتها.

قالت بصوتٍ خشن: " آمل بأن يكون لديك أصدقاء، أو أقرباء يهتمون بك في هذه الفترة يا نِك. أعرف أن الرجال ينسون الاهتمام بأنفسهم. إنك تحتاج إلى طعامٍ بيتي " .

" كنا نتناول شرائح لحم مطبوخة في أغلب الأحيان. إننا نتناول أطعمة سريعة وسهلة " . كان بإمكاني تذوق طعم السلامي والذي ما زلت أشعر به في حلقي. تذكرت على الفور بأنني لم أنظّف أسناني منذ هذا الصباح.

قالت وهي تهزّ رأسها فتمايلت بذلك ضفائرها الذهبية: " أوه، يا للمسكين. حسناً، أعتقد بأن شرائح اللحم المطبوخة لا تكفي. يتعيّن عليك المحافظة على قوتك. أنت محظوظ الآن لأنني أحضّر فطائر دجاجٍ مقلية. أتعرف؟ يمكنني تحضيرها وأخذها إلى مركز التطوع في الغد. يمكنك تسخينها في المايكروويف عندما ترغب في تناول غداء ساخن وشهي " .

" أوه. يبدو ذلك متعباً جداً بالنسبة إليك بالفعل. إننا نتدبر أمورنا " .

قالت وهي تربت على ذراعي: " ستكون أفضل حالاً بعد أن تتناول وجبة شهية " .

مرّت فترة صمت، وما لبثت أن حاولت التدخل من زاوية أخرى.

قالت: " أتمنى أن لا يتعلق كل هذا في النهاية... بمشكلة الإسكان. أُقسم أنني قدّمت الشكوى إثر الشكوى. اقتحم أحدهم حديقتي في الشهر الماضي. انطلق جهاز الإنذار فتطلعت إلى الخارج ورأيت رجلاً راكعاً فوق التراب، وكان يلتهم ثمار البندورة مثل التفاح. كان وجهه وقميصه ملطخان بعصير البندورة وبذورها. حاولت إخافته، لكنه التهم عشرين ثمرة قبل أن يلوذ بالفرار. وصل شبان بلو بوك إلى أقصى حدٍّ من التوتر، وذلك لأنهم لا يمتلكون مهاراتٍ أخرى غير وظائفهم الأساسية " .

شعرت بميلٍ مفاجئ نحو جماعة بلو بوك، فتصورت نفسي وأنا أسير إلى معسكرهم المتواضع، وألوّح بعلمٍ أبيض: إنني أخوكم، وكنت أعمل في دار المطبوعات كذلك. سرقة الحواسيب وظيفتي أنا الآخر.

قالت شاونا: " لا تقل لي بأنك صغير السن بحيث لا تتذكر بلو بوك يا نِك " . لكزتني بين أضلعي بحيث قفزت أكثر مما يجب.

" إنني كبيرٌ في السن، ولهذا نسيت كل شيء حول بلو بوك إلى أن قمتِ بتذكيري " .

ضحكت شاونا: " ما سنّك، واحد وثلاثون، أم اثنان وثلاثون؟ " .

" يمكنك أن تقولي أربعة وثلاثون " .

" ما زلتَ صغيراً " .

وصلت في تلك اللحظة ثلاث سيدات مسنات لكنهن مليئاتٍ بالحيوية، وتقدمن نحونا. كانت إحداهن تتحدث في هاتفها الخلوي، وكنّ يرتدين تنانير سميكة تناسب العمل في الحدائق وهي من نوع كيدس، وقمصاناً من دون أكمام تكشف عن أذرعٍ مرتعشة. أومأت السيدات نحوي بكل احترام، لكنهن رمقن شاونا بنظرة استياء. بدا منظرنا نحن الاثنين وكأننا نقيم حفلة شواء في باحةٍ خلفية.

فكّرت في نفسي، أرجوكِ اذهبي بعيداً يا شاونا.

قالت شاونا: " على أي حال، يُمكن لهؤلاء الرجال المشردين أن يكونوا عدائيين بالفعل، ويُمكنهم أن يشكلوا خطراً إزاء النساء. قلتُ ذلك للتحرية بوني، لكني شعرت بأنها لا تحبني كثيراً " .

" لماذا تقولين ذلك؟ " كنت أعرف ما ستقوله، وهي المعزوفة التي تردّدها كل النساء الجذابات.

هزّت كتفيها وقالت: " لا تحبني النساء كثيراً، وذلك من بين أمورٍ أخرى. هل تمتلك آمي أصدقاء كُثُراً في هذه المدينة؟ " .

سبق لعدد من النسوة - صديقات والدتي وصديقات جو - أن وجّهن

دعوة إلى آمي لحضور اجتماعات نوادي الكتب وحفلات Amway وليالي الفتيات في Chili ' s . رفضت آمي، وكما هو متوقع، جميع هذه الدعوات ما عدا العدد القليل منها التي حضرتها، لكنها لم تحبها أبداً: طلبنا الأطعمة المشوية وشربنا كوكتيلات مصنوعة من المثلجات.

كانت شاونا تراقبني كي تعرف المزيد عن آمي، وأرادت أن تجتمع مع زوجتي التي ستكرهها.

قلت بصوتٍ مكتوم: " أعتقد بأنها تعاني من المشكلة ذاتها التي تعانين أنتِ منها " .

اكتفت بالابتسام.

غادِري يا شاونا.

قالت لي: " يصعب على المرء المجيء إلى مدينةٍ جديدة، ويصعب تكوين صداقات كلما كبر في السن. هل هي بمثل سنك؟ " .

" إنها في الثامنة والثلاثين " .

بدت مسرورة كذلك لسماع هذه المعلومة.

لماذا لا تغادري هذا المكان؟

" الرجل الذكي يحب النساء الأكبر سناً " .

تناولت هاتفاً خلوياً من محفظتها الكبيرة ذات الألوان المتنوعة وضحكت. قالت بعد أن أحاطتني بذراعها: " تعال، ودعني أرى ابتسامتك يا صاحب فطائر الدجاج المقلية " .

أردت أن أصفعها على الفور كي تتوقف عن هذه التصرفات الصبيانية، وهي التي أرادت الفوز بقلب زوج امرأة مفقودة. ابتلعتُ غضبي، وحاولت التصرف بعكس ما شعرتُ به، وحاولتُ أن أبالغ في التعويض وأن أكون لطيفاً. ابتسمتُ بطريقةٍ آلية بينما ضغطت بوجهها على خدّي، ثم التقطتْ صورة بهاتفها الخلوي. استوعبتُ ما يجري بعد أن سمعت الصوت الذي ينتج عن التقاط الصورة.

قلبت شوانا الهاتف فرأيت وجهينا السمراوين بتأثير أشعة الشمس. كنا مبتسمَين وكأننا في موعد خلال إحدى مباريات كرة القاعدة. فكّرت في نفسي، وبعد أن تمعنت في ابتسامتي الصفراء وعينيّ نصف المغمضتين، بأنني سأكره هذا الرجل.

آمي إليوت دون

15 أيلول، 2010

- صفحة يومية -

أكتب الآن من مكانٍ ما في بنسلفانيا، ومن طرفها الجنوبي الغربي. أتواجد الآن في أحد الفنادق الطويلة ذات الطابق الواحد (موتيل) والتي تبعد قليلاً عن الطريق السريعة. تُشرف غرفتنا على موقف السيارات التابع للفندق، كما أنني أتمكن، إذا ما وقفتُ وراء الستائر السميكة ذات اللون البني الشاحب، من رؤية الناس وهم يتجولون تحت مصابيح الفلوريسنت. يُعتبر المكان مناسباً جداً للتجول حوله. إنني أعاني الآن تلك النوبات العاطفية مجدداً. حدثت أشياء كثيرة وبسرعة كبيرة، وها أنا في الطرف الجنوبي الغربي من بنسلفانيا، كما أن زوجي يستمتع بنومٍ عميق بين أكياس الحلويات، ورقائق البطاطا الصغيرة، التي اشتراها من آلة البيع الموجودة في آخر القاعة. حان الآن وقت تناول الغداء. أعرف بأنه غاضب مني لأنني لست مسلية بالنسبة إليه. ظننت بأنني أستخدم واجهةً مقنِعة - مهلاً. حسبتُها مغامرةً جديدة - لكني لا أعتقد ذلك.

لكني استنتجتُ بعد أن تأملت في الأمر بأن الوضع يشبه انتظارنا لحدوث شيء. بدا وضعي أنا ونِك وكأننا نجلس تحت وعاء ضخم عازلٍ للصوت، ومحكم الإغلاق، ثم ينهار الوعاء بعد ذلك. يعني ذلك بأنه يتوجب علينا عمل شيء ما.

قبل أسبوعين كنا في حالة البطالة المعتادة: ارتدينا ملابسنا بشكلٍ جزئي، ومغمورين بالملل، وكنا نستعد لتناول فطورٍ بصمت، ثم نتفرغ بعد ذلك لقراءة كامل محتويات الصحيفة. وصل بنا الأمر الآن حتى إلى قراءة ملحق السيارات.

رنّ هاتف نِك الخلوي عند الساعة العاشرة صباحاً، أمكنني أن أعرف من صوته بأن جو هي على الطرف الآخر من الخط. بدا نِك نشِطاً وصبيانياً بعض الشيء، أي كما يفعل دائماً عندما يتحدث معها، وهو يبدو كذلك عندما يتحدث معي.

توجه نِك إلى غرفة النوم، وأغلق الباب ثم تركني وأنا ممسكة بطبقين يحتويان على بيضتين مقليتين حديثاً. وضعت الطبقين على الطاولة وجلست في الجهة المقابلة. تساءلت ما إذا كان يجدر بي الانتظار قبل البدء بالأكل. فكّرت بأنني لو كنت مكانه لخرجتُ وقلت له أن يبدأ

بتناول الطعام، أو كنتُ رفعت إصبعاً بما معناه: دقيقة واحدةً فقط. يعني ذلك بأنني سأكون مدركة لوجود الشخص الآخر، أي زوجي الذي تركته في المطبخ مع طبقين يحتويان بيضاً مقلياً. تضايقت لأنني أفكّر بهذه الطريقة. سمعت بعد مرور وقتٍ قليل تمتماتٍ قلقة، وأصواتاً تنمّ عن الدهشة والتوتر وتطميناتٍ هادئة آتية من وراء الباب. بدأت بالتساؤل ما إذا كانت جو تعاني من بعض المتاعب في المنزل. أعرف أن جو عانت عدداً من نوبات التشنّج. أعرف كذلك أن بعض هذه النوبات التي تثيرها تتطلب قدراً كبيراً من المساعدة والإرشاد من جانب نِك.

عدتُ إلى وضع متعاطِف مع جو المسكينة عندما عاد نِك، وكان البيض تصلّب في الطبقين. رأيته فعرفت أن الأمر يتجاوز إحدى مشاكل جو.

بدأ بالقول وهو يجلس: " والدتي. اللعنة. والدتي مصابة بالسرطان، المرحلة الرابعة وهو آخذٌ بالانتشار إلى الكبد والعظام. إنه أمرٌ سيئ، وهو... " .

أسند وجهه بيديه، لكني اقتربتُ منه ووضعت ذراعيّ حوله. لاحظت أن الدموع جفّت من عينيه عندما رفع رأسه. كان هادئاً، كما أنه لم يسبق لي أن رأيت زوجي وهو يبكي.

" الأمر صعبٌ جداً على جو، إضافة إلى مرض الألزهايمر الذي يعاني منه والدي " .

" ألزهايمر؟ ألزهايمر؟ منذ متى؟ " .

" حسناً. أصيب به منذ فترة. اعتقدنا في البداية بأنه في المراحل الأولى من مرض النسيان. لكن الأمر يتجاوز ذلك، وهو أسوأ بكثير " .

فكّرت على الفور بأننا نعاني من أمرٍ ما، وربما هو أمرٌ لا يُمكن إصلاحه، أي إن زوجي لا يفكّر في إخباري عن هذا الأمر. أشعر أحياناً بأن هذه هي لعبة زوجي الشخصية، وأنه واقع في نوعٍ من أنواع السعي غير المعلن لعزل نفسه. " لماذا لم تخبرني أي شيء؟ " .

" إن والدي ليس ذلك الشخص الذي أحب أن أتحدث عنه كثيراً " .

" لكن مع ذلك... " .

" آمي، من فضلك " . بدت على وجهه تلك النظرة التي توحي بأنني غير منطقية، وكأنه متأكد تماماً بأنني أتساءل ما إذا كنت كذلك.

" لكن جو تقول الآن إن والدتي تحتاج إلى علاجٍ كيميائي، لكنها ستكون مريضة بالفعل، مريضة فعلاً. يعني ذلك أنها بحاجةٍ إلى مساعدة " .

" هل يتوجب علينا البدء في البحث عن دار عناية يهتم بها؟ وعن

ممرضة؟ " .

" إنها لا تمتلك ذلك النوع من التأمين " .

حدّق بي مكتوف اليدين، لكني أعرف ما يفكّر فيه: إنه يتحداني كي أعرض عليه أن أقوم بالدفع. أعرف بأنه لا يمكننا أن ندفع، وذلك لأنني أعطيت أموالي إلى والديّ.

قلت: " حسناً إذاً يا عزيزي. ماذا تريدني أن أفعل؟ " .

وقفنا قبالة بعضنا بعضاً وكأننا كنا في مواجهة، أو في صراع من دون علمي. تقدمت قليلاً كي ألمسه، لكنه اكتفى بأن نظر إلى يدي.

" يتعيّن علينا العودة " . حدّق بي فاتحاً عينيه إلى الحد الأقصى. مدّ أصابعه، وكأنه يحاول تخليص نفسه من شيء لزج. " سنجرّب سنة، وسنقوم بالأمر الصائب. إننا من دون وظائف، وليس لدينا المال، أي إنه لا شيء يشدّنا إلى هذا المكان، حتى أنتِ ينبغي أن تعترفي بذلك " .

" حتى أنا يتعيّن عليّ ذلك؟ " بدا الأمر وكأنني كنت معارضة. شعرت بموجةٍ من الغضب لكني تمكنت من استيعابها.

" هذا ما سنقوم به. إننا سنقوم بالأمر الصائب. سنساعد أهلي، ولو لمرةٍ واحدة " .

هذا هو ما علينا فعله بطبيعة الحال، لكنه لو عرض عليّ المشكلة، وكأنني لست عدوته لكنتُ قلت له ذلك. لكنه خرج من الباب وهو يعاملني وكأنني مشكلة يتعيّن عليه التعامل معها. يعني ذلك بأنني الصوت المرير الذي تدعو الحاجة إلى إسكاته.

يُعتبر زوجي الرجل الأكثر ولاءً على هذا الكوكب إلى أن يكفّ عن ذلك. رأيت عينيه وهما تأخذان ظلاً داكناً عندما يشعر بأن صديقاً ما قد خانه، حتى ولو كان صديقه العزيز منذ أمدٍ بعيد، وعندها لا يعود يذكر اسم ذلك الصديق مطلقاً. تطلع نحوي وكأنني شيء يُمكن التخلص منه إذا ما دعت الحاجة. دفعتني تلك النظرة إلى الشعور بالخوف فعلياً.

تقرّر الأمر بعد إجراء مناقشة قصيرة: سنرحل عن نيويورك، وسوف نتوجه إلى ميسوري. سنعود إلى منزلٍ في ميسوري يقع قرب النهر، وهناك سوف نعيش. يبدو الأمر سوريالياً، وأنا هنا لا أبالغ عند استخدامي كلمة سوريالي.

أعرف بأن الأمور سوف تجري على ما يرام. يبدو أن الأمر بعيد جداً عما تصورته في البداية، أي عندما بدأت في تخيّل حياتي. لا أريد أن أبدو

وكأنني أقول شيئاً تلو شيء، بل إن كل ما أعنيه هو أنه من بين مليون احتمال حول أين ستأخذني الحياة، ما كان لي أن أخمّن أين سأنتهي. اعتبرت هذا مقلقاً.

كانت عملية نقل أثاث منزلنا بواسطة عربة نقل الأثاث بمثابة كارثة مصغرة: كان نِك مصمماً وشاعراً بالذنب، كان فمه مزموماً بشدة، ويريد إنهاء الأمر بسرعة من دون أن ينظر إليّ. بقيت العربة لفترة ساعات وهي تسد الطريق في شارعنا الصغير، مطلقةً أنوارها المتقطعة - خطر، خطر، خطر - هذا بينما يمضي صعوداً ونزولاً على الدرج، أي إنه كان يشكل فريق عملٍ من رجلٍ واحد فهو يحمل الصناديق التي تحتوي الكتب، وأواني المطبخ، والكراسي، والطاولات الصغيرة. كنا منهمكين في نقل أريكتنا القديمة، وهي أريكة واسعة وطويلة، والتي يعتبرها والدي مفضلةً لدينا، وهي التي ندلّلها كثيراً. كانت هذه الأريكة آخر ما لدينا لننقله، وكانت عملية نقلها مهمة صعبة بالنسبة إلى شخصين. بدأنا بنقل هذه الأريكة الضخمة إلى الطابق السفلي (انتظر قليلاً. أريد أن أرتاح. ارفع قليلاً إلى جهة اليمين. انتظر إنك تتحرك بسرعة كبيرة. انتبه، أصابعي، أصابعي!) هو أمرٌ أقرب ما يكون بحد ذاته إلى عملٍ يخصّ فرق البناء. أردنا بعد الانتهاء من نقل الأريكة إحضار طعام الغداء من أحد مطاعم الوجبات الجاهزة القريبة، وهو سيتكون أساساً من شطائر مقلية وملفوفة يمكننا أكلها، وشرب بعض الصودا الباردة، ونحن في الطريق.

سمح لي نِك بالاحتفاظ بالأريكة، لكن الأشياء الكبيرة الأخرى ستبقى في نيويورك. علمت أن أحد أصدقاء نِك سوف يأخذ السرير، وهو سيأتي لاحقاً إلى منزلنا الخالي، ولن يجد شيئاً غير الغبار وبطاقات التلفزيون السلكي المتروكة. سيأخذ السرير بعد ذلك ويعيش حياته النيويوركية في سريرنا النيويوركي، وسوف يتناول أطعمةً صينية عند الثالثة بعد منتصف الليل، وسوف يُحضر بعض الفتيات العابثات اللواتي يعملن في مجال العلاقات العامة. (أما منزلنا ذاته فسوف يسكنه محاميان، زوج وزوجته محبّان للضجيج، وهما عبرّا بكل وقاحة وجرأة عن مدى سرورهما بهذه الصفقة التي حصلا عليها. إنني أكرههما).

إنني أحمل شيئاً في مقابل كل أربعة أشياء يحملها نِك. إنني أتحرك ببطء ووسط شعورٍ من الملل، وكأن عظامي تؤلمني، كما أشعر بتوتر مفاجئ خيّم عليّ. أشعر بأن كل شيء يؤلمني. يمر نِك بقربي إما صاعداً أو نازلاً، وهو يرمقني عابساً في كل مرة قبل أن يقول: " هل أنت بخير؟ " . لكنه

يمضي قبل أن أتمكن من الإجابة، ويتركني فاغرة الفم حاملة صندوقاً من الكرتون.

إنني لست بخير، لكني سوف أكون بخير، لكنني الآن لا أشعر بأنني بخير. أريد أن يحيطني زوجي بذراعيه، وأن يقوم بتطميني وتدليعي قليلاً، ولو للحظةٍ واحدة.

ينشغل نِك الآن بترتيب الصناديق داخل الشاحنة. يفتخر نِك بمهارته في ترتيب الأشياء: إنه الآن (كان) الرجل الذي يقوم بتلقيم جهاز غسل الأطباق، وهو الذي يقوم بترتيب الحقائب التي نأخذها معنا في الإجازات. تبيّن لنا عند الساعة الثالثة بأننا بعنا، أو أهدينا، عدداً كبيراً من ممتلكاتنا. بدا صندوق عربة النقل نصف فارغ. شعرت بالارتياح في ذلك اليوم، أعني ذلك الارتياح الحار الذي يشعر به المرء في أعماقه، وكأنه وخزة حرارية. فكّرت في نفسي، هذا حسن، حسن.

قال نِك وهو يتطلع نحو البعيد من خلفي: " يمكننا أخذ السرير إذا كنتِ تريدين ذلك فعلاً. هناك ما يكفي من المساحة " .

قلت بنبرةٍ جادة: " كلا. وعدتَ بإعطائه إلى والي، ووالي يجب أن يأخذه " . أخطأتُ هنا. كان يمكنني القول: كنتُ مخطئة، أنا آسفة، دعنا نأخذ السرير. يمكنك أن تحتفظ بسريرك القديم والمريح في هذا المكان الجديد. ابتسِمْ لي، وكن لطيفاً معي. كن لطيفاً معي اليوم.

تنهد نِك، وقال: " حسناً، إذا كان ذلك هو ما تريدين. آمي؟ هل هذا هو ما تريدينه؟ " وقف وكأنه عاجز عن أخذ نفس، واستند إلى كدسةٍ من الصناديق. حمل الصندوق في أعلى الكدسة كلمات بالخط العريض: ملابس آمي الشتائية. " هل هذا قرارك الأخير بشأن السرير يا آمي؟ إنني أعرض ذلك عليك الآن. سأكون سعيداً إذا نقلته لك الآن " .

قلت: " إنه لطفٌ منك " . أخذت نَفَساً عميقاً، وبطريقة تشبه معظم ردودي، أي مثل سحابة من العطر تخرج من رذاذ رديء. إنني جبانة، ولا أحب المواجهة. رفعت صندوقاً [كرتونة] وتوجهت نحو الشاحنة المغلقة.

" ماذا قلتِ؟ " .

هززتُ رأسي باتجاهه. لم أرغب أن يراني وأنا أبكي، لأن ذلك سوف يزيد من حدة غضبه.

مرّت عشر دقائق وشعرت بأن الدرج يهتز - بانغ! بانغ! بانغ! كان نِك يجر أريكتنا وحده على الدرج.

لم أتمكن من التطلع ورائي أثناء مغادرتنا نيويورك، وذلك لأن الشاحنة ليس فيها نافذة خلفية. أما في المرآة الجانبية فقد تمكنت من رؤية الأفق (الأفق الآخذ بالتباعد - ألم يتحدثوا عن ذلك في روايات العصر الفيكتوري حيث تُجبَر البطلة المدانة على ترك منزل أجدادها)، لكني لم أرَ أي مبنى من المباني الهامة - مثل مبنى كرايسلر، أو إمباير ستايت، أو فلاتيرون، وهي كلها لم تظهر أمامي في ذلك المستطيل المربع الصغير.

زارني والداي في الليلة السابقة وقدما لنا ساعة الكوكو العائلية التي أحببتها كثيراً عندما كنتُ طفلة. تعانقنا نحن الثلاثة وتعانقنا بينما كان نِك يضع يديه في جيوبه واعداً بأنه سوف يهتم بي.

وعدَ نِك أن يهتم بي، لكني أشعر بالخوف مع ذلك. أشعر وكأن شيئاً يسير على غير ما يرام، وربما سوف يحصل لي سوء ما، وأنه سوف يسوء أكثر. لا أشعر بأنني زوجة نِك، حتى أنني لا أشعر بأنني شخصٌ له كيانه على الإطلاق: إنني شيء يمكن تحميله وإنزاله، أي مثل أريكة أو ساعة الكوكو. إنني شيء يُمكن رميه في باحة مخصّصة لرمي الأشياء غير الصالحة للاستخدام، أو للرمي في نهر إذا تطلب الأمر ذلك. لا أشعر بأنني حقيقية أبداً، بل وأشعر بأنه يُحتمل أن أختفي.

نِك دون

بعد مرور ثلاثة أيام

أعتقد أن الشرطة لن تتمكن من العثور على آمي إلا إذا أراد أحدهم العثور عليها. كان ذلك واضحاً تمام الوضوح. أنهت الشرطة تفتيش كل شيء أخضر أو بنيّ: تم تفتيش عدة أميال من نهر المسيسيبي الموحل، وكذلك كل الطرقات ومسارات التنزه، وكذلك مجموعتنا الحزينة من الغابات المتقطعة. إذا كانت آمي على قيد الحياة فسوف يتعيّن على شخصٍ ما أن يعيدها. أما إذا كانت ميتة فسوف يتعيّن على الطبيعة أن تتخلى عنها. إنها حقيقة محسوسة مثل الطعم المر على طرف اللسان. وصلت إلى مركز التطوع، وأدركت أن الجميع يعرف ذلك: كان هناك شعورٌ بعدم الحماس والهزيمة يخيّم على المكان. تجولت من دون هدفٍ محدد، فوصلت إلى أحد مطاعم الحلويات، وحاولت إقناع نفسي بتناول شيء ما، وربما حلويات دانمركية. وصلت إلى استنتاجٍ يقول إنه ما من طعام يثير الإحباط أكثر من الحلويات الدانماركية، وهي التي بدت شاحبة فور وصولي.

سمعت أحد المتطوعين يقول لصاحبه: " ما زلت أعتقد بأنها في النهر " . كان الرجلان يتناولان الحلويات بأصابع غير نظيفة. " إنه خلف منزل الرجل. هل هناك طريقة أسهل من ذلك؟ " .

" كان يجب أن تظهر في تيار النهر في هذا الوقت، أو أمام بوابة مائية، أو أي شيء من هذا القبيل " .

" هذا إذا لم تكن مقطعة. أعني أن تكون مقطوعة الساقين، والأذرع... يُمكن للجثة عندها أن تجد طريقها نحو الخليج، وعلى الأقل إلى تونيكا " .

ابتعدت عنهما قبل أن يلاحظا وجودي.

رأيت أحد أساتذتي السابقين ويُدعى السيد كولمان، جالساً إلى إحدى الطاولات، وكان منحنياً على أحد أجهزة line - tip ، وكان يكتب بعض المعلومات. رسم إشارة سخيفة بحركة دائرية من إصبعه حول أذنه، ثم أشار نحو جهاز الهاتف. رحّب الرجل بي في الأمس قائلاً: " قُتِلت حفيدتي على يد سائق ثمل، ولهذا... " تمتمنا بعض العبارات، وربّت كل واحدٍ منا على كتف صاحبه بحركةٍ روتينية.

رنّ هاتفي الخلوي، وهو الهاتف ذي الخط المؤقت. لم أقرّر المكان الذي يجب أن أحتفظ به، وهكذا أبقيتُه معي. أجريتُ مكالمة هاتفية، ثم تلقيت مكالمةً رداً عليها، لكنني لم أتمكن من التحدث. أطفأت الهاتف،

وتفحصت الغرفة كي أتأكد من أن آل إليوت لم يرياني وأنا أفعل ذلك. كانت ماريبيت منشغلة بالنقر على هاتفها من نوع بلاك بيري، وأبعدته مسافة ذراع عنها كي تتمكن من قراءة النص. لكن عندما رأتني اقتربت نحوي بخطواتها السريعة، لكنها أبقت على البلاك بيري أمامها مثل التعويذة.

سألتني: " كم ساعة تبعد ممفيس من هنا بالسيارة؟ " .

" أقل بقليل من خمس ساعات. ماذا هناك في ممفيس؟ " .

" تعيش هيلاري هاندي في ممفيس، وهي التي كانت تلاحق آمي منذ أيام المدرسة الثانوية. ما هو مقدار الصدف في ذلك؟ " .

لم أعرف بماذا أجيب: لعله لا شيء.

" أجل. استبعدني جيلبين كذلك بدوره. لا يمكننا الموافقة على الإنفاق على شيء حدث منذ عشرين عاماً. يا للمغفّل. يعاملني الرجل على الدوام وكأنني على وشك أن أصاب بالهستيريا. إنه يتحدث إلى راند عندما أكون هناك، وهو يتجاهلني وكأنني مغفلة بحاجة إلى زوجي لشرح الأمور إليّ. مغفّل " .

قلت: " المدينة مفلسة. إنني متأكد بأنهم لا يمتلكون المال اللازم يا ماريبيت " .

" حسناً. إننا نمتلك المال. إنني جادة في هذا يا نِك. كانت هذه الفتاة مضطربة عقلياً. أعرف كذلك بأنها حاولت الاتصال بآمي خلال هذه السنوات. آمي أخبرتني بذلك " .

" لم تذكر لي ذلك أبداً " .

" ما هي أجرة السيارة إلى هناك. خمسون دولاراً؟ لا بأس. هل تذهب معي؟ قل لي بأنك تريد الذهاب، أرجوك؟ لن أتمكن من التوقف عن التفكير إلى أن أعرف بأن أحداً ما تكلم معها " .

أدركت بأن هذا صحيح، وعلى الأقل لأن ابنتها عانت من نوبات القلق ذاتها: كانت آمي تمضي المساء بأكمله في القلق من أنها نسيت إغلاق مفتاح موقد الغاز، حتى بالرغم من أننا توقفنا عن الطبخ هذه الأيام. أو إنها كانت تتساءل ما إذا كنا أقفلنا الباب أم لا. هل أنا متأكد من ذلك؟ كانت الأسوأ في تخيّل كل هذه الأشياء. لم يقتصر الأمر على ما إذا كان الباب مقفلاً أم لا، بل كان احتمال أن يكون الباب غير مقفلٍ، وأن يكون عدد من الأشخاص داخل المنزل في انتظارها كي يعتدوا عليها ويقتلوها.

أحسست بأن طبقةً من العرق تكاد تظهر على سطح جلدي، وذلك

لأنه تبيّن بأن مخاوف زوجتي أثبتت صحتها في نهاية المطاف. أيمكنكم أن تتخيلوا الارتياح الذي يشعر به المرء عندما يعرف بأن كل سنوات القلق تلك قد أثمرت.

" سأذهب بالطبع، وسوف أتوقف في طريقنا في سانت لويس كي أرى الشخص الآخر الذي يُدعى ديزي. اعتبري بأن ذلك تحقق بالفعل " . استدرت، وبدأت بالتحرك. لكنني لم أبتعد أكثر من عشرين قدماً حتى رأيت ستكس مجدداً، وبشكلٍ مفاجئ. كان وجهه بأكمله مثقلاً بالنعاس.

قال وهو يحك فكّه: " سمعت أن رجال الشرطة فتشوا البارحة مركز التسوّق " . حمل الرجل في يده الأخرى كعكة محلاة ملتمعة، وهو لم يبدأ بتناولها بعد. لاحظت أن شيئاً ما يشبه الفطيرة يبدو في جيب سرواله الأمامي. كدت أبدأ بهذه الدعابة: هل إن ما تحمله في جيبك مقليٌّ جيداً أم إنك...

" أجل. لم يعثروا على شيء " .

" البارحة. ذهب هؤلاء المغفلون البارحة " . حنى جسده فجأة، وتطلع من حوله، وكأنه قلق من أن يكون أحد قد سمع شيئاً. اقترب مني وقال: " اذهب أنت في الليل، حين يتواجدون هناك. أما أثناء النهار فيتواجدون قرب النهر، أو إنهم يرفعون لافتات " .

" يرفعون لافتات " .

" تعرف ذلك. إنهم يجلسون عند مخارج الطرق السريعة وهم يحملون لافتات: مصروفون من العمل، ساعدونا من فضلكم، بحاجة لشراء الشراب، أو أي شيء من هذا القبيل. " يرفعون لافتات يا صاحبي " .

" حسناً " .

قال: " إنهم يعودون في الليل إلى المركز التجاري " .

قلت: " إذن، لنذهب هذه الليلة. أنا وأنت وأي شخص آخر " .

قال ستكس: " جو وميكي هيلسام. إنهم مستعدون لذلك " . كان الشقيقان هيلسام أكبر مني سناً بثلاث أو أربع سنوات، وكانا من أشقياء هذه المدينة. كانا ذلك النوع من الرجال الذين ولدوا من دون جينة الخوف، ومع قدرة على مقاومة الألم. كانا يضايقان الأولاد الذين يتحركون خلال فصول الصيف، بسيقانهم المليئة بالعضلات، ويلعبان كرة القاعدة، ويشربان، ويقومان بمغامرات غريبة: يتزحلقان نحو حفر الصرف الصحي، ويتسلقان عراة إلى خزانات المياه. كانا ذلك النوع من الشبان الذين يخلعون ثيابهم بعيونٍ وقحة في ليالي السبت، ويعرف المرء عندها بأن شيئاً

ما سوف يحدث، ولعله ليس بالشيء الحسن، لكن شيئاً ما. كان الشقيقان هيلسام مستعدَّين لكل شيء.

قلت: " حسناً. سنذهب هذه الليلة " .

رنّ هاتفي المحمول ذو الخط المؤقت في جيبي. لم أتمكن من إقفال ذلك الشيء. رنّ الهاتف مرةً أخرى.

قال ستكس: " هل تنوي الرد على المكالمة؟ " .

" كلا " .

" يتعين عليك أن ترد على كل مكالمة يا رجل. يتعيّن عليك ذلك فعلاً " .

لكن هناك ما أفعله لبقية النهار. لم يجرِ التخطيط لعمليات تفتيش، ولم تكن هناك حاجة للمزيد من المنشورات، كما أن عدداً كافياً من الرجال كان على استعداد للإجابة على أجهزة الهاتف. بدأت مارييبيت في هذا الوقت بإعادة المتطوعين إلى منازلهم، وذلك لأنهم لم يفعلوا شيئاً غير الوقوف في المكان وتناول الطعام، والشعور بالملل. شككت بأن ستكس غادر بعد أن ملأ جيوبه بنصف محتويات مائدة الفطور.

سأل راند: " هل عرف أحدكم شيئاً عن رجال التحري؟ " .

أجبت أنا ومارييبيت في وقتٍ واحد: " لا شيء " .

سأل راند بعينين مليئتين بالأمل: " يحتمل أن يكون ذلك أمرٌ حسن، أليس كذلك؟ " وافقته أنا ومارييبيت بأن كل شيء يسير على ما يرام. أجل، بالتأكيد " .

سألتني مارييبيت: " متى ستغادر إلى ممفيس؟ " .

" غداً. سأجري الليلة تفتيشاً مع أصدقائي في المركز التجاري. إننا لا نعتقد بأن التفتيش قد جرى بالطريقة الصحيحة يوم أمس، أليس كذلك؟ " .

قالت مارييبيت: " ممتاز. هذا هو نوع التحرك الذي نحتاجه. إننا نشك بأن التفتيش لم يجرِ بالطريقة الصحيحة في المرة الأولى، لذلك سوف نقوم بذلك بأنفسنا، وذلك لأنني لست مقتنعة بما جرى حتى الآن " .

وضع راند يداً على كتف زوجته، وهي إشارة سبق له التعبير عنها مراتٍ عديدة.

قال لي: " أريد أن آتي معك يا نِك. أريد أن آتي هذه الليلة " . كان راند مرتدياً قميصاً باللون الأزرق من تلك التي تناسب لعبة الغولف،

وكذلك ثياباً واسعة باللون الزيتي، بينما كان شعره مثل قبعة ملتمعة. تصورته برفقة الأشقاء هيلسام وهو يقوم بالروتين الذي يوحي بأنه أحد الرجال - اسمعوني. إنني، مثلكم، أحب النوع الجيد من الشراب، وماذا عن فرقكم الرياضية؟ - وشعرت بموجة من الهلع الوشيك.

" بالطبع يا راند، بالطبع " .

أدركت بأنني أمتلك عشر ساعات من الفراغ يتعيّن عليّ أن أملأها. استعدت سيارتي في هذا الوقت، وذلك بعد أن خضعت للتنظيف ورفع البصمات، كما أفترض. توجهت إلى مركز الشرطة بسيارة إحدى المتطوعات الأكبر سناً. بدت المرأة خائفةً قليلاً لوجودها معي بمفردها.

قالت المتطوعة لإحدى رفيقاتها: " سأنقل السيد دون إلى مركز الشرطة، لكني سأعود في غضون أقل من نصف ساعة، وليس أكثر من نصف ساعة " .

لم يأخذ جيليين الرسالة الثانية التي سطّرتها آمي كدليل، وذلك لأنه كان مهتماً أكثر باللباس الداخلي. ركبت سيارتي وفتحت الباب. جلست منتظراً خروج الحرارة منها، ثم أعدت قراءة اللغز الثاني الذي كتبته زوجتي:

تصوّرَني: إنني مجنونة بك
مستقبلي ليس غامضاً من دونك
أتيت بي إلى هنا كي أتمكن من سماع دردشتك
عن مغامرات أيام صباك: الجينز المتغضن وقبعتك المموهة
لا آبه بأي شخصٍ آخر، إنهم غير موجودين بالنسبة إلينا
دعنا نختلس قبلة... ونتظاهر بأننا تزوجنا لتونا.

كان المكان المقصود هو هانيبال [هنيبعل]، ميسوري، المكان الذي نشأ فيه مارك توين، وحيث كنت أعمل في فصول الصيف في بداية مراهقتي. كنت أجول في هذه البلدة مرتدياً ثياب هاك فين ومعتمراً قبعة قشّ قديمة وسروالاً متغضناً، وموزّعاً الابتسامات الساخرة، وأحثّ الناس في الوقت ذاته على زيارة محال المثلجات. كانت هذه إحدى القصص التي كنتُ أرددها أثناء خروجنا لتناول الغداء، وعلى الأقل في نيويورك، وذلك لأنه ليس بإمكان أحد مجاراتها. لا يمكن لأي شخص أن يقول: أوه نعم، وأنا

أيضاً.

أما عبارة " قبعة التمويه " فكانت أقرب ما يكون إلى دعابةٍ ضمنية: عندما أخبرت آمي لأول مرة بأنني لعبت دور هاك خرجنا لتناول طعام الغداء. كنا على استعداد للإجهاز على زجاجة الشراب الثانية. بدت آمي، وبشكلٍ محبب، متأثرة بعض الشيء بالشراب. كانت علامات الابتسامة الكبيرة، والخدّين المتوردين، تدل على أنها أفرطت في الشراب. كانت تنحني فوق الطاولة وكأنني أحمل مغناطيساً معي. كانت كذلك تداوم على سؤالي ما إذا كانت القبعة لا تزال معي، وتطلب مني أن أضع القبعة على رأسي من أجلها. سألتها بكل شيء مقدس ما إذا كانت تظن بأن هاك فين يعتمر قبعة. كانت تُظهر بأنها استوعبت ما قلته لها ذات مرة وقالت: " أوه، إنني أعني قبعة القش! " بدا الأمر وكأن هاتين الكلمتين تعطيان المعنى ذاته. اعتدنا بعد ذلك في كل مرة نذهب فيها لمشاهدة لعبة كرة المضرب على إطراء قبعات اللاعبين الرياضية المصنوعة من القش.

كانت هانيبال خياراً غريباً بالنسبة إلى آمي مع ذلك، وذلك لأنني لا أتذكر بأنني أمضيت في تلك البلدة وقتاً طيباً أو سيئاً بشكلٍ خاص، بل إن كل ما أذكره هو أنني أمضيت بعض الوقت فيها. أذكر بأننا تجولنا في تلك البلدة منذ سنة تقريباً، وكنا نشير إلى الأشياء التي نراها، ونقرأ اللوحات، وكان أحدنا يقول، " هذا مثير للاهتمام " بينما يوافقه الآخر هذا الرأي بالقول، " إنه مثير للاهتمام بالفعل " . قصدتُ ذلك المكان من دون آمي (كان حنيني لا يقاوم في ذلك الحين) وأمضيت يوماً رائعاً، وكنت أبتسم ابتسامة عريضة تدل على أن كل شيء هذا اليوم هو على ما يرام في هذا العالم. لكن مع آمي كان الأمر مجرد روتين، بل محرجٌ بعض الشيء. أتذكر أنه في إحدى المراحل بدأتُ في رواية قصة سخيفة عن زيارة ميدانية قمت بها عندما كنت صبياً. لاحظتُ بأنها كانت شاردة. شعرت بالغضب الشديد بيني وبين نفسي. أمضيت عشر دقائق في محاولةٍ مني لتهدئة نفسي، وذلك لأنه في تلك المرحلة من زواجنا اعتدت أن أكون غاضباً منها، ووصل الأمر إلى حد أنني كدت أستمتع بهذا الوضع. بدا الأمر مثل قضم الأظافر: أي عندما يعرف المرء بأنه يتعيّن عليه أن يتوقف، لكنه لا يستطيع. لم يكن الأمر مهماً في الظاهر بطبيعة الحال. كنا نستمر في السير، وقراءة اللوحات والإشارة إليها.

كانت الرسالة تذكيراً مرعباً بعض الشيء، وذلك بسبب ندرة الذكريات الحسنة التي تشاركنا فيها منذ أن انتقلنا، وهو الأمر الذي دفع زوجتي إلى

انتقاء هانيبال لتكون جزءاً من لعبة البحث عن الكنز التي أعدّتها.

وصلتُ إلى هانيبال في غضون عشرين دقيقة من الزمن. مررتُ بالسيارة من أمام مبنى محكمة عصر الفساد [في كتابات مارك تواين] والتي لا تضم الآن سوى جناح صغير في الطابق الأرضي فيها، ثم مررت بعد ذلك أمام سلسلة من المؤسسات المنهارة - مصارف محلية مفلسة، ودور سينما توقفت عن العمل - متجهاً نحو النهر. ركنتُ السيارة في موقف يحاذي المسيسيبي مباشرة في مواجهة مركبٍ نهري يحمل اسم مارك تواين. كان موقف السيارات مجانياً. (لم أتوقف عن دهشتي لهذا الشيء النادر، أي الكرم الذي يعبّر عنه الموقف المجاني للسيارات). رأيت يافطات الرجل ذو الشعر الأشيب تتدلى ببساطة من فوق أعمدة المصابيح، وملصقاتٍ إعلانية ملتفة بتأثير الحرارة. كان ذلك يوماً شديد الحرارة، لكن مع ذلك بدت هانيبال هادئة بشكلٍ مقلق. مررتُ أمام مجموعات من المتاجر التي تبيع تذكارات - أغطية أسرّةٍ وأشياء قديمة وثمينة وقطع الحلوى - ورأيت عدداً كبيراً من لوحات معروض - للبيع. لاحظت كذلك أن منزل بيكي ثاتشر مقفلٌ للترميم الذي ستأتي تكاليفه من أموالٍ لم تُجمَع بعد. شاهدت سياج توم سوير المطلي بالكلس، حيث يستطيع المرء كتابة اسمه مقابل عشرة دولارات، لكني رأيت عدداً قليلاً من الأشخاص الذين قبلوا العرض.

جلست أمام مدخل واجهة متجرٍ فارغ. خطر لي في تلك اللحظة بأنني أحضرت آمي إلى نهاية كل شيء. كنا نختبر، عملياً، نهاية طريقة في العيش، وهي عبارة سبق لي أن طبقتها فقط على رجال قبائل غينيا الجديدة، وعلى صانعي [نافخي] الزجاج في الأبلاش. قضى الركود الاقتصادي على مركز التسوق التجاري. نجحت الحواسيب كذلك في القضاء على مؤسسة بلو بوك. وقفت مدينة قرطاجة على حافة الإفلاس، أما مدينتها الشقيقة هانيبال فقد فَقَدَتْ بريقها أمام المواقع السياحية الأكثر التماعاً وصخباً وحركة. لكن نهر المسيسيبي الحبيب فقد شهد حركة تراجعية بفضل أسماك الكارب الآسيوية التي تشق طريقها صعوداً نحو بحيرة ميشيغان. يعني كل ذلك أن آمي الرائعة قد انتهت. شهدت هذه المرحلة نهاية عملي وعملها كذلك، ونهاية والدي، ونهاية والدتي. شهدت نهاية زواجنا، ونهاية آمي.

انطلق من جهة النهر زعيق القارب البخاري الذي بدا مثل صوت شبح. شعرت أن ظهري يتعرّق. حملتُ نفسي على الوقوف، كما اشتريت تذكرة سياحية. مشيت على الطريق ذاته الذي اتّبعته أنا وآمي، وكانت

زوجتي ما زالت إلى جانبي في ذهني. كان ذلك يوماً حاراً كذلك. أنت لامع. سارت إلى جانبي في مخيلتي، لكنها ابتسمت هذه المرة. شعرت بتوترٍ في بطني.

مشيتُ ذهنياً مع زوجتي حول الطريق الرئيسة التي يتبعها السياح. شاهدت زوجان مسنّان يتوقفان قليلاً للتطلع إلى داخل منزل هكلبيري فين، لكنهما لم يكترثا للدخول إليه. رأيت في نهاية ذلك الطريق رجلاً يرتدي ملابس تواين - ذا شعر أشيب، بذلةً بيضاء - وهو يخرج من فورد فوكس، ويتمطى، ثم ينظر نحو الشارع الخالي، وما لبث أن دخل إلى مطعم للبيتزا. انتهينا أخيراً في مبنى clapboard والذي كان في أحد الأيام قاعة محكمة والد صموئيل كليمينز. حملت اللوحة الخارجية كلمات: ج. م. كليمينز، قاضي السلام.

دعنا نختلس قبلة... ونتظاهر بأننا تزوجنا لتونا.

إنك تجعلين من هذه غاية الروعة والسهولة يا آمي. يبدو الأمر، وكأنك فعلاً ترغبين أن أعثر عليها، وأن أشعر بالرضا عن نفسي. تابعي هكذا وسوف أكسر رقماً قياسياً.

لم يكن أحد في الداخل. ركعتُ على ركبتيّ فوق الألواح الخشبية التي يعلوها الغبار، ثم اختلستُ النظر إلى ما تحت المقعد الأول. أعرف أنه لو تركت آمي دليلاً [لغزاً] في مكانٍ عام لكانت تلصقه تحت الأشياء. كان تصرفها هذا مبرراً على الدوام لأنه ما من إنسانٍ يرغب في التطلع إلى ما تحت الأشياء. لم أعثر على شيء تحت المقعد الأول، لكنني لاحظت وجود ورقةٍ مطوية تتدلى من المقعد الذي وراءه. نهضت على الفور وانتزعت المظروف الأزرق الذي وضعته آمي، وكانت قطعة من الشريط اللاصق تتدلى منه.

مرحباً يا زوجي العزيز

وجَدْتَه! يا لك من رجلٍ لامع. يُحتمل أنه من المفيد أن أقول إن عملية البحث عن الكنز لهذه السنة لم تكن مساراً إجبارياً مرهقاً عبر ذكرياتي الشخصية الغامضة.

استفدتُ من إشارة لمارك تواين الذي تحبه كثيراً:

" ماذا يجب أن نفعل بالرجل الذي اخترع الاحتفال بالمناسبات؟ إن الاكتفاء بقتله يبدو أمراً مخففاً جداً " .

فهمتُ كل شيء في النهاية، وهو ما كنتَ تقوله لي سنةً بعد سنة،

وهو أن عملية البحث عن الكنز يجب أن يكون وقتاً للاحتفاء بنا، وليس اختباراً يهدف إلى اكتشاف ما إذا كنتَ تتذكر كل الأشياء التي أقولها، أو أفكّر فيها خلال سنةٍ منصرمة. يُحتمل أن تعتقد بأن ذلك هو أمرٌ يُمكن للمرأة البالغة أن تدركه بنفسها، لكني... أعتقد أن هذه هي الغاية من وجود الأزواج، أي كي يقولوا لنا ما لا يمكننا إدراكه بأنفسنا، حتى ولو استغرق الأمر خمس سنوات.

أريد الآن أن أتوقف للحظة في الموقع المفضل الذي أمضى فيه مارك تواين طفولته. أريد أن أشكرك على ذكائك. أنت فعلاً أذكى وأظرف إنسانٍ عرفته. إنني أمتلك ذاكرة أحاسيس مدهشة: مِن بين كل المرات التي اقتربت فيها من أذني على مرّ السنين - ما زلت أشعر بأنفاسك تتساقط على شحمة أذني، الآن وأنا أكتب هذه الأسطر - لتهمس شيئاً ما لي فقط، ولكي تجعلني أضحك. أدرك الآن بأن هذه كانت لفتة كريمة من زوجٍ يحاول أن يدفع زوجته إلى الضحك. كنتَ تنتقي أنسب اللحظات لهذه المهمة. أتذكر عندما دعتنا إنسلي وزوجها، الذي يشبه القرد الراقص، إلى إلقاء نظرة على طفلهما، وقمنا عندها بتلك الزيارة الإجبارية إلى منزلهما الذي يبدو نموذجياً بشكلٍ غريب، والذي يفيض بالزهور بشكلٍ مبالغٍ فيه، وذلك لتناول فطورٍ متأخر ولرؤية الطفل. كانا واثقين من نفسيهما ومتعاطفَين مع وضعنا الذي يخلو من الأولاد. كان هناك في هذا الوقت ابنهما المريع الذي كانت تغطيه قطرات اللعاب النازلة من فمه، وقطع الجزر المطبوخ، وحتى بعض الأوساخ كذلك - كان عارياً إلا من قطعة قماش صغيرة وزوجٍ من الأحذية المحبوكة - وكنتُ وقتها أرتشف عصير البرتقال، وما لبثتَ أن اقتربت مني وهمست، " هذا ما سأرتديه في وقتٍ لاحق " . أذكر بأنني تقيأتُ فعلياً. كانت تلك إحدى اللحظات التي قمتَ فيها بحمايتي، وجعلتني أضحك في الوقت المناسب تماماً. إنه غصن زيتون مع ذلك، والذي قدّمته لي مرةً واحدة. إذاً دعني أقولها مرة ثانية: أنت ذكي. والآن، قبِّلْني!

شعرت بانقباضٍ شديدٍ في أعماقي. استخدمت آمي عملية البحث عن الكنز كي تعيدنا إلى بعضنا بعضاً. لكن الوقت فات كثيراً. لم تكن لديها أدنى فكرة عن حالتي الذهنية عندما كانت تكتب هذه الألغاز. لماذا يا آمي، ألم يكن بإمكانك أن تفعلي ذلك في وقتٍ أبكر؟

لم يكن توقيتنا متناسقاً أبداً.

فتحتُ اللغز الثاني، وقرأته، ودسسته في جيبي، ثم توجهت عائداً إلى المنزل. كنت أعرف إلى أين يجب أن أتوجّه، لكنني لم أكن مستعداً بعد. لم يكن بإمكاني تحمّل مجاملةٍ أخرى، ولا كلمةً لطيفة أخرى من زوجتي، ولا حتى غصن زيتون. لكن مشاعري نحوها بدأت بالتحوّل سريعاً من المرارة إلى الحلاوة.

عدتُ إلى منزل جو وأمضيت ساعاتٍ قليلة وحيداً. شربت قهوة، وقلّبت بين محطات التلفزيون. شعرت بالقلق والوحشة لأنني أضيّع الوقت حتى الساعة الحادية عشرة مساءً، أي إلى أن يحين موعد ذهابنا بالسيارة إلى مركز التسوق التجاري.

وصلت شقيقتي التوأم إلى المنزل بعد السابعة بقليل. بدت منهكة بسبب عملها في الحانة وحدها. أوحت لي نظرتها إلى جهاز التلفزيون بأنه يتعيّن عليّ إيقاف تشغيله.

سألتني بينما كانت تشعل سيجارة، وتجلس إلى طاولة لعبة الورق التي كانت تستخدمها والدتي " ماذا فعلتَ هذا اليوم " .

قلتُ: " أشرفتُ على مركز التطوع... ثم ذهبنا للبحث في مركز التسوق التجاري عند الساعة الحادية عشرة " . لكنني لم أرغب في إخبارها عن لغز آمي، وذلك لأنني أشعر بما يكفي من الذنب.

وزّعت جو بعض أوراق لعبة سوليتير، ونثرتها فوق سطح الطاولة. بدأتُ بالتجول في الغرفة جيئة وذهاباً، لكنها تجاهلتني.

" كنت أشاهد برامج التلفزيون لتسلية نفسي " .

" أعرف. إنني أفعل ذلك بدوري " .

قلبت جو ورقة الجندي.

قلت وأنا أتجول بسرعة في غرفة الجلوس: " لا بد وأن أفعل شيئاً " .

قالت جو من دون أن تبدي تشجيعاً إضافياً: " حسناً، سوف تفتشون مركز التسوق التجاري في غضون ساعاتٍ قليلة " . قلبت بعد ذلك ثلاث أوراق.

" يبدو أنك تعتقدين بأن هذا التفتيش ما هو إلا مضيعة للوقت " .

" أوه، كلا. اسمع، يجب تفتيش أي شيء ذي أهمية. ألم يعثروا على ابن سام بسبب بطاقة مخالفة ركن سيارة؟ " .

كانت جو ثالث شخصٍ يذكر لي هذا، ولا بد أن هذه هي الصيغة المقترحة لكل القضايا التي يصعب حلّها. جلستُ قبالتها في النهاية.

قلت: " لم أشعر بما يكفي من القلق حول آمي. أعرف ذلك " .

" لربما لم تشعر " . تطلعت نحوي أخيراً قبل أن تضيف: " تبدو في حالة غريبة " .

" أعتقد بأنني أركز على أنها خدعتني، وذلك بدلاً من الشعور بالهلع، وذلك لأن علاقتنا مؤخراً لم تكن على ما يرام. يبدو لي بأنه من الخطأ أن أشعر بقلقٍ زائد، وذلك لأنه لا يحق لي ذلك على ما أعتقد " .

قالت جو: " كنتَ غامضاً، ولا يمكنني الكذب بهذا الشأن. لكنها حالة غريبة " . أطفأت سيجارتها قبل أن تضيف: " أنا لا أكترث بكيفية معاملتك لي، لكن يجب أن تكون حذراً مع جميع الباقين، هل اتفقنا؟ لا يتأخر الناس عن إصدار الأحكام " .

عادت إلى لعبة الورق [التي تتطلب لاعباً واحداً فقط] لكني أردتُ أن أحوز على انتباهها، ولهذا استمريت في الكلام " .

قلت: " أعتقد، أنه يجب أن أزور والدي في وقتٍ ما. لا أعرف ما إذا كان يجدر بي إخباره عن آمي " .

قالت: " كلا. لا تفعل. إنه يبدو غامضاً بشأن آمي أكثر منك " .

" اعتقدتُ دائماً بأنها تذكّره بإحدى صديقاته القديمات أو شيئاً من هذا القبيل - الصديقة التي تركته، وبعد... " حرّكت يدي نزولاً في إشارةٍ مني إلى داء الألزهايمر الذي يعانيه وتابعت: " كان وقحاً نوعاً ما ومروعاً، لكن... " .

قالت جو: " أجل، لكن لعله أراد إثارة انتباهها في الوقت ذاته. يبدو أن الصبي الأحمق ذا الاثني عشر عاماً محتجزٌ في جسدٍ مغفلٍ يبلغ عمره ثمانية وستون عاماً " .

" ألا تعتقد جميع النساء بأن جميع الرجال هم في حقيقة أمرهم [في قلوبهم] صبيان يبلغون الثانية عشرة من العمر؟ " .

" مهلاً، هذا إذا كان القلب يتسع " .

كان راند ينتظرنا عند الساعة الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم وراء الأبواب الآلية المنزلقة للفندق الذي ينزل فيه. كان يحدّق بشدة في العتمة كي يتعرّف علينا. كان الشقيقان هيلسام يقودان شاحنتهما الصغيرة، بينما ركبت أنا وستكس في الخلف. اقترب راند مسرعاً، وكان يرتدي سروال غولف قصيراً خاكي اللون، وقميصاً قصير الكمين صعد معنا في صندوق الشاحنة الصغيرة، وحشر نفسه فوق غطاء الإطار بسهولة أثارت دهشتنا،

كما تولى التعريف بنا، وكأنه مضيف برنامج تلفزيوني للنقاش.

قال ستكس بصوتٍ عالٍ: " إنني آسفٌ فعلاً بشأن آمي يا راند " . قال ذلك وهو يخرج من موقف السيارات بسرعةٍ زائدة ليصل إلى الطريق السريع. " إنها امرأة لطيفة. رأتني في إحدى المرات وأنا أقوم بطلاء منزل، وكنت أتعرق بشدة، لكنها أقلّتني إلى 7 - 11 ، واشترت زجاجة من الشراب، ثم ناولتني إياها عندما كنت في أعلى السلّم " .

كانت هذه مجرد كذبة. لم تكن آمي تعير كبير اهتمام إزاء ستكس، أو تهتم بإعطائه مرطبات، أو أن تناوله أكواباً من أي نوعٍ آخر.

قال راند: " هذه هي طبيعتها " . شعرت عندها بموجةٍ من القلق المزعج، وغير المرحّب به. يُحتمل بأن الصحفي قد استيقظ في أعماقي، لكن الحقائق هي الحقائق، كما أن الناس لم تقدم على تحويل آمي إلى صديقٍ عزيزٍ بالنسبة إليها لأن ذلك مناسب لهم جميعاً من الناحية العاطفية.

تابع ستكس كلامه مشيراً إلى القميص الذي يرتديه راند: " ميدلبوري، أليس كذلك؟ لديكم فريق ركبي من الدرجة الأولى " .

قال راند: " هذا صحيح، لدينا هذا الفريق فعلاً " . ظهرت الابتسامة العريضة على وجهه مجدداً، وما لبث أن بدأ نقاش غير معقول مع ستكس حول فنون لعبة الركبي الحرة، وكل ذلك في طريقنا إلى مركز التسوق التجاري، ومن فوق ضجيج محرك السيارة، وفي الهواء الطلق، ووسط الظلمة.

ركن جو هيلسام شاحنته الصغيرة خارج متجر مارفينز الكبير. نزلنا جميعاً من الشاحنة الصغيرة، وقمنا بتحريك سيقاننا لإعادة الحركة إليها، ولكي نستيقظ تماماً. كانت الليلة حارة مشبعةً بالرطوبة ومضاءةً بنور القمر. لاحظت أن ستكس كان يرتدي قميصاً مكتوب عليه Gas Save , Fart in a Jar .

قال مايكي هيلسام: " إذاً، وصلنا. ماذا نفعل هنا في هذا المكان الخطر جداً. لا أريد أن أكذب في هذا " . اكتسب مايكي سمنةً عبر السنوات، وهو ما حصل كذلك مع شقيقه. لم يقتصر الأمر على صدريهما المنفوخين، لكن كل شيء يتعلق بهما بدا كذلك. أما إذا وقفا جنباً إلى جنب فإن وزنهما معاً يبلغ خمسمئة باوند.

قال جو: " أتينا إلى هنا ذات مرة، أنا ومايكي، وذلك كي نلقي نظرة على ما أظن، ولكي نرى ما أصبح عليه، لكن كدنا أن نهلك هناك، ولهذا لن نخاطر هذه الليلة " . توجّه بعد ذلك إلى الشاحنة الصغيرة، وتناول

منها كيس خيشٍ كبيراً، وفتحه ليكشف عن نصف دزينة من مضارب كرة القاعدة. بدأ جو بعد ذلك بتوزيعها بهدوء. لكنه تردّد عندما وصل إلى راند. " آه، أتريد واحداً؟ " .

" أجل، أريد واحداً بكل تأكيد " . أومأ الجميع، وابتسموا بهدوء علامة على الموافقة، وسرت بينهم موجة طاقة ودية وحماسية، وهي التي بدأت بكل وضوح والتي توحي، فعلتَ حسناً أيها العجوز.

قال مايكي بعد أن تقدَّمنا بمحاذاة الواجهة الخارجية: " هيا بنا. يوجد باب مع قفلٍ محطّم قرب مركز سبنسر " .

مررنا بمحاذاة الواجهات المظلمة لمتجر شو - بي - دو - بي، أي حيث عملت والدتي لفترة تصل إلى نصف عمري حتى ذلك الحين. ما زلت أتذكر حماستها عندما توجهت لتقديم طلب توظيف في أكثر الأماكن إدهاشاً - مركز التسوق التجاري! - وهي التي غادرت في صباح يوم سبت لتقديم طلبها في معرض التوظيف، وكانت مرتدية سروالاً بلون قرنفلي لامعٍ ضاربٍ إلى الصفرة، وهي المرأة التي كانت في الأربعين من عمرها ومستعدة لتقديم طلب توظيف للمرة الأولى. عادت إلى المنزل بابتسامةٍ عريضة: لم يكن بإمكاننا أن نتصور مدى الحركة الموجودة في المركز التجاري، ومدى تنوع المتاجر الموجودة فيه! ومَن منا يعرف أي متجر ستعمل فيه؟ قدمت والدتي طلبات توظيفٍ إلى تسعة متاجر! كان من بينها متاجر ملابس ومحلات ستيريو، وحتى إلى متجر يبيع الفوشار. أما عندما أعلنت بعد مرور أسبوع بأنها أصبحت رسمياً بائعة أحذية فقد أعربنا عن شعورٍ بعدم الرضا.

قالت جو محتجة: " ستضطرين إلى لمس كل أنواع الأقدام وشمّ روائحها " .

قالت والدتي مصححةً: " سألتقي أشخاصاً ذوي أهمية " .

تطلعت من خلال الواجهة الداكنة. كان المكان خالياً تماماً فيما عدا أداة تحديد قياس القدمين التي كانت مستندةً على الجدار من دون أي داعٍ.

أبلغت راند الذي اضطر للتوقف معي: " كانت والدتي تعمل هنا " .

" ما كان هذا المتجر؟ " .

" كان مكاناً رائعاً، وكانوا طيبين معها " .

" أعني ماذا كانوا يفعلون هنا؟ " .

" آه، أحذية. كانوا يبيعون أحذية " .

" هذا حسن! أحذية. أحب ذلك. إنها شيء يحتاجه الناس بالفعل.

ينجح المرء في نهاية اليوم في بيع أحذية لخمسة أشخاص. إنه أمرٌ يختلف عن الكتابة، أليس كذلك؟ " .

قال ستكس الذي كان أمامنا مستنداً على باب مفتوحٍ بينما انتهى الآخرون من الدخول: " دون، هيا يا رجل! " .

توقعت أثناء دخولنا طبيعة رائحة مركز التسوق التجاري: تلك المساحات ذات الحرارة المضبوطة. لكن شممتُ بدلاً منها رائحة التراب والعشب القديم. كانت تلك هي الرائحة التي يعرفها المرء في الخارج إلا أنها كانت داخل المركز حيث ليس هناك ما يدعو لوجودها. كان المبنى حاراً جداً، ومظلماً تقريباً، مثل ما يبدو عليه الأمر داخل لحاف. كان ثلاثة منا يضعون مصابيح من تلك التي تُستخدم للتخييم. أضاءت الأنوار أشكالاً مختلفة: كان ذلك جواً مألوفاً في الضواحي. رأيت مجموعة خطوط موحلة لعربات التسوق وقد تقاطعت مساراتها بطريقة جنونية فوق الأرضية البيضاء. رأيت راكوناً وهو يقتات طعام الكلاب، وذلك في مدخل المرحاض المخصص للسيدات، وكانت عيناه تلتمعان مثل القطع النقدية الجديدة.

كان المركز هادئاً بأكمله. تردد صوت مايكي في المكان، كما أصدرت خطواتنا صدًى خاصاً بنا، كما أن قهقهات ستكس التي هي أشبه بقهقهات الثملين ترددت أصداؤها كذلك. يعني ذلك أنه لا يمكننا القيام بهجومٍ مفاجئ، هذا إذا كان في نيّتنا القيام بهكذا هجوم.

وصلنا إلى الممر الرئيس للمركز التجاري، فبدا لنا اتساع تلك المنطقة: أربعة طوابق، الدرج المتحرك، والمصاعد بدت كلها وسط الظلمة. تجمعنا جميعاً قرب بركة جافة، وانتظرنا أن يتولى شخصٌ ما القيادة.

قال راند بتشكك: " ما هي خطتكم هنا إذاً يا رجال؟ أنتم تعرفون جميعاً هذا المكان، لكني لا أعرفه. إننا نحتاج إلى وضع خطة منهجية... " .

سمعنا عدة طَرَقاتٍ معدنية خلفنا تماماً، ثم ارتفعت بوابة أمنية.

صرخ ستكس: " انتبهوا. يوجد أحدٌ ما هنا! " وجّه مصباحه إلى رجلٍ يرتدي معطفاً فضفاضاً واقياً من المطر، وهو الذي خرج من أحد متاجر كلير. ركض الرجل نحونا بأقصى سرعته.

صرخ جو: " أوقفوه! " بدأ بالركض وراءه بينما كان حذاؤه الرياضي يصفع بلاط الأرض المصنوع من السيراميك. ركض مايكي خلفه مباشرة، وركّز مصباحه على الرجل الغريب. بدأ الشقيقان بالصراخ بصوت خشن، قف هناك، " قف يا رجل، نريد أن نطرح عليك سؤالاً " . لم يكلف الرجل نفسه عناء النظر إلى الوراء. " قلت لكَ أن تقف أيها الشقي! " بقي ذلك

الرجل الراكض صامتاً وسط كل هذا الصراخ، لكنه زاد من سرعته وتوجه نزولاً نحو ممر المركز، وكانت أضواء المصابيح تنعكس عليه بين لحظةٍ وأخرى، وكان معطفه يتمايل من ورائه مثل وشاح. تحوّل الرجل بعد ذلك إلى حركات بهلوانية: قفز من فوق صندوق نفايات، وقفز عن حافة البركة إلى أن تسلل أخيراً تحت بوابة أمنية معدنية توصل إلى الغاب ثم اختفى بعد ذلك.

صرخ الشقيقان هيلسام: " أيها اللعين! " لاحظت أن وجهيهما، ورقبتيهما، وأصابعهما، احمرّت كلها وكأنهما أصيبا بنوبة قلبية. تبادل الشقيقان محاولة رفع البوابة، لكنهما لم ينجحا في رفعها لمسافة تزيد عن نصف قدم. استلقيت على الأرض، وحاولت التسلل تحت البوابة. تمكنت من تمرير أطرافي، وحتى ما تحت ركبتيّ، ثم علقت عند خصري.

أطلقت تنهيدة: " كلا، لا أستطيع. اللعنة! " نهضت وركّزت ضوء مصباحي على المتجر. كانت القاعة فارغة، فيما عدا كومة من شماعات تعليق الثياب التي جرّها أحدهم إلى وسط المكان، وكأنه يريد إشعال النار فيها. قلت: " تترابط كل المتاجر في الخلف مع ممرات لتجميع القمامة، ولأهداف الصرف الصحي. يُحتمل أنه يتواجد الرجل الآن في الطرف الآخر من مركز التسوق " .

قال راند: " حسناً. دعونا نذهب إذن إلى الطرف الآخر من المركز " .

صاح جو: " اخرجوا أيها الملاعين! " كان رأسه مرفوعاً إلى الخلف، بينما ضيّق عينيه. تردّد صوته في أنحاء المبنى بأكمله. بدأنا بالسير بمساراتٍ منحنية، وكنا نجرّ المضارب إلى جانبنا، لكن فيما عدا الشقيقين هيلسام اللذين استخدما مضربيهما للطَّرْق على البوابات والأبواب الأمنية. بدا الأمر وكأنهما يقومان بدورية في الجيش في منطقة حربية خطرة.

نادى مايكي: " أن تأتوا إلينا أفضل من أن نأتي إليكم! " عثرنا في مدخل متجرٍ لبيع الحيوانات الأليفة على رجلٍ وامرأة يستلقيان فوق بضعة بطانيات من تلك التي يستخدمها الجيش بينما كان شعرهما رطباً من العرق. وقف مايكي فوقهما متنفساً بشدة، ثم مسح العرق عن جبينه. بدا ذلك مثل مشهدٍ حربي في أحد الأفلام، أي عندما يعثر الجنود المحبطون على قرويين أبرياء، ثم تحدث بعد ذلك أشياء سيئة.

سأل الرجل المستلقي على الأرض: " ماذا تريد؟ " بدا الرجل منهكاً بوجهه النحيل الذي كان في وضع الضعف الشديد، أما شعره فكان منسدلاً حتى كتفيه. بدت عيناه حزينتين ومقلوبتين. أما المرأة فكانت في وضعٍ

أفضل، أي إن ذراعيها، وساقيها الممتلئتين كانت نظيفة، في حين أن شعرها كان مسرحاً، وإن كان رطباً.

سأل ستكس: " هل أنت من بين بلو بوك بويز؟ " .

تمتم الرجل مكتوف اليدين: " كلا، لستُ منهم بأي شكلٍ من الأشكال " .

صاحت المرأة: " ألا تُظهرون بعض الاحترام " . بدت المرأة وكأنها على وشك الانخراط في البكاء، وابتعدت بنظرها عنا، ثم تظاهرت بأنها تنظر نحو شيء ما في البعيد. " أنا متعبة لأن أحداً لا يُظهر أي قدرٍ من الاحترام " .

قال مايكي وهو يقترب من الرجل، ويركل عقب قدمه: " طرحنا سؤالاً يا صاحبي " .

قال الرجل: " لا أنتمي إلى بلو بوك، لكن حظي عثر بي " .

" هذا هراء " .

" يوجد هنا أشخاص متنوعون، وليس فقط بلو بوك. لكن إذا كنتم تبحثون عنهم... " .

قالت المرأة وهي تنظر إلى الأسفل: " اذهبوا، اذهبوا، واعثروا عليهم. اذهبوا وازعجوهم " .

قال الرجل: " إنهم يتواجدون في الـ Hole " . لكنه عندما لاحظ بأننا لا نعرف المكان أشار بيده وقال: " متجر مارفن الذي يقع في الطرف الأقصى، أي بعد المكان الذي كانت تتواجد فيه أرجوحة الكاروسيل الكبيرة " .

تمتمت المرأة: " اللعنة عليكم جميعاً " .

رأينا ألواحاً دائرية في المكان الذي كانت تتواجد فيه الأرجوحة الكبيرة. ركبتُ مع آمي فيها قبل وقتٍ قصير من إغلاق المركز التجاري. جلسنا جنباً إلى جنب فوق أشكال الأرانب المتأرجحة، وذلك لأن زوجتي أرادت أن ترى مركز التسوق هذا حيث أمضيت قسماً كبيراً من طفولتي. أرادت كذلك الاستماع إلى قصصي. لم يكن الوضع سيئاً بالنسبة إلينا في ذلك الوقت.

كانت بوابة الدخول إلى متجر مارفن مفتوحة، وهكذا بدا المتجر مفتوحاً ومرحّباً بالزائرين مثل أيام التخفيضات. أما في الداخل فكان المتجر فارغاً ما عدا بعض الأماكن التي كانت تحمل سابقاً آلات النقد، لكنها الآن تحمل نحو اثني عشر شخصاً يمرون في حالاتٍ مختلفة من الوقوع تحت

تأثير المخدرات، وهم يجلسون تحت لوحاتٍ كُتب عليها مجوهرات. كانت هذه اللوحات مضاءة بواسطة المصابيح التي تُستخدم للتخييم والتي تومض مثل المصابيح التي كان يستخدمها الأقدمون. مررنا بمحاذاة عدد من الشبان الذين بالكاد فتحوا أعينهم، بينما آخرون... رأينا في زاوية بعيدة ولدين لم يتجاوزا سنَّ مراهقتهما وهما يتلوان بحماسةٍ مفرطة خطاب غيتسبيرغ. دخلنا الآن في حرب أهلية كبيرة... رأيت كذلك رجلاً مستلقياً على سجادة وهو يرتدي سروالاً قصيراً من الجينز وينتعل حذاءً رياضياً أبيض اللون. بدا الرجل وكأنه في طريقه لمشاهدة مباراة في البيسبول الخاصة بالأولاد. حدّق راند به وكأنه يعرفه.

تعاني قرطاجة من وباء المخدرات أكثر من أي مكانٍ آخر أعرفه على الإطلاق: كان رجال الشرطة هنا البارحة، لكن المتعاطين بالمخدرات أعادوا تمركزهم، وكأنهم جماعة عنيدة من الذباب. لكن عندما مررنا بمحاذاة أعدادٍ من البشر تقدمت نحونا امرأة سمينة على سكوتر كهربائية. كان وجهها مليئاً بالبثور وبالعرق، بينما شابهت أسنانها أسنان الهرة.

قالت المرأة: " أتريدون أن تشتروا، أم أن تغادروا، لأن هذا المكان ليس للتفرج " .

وجّه ستكس أنوار مصباحه إلى وجهها.

" أبعِد ذلك الشيء اللعين عني " . فعل ستكس ذلك.

قلت: " إنني أبحث عن زوجتي. آمي دون، وهي مفقودة منذ يوم الخميس " .

" سوف تظهر، وسوف تصحو، وتجر نفسها إلى المنزل " .

قلت: " لسنا قلقين من المخدرات. إننا قلقون بشأن بعض الرجال هنا، وعلى الأخص لأننا سمعنا بعض الإشاعات " .

سمعنا صوتاً يقول: " لا بأس يا ميلاني " . رأيت في آخر قسم الأطفال رجلاً نحيلاً يستند إلى جذع مانيكان عارية، وكان يراقبنا في حين ظهرت ابتسامة خفية على وجهه.

هزت ميلاني كتفيها وبدت منزعجة، ويسيطر عليها الملل، ثم ابتعدت عنا.

استمر الرجل في مراقبتنا لكنه تطلع نحو القسم الخلفي من قسم الأطفال حيث كانت أربع مجموعات من الأقدام تظهر من غرف تبديل الملابس، وكان الرجال يعيشون مؤقتاً داخل هذه الحجرات الفردية.

قال الرجل: " اسمع يا لوني! اسمعوا جميعاً! عاد هؤلاء الحمقى. إنهم

خمسة " . رمى الرجل علبة شراب فارغة نحونا. بدأت من ورائه ثلاث مجموعاتٍ من الأقدام بالتحرك. كان الرجال يستعدون للنهوض. بقيت قدمان ساكنتين، ما يعني بأن صاحبهما نائم أو غائب عن الوعي.

قال مايكي هيلسام: " أجل. عدنا نحن الحمقى " . حمل مايكي مضربه وكأنه يستعد لضربة في المباراة ثم هوى به نحو جذع المانيكان، وفي منطقة الصدر. هوَت المانيكان نحو الأرض، لكن رجل بلو بوك سحب ذراعه برشاقة أثناء وقوعها، وكأن كل ما يجري هو مجرد مشهد جرى التمرن عليه. " إننا نريد بعض المعلومات عن فتاة مفقودة " .

انضم الرجال الثلاثة الموجودون في غرف تبديل الملابس إلى أصدقائهم. كان الجميع يرتدون قمصان حفلات إغريقية: باي ثاي تاي - داي وجزيرة فيجي. أما الماركات Goodwills المحلية فقد أهملها خريجو الجامعات الذين يأتون في الصيف، والذين تخلوا عن تذكاراتهم القديمة.

كان الرجال أقوياء ومرنين في حركتهم، وكانت أذرعهم المفتولة العضلات مليئة بالأوردة الزرقاء. وقف وراءهم رجلٌ بشاربٍ طويل ومتدلٍّ على الجانبين، وشعره المسرّح على شكل ذيل حصان. حمل الرجل غليوناً طويلاً، في حين ارتدى قميصاً قصيرة الكمين تحمل شارة غاما فاي. كنا نواجه أمن مركز التسوق التجاري.

صاح لوني: " ماذا يجري هناك؟ " .

قال جو هيلسام: " إننا نبحث عن آمي دون. يُحتمل أنك رأيتها في نشرات الأخبار، وهي فُقدت منذ يوم الخميس. إنها سيدة لطيفة، وجميلة، وحلوة، وخُطفت من منزلها " .

قال لوني: " سمعتُ عنها. وماذا بعد؟ " .

قلت: " إنها زوجتي " .

تابع جو مخاطباً لوني، وهو الذي كان يلوح بشعره خلف رأسه، وكانت الأوشام الخضراء الباهتة تغطي أصابعه: " سمعنا عن عصابة الاغتصاب " .

تطلعت نحو راند كي أتأكد من أنه على ما يرام. رأيته يحدّق في المانيكان العارية المرمية على الأرض.

قال لوني وهو يدفع برأسه إلى الخلف: " عصابة اغتصاب. عمَّ تتحدث يا رجل؟ " .

قال جو: " أتحدث عنكم أنتم يا رجال بلو بوك بويز " .

ردّ لوني بشيء من الاشمئزاز: " أنت تقول بلو بوك بويز، وكأن ذلك

اسم عصابة. إننا لسنا حيوانات أيها المغفل. إننا لا نخطف النساء، لكن يريد الناس تبرير عدم مساعدتهم لنا. أترى، أنهم يستحقون ما أصابهم. إنهم مجرد عصابة من المغتصبين. حسناً، كل هذا هراء. إنني أنوي مغادرة هذه المدينة لو أن المؤسسة تعطيني ما يستحق لي من أجور. لكنني لم أحصل على شيء، ولم يحصل الآخرون على أي شيء، وها نحن هنا " .

قلت: " سنعطيك مالاً، ومبلغاً محترماً إذا كان بإمكانك إبلاغنا أي شيء حول اختفاء آمي. أنتم تعرفون عدداً كبيراً من الناس، ولربما سمعتم شيئاً " .

تناولتُ صورة آمي. بدا الشقيقان هيلسام مندهشَين. أدركت أن ذلك ما تعودوا عليه بحكم الفطرة. قرّبت الصورة من وجه لوني وتوقعت منه أن يلقي نظرة من غير اكتراث. لكنه قرّب وجهه أكثر من الصورة.

قال: " أوه، اللعنة. إنها هي " .

" هل تعرفت عليها؟ " .

بدا الرجل مصدوماً في الواقع. " أرادت شراء بندقية " .

آمي إليوت دون

16 تشرين الأول، 2010

- صفحة يومية -

مبارك لي هذه الذكرى! مرّ علي شهرٌ بأكمله وأنا مواطنة ميسورية [في ميسوري]، وها أنا في طريقي لأن أصبح امرأة صالحة في الغرب الأوسط. أجل، نسيت كل شيء عن الساحل الشرقي، أي إنني أستحق رقاقة الثلاثين يوماً (وهي هنا عبارة عن رقاقة من البطاطا). إنني أدوّن الملاحظات، وأحترم التقاليد. إنني مارغريت ميد في هذا المسيسيبي اللعين.

دعونا الآن نرى ما الجديد. أنا عالقةٌ مع نِك في ما اعتدت على تسميته (بيني وبين نفسي) كوكو كلوك كوننذروم (لغز ساعة الكوكو). بدت نظرة والديّ الموروثة غريبة في منزلنا الجديد. لكن كل أغراضنا التي جلبناها معنا من نيويورك تتخذ الموقف ذاته، مثل طاولة الكتابة التي تجثم قبالة الأريكة الصغيرة في غرفة الجلوس، وهي تبدو دهشة. بدا أمرها وكأنها تعرضت للتنويم في بيئتها الطبيعية، وما لبثت أن استيقظت في بيئتها المقيدة الجديدة، ورأت نفسها محاطةً بسجادة مقلدة، وخشب صناعي، وجدرانٍ غير مضلعة. أشعر بأنني أفتقد منزلنا القديم - أفتقد إلى كل النتوءات، والحواف، والتشققات الدقيقة التي تركتها فيه عقودٌ من الزمن. (توقفت قليلاً من أجل تعديل الموقف). لكن الجديد يمتلك روعته كذلك! إنه مختلفٌ فقط. أعرف أن الساعة تخالف هذا الرأي كلياً. يعاني طائر الكوكو من صعوبة في التأقلم في بيئته الجديدة: ينطلق هذا الطائر الجديد، وكأنه ثمل بعد مرور عشر دقائق على رأس الساعة؛ وينطلق كذلك قبل سبع عشرة دقيقة من رأس الساعة؛ وبعد مرور إحدى وأربعين دقيقة على رأس الساعة. يُطلق الطائر صوتاً أشبه بالنحيب - كوو - كرررووو - وهو الأمر الذي يدفع بليكر في كل مرة إلى الخروج من مخبئه بعيونٍ شرسة، وبكل جدية، بينما يلوّح بذيله بحركاتٍ سريعة تشبه حركة فرشاة الزجاجة، ولا ينسى تحريك رأسه نحو الريش الذي يراه، وأصوات النحيب التي يسمعها.

يقول نِك عندما نسمع ذلك الضجيج: " واو، لا بد وأن والدَيكِ يكرهونني فعلاً " . إنه يقول ذلك بالرغم من أنه يتمتع بما يكفي من الذكاء لكي لا يوصي بتخليص أنفسنا من ذلك الشيء حتى الآن. أما أنا فإنني أريد كذلك التخلص منه فعلاً. إنني المرأة (العاطلة عن العمل) والتي

تقبع في المنزل طيلة النهار من دون أن تفعل شيئاً غير انتظار صوت صأصأة ذلك الطائر. إنني مثل الذين يترددون على دور السينما لا لشيء، إلا لتخليص نفسي من النوبة التالية لذلك المستبد المجنون الذي يقبع خلفنا - أشعر بالارتياح (لأنها أتت) وكذلك بالغضب (لأنها أتت!) - في كل مرةٍ تنفجر فيها.

حدث صخبٌ كثير وطويل حول إقامة حفلةٍ في المنزل (أوه، انظروا إلى هذه، إنها ساعة قديمة) وهو الأمر الذي أصرّت عليه ماما مورين دون. لكن الواقع هو أن ماما مو لا تصرّ على شيء. إنها، وبكل بساطة، تجعل الأمور حقيقةً، وذلك عن طريق الافتراض بأنها كذلك: بعد الصباح الأول لانتقالنا، وعندما ظهرت أمام مدخل منزلنا حاملةً معها، مشكورة، إناءً مليئاً بالبيض المخفوق، وكذلك رزمةً كبيرة من الورق الصحي (والتي لا تتناسب تماماً مع البيض المخفوق)، وهي تحدثت عن الحفلة التي ستُقام بمناسبة انتقالنا إلى المنزل الجديد وكأنها حقيقة واقعة. إذاً، متى تريدون إقامة الحفلة؟ هل فكّرتما في الأشخاص الذين يجب أن أدعوهم إلى الحفلة؟ هل تريدان إقامة حفلة أو شيئاً مسلياً، مثل حفلة ملء المشرب؟ لكن الحفلة التقليدية هي شيء رائع على الدوام.

تعيّن تاريخ الحفلة بشكلٍ مفاجئ، وهذا التاريخ هو اليوم، وهكذا دخل أفراد عائلة دون والأصدقاء وجففوا مظلاتهم من مياه أمطار تشرين الأول، كما نظفوا أحذيتهم، بكل عناية وتصميم، على سجادة الأرض التي أحضرتها لنا مورين هذا الصباح. كُتب على السجادة: كل من يدخلون هنا هم أصدقاء. اشترت مورين هذه السجادة من متجر كوستكو. تعرفت إلى التسوّق بكميات كبيرة، وذلك خلال الأسابيع الأربعة الأولى من كوني مواطنة في نهر مسيسيبي. علمت أن الجمهوريين يذهبون للتسوّق في سام كلوب [نادي سام]، أما الديمقراطيون فيذهبون للتسوّق في كوستكو. لكن الجميع يشترون بكمياتٍ كبيرة - بشكلٍ يختلف عن سكان مانهاتن - وذلك لأنهم يمتلكون المساحة اللازمة لتخزين أربعة وعشرين مرطباناً من المخللات الحلوة. إنهم يحتاجون، وبعكس سكان مانهاتن، هذه الأربعة وعشرين مرطباناً من المخللات. (لا يكتمل إلا بها أي تجمّع حول تلك الصينية الدوارة المليئة بالمخللات والزيتون الإسباني التي تُسكب مباشرة من الإناء، وبالإضافة إلى قليلٍ من الملح).

أريد الآن تقديم وصفٍ للمنظر: إنه أحد الأيام التي تفوح فيها الروائح بشدة، أي عندما يجلب الناس الجو السائد في الخارج إلى داخل

المنزل، أي رائحة مياه المطر العالقة في أكمامهم، وفي شعر رؤوسهم. أما النساء الأكبر سناً - أي أصدقاء مورين - فقد أحضرن أطعمة مختلفة في أكياسٍ نايلون تصلح لغسلها في غسالة الأطباق، وهي الأكياس التي سوف يطالبن بإرجاعها فيما بعد. أعرف بأنهن سوف يطالبن بهذه الأكياس مرة بعد أخرى. لكني أعرف الآن بأنه يُفترض بي غسل هذه الأكياس وأن أعيدها إلى منازل أصحابها - كانت نوعاً من التشارك في أكياس زيبلوغ - لكن عندما أتيت إلى هنا لأول مرة لم أكن أعرف شيئاً عن هذا البروتوكول. أقدمت، وبكل اقتناع، على إعادة تدوير كل الأوعية البلاستيكية، وهكذا تعيّن عليّ شراء أكياسٍ جديدة لكل السيدات. أما فيكي، وهي الصديقة الأقرب عند مورين، فقد لاحظت على الفور بأن كيسها كان جديداً من المتجر، ويحمل ماركة مقلدة، لكن عندما بدأت بشرح الأمر اتسعت عيناها من فرط الدهشة: إذاً، هذا ما يفعلونه في نيويورك.

الحفلة: النساء الأكبر سناً هنّ صديقات مورين منذ اجتماعات الأهل مع المعلمين، ومن نوادي الكتب، ومن شو - بي - دو - بي في مركز التسوق التجاري، أي حيث أمضت أربعين ساعةً أسبوعية وهي تختار القياس المناسب لأحذية النساء الأكبر سناً (كان بإمكانها تقدير حجم القدم بمجرد النظر - قياس 8 النسائي، ضيق! - إنها طريقتها الناتجة عن خبرتها في العمل). يحب كل أصدقاء مو نِك، وجميعهن يحتفظن بقصص عن الأشياء اللطيفة التي قام بها لأجلهن عبر السنين.

أما الشابات الأحدث سناً، أي النساء اللواتي يمثلن المجموعة المحتملة لأصدقاء آمي، وكلهن أنيقات واتخذن التسريحة ذاتها، أي التي تتضمن شعراً مستعاراً مصبوغاً باللون الأشقر، وانتعلن أحذية خفيفة. كانت الشابات بنات صديقات مورين، وكلهن يشعرن بالمودة تجاه نِك، وجميعهن يتذكرن قصصاً عن الأمور اللطيفة التي قام بها لأجلهن عبر السنين. فقدت معظم الشابات وظائفهن بسبب إقفال المركز التجاري، وكذلك أزواج بعضهن الذين فقدوا وظائفهم بسبب إقفال ذلك المركز. تبرعت جميع الشابات بتزويدي بنصائح [وصفات] عن " الأطعمة الرخيصة وسهلة التحضير " ، والتي تتضمن عادةً طبقاً مؤلفاً من الحساء المعلّب، والزبدة، ورقاقات متنوعة.

كان الرجال في غاية اللطف والهدوء، وهم الذين تجمعوا في حلقات، وتحدثوا عن الرياضة وجميعهم ابتسموا نحوي بلطف.

كان الجميع في غاية اللطف، وهم أظهروا أقصى حدٍّ ممكن من المودة. أما مورين وهي أقوى مريضة سرطان في الولايات الثلاث فقد

تبرعت بتعريفي على جميع صديقاتها بالطريقة ذاتها التي يعرض فيها المرء حيواناً أليفاً إلى شيء من الخطورة: " هذه هي زوجة نِك، آمي، التي وُلدت ونشأت في نيويورك سيتي " . أما صديقاتها السمينات بعض الشيء فقد رحّبن بي، لكنهن أُصبن فجأة بمتلازمة توريت: ردّدن كلمات - نيويورك سيتي!. بدا الأمر وكأنهن انطلقن بالغناء " نيويورك، نيويورك " ، وهن يتمايلن جنباً إلى جنب على أنغام موسيقى الجاز. بدا الأمر وكأنهن فرقة لموسيقى الجاز hands jazz . أما صديقة مورين منذ أيام متجر الأحذية فقد قالت متشدقةً: نيوو يورك سيتي! أعطوني حبلاً " ، لكن عندما عبستُ نحوها معبرةً عن ارتباكي قالت: " آسفة، إنها مقطع من دعاية تجارية على أنغام السالسا! " لكن عندما أظهرتُ بأنني لم أفهم بعد ما تقصده احمرت خجلاً، وأحاطتني بذراعها وقالت: " لا تقلقي، لن أشنقك " .

انتهت الشابات أخيراً إلى القهقهة واعترفن بأنهن لم يزرن نيويورك أبداً، أو قمن بزيارتها - مرة واحدة - ولم يكترثن كثيراً بها. قلتُ بعد ذلك شيئاً يشبه: سوف تحبونها، أو نيويورك ليست لكل الأشخاص، أو مم مم مم، وذلك لأنني احترتُ في ما أقوله.

همس نِك في أذني عندما كنا نعيد ملء أكواب الشراب في المطبخ: " كوني ودودة يا آمي " . يحب سكان الغرب الأوسط ليترين من الصودا، وليترين على الدوام، ويحبون سكبها دائماً في أكواب سولو بلاستيكية كبيرة حمراء اللون.

قلتُ بصوتٍ هامس: " إنني أتصرّف هكذا " . أحسستُ بأن كلامه جرحَ مشاعري، لأنني أعرف إذا سألتَ أي شخص في تلك الغرفة ما إذا كنتُ أتصرّف بودية، بأنه سيرد بالإيجاب. أشعر أحياناً بأن نِك قد رسا على نسخةٍ مني لا وجود لها في الأساس. شاركتُ منذ قدومنا إلى هنا في سهرات الفتيات، وفي المسيرات الخيرية، كما أنني قمتُ بطبخ الطعام لوالده، وساعدت على بيع تذاكر لعبة النرد. يُضاف إلى ذلك أنني دفعت آخر مبلغٍ تبقى لي من المال إلى نِك وجو كي يشتريا الحانة التي حلما بها منذ زمن، حتى إنني وضعتُ الشيك بالمبلغ داخل بطاقة مصممة على شكل كوب شراب - بصحتكما - فما كان من نِك إلا أن أعرب عن شكره، وكأنه يفعل ذلك من دون اكتراث. لا أعرف ماذا أفعل، لكنني أحاول جهدي.

قدّمنا أكواب الصودا، وحاولت أن أضحك بشكلٍ أكثر عمقاً، وحاولت أن أظهر بمظهر الرشاقة والمرح، وسألت الجميع ما إذا كان بإمكاني أن

أجلب لهم أي شيء، ثمّ جاملتُ النساء بشأن السلَطةَ والسرطانات المدمسة، وكذلك شرائح المخللات الملفوفة بشرائح الجبنة والسلامي.

وصل والد نِك مع جو، ووقفا بصمتٍ أمام الباب. كان بيل دون، مواطن الغرب الأوسط القوطي، نحيلاً ومحتفظاً بقدرٍ من وسامته، وظهرت ضمادةٌ صغيرة على جبهته، بينما سرّحت جو شعرها مستخدمة مشابك الشعر، لكنني لاحظتُ بأنها أشاحت بنظرها عن والدها.

قال بيل دون أثناء دخوله وهو يهز يده عابساً نحوي: " نِك " . دخلت جو بعد ذلك وأمسكت يد نِك، وسحبته إلى خلف الباب، ثم همست: " لا أعرف أين هو الآن ذهنياً. يبدو بأنه عانى من يومٍ سيئ، أو أنه مجرد مغفل. لا أعرف " .

" حسناً، حسناً. لا تقلقي، سأراقبه " .

هزّت جو كتفيها من دون اكتراث.

" إنني جادٌّ في هذا يا جو. تناولي كوبَ شرابٍ واستريحي قليلاً. يمكنك أن ترتاحي من العناية بوالدي للساعة التالية " .

فكّرت بيني وبين نفسي: " لو كنتُ أنا مكانها فلا شك في أنه سوف يشتكي بأنني حساسة جداً " .

واظبت النساء الأكبر سناً على التحويم حولي، وأخبرنني كيف أن مورين كانت تقول لهن على الدوام بأنني ونِك نشكّل ثنائياً رائعاً، وكم هي على حقٍّ في ذلك، وأننا خُلقنا لبعضنا بعضاً.

إنني أفضّل هذه الكليشيهات على الأحاديث التي سمعناها قبل زواجنا. الزواج هو تسوية وعملٌ شاق، ويأتي بعد ذلك العمل الشاق، والتواصل، والتسويات. يأتي العمل بعد ذلك. يعني الزواج التخلي عن الأمل بالنسبة إلى كل من يدخل ذلك القفص.

كانت حفلة الخطوبة في نيويورك أسوأ من هذه الحفلة بكثير، وعلى الأخص لأن المدعوين شربوا فيها إلى أن أظهروا الاستياء. بدا الأمر وكأن كل الأزواج قد دخلوا في جدالات في طريقهم إلى النادي، أو على الأقل وكأنهم تذكروا جدالاً ما. كانت بينكس على هذه الشاكلة، وبينكس موريارتي هذه هي صديقة والدتي المفضلة، وهي أمٌّ في الثامنة والثمانين من عمرها، وهي التي استوقفتني أمام المشرب وصاحت بي: " آمي! أريد أن أتكلم معك! " قالت لي ذلك بصوت هامسٍ يشبه ذلك الذي يستخدمونه في غرفة العمليات الجراحية. أخذت بعد ذلك في تحريك خواتمها الثمينة حول أصابعها المليئة بالعُقد - تحريك، دورة، وصأصأة - كانت الأصابع الباردة

تحتك بأصابعي ببشرتها الجديدة الناعمة، والدافئة. أخبرتني بينكس بعد ذلك كيف أن زوجها الذي رحل بعمر الثالثة والستين كان يجد صعوبة في البقاء على إخلاصه لها. قالت مبتسمةً وبعينين شبه مغمضتين، وكأنها تريد أن توحي، إنني على وشك الموت، ولذلك أستطيع أن أقول هذا النوع من الأمور. قالت السيّدة المسنّة بشيء من الإلحاح: " لم يستطِع الحفاظ على إخلاصه لي كزوج " . كانت يدها تبعث البرودة في ذراعي بما يشبه قبضة الموت. " لكنه أحبني أكثر منهن جميعاً. أدركتُ ذلك، وأنتِ تدركين ذلك " . أما مغزى هذه القصة فهو: لم يكن السيّد بينكس مخلصاً وكأنه زير نساء، لكنك تعرفين بأن الزواج يتطلب تنازلات.

تراجعت بسرعة، وبدأت بالتجوال حول الحشد، وابتسمت أمام سلسلة من الوجوه المتغضنة، والتي تحمل تلك النظرة الشاردة، والمنهكة، والمحبطة التي يعتاد عليها الناس في منتصف أعمارهم. كانت كل الوجوه على هذه الشاكلة. كان معظمهم ثملين كذلك، ويرقصون وكأنهم في عمر الشباب، وكانوا يتمايلون على أنغام الموسيقى الريفية، وهو الأمر الذي بدا أسوأ بكثير. توجهت بعد ذلك إلى واجهة الأبواب الزجاجية كي أتنشق بعض الهواء النقي، وما لبثت أن شعرت بيد تقرص ذراعي. كانت ماما مورين، والدة نِك، بعينيها السوداوين والواسعتين الثاقبتين، وهي تتطلع نحوي بكل تركيز. لاحظت بأن فمها محشو بقطعة من جبنة الماعز والبسكويت المملح، لكنها تمكنت من القول: " ليس من السهل أن يربط المرء حياته مع شخصٍ آخر إلى الأبد. إنه أمرٌ رائع، ولهذا أشعر بالسرور لأنكما تقومان بهذا. لكنني أقول لكما، أيتها الفتاة، وأيها الفتى، بأنه سوف تمرّ عليكما أيام تتمنيان فيها لو لم تقوما بهذا أبداً. ستكون هذه أيام حسنة بالنسبة إليكما، لأنها سوف تكون أياماً وليست أشهراً " . لكن لا بد وأن الصدمة ظهرت على وجهي، بل كنتُ مصدومةً بكل تأكيد، لأنها قالت بسرعة: " سوف تمرّان بعد ذلك بأوقاتٍ طيبة كذلك. أعرف هذا جيداً. أنتما الاثنين. أريد منك فقط أن تسامحيني يا حبيبتي على ما قلتُه لك من قبل. إنني مجرد امرأة مسنة ومطلّقة. أوه يا جوهرتي، أعتقد بأنني تناولت الكثير من الشراب " . لوحت بيدها مودعةً وابتعدت عني من بين كل الأزواج المحبَطين.

قال بيل دون فجأة موجهاً كلامه لي: " ليس من المفترض أن تكوني هنا. لماذا أنتِ هنا؟ لا يُسمح لكِ بالمجيء إلى هذا المكان " .

قلتُ بعد أن لمستُ ذراعه، وكأنني أريد إيقاظه: " أنا آمي " . أحبني بيل على الدوام، وذلك بالرغم من أنه لم يتمكن من التفكير في شيء ليقوله لي، وبالرغم من ذلك تمكن من القول إنه يحبني، وذلك عندما كان يراقبني وكأنني طير نادر. كان يغضّن حاجبيه في هذه اللحظة بعد أن دفع بصدره نحوي، فبدا مثل رسمٍ كاريكاتوري لبحارٍ شابّ على وشك أن يصيح. أما جو فكانت على مسافةٍ أقدامٍ قليلة مني، ومنهمكةً في تحضير طعامها قبل أن تتحرك نحونا. فعلت ذلك بهدوء وكأنها تحاول أن تلتقط ذبابة.

قال بيل دون بلهجة فيها شيء من الاستياء: " لماذا أنتِ في منزلنا؟ لا بد وأنكِ في منتهى الجرأة أيتها السيّدة " .

تطلعت جو إلى الخلف ونادت بصوت خفيضٍ: " نِك؟ " .

قال نِك بعد حضوره: " فهمت. أبي، إنها زوجتي آمي. أتتذكر آمي؟ عدت وإياها إلى المنزل كي نراك أكثر. هذا هو منزلنا الجديد " .

حملق نِك بي: كنتُ أنا من أصرّ على دعوة والده.

سكنت الحركة في الحفلة، وبدأ الرجال في التحرك من الغرفة الأخرى ببطء وحذر. لاحظت أن أيديهم بدأت بالارتعاش. قال بيل دون بعد أن وجّه نحو وجهي سبابته: " إن كل ما أقوله يا نِك هو أنها لا تنتمي إلى هذا المكان. تعتقد هذه الساقطة بأنها تستطيع أن تفعل كل ما تريد " .

تدخلت هنا ماما مو فوضعت يدها حول زوجها السابق، وهي التي تتصرف على الدوام بحسب ما يقتضيه الوضع. " إنها تنتمي إلى هذا المكان بالطبع يا بيل. إنه منزلها، وهي زوجة ابنك. أتذكر؟ " .

أبعدها عنه بحركة عنيفة، وبدأ بالتحرك نحوي مجدداً بعد أن قال: " أريدها أن تخرج من هنا، هل تفهمين ذلك يا مورين. إنها ساقطة مغفلة، ساقطة مغفلة " .

لم يكن من الواضح ما إذا كان يعنيني أنا أو مورين، لكنه تطلع نحوي بعد ذلك وزمّ شفتيه. " إنها لا تنتمي إلى هذا المكان " .

قلت: " سوف أذهب " . استدرت وبدأت بالابتعاد وخرجتُ من الباب حيث كان المطر ينهمر. حاولت تخفيف ما حدث وفكرت في نفسي، من أفواه المصابين بالألزهايمر. تجولت في الحي منتظرةً أن يظهر نِك كي يعود بي إلى منزلنا. التصقت ثيابي بجسمي بسبب المطر فأصبحت دبقة. أعتقد بالفعل بأن نِك سوف يأتي في إثري. استدرت نحو المنزل لكنني لم أرَ سوى بابٍ مغلق.

نِك دون

بعد مرور أربعة أيام

جلست أنا وراند في مقر العثور على آمي دون الخالي عند الساعة الخامسة صباحاً، وشربنا القهوة أثناء انتظارنا انتهاء تحقيق أفراد الشرطة مع لوني. حدّقت آمي نحونا من مركزها العالي في الملصق الكبير على الجدار. بدت محبطةً في الصورة.

قال راند: " لم أفهم ما الذي يمنعها من قول شيء إليك إذا كانت خائفة. لماذا لم تخبرك شيئاً؟ " .

قال صاحبنا لوني بأن آمي جاءت إلى مركز التسوق لشراء بندقية في يوم العشاق. اختارت آمي هذا التوقيت من بين كل الأيام. أضاف بأنها كانت خجلةً قليلاً، ومتوترة قليلاً: " لعلني سخيفة، لكن... أعتقد فعلاً بأنني بحاجةٍ إلى بندقية " . كانت خائفة جدًّا. أخبرت لوني بأن أحدهم كان يجعلها متوترة. لم تعطِ تفصيلاتٍ أكثر، لكن عندما سألها أي نوعٍ من البنادق تريده اكتفت بالقول: " أريد واحدة تردّ عني الشخص بسرعة " . طلبت منها العودة بعد أيامٍ قليلة، وهذا ما فعلته. لم يتمكن من الحصول على بندقية لها (" ليست هذه مهنتي في الحقيقة ")، لكنه يتمنى اليوم لو أنه تمكن من الحصول على واحدةٍ لها. قال بأنه يتذكرها جيداً. قال كذلك إنه تساءل عن حالتها طيلة هذه الأشهر، وعلى الأخص لأن هذه الشقراء الحلوة وصاحبة الوجه المخيف حاولت الحصول على بندقية في يوم العشاق.

سأل راند: " من هو الشخص الذي كان يخيفها؟ " .

قلت: " أخبرني عن ديزي مجدداً يا راند. هل التقيتَ به ذات يوم؟ " .

عبس راند في محاولة منه أن يتذكر: " جاء إلى المنزل مراتٍ قليلة. كان شاباً وسيماً، ومهتماً جداً بآمي. عاملها كأميرة. لكنني لم أحبه على الإطلاق. لم أحبه حتى عندما كانت الأمور تسير جيداً بينهما - حبٌّ جديد، والحب الأول بالنسبة إلى آمي. لكنه كان خشناً معي لسببٍ لم أتمكن من فهمه. كان الرجل يُظهر نزعة سيطرة شديدة تجاه آمي، وكان يضع ذراعيه حولها على الدوام. اعتبرت ذلك أمراً غريباً، وغريباً جداً، وعلى الأخص لأنه لم يحاول أن يكون لطيفاً معنا. أعرف أن معظم الشبان يُظهرون لطفاً مع والدَي الفتاة التي يحبونها " .

" أردتُ أنا أن أكون لطيفاً معكما " .

قال مبتسماً: " كنتَ لطيفاً بالفعل! كنت متوتراً بالقدر الصحيح، وكان ذلك في غاية اللطف منك. أما ديزي فلم يُظهر غير أنه شخصٍ بذيء " .

" يسكن ديزي على مسافة نصف ساعة من المدينة " .

قال راند وهو يفرك عينيه: " صحيح. لكن ماذا بشأن هيلاري هاندي؟ لا أريد أن أكون متحيزاً هنا - كانت مخيفة أكثر من ديزي. أقول ذلك لأن لوني لم يقل في المركز التجاري بأن آمي كانت خائفة من رجل " .

قلت: " كلا. قال إنها خائفة فحسب. توجد كذلك تلك الفتاة التي تُدعى نويل هوثهورن - وهي الفتاة التي تعيش بالقرب منا. أبلغت الفتاة رجال الشرطة بأنها كانت صديقة آمي الحميمة، لكني أعرف بأنها ليست كذلك. لم تكونا على صداقة حتى. قال زوجها بأنها مصابة بالهستيريا، وهي تتطلع على صور آمي باكية. اعتقدت في ذلك الوقت بأن المقصود هو صور الإنترنت، لكن... ماذا لو كانت صوراً حقيقية لآمي؟ ماذا لو كانت تلاحق آمي؟ " .

قال راند: " حاولت أن تتحدث معي عندما كنتُ مشغولاً قليلاً البارحة، حتى إنها اقتبست بعض المقاطع من آمي الرائعة. كان المقطع بعنوان آمي الرائعة والصديقة المفضلة لديها. إن أفضل أصدقائنا هم الذين يعرفوننا أكثر " .

قلت: " لا يُستبعد ذلك من هيلاري. إنه كلام كبار " .

التقينا بوني وجيلبين بعد الساعة السابعة صباحاً بقليل في مطعم IHOP . حصل الاجتماع على الطريق السريع وكنا نريد مواجهتهما: كان من الغرابة أن نقوم بالعمل نيابة عنهم. لم يكن من المعقول بأن نكتشف نحن خيوط عملية الاختفاء. حان الوقت لاستدعاء مكتب التحقيقات الاتحادي إذا عجز رجال الشرطة المحليون عن معالجة الأمر.

أعطينا طلباتنا للنادلة ذات العينين العسليتين، ولم تلبث أن سكبت لنا القهوة. بدا بأنها تعرفت عليّ فبقيت على مسافة قريبة مني بشكلٍ يمكّنها سماع حديثنا، وذلك إلى أن طلب جيلبين منها الابتعاد. كانت مع ذلك أشبه ما يكون بذبابةٍ منزلية عنيدة. جاء حديثنا متقطعاً بسبب مقاطعتها لنا بين فترة وأخرى لتملأ أكواب شرابنا، وكذلك لأخذ الأطباق، وبسبب الوصول السحري السريع لطعامنا. هذا غير مقبول... لا أريد مزيداً من القهوة، شكراً لكِ... إنه لأمر لا يصدّق أن... آه، بالتأكيد، الجاودار على ما

يرام...

لكن بوني قاطعتنا قبل أن نفرغ من حديثنا: " أفهم يا رجال بأنه من الطبيعي أن ترغبوا بالمشاركة. لكن ما فعلتموه كان في غاية الخطورة. كان عليكم أن تدعونا نتعامل مع هذه الأمور " .

قلت: " هذا هو الموضوع بالضبط. أنتم لا تقومون بمهامكم. لم يكن بوسعكم الحصول على هذه المعلومات عن البندقية لو لم نذهب إلى هناك الليلة الماضية. ماذا قال لوني عندما تحدثتما إليه؟ " .

قال جيلبين: " أخبرنا بالأمر ذاته الذي أخبركم إياه. قال إن آمي أرادت شراء بندقية، لأنها خائفة " .

قلت: " لا يبدو الأمر وكأن هذه المعلومة حملت أهمية بالنسبة إليكما. أتعتقدان بأنه كان يكذب؟ " .

قالت بوني: " إننا لا نعتقد بأنه يكذب. لا يمتلك الرجل أي سبب للفت أنظار الشرطة إليه. بدا بأنه صُدِم بوضع زوجتك. أعني بأنه... صُدم كثيراً بسبب ما حدث لها. تذكّر الرجل تفصيلاتٍ محددة. قال يا نِك بأنها كانت ترتدي شالاً أخضر اللون في ذلك الصباح. لا أقصد وشاحاً شتائياً، لكنه وشاحٌ على الموضة " . حرّكت أصابعها كي تبرهن بأن الموضة هي شيء طفولي، وبالتالي لا تستحق اهتمامها. " هل يذكرك الأخضر الزمردي بشيء؟ " .

أومأتُ: " إنها تمتلك واحداً ترتديه كثيراً مع الجينز الأزرق " .

" هل تضع دبوساً مذهباً على سترتها - حرف A متصل؟ " .

" أجل " .

هزّت بوني كتفيها: حسناً، هذا يحسم المسألة.

سألتُها: " ألا تعتقدين بأنه صُدم بها إلى حد أنه... خطفها؟ " .

قالت بوني: " إنه يمتلك ما يُثبت بأنه لم يكن في المكان يوم اختفائها. إنه دليلٌ قوي وثابت " . نظرت نحوي بتركيز شديد، وأضافت: " بدأنا في الواقع البحث عن... نوعٍ آخر من الدوافع " .

أضاف جيلبين: " نبحث عن دافعٍ... شخصيّ جدًّا " . نظر بتشكك نحو الفطيرة المحلاة التي تعلوها ثمار الفريز، وانتفاخات الكريما المخفوقة. بدأ بكشطها إلى جانب طبقه.

قلت: " نعم شخصيّ جدًّا. إذاً هل يعني ذلك بأنكما سوف تتحدثان أخيراً مع ديزي كولينغز، أو هيلاري هاندي؟ أم هل أنا مضطرٌّ لذلك؟ " . سبق لي في واقع الأمر أن وعدت ماريبيت بأنني سأذهب اليوم إلى هناك.

قالت بوني: " سنذهب نحن، بكل تأكيد " . قالت ذلك بلهجة الفتاة التي تعد والدتها التي تلحّ عليها بأكل الزبدة. " لكننا نشك بأن هذا سيوصلنا إلى أي مكان، لكننا سنتكلم معهما على أي حال " .

قلت: " حسناً، عظيم، شكراً لكما على قيامكما بهذه المهمة. لكن، ماذا بشأن نويل هوثهورن؟ إذا أردتم البحث عن شخصٍ آخر أقرب إلى المنزل فهي تسكن في حيّكما، وهي تبدو بأنها مهووسة بآمي " .

أومأ جيلبين: " أعرف ذلك، وهي اتصلت بنا، ونحن وضعناها في لائحتنا لهذا اليوم " .

" حسناً. ماذا ستفعلان غير ذلك؟ " .

قالت بوني: " نريدك، فعلاً، يا نِك أن تعطينا بعض الوقت. دعنا نختبر ذهنك أكثر. يعرف الأزواج أموراً عن بعضهما بعضاً أكثر مما يظنان. نريدك أن تفكر أكثر بشأن ذلك الجدال الذي دار بينكما - الجدال الحاد الذي تمكنت جارتكما السيدة... تيفيرر من سماعه، والذي دار بينك وبين آمي في الليلة التي سبقت اختفاءها " .

تحرك رأس راند نحوي.

كانت بوني تتحدث عن جان تيفيرر، تلك السيدة صاحبة الطبق العميق التي لم تقع عيني عليها بعد ذلك.

سألت بوني: " أعني، هل إن ذلك حدث لأن - أعرف أن ذلك هو شيء يصعب سماعه يا سيّد إليوت - لأن آمي كانت تحت تأثير شيءٍ ما؟ " . تطلعت نحوي بعينين بريئتين. " أعني، لعلها اتصلت مع بعض العناصر الفاسدة في المدينة. يوجد عدد كبير من تجار المخدرات في هذه البلدة. يُحتمل أن أحداً منهم كان يهددها، وأن ذلك هو سبب رغبتها في الحصول على بندقية. يتعيّن وجود سبب لرغبتها في الحصول على بندقية للحماية، ولعدم إبلاغ زوجها. نريدك يا نِك أن تفكّر بعمقٍ أكبر عن مكان تواجدك ما بين تلك الفترة، وفي ذلك الوقت، أي وقت حدوث المشاحنة، أي نحو الساعة الحادية عشرة ليلاً، أي آخر مرة سمع فيها أي شخص صوت آمي... " .

" ما عداي أنا " .

" ما عداك أنت - وبين وقت الظهيرة، أي في وقت وصولك إلى الحانة. أما لو كنتَ في الخارج وفي داخل هذه المدينة وتقود سيارتك نحو الشاطئ، وتتجول في منطقة رصيف الميناء، فلا بد أن يكون شخصٌ ما رآك. يُحتمل أن أحداً يأخذ كلبه في نزهة. إذا كان بإمكانك مساعدتنا، فإن ذلك

سوف يكون فعلاً... " .

تبرع جيلبين بإنهاء الجملة: " مساعداً جداً " . أمسك بعد ذلك بثمرة فريز بشوكته.

راقبني الشرطيان بالقدر ذاته من الاهتمام. كرّر جيلبين بلهجةٍ أكثر ودية: " سيكون ذلك مساعداً جداً في واقع الأمر يا نِك " . كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن تلك المشاجرة - أي معرفتهما بها - كما أنهما اختارا أن يقولا لي ذلك أمام راند، كما فضّلا التظاهر بأن الكشف عنها ليس بتلك الأهمية.

قلتُ: " بالتأكيد " .

سألت بوني: " هل تمانع بإخبارنا عن طبيعتها؟ أعني المشاجرة " .

" ماذا أخبرتكما السيدة تيفير عن طبيعة تلك المشاجرة؟ " .

سكبت بعض الكريما في كوب قهوتها: " لا أحب الاعتماد على كلامها في حين تجلس أنت هنا أمامي " .

بدأت بالحديث: " لم تكن مشاجرةً هامة، وهذا هو سبب عدم ذكرها أمامكما. تشاجرنا قليلاً كما يفعل الأزواج في بعض الأحيان " .

تطلع راند نحوي، وكأنه لا يمتلك أي فكرة عن كلامي: " تشاجرنا قليلاً؟ ما هذه العبارة التي تتحدث عنها؟ " .

قلت كاذباً: " حدثت المشاجرة حول طعام الغداء، وحول ما سنحضّره لغداء مناسبتنا. تعرفان بأن آمي تقليدية في هذه الأمور... " .

قاطعني راند: " الكركند " . التفت بعد ذلك إلى الشرطيين: " تحضّر آمي الكركند كل سنة وتقدمه إلى نِك " .

" صحيح. لكن لا يوجد مكان في هذه المدينة للحصول على كركند، وعلى الأقل الحيّة منها، أي من البركة مباشرة، لذلك شعرتْ بالإحباط. أعرف محمية هيوستن... " .

تطلع راند نحوي عابساً وقال: " أعتقد بأنك قلت إنكم لا تمتلكون محمية في هيوستن " .

" حسناً، أنا آسف. أظنني مرتبكاً قليلاً. أمتلك فكرة عن محمية هيوستن، لكن كان يتعيّن عليّ ترتيب الحصول على بعض الكركند عن طريق الجو " .

رفع كلٌّ من الشرطيين حاجباً. يا للروعة.

" الأمر ليس مكلفاً جداً، وعلى أي حال حدثت هذه المشاجرة التي أخذت حجماً أكبر بكثير مما يجب " . تناولت قضمةً من الفطيرة المحلاة،

لكني شعرتُ بالحرارة تسري في عنقي. " لكننا استغرقنا في الضحك في غضون ساعةٍ من الزمن " .

قالت بوني: " هاه " .

سأل جيلبين: " أين أصبحتَ في لعبة البحث عن الكنز؟ " .

وقفتُ ووضعتُ مبلغاً من المال على الطاولة وتحضرت للمغادرة. أعرف بأنني لست الشخص الذي يُفترض به أن يلعب دور الدفاع هنا. " لم أصل إلى أي مكان، ليس بعد - يصعب التفكير بوضوح مع كل هذه الأحداث " .

قال جيلبين: " حسناً. لا يبدو أن البحث عن الكنز سيفيدنا في عملنا، وذلك بعد أن علمنا بأنها شعرت بأنها مهددة منذ أشهرٍ مضت. لكن، دعني أعلم ما يجري. هل اتفقنا؟ " .

شعرنا جميعاً بالحرارة. نادتني بوني بعد دخولي أنا وراند إلى السيارة. " اسمع يا نِك. هل ما يزال قياس آمي الحجم اثنين؟ " .

تطلعت نحوها عابساً.

قالت مكررة: " حجم اثنين؟ " .

قلت: " أجل. أعتقد كذلك. أجل إنها كذلك " .

أظهرت تعابير وجه بوني بأنها فهمت، وما لبثت أن دخلت إلى سيارتها.

سأل راند: " ماذا تظن بأنها تعني؟ " .

" اثنان، من يعلم؟ " .

بقينا صامتين معظم الوقت في طريقنا إلى الفندق، لكن راند حدّق من خلال نافذة السيارة إلى صفوف مطاعم المأكولات السريعة التي تتوالى إلى جانبنا، ولعله كان يفكّر في كذبتي - أكاذيبي أنا. اضطررنا إلى البحث عن مكان كي نركن السيارة بالقرب من فندق دايز إن. يبدو أن مؤتمر الأجور يلقى شعبية كبيرة.

قال راند بعد أن وضع أصابعه على مقبض الباب: " أتعرف. يدعو الأمر إلى الضحك. أعني كيف تعودت على هذه المناطق وأنا الذي أمضيت حياتي في نيويورك. أما عندما تحدثت آمي عن العودة معك إلى هنا، وإلى نهر المسيسيبي القديم، فقد تصورت... المساحات الخضراء، وأشجار التفاح، وتلك الحظائر الحمراء القديمة. لكني أقول لك إن المكان بشع جداً هنا " . ضحك قبل أن يتابع: " لم ألاحظ أي شيء جميلٍ هنا في هذه المدينة، عدا ابنتي " .

خرج من السيارة وسار بسرعة نحو الفندق، لكنني لم أحاول اللحاق به. دخلتُ المركز بعده بدقائق قليلة، ثم جلست إلى طاولة منعزلة تقع في طرف القاعة. كنت بحاجة إلى إتمام عملية البحث عن الكنز قبل اختفاء الأدلة، وأن أتصور إلى أين تريد آمي أن تأخذني. أردت التوقف هنا لساعاتٍ قليلة من أجل التعامل مع الدليل الثالث. طلبت في هذا الوقت رقماً هاتفياً.

أجاب صوتٌ لا يوحي بالصبر أبداً: " نعم " . سمعت صوت بكاء طفل في الغرفة. تمكنت كذلك من سماع المرأة وهي تنفخ الشعر عن وجهها.

" مرحباً، هل أتكلم مع... مع هيلاري هاندي؟ " .

قطعت المكالمة، لكني اتصلتُ مجدداً.

" مرحباً؟ " .

" مرحباً. أعتقد بأن المكالمة قُطعت قبل قليل " .

" أيمكنك أن تضع هذا الرقم من ضمن لائحة الأرقام التي يجب عدم الاتصال بها... " .

" هيلاري، إنني لا أبيع أي شيء. إنني أتصل بشأن آمي دون... آمي إليوت " .

مرّت فترة صمت. صرخ الطفل مجدداً، وكانت صرخة ضعيفة وتراوحت ما بين الضحك والغضب.

" ماذا بشأنها؟ " .

" لا أعرف ما إذا شاهدتِ ذلك على شاشة التلفزيون، لكنها مفقودة. فُقدت في يوم الخامس من تموز وسط ظروفٍ عنيفة على ما يبدو " .

" أوه. إنني آسفة " .

" أنا نِك دون، زوجها. إنني أتصل الآن بأصدقائها القدامى " .

" أوه " .

" أتساءل ما إذا اتصلتِ بها منذ فترة قريبة " .

تنفستُ في سماعة الهاتف على دفعاتٍ ثلاث. " هل تقول ذلك بسبب تلك التفاهات التي حدثت في المدرسة الثانوية؟ " سمعتُ في مسافة أبعد صوت طفلٍ وهو يصرخ بصوتٍ مؤثر، " أمي. أحتاج إليك " .

نادت في الفراغ الذي خلفها: " سأحضر بعد دقيقة يا جاك " . عادت إليّ بعد ذلك بصوتٍ غاضب: " هل هذا هو السبب؟ هل هذا هو سبب اتصالك بي؟ حدث ذلك قبل عشرين سنة، وربما أكثر " .

" أعرف. أعرف. اسمعي، يتعيّن عليّ أن أسأل. سأكون مغفلاً إذا لم أسأل " .

" يا الله. إنني أمٌّ لثلاثة أولاد الآن، ولم أتحدث إلى آمي منذ أيام المدرسة الثانوية. أعتقد بأنني تعلمت درسي. يعني ذلك أنني إذا رأيتها في الشارع فسوف أبتعد إلى الجهة الأخرى " . عاد الطفل للصراخ. " أنا مضطرة لإنهاء المكالمة " .

" أجيبيني بسرعة يا هيلاري... " .

أنهت المكالمة، ورنّ هاتفي المحمول المؤقت في اللحظة ذاتها، لكني تجاهلته. يتعيّن عليّ العثور على مكان كي أضع فيه هذا الهاتف اللعين.

شعرت بأن شخصاً ما يتواجد بقربي. أعتقد بأنها امرأة، لكنني لم أرفع بصري على أمل أن تبتعد عني.

" لم يحن وقت الظهيرة بعد، وها أنت تبدو وكأنك مررتَ بيومٍ متعب. يا للمسكين " .

شاونا كيلي. رفعت هذه المرأة شعرها عالياً على شكل ذيل حصان. وجّهت شاونا نحوي شفاهاً لماعة مع نظرة متعاطفة. " أترغب في تناول فطيرة مقلية من عندي؟ " كانت تحمل الطبق، وترفعه إلى ما دون صدرها بقليل.. قالت كلماتها وكأنها نجمة روك من نجوم الثمانينيات: " أتريد تذوقها؟ " .

" يا لوجبة الفطور الكبيرة هذه، شكراً مع ذلك. هذا لطفٌ منك بالفعل " .

جلست شاونا بدلاً من أن تذهب. كانت ساقاها تلتمعان بفضل مستحضر الترطيب تحت تنورة كرة المضرب التي ترتديها. ركلتني بإصبع رجلٍ لا تشوبه شائبة " هل تنام يا عزيزي؟ " .

" إنني صامد حتى الآن " .

" يتعيّن عليك أن تنام يا نِك، لأنك لن تفيد أحداً إذا كنتَ منهكاً " .

" يُحتمل بأنني سوف أغادر بعد قليل. سأرى إن كنتُ سأتمكن من النوم لساعاتٍ قليلة " .

" أعتقد بأنك مضطرٌّ لأن تفعل ذلك. أعتقد ذلك فعلاً " .

شعرت بالامتنان المخلص تجاهها. كان ذلك شعور الطفل تجاه أمه. كان ذلك في غاية الخطورة. اسحق هذا الشعور يا نِك.

انتظرتها أن تغادر. كان يجب عليها أن تذهب، لأن الناس بدأت

بمراقبتنا.

قالت: " يمكنني، إذا أردتَ، أن أوصلك الآن بالسيارة إلى المنزل. يُحتمل بأن تكون الإغفاءة هي الشيء الذي تحتاجه " .

تقدمتْ قليلاً كي تلمس ركبتي، وشعرت بنوبةٍ من الغضب لأنها لم تدرك بعد بأنها يجب أن ترحل. ارحلي يا صاحبة الطبق [المقلاة] ، أيتها الساقطة المعجبة بنجوم الروك وثقيلة الدم. شعرت بإحساسٍ متزايد لصبي تجاه والده. إنه ذلك الشعور السيّئ ذاته.

قلت بصراحة: " لماذا لا تراجعي ماريبيت؟ " . أشرتُ بعد ذلك إلى والدة زوجتي التي كانت جالسة قرب آلة نسخ من نوع زيروكس، وكانت منشغلة بتصوير آلاف النسخ عن صورة آمي.

بقيت جالسةً، وهكذا بدأت بتجاهلها على الفور، ثم قالت: " حسناً. سأتركك الآن. آمل أن تحب الفطيرة " .

لاحظت بأنها صُدمت بالطريقة التي صرفتها بها، وذلك لأنها لم تنظر نحوي أثناء مغادرتها، بل اكتفت بالاستدارة ومشت ببطء. شعرتُ بأنني اقترفتُ خطأً، وفكّرت في الاعتذار، وإعادة المياه إلى مجاريها. أصدرتُ أمراً لنفسي لا تلحق بتلك المرأة.

" هل من أخبارٍ جديدة؟ " . كانت هذه نويل هوثهورن التي دخلت إلى المكان الذي خرجت منه شاونا. كانت أصغر سناً من شاونا، لكنها بدت أكبر منها - بجسمها الممتلئ وصدرها الصلب البارز بنهديها المتباعدَين، لكنها كانت عابسة.

" لا أخبار حتى الآن " .

" يبدو بالتأكيد بأنك تعالج الأمر بالطريقة الصحيحة " .

حركت رأسي نحوها متردداً بشأن ما يجب أن أقوله.

سألتني: " هل تعرف مَن أنا؟ " .

" بالطبع. أنتِ نويل هوثهورن " .

" أنا أفضل صديقات آمي هنا " .

تعيّن عليّ تذكير الشرطة: يوجد خياران بالنسبة إلى نويل. إما أنها ساقطة كاذبة تحب الشهرة - تحب وضعها كونها على صداقة مع امرأة مفقودة - وإما أنها مجنونة. صممت هذه المرأة على ملاحقة آمي، لكن عندما كشفت آمي أمرها...

سألتها: " هل تمتلكين أي معلومات عن آمي يا نويل؟ " .

" بالطبع أمتلك معلومات يا نِك. كانت أفضل صديقاتي " .

حدّقنا ببعضنا بعضاً لثوانٍ قليلة.

سألتها: " وهل ستكشفين عن هذه المعلومة؟ " .

" تعرف الشرطة أين تجدني، هذا إذا قررت ذلك " .

" هذا مساعدٌ جداً يا نويل. سأحرص على أن يتكلموا معك " .

احمرّت وجنتاها تعبيراً عمّا بداخلها.

ابتعدت بعد ذلك، لكن راودتني فكرة سيئة عنها، وهي الفكرة التي تطفو وتخرج عن إرادتي. فكّرتُ: تتصف النساء بالجنون. لا أجد كلمة تناسب أكثر: ليس بعض النساء، وليس نساء كثيرات.

النساء مجنونات.

ما إن أرخى الليل سدوله حتى قدتُ سيارتي إلى منزل والدي الخالي، وكان لغز آمي إلى جانبي على المقعد.

يُحتمل بأنك تشعر بالذنب لأنك أحضرتني إلى هنا
أعترف بأنني شعرت بالغرابة قليلاً
لكن لم يكن بأيدينا خيارات كثيرة
اتخذنا قراراً: جعلنا هذا المكان فضاءنا.
دعنا نجلب حبّنا إلى هذا المنزل الصغير بنيّ اللون
أعطني بعض الدعم أيها الزوج المحب!

كان هذا اللغز أكثر غموضاً من سابقيه، لكني كنتُ متأكداً من أنني فهمته. تقبّلت آمي قرطاجة، وسامحتني أخيراً على انتقالنا إليها. يُحتمل بأنك تشعر بالذنب لأنك أحضرتني إلى هنا... [لكن] جعلناه فضاءنا. كان المنزل البني الصغير هو منزل والدي، لكن آمي أرادت إدخال نكتة ضمنية في اللغز. كانت تعرف بأنني أحببت النكات الضمنية كثيراً، وذلك لأنها تجعلني أشعر وكأنني مرتبطٌ بها بقدرٍ أكبر مما تفعله الحقائق التي يُعترف بها، أو الحديث حتى طلوع الشمس. كانت قصة " المنزل البني الصغير " تدور حول والدي، وآمي هي الشخص الوحيد الذي أخبرته ما يلي: نادراً ما كنتُ أرى والدي بعد حدوث الطلاق، وذلك إلى درجة أنني قررت التفكير فيه وكأنه شخصية في أحد الكتب القصصية. لم يكن أبي الحقيقي - الذي يحبني ويمضي الوقت معي - لكنه شخصية معطاءة وعلى قدرٍ قليلٍ من الأهمية ويدعى السيد براون، وهو الذي كان مشغولاً جداً على الدوام

بالقيام بأشياء في غاية الأهمية لصالح الولايات المتحدة، وهو الذي كان يستخدمني في أحيانٍ نادرة (جداً) كغطاء للتجول بسهولة أكبر في المدينة. رأيت الدموع في عيني آمي عندما أخبرتها بهذا، وهو ما لم أكن أقصده، بل قصدت إخبارها بالقصة كما يروي الأولاد قصصهم. أبلغتني بأنها أصبحت عائلتي الآن، وأنها تحبني إلى درجة تستطيع معها التعويض عن عشرة آباء سيّئين، وأننا أصبحنا الآن آل دون، نحن الاثنين. همستْ بعد ذلك في أذني: " لدي مهمة قد تناسبها... " .

أما بالنسبة إلى استعادة الدعم، فإن ذلك يُعتبر نوعاً آخر من المهادنة. قررنا بعد أن استسلم والدي كلياً لداء الألزهايمر أن نبيع هذا المكان. قمت أنا وآمي بتفحّص منزله، وجمعنا كل الصناديق تمهيداً لتقدير القيمة المعنوية للمنزل. كانت آمي، بطبيعة الحال تعمل مثل الدوامة - توضيب، تخزين، مناولة - بينما انشغلت في تمحيص الأغراض العائدة إلى والدي بكل بلادة. كان كل شيء بالنسبة لي يرمز إلى شيء آخر. اعتبرت أن كوب القهوة الذي يحتوي على بقايا أكثر كثافة هو المفضل لديه. هل كان هذا الكوب هديةً له؟ مَن أعطاه إياه؟ أم هل اشتراه بنفسه؟ تصورت أن والدي اكتشف بأن مجرد التسوق هو أمرٌ مخالف للرجولة. لكن جولة تفتيشٍ لخزانته كشفت لي عن وجود خمسة أزواج من الأحذية الجديدة واللماعة، وكانت لا تزال في عُلبها. هل اشتراها بنفسه عندما كان يحتفظ بصورة مختلفة عن بيل دون الذي يحب الاختلاط الاجتماعي أكثر من بيل البطيء، والآخذ بالانهيار؟ هل كان يذهب إلى شو - بي - دو - بي، ويحمل والدتي على مساعدته، وهو الأمر الذي يُضاف إلى سلسلة طويلة من مظاهر اللطف الذي تُظهره أحياناً؟ لم أُخبر آمي بكل هذه الأشياء بطبيعة الحال، وهكذا أنا متأكد بأنني الشخص الذي يتهرّب من مسؤولياته كما كنت في أحيان كثيرة.

قالت لي عندما رأتني على الأرض مستنداً إلى جدار ومحدقاً في الحذاء: " خذ هذا الصندوق ليُضاف إلى الصناديق الأخرى. ضع الأحذية في الصندوق إذا أردت " . شعرت ببعض الحرج، ولهذا حدّقت بها وحدّقت بي... على عادتنا.

يتعيّن عليّ أن أُضيف هنا دفاعاً عن آمي، بأنها سألتني مرتين ما إذا كنت أريد أن أتكلم، وإذا ما كنتُ متأكداً من أنني أرغب في القيام بهذا. كنتُ أُغفل تفاصيل كهذه في بعض الأحيان. أشعر بأن هذا مناسب لي. أردتها، في الواقع، أن تقرأ أفكاري كي لا أنزلق إلى فن الثرثرة النسائي. كنت

أنزلق في بعض الأحيان في لعبة اقرأ أفكاري مثل ما كانت تفعل آمي. كنت أترك كذلك بعض المعلومات.

إنني معجبٌ كبير بنوع الكذب الذي يسمى تجاهل الأمور.

اقتربت من مدخل منزل والدي بعد العاشرة مساءً بقليل. كان المكان صغيراً ومرتباً، وأقرب ما يكون إلى منزل المبتدئين (أو المتأخرين). يتألف المنزل من غرفتَي نوم، وحمّامين، وغرفة طعام، ومطبخٍ قديم وإن كان مرتباً. رأيت لوحة للبيع صدئةً في الباحة الأمامية. مرّتْ سنة كاملة، ولم يظهر أي زبون.

دخلت المنزل بهوائه المليء برائحة العفونة، وما لبث الهواء الساخن أن أحاط بي. بدأ جهاز الإنذار بالرنين، وهو الجهاز غير المكلف الذي قمنا بتركيبه بعد أن اقتحم اللصوص المنزل للمرة الثالثة، وبدا صوته مثل جهاز توقيت قنبلة في مرحلة العد العكسي. أدخلتُ الرمز الذي دفعت أرقامه بآمي إلى حافة الانفجار غضباً لأنه يناقض كل قواعد الرموز. كان ذلك تاريخ ميلادي: 81577 .

ظهرت الكلمات التالية على شاشة الجهاز: الرمز مرفوض. حاولتُ إدخاله مرةً ثانية. الرمز مرفوض. شعرت بقطرات العرق وهي تتصبب فوق ظهري. سبق أن هددت آمي بتغيير الرمز، وقالت إن رمزاً يسهل تخمينه هو أمرٌ سخيف، لكنني أعرف السبب الحقيقي لقولها هذا. شعرتْ بالاستياء لأن الرمز كان تاريخ ميلادي، وليس ذكرى زواجنا: اخترتُ مجدداً أنا، وليس نحن. اختفى عندي ذلك الحنين شبه اللطيف تجاه آمي. نقرت الأرقام بأصابعي مجدداً، وزاد هلعي مع استمرار جهاز الإنذار بالرنين من دون توقف، ومع متابعة العد العكسي. استمرت الحال هكذا إلى أن انطلق بالصوت العالي الذي يُعلن أن أحداً قد اقتحم المنزل.

ووونك - ووونك - ووونك! كان من المفترض أن يبدأ هاتفي الخلوي بالرنين بحيث أتمكن من إيقاف جهاز الإنذار: إنه أنا أيها الأحمق.

لكن ذلك لم يحصل. انتظرت دقيقة بأكملها، وذكّرني جهاز الإنذار بأحد أفلام الغواصات التي تُطلق قذائف الطوربيد. أحاطت بي الحرارة الناتجة عن منزلٍ مغلقٍ خلال شهر تموز. تبلّلت قميصي بالعرق. اللعنة يا آمي. تفحصت شاشة جهاز الإنذار بحثاً عن رقم الشركة، لكنني لم أجد شيئاً. أحضرتُ كرسياً وبدأت في جذب جهاز الإنذار، وانتزعته من الجدار، ثمّ تركته معلقاً بالأسلاك. رنّ هاتفي أخيراً في تلك اللحظة. سمعت على الطرف الآخر من الخط صوتاً يوحي بالغطرسة ويطلب مني الاسم الأول لحيوان

آمي الأليف.

ووونك - ووونك - ووونك!

لم تكن نبرة صاحبة الصوت مناسبةً أبداً، بل كانت متغطرسة، ووقحة، وغير مكترثة إلى أبعد الحدود، وهي التي طرحت عليّ السؤال غير المناسب. لا أعرف الجواب، وهو الأمر الذي جعلني أشعر بالغضب. واجهتُ بعض أسخف الأمور المتعلقة بآمي، وبغض النظر عن محاولاتي تخمين الجواب، وهو الأمر الذي دفعني إلى التوتر.

قلتُ بحدة: " اسمعي. أنا نِك دون، وهذا هو منزل والدي، وأنا الذي أنشأتُ هذا الحساب. يعني ذلك أنه ما مِن أهمية أبداً للاسم الأول لذلك الحيوان الأليف " .

ووونك - ووونك - ووونك!

" أرجوك لا تحدّثني بهذه اللهجة يا سيدي " .

" اسمعي. جئت لأخذ أحد الأغراض من منزل والدي، وسوف أغادر الآن. هل يُقنعك هذا؟ " .

" يتعيّن عليّ إعلام رجال الشرطة على الفور " .

" أيمكنك إطفاء جهاز الإنذار اللعين بحيث أتمكن من التفكير؟ " .

ووونك - ووونك - ووونك!

" توقف جهاز الإنذار " .

" جهاز الإنذار لم يتوقف " .

" سيدي. سبق لي أن حذّرتك مرة بأن لا تحدّثني بتلك النبرة " .

أيتها الساقطة اللعينة.

" أتعرفين شيئاً؟ اللعنة على جهاز الإنذار. اللعنة، اللعنة " .

قطعتُ المكالمة في الوقت الذي تذكرت فيه اسم هرة آمي. كان الاسم الأول للهرة هو ستيوارت.

اتصلت مجدداً، وتكلمت مع موظفة هاتف أخرى، وهي التي سارعت إلى إطفاء جهاز الإنذار، وإلى إلغاء الأمر باستدعاء الشرطة، وهو الأمر الذي أثار ارتياحي. لم أكن بالفعل في مزاجٍ يمكنني من شرح موقفي.

جلست فوق سجادة رقيقة ورخيصة، وأخذتُ نفساً عميقاً بينما كان قلبي يخفق بشدة. شعرت بعد دقيقة من الزمن بأن التوتر زال من كتفيّ وفكيّ، كما زال من قبضة يدي في حين عادت خفقات قلبي إلى وضعها الطبيعي. نهضت من مكاني، وفكّرت للحظة بالمغادرة، وكأن ذلك سوف يعلّمني درساً. لكن ما إن وقفت حتى رأيت مظروفاً أزرق اللون موضوعاً

على طاولة المطبخ، وبدا مثل رسالة جون العزيز.
أخذت نفساً عميقاً وأخرجته من فمي استعداداً للمرحلة الجديدة التالية. فتحت المظروف الذي يحمل رسم قلب.

مرحباً يا عزيزي،

إذن، كلانا يمتلك أموراً يجب أن يعمل عليها. أما بالنسبة لي فيتعيّن عليّ العمل على حالة الكمال التي أسعى إليها، وكذلك حالة " أنا دائماً على حق " (أم هل هو التفكير والتمني؟) الذي أشعر به بين وقتٍ وآخر. لكن ماذا بالنسبة إليك؟ أعرف بأنك تقلق من كونك بعيداً جداً، ومنعزلاً جداً في بعض الأحيان، ومع ميلٍ لأن تكون رقيقاً أو متعاطفاً. حسناً، أريد أن أقول لك - هنا في منزل والدك بأن ذلك ليس صحيحاً. أنت لست والدك. أريدك أن تعرف بأنك رجلٌ طيب، وأنت رجلٌ رائع، وأنت لطيف. عاقبتك لعدم قدرتك على قراءة أفكاري في بعض الأحيان، ولعجزك عن التصرف بالطريقة التي أريدك أن تتصرف بها في تلك اللحظة بالضبط. عاقبتك لأنك رجلٌ حقيقي ويتنفس. لكني لم أمنحك فرصة الاستفادة من الشك: بأنه بغض النظر عن أخطائنا، أنا وأنت، فإنك ستحبني على الدوام، وسترغب أن أكون سعيدة. أعتقد بأن ذلك يجب أن يكون كافياً بالنسبة إلى أي فتاة، أليس كذلك؟ قلقتُ لأنني قلتُ أموراً عنك ليس حقيقية في الواقع، لكنك صدّقتها. إنني هنا الآن كي أقول: أنت دافئ. أنت شمسي.

لو كانت آمي معي، أي كما خططتْ سلفاً، لكانت اقتربت مني مثل ما كانت تفعل من قبل، ولكانت دسّت وجهها في عنقي، ولكانت قبّلتني وابتسمت وقالت، " أنت، شمسي، كما تعلم " . شعرت بما يشبه الاختناق في حنجرتي، وما لبثت أن ألقيت نظرة أخيرة على منزل والدي وغادرت المكان، ثم أقفلت المنزل على الحرارة المحتبسة فيه. فتحت المظروف الذي يحمل كلمات اللغز الرابع في سيارتي. شعرت بأنه لا بد وأننا اقتربنا من النهاية.

أريدك أن تتصورني: إنني فتاة سيئة جداً
أستحق العقاب، وبكلمة عقاب فأنا أعني الامتلاك
هناك حيث تخزن أغراض الذكرى الخامسة

اعذرني إذا كان كل ذلك مخططاً له!
عرفنا أوقاتاً طيبة هنا في ظهيرة يومٍ مشمس
ثم خرجنا لتناول كوكتيل، وكنا في غاية البهجة.
أريدك أن تسارع إلى هناك الآن وتختزن كل آهاتك اللطيفة،
وأن تفتح الباب لمفاجأتك الكبيرة.

شعرت بانقباضٍ في معدتي. لم أفهم ما تعنيه بهذا اللغز. أعدت قراءة الرسالة مجدداً. لم أتمكن حتى من التخمين. توقفت آمي عن تسهيل الأمر لي. يعني ذلك بأنني لن أنهي عملية البحث عن الكنز في النهاية.

اجتاحتني موجة من القلق. يا لهذا اليوم الطويل. خرجت بوني باحثةً عني، ونويل مجنونة، وشوانا غاضبة، أما هيلاري فمستاءة، وكذلك تلك المرأة في شركة الأمن التي تبدو مثل ساقطة، وها إن زوجتي خذلتني أخيراً. حان الوقت الآن لإنهاء هذا اليوم المُتعب. كانت هناك امرأة واحدة مستعدة للوقوف إلى جانبي في هذا الوقت.

ألقت جو نظرةً عليّ. كنتُ مضطرباً، مزموم الشفتين، ومنهكاً بسبب الحرارة التي تعرضت لها في منزل والدي. أجلستني شقيقتي على الأريكة وأعلنت بأنها سوف تحضّر وجبة عشاء متأخرة. تقدّمت نحوي بعد مرور خمس دقائق بعد أن وضعت وجبتي على صينية قديمة. كانت وجبة آل دون قديمة: جبنة مقلية ورقاقات مشوية، وكوب بلاستيكي من...

قالت جو: " هذا ليس كول آيد [شراب مرطب] . إنه شراب آخر. يبدو كول آيد شراباً رجعياً بعض الشيء " .

" يبدو هذا في غاية اللطف المستغرب من جانبك يا جو " .

" سيأتي دورك في الطبخ يوم غد " .

جلست على الأريكة إلى جانبي، واختلست رقاقة من طبقي، ثم سألتْ من دون اكتراث: " أتعرف لماذا سألني رجال الشرطة ما إذا كان حجم آمي ما زال اثنين؟ " .

قلت: " يا الله. لا يبدو بأنهم سوف يتجاهلون هذه النقطة " .

" ألا يبعث هذا فيك الخوف؟ يُحتمل بأنهم عثروا على ثيابها، أو ما يشبه ذلك؟ " .

" لو عثروا على الثياب، لكانوا طلبوا مني التعرّف عليها. أليس كذلك؟ " .

فكّرت بما قلته لها للحظة بينما بدا الاضطراب على وجهها. قالت: "

يبدو ذلك منطقياً " . بقي وجهها مضطرباً إلى أن لاحظت بأنني أتطلع نحوها. ابتسمت بعد ذلك وقالت: " سجّلتُ مباراة الكرة، أتريد أن تشاهدها؟ هل أنت بخير؟ " .

" إنني على ما يرام " . أحسست بشعورٍ مريع، وباضطرابٍ في معدتي، بينما كانت أعصابي منهارة. يُحتمل أن ذلك عائد إلى اللغز الذي عجزتُ عن حلّه، لكني شعرت فجأة وكأنني تجاهلتُ شيئاً، وأنني ارتكبتُ خطأً كبيراً وأن غلطتي ستكون كارثية. يُحتمل أن السبب هو ضميري الذي عاد ليطفو على السطح من مخبئه السري.

شغلت جو لعبة الكرة ـ وداومت للدقائق العشر التالية على التعليق على المباراة فقط، وهي فعلت ذلك بينما كانت ترتشف جرعاتٍ من الشراب. لا تحب جو الجبنة المقلية، وهكذا تناولت عدة ملاعقٍ من زبدة الفستق من الإناء الزجاجي، وأضافت إليها بعض الملح. أما عندما حان موعد الإعلانات التجارية فقد توقفت جو لتقول: " لو كنتُ رجلاً لكنت ألغيت زبدة الفستق هذه " . عمدت بعد ذلك إلى رشقي ببعض رقاقات البسكويت.

" أعتقد بأنك لو كنتِ رجلاً لكانت حدثت أمور كثيرة على درجة من السوء " .

سرّعت جو الشريط خلال قسمٍ غير هام من المباراة، كان فريق كاردس متأخراً بخمسة أهداف. لكن عندما حان الوقت للإعلان التجاري التالي توقفت جو وقالت: " اتصلتُ اليوم لتغيير أغنية الانتظار على هاتفي الخلوي، وهي التي كانت أغنية ليونيل ريتشي - هل تسمع ليونيل ريتشي؟ إنني أحب أغنية " Lover Penny " ، لكن على أي حال جاءت امرأة على الطرف الآخر من الخط، وقالت إن موظفي قسم خدمة الزبائن موجودون في باتون روج، وهو أمرٌ غريب لأنها لم تكن تتكلم بتلك اللهجة، لكنها قالت بأنها نشأت في نيوأورليانز، لكن ليس من المعروف كثيراً واقع أنه - ماذا نسمي المواطن الذي يسكن في نيوأورليانز، هل نطلق عليه اسم نيوأورليانزي؟ - على أي حال، أنهم لا يمتلكون تلك اللهجة كثيراً، وهكذا أطلقت على مجموعتي اسم مجموعة أ... " .

اكتسبتُ أنا وجو هذه اللعبة من والدتي، وهي التي اعتادت أن تروي عدداً كبيراً جداً من القصص العادية والتي لا نهاية لها. كانت تلك هي القصص التي أكّدت جو بأنها أثرت علينا بطريقة غير مباشرة. بقيت أنا وجو، وعلى مدى عشر سنوات، وكلما التقينا لنتحادث بهدوء، ينطلق

أحدنا في قصة حول إصلاح إحدى الأدوات الكهربائية، أو تسلّم قسيمة. تمتلك جو قدرةً على رواية القصص أكثر مني. كانت قصصها تطول وتطول، وكأنها سوف تستمر إلى الأبد. كانت هذه القصص تطول حتى تصبح مزعجةً بالفعل، وذلك حتى تصبح مضحكة جداً.

بدأت جو برواية قصة عن مصباح ثلاجتها ولم تُظهر أي علامةٍ من علامات إنهاء القصة. شعرت فجأة بشعور قوي من الامتنان تجاهها لذلك انحنيتُ فوق الأريكة وطبعتُ قبلةً على خدّها.

" لماذا هذه القبلة؟ " .

" للتعبير عن شكري فقط " . أحسست أن الدموع تملأ عينيّ، فتطلعت بعيداً للحظةٍ من الزمن كي أمسحها. قالت جو: " ولذلك احتجت إلى بطاريةٍ ثلاثية، والتي تبيّن لي فيما بعد بأنها تختلف عن بطارية الترانزستور، وهكذا تعيّن عليّ العثور على الإيصال كي أُرجع بطارية الترانزستور... " .

أنهينا مشاهدة المباراة مع خسارة كاردس. حوّلت جو الصوت في جهاز التلفزيون إلى وضع صامت وقال: " هل تريد أن تتحدث، أم إنك تريد أن تتسلى أكثر؟ افعل أي شيء تريده " .

" اذهبي ونامي يا جو. أريد أن أقلّب المحطات قليلاً، ولربما سوف أنام. أحتاج إلى النوم " .

" أتريد أخذ حبة آمبيان؟ " كانت شقيقتي التوأم تؤمن بالطرق السهلة. لم تكن تستخدم الأشرطة الموسيقية التي تسبب الاسترخاء، أو ضجيج الحيتان لمساعدتها على النوم، بل كانت تبتلع حبة لتغيب عن الوعي.

" كلا " .

إنها في خزانة الدواء في حال غيّرتَ رأيك. إنها أفضل وسيلة مساعدة على النوم... " حوّمت حولي لثوانٍ قليلة، ثم ما لبثت أن خرجت من الغرفة، وهو الأمر غير المستغرب منها، وكان من الواضح أنها لا تشعر بالنعاس، ثم أغلقت باب غرفتها لأنها تعرف أن أفضل شيء تفعله لي هو أن تتركني وحيداً.

يفتقد أشخاصٌ كثيرون إلى هذه الميزة: أي معرفة الوقت المناسب للمغادرة. يحب الناس الكلام، لكني لم أكن يوماً متكلماً كبيراً. إنني أحمل معي حواراً داخلياً، لكن الكلمات لا تصل عادةً إلى شفتيّ. كنت أفكّر في بعض الأحيان أنها تبدو رائعةً هذا اليوم، لكن لا يخطر في ذهني أن أقولها بصوتٍ عالٍ. كانت والدتي تتحدث كثيراً، وشقيقتي كذلك. لكني لم

أكبرُ مع الرغبة في التحدث بل في الإصغاء، وهذا هو السبب الذي جعلني أشعر بالارتياح لمجرد جلوسي على الأريكة بمفردي. قلّبت إحدى صفحات مجلات جو، وكذلك قلّبت بين محطات التلفزيون، وأخيراً فضّلت مشاهدة أحد الأفلام بالأبيض والأسود، ورأيت رجالاً يرتدون قبعات، وهم يدوّنون ملاحظاتهم، بينما تقوم الزوجة الجميلة بشرح أن زوجها كان بعيداً عنها في فريسنو، وهو الأمر الذي دفع بالشرطيين إلى التطلع ببعضهما بعضاً بنظراتٍ ذات معنى. تذكرت جيلبين وبوني فشعرت بتوترٍ في معدتي.

أرسل هاتفي الخلوي المؤقت رنيناً خافتاً في جيبي، وهو الصوت الذي يعني بأنني أتلقى رسالة:

افتح الباب. أنا في الخارج.

آمي إليوت دون

28 نيسان، 2011

- صفحة يومية -

استمّر، يجب عليك أن تستمر، هذا ما كانت تقوله ماما مو. أما عندما كانت تقول هذا الكلام - بتأكيدها، وتشديدها على كل كلمة وكأنها استراتيجية حياة حيوية - فإن هذا الشعار يكف عن كونه مجموعة من الكلمات، ويتحوّل إلى شيء حقيقي. فكّرت كثيراً كم تحمل عبارة استمري، استمري هكذا بالضبط من قيمة.

إنني أحب حقيقة أن سكان الغرب الأوسط لا يعطون الأشياء أهمية كبيرة، ولا حتى الموت. قررت ماما مو أن تستمر وتستمر إلى أن يرديها السرطان، وعندها ستموت بعد ذلك.

قررت، لهذا، أن أضع رأسي في الرمال، والاستفادة من وضعٍ سيئ إلى الحد الأقصى. إنني أقصد هذا بالمعنى العميق والفعلي كما قصدته ماما مو. إنني أُبقي رأسي في الأسفل وأقوم بعملي: أصطحب مو إلى مواعيد الطبيب، ومواعيد العلاج الكيميائي. أقوم كذلك بتغيير ذلك الماء الآسن في إناء الزهور في غرفة والد نِك، كما أقوم بإعطاء الموظفين الكعك المحلى لدفعهم إلى الاهتمام به.

استبعد نِك والده من حساباته كلياً، حتى إنه لا يتلفظ باسم الرجل. أعرف أنه في كل مرة نتلقى فيها مكالمة هاتفية من كومفورت هيل فإن نِك يأمل بأن تكون إعلاناً بأن والده قد مات. أما بالنسبة إلى مو فإن نِك مكث معها لجلسة علاجٍ كيميائي واحدة، وما لبث أن قرّر بأنها لا تُحتمل. قال إنه يكره المستشفيات، ويكره المرضى، ويكره الوقت الذي يمضي ببطء، وكيس الحقنة الوريدية الذي يقطر ببطء. إنه لا يطيق ذلك. لكن عندما حاولت إقناعه بالعدول عن موقفه هذا، وعندما حاولت إعطاءه بعض الصلابة بكلامٍ يماثل: يتعيّن عليك أن تفعل ما يتعين عليك فعله كان ردّه أن أقوم أنا بهذا، وهو ما فعلته بالضبط. تتحمل ماما مو بعض اللوم في هذا الوضع. جلسنا ذات يوم لنشاهد، جزئياً، فيلماً كوميدياً رومانسياً على حاسوبي، لكننا تجاذبنا أطراف الحديث معظم الوقت، وذلك بينما كانت الحقنة الوريدية تقطر قطرة قطرة... ببطء... شديد. استدارت مو، تلك البطلة الجسورة، نحوي فوق الأريكة وقالت: " لا تعاملي نِك بقسوة كبيرة. أعني بسبب عدم قيامه بهذا النوع من الأعمال. أردت دائماً أن أعطيه

اهتماماً كبيراً، ورعاية أكبر. كيف لي أن لا أفعل ذلك؟ انظري إلى ذلك الوجه. هذا هو السبب ملاقاته صعوبة كبيرة في القيام بالأشياء الصعبة. لكني لا أكترث لذلك فعلاً يا آمي. فعلاً " .

قلتُ: " يجب أن تكترثي " .

قالت وهي تربت على يدي: " لا يتعيّن على نِك أن يبرهن عن حبّه لي. أعرف بأنه يحبني " .

إنني معجبةٌ جداً بحب مو غير المشروط. إنني معجبة بالفعل بهذا الحب. هذا هو السبب الذي جعلني أمتنع عن إخبارها بما وجدته في حاسوب نِك، أي مخطّط الكتاب الذي يدور حول مذكرات كاتب في إحدى مجلات مانهاتن، والذي يعود إلى جذوره في ميسوري بهدف العناية بوالدَيه المريضين. يضع نِك على حاسوبه أموراً غريبة ومختلفة، كما أنني في بعض الأحيان أعجز عن مقاومة بعض الفضول، لأن ذلك يعطيني فكرة عن الأمور التي يفكّر فيها زوجي. أما آخر حملة تفتيش قمت بها عن المواضيع التي أجرى بحثاً عنها فكانت كما يلي: أفلام الجريمة وموقع المجلة التي كان يعمل فيها، ودراسة عن نهر المسيسيبي، وما إذا كان بالإمكان القيام بعومٍ حر من هنا وحتى الخليج. لكني أعرف ما يتصوره: العوم عبر المسيسيبي مثل ما يفعل هاك فين، ثم كتابة مقالة عن الموضوع. أعرف أن نِك يبحث دائماً عن زوايا مختلفة.

كنتُ منشغلة بكل هذا عندما عثرت على مخطط الكتاب.

الحيوات المزدوجة: مذكرات النهايات والبدايات وهي التي تتناسق على الأخص مع ذكور x Gen ، الرجال الصبيان الأصليون، والذين يبدأون لتوهم بمعاناة الإجهاد والضغط اللذين يترافقان مع الوالدين المسنّين. أما تفصيل الحيوات المزدوجة فهو على الشكل التالي:

- إدراكي المتزايد لوالد معتلٍّ، والذي كان بعيداً عني ذات مرة.
- التغيّر الإجباري الذي مررت به من شابٍ لاهٍ إلى رب عائلة، وذلك مع مواجهتي الموت الوشيك لوالدةٍ أحببتها كثيراً
- الاستياء الذي تشعر به زوجة من مانهاتن إزاء هذا التحوّل الطارئ على حياتها التي كانت رائعة في السابق. يجدر بي أن أذكر بأن زوجتي، آمي إليوت دون هي التي ألهمت السلسلة الشهيرة الأكثر مبيعاً آمي الرائعة.

لم يكتمل هذا المشروع المقترح أبداً، لكنني أفترض أن السبب يعود إلى أن نِك أدرك بأنه لن يتمكن أبداً من فهم والده الذي كان بعيداً

عنه ذات مرة، وكذلك إلى أن نِك كان يتجاهل جميع واجبات " رأس العائلة " ؛ وذلك إضافة إلى أنني لم أعبّر عن أي شعورٍ بالغضب حول حياتي الجديدة. سبق لي، مع ذلك، أن عبّرت عن قدرٍ قليلٍ من الإحباط، لكن لم يكن ذلك النوع من الغضب الذي يستحق إثباته في كتاب. سمعت زوجي على مدى سنوات عديدة وهو يُثني على شعور التضامن العاطفي الذي يتميز به سكان الغرب الأوسط: الرزانة، التواضع، ومن دون إعجاب! لكن هذه الأنواع من الناس لا توفر مادة جيدة للمذكرات. أيمكننا أن نتصور كتاباً يحمل غلافه الداخلي التعليق التالي: تصرّف الناس بشكلٍ جيدٍ غالباً، ثم ماتوا بعد ذلك.

لكني أشعر مع ذلك بوخز عبارته " الاستياء الذي تشعر به زوجتي التي نشأت في مانهاتن " . يُحتمل أنني... عنيدة. أفكر كيف أن مورين تبدو رائعة على الدوام، كما أشعر بالقلق لأننا، أنا ونِك، لم نُخلق لبعضنا بعضاً. أشعر كذلك بأنه سوف يكون أسعد حالاً مع امرأةٍ تتحمس للعناية بزوجها ولأعمال منزلها. لا أقصد هنا التقليل من قيمة هذه المهارات، وذلك لأنني أتمنى لو أنني أمتلكها. أتمنى لو أنني أعطيت اهتماماً أكبر لأن يمتلك نِك معجون أسنانه المفضل لديه، ولو أنني أعرف قياس ياقة قميصه، وأتمنى لو أنني كنت تلك المرأة التي تعطي حبها من دون شروط، والتي تعتبر أن أعلى درجات السعادة عندها هي جعل زوجها سعيداً.

سارت الأمور هكذا مع نِك لفترة، لكن عجزنا عن الإبقاء عليها. أعرف أنني لا أمتلك ما يكفي من نكران الذات، وأنني لست أكثر من طفلة، وهو الأمر الذي يردده نِك على الدوام.

لكني أبذل جهدي. إنني أثابر على الاستمرار بينما يجول نِك في أنحاء المدينة وكأنه عاد صبياً مرةً ثانية، وهو الذي يشعر بالسعادة لأنه عاد إلى مملكته الخيّرة. نقص وزنه نحو عشرة باوندات، كما قصَّ شعره بطريقة جديدة. يُضاف إلى ذلك أنه اشترى بنطالاً جديداً من الجينز، كي يبدو بمظهرٍ رائع. لكني أعرف كل هذه الأشياء عنه عندما يعود إلى المنزل، أو عندما يغادره، وهو يتظاهر بأنه على عجلة من أمره على الدوام. أما جوابه الدائم عندما أطلب منه أن أرافقه فهو أنني لن أحب المكان، وذلك بغض النظر عن المكان الذي يقصده. إنه ينبذني بالطريقة ذاتها التي نبذ بها والديه عندما لم يعد بحاجةٍ إليهما، وربما فعل ذلك لأنني لم أعد أناسب حياته الجديدة. تعيّن عليه أن يعمل كي أشعر بالراحة هنا، لكنه لا يريد أن يفعل ذلك، لأن كل ما يريده هو أن يستمتع بمفرده.

كفانا هذا الكلام الآن. يتعيّن عليّ أن أنظر إلى الجهة المشرقة. يتعيّن أن أقوم بذلك فعلياً. يعني ذلك أن أنتشل زوجي من الأفكار السوداء، وأن أسلّط بعض الضوء الذهبي البهيج عليه. يتعيّن عليّ أن أبذل جهداً أكبر في تكريمه كما كنت أفعل سابقاً. أعرف أن نِك يتجاوب مع التكريم. لكني أتمنى لو أن توازناً أكبر يتحقق ما بيننا. ينشغل ذهني بالتفكير في نِك، وتبدو هذه الأفكار مثل خلية نحل داخل رأسي: نِك، نِك، نِك، نِك، نِك! لكن إذا تخيّلت ما يدور في ذهنه فإنني أسمع اسمي يتردد بوضوحٍ وصفاء مرة واحدة، ولربما مرتين، في اليوم، لكنه ما يلبث أن يتلاشى. إنني أتمنى لو أنه يفكّر فيَّ بالقدر ذاته الذي أفكّر فيه.

هل هذا تفكير خاطئ من جانبي؟ لم أعد أعرف بعد الآن.

نِك دون

بعد مرور أربعة أيام

رأيتها واقفةً هناك وسط الوهج البرتقالي لمصابيح الشوارع. كانت مرتدية فستاناً يعري كتفيها، أما شعرها فكان متموجاً بتأثير الرطوبة. آندي. أسرعت بالدخول ناشرةً ذراعيها لتعانقني، لكني همست لها: " انتظري، انتظري! " أغلقت الباب قبل أن تتمكن من إحاطتي بذراعيها. ضغطت بخدّها على صدري، وما لبثت أن وضعت يدي على ظهرها العاري وأغمضتُ عينيّ. شعرت بشعور هو مزيج غريب من الارتياح والهلع يماثل ذلك الذي يشعر به المرء عندما ينتهي من حكّ جلده.

أجل، لديّ خليلة. حان الآن الجزء الذي اضطر فيه إلى إخبارِك بأنه لديّ خليلة، وأن تتوقف عن الشعور بالإعجاب بي، هذا إذا كنتَ شعرت بالإعجاب بي أساساً. إنني أمتلك خليلةً جميلة، شابةً ـ وشابةً جداً، كما أنها تُدعى آندي.

أعرف أن هذا يبدو سيئاً.

قالت ووجهها ما زال ضاغطاً على صدري: " حبيبي، لماذا لم تتصل بي؟ " .

" أعرف يا حبيبتي. أعرف. لا يمكنك أن تتصوري الكابوس الذي مررتُ به. لكن، كيفَ عرفتِ مكاني؟ " .

أبقت على تمسكها بي، وقالت: " كان منزلك مظلماً، وهكذا فكرت في محاولة العثور عليك في منزل جو " .

تعرف آندي عاداتي، وتعرف أماكن تواجدي. إنني أمتلك خليلةً جميلة، وشابةً جداً، كما أننا أمضينا فترةً طويلةً معاً.

" قلقت عليك كثيراً يا نِك، بل شعرت بالهلع. إنني أمكث الآن في منزل مادي. كان جهاز التلفزيون شغالاً، وفجأةً رأيت على شاشته رجلاً يشبهك ويتحدث عن زوجته المفقودة. أدركتُ بعد ذلك أن ذلك الشخص هو أنت. أيمكنك أن تتصور مدى خوفي عند ذاك؟ لكنك لم تحاول على الأقل الاتصال بي؟ " .

" اتصلتُ بكِ " .

" لا تقل أي شيء، اجلس بهدوء، لا تقُل أي شيء حتى نبدأ بالحديث. إنه أمر. لماذا لم تحاول الاتصال بي " .

قلت هامساً في شعرها: " لم أكن وحيداً لفترة طويلة. أحاط بي الناس

من كل جانب وعلى الدوام. والدا آمي، جو، ورجال الشرطة " .

سألتني: " هل اختفت آمي هكذا؟ " .

" يبدو بأنها اختفت ببساطة " . ابتعدتُ عنها، فجلست على الأريكة بقربي، وضغطت بساقها على ساقي، كما لامست ذراعها ذراعي. " أخذها شخصٌ ما " .

" نِك؟ هل أنت بخير؟ " .

انسدل شعرها الكستنائي متموجاً فوق ذقنها، وكتفها، ونهديها، كما لاحظت بأن خصلةً واحدة تتأرجح في مجرى الهواء الذي تتنفسه.

" كلا، لست بخير في الواقع " . أشرتُ لها كي تتوقف عن الكلام وأشرت نحو الممر. " شقيقتي " .

جلسنا صامتين جنباً إلى جنب في حين كانت شاشة التلفزيون تعرض فيلماً بوليسياً قديماً، وكان رجال الشرطة الذين يعتمرون قبعات يلقون القبض على أحد الأشخاص. شعرتُ بيدها تتحرك ببطء نحو يدي. اقتربت مني وكأننا نستعد لمشاهدة أحد الأفلام الليلية، أو كأننا زوجان كسولان وعابثان، وما لبثت أن جذبت وجهي نحوها وقبّلتني.

همستُ: " كلا يا آندي " .

" أجل، أنا بحاجةٍ إليك، وما لبثت أن قفزت إلى حضني وجعلتني أتمدد، بينما كان فستانها المصنوع من القطن يعلو حتى ركبتيها، كما سقطت قطعة منه إلى الأرض. " نِك. قلقتُ كثيراً بشأنك. إنني بحاجةٍ إلى أن أشعر بيديك عليّ. كان هذا كل ما أفكّر به. إنني خائفة " .

كانت آندي فتاة شهوانية، لكني لا أريد أن أقول بأنها لا تكترث إلا لرغباتها. كانت تحب المعانقة، واللمس، وكانت تحب تمرير أصابعها من خلال خصلات شعري، أو نزولاً فوق ظهري عندما تقوم بحكّه بطريقة ودية. تحصل آندي بذلك على الاطمئنان والراحة نتيجة اللمس. لكن لا أنكر أبداً بأنها تحب أكثر من ذلك.

جذبت آندي بحركة سريعة القسم الأعلى من فستانها مكشوف الكتفين نزولاً. استيقظت مشاعري في هذه اللحظة.

كدتُ أقول بصوت عالٍ أريدك. همست زوجتي في أذني أنت دافئ. تحركتُ مبتعداً، وكنتُ متعباً وشعرت بأن الغرفة تدور بي.

" نك؟ " كانت شفتها السفلى رطبة بلعابي. " ماذا؟ ألسنا، نحن، على ما يرام؟ هل هذا بسبب آمي؟ " .

كانت آندي تفيض بالشباب على الدوام، وهي التي كانت بعمر الثالثة

والعشرين. كان من الطبيعي أن تفيض بالشباب في هذا العمر، لكني شعرت في تلك اللحظة بالذات بشبابها الرائع، وكيف أن شبابها يصل بها إلى حد التهوّر والكارثة. كانت شابةً إلى حدٍّ مدمر. لكن سماع اسم زوجتي على شفتيها كان يصيبني بالتوتر على الدوام. ردّدت آندي اسمها كثيراً، وهي التي أحبّت الحديث عنها كثيراً وكأن آمي بطلة أحد عروض الأوبرا. لكن آندي لم تتحدث عن آمي وكأنها عدوتها، بل جعلت منها بطلة [أو شخصية]. كانت تطرح عنها أسئلةً على الدوام، وعن حياتنا معاً، وعن آمي: ماذا كنتما تفعلان في نيويورك، وماذا كنتما تفعلان في إجازات نهاية الأسبوع؟ كوّرت آندي فمها عندما أخبرتها ذات مرة عن ذهابنا لمشاهدة أحد عروض الأوبرا. هل ذهبتما إلى الأوبرا؟ ماذا ارتدت من ثياب؟ هل ارتدت فستاناً طويلاً؟ مع وشاحٍ أو فراء؟ هل ارتدت مجوهراتها كذلك وسرّحت شعرها؟ سألتني كذلك: كيف كان أصدقاء آمي؟ ما هي المواضيع التي كنتما تتحدثان بها؟ كيف كانت آمي، ماذا كانت تشبه حقاً؟ هل كانت تشبه الفتاة التي في الكتب شبهاً تاماً؟ كانت آمي هي القصة المفضلة لدى آمي قبل النوم.

" شقيقتي موجودة في الغرفة الأخرى يا حبيبتي، حتى إنه ما كان يجب أن تكوني هنا. أُشهدُ الله بأنني أريدك هنا، لكن ما كان يجدر بك أن تأتي يا حبيبتي، إلى أن نعرف ما نواجهه على الأقل " .

أنت رجلٌ لامع، وأنت ذكي، وأنت دافئ، والآن قبّلني!

بقيت آندي فوقي.

" حبيبي، إن ما نواجهه الآن هو أنني أحتاج إلى التأكد من أنك بخير. هذا هو كل ما أحتاجه " . ضغطت بجسدها على جسدي فشعرت بالدفء والبهجة. " هذا هو كل ما أحتاجه. أرجوك يا نِك إنني خائفة. إنني أعرفك: أعرف بأنك لا تريد أن تتكلم الآن، ولا بأس في ذلك. لكني أحتاج... إلى أن تكون معي " .

أردت أن أقبّلها في تلك اللحظة مثل ما فعلت في المرة الأولى: الأسنان متصادمة، ووجهها مستندٌ على وجهي، وشعرها يدغدغ ذراعيّ، أي إنها قبلة رطبة ولسانية، وأنا لا أفكر بشيء غير القبلة لأنه من الخطرِ جداً التفكير بشيء غير ذلك الشعور اللذيذ الذي تتركه القبلة. أما الأمر الوحيد الذي منعني من جرّها إلى غرفة النوم في هذه اللحظة، فلم يكن مدى خطأ القيام بهذه الخطوة - لأن ظلالاً كثيرة من الخطأ رافقتنا منذ البداية - بل لأن ذلك أصبح خطيراً بالفعل.

كانت آمي هناك كذلك. أخيراً تواجدت آمي. تواجد ذلك الصوت الذي وجد طريقه إلى أذني لفترة نصف عقدٍ من الزمن. كان ذلك صوت زوجتي، لكنه الآن لم يعد مؤنّباً، بل كان لطيفاً مرةً أخرى. شعرت بالكراهية إزاء تلك الرسائل الصغيرة الثلاث التي تركتها زوجتي، والتي دفعتني إلى الشعور بهذه الطريقة.

لا يحق لي أبداً أن أكون حساساً وعاطفياً إلى هذه الدرجة.

بقيت آندي ملتصقةً بي، لكنني تساءلت ما إذا كانت الشرطة وضعت منزل جو تحت المراقبة، وما إذا كان يجدر بي الإنصات إلى طرقةٍ محتملة على الباب. إنني أمتلك خليلةً شابةً جداً، وجميلةً جداً.

كانت والدتي تُخبر أولادها، وتكراراً: إذا كنتم على وشك أن تفعلوا شيئاً، وإذا أردتم أن تعرفوا ما إذا كان ذلك سيّئاً فيمكنكم أن تتخيّلوا بأنكم تروه مطبوعاً في الصحيفة بحيث يراه العالم بأسره.

ما زال نِك دون، الذي كان كاتباً في مجلة ذات يوم، مجروحاً في كبريائه بسبب صرفه من العمل في العام 2010 ، لكنه وافق على تعليم مادة الصحافة في أحد صفوف كلية قرطاجة الشمالية الحديثة. أسرع ذلك الرجل المتزوج، والذي كبُر قليلاً في السن إلى إقامة حفلة إباحية ملتهبة مع إحدى طالباته التي كانت معجبة به.

يعني ذلك بأنني التجسيد الفعلي للخوف الذي يخشاه كل كاتب: أن يصبح عنواناً رئيساً في صحيفة.

أريد الآن أن أعرض مانشيتات إضافية لتسليتكم: حدث ذلك تدريجياً. لم أقصد أبداً إيذاء أي شخص، لكنني غرقت إلى درجة أكبر مما تصورت. لكنها كانت أكبر من مجرد محاولة عابرة، وكانت أكبر من مجرد إرضاء للكبرياء. إنني أحب آندي فعلاً. إنني أحبها بالفعل.

كان صف المادة التي أعلّمها، والتي تسمى " كيف تبدأ مهنة الكتابة في مجلة " ، يضمّ أربعة عشر طالباً من مختلف مستويات المهارات. كان جميع الطلاب من الفتيات، ويمكنني القول من النساء، لكنني أعتقد بأن كلمة فتيات هي صحيحة في الواقع. أرادت جميع الفتيات العمل في المجلات. لكن يُمكنني القول بأن الفتيات لم يكنّ من النوع المستهتر، اللواتي يظهرن في أوراق المجلات الخشنة، بل كن يناسبن أوراق المجلات اللماعة. يُضاف إلى ذلك بأنهن شاهدن عدداً كبيراً من الأفلام، ولهذا تصورن أنفسهن وهن ينطلقن في أنحاء مانهاتن ويحملن أكواب القهوة بيد، والهاتف الخلوي باليد الأخرى، ويسرعن بطلب سيارة أجرة، وذلك قبل أن ينتهين بين أذرع

أشقاء الروح رائعين لا يُمكنهن مقاومتهم بشعرهم المالس والناعم المغري. لكن الفتيات لا يمتلكن في الوقت ذاته أي فكرة عن مدى حماقة وجهالة اختيارهن لمادة الاختصاص، وهو الأمر الذي كنت أخطط لشرحه لهنّ مستخدماً قصة صرفي من العمل لتكون أمراً تحذيرياً. لم يكن في ذلك الوقت أي اهتمام لأن أكون الشخصية المأساوية التي صوّرتها عندما قدّمت القصة من دون اكتراث، وبشيءٍ من المرح. لم أُعِر الأمر أهمية كبيرة لأن هذا يعطيني وقتاً أكبر لكتابة روايتي.

أمضيت الحصة الأولى في الإجابة عن عدد كبير من الأسئلة المليئة بالرهبة، وهكذا تحولت إلى ثرثارٍ متفاخر، وضعيف، بحيث لم أتمكن من رواية القصة الحقيقية: دعوتي إلى مكتب مدير التحرير من أجل الحديث عن الدفعة الثانية من عملية صرف الموظفين، والمرور أمام صفوفٍ طويلة من الحجرات مع تحوّل كل الأنظار نحوي، وكنت أشبه برجلٍ ميتٍ يمشي، وما زلت آمل أن يبلغوني شيئاً آخر - مثل أن المجلة تحتاجني الآن أكثر من أي وقتٍ مضى - أجل! سيكون ذلك حديثاً من شأنه رفع معنوياتي لكن ذلك لم يحدث أبداً: أظن بأنك تعرف، مع الأسف، السبب الذي جعلني أدعوك إلى هذا المكتب. فرك المدير عينيه من تحت نظارته، وذلك كي يبرهن عن مدى إنهاكه وإحباطه.

أردت أن أشعر وكأنني الرابح الهادئ الأعصاب، لذلك أبلغتُ طلابي عن محنتي. أخبرتهم عن مرضٍ أصاب العائلة، وهو الأمر الذي تطلب عنايتي هنا. أقنعتُ نفسي بأن هذا صحيح، وصحيحٌ كلياً، إضافة إلى أنه بطولي جداً. جلست أمامي آندي الجميلة، التي ينتشر بعض النمش في وجهها، على بُعد أقدامٍ قليلة مني. رأيت زوجاً من العيون الزرقاء تحت أمواجٍ من الشعر الكستنائي، والشفاه الممتلئة المنفرجة قليلاً، ولاحظت نهدين حقيقيين وكبيرين بشكلٍ لافت، وكذلك ساقين وذراعين طويلة ونحيلة. كانت، والحق يُقال، فتاة غريبة ورائعة أشبه باللعبة. يعني ذلك بأنها تقف على النقيض من زوجتي الرشيقة والأرستقراطية. كانت آندي تشع بدفء جسمها، وبعطر الخزامى، وذلك أثناء تدوينها الملاحظات على حاسوبها المحمول، وكانت تطرح أسئلة بصوت أجش مثل: " كيف تحمل المصدر الذي تحاوره على الثقة بك، وعلى فتح صدره لك؟ " فكّرت في نفسي في تلك اللحظة بالذات: من أين أتت هذه الفتاة؟ هل هذا دعابة ما؟

يُمكن للمرء أن يطرح السؤال على نفسه، لماذا؟ كنت مخلصاً لآمي على الدوام، وكنت الرجل الذي يغادر الحانة [المشرب] باكراً إذا ما

شعرت المرأة الجالسة إلى جانبه بأنها مستعدة لمزيد من الغزل، وإذا كانت لمستها تبدو أكثر لطفاً من اللازم. يمكنني القول بأنني لست ذلك الرجل المخادع. إنني لا (لم) أحب المخادعين: الكاذبين، وغير المحترمين، والمغرورين. لم أستسلم أبداً للإغراءات. لكن كان ذلك عندما كنتُ سعيداً. أكره التفكير بأن الجواب سهلٌ إلى هذه الدرجة، لكني كنت سعيداً في حياتي، وأنا الآن لستُ كذلك. كانت آندي هناك تتأخر قليلاً بعد انتهاء الدروس وتطرح عليّ أسئلة عن نفسي، وهي الأسئلة التي لم تطرحها عليّ آمي، وعلى الأقل ليس مؤخراً. دفعتني آمي إلى الشعور بأنني رجلٌ له أهميته، وليس ذلك الأحمق الذي فقَدَ وظيفته، والمغفل الذي نسي إعادة غطاء المرحاض إلى مكانه، والعابث الذي لا يستطيع القيام بأي شيء، مهما كان، بالطريقة الصحيحة.

في أحد الأيام أحضرت لي آمي تفاحةً. كانت تفاحةً حمراء (كانت عنواناً للمذكرة التي سأكتبها عن مغامرتنا هذا إذا كتبتها في يوم ما). طلبت مني آندي إلقاء نظرةٍ أولى على قصتها. دارت القصة عن ملخص حياة إحدى الراقصات التي تعمل في أحد نوادي سانت لويس. بدت القصة وكأنها مقالة في مجلة بنت هاوس فورم. بدأت آندي بأكل تفاحتي أثناء قراءتي لقصتها، وكانت مستندةً إلى كتفي، بينما ملأ العصير شفتيها بطريقة مغرية. فكّرت في تلك اللحظة،، تحاول هذه الفتاة أن تغريني، لا بد وأنها مصدومة بجنون.

نجح الأمر. بدأتُ بالتفكير في آندي كملاذٍ لي، وبوصفها فرصة، أو خياراً. كنت أصل إلى المنزل وأجد آمي مستلقية على الأريكة مثل كرةٍ جامدة. كانت آمي تحدّق صامتة في الجدار، ولم تبادر أبداً إلى فتح الحديث معي، بل كانت تنتظر على الدوام. كان ذلك بمثابة لعبة دائمة لكسر الجليد، وتحدياً ذهنياً مستمراً - ما الذي يجعل آمي سعيدة لهذا اليوم؟ كنتُ أفكر: آندي لا تفعل ذلك. بدا الأمر وكأنني أعرف آندي جيداً. كانت آندي ستضحك لهذه الدعابة، وآندي كانت ستحب تلك القصة. كانت آندي فتاةً إيرلندية لطيفة، وجميلة من مدينتي، وهي متواضعة ومرحة. تعودت آندي الجلوس في الصف الأمامي في صفي، وبدت ناعمة ومهتمة.

لم أكن أشعر بتوترٍ في معدتي عندما كنت أفكر في آندي، أي بمثل ما كان يحصل معي عند التفكير في زوجتي. كنتُ أشعر بالهلع لدى عودتي إلى منزلي حيث أشعر بأنه من غير المرحّب بي.

بدأت في تخيّل كيف يُمكن لهذا أن يحدث. بدأت بالشعور بالشوق إلى لمستها - أجل هكذا، أي مثل ما تصوره أغنية من أغاني الثمانينيات -

أشتاق إلى لمستها، إنني أشتاق للمسات عموماً، وذلك لأن زوجتي كانت تتجنب لمسي: كانت تمرّ في المنزل من أمامي مثل سمكة، وكانت تمكث في المطبخ، أو في بيت الدَرَج بحيث لا أتمكن من رؤيتها. كنا نشاهد البرامج التلفزيونية بصمت أثناء جلوسنا على وسائد الأريكة. كنا منفصلَين عن بعضنا بعضاً، وكأن الواحد منا يجلس في قارب نجاة. أما في السرير فكانت تبتعد عني لتضع الشراشف والأغطية بيننا. استيقظت ليلاً ذات مرة وكنت أعرف بأنها نائمة لكني حرّكتُ شريط الكتف ثم ضغطتُ بخدي وراحة يدي على كتفها العاري. لم أتمكن من العودة للنوم مجدداً في تلك الليلة. شعرت بالاستياء من نفسي. نهضت من السرير، وأخذت حماماً ساخناً كي أشعر بالارتياح. تخيّلت آندي بالطريقة المغرية التي اعتادت أن تنظر بها إليّ بأجفانها المتثاقلة وبعينيها المغريتين، وكأنهما طلوع القمر، فأعرف عندها بأنني موضع اهتمامها. جلست عند انتهائي في الحوض وحدّقت في مصرف المياه من خلال رذاذ المياه. جلست في حوض الاستحمام شاعراً بالإذلال وحاولت جاهداً أن لا أبكي.

حدث الأمر هكذا. كنا وسط عاصفةٍ ثلجية مفاجئة في أوائل شهر نيسان. لا أعني شهر نيسان في هذه السنة، بل نيسان السنة الماضية. كنت أعمل في الحانة وحيداً لأن جو تواجدت في المنزل مع والدتي. كان دورها في تلك الليلة أن تعتني بوالدتي، وكنت أتبادل معها عدم العمل في الحانة ليلاً، وهكذا كانت في المنزل مع والدتنا وتشاهد البرامج التلفزيونية الرديئة. أما وضع والدتي الصحي فكان يزداد سوءاً وبسرعة. أدركت بأنها لن تستطيع الصمود حتى نهاية هذه السنة، وأن الوقت لن يتأخر حتى تتهاوى.

شعرت بالارتياح في تلك اللحظة لأن والدتي وجو كانتا في أمان المنزل تشاهدان فيلماً لآنيت فيونيشيلو على الشاطئ. عرفت الحانة ليلة مليئة بالعمل والحيوية، أي إنها كانت من تلك الليالي التي بدا فيها أن الجميع قد أمضوا يوماً جيداً. أبدت الفتيات الجميلات لطفاً زائداً مع الشبان العطوفين. اشترى بعض الأشخاص مشروباً للغرباء من دون سبب. كانت الأجواء احتفالية، انتهت السهرة، وحان وقت الإقفال فخرج الجميع. كنتُ على وشك إقفال الباب عندما فتحَتْه على مصراعيه مجدداً، ودخلت بطريقة كادت تعانقني فيها. تمكنت من شمّ رائحة الشراب الخفيفة اللطيفة في أنفاسها، وكذلك رائحة الدخان في شعرها. ترددت في تلك اللحظة التي

كانت أشبه بالصدمة، والتي يحاول المرء فيها استيعاب التغيير الذي يطرأ عليه. آندي في الحانة. أطلقت آندي ضحكة تشبه تلك التي تُطلقها قرصانة نسائية، وما لبثت أن دفعتني إلى الداخل.

" انتهيت الآن من أسوأ موعدٍ لي، وأنت مضطر لأن تتناول الشراب معي " . تجمعت بعض ندفات الثلج على شعرها الداكن والمتموج، كما التمع النمش المتناثر في وجهها، بينما تحوّل خدّاها إلى اللون الزهري الملتمع بحيث بدا المنظر وكأن أحداً صفعها مرتين. كان صوتها عظيماً، ذلك الصوت المترافق مع بحة والذي يشبه صوت بطة، وهو الصوت الذي يبدأ رقيقاً وينتهي بأن يكون مثيراً بالكامل. " أرجوك يا نِك، أريد التخلص من مذاق ذلك الموعد السيئ من فمي " .

أتذكر بأننا ضحكنا، وفكّرت في الارتياح الذي يسببه التواجد مع امرأة وسماع ضحكتها. ارتدت آندي بنطال جينز وبلوزة مصنوعة من الكشمير. إنها من الفتيات اللواتي يناسبهن بنطال الجينز أكثر من الفستان. لاحظت بأن وجهها وجسمها هما في أفضل حال من البساطة. عدتُ إلى مكاني وراء المشرب، وما لبثت أن تسللت إلى ما وراء المشرب مستعرضةً بعينيها جميع زجاجات الشراب المعروضة ورائي.

" ماذا تريدين يا سيدتي؟ " .

قالت: " أريدك أن تفاجئني " .

قلت بشفتين مستعدتين لتلقي قبلة: " بو " .

" والآن فاجِئني بشراب " . انحنت إلى الأمام بحيث ارتفعت منطقة وسط صدرها بسبب المشرب بينما اندفع نهداها نحو الأعلى. كان تضع قلادة مع سلسالٍ ذهبي رفيع، وهكذا انزلقت القلادة نزولاً بين نهديها تحت كنزتها. فكرت في نفسي لا تكن من ذلك النوع من الرجال، أي الرجل الذي يسعى إلى الوصول إلى المكان الذي تنتهي إليه القلادة.

سألتُ: " أي طعم شراب تفضّلين؟ " .

" سأحب أي شرابٍ تعطيني إياه " .

كانت تلك هي الجملة التي استحوذت على اهتمامي، أعني البساطة التي احتوتها، وفكرة أنني أستطيع القيام بشيء يجعل المرأة سعيدة، وأن ذلك سوف يكون عملاً سهلاً. سأحب أي شراب تعطيني إياه. شعرت بموجةٍ غامرة من الارتياح. عرفت في تلك اللحظة بالذات بأنني لم أعد أحب آمي بعد الآن.

فكّرت في نفسي في اللحظة التي استدرت فيها لأحضر كوبين فارغين،

لن أحب زوجتي بعد الآن. ولا حتى بالقدر القليل. فقدتُ كل شعورٍ بالحب، إنني عفيف. مزجتُ شرابي المفضّل: كريسماس مورننغ، وقهوة ساخنة وشنابس بارد بطعم النعناع. أنهيت معها الجولة الأولى من الشراب، وعندما لاحظت بأنها ترتعش وتضحك - ضحكة صاخبة - سكبتُ لنا جولةً ثانية. شربنا معاً لفترة ساعة بعد موعد الإقفال، كما ذكرت كلمة زوجة ثلاث مرات، وذلك لأنني كنت أنظر نحو آندي وأتخيّلها وهي تخلع ملابسها. كان أقل ما يمكنني عمله هو توجيه تحذيرٍ لها: لديّ زوجة. تصرفي بحسب ما تشائين.

جلست أمامي واحتضنت ذقنها بيديها ثمّ ابتسمت لي.

" أيمكنك أن ترافقني إلى المنزل؟ " . سبق لها أن ذكرت بأنها تسكن في مكانٍ قريب من المركز التجاري للمدينة، وأنها مصممة على زيارة الحانة في إحدى الليالي لإلقاء التحية، لكن هل ذكرت بأنها تعيش في مكانٍ قريبٍ من الحانة؟ فكّرتُ كثيراً: تجولت ذهنياً مراتٍ كثيرة في المجمعات السكنية القريبة سائراً نحو الشقق الحجرية الخالية من التعقيد حيث تسكن، وهكذا عندما خرجت من الباب فجأة وسرت معها في طريقنا إلى منزلها لم أشعر بأن الأمر غير اعتيادي. غاب عني ذلك الجرس التحذيري الذي يُبلغني: إن هذا غير اعتيادي، وهو يخالف ما نقوم به.

مشيتُ معها نحو منزلها، وكان سيرنا عكس اتجاه الريح، بينما كانت رقاقات الثلج تتطاير في كل مكان. ساعدتها على تثبيت شالها الأحمر المحبوك بخيطان الصوف مرة، ومرتين. أما في المرة الثالثة فكنت أثبّت الشال بطريقة محكمة، وكان وجهانا قريبين جداً من بعضهما بعضاً. لاحظت أن خدّيها اكتسبا ذلك اللون الزهري بعد التزلج أثناء العطلات. كان ذلك من النوع الذي لا يحدث أبداً في مئة ليلةٍ أخرى، لكنه كان ممكناً في تلك الليلة. الأحاديث، والشراب، والعاصفة، والشال.

أمسكنا بعضنا بعضاً في الوقت ذاته، ودفعتها إلى الأعلى بعد أن استندت إلى جذع شجرة كي أتمكن من تثبيت الشال بطريقة أفضل بينما كانت الأغصان الرفيعة تتخلص من كومة ثلجٍ فتسقط علينا. كانت تلك لحظة كوميدية مذهلة جعلتني أكثر إصراراً على لمسها، ولمسِ كل شيء في وقتٍ واحد. سمحت لي بذلك.

ابتعدت عني فجأة بينما كانت أسنانها تصطك. " تعال. اصعد معي " . ترددت قليلاً.

قالت مجدداً: " تعال. اصعد معي. أريد أن أكون معك " .

لا يمكنني القول إن تلك الليلة كانت عظيمة، وعلى الأقل ليس في المرة الأولى. كنا جسدين معتادَين على إيقاعاتٍ مختلفة، ولم نتمكن من تحقيق التناغم فيما بيننا.

كان الأمر لطيفاً، لكنه مخيّبٌ للآمال، لكني أحببت طريقة معانقتها لي، وأعجبتُ كيف أنها ناعمة كما تصورتها. بشرة جديدة. فكرت في نفسي بخجل شابة، وتذكرت آمي التي تضع المراهم المرطبة باستمرار وتجلس في السرير وتلوم بغضب.

توجهت إلى حمّام آندي،...، وألقيت نظرةً على نفسي في المرآة، وأجبرت نفسي على قولها: أنت مخادع، وفشلتَ في أحد أهم الاختبارات الذكورية الأساسية. أنت لست بالرجل الطيب. أما عندما لم يزعجني ذلك بشيء فكّرت في نفسي: أنت بالفعل لستَ رجلاً طيّباً.

أدركتُ بأنه سوف تكون أيضاً مرة أخرى. أما المرة التالية كانت جيدةً جداً، كما أن ما بعدها كانت عظيمة. لم يتأخر الوقت قبل أن تصبح آندي النقيض المادي لآمي في كل شيء. ضحكت معي وجعلتني أضحك، كما أنها لم تسارع إلى مناقضتي في شيء أو تفسّر ما أقوله على هواها. لم تعبس في وجهي أبداً، وكانت سهلة. كانت سهلة إلى درجةٍ كبيرة. فكّرت في نفسي: يدفعك الحب إلى أن ترغب في أن تكون رجلاً أفضل، ومستقيماً، وعلى حق. لكن يُحتمل أن الحب، الحب الحقيقي، يعطيك الإذن لأن تكون الرجل الذي أنت عليه [كما أنت] .

عزمت على إبلاغ آمي. أدركتُ أن هذا لا بد وأن يحدث. لكني امتنعت عن إخبار آمي لأشهرٍ عديدة. طال الأمر أشهراً أخرى، وكان السبب يعود بمعظمه إلى الجبن. لم أتمكن من احتمال بدء الحديث بحيث أضطر إلى شرح موقفي. لم أتمكن من تصور اضطراري إلى مناقشة مسألة الطلاق مع راند وماريبيت، وذلك لأنني متأكد من أنهما سيقحمان نفسيهما في هذه المعمعة. لكن الواقع هو أن جزءاً من السبب يعود إلى طريقتي العملية التي كانت غامضة تقريباً. كان الأمر يتعلق بمدى الطريقة العملية التي يمكن أن أتوصل إليها. لم أطلب الطلاق من آمي، ويعود ذلك جزئياً إلى أن آمي هي التي موّلت الحانة. يعني ذلك أنها كانت المالكة الحقيقية لها، أي إنها سوف تستعيدها. لكني لم أكن قادراً على النظر إلى شقيقتي وهي تخسر سنتين إضافيتين من العمل في حياتها. سمحت لنفسي، لهذا السبب أن أستمر في هذا الوضع التعيس، وذلك على افتراض أنه في مرحلةٍ

ما ستقوم آمي بأخذ المبادرة في طلب الطلاق، وعندها سوف أصبح رجلاً صالحاً.

إن هذه الرغبة - أي التخلص من هذا الوضع من دون تحمّل اللوم - كانت مزرية. وكنت أشتاق إلى آندي، وهي التي كانت تعلم بأنني لن أبدو بدرجة السوء التي أبدو عليها فيما لو نُشرت قصتي في الصحف كي يقرأها الغرباء. أصررت على التفكير، ستعطيك آمي الطلاق، وهي لن تسمح للوضع أن يطول أكثر من ذلك. لكن مع انقضاء فصل الربيع وقدوم فصل الصيف، والخريف من بعده، ثم الشتاء، أصبحت الرجل المخادع لكل الفصول - لكنه خداع مع خليلةٍ [عشيقة] تبعث على السرور - وهكذا بدا واضحاً أنه يجب القيام بعملٍ ما.

قالت آندي هنا، وبطريقة غامضةٍ، فوق أريكة شقيقتي: " أعني أنني أحبك يا نِك، ومهما يحدث سأظل أحبك. لا أعرف في الواقع ماذا يجدر بي أن أقوله غير ذلك. إنني أشعر بأنني... " ورفعت يديها نحو الأعلى وأكملت " غبية " .

قلت لها: " لا أريدك أن تشعري بأنك غبية. إنني لا أعرف ماذا يجدر بي قوله بدوري، أي إنه ليس هناك ما أقوله " .

" يمكنك القول بأنك تحبني مهما يحدث " .

فكّرت في نفسي: لا يمكنني قول هذه الكلمات بصوتٍ عالٍ بعد الآن. لكني قلتُها مرةً أو مرّتين من قبل عندما همستُ بها أمام رقبتها، وعندما شعرت بحنينٍ إلى شيءٍ ما. لكن الكلمات خرجت من فمي، وكذلك ما هو أكثر من ذلك بكثير. فكّرت عند ذلك بالأثر الذي تركناه، وقصة حبنا الملتهبة وشبه المحجوبة، والتي لم أقلق بشأنها كثيراً. أعرف لو أن المبنى الذي تسكنه مزودٌ بكاميرا مراقبة فلا بد وأن أظهر فيها. سبق لي كذلك أن اشتريت هاتفاً محمولاً مع خط مؤقت خصيصاً لإجراء المكالمات معها، لكن رسائل البريد الصوتي والرسائل النصّية موجودة كلها على هاتفها الثابت. كتبتُ لها رسالة مثيرة بمناسبة يوم العشاق، والتي تصورتها منشورةً عبر نشرات الأخبار، وفيها وازنت إيقاع كلمة besot مع كلمة twat . يُضاف إلى ذلك أن آندي بلغت الثالثة والعشرين من عمرها، لكنني افترضتُ أن كلماتي، وصوتي، وحتى صوري التقطتها كلها الوسائل الإلكترونية. قلّبت ذات ليلة بين الصور الموجودة على هاتفها الخلوي. شعرت حينها بالغيرة، وبغريزة الامتلاك، وبالفضول، حتى أنني رأيت صوراً كثيرة لعشيقٍ سابقٍ أو اثنين من عشاقها وهما يبتسمان بفخرٍ في سريرها. افترضتُ في إحدى المراحل بأنني

سوف أنضم إلى هذه المجموعة - لكني لسببٍ ما لم أشعر بالقلق، حتى ولو حُمّلت صورتي ليراها مليون شخص في غضون لحظة واحدة من الانتقام.

" إننا نمر في حالة في منتهى الغرابة يا آندي. أريدك أن تكوني صبورة " .

ابتعدت عني قليلاً: " ألا يمكنك أن تقول بأنك تحبني مهما حدث؟ " .

" إنني أحبك يا آندي. إنني أحبك فعلاً " .

حدّقت فيها قليلاً، لكني فكّرت بأن قول كلمة أنا أحبك كان أمراً خطيراً في الوقت الحاضر، لكن عدم قولها يترافق مع الخطورة ذاتها.

قالت هامسةً: " إذاً برهِن لي على أنك تحبني. بدأت بعد ذلك بسحبي من حزامي.

" يتعيّن علينا أن نكون حذرين فعلاً في الوقت الحاضر. إنني... إنه مكان غير مناسب أبداً بالنسبة لي إذا ما اكتشفت الشرطة أمرنا. سيبدو الأمر في غاية السوء. يُحتمل أن يتجاوز الأمر كونه سيئاً " .

" هل هذا هو ما يُقلقكَ؟ " .

" زوجتي مفقودة، وعشيقةٍ... سرية. أجل يبدو الأمر سيئاً، حتى أنه يبدو إجرامياً " .

" إن ما تقوله يجعل الأمر رخيصاً. كان نهداها ما يزالان خارج كنزتها.

" الناس لا تعرفنا يا آندي. سيظنون بأن الأمر رخيص " .

" يا الله يبدو الأمر مثل فيلم سينمائي رخيص " .

ابتسمتُ لأنني أنا الذي عرّفت آندي بهذه الأفلام الرخيصة، مثل بوجارت والنوم العميق، والانتقام المزدوج، وكل هذه الأفلام الشهيرة. كان هذا أحد الأمور التي تعجبني في علاقتنا، أي إنه بإمكاني أن أعرض عليها بعض الأمور.

قالت: " لماذا لا نُخبر الشرطة؟ أليس هذا أفضل... " .

" كلا. آندي، إياك حتى أن تفكّري في ذلك. كلا " .

" سيكتشفون الأمر... " .

" لماذا؟ لماذا يكتشفون الأمر؟ هل أخبرتِ أحداً عن علاقتنا يا حبيبتي؟ " .

تطلعت نحوي بنظرةٍ مرتعشة. سيطر عليّ شعورٌ مزعج: لم تكن

تتصور بأن الليلة ستمضي هكذا. كانت في غاية الحماس لتراني، وكانت تتصور حدوث اتصالٍ مثيرٍ فيما بيننا، وهي التي أرادت تطميناً جسدياً، لكنني مشغول بتغطية نفسي.

قلت: " إنني آسف. أردت أن أعرف فقط " .

" ليس بالاسم " .

" ماذا تعنين بقولك ليس بالاسم " .

قالت وهي ترفع فستانها أخيراً: " أعني بأن أصدقائي، ووالدتي يعرفون بأنني أواعد شخصاً، لكنهم لا يعرفون الاسم " .

" ولا يعرفون أيّ أوصافٍ أخرى، أليس كذلك؟ " . قلت ذلك بدرجةٍ من الإلحاح هي أكبر مما أردت. شعرت كأنني أرفع سقفاً منهاراً. " هناك شخصان يعرفان بهذا يا آندي. أنتِ وأنا. إذا كنتِ تريدين مساعدتي، وإذا كنتِ تحبينني فسنبقى لوحدنا من يعلم بالأمر، وهكذا لن تكتشف الشرطة أمرنا أبداً " .

مرّرت أحد أصابعها حول ذقني. " لكن، ماذا لو... لم يعثروا على آمي أبداً؟ " .

" سنكون معاً يا آندي أنتِ وأنا ومهما حدث. لكن بشرط أن نأخذ أقصى درجات الحذر. أما إذا لم نكن حذرين فمن المحتمل... أن يكون الأمر سيئاً إلى درجة دخولي السجن " .

قالت وهي تلامس بخدّها كتفي: " يُحتمل بأنها هربت مع أحدهم. يُحتمل... " .

شعرت بأنني أسمع صوت حركة عقل آندي الطفولي وهو يحوّل اختفاء آمي إلى قصة رومانسية فاضحة وبسيطة، لكن ذلك يتجاهل أية وقائع لا يناسب هذه القصة.

" لم تهرب، والأمر أكثر خطورة من ذلك " . وضعت أحد أصابعي تحت ذقنها بحيث اضطرت إلى التطلع نحوي. " آندي؟ أريدك أن تأخذي الأمر بأقصى درجة من الجدية، هل اتفقنا؟ " .

" إنني آخذ الأمر بجدية بطبيعة الحال. لكني أحتاج إلى مكالمتك مراتٍ أكثر. أريد أن أراك. أشعر بالخوف يا نِك " .

" يتعيّن علينا التزام الهدوء في الوقت الحاضر " . أحطتها بذراعي. " زوجتي مفقودة يا آندي " .

" لكنك حتى لا... " .

عرفتُ ما كانت ستقوله - حتى إنك لا تحبها - لكنها كانت على

درجة كافية من الذكاء بحيث توقفت عن إكمال جملتها.

أحاطتني بذراعيها أيضاً. " اسمع، لا أريد أن نتخاصم. أعرف بأنك تهتم لأمر آمي، وأعرف بأنه لا بد وأن تكون قلقاً بالفعل. إنني قلقةٌ كذلك. أعرف كذلك بأنك تحت تأثير... لا أستطيع تخيّل مقدار الضغط الذي تشعر به، لذلك لا أمانع بالتزام الهدوء أكثر مما فعلت في السابق، هذا إذا كان ذلك ممكناً. لكن تذكر بأن ذلك يؤثّر عليّ أيضاً. أريد أن أسمع صوتك مرةً في اليوم على الأقل. اتصل بي عندما تتمكن من ذلك ولو مرةً واحدةً في اليوم يا نِك، وفي كل يوم، وإلا سوف أصاب بالجنون. سأصاب بالجنون " .

ابتسمت بعد ذلك وهمست: " والآن قبّلني " .

قبّلتها بلطف شديد.

قالت: " أحبّك " . قبّلت عنقها. جلسنا بصمتٍ بينما استمرت شاشة التلفاز في توهجها.

أغمضتُ عينيّ قليلاً. والآن قبّلني. من قال هذه العبارة؟

استيقظت مترنحاً بعد الخامسة صباحاً بقليل. سبقتني جو للنهوض وتمكّنتُ من سماعها في الغرفة الأخرى أثناء ركضها إلى الحمام. حرّكتُ ذراع آندي هامساً - إنها الخامسة صباحاً، إنها الخامسة صباحاً - دفعتها نحو الباب مع وعودي لها بالحب والمكالمات الهاتفية. بدا الأمر مثل مغامرةٍ لليلةٍ واحدة.

همست آندي في أذني: " تذكّر. اتصل بي كل يوم " .

سمعت صوت باب الحمّام وهو ينفتح.

قلتُ: " سأتصل كل يوم " . وقفت خلف الباب عندما فتحته كي تخرج آندي.

رأيت جو واقفة في غرفة الجلوس عندما استدرت. رأيتها فاغرةً فمها ومشدوهةً، وضعت يديها فوق ردفيها وقوّست حاجبيها.

" نِك. يا لك من أحمق " .

آمي إليوت دون

21 تموز، 2011

- صفحة يومية -

أشعر بأنني حمقاء. أتطلع إلى ذاتي في بعض الأحيان وأفكّر: لا عجب أن يعتبرني نِك سخيفة، وسطحية وفاسدة، مقارنةً مع والدته. مورين تحتضر، لكنها تخبئ مرضها خلف ابتساماتٍ عريضة، وكنزاتٍ واسعة مزخرفة، وهي تجيب عن كل سؤال عن صحتها بالقول: " أوه. إنني بخير، لكن كيف حالكِ يا حبيبتي؟ " إنها تحتضر، لكنها غير مستعدة للاعتراف بهذه الحقيقة بعد. اتصلت بي هاتفياً في صباح يوم أمس وسألتني ما إذا كان بإمكاني الانضمام إليها وإلى صديقاتها في جولة ميدانية. يعني ذلك بأنها سوف تتمتع بيومها، وهي تريد الخروج من المنزل كلما تمكنت من ذلك. وافقت على الفور مع علمي بأنهن لن يفعلن أي شيء يثير اهتمامي بشكل خاص: لعبة بينوكل، والبريدج، وبعض الأنشطة الخيرية والتي تستدعي ترتيب الأشياء.

قالت لي: " سأكون هناك في غضون خمس عشرة دقيقة. أريدك أن ترتدي قميصاً قصير الكمين " .

التنظيف. لا بد وأن العمل يتضمن التنظيف، أو أي شيء يعلق بالمرفق. ارتديت قميصاً قصير الكمين، وكنت هناك بعد خمس عشرة دقيقة بالضبط، حيث فتحت باب منزل مورين التي كانت ترتدي قبعةً صوفية محبوكة، وكانت تمازح صديقاتها. لاحظت أن جميعهن يرتدين قمصاناً متناسقة قصيرة الأكمام، ومزينة بالأجراس والأشرطة، وتحمل على صدورها كلمات بلاس ماماس.

أعتقدت بأن السيدات قمن بتأسيس مجموعة، لكنهن صعدن جميعاً إلى داخل سيارة كرايزلر قديمة، وقديمة جداً تمتلكها روز، وهي السيارة ذات المقعد الأمامي الواحد. إنها سيارة تناسب الجدات كما تفوح منها رائحة سجائر السيدات، وهكذا انطلقنا جميعاً بحبور نحو مركز التبرع بالدم.

تطلعت روز نحوي في المرآة الخلفية لتشرح الأمر: " يكون دورنا في أيام الاثنين والخميس " .

قلت: " أوه " . كيف يُمكن للمرء أن يرد بطريقةٍ مختلفة؟ أوه، إنها أيام بلازما مريعة!

قالت مورين بينما كانت الأجراس في كنزتها تقرع: " يُسمح للشخص

أن يعطي مرتين في الأسبوع. تحصلين في المرة الأولى على عشرين دولاراً، وثلاثين في المرة الثانية، وهكذا فإن الجميع يمتلكن الآن مزاجاً جيداً هذا اليوم " .

قالت فيكي: " ستحبين الأمر لأن المرء لا يفعل شيئاً غير الجلوس والحديث مع الآخرين، أي كأننا في صالونٍ للتجميل " .

قرصت مورين ذراعي وقالت بهدوء: " لا يمكنني التبرع بعد الآن، لكني اعتقدتُ بأنه يمكنك أن تقومي بذلك بالنيابة عني. يُحتمل أن يكون ذلك طريقة لطيفة تجمعين فيها بعض المال الإضافي، لأنه من المستحسن أن تمتلك الفتاة بعض المال الخاص بها.

تمكنت من السيطرة على موجةٍ سريعةٍ من الغضب: اعتدت أن أمتلك ما يتجاوز كثيراً ما يُعتبر مصروفي الخاص، لكني أعطيه إلى ابنك.

رأيت رجلاً نحيلاً يرتدي سترة جينز صغيرة الحجم وهو يحوم في موقف السيارات وكأنه كلب شارد. كان المكان نظيفاً في الداخل مع ذلك، ومضاءً بطريقة جيدة، كما فاحت منه رائحة الصنوبر. لاحظت بأن الملصقات الدينية معلقة على الجدار، وكلها تمثل الحمائم والضباب. لكني أدركت بأنه لا يمكنني القيام بهذا. الإبر والدم. لا أستطيع تحمّل أي منهما. إنني لا أعاني من أي عُقد خوف كبيرة إلا منهما - إنني أغيب عن الوعي إذا ما تعرضت لجرحٍ صغير. يشمل ذلك أي شيء يتعلق بفتح الجلد: الكشط، والتقطيع، والوخز. أما خلال جلسات العلاج الكيميائي التي كانت مورين تخضع لها فكنتُ أمتنع عن النظر عندما يغرزون الإبرة.

نادت مورين أثناء دخولنا: " مرحباً كايليسي " . أسرعت امرأة سوداء وسمينة وترتدي زياً يشبه الزي الطبي إلى الرد: " مرحباً بكِ يا مورين! كيف حالك؟ " .

" أوه، أنا بخير وعلى ما يرام - لكن كيف حالك أنتِ؟ " .

سألتها: " منذ متى وأنتِ تقومين بذلك؟ " .

قالت مورين: " منذ فترة، والجميع هنا يحبون كايليسي إنها تغرز الإبرة برشاقةٍ حقيقية. كان ذلك مقبولاً بالنسبة إليّ على الدوام، وذلك لأنني أمتلك لفافات " . كشفت مورين عن ساعدها فظهرت الشرايين الزرقاء التي تشبه الحبال. كانت مو عندما قابلتها لأول مرة سمينة فحسب. لكن من الغريب بأنها تبدو بالفعل بحالةٍ أفضل وهي سمينة. " أترَي. حاولي أن تضعي إصبعك على واحدٍ منها " .

تطلعت من حولي بينما كنت أتمنى أن تدعونا كايليسي للدخول.

" هيا، حاولي " .

لمست بطرف إصبعي أحد الشرايين فشعرت وكأنه يكاد يتحرك. اجتاحتني موجة من الحرارة.

قالت كايليسي التي وقفت فجأةً إلى جانبي: " إذاً، هل هذه هي موظفتنا الجديدة؟ تفاخر مورين بكِ على الدوام. سنحتاج إليك في بعض الأعمال المكتبية... " .

" أنا آسفة، لا أستطيع القيام بوخز الإبر، ولا أستطيع التعامل مع الدماء. إنني أعاني من رهابٍ خطير من هذه الناحية " .

تذكّرت بأنني لم آكل شيئاً هذا اليوم، وشعرت بدوخة. شعرتُ كذلك بضعفٍ في رقبتي.

قالت كايليسي: " كل شيء معقمٌ هنا، لذلك أنتِ هنا بين أيدٍ أمينة "
.

" كلا، فالأمر ليس هكذا، ولم يسبق لي أن تبرعت بالدم. يغضب طبيبي مني لأنني لا أستطيع حتى إجراء فحص دمٍ سنوي للكولستيرول " .

اضطررنا للانتظار. استغرق الأمر ساعتين من الزمن بينما كانت فيكي وروز مربوطتين بأجهزة سحب الدم. بدا الأمر وكأنهما يخضعان لعملية جمع محصول. وصل الأمر إلى وضع علامات على أصابعهما بحيث لا تتمكنان من التبرع بالدم أكثر من مرتين في الأسبوع حتى في الأمكنة الأخرى، وذلك لأن العلامات تظهر بوضوح تحت الضوء الأرجواني.

قالت فيكي بينما انطلقت السيدات بالضحك جميعاً: " هذا هو دور جايمس بوند " . بدأت مورين في هذا الوقت بدندنة أغنية لبوند (أعتقد)، بينما رسمت روز بأصابع يدها غير المقيدة شكل مسدس.

قالت إحدى السيدات ذات الشعر الأشيب، والتي كانت تجلس على بُعد أربعة مقاعد عنا: " ألا يمكنكن أيتها السيدات المسنات خفض أصواتكن ولو لمرةٍ واحدة؟ " رفعت رأسها من فوق أجساد ثلاثة رجال هادئين مستلقين على ظهورهم، بينما ظهرت أوشام باللون الأخضر المائل إلى الأزرق على أذرعهم، ونبتت الشعيرات الصغيرة على ذقونهم، وكانوا ذلك النوع من الرجال الذين تخيّلت أن بإمكانهم التبرع بالبلازما، ولوحت بذراعها غير المقيّدة.

" ماري! اعتقدت بأنك آتية يوم غد! " .

" كان من المفترض أن آتي غداً، لكن شيك البطالة لن يصل قبل

أسبوع، ولا يوجد عندي غير علبة من الحبوب، وعلبة من الذرة مع الكريما! " .

ضحكت السيدات جميعاً وكأن الوضع على حافة المجاعة هو أمرٌ يدعو إلى التسلية. أعتقد أن هذه المدينة تبدو يائسةً جداً ومحرومةً جداً في بعض الأحيان. بدأت أشعر بأنني على وشك أن أمرض وعلى الأخص مع صوت أجهزة سحب الدم، والأربطة البلاستيكية الطويلة التي تحتوي على الدم الصاعد من الأجساد إلى الآلات، وذلك في منظرٍ أشبه ما يكون بجمع الغلة من الناس. رأيت الدم في كل مكانٍ تطلعت إليه، وكذلك في الأماكن المفتوحة حيث لا يُفترض أن تتواجد دماء. الدماء الداكنة، والتي هي أقرب إلى اللون الأرجواني.

نهضت متوجهةً إلى الحمام، وألقيتُ الماء البارد على وجهي. خطوت خطوتين، وما لبثت أذناي أن تعرضتا إلى الانسداد، بينما سيطرت غشاوة على عينيّ. شعرت بنبضات قلبي، ودمي، لكنني تمكنت من قول " أوه. أنا آسفة " ، بينما كنتُ أهوي أرضاً.

لا أتذكر إلا القليل جداً من رحلة عودتي إلى المنزل. وضعتني مورين فوق السرير وأحضرت لي كوباً من عصير التفاح، وإناءً من الحساء، ووضعتهما بجانب السرير. حاولنا الاتصال بنِك. قالت جو إنه ليس في الحانة، كما أنه لا يرد على هاتفه الخلوي.

اختفى الرجل.

قالت مورين: " كان هكذا عندما كان صبياً. إنه من النوع الذي يحب التجوال. أما أسوأ أمرٍ يمكنكِ فعله بالنسبة إليه فهو إبقائه في غرفته " . وضعت مورين قطعة قماشٍ باردةٍ على جبهتي. حملت أنفاسها رائحة الأسبرين. " يتعيّن عليك أن ترتاحي، اتفقنا؟ سأستمر في المحاولة إلى أن يعود ذلك الصبي إلى المنزل " .

كنتُ نائمة عندما عاد نِك إلى المنزل. استيقظت وسمعته يأخذ حماماً [دُشاً]. نظرت إلى الساعة التي أشارت إلى 11 : 04 ليلاً. أعتقد أنه كان في الحانة أخيراً. يحب نِك أخذ حمامٍ بعد انتهاء نوبة عمله، وذلك لكي يتخلص من رائحة الفوشار العالقة به. (هو يقول ذلك).

تسلّل إلى السرير، وعندما استدرتُ بعيونٍ مفتوحة بدا مستاءً لأنني مستيقظة.

قلت: " حاولنا الاتصال بك على مدى ساعات " .

" لم يكن هاتفي مشحوناً.هل أغمي عليك؟ " .

" أظنك قلتَ بأن هاتفك لم يكن مشحوناً " .

تردد قليلاً فأدركت بأنه على وشك إطلاق كذبة. كان ذلك الشعور الأسوأ: أن ينتظر المرء ويحضّر نفسه لسماع كذبة. كان نِك من الطراز القديم من الرجال، وهو يحتاج دوماً إلى حريته. إنه لا يحب أن يدافع عن نفسه. لم يكن من غير المعتاد أن يرسم خططاً مع أصدقائه قبل أسبوع، لكنه كان ينتظر حتى قبل ساعةٍ من ابتداء لعبة ورق ليخبرني ببساطة، " اسمعي. اعتقدت أنه بإمكاني الانضمام إلى أصحابي لتمضية ليلة في لعبة الورق، هذا إن كنتِ لا تمانعين " . كان يتركني مع شعور بأنني الطرف السيئ إذا ما قلتُ بأنه لديّ خططاً أخرى. لا تريد أي امرأة أن تكون الزوجة التي تمنع زوجها من المشاركة في لعبة ورق - ولا تريد أن تكون تلك المرأة المشاكسة التي تضع لفافات الشعر والدبابيس المتحركة. يدفعني كل ذلك إلى استيعاب كل شعور بخيبة الأمل والقول إنه لا مانع لدي. لا أعتقد بأنه يفعل ذلك بدافعٍ من أنانيته، بل لأنه نشأ عليه. كان والده يفعل ما يحلو له على الدوام، ولم تمانع والدته في ذلك إلى أن طلّقته.

بدأ بسرد كذبته، لكني لم أكلّف نفسي عناء الإصغاء.

نِك دون

بعد مرور خمسة أيام

استندتُ إلى الباب وحدّقت بشقيقتي. كانت رائحة آندي ما زالت عالقةً في المكان، لذلك أردتُ أن أستأثر بهذه اللحظة وحدي. كان بإمكاني الاستمتاع بفكرة وجودها بعد مغادرتها، وهي التي تمتلك مذاق قطعة حلوى، كما تفوح منها رائحة شامبو الخزامى، ومستحضر الخزامى. قالت لي ذات مرة بأن الخزامى تجلب الحظ، وأنا بحاجةٍ لهذا الحظ.

وضعت جو يديها على ردفيها، وسألت بإصرار: " كم تبلغ من العمر؟ " .

" أتريدين البدء من هذه النقطة؟ " .

" كم تبلغ من العمر يا نِك؟ " .

" ثلاثاً وعشرين سنة " .

" ثلاثة وعشرون. هذا رائع " .

" جو، لا تفعلي... " .

قالت جو: " نِك. هل تدرك مدى صعوبة موقفك؟ موقفك صعب وأنت مغفل. صدمتني كلمة مغفل - وهي كلمة تُستخدم للأولاد - بقسوةٍ كبيرة وكأنني عدتُ ابن عشر سنوات.

قلتُ معترفاً بصوتٍ هادئ: " إنه ليس بالوضع المثالي " .

" وضعٌ مثالي! أنتَ... أنتَ مخادع يا نِك. أريد أن أقول، ماذا حدث لك؟ كنتَ دائماً أحد الرجال الصالحين. أم إنني كنتُ حمقاء طيلة هذه المدة؟ " .

" كلا " . حدّقت بالأرض وفي البقعة ذاتها التي اعتدت التحديق فيها عندما كنتُ صبياً، وعندما كانت تُجلسني على الأريكة لتقول لي بأنني أفضل مما فعلتُه لتوي.

قالت جو: " والآن؟ أنتَ الرجل الذي يخون زوجته، لا يمكنك أبداً أن تلغي هذا الواقع. يا الله، حتى والدي لم يُقدم على خيانة والدتي. أعني أن زوجتك مفقودة، وآمي لا يعلم إلا الله أين هي، وها أنت هنا تتسلى مع تلك الصغيرة... " .

" جو، استمتعت كثيراً بهذه المطالعة التاريخية التي كنتِ فيها المدافعة عن آمي. أعني بأنكِ لم تحبي آمي منذ البداية، ومنذ أن حدث ذلك بدا الأمر وكأنك... " .

" بدا الأمر وكأنني أتعاطف مع زوجتك المختفية، أليس كذلك يا نِك؟ إنني قلقة. أجل إنني قلقة. أتذكر عندما قلتُ لك بأنك تبدو غريباً؟ تبدو مجنوناً بسبب الطريقة التي تتصرف بها " .

ذرعت جو الغرفة جيئةً وذهاباً وهي تقضم ظفرها. قالت لي: " ماذا لو اكتشفت الشرطة هذا الأمر، في حين لا أعلم أنا به. إنني خائفةً جداً يا نِك. إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بأنني خائفة منك، كما أنني لا أصدّق بأنهم لم يعرفوا بالأمر بعد، ولا بد من أنهم سحبوا سجل مكالماتك الهاتفية " .

" إنني أستخدم خطاً مؤقتاً [من دون أن يرتبط بالاسم] " .

ترددت قليلاً قبل أن تقول: " وهذا يجعل الأمر أكثر سوءاً. يبدو الأمر وكأنه متعمد، وعن سابق إصرار " .

" أتعنين خيانة متعمدة يا جو؟ أجل، إنني مذنب من هذه الناحية " .

صمتت للحظة، وما لبثت أن تهالكت على الأريكة وهي تستوعب الوقائع التي سمعتها للتو. شعرت بارتياحٍ، في واقع الأمر، لأن جو علمت بهذه العلاقة أخيراً.

سألتني: " كم يبلغ عمر هذه العلاقة " .

" ما يزيد قليلاً عن السنة " . أجبرت نفسي على تحويل نظري عن الأرض والتطلع نحوها مباشرة.

" ما يزيد عن السنة؟ وأنت لم تخبرني أبداً " .

" خشيتُ بأن تنصحيني بالتوقف عن العلاقة، وأن تظنّي بي سوءاً، وعندها سأضطر إلى قطع العلاقة، وأنا لا أريد ذلك. تعرفين بأن الأمور مع آمي... " .

قالت جو: " استمرت ما يزيد عن السنة، ولم أتمكن حتى من تخمين ذلك. تبادلنا ثمانية آلاف محادثة من دون أن تثق بي بما يكفي كي تخبرني. لم أعرف أنه بإمكانك أن تفعل هذا، وأن تُخفي عني الأمر بالكامل " .

" إنه الشيء الوحيد الذي أخفيته عنك " .

هزّت جو كتفيها: كيف يمكنني أن أصدّقك الآن؟ " هل تحبّها؟ " . هزّت رأسها كي تظهر بأن هذا الأمر مستبعد.

" أجل. أعتقد حقاً بأن الأمر كذلك. أحببتها في الماضي، وأحبّها الآن " .

" هل تعرف بأنك إذا واعدتها فعلاً، وكنت تراها بشكلٍ منتظم، وعشتَ معها، بأنها سوف تكتشف فيك عيباً ما، أليس كذلك؟ ستكتشف

فيك بعض الأشياء التي ستدفعك إلى الجنون. ستعمد كذلك إلى أن تطلب منك أشياء لن تُعجبك. ألم تغضب منك؟ " .

" وهل ترينني ولداً في العاشرة من عمره يا جو. إنني أعرف كيف تكون العلاقات بين البشر " .

هزّت كتفها مجدداً: أتعرف ذلك حقاً؟ قالت بعد ذلك: " إننا نحتاج إلى محامٍ، ومحامٍ قدير يمتلك مهارات العلاقات العامة، لأن الشبكات، وبعض محطات الكابل التلفزيونية [السلكية]، جادة في البحث عن هذا الموضوع. يتعيّن علينا أن نضمن بأن وسائل الإعلام لا تحوّلك إلى زوجٍ مخادعٍ وشرير، لأنني أعتقد بأنه إذا حدث ذلك فسوف يُقضى علينا " .

" تبدين يا جو متسرعةً قليلاً " . اقتنعت في الواقع بما قالته، لكنني لم أطِق سماع هذه الكلمات بصوتٍ عالٍ من جو، وهكذا اضطررت إلى نقض كلامها.

" الأمر ملحٌّ قليلاً يا نِك. سأجري بعض المكالمات الهاتفية " .

" افعلي ما تشائين طالما يعطيك هذا راحةً أكبر " .

لكزتني جو بإصبعين قويين في صدري. " لا تتظاهر بذلك يا لانس. أوه، تبالغ الفتيات في الإثارة في بعض الأحيان " . إن هذا الكلام هو مجرد تفاهات. إنك في موقع سيئ فعلاً يا صديقي. أنصحك أن تُخرج رأسك من الرمال كي تساعدني على إصلاح هذا الوضع " .

ابتعدت جو عني. وحمداً لله لأنها عادت إلى غرفتها. جلستُ على أريكتها وكأنني مخدر. استلقيت على الأريكة بعد أن وعدتُ نفسي بأنني سأنهض مجدداً.

حلمتُ بآمي: كانت تزحف فوق أرضية مطبخنا بيديها وركبتيها. رأيتها وهي تحاول الوصول إلى الباب الخلفي لكنها عجزت عن الرؤية بسبب الدماء التي غطت عينيها. كانت تتحرك ببطء، وبطءٍ شديد. رأيت رأسها الجميل مصاباً بشكلٍ غريب بحيث بدا ملتوياً في جهته اليمنى. كانت الدماء تقطر من خصلة طويلة من شعرها، كما كانت تئن وهي تناديني باسمي.

استيقظتُ، فأدركت أن الوقت قد حان للذهاب إلى المنزل. تعيّن عليّ أن أرى المكان - مسرح الجريمة - ومواجهة الأمر.

لم أرَ أي شخصٍ في الشوارع بسبب الحرارة الشديدة. كان حيّنا خالياً

وموحشاً مثل ما كان عليه عند اختفاء آمي. فتحتُ الباب الأمامي لمنزلي ودخلت، ثم أجبرت نفسي على التنفس. استغربت كون منزل بهذه الحداثة يبدو وكأنه مسكون. لا أقصد أن يكون مسكوناً بالأشباح كما تصوره روايات العصر الفيكتوري الرومانسية، وذلك لأنه كان مدمراً بالفعل وبشكلٍ مخيف. كان منزلاً مع تاريخ بالرغم من أن تاريخ بنائه لا يتجاوز السنوات الثلاث. فتّش تقنيو المختبر المكان برمته. كانت أسطح الطاولات ملوثة ودبقة ووسخة. جلستُ على أريكة ففاحت على الفور رائحة عطر ما بعد الحلاقة لشخصٍ غريب. فتحتُ النوافذ بالرغم من الحرارة السائدة في الخارج كي أسمح للهواء النقي بالدخول. هرع بليكر (الهر) بالنزول على الدرج وما لبث أن التقطته وربّت على ظهره بينما أخذ بالخرير. أقدم أحدهم، أو أحد رجال الشرطة، على ملء الإناء بدلاً عني. كانت تلك إشارة لطيفة منه بعد تفكيك أثاث منزلي. وضعت الهر أرضاً فوق الدرجة السفلى، ثم صعدتُ إلى غرفة النوم وفككتُ أزرار قميصي في هذه الأثناء. استلقيت على السرير واستندتُ إلى الوسادة، وهي الوسادة ذات اللون الأزرق الداكن التي حدّقت فيها في صبيحة يوم ذكرى زواجنا.

رنّ هاتفي. كانت جو هي على الطرف الآخر من الخط.

" تعرض إلين آبوت برنامجاً خاصاً ظهر هذا اليوم. يدور البرنامج حول آمي. إن وضعك لا يبدو جيداً في هذا البرنامج. أتريدني أن أكون معك؟ " .

" كلا، يمكنني مشاهدة البرنامج وحدي. شكراً لكِ " .

انتظر كلانا على الخط، وانتظر كل واحدٍ منا أن يقدم الآخر اعتذاره.

قالت جو: " حسناً، سنتحدث فيما بعد إذاً " .

كان " إلين آبوت مباشر " برنامجاً في تلفزيون الكابل [السلكي] متخصصاً في الحديث عن النساء المختفيات أو المقتولات. كانت بطلة البرنامج هي إلين آبوت الغاضبة على الدوام، وهي مدعية عامة سابقة ومدافعة عن حقوق الضحايا. بدأ البرنامج مع إلين بتسريحة شعرها العادية وأحمر الشفاه الملتمع الذي تضعه على شفتيها، وكانت تحملق بغضب في الكاميرا، " لدينا قصة مذهلة نعرضها في هذا اليوم: امرأة شابة وجميلة، والتي كانت ملهمة سلسلة كتب آمي الرائعة. مفقودة. حملة تفتيش منزلها. زوجها هو لانس نيكولاس دون، وهو كاتب عاطلٌ عن العمل، والذي يملك الآن حانة سبق له أن اشتراها بأموال زوجته. أتريدون أن تعرفوا مدى القلق الذي يشعر به؟ سنعرض عليكم الصور التي التُقطت منذ اختفاء زوجته آمي إليوت دون في الخامس من تموز - وهو اليوم الذي يصادف

ذكرى زواجهما الخامسة " .

ظهرت صورتي في المؤتمر الصحفي مع تلك الابتسامة الحمقاء. ظهرت صورة أخرى وأنا ألوّح بيدي مبتسماً مثل ملكة استعراضية، وذلك أثناء خروجي من سيارتي (كنت ألوّح نحو مارييبت، أما سبب الابتسامة فيعود إلى أنني أبتسم عندما ألوّح لأي شخص).

ظهرتْ بعد ذلك الصورة الملتقطة بواسطة الهاتف الخلوي، والتي أظهر فيها مع شاونا كيلي والفطيرة المقلية. كان خدّي ملتصقاً بخدّها وابتسمنا بحيث ظهرت أسناننا الناصعة البياض. ظهرت بعد ذلك شاونا شخصياً على الشاشة بسمرتها وتبرجها وجدّيتها بينما كانت إلين تقدمها إلى الجمهور الأميركي. اجتاحتني موجة من القلق والعرق.

إلين: إذاً، لانس نيكولاس دون - أيمكنك أن تصفي لنا سلوكه يا شاونا؟ سبق لك أن التقيته عندما كنتِ تبحثين عن زوجته المفقودة مع آخرين. قولي لنا، ما هو... لانس نيكولاس دون؟

شاونا: إنه هادئ جداً، وودودٌ جداً.

إلين: عفواً، عفواً. هل كان ودوداً وهادئاً؟ إن زوجته مفقودة يا شاونا. أي رجلٍ هذا يستطيع أن يبقى ودوداً وهادئاً؟

ظهرت تلك الصورة الغريبة مجدداً على الشاشة. ظهرنا هذه المرة أكثر بشاشة.

شاونا: كان متوتراً قليلاً في واقع الأمر...

كان عليكَ أن تكون أكثر لطفاً معها يا نِك. كان يجدر بك أن تأكل تلك الفطيرة المشؤومة.

إلين: متوتراً؟ الله وحده يعلم أين هي زوجة لانس دون... حسناً، أنا آسفة يا شاونا، لكن هذه الصورة هي... لا أعرف كلمة تصفها أفضل من كلمة مقززة. إن الرجل البريء لا يظهر هكذا...

احتلّت إلين آبوت معظم ما تبقى من البرنامج، وهي التي ظهرت وكأنها مروّجة محترفة للغضب، لكنها ركّزت على عدم وجود ما يُثبت براءتي: " لماذا لم يمتلك لانس نيكولاس دون ما يثبت براءته حتى ظهر ذلك اليوم؟ أين كان في ذلك الصباح؟ " تشدقت بذلك بلهجة مفوضٍ في تكساس. وافق ضيوفها بأن الوضع لم يكن طبيعياً.

اتصلت بي جو هاتفياً. قالت لي: حسناً، تمكنتَ من تمضية أسبوعٍ من

دون أن يوجّهوا التهمة إليك " . أمضينا بعض الوقت في كيل اللعنات على هذا الوضع. يا لهذه الساقطة المجنونة التي تُدعى شاونا.

قالت جو ناصحةً: " افعل شيئاً يكون مفيداً بالفعل. سيراقب الناس تصرفاتك منذ اليوم فصاعداً " .

" لا أستطيع المكوث في مكانٍ واحد حتى ولو أردت ذلك " .

قدت السيارة غاضباً إلى سانت لويس، وأعدتُ بثّ الشريط التلفزيوني في ذهني أكثر من مرة، وأجبتُ على جميع أسئلة إلين ثم تمكنت من إسكاتها. تمكنت اليوم يا إلين آبوت، أيتها الساقطة من العثور على أحد الذين كانوا يلاحقون آمي. ديزي كولينز. لاحقتُه من أجل الحصول على الحقيقة. هذا أنا، الزوج البطل. تمنيت في هذه اللحظة أن يكون عندي قرصاً مدمجاً لموسيقى صاخبة كي أسمعها. هذا أنا، الشاب الوسيم ابن الطبقة العاملة الذي لاحق ذلك الشاب الثري الفاسد. يجدر بوسائل الإعلام التركيز على الأمر: المهووسون الذين يلاحقون النساء أكثر غرابة من قاتلي الزوجات العاديين الهاربين. سيرحّب آل إليوت، على الأقل، بهذا. اتصلت هاتفياً بماريبيت، لكني لم أسمع سوى المجيب الصوتي.

تعيّن عليّ عند دخولي إلى الحي الذي يسكنه ديزي تغيير صورته من الشاب الثري، إلى الشاب فاحش الثراء. سكن الرجل في قصر يقع في لادو والذي ربما بلغت كلفته خمسة ملايين دولار على الأقل بأحجاره المطلية بالكلس الأبيض، والستائر السوداء المصقولة، ومصابيح الغاز. ارتديت لهذا اللقاء بذلةً محترمة وربطة عنق، لكني أدركتُ عندما قرعتُ الباب بأن بذلة يبلغ ثمنها أربعمئة دولار في هذا الحي ستكون أقل تأثيراً مما لو ظهرت بثياب الجينز. تمكنت من سماع قرقعة الأحذية وهي تتقدم من خلف المنزل إلى مدخله. فُتح الباب مع صوتٍ يشبه ذلك الذي يصدر عن ثلاجة. اندفع تيار من الهواء البارد نحوي.

بدا ديزي بالمظهر الذي أردته على الدوام: مثل شابٍ شديد الوسامة وفي منتهى الاحترام. لاحظت شيئاً ما في عينيه، أو في فكه. امتلك ديزي عينين عميقتين ومستديرتين وغمازتين في خدّيه. أما لو رآهما المرء معاً، فسوف يفترض بأنه رجلٌ طيب.

قال ديزي وهو يتفحص وجهي: " أوه. أنتَ نِك. نِك دون. يا الله، إنني آسف بشأن آمي. ادخل، ادخل " .

أدخلني إلى غرفة جلوس بسيطة، وذكورية إلى الحد الذي تصوّره

المصمم. تواجد الأثاث الجلدي الداكن وغير المريح في كل مكان. أشار نحو مقعد بظهرٍ صلبٍ جداً. حاولت أن أشعر بالارتياح كما أراد، لكني اكتشفت أن الوضع الوحيد الذي يسمح به المقعد هو وضع الطالب الذي يتعرض للعقاب: انتبه واجلس منتصب الظهر.

لم يسألني ديزي عن سبب وجودي في غرفة جلوسه، كما لم يوضح لي سبب تعرّفه عليّ على الفور، وذلك بالرغم من أن ردّ فعلي المتأخر والهمسات الحميمة أصبحت شائعة.

سألني ديزي وهو يضغط يداً على يد في إشارةٍ إلى أن العمل له الأولوية: " أيمكنني تحضير كوب شرابٍ لك؟ " .

" كلا، شكراً لك " .

جلس قبالتي. كان يرتدي ثياباً باللون الأزرق الداكن والأصفر الفاتح الجميل، حتى إن أشرطة حذائه بدت مكوية. بدت ثيابه متناسقة مع ذلك، لكنه لم يكن ذلك المتفاخر البسيط بأناقته، والذي كنت آمل بأن أراه. بدا ديزي نموذج الرجل الذي يتمكن من تلاوة أبياتٍ عظيمة من الشعر، وطلب شرابٍ نادر، وشراء مجوهرات رائعة ومناسبة لامرأةٍ ما. بدا في واقع الأمر رجلاً يعرف بغريزته ما تريده النساء.. جلست قبالته وشعرت بأن بذلتي مبتذلة، وأن سلوكي يتميز بالسذاجة. شعرت بدافعٍ كبير لمناقشة أخبار كرة القدم. إن أولئك الناس الذين يناقشون هذه الأمور هم الذين يروقون لي.

سأل ديزي: " آمي. هل من خيوطٍ جديدة عنها؟ " .

بدا الرجل مثل شخصٍ مألوفٍ بالنسبة لي، وربما ممثل ما.

" ما من أخبارٍ طيبة عنها " .

" أُخِذَت من... منزلها. هل هذا صحيح؟ " .

" أُخذَت من منزلها، نعم هذا صحيح؟ " .

عرفتُ في تلك اللحظة مَن يكون: كان هو الرجل الذي ظهر وحيداً في الأيام الأولى من البحث عن آمي، وهو الرجل الذي دأب على النظر نحو صورة آمي " .

" تواجدتَ في مركز التطوع، أليس كذلك؟ " .

قال ديزي بلهجةٍ منطقية: " أجل كنتُ هناك. كُنت على وشك أن أقول ذلك. تمنيت لو التقيتك في ذلك اليوم كي أعبر لك عن تعزيتي " .

" لا سمح الله بذلك " .

قال مبتسماً: " يمكنني قول الشيء ذاته. اسمع، إنني مغرم بآمي فعلاً.

سمعت كل ما جرى. حسناً، كان عليّ أن أقول شيئاً، لكن قوله ليس سهلاً أبداً يا نِك. لكن عندما رأيت ما جرى في نشرات الأخبار فكّرت بأنه من الطبيعي " .

" مِن الطبيعي؟ " .

قال: " من الطبيعي أن يرغب شخصٌ ما... في الحصول عليها " . قال ذلك بصوتٍ عميق وعفوي. " أتعرف، إنها تتميز بذلك الشيء على الدوام، أي إنها تجعل الناس يرغبون بها. إنه المثل القديم ذاته. الرجال يرغبون في الحصول عليها، وتريد النساء أن يكنّ مثلها. يصدق هذا المثل على آمي بوجهٍ خاص " .

لم أتمكن من التمييز ما إذا كان يسخر مني. أقنعت نفسي بالتصرف بهدوء. هذه هي قاعدة التصرف في المقابلات الحادة: لا تستخدم الهجوم إلا إذا اضطررتَ إلى ذلك، بل تأكد أولاً من أنهم سيختنقون بأنفسهم.

سألته: " كانت تربطك علاقة عميقة جداً مع آمي، أليس كذلك؟ " .

قال ديزي: " لا يقتصر الأمر على نظراتها " . استند إلى إحدى ركبتيه بينما شردت نظراته. " فكّرت في هذا كثيراً بطبيعة الحال. أولاً، كان هناك الحب. كانت تتأمل بي كثيراً. يبدو ذلك قدراً كبيراً من الفلسفة " . ابتسم ابتسامة تنمّ عن التواضع فظهرت غمازتاه. " أتعرف، عندما تحبك آمي، وعندما تهتم لأمرك فإن اهتمامها يبدو دافئاً ومطمئناً وغامراً. يبدو كل ذلك مثل حمامٍ دافئ " .

قوّستُ حاجبيّ.

قال: " تذكّر معي. تشعر بارتياحٍ تجاه ذاتك. تشعر بارتياحٍ تام، وربما للمرة الأولى في حياتك. لكنها لا تلبث أن تلاحظ عيوبك، ثم تدرك بأنك لستَ إلا شخصاً عادياً آخر تضطر إلى التعامل معه. تشعر بأنك آندي القوي [المقتدر] في عالم الواقع، لكن في عالم الواقع لن يستطيع آندي القوي الوصول إلى آمي الرائعة. يؤدي هذا إلى تلاشي اهتمامها، ويتلاشى كذلك شعور الارتياح لديك، ويمكنك عندها أن تشعر بتلك البرودة القديمة مجدداً. ستشعر بأنك عارٍ على أرض الحمام، ويصبح كل ما تريده هو العودة إلى الاستحمام " .

أعرف ذلك الشعور، وأنا الذي مكث في أرض الحمام لنحو ثلاث سنوات. شعرت بموجةٍ من الاستياء لأنني أتقاسم هذه العاطفة ذاتها مع هذا الرجل الآخر.

قال ديزي باسماً وغامزاً نحوي: " إنني متأكد من أنك تعرف ماذا

أعني " .

فكّرت في نفسي، يا للرجل الغريب. مَن هو ذاك الذي يقارن زوجة آخر بحوض الاستحمام الذي يريد أن يغطس فيه؟ وعلى الأخص زوجة مفقودة لرجلٍ آخر؟

رأيت وراء ديزي طاولة طويلة تحمل عدة صورٍ في إطاراتٍ برونزية. رأيت في وسط هذه الصور صورة مكبرة لديزي وآمي عندما كانا في المدرسة الثانوية، وظهرا بلباس لعبة كرة المضرب البيضاء - كان الاثنان متأنقين تماماً وبشكلٍ مبالغٍ فيه، بحيث يخال المرء أن الصورة تعود إلى أحد أفلام هيتشكوك. تخيّلت ديزي، ديزي في عمر المراهقة وهو ينسل إلى الغرفة التي تسكن فيها آمي، وما يلبث أن يرمي ملابسه على الأرض، ويتسلل إلى ما تحت الأغطية الباردة، ثم يبتلع حبوباً مغلفة منتظراً أن يعثر عليه شخص ما. كان ذلك نوعاً من العقاب، والغضب، لكنه ليس من ذلك النوع الذي يحدث في المنزل. تمكنت من فهم سبب عدم اكتراث الشرطة بالأمر. كان ديزي يتتبع نظرتي.

قال باسماً: " أوه، حسناً، لا يمكنك أن تلومني على هذا. أعني، أيمكن للمرء أن يرمي صورةً بهذه الجودة؟ " .

قلت قبل أن أتمكن من كبح جماح نفسي: " أتعني صورة فتاة لم ترها منذ عشرين سنة؟ " أدركت بعد ذلك بأن نبرتي بدت عدائية أكثر مما هي حكيمة.

قال ديزي قبل أن يأخذ نَفَساً: " أعرف آمي. أعرفها. أعرف بشكل جيد جداً. ألم تظهر خيوط بأي شكلٍ من الأشكال؟ اضطررت لأن أسأل... هل إن والدها... موجود هناك؟ " .

" إنه موجود بطبيعة الحال " .

" إنني لا أفترض على وجه التأكيد... بأنه كان في نيويورك عند وقوع الحادثة؟ " .

" كان في نيويورك. لكن لماذا تسأل؟ " .

هزّ ديزي كتفيه: " مجرد فضول، ما من سبب معيّن " . جلسنا بصمتٍ لفترة نصف دقيقة واستغرقنا في لعبة التحديق في الأعين. لم يرمش أحد منا عينيه.

" أتيت في الواقع إلى هنا يا ديزي كي أعرف ما يمكنك أن تخبرني إياه " .

حاولت مجدداً أن أتخيّل ديزي وهو يترك آمي. هل يمتلك منزلاً قرب

البحيرة في مكانٍ قريبٍ من هنا؟ إن الأشخاص الذين هم على شاكلته يفعلون ذلك. هل يُمكن للمرء أن يصدق بأن هذا الرجل المهذب والمتمدن يقوم باحتجاز آمي في مستودعٍ تحت الأرض [قبو] ، بينما تروح وتجيء فوق سجادة وتنام على أريكة يعلوها الغبار وهي مطلية بألوان الستينيات، سواء الأصفر الفاقع أو المرجاني. تمنيت لو أن بوني وجيلبين موجودان هنا ليشهدا على نبرة الامتلاك في صوت ديزي: أعرف آمي.

قال ديزي ضاحكاً: " أنا؟ " ضحك من كل قلبه هي العبارة الأنسب لوصف ذلك الصوت. " لا يمكنني أن أخبرك بأي شيء. إنني، كما قلت، لا أعرفها " .

" لكنك قلتَ لتوك بأنك تعرفها " .

" إنني، وبكل تأكيد، لا أعرفها مثل ما تعرفها أنت " .

" لاحقتَها في المدرسة الثانوية " .

" أنا لاحقتها؟ كانت صديقتي يا نِك " .

قلت: " أعني إلى الوقت الذي لم تعد صديقتك فيه، ورفضتَ تركها " .

" أوه، يُحتمل بأنني أشتاق إليها، لكن ما من شيء غير اعتيادي " .

" أتقول بأن محاولتك قتل نفسك في الغرفة التي تسكن فيها أمراً اعتيادياً؟ " .

هز رأسه وأغمض عينيه. فتح فمه ليتكلم ثم حدّق بيديه. قال أخيراً: " لا أعرف عما تتحدث يا نِك " .

" إنني أتحدث عن ملاحقتك لزوجتي، في المدرسة الثانوية، وفي هذه الأيام " .

ضحك مجدداً: " هل هذا هو ما تتحدث عنه حقاً؟ يا الله. ظننتُ بأنك تجمع بعض المال في رصيد مكافأة، أو أي شيء من هذا القبيل. إنني، وبالمناسبة، مستعد لتغطية قيمتها وبكل سرور. سبق أن قلت لك بأنني لم أتوقف عن تمني كل الخير لآمي. أما هل أحبها؟ كلا. لم أعد أعرفها مطلقاً، ليس بالفعل. إننا نتبادل رسالة بين وقتٍ وآخر. لكن مجيئك إلى هنا هو أمرٌ مثير للاهتمام، وذلك لأنك تعقّد القضية. يتعيّن أن أقول لك يا نِك بأن مظهرك على شاشة التلفزيون لم يدل على الحزن والقلق. تبدو... مرتاحاً وراضياً عن نفسك. أما الشرطة، وبالمناسبة، فقد تحدثت معي، وأعتقد بأن ذلك حصل بسببك أنت، أو لربما بسبب والدَيْ آمي. أستغرب بأنك لم تعلم بذلك - يظن المرء بأنهم سيبلغون الزوج بكل شيء، هذا إذا

كان بريئاً " .

شعرتُ بتوترٍ في معدتي. " إنني موجودٌ هنا كي أشاهد بنفسي ملامح وجهك عندما تتحدث عن آمي. يجدر بي أن أقول لك بأن ذلك يقلقني. إنك تبدو مشرقاً... قليلاً " .

قال ديزي بلهجةٍ منطقية مجدداً: " ليس من المستغرب أن يكون أحدنا كذلك " .

" حبيبي؟ " سمعتُ صوتاً من خلف المنزل، وما لبثت أن سمعت مجموعة قرقعات أحذية غالية الثمن أخرى متجهة نحو غرفة المعيشة. " ما هو اسم ذلك الكتاب... " .

كانت المرأة نسخة غير واضحة من آمي، حتى يخال المرء بأنه يرى آمي على صفحة مرآة مغطاةٍ بالبخار - الألوان ذاتها بالضبط، والسمات المتشابهة تماماً، لكن مع فارقٍ زمني يبلغ ربع قرن. كان كل شيء، وكل التعابير مضاءةً قليلاً مثل قماشٍ ناعمٍ وصقيل. كانت ما تزال امرأةً رائعة اختارت أن تكبَر في السن بطريقة رشيقة. لاحظت أن شكلها يماثل نوعاً من أنواع فنون طي الورق: المرافق في نقاط الأطراف، وعظام ترقوة تشبه شماعة الثياب. كانت ترتدي فستاناً ضيقاً بألوان القاشاني الأزرق، كما أنها تمتلك الجاذبية ذاتها التي تمتلكها آمي: تتبعها الأنظار أينما توجهت في الغرفة. وجّهت نحوي ابتسامة مفترسة نوعاً ما.

" مرحباً. أنا جاكلين كولينغز " .

قال ديزي: " أمي. هذا هو نِك، زوج آمي " .

" آمي " . ابتسمت المرأة مجدداً، وهي التي تمتلك صوتاً يشبه ذلك الآتي من أعماق بئر، الصوت العميق مع صدى غريب. " كنا مهتمين جداً هنا بتلك القصة. أجل، إننا مهتمون جداً " . استدارت نحو ابنها بهدوء وقالت: " لا يمكننا التوقف عن التفكير في آمي إليوت الرائعة. أيمكننا ذلك؟ " .

قلتُ: " أصبحت آمي دون " .

قالت جاكلين موافقة: " بالطبع. إنني آسفة جداً يا نِك بشأن ما تمرّ به " . حدّقت بي للحظة. " إنني آسفة. يتعيّن عليّ... لم أكن أتصور أن تكون آمي مع... شابٍ أميركي مثل هذا " . بدا بأنها لا توجه كلامها إليّ أو إلى ديزي. " يا الله، حتى إنه يمتلك ذقناً مشقوقةً " .

قلت: " أتيت إلى هنا كي أتأكد مما إذا كان ابنك يمتلك أي معلومات. أعرف بأنه كتب عدداً من الرسائل إلى زوجتي على مدى

السنوات الماضية " .

ابتسمت جاكلين بغضب: " أوه، الرسائل! إنها طريقة رائعة لتمضية الوقت، ألا تظن ذلك؟ " .

سأل ديزي: " هل أطلعتكَ آمي عليها؟ أستغرب ذلك " .

قلت وأنا ألتفتُ إليه: " كلا. كانت ترمي هذه الرسائل دوماً، ومن دون أن تفتحها " .

قال ديزي من دون أن يتخلى عن ابتسامته: " ترميها كلها؟ وعلى الدوام؟ هل كنتَ تعرف ذلك؟ " .

تفحصت سلة النفايات ذات يوم لأقرأ واحدةً منها " . استدرتُ بعد ذلك إلى جاكلين، " وذلك كي أعرف ما يجري بالضبط " .

قالت جاكلين التي كانت تتمتم: " هذا جيد بالنسبة إليك. إنني لا أتوقع شيئاً أقل من ذلك من زوجي " .

قال ديزي: " تبادلتُ وآمي الرسائل على الدوام " . امتلك الرجل إيقاع صوت والدته بالذات، والأسلوب الذي يوحي بأن كل شيء يقوله هو شيء يرغب المرء سماعه. " كان ذلك شيئاً فيما بيننا. أعتقد أن رسائل البريد الإلكتروني... رخيصة، وذلك لأن أحداً لا يُبقي عليها. لا أحد يُبقي على رسالة بريد إلكتروني لأنها غير شخصية بطبيعتها. إنني أقلق بشأن الأجيال المقبلة عموماً. إن جميع رسائل الحب العظيمة - بدءاً من سيمون دي بوفوار إلى سارتر، ومن صموئيل كليمنس إلى زوجته - وغيرها هي رسائل مكتوبة. إنني أفكّر دائماً بما يُمكن أن يضيع... " .

سألت جاكلين: " هل احتفظتَ بجميع رسائلي إليك؟ " كانت تقف بقرب المدفأة وتنظر نحونا، وهي التي مدت ذراعاً قويةً فوق رفّ المدفأة.

" بالطبع " .

التفتت نحوي، وهزّت كتفيها بشكلٍ رشيق، " إنني فضولية " .

ارتجفتُ وكنتُ على وشك الاقتراب من المدفأة سعياً وراء بعض الدفء، لكنني تذكرت بأننا في شهر تموز. قلتُ: " أعتقد أن الاحتفاظ بهذه الرسائل طيلة هذه السنوات هو إخلاصٌ غريب. أعني بأنها لم تبادلك كتابة الرسائل " .

التمعت عينا ديزي، لكنه لم يتمكن إلا من قول " أوه " بشكلٍ يشبه صوت شخصٍ سمع صوت مفرقعاتٍ بشكلٍ مفاجئ.

قالت جاكلين كولينغز: " أستغرب يا نِك أن تأتي إلى هنا لتسأل ديزي حول علاقته - أو انعدام هذه العلاقة - مع زوجتك. ألم تكن علاقتك مع

آمي جيدة؟ يمكنني أن أضمن لك هذا: لم يتصل ديزي مع آمي بشكلٍ جدي في غضون عقود من الزمن. عقود " .

" إنني أتحقق من هذا يا جاكلين. يتعيّن على المرء في بعض الأحيان أن يتحقق بنفسه " .

بدأت جاكلين بالسير نحو الباب. استدارت وهزت رأسها مرة واحدة لتؤكد لي بأن الوقت قد حان للانصراف.

" يا لجرأتك يا نِك. إنك تحب الاعتماد على نفسك " . ضحكت عند لفظها هذه الكلمة، ثم فتحت لي الباب. حدّقت في فجوة عنقها، وتساءلت عن سبب عدم ارتدائها عقداً من اللؤلؤ. تحرص النساء أمثالها على وضع عقودٍ من اللؤلؤ من أجل أصواتها. تمكنت من شمّ رائحتها الأنثوية النفاذة بشكلٍ غريب.

قالت: " سررتُ جداً بلقائك يا نِك. دعنا نأمل جميعاً بأن تعود آمي إلى المنزل بسلام. لكن حتى ذلك الحين، متى تنوي الاتصال بديزي؟ " .

دسّت في يدي بطاقة سميكة وصقيلة في يدي: " أتمنى منك أن تتصل بمحامينا " .

أمي إليوت دون

17 آب، 2011

- صفحة يومية -

أعرف أن ما سأكتبه يشبه ما تكتبه الفتيات المراهقات والحالمات، لكنني أتتبع بحرص أمزجة نِك. أعني تجاهي أنا. فعلت هذا كي أتأكد من أنني لست مجنونة. إنني أقتني روزنامة، وهكذا عمدت إلى رسم شكل قلب على الأيام التي يبدو بأن نِك يحبني فيها، كما رسمتُ مربعاتٍ سوداء في الأيام التي لا يحبني فيها. امتلأت السنة الماضية بالمربعات السوداء الكثيرة.

لكن، ماذا بشأن هذه الأيام التسعة من القلوب، وكانت أياماً متتالية. يُحتمل بأن كل ما يحتاج إليه هو معرفة كم أحبه، وما هو مدى تعاستي. يُحتمل بأنه شهد تغيّراً في مشاعره. لم يسبق لي أن أحببت عبارة أكثر من هذه.

اختبار: بعد ما يزيد عن سنة على البرودة، يبدو وكأن زوجك قد بدأ يحبك من جديد. أما أنتِ:

أ) فتمضين في تقدير مدى الضرر الذي أنزله بك، وبحيث يتمكّن من الاعتذار بشكلٍ أكبر.

ب) تُظهرين البرودة لفترة أكبر، وذلك كي يتعلّم درساً.

ج) لا تتعجلي في موقفه الجديد - وأنتِ تعرفين بأنه سوف يثق بك عندما يحين الوقت المناسب، لكن في هذا الوقت أغدِقي عليه ملاحظات الإعجاب بحيث يشعر بالأمان وبالحب، لأن الزواج ينجح بهذه الطريقة.

د) تطالبين بمعرفة مواضع الخطأ، وتجعلينه يتكلم ويتكلم حول هذا الموضوع بهدف تهدئة مخاوفك.

الجواب الصحيح: ج

إننا في شهر آب، والوضع خطير إلى درجة أنني عجزتُ عن تحمّل وجود المزيد من المربعات السوداء، لكن كلا، لا أرى أي شيء غير قلوب، كما أن نِك يتصرف وكأنه زوجي، اللطيف، والمحب، والمتحمس. طلب لي الشوكولاته من متجري المفضّل في نيويورك للاحتفال، كما أنه كتب لي أبياتاً شعرية سخيفة في هذه المناسبة. أما الأبيات فكانت هزلية في الواقع:

ذات مرة كانت هناك فتاة من مانهاتن
والتي لا تنام إلا فوق أغطية من الساتان
تسلّل زوجها وانزلق
وتصادم جسدَيهما
وهكذا أقدما على شيء وسخٍ باللاتينية.

كان الأمر سيكون مسلياً أكثر لو أن حياتنا الحميمية كانت مسلية مثل ما يوحي الإيقاع. لكن الأسبوع الماضي... أقمنا علاقة حميمة؟ فعلناها؟ كان ذلك شيئاً أكثر رومانسية من علاقة حميمية لكنه أقل وهجاً من ممارسة الحب. وصل نِك إلى المنزل من العمل وقبّل شفتي، ولمَسَني وكأني كنتُ هناك فعلاً. كدت أبكي لأنني كنتُ وحيدة جداً. أما أن يقبّلني زوجي في شفتيّ فهو أمرٌ غير مقبول.

ماذا حصل بعد؟ اصطحبني للسباحة في البركة ذاتها التي كان يقصدها عندما كان طفلاً. يمكنني أن أتصوّر نِك الصغير وهو يجول متحمساً في المكان، بينما تلسع الشمس وجهه وكتفيه بحمرتها لأنه (مثل ما هو الأمر الآن) يرفض وضع واقٍ من أشعة الشمس، وهو الأمر الذي كان يُجبر ماما مو لملاحقته لوضع المرهم الواقي الذي تضعه في الأمكنة التي تستطيع الوصول إليها.

أخذني كذلك في جولة كاملة على الأماكن التي كان يتردد إليها في أيام صباه، وهي الأماكن التي سألته عنها منذ سنوات طويلة. سار معي إلى حافة النهر، وقبّلني بينما كان الهواء يتلاعب بشعري ويصفعه. (همس في أذني " الأمران الأحب إلى قلبي أن أنظر إليهما في هذا العالم ") . قبّلني كذلك في مبنى ملعبٍ صغير والذي اعتبره ذات يوم ناديه الخاص. (همس في أذني " أردتُ دائماً إحضار فتاةٍ إلى هنا، فتاة كاملة. انظري إليّ الآن ") . ركبت جنباً إلى جنب مع نِك في الأرجوحة الكبيرة، وذلك قبل يومين فقط من إقفال مركز التسوّق التجاري نهائياً، وكانت أصداء ضحكاتنا تتردد في أنحاء مساحات واسعة لأميالٍ وأميال.

اصطحبني لتناول المثلجات في متجر المثلجات المفضل لديه. كنا وحيدين في ذلك المكان في ذلك الصباح. كان الهواء عابقاً برائحة الحلويات. قبّلني، وقال إن هذا هو المكان الذي تلعثم وعانى فيه على مدى مواعداتٍ كثيرة. قال لي بأنه يتمنى لو أنه أبلغ ذاته أثناء أيام دراسته الثانوية بأنه سوف يعود إلى هنا مع فتاة أحلامه في يومٍ من الأيام. تناولنا

المثلجات إلى أن اضطررنا إلى العودة إلى المنزل كي ننعم بدفء أغطية السرير. وضع يده على بطني ثم استسلمنا إلى إغفاءة عفوية.

طرحتْ، بطبيعة الحال، ذاتي المتوترة التساؤل التالي: ما هو المقصود من كل هذا؟ إن التحوّل الذي طرأ على نِك هو تحولٌ مفاجئ جداً، وكبيرٌ جداً. يبدو الأمر وكأنه... يريد شيئاً ما، أو لعله فعل شيئاً، لكنه يحرص على أن يستبق الأمر بلطفٍ قبل أن أعرفه. شعرت بالقلق. أمسكته في الأسبوع الماضي وهو يبحث في علبة ملّفي السميك الذي يحمل كلمات آل دون! (الذي كُتب خلال أفضل أيامي السعيدة، والتي مرّت بسرعة)، وهو علبة مليئة بكل الأوراق الغريبة التي تتحدث عن الزواج والحياة المشتركة. قلقت من إمكان أن يطلب مني إقامة رهنٍ ثانٍ على الحانة، أو سحب قرضٍ على بوليصة التأمين على حياتنا، أو حتى بيع أسهمنا المجمدة لفترة ثلاثين سنة. قال إنه يريد التأكد من أن كل شيء مرتّبٌ كما ينبغي، لكنه قال ذلك بلهجةٍ فيها شيء من الارتباك. كان قلبي سينفطر فعلاً لو أنه استدار نحوي شاحب الوجه وقال: أتعرفين، إن الأمر المهم في الرهن الثاني هو...

يتعيّن عليّ أن أكتب كل هذا كي أنفّس عن مشاعري. لكني أدركت بأن الأمر بدا جنونياً عند رؤيته، أي إنه كان أمراً مثيراً للاضطراب والشعور بعدم الأمان والشكوك.

صمّمت أن لا أترك للجزء الأسوأ من ذاتي فرصة تدمير زواجي. زوجي يحبني، وهو يحبني وعاد إليّ، وهذا هو سبب معاملته لي بهذا اللطف. إنه السبب الوحيد.

يبدو الأمر بهذه البساطة: هذه هي حياتي التي عادت إليّ أخيراً.

نِك دون

بعد مرور خمسة أيام

جلست وسط الحرارة الخانقة في سيارتي التي كانت مركونة خارج منزل ديزي. أنزلتُ زجاج النوافذ ثم ألقيت نظرة على هاتفي. رأيت رسالةً من جيلبين: " مرحباً يا نِك. نريد الالتقاء بك هذا اليوم لإبلاغك ببعض المستجدات، ولكي نطرح عليك بعض الأسئلة. سنجتمع بك في منزلك عند الساعة الرابعة، هل يناسبك هذا؟ آه... شكراً لك " .

كانت تلك هي المرة الأولى التي أتلقى فيها أمراً. لم يقُل أنستطيع، نود أن، إذا لم يكن عندك مانع، بل قال نريد الالتقاء بك...

كانت ساعتي تشير إلى الثالثة، لذلك كان من الأفضل أن لا أتأخر.

كان العرض الجوي الصيفي - استعراض الطائرات النفاثة والمروحية التي ترسم حلقاتٍ دخانية في طيرانها الصاعد والهابط نحو نهر المسيسيبي، والمراكب السياحية البخارية الهادرة، والأسنان المصطكة - على بُعد ثلاثة أيام. كانت التمارين في أوجها عند وصول جيلبين وروندا.

يقع منزلي ضمن مسار الطيران، وهكذا تراوح الضجيج ما بين ما يشبه أصوات المطرقة وأصوات الانهيارات الثلجية. حاولت مع أصدقائي رجال الشرطة اختلاس الحديث بين فترات الهدوء التي تتوسط موجات الضجيج. بدت روندا وديعة أكثر من اللازم - وهي التي عرضت ساقاً بعد أخرى بينما كانت أنظارها تجول في أنحاء الغرفة متفحصةً مختلف الأغراض والزوايا، أي مثل طير العقعق الذي كان يحاول ترتيب عشّه. اقترب جيلبين منها وهو يعضّ على شفته ويقرع الأرض بقدمه. بدت الغرفة متوترة كذلك: أضاءت شمس ما بعد الظهيرة ذرات الغبار المتطايرة. طارت في هذه الأثناء نفاثةٌ فوق المنزل فملأت السماء بضجيجها.

قالت روندا عندما خيّم السكون مجدداً: " حسناً، لدينا بعض الأمور التي نريد استيضاحها " . جلست هي وجيلبين وكأنهما قررا، فجأة، أن يمكثا فترة أطول. " هناك بعض الأشياء التي نريد استيضاحها منك، وهناك أشياء أخرى نريد إبلاغك إياها. لكنها كلها من الأمور الروتينية، وكالعادة، إذا أردتَ محامياً... " .

لكني أدركت من الأفلام التلفزيونية والسينمائية بأن الرجال المذنبين فقط هم الذين يطلبون محامين عنهم. أما الأزواج الحقيقيين، والمحزونين،

والقلقين، والأبرياء، فلا يحتاجونهم.

قلت: " لا أريد محامياً، شكراً لكم. لكن لديّ بعض المعلومات التي أريد أن أُعلمكم بها. إنها عن الرجل الذي لاحق آمي في الماضي، وهو الشاب الذي كانت تواعده في أيام المدرسة الثانوية " .

قال جيلبين: " ديزي - آه، كولينغز " .

قلتُ مقاطعاً: " كولينغز. أعرف بأنكما تحدثتما معه، وأعرف بأنكما غير مهتمّين به لسببٍ من الأسباب، ولهذا توجهت لزيارته بنفسي اليوم. لكن من المؤكد أنه بدا... على ما يرام. لكني لا أعتقد بأنه على ما يرام، ولذلك أعتقد بأنه يجدر بكما بالفعل أن تتقصيا عنه. أعني أن تتقصيا عنه فعلياً، وذلك لأنه انتقل إلى سانت لويس... " .

قال جيلبين: " كان يعيش في سانت لويس قبل ثلاث سنوات من عودتك إليها " .

" حسناً، لكنه هنا في سانت لويس، ويسكن على مسافةٍ قريبة بالسيارة من هنا. اشترت آمي بندقية لأنها كانت خائفة... " .

قالت روندا: " لا تقلق بشأن ديزي يا نِك. إنه رجلٌ لطيف. ألا تعتقد ذلك؟ إنه يذكّرني بك في الحقيقة، الصبي الذهبي الحقيقي، ومحبوب العائلة " .

" إنني شقيق توأمي، ولست محبوب العائلة. إنني أكبر شقيقتي التوأم بثلاث دقائق في الحقيقة " .

حاولت روندا التحديق بي كي تعرف ما إذا كانت تتمكن من التأثير بي، لكن حتى معرفتي بهذا لم يمنعني من الشعور بالغضب في كل مرة تتهمني فيها بأنني محبوب العائلة.

قاطعني جيلبين: " إنه ينكر، على أيّ حال، بأنه لاحق آمي في يومٍ من الأيام، أو حتى اتصاله بها كثيراً في تلك السنين الماضية فيما عدا إرساله رسالة لها بين الحين والآخر " .

" ستقول لك زوجتي كلاماً مختلفاً. دأب الرجل يا روندا على مراسلة زوجتي لسنين عديدة - سنين - وما لبث أن ظهر هنا في بداية عملية البحث. هل تعرفين ذلك؟ كان هنا في ذلك اليوم الأول. قلتم في البداية إنكم سوف تراقبون الرجال الذين يحشرون أنفسهم في عملية التحقيق... " .

قاطعتني روندا وهي ترفع يدها: " ديزي كولينغز ليس مشتبهاً به " .

" لكن... " .

قالت مكررةً: " ديزي كولينغز ليس مشتبهاً به " .

فوجئت بقولها هذا. أردت اتهامها بأنها تأثرت ببرنامج إلين آبوت، لكن لعله من الأفضل أن نترك إلين آبوت جانباً.

" حسناً، لكن ماذا بشأن كل هؤلاء الرجال الذين ملأت أسماؤهم خط هاتف المعلومات السرية؟ " نهضت من مكاني وتناولت ورقةً مليئة بالأسماء والأرقام الهاتفية، وهي الورقة التي سبق لي أن رميتها من دون اكتراث على طاولة المائدة. بدأت بقراءة الأسماء. " إنهم الذين يحشرون أنفسهم في التحقيق: دافيد سامسون، مورفي كلارك - كانا صديقيها في الماضي - تومي أوهارا، تومي أوهارا، تومي أوهارا، أي إنه اتصل ثلاث مرات، وتيتو بوينتي - يا له من دعابة حمقاء " .

سألتْ بوني: " هل اتصلت بأي واحدٍ منهم؟ " .

" كلا. أليست هذه وظيفتكم؟ لا أعلم أيهم يحمل قيمة، وأيهم يتصف بالجنون. لكنني لا أمتلك وقتاً للاتصال ببعض المغفلين الذين يتظاهرون بأنهم تيتو بوينتي " .

قالت روندا: " أنا لا أعلق أهمية كبرى على لائحة المتصلين هذه يا نِك. يبدو وكأنه وضعٌ مبهم. أعني بأننا تلقينا عدداً كبيراً من المكالمات الهاتفية من صديقاتك السابقات اللواتي قلن بأنهن يرغبن في إلقاء التحية. أترى وضعك؟ يتصف الناس بالغرابة.

قال جيلبين: " لعله من الأفضل أن نبدأ بطرح أسئلتنا " .

قالت بوني التي بدت معتذرة ومهتمة بشكلٍ مفاجئ: " حسناً. أعتقد بأنه يجدر بنا أن نبدأ بسؤالك عن مكان تواجدك في صباح اليوم الذي اختفت فيه زوجتك " . كانت تلعب دور الشرطي المحترم. ويبدو بأنه من المحتمل أن يتعاطف الشرطي مع الآخرين. أليس كذلك؟

" كنت عند الشاطئ " .

سألت بوني: " وما زلتَ تعجز عن تذكّر بأن أحداً ما قد رآك هناك. سيساعدنا الأمر كثيراً لو تمكنا من الانتهاء من هذه النقطة الصغيرة وشطبها من لائحتنا " . مرّت برهة صمتٍ من التعاطف. لم تكن روندا متمكنة من الالتزام بالهدوء فقط، لكن كان باستطاعتها نشر الجو الذي تريده في الغرفة، وهي تفعل ذلك وكأنها حبّار ينثر حبره.

" صدّقيني بأنني أحب ذلك مثلك تماماً. لكن لا، لأنني لا أتذكر رؤية أي شخص " .

ابتسمت بوني ابتسامة قلقة. " يبدو من الغريب أننا ذكرنا، ولو بشكلٍ عابر، بأنك كنتَ على الشاطئ مع عددٍ قليل من الأشخاص

وجميعهم ذكروا... دُهشوا جميعاً إذا جاز لنا التعبير. قالوا إن ذلك مستغربٌ منك، لأنك لستَ الرجل الذي يرتاد الشاطئ كثيراً " .

هززتُ كتفي. " أتعني بأنني أذهب إلى الشاطئ وأستلقي طيلة اليوم؟ كلا. لكن هل أذهب إلى هناك لأرتشف قهوتي في الصباح؟ أفعل هذا بالتأكيد " .

قالت بوني بحماس: " اسمع، قد يساعدنا هذا. مِن أين اشتريت قهوتك في ذلك الصباح؟ " التفتت نحو جيلبين وكأنها تلتمس موافقته. " يُحتمل أن يؤدي هذا إلى تضييق الإطار الزمني على أقل تقدير، أليس كذلك؟ " .

قلتُ: " قمتُ بتحضيرها هنا " .

قالت عابسةً: " أوه. إن هذا مستغرب جداً، لأنك لا تمتلك أي كمية من البن هنا، أو في أي مكانٍ آخر في المنزل. أتذكر بأنني فكرت في أن هذا أمرٌ غريب لأن المدمن على الكافيين يلاحظ هذه الأشياء " .

فكّرت في نفسي حسناً، إنه مجرد أمر صدف أن لاحظته. أعرف شرطيةً تدعى بوني موروني... إن المصائد التي تنصبها هي في غاية الوضوح، وهي مجرد مهزلة واضحة...

" بقي عندي كوب متروك في الثلاجة وقمتُ بتسخينه " . هززت كتفي مجدداً، لا أهمية للأمر.

" لا بد وأنه بقي في الثلاجة لفترةٍ طويلة، كما لاحظت عدم وجود إناء مخصص للبن في سلة النفايات " .

" بقي أياماً قليلة، لكن طعمه كان مقبولاً " .

ابتسم كلانا في وجه الآخر: أنا أعرف وأنتِ تعرفين، فلتستمر اللعبة. فكّرت في الواقع في هاتين الكلمتين اللتين تتصفان بالحمق: فلتستمر اللعبة. لكنني كنت مسروراً مع ذلك بطريقةٍ ما: كان الجزء التالي على وشك أن يبدأ.

التفتت بوني نحو جيلبين ووضعت يديها على ركبتيها ثم أومأتْ قليلاً. عضّ جيلبين على شفته، ثم أشار في النهاية نحو الأريكة، ونحو طرف الطاولة، وكانت غرفة المعيشة مرتبة الآن. قال: " أترى، هذه هي مشكلتنا يا نِك. سبق لنا أن رأينا العشرات من مشاهد اقتحام المنازل... " .

قالت بوني مقاطعةً: " رأينا عشرات، وعشرات، وعشرات من هذه الحالات " .

قال جيلبين: " رأينا عدداً كبيراً من عمليات اقتحام المنازل. أترى هذه

- كل المنطقة هناك في غرفة المعيشة - أتذكرها؟ الأريكة المقلوبة، والطاولة المقلوبة، والإناء على الأرض " تناول صورة للمنظر أمامي وقال: " كان من المفترض أن تبدو هذه المنطقة بأكملها وكأنها منطقة صراع، أليس كذلك؟ " .

شعرت بالدوار، لكني ما لبثت أن استعدت هدوئي. ابقَ هادئاً. " أيُفترض هذا؟ " .

تابع جيلبين: " بدت في وضعها غير الطبيعي منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها. أقول لك بصراحة بأن الأمر بأكمله بدا مرتباً عمداً. هناك في البداية واقع أن كل الأغراض تواجدت في بقعةٍ واحدة. لماذا لم يكن أي شيء في حالة فوضوية في أي مكانٍ عدا عن هذه الغرفة؟ يبدو ذلك غريباً " . تناول صورة أخرى أكثر قرباً. " وانظر هنا كذلك على كومة الكتب. يُفترض أن تكون الكتب على طرف الطاولة - كانت الكتب فوق طرف الطاولة، أليس كذلك؟ " .

أومأتُ.

" وهكذا عندما قُلب طرف الطاولة كان من المفترض أن تسقط الكتب أمامها، أي أن تتبع مسار الطاولة الهابطة. لكن الكتب كانت، بدلاً من ذلك، خلفها. بدا الأمر وكأن أحداً ما رماها قبل أن تُقلب الطاولة " .

حدّقت في هذه الصورة بذهول.

قال جيلبين متابعاً كلامه: " راقِب هذه كذلك. يبدو هذا غريباً جداً بالنسبة إليّ " . أشار جيلبين إلى ثلاثة إطارات صورٍ رفيعة فوق رفّ المدفأة. ضرب جيلبين بيده بشدة على الرف، وما لبثت الإطارات أن سقطت على الفور منقلبةً على قفاها. " لكنها، ولسببٍ ما، بقيت منتصبةً من بين كل الأغراض الأخرى " .

عرَض جيلبين عليّ صورة لإطارات الصور وهي منتصبة. كنتُ آمل، وحتى بعد أن اكتشفا كذبة العشاء في مطعم هيوستن، بأنهما من بين أفراد الشرطة المغفلين، أي من أولئك الذي يظهرون في الأفلام السينمائية، ومن أولئك الذين يحاولون إرضاء الآخرين عندما يثقون بالمواطنين العاديين: كما تقول يا عزيزي. لكني لم يكن عندي رجال شرطة مغفلين.

تمتمتُ: " لا أعرف ماذا تريداني أن أقول. لا أعرف ماذا أفكّر في هذا الشأن، قطعاً. لا أريد سوى أن أعثر على زوجتي " .

قالت روندا: " نريد العثور عليها بدورنا يا نِك. لكن أريد أن ألفت نظرك إلى شيءٍ. الأريكة أتذكر كيف كانت مقلوبة رأساً على عقب؟ " .

ربتت بعد ذلك على هذه الأريكة المستلقية على الأرض، وأشارت إلى قوائمها الأربع الرفيعة والتي يبلغ طول الواحدة منها بوصة واحدة. " أترى الجزء الأسفل الثقيل وتلك القوائم الرفيعة. كانت الوسادة التابعة لها ملقاةً على الأرض. حاول أن تدفعها لتقلبها " . ترددت قليلاً، لكن بوني حثّتني بالقول: " هيا حاوِل " .

دفعت الأريكة بيدي، لكنها انزلقت فوق السجادة بدلاً من أن تنقلب رأساً على عقب. أومأت بالموافقة. كان الجزء السفلي منها ثقيلاً جداً.

قالت بوني بما يشبه الأمر: " أريدك أن تنزل إلى الأرض إذا اضطررت، وذلك كي تقلب الأريكة رأساً على عقب " .

ركعت على الأرض، ودفعت الأريكة من الأسفل، ومن زواياها السفلى، إلى أن وضعتُ إحدى يديّ أخيراً تحت الأريكة وحرّكتها. ارتفعت الأريكة قليلاً إلا أن أحد جوانبها أخذ بالترنح، وما لبثت أن عادت إلى مكانها السابق. اضطررت أخيراً إلى الإمساك بها وقلبِها بيديّ.

قالت بوني: " هذا مستغرب، أليس كذلك؟ " .

سأل جيلبين: " هل نظفتَ المنزل يا نِك في اليوم الذي اختفت فيه زوجتك؟ " .

" كلا " .

" حسناً، أجرى تقنيو المختبر مسحاً، لكني آسف لإبلاغك بأن أرض المطبخ كانت ملوثة. كانت كمية كبيرة من الدماء قد أُريقت عليها " .

قاطعت بوني بالقول: " كانت من ذات فئة دم آمي، أي - ب إيجابي. إنني لا أتحدث هنا عن جرحٍ صغير، إنني أتحدث عن دماء " .

" أوه يا إلهي " . شعرت بحرارةٍ عالية في وسط صدري. " لكن... " .

" أجل، يعني ذلك بأن زوجتك تمكنت من الخروج من هذه الغرفة. تمكنت زوجتك، ونظرياً بطريقة ما، أن تشق طريقها إلى المطبخ، وذلك من دون أن تقلب أياً من أغراض الزينة تلك الموجودة خارج المطبخ مباشرة، وما لبثت أن انهارت في المطبخ حيث فقدت كمية كبيرة من دمائها " .

قالت روندا وهي تراقبني: " قام شخصٌ ما بعد ذلك بتنظيفها " .

" مهلاً. مهلاً. لماذا يحاول ذلك الشخص إخفاء الدماء ثم يُحدث تلك الفوضى في غرفة المعيشة... " .

قالت روندا بهدوء: " سنفهم ذلك لاحقاً. لا تقلق يا نِك " .

" لم أفهم ذلك. إنني لا... " .

قالت بوني: " دعونا نجلس الآن " . وجّهتني نحو أحد المقاعد في

غرفة المائدة. " هل أكلتَ شيئاً؟ أتريد شطيرة، أو شيئاً من هذا القبيل؟ " .

هززتُ رأسي. كانت بوني تُظهر زوايا مختلفة من شخصية المرأة: امرأة قوية، مربية حانية، وذلك كي تعرف أي طريقة تعطي أفضل النتائج.

سألت روندا: " كيف هي حال زواجكما يا نِك؟ أعني أن فترة خمس سنوات قريبة جداً من فترة السنوات السبع للوئام الزوجي " .

قلتُ مكرراً: " كان زواجنا على ما يرام. كان جيداً. لم يكن مثالياً لكنه جيد، جيد " .

قوست أنفها بما معناه: أنت تكذب.

سألتُ بلهجة مفعمة بقدرٍ كبير من الأمل: " أتعتقدان بأنها لربما هربت؟ وأنها جعلت هذا المكان يبدو مثل مسرح جريمة، ثم هربت على طريقة الزوجة الفارّة؟ " .

بدأت بوني بتعداد الأسباب التي تنفي هذه الفرضية: " لم تستخدم هاتفها الخلوي، ولم تستخدم بطاقاتها الائتمانية، ولا البطاقات المصرفية الآلية. يُضاف إلى ذلك أنها لم تسحب أي مبلغٍ مالي كبير في الأسابيع التي سبقت اختفاءها " .

أضاف جيلبين: " وهذه الدماء. أعني، ولا أرغب في أن أبدو قاسياً هنا، الكمية الكبيرة من الدماء التي أريقت؟ يبدو الأمر جدياً، أعني أنني أعجز عن فعل هذا لنفسي. إنني أتحدث عن جروح بالغة. هل إن أعصاب زوجتك حديدية؟ " .

" أجل. إنها تمتلك أعصاباً حديدية " . لكنها تعاني كذلك من رهابٍ عميق من منظر الدماء، لكنني فضّلت الانتظار كي أدع المحققَين اللامعَين يكتشفان الأمر.

قال جيلبين: " يبدو الأمر مستبعداً جداً. إذا ما أرادت أن تجرح نفسها بهذه الدرجة من الخطورة، فلماذا حرصت على تنظيف الأرض؟ " .

قالت بوني وهي تستند على ركبتيها كي تتمكن من النظر إليّ وأنا أحدّق بالأرض: " والآن، دعنا نكون صادقين فعلاً يا نِك. كيف كان وضع زواجك في هذه الأيام؟ إننا إلى جانبك، لكننا نريد أن نعرف الحقيقة. إن الشيء الوحيد الذي يُظهرك في وضعٍ سيئ هو قيامك بإخفاء أي شيء عنا " .

" مررنا ببعض الشجارات " . رأيت آمي في غرفة النوم في تلك الليلة الأخيرة. كان وجهها مليئاً بالبقع الحمراء التي تظهر عليها عندما تكون غاضبة. كانت تطلق الكلمات بسرعةٍ كبيرة - كلماتٍ مسيئة وشرسة - لكنني

أصغيت إليها في محاولةٍ مني لتقبّل كلماتها لأنها كانت صحيحة، وكان كل ما قالته صادقاً من الناحية التقنية.

قالت بوني: " صِف لنا تلك الشجارات " .

" لم تكن تدور حول أي شيء بالتحديد، بل مجرد خلافات بسيطة. أعني أن آمي تغضب بسرعة. إنها تستذكر مجموعة من الأمور البسيطة، لكن سرعان ما ينتهي الأمر. لم يسبق لنا أن توجهنا إلى السرير غاضبين " .

سألت بوني: " ولا حتى ليلة الأربعاء؟ " .

قلت كاذباً: " أبداً " .

" هل يتعلق الأمر بالمال، أم ما هي الأشياء التي كنتما تتجادلان بشأنها؟ " .

" لا يمكنني أن أتذكر ما كنا نتجادل بشأنه. إنها أمور عادية " .

قال جيلبين بابتسامة ذات معنى، وكأنه تلفظ بكلمة أمسكتُ بك بشكلٍ لا يمكن تصديقه: " ما هو الأمر الذي تجادلتما بشأنه في الليلة التي اختفت فيها؟ " .

" سبق أن أخبرتك عن الكركند " .

" وماذا غير ذلك؟ إنني متأكد من أنك لم تصرخ طيلة ساعةٍ كاملةٍ من الزمن " .

نزل بليكر متهادياً في تلك اللحظة على الدرج وتطلع من خلال السياج.

قلت: " تجادلنا حول أمورٍ منزلية أخرى، مثل الأمور التي يتجادل بشأنها كل الأزواج مثل صندوق الهر، أي من سيقوم بتنظيف صندوق الهر " .

قالت بوني: " هل تجادلتما بحدة حول صندوق الهر؟ " .

" تعرفين مبدأ الأمور. إنني أعمل ساعاتٍ طويلة، لكن آمي لا تعمل. أعتقد أنه من الأفضل لها أن تقوم ببعض أعمال الصيانة المنزلية. أعني الأعمال الأساسية فقط " .

انتفض جيلبين وكأنه استفاق من إغفاءة الظهيرة. " أنت رجل من الطراز القديم، أليس كذلك؟ أنا من ذلك الطراز أيضاً. إنني أقول لزوجتي دائماً، " لا أعرف كيف أكوي الثياب، ولا أعرف كيفية تنظيف الأطباق، كما أنني لا أجيد الطبخ، ولهذا يا حبيبتي سأكتفي بإلقاء القبض على الأشرار، وهو الأمر الذي أجيده تماماً. يمكنك أن ترمي ببعض الثياب في الغسالة بين حينٍ وآخر. كنتِ متزوجةً يا روندا. هل كنتِ تقومين بالأعمال المنزلية؟ " .

بدت بوني منزعجةً كثيراً لكنها قالت: " إنني ألقي القبض على الأشرار بدوري أيها المغفل " .

حوّل جيلبين نظره نحوي، وكدت أتوقع منه أن يروي نكتة [دعابة] وأن يكون مرحاً، لكنه أسرف في اللوم.

حكّ جيلبين ذقنه بمكر. قال لي بلهجة بدت منطقية: " إذاً كان كل ما تريده هو الحصول على زوجة منزل " .

" أردتُ... أردت كل ما أرادته آمي. لم أكترث للأمر فعلاً " . تطلعت نحو بوني بعد ذلك، التحرية روندا بوني بطبيعتها المتعاطفة التي بدت صادقة، وعلى الأقل جزئياً. (ذكّرتُ نفسي بأن الأمر ليس كذلك). " لم تتمكن آمي من حسم ما تريد أن تفعله هنا. عجزت عن العثور على وظيفة، كما أنها لم تكن مكترثة بالحانة. قلتُ لها إنها إذا أرادت أن تمكث في المنزل فلا بأس في ذلك. لكنها عندما بقيت في المنزل لم تكن سعيدة كذلك. كانت تنتظرني كي أُصلح الأمور، وكأنني مسؤول عن سعادتها " .

لم تقل بوني شيئاً، لكنها أخفت عني كل المشاعر التي أحسّت بها.

" أعني أن لعب دور البطل قد يكون مسلياً في بعض الأحيان، أي إن يلعب المرء دور الفارس الأبيض، لكن ذلك لا ينجح لمدة طويلة. عجزتُ عن جعلها سعيدة، وهي لم ترغب بأن تكون سعيدة، ولهذا فكّرت في أن تسلّمها مسؤولية أشياءً عملية قليلة... " .

قالت بوني: " مثل الصندوق الخاص بالهرة " .

" أجل، تنظيف صندوق الهرة، وشراء بعض البقالة، واستدعاء السبّاك لإصلاح الأنابيب التي ترشح بالمياه، وهو الأمر الذي يدفعها إلى الشعور بالجنون " .

" واو. تبدو هذه خطة سعادة حقيقية، أي القيام بعددٍ كبير من الأعمال الصغيرة " .

" لكن، كان قصدي أن تفعلَ شيئاً مهما كان نوع ذلك الشيء، وأن تستغل أفضل ما هو متوفر، لا أن تكتفي بالجلوس وانتظاري كي أصلح كل شيء " . أدركتُ فجأة بأنني أتكلم بصوتٍ عالٍ. كانت لهجتي غاضبة تقريباً، وكنت أتكلم بقناعة الشخص الذي هو على صواب. جعلني ذلك أشعر بارتياح شديد. بدأتُ بكذبة - صندوق الهرة - ثمّ حوّلتها إلى موجةٍ مدهشةٍ من الحقيقة الخالصة. أدركت بهذه الطريقة السبب الذي يجعل المجرمين يتكلمون كثيراً، وذلك لأنهم بهذا يشعرون بالارتياح لمجرد روايتهم لقصتهم أمام رجلٍ غريب والذي لا يستطيع التشكيك فيها، وهو شخصٌ

مضطر للإصغاء إلى وجهة نظرك. (صححت لنفسي، شخص يتظاهر بأنه يُصغي إلى وجهة نظرك من القصة).

قالت بوني: " وهكذا حدثت العودة إلى ميسوري. أحضرتَ آمي إلى هنا بالرغم من رغبتها؟ " .

" ضد رغبتها؟ كلا. فعلنا ما كان يتعيّن علينا فعله. فقدتُ وظيفتي، وكانت والدتي مريضة. كنتُ لأفعل الأمر ذاته لآمي " .

تمتمت بوني بالقول: " لطيفٌ منك أن تقول ذلك " . ذكّرتني فجأة بآمي: الأجوبة القاسية التي تتلفظ بها في المستويات النموذجية، وهكذا تأكدت تماماً بأنني سمعتها، لكني لا أستطيع أن أقسم بذلك. أما إذا سألتُ عما يُفترض بي أن أسأله - ماذا قلتِ؟ - فكانت تقول الشيء ذاته على الدوام: لا شيء. نظرت إلى بوني غاضباً، وكان فمي مزموماً من التوتر، ثم فكّرت في نفسي: يُحتمل أن يكون ذلك جزءاً من الخطة، أي لتعرف ردة فعلك تجاه النساء غير الراضيات. حاولتُ أن أحمل نفسي على الابتسام، لكن ذلك بدا وكأنه يبعدها عني أكثر فأكثر.

سألني جيلبين: " هل كان بإمكانك تحمّل الوضع على هذه الشاكلة، أي سواء ما إذا كانت آمي تعمل أم لا تعمل فسوف يكون بإمكانك تدبّر الأمر مالياً؟ " .

قلت: " عانينا مؤخراً من بعض المشاكل المالية. كانت آمي ثرية في بداية زواجنا. كانت ثريةً بالفعل " .

قالت بوني: " هذا صحيح، وكل ذلك بفضل سلسلة كتب آمي الرائعة " .

" أجل، هذا صحيح، لأنهم تمكنوا من كسب طن من المال خلال سنوات الثمانينيات والتسعينيات. لكن الناشر تخلى عن هذه السلسلة وقال إن آمي استوفت حقّها. سار كل شيء بعد ذلك في طريق الهبوط. اضطر والدا آمي إلى اقتراض المال منا كي يبقيا عائمَين مالياً " .

" أتعني بأنهما استقرضا من زوجتك؟ " .

" صحيح، حسناً. استخدمنا بعد ذلك ما تبقى من أموال توفير آمي من أجل شراء الحانة، وهكذا تمكنت من الإنفاق على المنزل منذ ذلك الحين " .

قال جيلبين: " إذاً تزوجتَ آمي عندما كانت ثرية جداً " . أومأت بالموافقة. كنتُ أفكّر ببطل القصة: الزوج الذي يبقى إلى جانب زوجته خلال فترة الهبوط الحاد لوضع عائلتها المادية.

" يعني ذلك بأنك عشتَ حياةً مترفة " .

" أجل. كانت عظيمةً جداً ومثيرة " .

" لكن زوجتك الآن أصبحت شبه مفلسة، وأنت تعيش في ظروف مختلفة عن وقت زواجكما، أي الظروف التي تعاهدتما عليها " .

أدركت عندها بأن قصتي كانت خاطئة تماماً.

حاول جيلبين تحويل الاتهام إلى مصدرٍ للاهتمام والقلق، وقال: " إننا نقول ذلك بطبيعة الحال لأننا دققنا في أمورك المالية التي لا تبدو جيدة " .

قلت: " يسير العمل في الحانة على ما يرام. لكن العمل الجديد يستغرق ثلاث أو أربع سنوات للخروج من حالة الدَّين.

قالت بوني: " لفتت نظري البطاقات الائتمانية. اثنا عشر ألفاً ومئتي دولار من الديون في حساب البطاقات الائتمانية. أعني بأنني توقفت عند ذلك طويلاً " . لوّحت برزمة من بيانات الحساب، وكلها باللون الأحمر.

كان والداي حذرين جداً إزاء بطاقات الائتمان - والتي استخدماها لأغراضٍ محددة، ولدفع مبالغ محددة تُدفع عند نهاية كل شهر. كان شعارهما إننا لا نشتري الأشياء التي لا نستطيع دفع أثمانها.

قلت متلعثماً: " إننا لا - وعلى الأقل أنا - لكنني لا أعتقد بأن آمي ستقدم على ذلك - أيمكنني إلقاء نظرة على هذه؟ " مرّت في هذه اللحظة بالذات طائرة قاذفة فهزّت الواجهات الزجاجية في المنزل. فَقَدَتْ إحدى النبتات الموضوعة على رف المدفأة خمسة أوراقٍ جميلة من أوراقها. شاهدنا جميعاً وبصمت الأوراق المتساقطة نحو الأرض في فترة الثواني العشر من الضجيج الذي يصمّ الآذان.

تمتم جيلبين: " لكن كل هذا الجدال الكبير، الذي من المفترض أن نصدّق بأنه حدث هنا، لم يُسفر عن سقوط ورقة خضراء واحدة على الأرض في ذلك الوقت " .

تناولت الأوراق من بوني ورأيت اسمي، واسمي فقط مع جميع تنويعاته - نِك دون، لانس دون، لانس ن. دون، لانس نيكولاس دون، مكتوب على دزينة من بطاقات الائتمان المختلفة، وتراوحت المبالغ المتبقية فيها ما بين 62 . 78 $ وحتى 45 , 602 . 33 $، وكانت كلها تحمل تواريخ استحقاقٍ مختلفة، وذلك بالإضافة إلى تهديدات كُتبت بخط بارز بشكلٍ تهديدي في أعلى الصفحة: للدفع حالاً.

قلتُ: " ما هذا بحق السماء! يبدو الأمر وكأنه سرقة بطاقة الهوية أو

ما يشبه ذلك. إنها ليست لي. يمكنكم إلقاء نظرة على بعض هذه البنود: إنني لا أمارس لعبة الغولف " . دفع أحدهم ما يزيد عن سبعة آلاف دولار مقابل مجموعة من المضارب. " يُمكن لأي شخصٍ أن يقول لكم هذا: إنني، في الواقع، لا ألعب الغولف " . حاولت أن يبدو كلامي مقنعاً إلى أبعد الحدود - أمرٌ آخر لا أجيده - لكن التحريَين لم يقتنعا.

سألتْ بوني: " هل تعرف نويل هوثهورن، إنها صديقة آمي التي قُلتَ لنا أن نتكلم معها؟ " .

قلت: " مهلاً. أريد أن أتكلم عن هذه الفواتير، وذلك لأنها لا تخصني أنا. أعني، من فضلكما، وبجد، أنا بحاجة لتوضيح الأمر " .

قالت بوني: " لا تقلق. سوف نتفحص هذه الفواتير. لا مشكلة في ذلك. ماذا بشأن نويل هوثهورن؟ " .

" صحيح. قلتُ لكما أن تحققا معها لأنها جالت في أنحاء المدينة نائحةً على آمي " .

قوّست بوني أحد حاجبيها: " تبدو غاضباً لهذا الأمر " .

" كلا، لكني قلتُ لكما بأنها تبدو حزينة بشكلٍ مبالغٍ فيه قليلاً، وكأنها تتظاهر بذلك. إنها تتظاهر، وتسعى للفت الانتباه، وتبدو مهووسة قليلاً " .

قالت بوني: " تحدثنا مع نويل. قالت إن زوجتك كانت قلقةً جداً بشأن زواجكما، كما قلقتْ كثيراً بشأن وضعكما المالي. قلقت كذلك بشأن احتمال أن تكون تزوجتها لأجل مالها، وأضافت بأنها قلقةٌ جداً بشأن مزاجك " .

" لا أعرف السبب الذي جعل نويل تقول ذلك. لا أعتقد بأنها تبادلت مع آمي أكثر من خمس كلمات " .

" يبدو لي ذلك في منتهى الغرابة، لأن غرفة معيشة آل هوثهورن مليئة بصور نويل مع زوجتك " . عبست بوني. عبستُ بدوري: هل كانت صوراً حقيقية لنويل وآمي؟

تابعت بوني كلامها: " توجد صورة لهما في حديقة حيوانات سانت لويس في شهر تشرين الأول الماضي، وصورة أخرى مع التوائم الثلاثة في نزهة عطلة نهاية الأسبوع في شهر حزيران الماضي، وكذلك في الشهر الماضي " .

" لم تذكر آمي اسم نويل في كامل الفترة التي مضت على وجودنا هنا. إنني جادٌ في ذلك " . فتشت في زوايا دماغي عما فعلته في حزيران

الماضي، لكني لم أعثر سوى على إجازة نهاية الأسبوع التي أمضيتها مع آندي. أبلغت آمي بأنني سأقوم بجولة مع الأصحاب إلى سانت لويس. عدت إلى المنزل فوجدت زوجتي محمرّة الخدّين وغاضبة، وزعمت أن هذا ناتج عن تمضيتها إجازة نهاية أسبوع مع أفلام الكايبل الرديئة، ومللها من الوقت الذي قضته في القراءة على رصيف الميناء. أما هل اشتركت في رحلة عوم. كلا. أعرف أن آمي لا تكترث أبداً بجولة عوم نموذجية في الغرب الأوسط: حيث تتواجد عُلب الشراب في الثلاجات المربوطة بالقوارب الطويلة، والموسيقى الصاخبة، والصبية الثملون، وأرض المخيم التي تتناثر فيها آثار القيء. " هل تأكدتما بأن زوجتي هي ذاتها التي تظهر في تلك الصور؟ " .

تبادل التحريان نظرة هل هو جاد؟ فيما بينهما.

قالت بوني: " نِك. إننا لا نمتلك أي سبب للاعتقاد بأن تلك المرأة التي تظهر في الصور - والتي تبدو مثل زوجتك تماماً، والتي تقول نويل هوثهورن، وهي أم التوائم الثلاثة، وأعزّ صديقة لزوجتك في المدينة، بأنها زوجتك - ليست زوجتك " .

أضاف جيلبين: " زوجتك التي أراني مضطراً إلى القول، واستناداً إلى نويل، بأنك تزوجتها لأجل المال " .

قلت: " أنا لا أمزح. يستطيع أي شخص في هذه الأيام التلاعب بالصور في أي حاسوبٍ محمول " .

قال جيلبين: " حسناً، لكنك كنتَ تقول منذ دقيقة واحدة بأنك متأكد من أن ديزي كولينغز متورط في هذه القضية، لكنك تحولت الآن إلى إتهام نويل هوثهورن. يبدو الأمر وكأنك تبحث عن شخص لإلقاء التهمة عليه " .

" أتعني عداي أنا؟ أجل، هذا صحيح. اسمعني جيداً، إنني لم أتزوج آمي لأجل مالها. يمكنكما أن تتحدثا مجدداً مع والدَي آمي. إنهما يعرفاني، ويعرفان نفسيّتي " . فكّرت بيني وبين نفسي بأنهما لا يعرفان كل شيء. شعرت بتوترٍ في معدتي. كانت بوني تراقبني، وبدت بأنها تشعر بالأسى تجاهي. لكنّ جيلبين بدا وكأنه لا يسمعني.

قال جيلبين متظاهراً بأنه تعب من الأمر كله: " رفعتَ قيمة التأمين على حياة زوجتك إلى مليون ومئتي ألف دولار " . وصل به الأمر إلى حد أنه رفع يده نحو وجهه الطويل ذي الفكّين النحيلين.

قلت بسرعة: " آمي هي التي فعلت ذلك من تلقاء نفسها! " اكتفى الشرطيان بالتطلع نحوي وانتظرا. " أعني بأنني ملأت الأوراق، لكنها كانت فكرة آمي. أصرّت على ذلك. أقسم إن ذلك كان آخر الأمور التي أكترث

لها، لكن آمي قالت إنه بالنظر إلى التغيّر الذي طرأ على مدخولها، فإنها سوف تشعر بأمانٍ أكبر، أو ما يشبه ذلك، أو أن ذلك أشبه شيء بالقرار العملي الحكيم. اللعنة، لا أعرف. لا أعرف السبب الذي دفعها إلى ذلك. إن كل ما أعرفه هو أنني لم أطلب منها أن تفعل ذلك " .

تابعت بوني كلامها: " قام أحدهم منذ شهرين ببحثٍ في حاسوبك المحمول. كان عنوان البحث عوم الأجسام في نهر المسيسيبي. أيمكنك تفسير ذلك؟ " .

أخذتُ نَفَسين عميقين، واستغرقتُ تسع ثوانٍ كي أستعيد رباطة جأشي.

قلتُ: " يا الله. كانت تلك مجرد فكرة حمقاء لتأليف كتاب. كنتُ أفكر في تأليف كتاب " .

أجابت بوني: " هاه " .

تابعتُ القول: " اسمعاني جيداً. أعتقد أن ما حدث كان التالي. يشاهد عددٌ كبير من الناس تلك التقارير الإخبارية التي تتحدث عن الأزواج المرعبين الذين يقتلون زوجاتهم، وهؤلاء يرونني من خلال تلك العدسة، كما أن بعض الأمور البريئة والعادية تعرضت للتحريف. بدأ هذا يتحول إلى ما يشبه مطاردة السحرة " .

سألني جيلبين: " أهذه هي طريقة تفسيرك لفواتير البطاقات الائتمانية؟ " .

" قلت لك إنه لا يمكنني تفسير فواتير بطاقات الائتمان اللعينة هذه لأنه لا علاقة لي بها أبداً. تفرض عليك وظيفتك اللعينة أن تحدد من أين جاءت! " .

جلسا منتظرَين وصامتَين جنباً إلى جنب.

سألتهما: " ماذا تفعلان الآن للعثور على زوجتي؟ ما هي الخيوط التي تستكشفانها غيري أنا؟ " .

بدأ المنزل بالاهتزاز، ودوّت أصوات مرعبة في السماء. رأيت من خلال النافذة الخلفية نفاثة تطير من خلف المنزل، وكانت تطير فوق النهر مباشرة.

قالت روندا: " إنها أف - 10 " .

قال جيلبين: " لا. إنها صغيرةٌ جداً. لا بد وأنها... " .

" إنها أف - 10 " .

انحنت بوني نحوي قليلاً وشبكت يديها ثم قالت: " تقضي مهمتنا أن نتأكد من براءتك مئة بالمئة يا نِك. أعرف أنك تريد هذا بدورك، والآن إذا

كان بإمكانك أن تساعدنا على حلّ هذه العُقد الصغيرة والقليلة، لأنها تحيّرنا قليلاً " .

" يُحتمل أن الوقت قد حان للاستعانة بمحامٍ " .

تبادل الشرطيان نظرة أخرى. بدا الأمر وكأنها أنهيا رهاناً بينهما.

آمي إليوت دون

21 تشرين الأول، 2011

- صفحة يومية -

ماتت والدة نِك. لم أتمكّن من الكتابة بسبب وفاة والدة نِك، كما أن ابنها تأثر كثيراً بوفاتها. ماتت مورين اللطيفة والقوية. كانت تتحرك وتتجول حتى ما قبل أيامٍ قليلة من وفاتها، ورفضت الاستماع إلى كل الطلبات التي تدعوها إلى التقليل من حركتها. قالت: " أريد أن أعيش إلى أن لا أتمكن من العيش " . تعودت على حياكة القبعات للمرضى الآخرين الذين يجرون علاجاتٍ كيميائية (أما هي فقد انتهى الأمر بالنسبة إليها بعد إحدى الجلسات، ففقدت الاهتمام في إطالة عمرها إذا كان ذلك يعني " المزيد من الأنابيب ")، وهكذا سأظل أتذكرها دائماً وهي محاطةٌ بلفائف ملتمعة من الصوف: الأحمر والأصفر والأخضر، وأتذكر أصابعها التي لا تكف عن الحركة، والصنانير التي تقرقع بينما تمضي في كلامها بصوتٍ هادئ، وراضٍ، وعميق.

استيقظتْ في صباحٍ من أيام أيلول، لكنها لم تستيقظ بالفعل، ولم تعد إلى مورين السابقة. تحولت إلى امرأة بحجمٍ صغير بين ليلةٍ وضحاها. حدث ذلك بسرعة، وزادت تجاعيد وجهها وتشققت بشرتها، بينما جالت عيناها في أنحاء الغرفة غير قادرةٍ على تمييز أي شيء بما في ذلك نفسها. أُخِذت بعد ذلك إلى دار العناية، وهو مكانٌ يبعث على البهجة ومضاءٌ بأنوارٍ خفيفة، ومليء برسومات النساء اللواتي يرتدين قبعاتٍ ورسوم التلال الخضراء المستديرة الأشكال، وكذلك بآلات بيع أكياس المأكولات الخفيفة، وآلات بيع القهوة. لم يكن من المنتظر أن تقوم دار العناية بشفائها أو مساعدتها، بل أن تؤمن لها موتاً مريحاً، لكنها ما لبثت أن ماتت بعد ثلاثة أيام. ماتت مورين بالطريقة التي أرادتها هي في الواقع (بالرغم من أنني متأكدة بأنها كانت ستستغرب هذه العبارة: ماتت مورين بالطريقة التي أرادتها هي).

كانت ليلة وفاتها متواضعةً لكنها تميّزت بالروعة - مئاتٍ من الناس، وشقيقتها التي تشبهها التي حضرت من أوماها، وكانت تسكب قهوة بايليز، وتوزّع قطع البسكويت، وتروي قصصاً مضحكة عن مو. دفنّاها في صبيحة يوم دافئ هبّت فيه الرياح. استند نِك وجو إلى بعضهما بعضاً، بينما وقفتُ جانباً بعد أن غمرني شعور بأنني دخيلة. سمح لي نِك في تلك

الليلة عند خلودنا للنوم بأن أطوقه بذراعيّ بينما أدار ظهره نحوي، لكنه نهض بعد دقائق قليلة، وهمس في أذني: " أريد استنشاق بعض الهواء النقي " ، ثم غادر المنزل.

اعتادت والدته أن تعتني به، وهي التي أصرّت على المجيء مرةً في الأسبوع لكيّ ملابسنا، وكانت تقول عندما تنتهي من الكيّ: " سأساعدكم على ترتيب الأشياء " . كنت أتطلع في الثلاجة بعد مغادرتها لأكتشف بأنها قامت بتقشير الكريب فروت وقطّعتها، ووضعت تلك القطع في إناء يسهل فتح غطائه. كنت أفتح بعد ذلك وعاء الخبز لأكتشف أن كل أطراف الأرغفة قد قُطعت، وأنها قَلَت كل قطعة نصف مرة. أشعر بأنني متزوجة من رجل يبلغ الرابعة والثلاثين من عمره، والذي ما يزال يكره أطراف أرغفة الخبز.

لكني حاولتُ القيام بهذا في تلك الأسابيع الأولى التي تبِعت وفاة والدته. قطعتُ أطراف أرغفة الخبز، وقمتُ بكيّ قمصانه، وكذلك أعددتُ له فطيرة عنبية بحسب وصفة والدته. حدّق في أحد الأرغفة المقطعة، وقال لي: " لا أحتاج، في الواقع، عنايةً من أحد يا آمي. كنتُ أسمح لوالدتي أن تفعل هذا لأنه يُسعدها، لكني أعرف بأنك لا تحبّين هذا النوع من الرعاية " .

وهكذا عدنا إلى المربعات السوداء. اختفى نِك الطيّب، والمهتم، والمحب ليظهر نِك ذو الطباع الخشنة، والغاضب. يُفترض أن تعتمد الزوجة على زوجها في الأوقات الصعبة، لكن يبدو أن نِك قد ابتعد عني أكثر من أي وقتٍ مضى. إنه محبوب الماما الذي ماتت والدته، وهو لا يريد أن يكون له أي علاقة بي.

يستخدمني نِك للترويح عن نفسه في وقت حاجته للترويح، وهو يحشرني فوق طاولة، أو فوق طرف السرير، ويتحرك بصمت حتى الثواني القليلة الأخيرة، أي حين يطلق أناتٍ سريعة وقليلة ليتركني بعد ذلك. تعوّد كذلك أن يضع راحته في أسفل ظهري، وكانت هذه هي علامته الحميمة الوحيدة، ثم يقول شيئاً يُفترض أن يجعل الأمر وكأنه تسلية: " أنتِ مثيرة، ولهذا لا أستطيع في بعض الأحيان أن أضبط نفسي " . لكنه يقول ذلك بصوتٍ خافتٍ جداً.

اختبار: يقوم زوجك الذي تقاسمت معه حياةً رائعة، بالابتعاد عنك وإظهار البرودة. إنه يريد الترويح عن نفسه على طريقته. أما أنتِ:

أ) تعرضين عنه، وذلك لعدم السماح له بكسب هذه اللعبة!

ب) تبكين وتنوحين ثم تطالبين بأجوبة لا يكون مستعداً لإعطائها بعد، وهو الأمر الذي يُبعده عنك أكثر من السابق.

ج) تعتقدين بقوة بأن ما جرى كان مجرد انتكاسة في رحلة الزواج الطويلة - يتواجد هو في مكانٍ مظلم - ولهذا حاولي أن تكوني متفهمة واصبري.

الجواب الصحيح: ج

لكن ما يزعجني في الواقع هو أن زواجي يسير على طريق التفكك، كما أنني لا أعرف ما ينبغي عليّ عمله. يُحتمل أن يظن القارئ أن والديّ، عالما النفس، هما الشخصان الأنسب للتحدث معهما، لكن لديّ قدرٌ كبير من عزة النفس. يعني ذلك أنهما لا يصلحان لإعطائي النصائح بشأن الزواج: إنهما أشقاء الروح، أتذكر؟ كان زواجهما سلسلة من النجاحات ومن دون أي عثرات، أي إن ذلك الزواج كان اندفاعةً لا نهاية لها من السعادة الزوجية. يعني ذلك أنه ليس بإمكاني أن أخبرهم بأنني أدمر الشيء الوحيد الذي بقيَ لي: زواجي. يُحتمل أنهما سوف يعمدان إلى تأليف كتابٍ آخر يكون بمثابة تأنيبٍ خيالي لي، وبحيث تحتفل آمي الرائعة بأروع قصة زواج مريحٍ وخالٍ من الشجارات على الإطلاق... وذلك لأنها أعطته كامل عنايتها.

لكنني أشعر بالقلق طيلة الوقت. أعرف بأنني لا أستطيع إرضاء نزوات زوجي لأنني تقدمت قليلاً في السن. كنتُ منذ سنواتٍ ست بمثابة النموذج بالنسبة إليه، ولذلك سمعتُ تعليقاته القاسية عن النساء اللواتي يقتربن من سن الأربعين. قال لي إنه يعتبرهن مثاراً للشفقة، ويبالغن في لباسهن في الحانات. كنت أسأله عن وضع الحانات، أي حانات، وكان يقول لي عادةً: " إنها تموج بالقضايا الخاسرة " ، وكانت هذه كنايته المفضلة للنساء اللواتي هنّ في مثل عمري. كنتُ في ذلك الوقت بالكاد أبلغ الثلاثين من عمري، وكنت أسخر معه، وكأن الأمر لن يحدث لي. تحولتُ الآن إلى قضيته الخاسرة، أي إنه عالقٌ معي، ويُحتمل أن هذا هو سبب شعوره بالغضب الشديد.

اعتمدت في ذلك الوقت طريقتي المفضلة للعلاج وهي العلاج بواسطة الأطفال. كنتُ أسير نحو منزل نويل في كل يوم، وأسمح لأطفالها الثلاثة بلمسي. كانوا يدسون أيديهم الصغيرة الممتلئة والناعمة في شعري فأشعر بأنفاسهم اللزجة على رقبتي. يُمكن للمرء أن يفهم لماذا تهدد النساء بأكل الأطفال على الدوام: إنها جاهزة للأكل! يمكنني أكله بالملعقة! لكن مراقبتي

لأولادها الثلاثة - وهم يزحفون تجاهها وآثار النوم بادية عليهم، وفركهم لأعينهم بينما يشقون طريقهم نحو ماما، ولمسهم ركبتها أو ذراعها بأيديهم الصغيرة وكأنها قاعدتهم الأساسية، أو كأنهم يعرفون أنهم سيكونون في أمان - تجعلني أشعر بالألم في بعض الأحيان.

قضيت البارحة فترة ما بعد الظهر في منزل نويل، وكنت بحاجة شديدةٍ إليها، ولعل ذلك حملني على الإقدام على شيء في منتهى الغباء.

حضر نِك إلى المنزل ووجدني في غرفة النوم، وكنتُ خارجة لتوي من الحمام. أسرع في دفعي نحو الجدار وضغط باتجاهي. تركني عندما انتهى وتمكنت من رؤية آثار فمي الرطبة على طلاء الجدار الأزرق. لكن ما إن جلس لاهثاً على طرف السرير حتى قال: " آسف بشأن ذلك. كنتُ بحاجةٍ إليكِ " .

لم ينظر إليّ أبداً.

تقدمت نحوه وطوقته بذراعيّ متظاهرةً بأن ما فعلناه كان طبيعياً، وهو من ضمن الممارسات الزوجية التي تبعث على السرور. قلتُ له: " كنتُ أفكر " .

" أجل، بماذا كنتِ تفكرين؟ " .

" حسناً. يُحتمل أن يكون الآن هو الوقت الأنسب لتأسيس عائلة. أعني محاولة أن أصبح حاملاً " . أعرف بأنه من الجنون أن أقول ذلك، لكني لم أستطِع منع نفسي عن فتح هذا الموضوع، وذلك لأنني تحولت إلى المرأة المجنونة التي ترغب أن تحمل، لأن ذلك يحمي زواجها.

لكن الرغبة في أن يتحول المرء إلى الحالة التي كان يسخر منها هو أمرٌ يبعث على الشعور بالمهانة.

جفل مبتعداً عني، وقال: " الآن؟ إنه أسوأ وقتٍ لتأسيس عائلة يا آمي. فقدتِ وظيفتك... " .

" أعرف ذلك، لكني أرغب على أي حال البقاء في المنزل مع الطفل، وعلى الأقل في البداية... " .

" لكن والدتي ماتت لتوها يا آمي " .

" وهذه سوف تكون حياة جديدة، وبداية جديدة " .

أمسكني بكلتا ذراعيه وتطلع في عينيّ مباشرة للمرة الأولى منذ أسبوع. " آمي. أعتقد بأنك تفكرين بما أن والدتي ماتت لتوها فسوف نتمكن من العودة إلى نيويورك وننجب بعض الأطفال، وهكذا تعودين إلى حياتك السابقة. لكننا لا نمتلك ما يكفي من المال. إننا بالكاد نحصل على

المبلغ الذي يكفينا نحن الاثنين للعيش هنا. لا يمكنك تصور مدى الضغط الذي أشعر به كل يوم كي نخرج من المأزق الذي نعيش فيه، وذلك لكسب قوتنا. لا يمكنني توفير ما يكفينا نحن الاثنين وبضعة أطفال. سترغبين في توفير كل شيء إليهم كي يكبروا، لكني لا أستطيع. لا أستطيع إلحاق صغار آل دون في مدارس خاصة، ولا توفير دروس في كرة المضرب والكمان إليهم، ولا منازل صيفية. ستشعرين بالكراهية تجاه حالة الفقر التي نعيش فيها. ستكرهينها " .

" لست سطحية إلى هذا الحد يا نِك... " .

" أتعتقدين فعلاً بأننا في وضعٍ مناسب كي ننجب الأطفال؟ " .

كان ذلك أعمق مناقشة جرت بيننا لموضوع زواجنا. أمكنني ملاحظة بأنه بدأ بالندم سلفاً على أي شيءٍ قاله.

قلت: " إننا واقعون تحت تأثير ضغوطٍ كبيرة يا حبيبتي. إننا نعاني من بعض الأزمات، وأعرف بأنني أتحمل مسؤولية عددٍ كبيرٍ منها. أشعر بأننا وصلنا إلى حلقةٍ مفرغة هنا... " .

" إذاً، هل سننضم إلى مجموعة الأزواج الذين يريدون إنجاب طفلٍ بهدف إصلاح زواجهم؟ ولأن الأمر ينجح دائماً هكذا " .

" سننجب طفلاً لأنه... " .

بدت عيناه داكنتين ومفترستين، وعاد ليطوقني بذراعيه مجدداً.

" اسمعي... لا يا آمي، ليس الآن. لا يمكنني أن أتحمل ولو قدراً بسيطاً من الضغوط. لا يمكنني أن أتحمل حتى مجرد أمرٍ واحد يدعو إلى القلق. إنني أنهار تحت الضغوط. أحسّ بأنني سوف أنفجر " .

أدركت بأنه يقول الحقيقة.

نِك دون

بعد مرور ستة أيام

تُعتبر الساعات الثماني والأربعين الأولى أساسية في أي تحقيق. لكن مضى على اختفاء آمي نحو أسبوعٍ من الزمن. تقرر إقامة احتفال بالشموع في هذا المساء في متنزه توم سوير، وهو الذي قالت عنه الصحافة بأنه " المكان المفضّل لدى عائلة دون " . (لكن ليس لي علم بأن آمي قد زارت هذا المتنزه على الإطلاق، وبالرغم من الاسم الذي يحمله إلا أنه ليس بهذا القدر من الترتيب. توجد في هذا المتنزه مجموعة متنوعة من الأشجار مع صندوقٍ من الرمل مليء بقذارة الحيوانات على الدوام. يعني ذلك أن المتنزه بعيد كل البعد عن تواين). لكن القصة انتشرت في جميع أنحاء البلاد. انتشرت القصة على كل الألسنة هكذا، وبكل بساطة.

ليبارك الله آل إليوت المؤمنين. اتصلتْ بي ماريبيت هاتفياً في الليلة الماضية، أي عندما كنت أحاول استيعاب صدمة التحقيق الذي أجرته الشرطة معي. شاهدت والدة زوجتي [حماتي] برنامج إلين أبوت، ثم اعتبرت المرأة ساقطةً انتهازية. لكننا أمضينا معظم هذا اليوم في التخطيط لكيفية مواجهة وسائل الإعلام.

أما وسائل الإعلام (التي كانت بمثابة عائلتي الكبيرة فيما مضى، وزملائي!) فقد صاغت القصة على هواها، وهي أحبّت منها زاوية آمي الرائعة والزوجين إليوت اللذين مضى على زواجهما فترة طويلة. لم توجه الصحافة تعليقات ساخرة بشأن إيقاف سلسلة الكتب، أو حالة شبه الإفلاس التي يعاني منها المؤلفان. كانت كل القلوب تفيض بمشاعر الحب نحو عائلة إليوت كما أن الصحافة أحبّتها.

لكن هذا الوضع لم ينطبق عليّ أنا. دأبت الصحافة على إثارة بنود مثيرة للقلق. لم يقتصر الأمر على تسريب هذا النص - أي افتقادي إلى إثبات عن وجودي في مكان آخر غير المنزل، ومسرح الجريمة المحتمل والمصطنع - لكنه اشتمل كذلك على صفاتي الشخصية الحقيقية. قالت الصحافة إنه عندما كنت في المرحلة الثانوية لم أواعد أي فتاة لفترة أطول من أشهرٍ قليلة، أي إنني كنت زير نساء. اكتشفت الصحافة أن والدي موجود في كومفورت هيل، وأن زياراتي له نادرة، وهكذا وُضِعْتُ في خانة الأبناء الجحودين الذين يتخلون عن آبائهم. ردّدت جو بعد سماعها كل فقرة من فقرات نشرة الأخبار: " يا لها من مشكلة. إنهم لا يحبونك. إنها

مشكلة حقيقية جداً " . أعادت الصحافة إلى الأذهان اسمي الأول، وهو الاسم الذي كرهته منذ أيام دراستي الأساسية. كنت أشعر بالاختناق عند سماعي الاسم في بداية كل عامٍ دراسي، أي عندما كان الأستاذ ينادينا بالأسماء: " اسمي نِك. إنني أدعى نِك! " كان الأمر يتكرر عند بداية الدراسة في شهر أيلول: " نِك - أنا - أدعى - نِك! " كان أحد الأولاد الحمقى يمضي فترة الاستراحة وهو يجول في الملعب وكأنه فارس مغوار: " مرحباً، أنا لاااانس " ، ويقول ذلك بصوتٍ shirted - flowy . لكن الأمر كان يضيع في غياهب النسيان حتى السنة التالية.

لكن ليس في هذه المرة. انتشر الاسم في جميع نشرات الأخبار. كان ذلك هو الاسم الثلاثي المرعب والمخصّص للقتلة التسلسليين والقتلة المأجورين، لانس نيكولاس دون - مع فارق هام هو عدم وجود شخص يمكنني مقاطعته.

ركبت مع راند وماريبيت إليوت وجو في سيارة واحدة لحضور الاحتفال. لم يتضح لي كم من المعلومات يتلقاها آل إليوت، وكم يتلقون من المعلومات الجديدة التي تدين زوج ابنتهم. أعرف بأنهم يعلمون بقصة مسرح الجريمة " المصطنع " . قال راند بكل ثقة: " سأجلب بعض الأشخاص الذين أعرفهم، والذين سيقولون لنا العكس تماماً - من الواضح تماماً وجود مسرح صراع. لكن الحقيقة عرضة للتشويه على الدوام، ولهذا يتعيّن عليك انتقاء الخبير المناسب " .

لم يعرف راند بشأن الأمور الأخرى، أي بطاقات الائتمان، والتأمين على الحياة، والدماء، ونويل التي هي الصديقة اللدودة لزوجتي وهي التي تحمل كل الادعاءات التي تدينني: الإهانة، والجشع، والخوف. كان من المقرر أن تظهر في برنامج إلين آبوت في هذه الليلة، عشية العيد. أعتقد أن نويل وإلين سوف تتشاركان في شعور الازدراء تجاهي أمام المشاهدين.

لكني لاحظت أن النفور مني لم يشمل كل الناس. أخذ العمل في الحانة في الازدهار طيلة الأسبوع الماضي: توافد مئات الزبائن بهدف تجرّع الشراب، وتناول الفوشار في مكان يحمل اسم لانس نيكولاس دون، القاتل المحتمل. اضطرت جو إلى توظيف أربعة أولاد إضافيين للعمل في الحانة. حضرت مرةً واحدة وقالت إنها لا تستطيع المجيء مرةً أخرى، وإنها لا تستطيع تحمّل المكان الذي ازدحم ببعض الأغبياء، والمقزّزين، والذين يتجرعون الشراب ويتبادلون الأخبار عني. كان الأمر مقزّزاً. لكن جو اعتبرت،

بالرغم من كل ذلك، بأن المال سوف يساعدنا إذا...

إذا. مضى على اختفاء آمي ستة أيام، وما زلنا نفكر في أمورٍ مثل إذا.

وصلنا إلى المتنزه في سيارةٍ خيّم عليها الصمت إلا من الطَّرْقِ المستمر لظفر ماريبيت على زجاج نافذة السيارة.

قال راند ضاحكاً: " يبدو الأمر وكأنه موعدٌ مزدوج " . اقتربت ضحكته من حدود الهستيريا: طبقة صوتٍ عالية. وأشبه ما تكون بالزعيق. بدأ راند إليوت، عالم النفس العبقري، ومؤلف الأكثر مبيعاً، بالفضفضة. أما ماريبيت فقد لجأت إلى ما يشبه العلاج الذاتي: جرعات من الشراب الصافي في مواعيد محددة ودقيقة، وهي الجرعات التي كانت كافية لإزالة التوتر مع البقاء في حالة الوعي الكامل. أما راند فكاد يفقد عقله فعلياً، وكدت أتصوره [عقله] قافزاً من بين كتفيه مثل انطلاقة دمية لدى فتح الصندوق المضغوط الذي كانت فيه. كو كووووو! تحولت طبيعة راند العفوية إلى ما يشبه الهوس: كان يُظهر وداً مبالغاً فيه مع كل شخصٍ يلتقيه، ويطوّق بذراعيه رجال الشرطة والمراسلين والمتطوعين. كان قريباً جداً بشكلٍ خاص مع " رجل الارتباط " في فندق دايز إن، وهو شاب خجول وتعوزه الرقة يدعى دوني، والذي أحب راند مداعبته كما حرص على إعلامه بأنه يفعل ذلك. كان يقول: " آه، إنني أداعبك فقط يا دوني " ، وما يلبث دوني أن يُطلق ضحكةً عريضة تُظهر مدى حبوره.

توجهت بالشكوى إلى جو في ليلة سابقة: " ألا يتمكن ذلك الشاب من نيل المديح في مكانٍ آخر؟ " قالت لي بأنني أشعر بالغيرة لأن الشخص الذي حلّ مكان والدي [والد زوجتي] يحب شخصاً آخر أكثر مني. كان كلامها صحيحاً.

ربّتت ماريبيت على ظهر راند في أثناء سيرنا نحو المتنزه. فكّرت بأنني بحاجةٍ، بدوري، إلى شخصٍ كهذا يقوم ولو بلمسةٍ واحدة. انطلقت مني، بسرعة وفجأة، تنهيدة مترافقة مع الدموع. أردت شخصاً ما، لكنني لم أكن متأكداً من أنه آندي أو آمي.

قالت جو: " نِك؟ " رفعت يدها نحو كتفي، لكنني أبعدتها عني.

قلت: " أنا آسف. واو، أنا آسفٌ لهذا. إنها ردة فعلٍ غريبة، وحتى إنها أبعد ما تكون عن طبيعة عائلة آل دون " .

قالت جو وهي تتطلع بعيداً: " لا مشكلة في ذلك، لأن كلانا يتصرف

على غير طبيعته " . أحسستُ بأن جو بدأت بالابتعاد عني قليلاً منذ أن اكتشفت وضعي - وهو الوضع الذي اعتدنا على تسميته عدم الإخلاص. يُضاف إلى ذلك الشرود الذي لاحظته في عينيها، والاضطراب الذي يبدو في وجهها، وهكذا بذلت جهدي كي لا أشعر بالاستياء.

لاحظنا فور دخولنا إلى المخيّم بأن فرقَ التصوير انتشرت في كل مكان، ولا أتكلم هنا عن المصورين المحليين بل مصوري الشبكات الكبرى. سار آل دون وإليوت على طول محيط الحشد. كان راند يبتسم ويومئ وكأنه إحدى الشخصيات الهامة التي تزور المدينة. ظهر بوني وجيلبين على الفور تقريباً، كما سارا معنا وكأنهما كلاب صديقة وقوية. يعني ذلك أن منظرهما صار مألوفاً لدينا وأصبحا ملازمَين لنا، ويبدو أن هذا ما سعيا إليه بوضوح. ارتدت بوني الملابس ذاتها التي كانت ترتديها في أي مناسبة عامة: تنورة سوداء وجميلة، وبلوزة مقطعة رمادية اللون، ومشابك شعر تُمسك جهتَي شعرها. إنني الفتاة التي تُدعى بوني موروني... كانت الليلة شديدة الرطوبة، وهكذا تجمّع العرق تحت كل جهةٍ من إبطَي بوني، وشكّل منطقة داكنة من فرط التعرق. تطلعتْ نحوي وابتسمت ابتسامة عريضة وكأن ما جرى البارحة، وكل الاتهامات - كانت تلك اتهاماتٍ، أليس كذلك؟ - لم تحدث أبداً.

ملأ آل إليوت وأنا درج المسرح المؤقت وغير المتين. تطلعت إلى الخلف نحو شقيقتي التوأم، وهي أومأت نحوي وأخذت نفساً عميقاً، فتذكرت أن آخذ نَفَساً بدوري. التفتت ألوف الأوجه نحونا، وكذلك فعل حاملو الكاميرات التي بدأت تومض وتُصدر أصواتها. أبلغت نفسي، لا تبتسم، لا تبتسم.

تفحصتني زوجتي من خلال عشرات القمصان التي تحمل شعار اعثروا على آمي.

قالت جو بأنه يتعين عليّ إلقاء خطاب (يتعيّن عليك إدخال بعض العوامل الإنسانية وبسرعة)، وهذا ما فعلته عندما سرتُ نحو الميكروفون. كان الميكروفون منخفضاً جداً، أي إنه يصل إلى مستوى بطني، وهكذا جهدتُ كي أرفعه لفترة ثوانٍ قليلة، لكنه لم يرتفع إلا بوصاتٍ قليلة، وهو العطل الذي يدفعني إلى الغضب في العادة، لكنه لم يكن من اللائق أن أعبّر عن غضبي أمام هذا الحشد من الناس، وهكذا أخذتُ نَفَساً عميقاً وانحنيت قليلاً وبدأت بقراءة الكلمات التي كتبتها شقيقتي لأجلي: " تعرفون بأن زوجتي، آمي دون، مفقودة منذ نحو أسبوع. لا يمكنني أبداً وصف

القلق الذي تشعر به عائلتنا، وذلك الفراغ العميق في حياتنا الذي تسبب به اختفاء آمي. آمي هي حب حياتي، وهي بمثابة القلب في أسرتها. أقول للذين لم يتعرفوا على آمي بأنها مرحة، وساحرة ولطيفة. إنها حكيمة ودافئة. إنها يدي اليمنى وشريكتي بكل طريقةٍ من الطرق " .

تطلعتُ إلى الحشد المتجمّع، وما لبثتُ أن حددت موقع آندي، وكأن ذلك حدث بطريقة سحرية، لكنني لاحظتُ نظرة الاستياء التي سيطرت على وجهها، وهكذا عدتُ إلى أوراقي.

" آمي هي المرأة التي أريد أن أكبر بالسن وأنا برفقتها، وأعرف بأن هذا سوف يحدث " .

توقف. خذ نَفَساً. لا تبتسم. كتبت جو هذه الكلمات بالفعل على الأوراق. سوف يحدث، سوف يحدث، سوف يحدث. تردد صوتي من خلال مكبرات الصوت، ووصلت هذه الترددات حتى النهر.

" إننا نطلب منكم الاتصال بنا إذا كانت لديكم أيّ معلومات. إننا سوف نُشعل الشموع هذه الليلة على أمل أن تعود إلى المنزل بأمان. أحبك يا آمي " .

جُلت بنظري في كل الاتجاهات ما عدا ذلك الذي تتواجد فيه آندي. تلألأ المتنزه بالشموع، وكان من المفترض أن تخيّم على المكان دقيقة صمت، لكن بعض الأطفال كانوا يبكون، كما أن أحد المتشردين دأب على السؤال بصوتٍ عالٍ، " هاي، ماذا يحدث؟ ولأي سبب؟ " . كان أحدهم يهمس اسم آمي، وما يلبث الرجل أن يقول بصوتٍ أعلى، " ماذا؟ لماذا كل هذا الحشد؟ " .

بدأت نويل هوثهورن بالتحرك إلى الأمام من بين الحشد، وكان أطفالها الثلاثة متعلقين بها. تعلق أحدهم على ردفها، أما الاثنان الآخران فقد تعلق كل منهما بجهةٍ من جهتَي تنورتها. بدا ثلاثتهم في غاية الصغر بالنسبة إلى رجلٍ لم يُمضِ أي وقتٍ مع الأطفال. شقّت نويل طريقها بين الحشد كي تسمح لأطفالها بالمرور، وسارت إلى طرف المنصة حيث تطلعت إلى الأعلى، نحوي. حملقتُ بها، تلك المرأة الشريرة، ثم لاحظتُ، وللمرة الأولى ذلك الانتفاخ في بطنها، وأدركت بأنها حاملٌ مجدداً. شعرت بارتخاءٍ في فمي لمدة دقيقة واحدة - أربعة أطفال دون سن الرابعة، يا الله! لكن تلك النظرة سوف تتعرض للتحليل والنقاش، وسيعتقد معظم الناس بأنها مجرد موجةٍ من الغضب والخوف.

" هاي، نِك " . تسرّب صوتها من خلال الميكروفون نصف المرفوع، ثم

تردد وسط المحتشدين.

بدأت أتحسّس الميكروفون، لكني لم أتمكّن من العثور على زرّ إيقاف التشغيل.

قالت: " أردت فقط أن أرى وجهك " . انفجرت بالبكاء وتساقطت دموعها. وصلت إلى مسامع المستمعين أصوات النشيج الحادة فشعر الجميع بالصدمة والذهول. " أين هي؟ ماذا فعلتَ بآمي؟ ماذا فعلتَ بزوجتك؟ " .

ترددت أصداء الصوت، زوجتك، زوجتك. بدأ اثنان من أطفالها الثلاثة بالنحيب.

عجزت نويل عن الكلام للحظة، لأنها كانت تبكي بشدة. كانت قاسيةً وشرسة، وما لبثت أن أمسكت بحاملة الميكروفون، وجذبتها نزولاً حتى مستواها. فكّرت في جذبه نحوي، لكني أدركت بأنني لا أستطيع أن أفعل أي شيء مع هذه المرأة التي ترتدي لباس الأمومة ولديها ثلاثة أطفال. تفحصتُ الحشد بحثاً عن مايك هوثهورن - لماذا لا تلجم زوجتك - لكني لم أعثر عليه في أي مكان. عادت نويل لمخاطبة الحشد.

" أنا أعزّ صديقة عند آمي، صديقتها! " صديقتها صديقتها صديقتها. ترددت هذه الكلمات في أنحاء المتنزه مع نحيب أطفالها. " لا يأخذ رجال الشرطة كلامي على محمل الجد بالرغم من الجهود التي بذلتها. قررت لهذا السبب تحويل هذه القضية إلى هذه البلدة، هذه البلدة التي أحبّتها آمي، وبادلتها البلدة هذا الحب! أما هذا الرجل، نِك دون، فيتعيّن عليه الإجابة عن بعض الأسئلة. يتعيّن عليه أن يقول لنا ماذا فعل بزوجته! " .

اندفعت بوني من جانب المسرح كي تصل إليها، وما لبثت نويل أن استدارت ثم حدّقت المرأتان ببعضهما بعضاً. رفعت بوني يدها، ورسمت حركة الخنق حول رقبتها: توقفي عن الكلام!

" زوجته الحامل! " .

عجز جميع الحاضرين عن رؤية الشموع وذلك بسبب أضواء الفلاشات التي أفلتت من عقالها. أصدر راند، وهو الذي كان واقفاً إلى جانبي صوتاً أشبه بسقسقة البالون. أما بوني، التي كانت واقفة في أسفل المسرح فقد وضعت أصابعها ما بين حاجبَي عينيها، وكأنها تريد إيقاف ألمٍ في رأسها. لاحظت أن نبضات قلوب الجميع قد تسارعت مثل ما حدث معي.

تطلعت في الحشد بحثاً عن آندي فرأيتها تحدّق بي. كان وجهها مائلاً إلى اللون الزهري ومضطرباً، بينما كان خدّاها رطبين. ما إن تلاقت نظراتنا حتى رسمت في فمها كلمة " أحمق! " وما لبثت أن غابت بين الحشد.

أحسستُ، فجأةً، بوجود شقيقتي إلى جانبي، وهمست في أذني بعد أن سحبتني من ذراعي: " يجب أن نذهب " . سطعت فلاشات الكاميرات نحوي حين وقفتُ مثل أحد وحوش فرنكشتاين خائفاً ومتوتراً بسبب أنوار القرويين المسلطة عليه. أضواء ساطعة، أضواء ساطعة. بدأنا بالتحرك، وتفرقنا قسمين: شقيقتي وأنا فررنا نحو سيارة جو، بينما بقي آل إليوت على المسرح واقفَين بأفواهٍ فاغرة. تركناهما وحدهما كي يتدبرا أمرهما. رشقني المراسلون بوابلٍ من الأسئلة. نِك، هل كانت آمي حاملاً؟ نِك، هل غضبتَ لأن آمي كانت حاملاً؟ أما أنا فأسرعت بالخروج من المتنزه بخطى سريعة، وكأنني علقتُ وسط سيلٍ من المطر: حامل، حامل، حامل. ترددت الكلمة في هذه الليلة الصيفية مثل أصوات زيزان الحصاد.

آمي إليوت دون

15 شباط، 2012

- صفحة يومية -

يا لهذا الزمن الغريب. أنا مضطرة للتفكير بهذه الطريقة في محاولةٍ مني تفحّص الأمر من بعيد: ها - ها، سوف يبدو من الغرابة بمكان التفكير في هذه الفترة الفريدة. هل يا ترى لن أشعر بالمتعة عندما أبلغ الثمانين من عمري وأرتدي الثياب بلون الخزامى الشاحب، وعندها سوف أكون شخصيةً تشعر بالرضا، وتتجرع الشراب بشراهة. ألا تصلح هذه المذكرات لكتابة قصة؟ وهل ستكون قصةً غريبة ومرعبة لأحداثٍ تمكنت من الخلاص منها.

حدث ذلك لأن زوجي يعاني من خللٍ ما، وهو أمرٌ أصبحت متأكدة منه الآن. أجل، أعرف بأنه يمر بفترة حدادٍ على والدته، لكنه يعاني من شيءٍ يتجاوز ذلك. إنه أمرٌ موجهٌ نحوي، ليس حزناً لكن... يمكنني أن أشعر به وهو يراقبني في بعض الأحيان. أتطلع نحوه فجأة فألاحظ بأن وجهه مغمورٌ بالتقزز. يبدو الأمر وكأنه أمسكني walk in on me وأنا أقوم بشيء مرعب، وذلك بدلاً من أكل الحبوب في الصباح أو بتسريح شعري في الليل. إنه غاضبٌ جداً ومتقلب المزاج كثيراً. تساءلتُ ما إذا كان مزاجه مرتبطاً بشيء مادي - ربما حساسية ضد القمح التي تحوّل الناس إلى مجانين، أو ربما يعود الأمر إلى مستعمرةٍ من الفطر العفن التي عطلت دماغه عن العمل.

نزلتُ إلى الطابق السفلي في ليلةٍ سابقة فوجدته جالساً إلى طاولة المائدة مسنداً رأسه بيديه. كان ينظر إلى كومة من فواتير بطاقات الائتمان. راقبتُ زوجي، وكان وحيداً، تحت الضوء الساطع لإحدى الشمعدانات. أردتُ الاقتراب منه والجلوس معه، والتفكير بالأمر مثل ما يفعل الشركاء. لكنني لم أفعل ذلك لأنني أعرف أن ذلك سوف يُغضبه كثيراً. أتساءل في بعض الأحيان إن كان هذا هو سبب نفوره مني، أي لأنه يدعني ألاحظ عيوبه، وهو يكرهني لأنني أعرفها.

لكنه أقدم منذ يومين على دفعي، وبقوة. سقطتُ فاصطدم رأسي بطاولة المطبخ. عجزت عن الرؤية لمدة ثلاث ثوانٍ. لا أعرف، فعلاً، ماذا أقول بهذا الشأن. كانت الصدمة أقوى من الألم. كنتُ أقول له إنه بإمكاني الحصول على وظيفة، أو عملٍ حر، وهكذا يصبح بإمكاننا تأسيس عائلة،

وأن نعيش حياة حقيقية...

قال: " وماذا تسمين الحياة التي نعيشها الآن؟ " .

فكّرت في نفسي، حياة عذاب، لكني بقيت صامتة.

" ماذا تسمين هذه يا آمي؟ هاه؟ أليست هذه حياة بحسب الآنسة الرائعة؟ " .

قلت: " إنها ليست الحياة كما أتصورها " . تقدم نحوي ثلاث خطواتٍ كبيرة. فكّرت عندها: يبدو أنه على وشك... لكنه اندفع نحوي، وبدأت بالسقوط على الأرض.

شهقنا نحن الاثنين. أمسك قبضته باليد الأخرى. بدا وكأنه على وشك البدء بالبكاء. كان في مرحلةٍ تتعدى الأسف، وتصل إلى حدّ الصدمة. لكني أريد أن أوضح شيئاً هنا: كنت أعرف ماذا أفعل، أي إنني كنت أضغط على كل الأزرار فيه. راقبته وهو يتكوّر على نفسه أكثر فأكثر. أردته أخيراً أن يقول شيئاً، وأن يفعل شيئاً حتى ولو كان سيئاً، وحتى لو كان أسوأ شيء، افعل شيئاً يا نِك. لا تتركني هنا مثل الشبح.

لم أدرك أبداً بأنه سوف يفعل ذلك.

لم أفكّر أبداً في ما يمكنني عمله لو أن زوجي هاجمني، وذلك لأنني لا أنتمي إلى مجموعة الزوجات اللواتي يتعرضن للضرب على أيدي أزواجهن. (أعرف ذلك الفيلم لايف تايم [مدى العمر] . أعرف أن العنف يعبر كل العوائق الاجتماعية - الاقتصادية. لكن أن يفعل نِك ذلك؟) إنني أبدو عفوية وحتى سطحية. لكن الأمر يبدو غريباً جداً: إنني زوجة تعرضت للإساءة. آمي الرائعة والمعتدي المحلي.

اعتذر نِك بشدة. (هل يُكثر أي شخص من أي شيء عدا الاعتذار؟ أعتقد أن هذا في غاية اللطف). وافق على التفكير في إمكان خضوعه لاستشارة نفسية، وهو أمر لم أعتقد أبداً بإمكان حدوثه، وهو أمرٌ جيد بحدّ ذاته. إنه رجلٌ في غاية الطيبة في أعماقه، ولذلك أنا مستعدة لنسيان الأمر وللاعتقاد بأن ما حصل كان مجرد استثناءٍ مقيت تسبب به الضغط الذي يتعرّض له كلانا. إنني أنسى في بعض الأحيان أن نِك يشعر بالقدر ذاته من الضغوط الذي أشعر به أنا: إنه يتحمّل عبء إحضاري إلى هنا، وهو يتحمل عبء ملء الفراغ الذي أشعر به. يُضاف إلى ذلك أنه بالنسبة إلى رجلٍ مثل نِك، والذي يؤمن بقوة بالسعادة الذاتية، فإن ذلك العبء قد يكون مثيراً للغضب.

يعني ذلك أن تلك الضربة التي تلقيتها، والتي كانت في غاية السرعة،

لم تبعث فيّ الخوف بحد ذاتها. إن ما أرعبني كان الملامح التي ارتسمت على وجهه عندما ارتميت على الأرض وأنا أختلس النظر إليه، وعندما أحسستُ بما يشبه الرنين داخل رأسي. كانت ملامح وجهه تلك نتيجة للجهد الذي بذله لمنع نفسه من توجيه ضربةٍ ثانية. كم أراد أن يدفعني ثانية، وكم كان من الصعب أن لا يفعل؟ صدمتني طريقة تطلعه إليّ منذ ذلك الحين: الشعور بالذنب، والاستياء إزاء ذلك الذنب. الاستياء الخالص.

يقف نِك الآن في ركنٍ مغرقٍ في الظلمة. قدت سيارتي البارحة إلى مركز التسوق حيث يشتري نصف سكان المدينة المخدرات، وحيث من السهل الحصول على وصفة. أعرف ذلك لأن نويل أخبرتني أن زوجها يتوجه إلى هناك ليشتري الماريجوانا بين وقتٍ وآخر. لم أتوجه إلى هناك كي أشتري الماريجوانا، بل لأنني أردت الحصول على بندقية وذلك تحسباً لحاجتي إليها. أعني إذا تأزمت الحال بيني وبين نِك أكثر من ذلك. لم أدرك بأن اليوم هو يوم العشاق إلا بعد أن وصلتُ إلى هناك. إنه يوم العشاق وأنا ذاهبة لأشتري بندقية، وأطبخ طعام الغداء لزوجي بعد ذلك. قلتُ في نفسي: كان والد نِك مصيباً بشأنك. يا لكِ من ساقطةٍ حمقاء. لأنكِ إذا اعتقدتِ بأن زوجك سيؤذيك فسوف تضطرين لمغادرة هذا المكان. لكن لا يمكنك ترك زوجك الذي يمر في فترة حدادٍ على والدته المتوفاة. لا يمكنكِ ذلك. أما إذا فعلتِ ذلك فسوف تكونين امرأة مريعة، إلا إذا كانت هناك مشكلة خطيرة بالفعل. يتعيّن عليك أن تؤمني فعلاً بأن زوجكِ سوف يؤذيك.

لكني لا أعتقد بأن نِك سوف يؤذيني فعلاً.

إن كل ما في الأمر هو أنني سوف أشعر بأمان أكبر عندما تتواجد بندقية بقربي.

نِك دون

اليوم السادس

دفعتني جو نحو السيارة وأسرعنا بالخروج من المتنزه. مرّت السيارة مسرعة بمحاذاة نويل، وهي التي كانت تسير مع بوني وجيلبين نحو سيارة الشرطة، وكان أطفالها الثلاثة، الذين ألبستهم بكل عناية، يسيرون خلفها وكأنهم ذيل طائرة ورقية. أسرعنا بالسير وسط الحشود: مئات الوجوه، والغضب المتجمّع والمتوجّه نحوي مباشرة. يعني ذلك أن الهروب كان خيارنا الملائم تماماً لما يجري.

تمتمت جو: " يا له من من كمين " .

كررتُ وراءها بصورةٍ آلية: " أيّ كمين؟ " .

" أتعتقد أن ما جرى كان بالصدفة يا نِك؟ أدلت تلك المرأة ذات الأولاد الثلاثة بشهادتها أمام الشرطة مسبقاً. لم تتحدث بشيء عن الحمل " .

" ألا يُحتمل بأنهم يوجهون ضرباتهم الواحدة تلو الأخرى؟ " .

يبدو أن بوني وجيلبين قد سمعا مسبقاً بأن زوجتي حامل، لذلك رسما استراتيجية. يبدو من الواضح بأنهما يعتقدان بأنني قتلتها.

" ستظهر نويل في جميع نشرات محطات الكايبل طوال الأسبوع القادم وستقول بأنك قاتل، وإنها أعزّ صديقةٍ عند آمي، وإنها تريد تحقيق العدالة. إنها ساقطة تسعى وراء الشهرة، ليست إلا ساقطة باحثة عن الشهرة " .

قرّبت وجهي من زجاج النافذة واسترخيتُ في مقعدي. تبعتنا في هذه الأثناء عدة عرباتٍ لمحطات الأخبار. بقينا صامتين في السيارة بينما كانت أنفاس جو تتباطأ قليلاً. راقبتُ النهر ورأيت فرع شجرة يتأرجح ساقطاً نحو النهر.

قالت جو أخيراً: " نِك؟ هل إن... آه... هل كنتَ تعرف... " .

" لا أعرف يا جو؟ لم تقل لي آمي أي شيء. لماذا تُخبر نويل بأنها حامل ولا تخبرني؟ " .

قالت جو: " ولماذا تحاول شراء بندقية من دون أن تخبرني. لا يبدو كل هذا منطقياً أبداً " .

توجهنا للاستراحة في منزل جو، لأن فرق التصوير ستملأ منزلي، لكن ما إن فتحتُ الباب حتى رنّ هاتفي المحمول، الهاتف الأصلي. كان آل إليوت على الطرف الآخر من الخط. تنشقت بعض الهواء بعمق، وتوجهت

نحو الغرفة التي كانت غرفة نومي في الماضي.

" أريد أن أسألك هذا السؤال يا نِك " . كان راند هو الذي يتكلم لكني سمعت أصواتاً صادرة عن جهاز التلفزيون. " أريدك أن تخبرني. هل كنتَ تعلم بأن آمي حامل؟ " .

ترددت قليلاً في محاولة مني تقرير الطريقة الأنسب لصياغة كلامي، أي عدم احتمال حدوث الحمل.

" أجبني بحق السماء! " .

سمحت لي لهجة راند باستعادة هدوئي. تكلمت بصوتٍ هادئ وناعم. " لم نكن أنا وآمي نسعى لحدوث حمل. إنها لم ترغب بأن تكون حاملاً يا راند، ولا أعرف ما إذا كانت ستتمكن من أن تكون حاملاً في يومٍ من الأيام. لم تتكرر... علاقاتنا كثيراً. سأكون... مستغرباً جداً إذا ما كانت حاملاً "

.

" قالت نويل إن آمي زارت الطبيب للتأكد من حصول الحمل. أصدرت الشرطة مذكرة للحصول على هذه السجلات، وسنعرف النتيجة هذه الليلة " .

رأيت جو في غرفة المعيشة جالسةً مع كوبٍ من القهوة الباردة على طاولة ورق اللعب التي كانت تستخدمها والدتي. التفتت نحوي بما يكفي لتُظهر بأنها علمت بوجودي، لكنها لم تسمح لي برؤية وجهها.

سألت جو: " لماذا لا تكفّ عن الكذب يا نِك؟ إن آل إليوت ليسوا أعداءك. ألا يجدر بك أن تقول لهم على الأقل بأنك أنت الذي لا يريد إنجاب أطفال؟ لماذا تحرص على تصوير آمي بطريقة سيئة؟ " .

تمكنت من التغلب على موجة الغضب التي اجتاحتني مجدداً. كانت معدتي متوترة بسبب ذلك الغضب: " إنني متعبٌ كثيراً يا جو. اللعنة. هل نحن مضطرون لخوض هذا الحديث الآن؟ " .

" هل يجب علينا انتظار وقتٍ أفضل؟ " .

" أردتُ إنجاب الأولاد. حاولنا لفترة، لكن الحظ لم يحالفنا. حاولنا كذلك الاستفادة من علاجات الخصوبة، لكن آمي قررت بأنها لا تريد إنجاب الأولاد " .

" قلتَ لي إنك أنت من لا يريد إنجاب الأولاد " .

" كنتُ أحاول تلطيف الوضع " .

" أوه. يا الله. إنها كذبة أخرى. لم أدرك أنك... إن ما تقوله يا نِك ليس منطقياً. كنتُ حاضرة هناك عندما احتفلنا بتدشين الحانة، أي عندما

أساءت ماما فهم ما يجري، وظنّت بأنكما تعلنان انتظار مجيء طفل، وهو الأمر الذي جعل آمي تبكي " .

" حسناً. لا يمكنني تفسير كل شيء قامت به آمي يا جو. لا أعرف لماذا اندفعت قبل سنةٍ من الزمن بالبكاء هكذا. هل هذا يكفي؟ " .

جلست جو بهدوء، بينما شكّلت أنوار الشوارع ذات اللون البرتقالي هالةً حول وجهها تشبه تلك التي تحيط بنجوم موسيقى الروك. تمتمت جو من دون أن تنظر إليّ: " سيكون ذلك اختباراً حقيقياً لك يا نِك، وأنت الذي كنتَ تعاني من متاعب مع قول الحقيقة. كنت تلجأ إلى الأكاذيب الطفولية في كل مرةٍ كنتَ تعتقد فيها بأنها سوف تجنّبك مجادلةً حقيقية. كنتَ تفضّل الطريقة الأسهل على الدوام، وكنتَ تخبر ماما بأنك ذهبت للتمرّن على البيسبول وذلك حتى بعد أن تركتَ الفريق. أخبرتَ والدتي بأنك ذهبتَ إلى الكنيسة في حين أنك ذهبت إلى السينما. يبدو ذلك لي وكأنه دافعٌ لا يقاوم غريب من نوعه " .

" يختلف هذا كثيراً عن البيسبول يا جو " .

" إنه مختلفٌ كثيراً. لكنك ما زلتَ تكذب وكأنك صبيٌّ صغير، وما زلتَ تسعى جاهداً كي يعتقد الجميع بأنك مثالي، كما أنك لم ترغب أبداً بأن تظهر بصورة الرجل السيئ. هذا هو ما دفعك لأن تُبلغ والدَيْ آمي بأنها لا ترغب في إنجاب أطفال. لم تخبرني أبداً بأنك تخون زوجتك، كما أقسمتَ بأن البطاقات الائتمانية التي تحمل اسمك ليست لك. أقسمتَ كذلك على أنك كنتَ على الشاطئ في الوقت الذي تكره فيه الشواطئ، وأنك سعيدٌ بزواجك. لا أعرف الآن ماذا أصدّق من كلامك يا نِك " .

" أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟ " .

" أنت لا تفعل شيئاً منذ اختفاء آمي غير الكذب. يدفعني هذا إلى القلق بشأن ما يجري " .

مرّت لحظة من الصمت الكامل.

" هل تقولين يا جو ما أعتقد بأنك تقولينه؟ لأنه إذا كان الأمر كذلك فإن هذا يعني بأن شيئاً قد مات بيننا " .

" أتتذكر تلك اللعبة التي كنا نلعبها مع ماما عندما كنا صغاراً: هل ستظلين تحبيني إذا؟ هل ستظلين تحبينني إذا ما صفعتُ جو؟ هل ستظلين تحبينني إذا ما قمتُ بسرقة مصرف؟ هل ستظلين تحبينني إذا ما قتلتُ شخصاً ما؟ " .

لم أقُل شيئاً لأن أنفاسي كانت تخرج متسارعةً جداً.

قالت جو: " سأظل أحبك " .

" جو. أتريدين فعلاً أن أقولها؟ " .

بقيَت جو على صمتها.

" لم أقتل آمي " .

بقيَتْ صامتة.

سألتها: " هل تصدقيني؟ " .

" أنا أحبك " .

وضعت يدها على كتفي ثم توجهت إلى غرفتها وأغلقت الباب. انتظرت حتى تُشعل النور في الغرفة، لكن الغرفة بقيَت مظلمة.

رنّ هاتفي الخلوي بعد ثانيتين من الزمن. رنّ الهاتف ذي الخط المؤقت هذه المرة، وهو الهاتف الذي أردتُ التخلص منه ولم أستطع لأنني مضطرٌ دائماً للرد على آندي. " أريد أن نتحدث مرةً في اليوم يا نِك، يجب أن نتحدث مرةً في اليوم " .

أدركت فجأة بأنني أقوم بالصرّ على أسناني.

أخذتُ نَفَساً عميقاً.

تتواجد في الطرف الأبعد من المدينة بقايا حصن يعود إلى الغرب القديم، والذي أصبح الآن متنزهاً آخر لا يقصده أحد. كان برج المراقبة الخشبي المؤلف من طابقين هو كل ما بقي من الحصن. أحاطت بالحصن مجموعات من الأراجيح والنواسات الصدئة. التقيت أنا وآندي هناك في إحدى المرات حيث تلمّسْنا بعضنا بعضاً في ظلال برج المراقبة.

قمتُ بثلاث دورات طويلة حول المدينة بالسيارة القديمة التي كانت تقودها لوالدتي، وذلك كي أتأكد بأن أحداً لا يلاحقني. أعرف أن ذهابي إلى هناك كان ضرباً من الجنون - لم يتجاوز الوقت الساعة العاشرة - لكن لم يعد لي رأي في لقاءاتنا بعد الآن. " أحتاج أن أراك يا نِك، هذه الليلة، الآن، وإلا أقسم لك بأنني سوف أصاب بالجنون " . ما إن اقتربت من الحصن حتى صُدمت بالوحشة التي تخيّم عليه، وما تعنيه هذه الوحشة. كانت آندي مستعدة للقائي، أنا قاتل زوجته الحامل، في مكانٍ منعزل وغير مضاء. تمكنت أثناء سيري نحو ذلك الحصن من خلال الأعشاب الطويلة والشائكة من رؤية حدود شكلها من خلال النافذة الصغيرة لبرج المراقبة الخشبي.

" لن تتأخر في إغرائك يا نِك " . أسرعت الخطى في ما تبقى لي من الطريق.

دخلت بعد ساعةٍ من الزمن إلى منزلي المليء بمصوري الصحف الباحثين عن الفضائح، والذين كانوا بانتظاري. قال لي راند بأنهم سوف يعرفون قبل حلول منتصف الليل ما إذا كانت زوجتي حاملاً. رنّ الهاتف فرفعتُ السماعة على الفور، لكني فوجئت بأن دار رعاية المسنين كومفورت هيل هي على الطرف الآخر من الخط. قالوا لي إن والدي غادر الدار مجدداً، وأنهم أعلموا رجال الشرطة بالأمر. تحدثوا معي، على عادتهم، وكأنني مغفل. إذا حدث ذلك مجدداً فسوف نضطر إلى إلغاء استضافة والدك معنا. اجتاحتني موجة من القشعريرة الشديدة: تصورت أن والدي يسكن معي، ومن شأن هذا أن يجعلنا أسوأ ثنائي مضحكٍ في العالم. لكن النهاية سوف تكون مزيجاً من الجريمة والانتحار. با - دوم - دوم! وسلسلة من الضحكات المسجلة سلفاً.

انتهيت من المكالمة وتطلعتُ من خلال النافذة الخلفية نحو النهر - اهدأ يا نِك - ثمّ رأيت شخصاً جاثماً قرب مرآب القارب. ظننت في البداية أنه أحد الصحفيين التائهين، لكني تعرفت بعد ذلك على شيءٍ ما في قبضتَي يديه المستديرتين والكتفين المشدودين. تبعد كومفورت هيل عن منزلنا مسافة نحو ثلاثين دقيقة سيراً على الأقدام، وذلك عبر طريق النهر مباشرة. تمكّن والدي، بطريقة ما، من تذكّر منزلنا في حين عجز عن أن يتذكّرني.

توجهت إلى الظلمة المخيمة خارج المنزل فشاهدته وهو يغطس إحدى قدميه في ضفة النهر، ومحدّقاً في النهر. بدا لي بأنه أقل ترهلاً من المرة السابقة، لكن رائحة العرق فاحت منه.

" أبي؟ ماذا تفعل هنا؟ يشعر الجميع بالقلق عليك " .

تطلع نحوي بعينيه البنيّتين الداكنتين، بعينين حادتين تفتقدان إلى النظرة الملتمعة التي يكتسبها بعض المتقدمين في السن. كانت نظرته ستكون أقل إثارة للارتياب لو كانت عيناه أكثر قرباً من لون الحليب.

قال لي: " قالت لي أن آتي. قالت لي أن آتي. هذا هو منزلي، ولذلك يمكنني المجيء ساعة أشاء " .

" هل مشيتَ كل الطريق إلى هنا؟ " .

" يمكنني المجيء إلى هنا في أي وقت. يُحتمل بأنك تكرهني، لكنها

تحبني " .

دفعني كلامه هذا إلى الضحك وإن لم أفعل، لأن كثيرين، وحتى والدي، يعيد اختلاق علاقةٍ مع آمي.

بدأ عدد قليل من المصورين الذين كانوا متجمعين في الباحة الأمامية للمنزل بالتقاط الصور. لكن تعيّن عليّ إعادة والدي إلى دار الرعاية. تمكنت في هذا الوقت من تصوّر المقالات التي يعدّها المراسلون والتي تتناسب مع التعليق التالي: أي نوعٍ من الآباء كان بيل دون، وأي رجلٍ قام بتربيته؟ يا الله، ماذا سيحدث لو أن والدي انطلق في إحدى نوبات شتائمه ضد الساقطات... اتصلتُ هاتفياً بدار كومفورت هيل، وما لبثوا أن أرسلوا أحد الموظفين لإعادته، لكن بعد بعض الجدال. حرصت على أن أسير به بهدوء نحو السيارة، وتمتمت بعض العبارات المطمئنة خلال عملية التقاط المصورين لصورهم.

أبي. ابتسمتُ بعد مغادرته، وحاولت أن أظهر بصورة الابن الذي يتمتع بفخرٍ شديد. سألني المراسلون ما إذا قتلتُ زوجتي، لكن ما إن تراجعت نحو المنزل حتى اقتربت مني سيارة تابعة للشرطة.

حضرت بوني إلى منزلي وسط حشود المصورين، وذلك كي تخبرني. فعلتْ ذلك بلطف، وبصوتٍ في منتهى النعومة.

كانت آمي حاملاً.

رحلت زوجتي حاملة طفلي في داخلها. راقبتني بوني منتظرة ردة فعلي - لتجعل منه جزءاً من تقرير الشرطة - ولذلك أمرتُ نفسي، تصرّف بالطريقة الصحيحة ولا تُفسد الأمر. تصرّف بالطريقة التي يتصرف بها الرجل عند سماعه هذه الأنباء. أسندتُ رأسي بيديّ وتمتمتُ، أوه يا الله، أوه يا الله، لكنني عندما فعلتُ ذلك رأيت زوجتي فوق أرض مطبخنا، وقد وضعت يديها حول بطنها بينما كان رأسها مهشماً.

آمي إليوت دون

26 حزيران 2012

- صفحة يومية -

لم يسبق لي أن شعرت بأنني أكثر حياةً. إنه يومٌ صافٍ بدت فيه الطيور جذلى ومسرورة بالدفء بينما النهر في الخارج يجري هادراً. يعني ذلك بأنني حيةٌ تماماً. يُحتمل أن أكون خائفة، ومرتعبة، لكني حيّة.

غادر نِك عند استيقاظي. جلستُ في السرير محدقةً في السقف، ثم راقبتُ الشمس وهي تلوّنه بأشعتها الذهبية، بينما انطلقت الطيور في التغريد خارج نافذتنا، لكني شعرتُ برغبةٍ في التقيؤ. شعرت باختناقٍ في حنجرتي وهي تنقبض وتنبض وكأنها قلب. قلت لنفسي بأنني لن أتقيأ، ثم هُرعت إلى الحمام وتقيأت: الصفراء والماء الساخن، بالإضافة إلى حبة بازلاء صغيرة مرتعشة. لكن بينما كانت معدتي تنقبض وعيناي مليئتين بالدموع، وألهث سعياً وراء أخذ نفس، بدأت بإجراء الحسابات الوحيدة التي تقوم بها المرأة عندما تقف قريبة من المرحاض. إنني آخذ حبوب منع الحمل، لكني نسيت أخذها ليومٍ أو يومين، لكن، أي فرقٍ يمثّله هذا النسيان. إنني في الثامنة والثلاثين من عمري، لكني بالاعتماد على حبوب منع الحمل طوال عقدين من الزمن تقريباً. يعني ذلك بأنني لا أرغب في الحمل من دون إرادتي.

عثرتُ على الاختبارات وراء فاصلٍ زجاجي. اضطررت إلى البحث عن امرأةٍ مسرعةٍ في مشيتها لفتح الخزانة، ثم أشرت إليها بما أردته بينما انتظرتْ هي بنفاد الصبر. ناولتني إياها مع تلك النظرة المألوفة في العيادات وقالت: " حظاً طيباً " .

لم أتمكن من تحديد ما هو الحظ الطيّب: أهو العلامة الإيجابية [زائد] أم العلامة السلبية [ناقص] . قدت السيارة عائدة إلى المنزل، وقرأت التعليمات ثلاث مرات، ثم أمسكت الشريحة [مقياس الاختبار] لفترة الثواني المحددة، ثم وضعتها إلى جانب المغسلة، وأسرعت بالخروج وكأنها قنبلة. مضت ثلاث دقائق قبل أن أفتح جهاز الراديو حيث كانت المحطة تبثّ، بطبيعة الحال، أغنية توم بيتي - لكن هل هناك وقت يقوم المرء فيه بتشغيل جهاز الراديو من دون أن يسمع إحدى أغاني توم بيتي؟ - وهكذا غنّيت مع كلمات " فتاة أميركية " وما لبثت أن عدت زاحفةً إلى

الحمام، وكأن الاختبار يدعوني إلى ذلك، بينما بدأ قلبي بالنبض بشراسة أكبر من المعدل الطبيعي، وهكذا كنتُ حاملاً.

هُرعت عبر الباحة الصيفية ونزلت الشارع. طرقتُ باب نويل عند وصولي إلى منزلها. اندفعت إلى الداخل ما إن فتحت الباب بعيونٍ مليئة بالدموع. عرضت الشريحة [مقياس الاختبار] عليها وصرخت: " إنني حامل! " .

أدركتُ عندها بأن شخصاً آخر غيري يعرف بالأمر، ولهذا شعرتُ بالخوف.

لكن ما إن عدتُ إلى المنزل حتى خطرت فكرتان في ذهني.

الأولى: تصادف ذكرى زواجنا في الأسبوع القادم. يعني ذلك أنه بإمكاني استخدام مفاتيح حل الألغاز لتكون رسائل حب، في حين يظهر في النهاية مهدٌ خشبي. سأقنعه بأننا خلقنا لبعضنا بعضاً، وأننا نشكّل أسرة.

الثانية: أتمنى لو أنني أتمكن من الحصول على تلك البندقية.

أشعر بالرعب في بعض الأحيان، وعلى الأخص عندما يعود زوجي إلى المنزل. طلب مني نِك منذ أسابيع قليلة أن نقوم بالعوم معاً، وأن نطوف في التيار تحت السماء الزرقاء. عمدت عندما طلب مني ذلك إلى إحكام قبضتَي يديّ بالفعل على العمود الخشبي، وتمسكت به. تخيّلته وهو يحرّك الطوف، متظاهراً بأنه يداعبني في البداية، وضاحكاً على الرعب الذي أشعر به. تصورت التصميم الذي يظهر على وجهه، وتخيّلت نفسي وأنا أسقط في الماء العكر بنيّ اللون والموحل، والمليء بالعصي والرمال. تخيّلته بعد ذلك فوقي وهو يمسكني تحت ذراعه القوية إلى أن أتوقف عن المقاومة.

يصعب عليّ عدم التفكير في الأمر. تزوجني نِك عندما كنتُ صبية، وثريةً، وجميلة، وها أنا اليوم أصبحت امرأة فقيرة وعاطلة عن العمل، وأقرب إلى الأربعينيات مني إلى الثلاثينيات من عمري. لم أعد جميلة بعد الآن. لكني جميلة بالنسبة إلى عمري. إنها الحقيقة: تناقصت قيمتي. يمكنني أن أستنتج ذلك من نظرة نِك نحوي. إنها ليست نظرة الرجل الذي وقع على رهانٍ ناجح. إنها نظرة الرجل الذي يشعر بأنه تعرّض للخداع، ولن يطول الأمر قبل أن تتحول تلك النظرة إلى نظرة الرجل الذي وقع في مصيدة. يُحتمل أنه كان يستطيع أن يطلّقني قبل وقوع الحمل. لكنه لن يفعل ذلك الآن مطلقاً، وهو نِك الطيّب. إنه لا يتحمل أن يعتقد الجميع في هذه البلدة التي تحترم القيَم الأسرية أنه ذلك النوع من الرجال الذي يُقدم على التخلي عن زوجته وطفله. أعرف بأنه يفضّل البقاء والمعاناة

معي، وهذا يعني المعاناة والاستياء والغضب.

لا أعتزم إجراء عملية إجهاض، وعلى الأخص لأن الطفل أمضى حتى اليوم ستة أسابيع في بطني، أي إنه أصبح الآن في حجم حبة عدس، كما أن عينيه ورئتيه وأذنيه قد بدأت بالظهور. توجهت إلى المطبخ منذ ساعاتٍ قليلة فوجدت وعاءً سهل الفتح من الحبوب المجففة، وهو الوعاء الذي أعطتني إياه مورين كي أضيفه إلى حسائه المفضل. تناولت حبة عدس ووضعتها على الطاولة. كانت الحبة أصغر من ظفري المطلي باللون الزهري، أي إنها كانت صغيرة جداً. لم أتحمّل ترك هذه الحبة على سطح الطاولة البارد، وهكذا تناولتها وأمسكتها في راحة يدي ثم وضعتها على أقصى طرف أصبعي. وضعتها في جيب قميصي وذلك كي تظل قريبة مني.

لا أعتزم إجراء عملية إجهاض، ولا طلب الطلاق من نِك، ليس الآن على الأقل، وذلك لأنني ما زلت أتذكر كيف غطس في المحيط في ذلك اليوم الصيفي، ووقف على يديه، بينما كانت ساقاه تتأرجحان فوق المياه، وما لبث أن عاد قافزاً حاملاً معه أفضل صَدَفة، وقال إنه جلبها خصيصاً لي. تركتُ أشعة الشمس تبهرني في ذلك الوقت. أغمضتُ عينيّ فرأيت الألوان تلتمع مثل قطرات المطر داخل جفوني، وذلك بينما قبّلني نِك بشفتيه المالحتين. فكّرت عندها، إنني محظوظة جداً، وهذا هو زوجي، وهو الرجل الذي سوف يصبح والد أطفالي، سنكون سعداء جداً.

لكن يُحتمل أن أكون مخطئة، ويُحتمل أن أكون مخطئة جداً. أشعر بهذا بسبب طريقة تطلعه نحوي؟ ذلك الشاب اللطيف الذي كان على الشاطئ، ورجل أحلامي، ووالد طفلي. لاحظتُه وهو يتطلع نحوي بعينين منتبهتين، وبعينَي حشرة وكأنهما تجريان حسابات خالصة. فكّرت في ذلك الوقت: يُحتمل أن يقوم ذلك الرجل بقتلي.

إذا عثرتَ على هذه وكنتُ ميتة، حسناً...

آسفة، إن ذلك لا يدعو للضحك.

نِك دون

بعد مرور سبعة أيام

حان الوقت. تناولت هاتفي عند الساعة الثامنة صباحاً بحسب توقيت المنطقة الوسطى، والتاسعة بحسب توقيت نيويورك. تأكدت بأن زوجتي كانت حاملاً. كنتُ المشتبه به الرئيس والوحيد. عزمتُ على الاستعانة بمحامٍ، واليوم بالتحديد، وهو سيكون ذلك المحامي بالتحديد الذي لم أكن أرغب بالاستعانة به، لكنني كنت بحاجةٍ ماسةٍ إليه.

كان تانر بولت بمثابة الضرورة التي لا بد منها. يُمكن للمرء إذا ما قلّب بين الشبكات المختصة بالقضايا القانونية، وعروض الجرائم الحقيقية، رؤية وجه تانر بولت شديد السمرة، والذي يوحي بالغيرة والقلق إزاء أي موكّلٍ [زبون] يمثّله. تمكّن الرجل من حصد شهرة كبيرة عندما وصل إلى الرابعة والثلاثين من عمره، أي عندما توكّل عن كودي أولسن، وهو صاحب مطعمٍ في شيكاغو والذي كان متهماً بخنق زوجته الحامل، ورمي جثّتها في مكبٍ للنفايات. تمكنت الكلاب البوليسية المدربة على كشف الجثث من ملاحظة رائحة جسمٍ ميت داخل صندوق سيارة المرسيدس التابعة لكودي، وذلك بينما أظهرت عملية بحثٍ في حاسوبه المحمول بأن شخصاً ما قام بطباعة خريطة تُظهر الطريق الأقرب إلى مكب النفايات، وذلك في صباح اليوم الذي اختفت فيه زوجة كودي. كان الأمر في منتهى الوضوح. لكن بعد انتهاء المحاكمة توجهت أصابع الاتهام إلى كثيرين - مركز الشرطة، وعضوين في عصابة غرب شيكاغو، وأحد رجال الأمن الغاضبين في أحد النوادي - لكن ما عدا كودي أولسن الذي خرج من قاعة المحكمة، واشترى شراباً لكل من صادفه في طريقه.

تحول تانر بولت خلال ذلك العقد الذي مضى من السنين إلى صقر الأزواج هوبي هوك، أي إنه كان مختصاً في كسب القضايا الشهيرة، والدفاع عن رجالٍ متهمين بقتل زوجاتهم. نجح الرجل في كسب نصف هذه القضايا، وهي نتيجة لا بأس بها، وذلك بالنظر إلى أن القضايا كانت في غاية الوضوح، وأن المتهمين كانوا غير محبوبين - غشاشين، ونرجسيين، ومن المضطربين عقلياً. اكتسب تانر بولت لقب المدافع عن المخبولين.

كان موعدي مع الرجل عند الساعة الثانية من بعد الظهر.

قالت بصوتٍ يشبه صوت آمي تماماً: " أنا ماريبيت إليوت. اتركوا رسالة من فضلكم، وسوف أعود على الفور... " لكن آمي لن تعود على

الفور.

أسرعتُ بسيارتي نحو المطار كي أستقلّ الطائرة إلى نيويورك بهدف الاجتماع مع تانر بولت. سبق لي أن طلبت الإذن بمغادرة المدينة من بوني لكنها أجابت ضاحكة: لا يفعل رجال الشرطة ذلك في العادة. إنهم يفعلون ذلك في الأفلام فقط.

" مرحباً ماريبيت. أنا نِك مرة أخرى. أريد أن أتحدث إليك. أردت أن أقول لكِ... آه، إنني فعلاً لم أعلم بشأن الحمل. أشعر بالصدمة مثلكِ تماماً... آه، أريد أن أقول لكِ كذلك بأنني سوف أوكّل محامياً. أردت أن تعرفي ذلك. أعتقد أن راند سبق له أن اقترح ذلك. تعرفين، على أي حال، بأنني لا أجيد كثيراً كتابة الرسائل. أتمنى أن تتصلي بي " .

يقع مكتب تانر بولت في منطقة الوسط التجاري للمدينة، وهو مكان ليس ببعيد عن المكان الذي كنت أعمل فيه. رفعني المصعد خمسة وعشرين طابقاً، لكنه كان سريعاً جداً بحيث لم أشعر بحركة المصعد إلى أن أطلقت أذناي طنيناً مفاجئاً. دخلت المصعد في الطابق السادس والعشرين امرأة شقراء مزمومة الشفتين وترتدي بذلة عمل أنيقة. قرعت المرأة أرض المصعد بقدميها بنفاد صبر منتظرة إقفال الأبواب، وما لبثت أن قالت لي: " لماذا لم تضغط الزر الصحيح؟ " وجّهت نحوها الابتسامة التي تعودت إطلاقها نحو النساء الوقحات، وهي ابتسامة مشرقة، والتي كانت آمي تطلق عليها وصف " ابتسامة نِك المحببة " . لكن المرأة تعرفت عليّ بعد ذلك، وقالت: " أوه " . بدت وكأنها شمّت رائحة كريهة. بدت المرأة بأنها أُهينت شخصياً عندما ترجلتُ من المصعد في الطابق الذي يشغله تانر.

كان هذا الرجل هو الأفضل، وأنا احتجت إلى أفضل محامٍ، لكني شعرت بالاستياء لأنني ارتبطت معه بأي طريقة من الطرق - هذا الرجل غير الأخلاقي، والمتفاخر، وهذا المحامي الذي يُدافع عن المذنبين. شعرت بالكراهية سلفاً إزاء تانر بولت، وذلك إلى درجة أنني توقعت أن يبدو مكتبه فوضوياً من دون ترتيب. لكن مكتب بولت وبولت كان العكس من ذلك تماماً، أي إنه كان على مستوى عالٍ يليق بمهنة المحاماة. شاهدتُ من وراء الأبواب الزجاجية النظيفة أناساً يرتدون بذلاتٍ أنيقة وهم يروحون ويجيئون بين المكاتب.

رحّب بي شابٌّ وسيم يضع ربطة عنق بلون الفاكهة الاستوائية،

وأجلسني في منطقة استقبال محاطة بألواح الزجاج والمرايا الملتمعة، وما لبث أن عرض علي بعض الماء (رفضتُ العرض)، ثم عاد إلى طاولة مصقولة، وتناول سماعة هاتف ملتمعة. جلست على الأريكة مراقباً الأفق، ورأيت الرافعات في حركاتها الصاعدة والهابطة، فبدت وكأنها طيور ميكانيكية. فتحتُ بعد ذلك مفتاح لغز آمي الأخير من جيبي. السنة الخامسة هي سنة الخشب. هل إن هذا سوف يكون الجائزة النهائية في عملية البحث عن الكنز؟ هل هو شيء يخصّ الطفل: مهدٌ خشبي محفور باليد، وآلة خشبية تُصدر الأصوات؟ إنه شيء يخصّ طفلنا، ويخصّنا، كما يهدف إلى أن نبدأ من جديد، والانطلاقة الجديدة لأسرة دون.

اتصلت بي جو خلال تحديقي بمفتاح اللغز.

سألتْ على الفور: " هل يجري كل شيء معنا على ما يرام؟ " .

اعتقدتْ شقيقتي بأنني القاتل المحتمل لزوجته.

" إننا على ما يرام إلى حد ما يمكننا ذلك مجدداً، وبالنظر إلى الظروف المستجدة " .

قالت جو: " نِك. أنا آسفة. أتصل بك الآن لأقول لك بأنني آسفة. استيقظتُ هذا الصباح وشعرت بأنني مجنونة كلياً، وحتى بغيضة. أشعر بأنني فقدتُ صوابي. إن ما حدث كان مجرد نزوة. إنني أعتذر فعلاً، وبصدق " .

بقيتُ صامتاً.

" يتعين عليك أن تسمح لي بذلك يا نِك: الإجهاد والإرهاق... إنني آسفة... فعلاً " .

قلتُ كاذباً: " لا بأس " .

" لكنني مسرورة بالفعل لأن ذلك أدى إلى تنقية الجو " .

" كانت حاملاً بالفعل " .

شعرت بتوترٍ في معدتي. شعرت مجدداً وكأنني نسيت شيئاً مهماً. تجاهلتُ أمراً وسأقوم بدفع ثمن هذا التجاهل.

قالت جو: " إنني آسفة " . انتظرتْ لحظاتٍ قليلة. " إن حقيقة القضية هي... " .

" لا يمكنني التحدث عن هذا. إنني فعلاً لا أستطيع " .

" حسناً " .

قلت: " إنني في نيويورك في الحقيقة، ولديّ موعد مع تانر بولت " .

أخرجتُ نَفَساً عميقاً.

" شكراً لله. هل تمكنت من رؤيته بهذه السرعة؟ " .

" هذا نتيجة الوضع اليائس لقضيتي " . تمكنتُ من الوصول إلى تانر على الفور - انتظرتُ ثلاث ثوانٍ بعد أن عرّفته باسمي. لكن عندما أخبرته عن الاستجواب الذي جرى في غرفة المعيشة في منزلي حول مسألة الحمل أمرني بأن أسرع لأستقل أول طائرة إلى نيويورك.

أضفتُ: " إنني في وضعٍ يائس " .

" أنت تقوم بالأمر المناسب، فعلاً " .

مرّت فترة صمتٍ أخرى.

قلتُ محاولاً التخفيف من خطورة الموقف: " لا يمكن أن يكون اسمه تانر بولت، أليس كذلك؟ " .

" سمعت بأنه صيغة أخرى من اسم راتنر تولب " .

" حقاً؟ " .

" كلا " .

ضحكت. أعرف بأنه شعور غير مناسب، لكنه شعور مريح. رأيت الرجل الذي يحمل لقب راتنر تولب بعد ذلك وهو يسير متجهاً نحوي، وكان يرتدي بذلة مقلمة باللون الأسود وربطة عنق باللون الأخضر، بينما بدت على وجهه ابتسامة مفترسة. دخل المكتب ماداً يده ومصافحاً بطريقة عملية.

" نِك دون. أنا تانر بولت. تعالَ معي من فضلك. دعنا نبدأ العمل " .

بدا لي بأن مكتب تانر بولت مصممٌ ليشبه ميداناً للعبة الغولف المخصّص للرجال فقط. مقاعد جلدية مريحة، ورفوفٌ سميكة مليئة بكتب القانون، ومدفأة تعمل على الغاز تتمايل ألسنتها نتيجةً لأجهزة التكييف. يقول لسان حال الرجل، اجلس وتناول سيجاراً، وقدّم شكواك بشأن الزوجة، ويمكنك أن تروي بعض النكات الغامضة بيني وبينك.

تعمّد بولت أن لا يجلس وراء طاولته، بل قادني نحو طاولة لرجلين. بدا الأمر على وشك البدء بلعبة شطرنج. قال بولت من دون أن يضطر للنطق بالكلمات، هذه محادثة بيننا نحن، الشركاء. سنجلس إلى طاولة غرفة الحرب الصغيرة هذه كي نبدأ العمل.

" تبلغ أتعابي يا سيد دون مئة ألف دولار. إنه مبلغ كبير من دون شك. أريد لذلك أن أكون واضحاً بشأن ما يمكن أن أعرضه وما أتوقعه

منك. هل اتفقنا؟ " .

قال ذلك من دون أن يرفّ له جفن. بالإضافة إلى ابتسامة متعاطفة، ثم انتظر إيماءتي. إن تانر بولت هو الوحيد الذي يتمكن من جعلي زبونه، وأن أسافر إليه، وذلك قبل أن يقول لي كيف أتصرف كي يأخذ مالي.

" إنني أكسب، يا سيّد دون، القضايا التي يستحيل كسبها. أما القضية التي أعتقد بأنك سوف تواجهها بعد وقتٍ قصير هي - لا أريد إخافتك هنا - هي قضية صعبة. متاعب مالية، وزواج متعثّر، وزوجة حامل. تقف وسائل الإعلام ضدك، وكذلك الرأي العام " .

حرّك خاتماً منقوشاً في يده اليمنى، وانتظر كي أبرهن له بأنني أصغي إلى كلامه. سبق لي أن سمعت تلك العبارة على الدوام: يحمل الرجل عند وصوله إلى سن الأربعين الوجه الذي تمكّن من كسبه. كان وجه بولت في سن الأربعين وجهاً يوحي بأنه يلقى اهتماماً كبيراً، ويكاد يخلو من التغضنات، وممتلئاً بحب الذات بطريقة تبعث على الارتياح. رأيت أمامي رجلاً واثقاً من نفسه، والأفضل في ميدان مهنته، ورجلاً يحب حياته.

قال لي بولت: " لن تكون هناك من الآن فصاعداً مقابلات مع رجال الشرطة من دون حضوري. إنني آسفٌ جداً لأنك أجريتَ تلك المقابلات. لكن قبل أن نصل إلى الجزء القانوني من المسألة سوف يتعيّن علينا أن نبدأ بالرأي العام، لأنني أفترض بحسب ما تجري عليه الأمور أنه سوف يجري تسريب كل شيء: الأنباء عن بطاقات ائتمانك، والتأمين على الحياة، ومسرح الجريمة المفترض بأنه مصطنع، والدماء التي جرى مسحها عن الأرض. يبدو الأمر في غاية السوء يا صديقي. إنها حلقة مفرغة: يعتقد رجال الشرطة بأنك فعلتَها، وهم أخبروا الناس بذلك. غضب الناس وطالبوا بإلقاء القبض عليك. أولاً، يتعيّن علينا العثور على مشتبهٍ به يكون بديلاً عنك. ثانياً، يتعيّن علينا المحافظة على دعم والدَيْ آمي، كما لا يمكنني التشديد كفاية على هذه النقطة. ثالثاً، يتعيّن علينا تحسين صورتك، لأن ذلك سوف يؤثر على رأي هيئة المحلفين أثناء المحاكمة. إن تغيير الموقع لا يعني شيئاً بعد الآن - الخدمات البرقية على مدار الساعة، والإنترنت، أي إن العالم كله أصبح مسرحك. لا يمكنني التشديد كفاية على أهمية تغيير هذا الأمر بأكمله " .

" أود ذلك بدوري، صدّقني " .

" كيف تجري الأمور مع والدي آمي؟ أيمكنك إقناعهم بكتابة تصريح دعمٍ لك؟ " .

" لم أتكلم معهما منذ تأكدنا أن آمي كانت حاملاً " .

قال تانر عابساً: " قلْ إن آمي هي حامل. إنها حامل الآن. لا تذكر أبداً زوجتك بصيغة الماضي " .

" اللعنة " . أسندتُ رأسي بيديّ الاثنتين للحظة. لم ألاحظ حتى ما قلته.

قال بولت بلهجةٍ تشجيعية: " لا تقلق لهذا معي. لكن إياك أن تفعل هذا في أي مكانٍ آخر. انتبه جيداً، ومنذ الآن فصاعداً لا أريدك أن تفتح فمك قبل أن تفكر جيداً بما ستقوله. إذاً لم تتحدث مع والدَي آمي. لا أحب سماع هذا. لكنني أعتقد بأنك حاولتَ الاتصال بهم " .

" تركتُ لهما رسائل عدة " .

كتب بولت شيئاً على رزمة أوراقٍ قانونية باللون الأصفر. " حسناً، يتعيّن علينا الافتراض أن هذه هي الأنباء السيئة بالنسبة إلينا. يتعيّن عليك أن تتصل بهم، لكن ليس في أي مكانٍ علني، أي حيث يعمد أحد المغفلين الذين يحملون هاتفاً مزوداً بكاميرا إلى التقاط صورتك، وعندها يُحتمل بأننا سوف نعاني من لحظة شاونا كيلي أخرى. يُمكنك كذلك إرسال شقيقتك في مهمة مراقبة لتنوب عنك، ولكي تعرف ما يجري. أريدك أن تفعل ذلك بالفعل، وهذا أفضل بالنسبة إليك " .

" حسناً " .

" أريدك أن تحضّر لي لائحة يا نِك. أريدك أن تذكر كل الأمور اللطيفة التي حققتها لآمي على مرّ السنين. إنني أتحدث عن الأشياء الرومانسية وعلى الأخص في هذه السنة التي مرّت، وحساء الدجاج الذي حضّرته لها عندما مرضت، أو رسائل الحب التي بعثتها لها عندما كنتَ في رحلة عمل. لا أريدك أن تذكر أي شيء مبهرج. لا أكترث بالمجوهرات التي اشتريتها لها إلا إذا كانت منتقاة أثناء عطلة أو ما يشبه ذلك. إننا بحاجة إلى أمورٍ شخصية حقيقية هنا، وأشياء رومانسية مثل تلك التي تحدث في الأفلام السينمائية " .

" وماذا إذا لم أكن من صنف الرجال الرومانسيين الذين يظهرون في السينما " .

زمّ تانر شفتيه ثم دفعهما إلى الخارج. " يمكنك أن تخترع شيئاً يا رجل. هل اتفقنا يا نِك؟ يبدو بأنك رجلٌ طيب. إنني متأكد من أنك قمتَ بعملٍ طيب خلال السنة الفائتة " .

لم أتمكن من التفكير بأمرٍ لائقٍ قمتُ به خلال السنتين الماضيتين. أما

في نيويورك، وخلال السنوات القليلة الأولى من زواجنا فقد كنتُ حريصاً كل الحرص على إرضاء زوجتي، وعلى العودة إلى تلك الأيام المتحررة عندما كانت آمي تتوقف أمام موقف سيارات تابعٍ لصيدلية وتقفز إلى ذراعيّ، وكان ذلك احتفالاً عفوياً بشرائها مرذة لشعرها. كانت تضغط بوجهها على وجهي طوال الوقت بينما كانت عيناها الملتمعتان في أقصى حدود اتساعهما، ورموشها الصفراء تعانق رموشي، وحرارة أنفاسها تحت أنفي مباشرة. يا لسذاجة ما فعلناه! حاولتُ بعد ذلك على مدى عامين من الزمن بينما كانت صورة زوجتي القديمة تتلاشى بعيداً. حاولتُ بجدية، أي إنه لم تحدث نوبات غضب، ولا جدالات، ولا تذلّل دائم، ولا استسلام، ومن دون صورة الزوج الذي يظهر في المسلسلات الفكاهية، نعم يا عزيزتي، بالطبع يا حبيبتي. تبخرت الطاقة اللعينة من جسدي، بينما أفكاري المسعورة كانت تحاول تصور كيفية جعلها سعيدة، وكان كل عملٍ أقوم به، وكل محاولة تجابه بعينين مقلوبتين، أو بتنهيدة حزينة صغيرة، التنهيدة التي تعني بأنك لم تفهم قصدي.

لكن في الوقت الذي عدنا فيه إلى ميسوري كنت مغموراً بمشاعر الغضب. شعرت بالخجل من الحالة التي كنتُ عليها سابقاً - فأنا تحولت إلى رجلٍ محطمٍ، بل إلى بقايا رجل. يعني ذلك أنني لم أعد رومانسياً، وحتى إنني لم أعد لطيفاً.

" أريد كذلك لائحة بالأشخاص الذين يُحتمل بأنهم تسببوا بالأذى لآمي، والذين يمتلكون أي شيء ضدها " .

" أنا مضطرٌّ للقول إنها حاولت شراء بندقية في وقتٍ سابقٍ من هذه السنة " .

" هل تعرف الشرطة بذلك؟ " .

" أجل " .

" وهل عرفتَ أنتَ بالأمر؟ " .

" لم أعرف قبل أن يخبرني الرجل الذي حاولت أن تشتري البندقية منه " .

لم يستغرق أكثر من ثانيتين في التفكير. قال لي: " إذاً أراهن بأن نظرية الشرطة هي أنها أرادت الحصول على بندقية لحماية نفسها منك. كانت منعزلةً وخائفة. لكنها أرادت أن تثق بك، وأحسّت بأن شيئاً ما لا يسير على ما يرام، ولذلك أرادت الحصول على البندقية في حال تحققت أسوأ مخاوفها " .

" واو. أنت على صواب " .

قال: " كان أبي شرطياً. لكنني أحببتُ فكرة البندقية. نحتاج الآن إلى شخصٍ ليكون متهماً غيرك. لا أريد شخصاً بعيداً جداً. أريد أن أعرف ما إذا كانت تتجادل مع أحد الجيران باستمرار بسبب كلبٍ لا يكفّ عن النباح، وما إذا كانت مضطرة لصدّ أحد الرجال الذين يلاحقونها بقصد التغزّل بها، أو أي معلوماتٍ أخرى قد تكون عندك. ماذا تعرف عن تومي أوهارا؟ " .

" حسناً! أعرف بأنه اتصل مراتٍ قليلة بالهاتف المخصّص للمعلومات السرية " .

" اتُّهم الرجل باغتصاب آمي أثناء مواعدته لها في العام 2005 " .

شعرت أن فمي ينفتح، لكنني لم أقل شيئاً.

" كانت تواعده بين حينٍ وآخر. تواعدا على تناول طعام الغداء في منزله، لكن الأمور أفلتت من عقالها، واغتصبها بحسب ما تقوله مصادري " .

" في أي شهرٍ من العام 2005 حدث ذلك؟ " .

" أيار " .

حدث ذلك في فترة الشهور الثمانية التي فقدتُ الاتصال فيها مع آمي - أي في الوقت ما بين لقائنا الذي جرى في ليلة رأس السنة وعثوري عليها مجدداً في الجادة السابعة.

شدّ تانر ربطة عنقه، وحرّك طوق زفاف مرصعٍ بالألماس بينما كان يتفحصني. " ألم تخبرك بهذا؟ " .

قلت: " لم أسمع ولو كلمة واحدةٍ بهذا الخصوص، ومن أي شخص، وعلى الأخص من آمي " .

" يُحتمل بأنك سوف تفاجأ إذا ما علمتَ عدد النساء الذين يعتبرون ذلك عاراً، ويخجلن به " .

" لا يمكنني تصديق أنني... " .

قال: " إنني أحاول أن لا أعقد اجتماعاً مع أحد زبائني من دون أن أحضر له معلوماتٍ جديدة. أريد أن أظهر لك مدى جديتي بقضيّتك، ومدى حاجتك إلى خدماتي " .

" أيُحتمل أن يكون هذا الرجل مشتبهاً به؟ " .

قال تانر من دون اكتراث: " بالتأكيد، ولِمَ لا. يحمل الرجل سجلاً عنيفاً مع زوجتك " .

" هل دخل السجن؟ " .

" أسقطت التهمة عنه، ولم ترغب الإدلاء بشهادتها على ما أفترض. إذا ما قررنا أن نعمل سوية فسأحرص على أن يتمّ التحقيق معه. أريدك في هذا الوقت أن تتذكر أي شخص أبدى اهتماماً بزوجتك، وأفضّل أن يكون شخصاً مقيماً في قرطاجة، لأن ذلك سيكون أقرب إلى التصديق. أما الآن... " وضع تانر ساقاً فوق ساق، وكشف عن الصفّ الأسفل من أسنانه، ثم انحنى واحمرّ خداه. وضع الرجل أسنانه غير المنتظمة فوق شفته العليا للحظةٍ واحدة. قال: " إليك الآن الجزء الأصعب يا نِك. أريد منك أقصى درجةٍ من درجات الصدق، لأن الأمر لن ينجح من دون ذلك. أريدك أن تخبرني كل شيء عن زواجك، وحتى أسوأ ما فيه، وذلك كي أتمكّن من وضع خطة. لكن إذا فوجئتُ بشيء فسوف نقع في مأزق، وإذا وقعنا في مأزق فمعنى ذلك بأنكَ وقعتَ في ورطة، وكذلك لن أتمكن من قبض مبلغ أربعة آلاف دولار.

أخذتُ نفساً عميقاً، وحدّقت إلى عينيه مباشرة. " أقدمتُ على خيانة آمي. كنت أخون آمي " .

" حسناً. هل خنتَها مع نساءٍ عديدات، أم مع واحدة فقط " .

" كلا، ليس مع نساءٍ عديدات. لم أخنها من قبل " .

سأل بولت قبل أن يتطلع بعيداً ليحدّق إلى لوحةٍ مائية لقاربٍ شراعي، وبعد أن انشغل بتحريك خاتم زفافه: " إذاً، هل فعلتَ ذلك مع امرأةٍ واحدة؟ " أمكنني عندها أن أتخيّله وهو يتصل هاتفياً بزوجته بعد ذلك ليقول لها، مع امرأةٍ واحدة فقط، مع امرأةٍ واحدةٍ فقط، أريد أن أرى رجلاً ليس بمغفل.

" أجل، مع فتاة واحدةٍ فقط، إنها... " .

قال بولت: " لا تقل فتاة. إياك أن تقول فتاة. قل امرأة، امرأة تعنيك كثيراً بشكلٍ خاص. أتعتزم أن تقول ذلك؟ " .

" كانت بالطبع تعنيني بشكلٍ خاص " .

" تعرف يا نِك بأن كلمة بشكلٍ خاص هي أسوأ بكثير من - حسناً. ومنذ متى استمرت علاقتكما؟ " .

" استمرت منذ أكثر من سنة بقليل " .

" هل تحدثت معها منذ أن اختفت آمي؟ " .

" أجل. تكلمت معها على هاتفي المؤقت. التقيتها شخصياً مرة واحدة، أو مرتين. لكن... " .

" شخصياً " .

" لم يرنا أحد. يمكنني أن أقسم بذلك، لكن في ما عدا شقيقتي " .

أخذَ نفساً عميقاً وتطلع على لوحة القارب الشراعي مجدداً. " وما هو... ما هو اسمها؟ " .

" آندي " .

" وما رأيها في كل ما حدث؟ " .

" كان موقفها عظيماً... إلى حين إعلان قصة الحمل. أعتقد بأنها الآن متوترة... قليلاً. أعني أنها محتاجة جداً... لكن هذه الكلمة غير مناسبة... " .

" قل ما تريد أن تقوله يا نِك. إذا كانت محتاجة، إذا... " .

" إنها محتاجة، ومتمسكة بي، وتحتاج إلى الكثير من الطمأنينة. إنها فتاة في منتهى الطيبة بالفعل، لكنها شابة. كان من الواضح بأن الأمر صعبٌ عليها " .

توجّه تانر بولت إلى مشربه الصغير وتناول زجاجة شراب. كانت الثلاجة مليئة بأكملها بزجاجات من الماركة نفسها. فتح الزجاجة وشربها بجرعاتٍ ثلاث، ثم مسح شفتيه بمنديلٍ من القماش. قال لي: " يتعيّن عليك أن تقطع علاقتك مع آندي، بالكامل وإلى الأبد، وأن تقطع كل اتصالاتك معها " . بدأتُ بالكلام، لكنه وجّه راحة يده نحوي وتابع: " على الفور " .

" لا يمكنني قطع علاقتي معها بهذا الشكل، ومن دون سابق إنذار "

.

" إنه أمرٌ لا يقبل الجدال يا نِك. أعني، ما بك يا صاحبي، هل أنا مضطرٌّ لأن أقول لك هذا؟ لا يمكنك أن تواعد امرأة بينما زوجتك الحامل مفقودة. سيؤدي بك ذلك إلى السجن. لكن المسألة الآن هي كيفية قطع علاقتك معها من دون أن يؤدي ذلك إلى تحوّلها ضدّنا، ومن دون أن يترك ذلك ضغينة في قلبها، وبحيث يتكون عندها دافعٌ للجوء إلى الرأي العام، وبحيث لا تترك عندها إلا الذكريات الحميمة. اجعلها تعتقد بأن هذا هو العمل المناسب، وكوّن عندها الرغبة بإبقائك آمناً. كيف حالك مع قطع العلاقات؟ " .

فتحتُ فمي، لكنه لم ينتظر.

" سوف نقوم بتحضيرك لهذه المحادثة بالطريقة ذاتها التي سنحضّرك فيها لجلسة الاستجواب. هل اتفقنا على ذلك؟ والآن، إذا كنتَ تريدني أن أدافع عنك، فسوف أسافر إلى ميسوري لأقيم مركزاً كي نبدأ بالعمل الفعلي على هذا الأمر. يمكنني أن أكون معك في الغد إذا كنتَ تريدني أن أكون

محاميك. هل تريد ذلك؟ " .
" أريد ذلك " .

عدت إلى قرطاجة قبل موعد العشاء. لكن كان من المستغرب أنه ما إن تمكّن تانر من إزاحة آندي عن الصورة - أي عندما اتضح بأنها لا يمكن أن تبقى فيها، هكذا ببساطة - حتى تقبلت الأمر بسرعة، ولم أشعر بأسفٍ كبيرٍ حيالها. تحولت خلال هذه الرحلة الواحدة التي استغرقت ساعتين من الزمن من حالة الوقوع في الحب مع آندي إلى نقيضها تماماً. بدا الأمر أقرب شيء إلى عبور باب. تحولت علاقتنا على الفور إلى ذكرى: الماضي. لكن، أليس من الغريب بأنني دمرت زواجي بسبب تلك الفتاة الصغيرة، والتي لا أتشارك معها بشيء سوى حبّنا للضحك والشراب البارد.

ستقول جو إنك على ما يرام بطبيعة الحال بعد قطع علاقتك معها. لا بد وأن الأمر كان صعباً.

لكن كان هناك سبب أفضل: أخذت صورة آمي تكبر أكثر فأكثر في ذهني. صحيحٌ أنها اختفت، لكنها كانت مع ذلك حاضرة في ذهني أكثر من أي شخصٍ آخر. وقعت في حبّ آمي لأنني كنت نِك المتفوق معها. جعلني حبّها إنساناً يتعدى قدرة البشر، تركني ذلك مع شعورٍ بأنني حي. كانت صعبة في أسهل حالاتها، وذلك لأن دماغها كان في حالة عملٍ وعمل مستمر لا ينتهي. تحتّم عليّ، لهذا السبب، أن أُجهد نفسي في محاولةٍ للّحاق بها. كنت أمضي ساعةً من الزمن في محاولة صياغة رسالة عادية بالبريد الإلكتروني وإرسالها إليها، كما أصبحت طالباً في المعارف الخاصة بهدف إبقاء اهتمامها بي: شعراء البحيرة، شيفرة دويلو [المبارزة]، والثورة الفرنسية. كان عقلها واسعاً وعميقاً، كما أصبحتُ أكثر ذكاءً لمجرد وجودي معها، وأصبحت أكثر حرصاً على حقوق الآخرين، وأكثر نشاطاً، وأكثر سرعة في الحركة، وكل ذلك بسبب آمي. يعني ذلك أن الحب أشبه شيء بالمخدرات، أو بالشراب، أو بالصور الفاضحة، وأنه لا سقف له. يتعيّن على كل موقف أن يكون أكثر عمقاً من الموقف السابق، وذلك لتحقيق النتيجة ذاتها.

دفعتني آمي إلى الإيمان بأنني رجلٌ استثنائي، وأنني وصلت إلى مستواها في الأداء، وأن ذلك كان نتيجة جهدنا وانفتاحنا على بعضنا بعضاً. لكن بسبب عجزي عن التعاطي مع متطلبات العظمة بدأت بالسعي وراء السهولة والوسطية، إلا أنني كرهتُ نفسي لهذا السبب. أدركتُ أخيراً بأنني

عاقبتها على هذا الوضع، وهكذا حوّلتها إلى ذلك الشيء الهشّ والعصبي. تظاهرتُ بأنني رجلٌ عطوف، لكنني كشفت عن ذاتٍ مختلفةٍ لي. أما الأسوأ من ذلك كله فهو أنني أقنعتُ نفسي بأن مأساتنا من صنعها. أمضيتُ سنواتٍ طويلة في تحويل ذاتي إلى ذلك الشيء بالتحديد الذي أقسمتُ بـأنه يمثّلها: كرة كراهية متفاخرة.

تفحصت مطولاً مفتاح اللغز الرابع خلال رحلة عودتي، وذلك إلى درجة أنني حفظته عن ظهر قلب. أردت أن أعذّب نفسي. لم أشعر بالدهشة لأن رسائلها كانت مختلفةً جداً هذه المرة: زوجتي حامل، وهي أرادت أن نبدأ من جديد، وأن تعود بنا إلى حياتنا المدهشة والسعيدة والمفعمة بالحيوية. أمكنني أن أتصورها وهي تجول في أنحاء المدينة لتخبئة هذه الرسائل اللطيفة، ولكي تشعر بتلهف تلميذة المدرسة كي أصل إلى النهاية - أي الإعلان بأنها حاملٌ بطفلي. الخشب، ولا بد أنه مهدٌ من الطراز القديم. إنني أعرف زوجتي، ولذلك لا بد وأن يكون مهداً قديماً. لم تُكتب هذه الرسالة بنبرة المرأة التي تتوقع ولادة طفلها:

تخيّلني: إنني الفتاة السيئة جداً
إنني أستحق العقاب، وبالعقاب فأنا أعني الامتلاك
إنه حيث تخزّن أغراضك للذكرى الخامسة
اعذرني إذا كان ذلك صعباً بعض الشيء!
أمضينا وقتاً رائعاً عند الظهيرة المشمسة
ثم مضينا لتناول بعض الشراب، وكنا مرحين جداً
أسرِع إلى هناك على الفور وكن ممتلئاً بالتنهدات الحلوة،
وافتح الباب لتتسلم هديتك المفاجئة.

لم أكن على مسافة كبيرة بعيداً عن المنزل عندما فهمت اللغز. حيث تخزن أغراضك للذكرى الخامسة: لا بد وأن تكون هذه الأغراض مصنوعة من الخشب. إنزال العقاب يعني أخذ شخصٍ ما إلى ذلك المستنقع الذي يقع خلف منزل شقيقتي - وهو مكان لتخزين قطع آلة جزّ العشب والأدوات الصدئة - وهو عبارة عن مبنى خارجي قديم ومهمل، وهو أشبه شيء بالأماكن التي تظهر في الأفلام السينمائية حيث يتعرض المخيّمون إلى الإبادة البطيئة. لم يسبق أن ذهبت جو إلى هناك، وكم داعبتنا بأنها تريد

إحراقه، وذلك منذ انتقالها إلى المنزل. لكنها أضافت إليه أغراضاً أخرى. كنا نمازح بعضنا بعضاً بأنه مكان مناسب لدفن جثةٍ ما.

لا يمكن أن يكون الأمر كذلك.

قدت السيارة عبر المدينة، وشعرت بخدرٍ في وجهي وبرودة في يدي. رأيت سيارة جو مركونة أمام المدخل، لكني تجاوزتها ومررت بمحاذاة نافذة غرفة المعيشة ونزلت المنحدر الحاد، وهكذا أصبحت خارج مجال رؤيتها، وخارج مجال رؤية أي شخص. يعني ذلك بأنني أصبحت وحيداً ومنعزلاً تماماً.

رأيت في نهاية الباحة ذلك الكوخ إلى جانب صف من الأشجار.

فتحت الباب.

لا، لا، لا، لا، لا.

الجزء الثاني: الفتى يلتقي الفتاة

يوم من أيام

آمي إليوت دون

أشعر بسعادةٍ أكبر بكثير بعد أن أصبحتُ ميتة.

لكني مفقودة من الناحية التقنية، أي إن الأمر لن يطول كثيراً قبل أن يفترضوا بأنني ميتة. دعنا نقول ميتةً اختصاراً. يعني ذلك أن الأمر هو مسألة ساعات، لكنني أشعر بالارتياح سلفاً: المفاصل المرتخية، والعضلات غير المنتظمة. أدركت في وقتٍ ما من هذا الصباح غرابة وضع وجهي، أي إنه يبدو مختلفاً. تطلعت في المرآة الخلفية - أصبحت قرطاجة المريعة ورائي بمسافة ثلاثة وأربعين كيلومتراً، بينما زوجي غير المكترث بي يجول حول مشربه البشع وكأن جثة معلقة على سلك بيانو رفيع فوق رأسه ولا يعرف بشيء. أدركت بأنني أبتسم. ها! إنه أمرٌ جديد.

تتواجد القائمة الخاصة بهذا اليوم فوق المقعد المجاور، وهي واحدة من عددٍ آخر من القوائم التي حضّرتها على مدى السنة الماضية. ظهرت نقطة دمٍ إلى جانب البند رقم 22 : جرح الذات. سيقول قراء اليوميات، لكن آمي تخاف من الدماء. (اليوميات، أجل! سأتحدث لاحقاً عن يومياتي الباهرة). كلا، أنا لا أخاف أبداً من الدماء، لكني واظبت على مدى السنة الماضية على ترداد بأنني كذلك. أبلغتُ نِك، وربما ست مرات، بأنني أخاف من منظر الدماء، لكنه عندما قال: " لا أتذكر بأنك كنتِ خائفة من الدماء " ، أجبته: " سبق أن قلتُ لك. قلت لك ذلك مراتٍ عديدة! " يتميّز نِك بذاكرةٍ تُهمل مشاكل الناس الآخرين، ولذلك أفترض بأن ذلك صحيح. أما حالة الإغماء في مركز التبرع بالدم فقد كانت عرضاً لطيفاً. قمتُ بذلك فعلاً، لكني لم أكتب ما فعلته. (لا تقلق، سوف نقوم بشرح الأمور: الصحيحة وغير الصحيحة، والتي من الممكن أن تكون صريحة).

ظهر البند 22 ، جرح الذات، في القائمة منذ وقتٍ طويل. لكنه تحقق الآن، وها هي ذراعي تؤلمني. تؤلمني كثيراً. يتطلب الأمر عنايةً فائقة، وخاصة لإحداث جرحٍ يتجاوز طبقة الجلد الرقيقة ليصل إلى العضلة. يحتاج المرء إلى قدرٍ معيّنٍ من الدماء، لكن ليس القدر الذي يكفي للإصابة بالإغماء، وبحيث يُكتشَف بعد مرور ساعاتٍ قليلة وسط بركة صغيرة من الدماء، ويضطر إلى تقديم شرحٍ كبيرٍ عن الذي جرى. أمسكت بدايةً بفتاحة علبٍ فوق رسغي، لكن عندما تطلعتُ إلى تلك الشرايين المتقاطعة أحسستُ وكأنني تقني مختصٌّ بالقنابل في أحد أفلام العنف: يكفي أن تقطع الشريان

الخطأ كي تموت. قررت في النهاية إحداث جرحٍ داخل أعلى ذراعي، بينما عضضتُ على قطعة قماش كي لا أصرخ. كان جرحاً طويلاً وعميقاً وكافياً. جلستُ واضعةً ساقاً فوق ساق فوق أرض مطبخي لفترة عشر دقائق، بينما كانت الدماء تتقاطر باستمرار إلى أن نجحت في تكوين بركةٍ سميكة ورائعة من الدماء. عمدتُ بعد ذلك إلى تنظيف الدماء بالطريقة غير الدقيقة، وكما كان سيفعل نِك بعد أن ينتهي من توجيه ضربته إلى رأسي. أردتُ أن يبدو المنزل وكأنه يحكي قصة الصراع ما بين ما هو صحيح وما هو خطأ. يبدو أن أحدهم تلاعب بغرفة المعيشة، لكن الدماء أُزيلت: لا يمكن أن تكون آمي!

يعني ذلك أن جرح الذات يستحق كل الجهد الذي بذلته. لكن الجرح ما زال يؤلمني بشدة تحت عُصبة إيقاف النزف، وذلك بعد مرور ساعات عدة. البند 30 : عالجي الجرح بعناية، وتأكدي من عدم وجود الدماء في المكان الذي لا يجب أن تتواجد فيه. (احرصي على لفّ فتّاحة العُلب وضعيها في جيبك كي تتخلصي منها في وقتٍ لاحق).

البند 18 : ترتيب غرفة المعيشة. قومي بقلب الأريكة. إشارة.

البند 12 : تغليف مفتاح اللغز الأول بعلبته وإبعاده عن المكان بحيث تجده الشرطة قبل أن يفكّر الزوج المذهول في البحث عنه. يتعيّن أن يكون مفتاح اللغز هذا جزءاً من سجلّ الشرطة. أريده أن يضطر إلى البدء بلعبة البحث عن الكنز (سيدفعه غروره إلى إنهاء اللعبة). إشارة.

البند 32 : ارتدي ثياباً عادية، وعلّقي قبعةً في شعرك، وانزلي إلى ضفة النهر، ثم سيري فوق الحافة المليئة بالمياه على عمق بوصاتٍ عدة إلى أن تصلي إلى طرف المجمّع. افعلي هذا وحتى مع معرفتك بأن آل تيفير، الجيران الوحيدين الذين يطلّ منزلهم على النهر، سوف يكونون في دار العبادة. افعلي هذا لأنك لن تعلمي أبداً ماذا سيحدث، وأنتِ التي تأخذين الخطوات الإضافية التي لا يجرؤ عليها الآخرون. هكذا أنتِ.

البند 29 : ودّعي بليكر. قومي بشمّ رائحة الأنفاس الكريهة لهذه الهرة الصغيرة، وللمرة الأخيرة. املئي طبقها بطعامها المطحون تحسباً لأن ينسى الناس إطعامها ما إن يبدأ كل شيء.

البند 33 : اخرجي من Dodge بأقصى ما يمكنك من سرعة.

إشارة، إشارة، إشارة.

يمكنني أن أقول لكم المزيد حول كيفية قيامي بكل شيء، لكني أود

أن تعرفوني أولاً. أريدكم أن تعرفوني أنا، وليس آمي اليوميات، والتي هي من عمل الخيال (قال نِك بأنني لست كاتبةً في الواقع، لكن لماذا كنتُ أستمع إليه؟) بل أنا، آمي الحقيقية. أيّ نوعٍ من النساء تُقدم على عملٍ كهذا؟ دعوني الآن أروي لكم قصة، قصة حقيقية، وذلك كي تبدأوا بفهم ما يجري.

بدايةً: ما كان يجب أن أولد.

تعرضت والدتي قبل أن أولد إلى خمسة إجهاضات، وولادتين بجنين ميت. كانت تلد مرةً في كل عام، وفي فصل الخريف بالذات، وكأن ذلك واجبٌ موسمي مفروضٌ عليها، أو مثل موسم الحصاد. كانت جميع المواليد من الفتيات وأطلُق عليهن جميعاً اسم أمل. أنا متأكدة من أن والدي هو الذي اقترح هذه الأسماء نتيجة لتعلقه بالأمل، ونتيجة لجديّته لا يمكننا التخلي عن الأمل يا ماريبيت. لكنهما تخليا عن الأمل في النهاية مرة بعد أخرى.

أمر الأطباء والديّ الكفّ عن المحاولة، لكنهما رفضا. لم يكونا من النوع الذي يكفّ عن المحاولة. حاولا وحاولا إلى أن أتيتُ في النهاية. لم تأمل والدتي كثيراً في أن أظل حية، ولم تتمكن من التفكير بي على أساس أنني طفلة حية، والفتاة التي ستتمكن من الحضور إلى المنزل. كان من الممكن أن أكون أمل الثامنة لو أن الأمور سارت على غير ما يرام. لكن دخلتُ إلى هذا العالم بالصراخ وبلونٍ زهري ملتمع. فوجئ والدايَ كثيراً، وأدركا بأنهما لم يفكرا بالاسم، وعلى الأقل ليس باسمٍ حقيقي لولدٍ حقيقي. بقيت من دون اسم لليومين الأولين اللذين قضيتهما في المستشفى. كانت أمي تسمع باب غرفتها وهو ينفتح في كل يوم، وترى الممرضة وهي تقف عند الباب (لطالما تخيّلت كم يبلغ عمرها وهي تتمايل بتنورتها البيضاء، وبقبعتها المطوية والتي تجعلها تبدو وكأنها علبة طعام صيني جاهزة). كانت الممرضة تقف في الغرفة بينما تسألها والدتي من دون أن تنظر إليها، " هل ما زالت حيّة؟ " .

لكن عندما بقيت حيّة أعطوني اسم آمي، وذلك لأنه اسم فتاةٍ عادية، واسم شائع، وهو الاسم الذي حملته ألوف الفتيات الصغيرات اللواتي ولدنَ في تلك السنة، وهكذا لن تلاحظ أعين السماء هذه الطفلة الصغيرة التي تتواجد بين الأخريات. قالت ماريبيت بأنها كانت تفضّل لو أطلقت عليّ اسم ليديا.

نشأتُ مع ذلك الشعور الخاص: الفخر. كنتُ أنا الفتاة التي حاربت

النسيان وكسبت معركتها. كانت فرص بقائي على قيد الحياة نحو واحد بالمئة، لكني نجحتُ. دمّرت رحم أمي نتيجة لذلك، أي إن ذلك كان بمثابة زحف شيرمان ما قبل الولادة الخاص بي. يعني ذلك حرمان ماريبيت من الحصول على طفلٍ آخر وإلى الأبد. حصدت نتيجةً لذلك سروراً لا يوصف: سأكون أنا طفلها، وطفلها الوحيد، وأنا فقط.

اعتادت والدتي شربَ الشاي الساخن في أيام ولادة - موت كل طفلة حملت اسم أمل. كانت تجلس في كرسي هزّاز، وتغطي نفسها ببطانية وتقول: " سأخذ بعض الوقت لنفسي " . لم يكن في ذلك شيئاً من المبالغة لأن والدتي كانت حساسة جداً إلى الدرجة التي تمنعها من أداء ترانيم حزينة، لكنها كانت تأخذ في التأمل، وتعزل نفسها، لكن ذلك لم يؤثر عليّ في شيء، لأنني ذلك الكائن المتطلب. كنت أقفز إلى حضن والدتي، أو أدفع بإحدى رسومي في وجهها، أو أتذكر بأنني قمت بعملٍ يتطلب اهتمامها على الفور. حاول والدي أن يلهيني، وحاول اصطحابي لحضور أفلامٍ سينمائية، وكان يرشوني بالحلوى في بعض الأحيان، لكن كل هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل. رفضت إعطاء والدتي تلك الدقائق القليلة.

يمكنني القول إنني كنت أفضل من جميع اللواتي حملن اسم أمل، لأنني كنت الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة. لكني، مع ذلك، كنت غيورة، وعلى الدوام من الأميرات السبع الراقصات في عالم الأموات. لا أشك أبداً في أنهن مثاليات حتى من دون أن يحاولن شيئاً، وحتى من دون مواجهة لحظة واحدة من هذا الوجود، بينما أعلق أنا هنا في هذه الأرض، ويتعيّن عليّ المحاولة في كل يوم، وبحيث يكون كل يوم فرصة لأكون أقلّ من مثالية.

إنها طريقة مرهقةٌ للعيش. عشتُ هكذا إلى أن وصلتُ إلى عمر الحادية والثلاثين.

مضى كل شيء على ما يرام لنحو عامين من الزمن، والفضل في ذلك يعود إلى نِك.

نِك أحبّني. يمكنني التشديد على هذه الكلمة ست مرات: أحبّني كثيراً. لكنه لم يحبّني أنا، لأن نِك أحبّ فتاةً لا وجود لها. كنتُ أتظاهر، على عادتي دائماً، بأنني أمتلك شخصيةً معينة. لكن الأمر ليس في يدي، لأنني فعلتُ ذلك على الدوام: كنتُ مثل النساء اللواتي اعتدن تغيير أزيائهن على الدوام، وهكذا أغيّر أنا شخصياتي. ما هي الشخصية التي تريحني أكثر من غيرها، وما هي الشخصية التي أرغبها أكثر من غيرها،

وما هو نوع الشخصية السائدة في هذه الأيام؟ أعتقد أن معظم الناس يفعلون ذلك مع أنهم لا يعترفون، وإما أنهم يستقرون على شخصية واحدة لأنهم كسالى جداً، أو أغبياء، بحيث لا يتمكنون من الضغط على مفتاح تحويل الشخصية.

أما في تلك الليلة، أي عندما كنتُ في حفلة بروكلين، فكنتُ ألعب دور الفتاة التي تسير بحسب الموضة، أي الفتاة التي يرغب فيها رجلٌ مثل نِك: الفتاة المثيرة [الهادئة] . يقول الرجال ذلك ويعتبرونها ثناءً خالصاً، أليس كذلك؟ إنها فتاة مثيرة. لكن كوني فتاة هادئة يعني بأنني امرأة مثيرة، ولامعة، ومرحة، والتي تعشق لعبة كرة القدم، والنكات البذيئة، والتي تتجشأ، والتي تتلهى بألعاب الفيديو، وتشرب الشراب الرخيص، والتي تحب الممارسات غير التقليدية، وتحشر النقانق وشطائر اللحم بشراهة في فمها وكأنها تقيم احتفالاً جماعياً، لكنها تحتفظ في الوقت ذاته بالقياس 2 ، وذلك لأن الفتيات الهادئات هنّ مثيرات قبل أي شيء آخر. إنهن مثيرات ومتفهمات. الفتيات الهادئات لا يغضبن بسهولة، بل يضحكن بطريقة متوترة وودودة قليلاً، ويدفعن رجالهن للقيام بأي شيء يرغبن به. هيا، افعل ما تريده فأنا لا أبالي لأنني فتاة مثيرة.

يعتقد الرجال، في واقع الأمر، بأن هذه الفتاة موجودة. يُحتمل أن الرجال خُدعوا لأن نساءً كثيرات يُظهرن بأنهن من ذلك النوع من الفتيات. بقيت الفتاة الهادئة تثيرني منذ وقتٍ طويل. اعتدتُ كذلك على مقابلة رجالٍ - أصدقاء، زملاء عمل، وغرباء - يشعرون بالبهجة عند رؤيتهم لتلك النساء الزائفات والمريعات، لكنني أريد أن أتوجه لهؤلاء الرجال بالقول، وبكل هدوء: إنكم لا تواعدون امرأة، بل تواعدون امرأة سبق لها أن شاهدت أفلاماً كثيرة كتبها رجالٌ يفتقدون إلى الكفاءة الاجتماعية والذين يودون الاعتقاد بأن هذا النوع من النساء موجود بالفعل، وقد يمضين في تقبيلهم. أود الإمساك بتلابيب ذلك المسكين، أو حتى بحقيبته لأقول له: إن تلك الساقطة لا تحب النقانق الحارة إلى هذه الدرجة في واقع الأمر - لأن أحداً لا يحب النقانق الحارة إلى هذه الدرجة! لكن الفتيات الهادئات هن أكثر إثارة للشفقة في الواقع: إنهن حتى لا يتظاهرن بأنهن المرأة التي يردنها، بل يتظاهرن بأنهن المرأة التي يريدها الرجل. أما إذا لم تكوني الفتاة الهادئة [المثيرة] فإنني أرجوكِ أن لا تعتقدي بأن رجلك لا يرغب في الفتاة الهادئة [أو المثيرة] . يُحتمل أن تكون هذه صيغة مختلفة قليلاً - يُحتمل بأنه نباتيّ، ويُحتمل أن الفتاة الهادئة خبيرة بالكلاب، ولعلّه فنان

محبٌّ للتجديد، وعندها تكون الفتاة الهادئة متخصصة، وتضع نظارة، وتضع أوشاماً لكنها تحب الأفلام الفكاهية. توجد تنويعات أخرى في واجهة المعروضات، لكن صدّقيني بأنه يرغب في الفتاة الهادئة، والتي هي أساساً فتاة تحب كل الأشياء التي يحبّها مهما كانت من دون تذمّر أبداً. (كيف تعرفين بأنك لستِ فتاة هادئة؟ لأنه يداوم على قول أشياءٍ مثل: " أنا أحب النساء القويات " . أما إذا قال لكِ ذلك فإنه سوف يعمد في إحدى المراحل إلى مواعدة امرأة أخرى. يعود السبب في ذلك إلى أن عبارة " أنا أحب النساء القويات " هي رمزٌ لعبارة " إنني أكره النساء القويات ") .

انتظرتُ بصمت - أعواماً - عودة البندول إلى مكانه السابق. انتظرت أن يبدأ الرجال بقراءة جاين أوستن، وأن يتعلموا الحياكة، والتظاهر بأنهم يحبون الكون، وتنظيم حفلات الكتب المستعملة، وتقبّل بعضهم بعضاً بينما نتمعن نحن فيهم، وعندها سوف نقول، أجل، إنه رجلٌ هادئ.

لكن ذلك لم يحدث أبداً، أما الذي حدث فهو أن النساء في طول البلاد وعرضها اجتمعن على التواطؤ على إنزال المهانة فينا! لكن لا يمر وقتٌ طويل قبل أن تصبح الفتاة الهادئة فتاةً عادية. اعتقد الرجال أن فتاةً كهذه تتواجد في الواقع، لكنها لم تكن فتاة الأحلام، ولو بنسبة واحد إلى مليون. يُفترض أن تكون كل فتاة مثل تلك الفتاة، أما إذا لم تكوني فإن معنى ذلك أن خطأً ما قد أصابك.

لكني أعتقد أنه من المغري جداً أن تكون الفتاة هادئة. أما بالنسبة إلى شخصٍ مثلي، والذي يحب أن يكسب على الدوام، فإنه من المغري أن أرغب في أن أكون الفتاة التي يرغب فيها كل شاب. لكن عندما التقيت نِك فقد عرفتُ على الفور، بأن ذلك هو ما يريده الشخص، وأعتقد بأنني كنتُ مستعدة للمحاولة. إنني مستعدة لتقبّل نصيبي من اللّوم. أما الواقع فهو أنني جننتُ به في البداية. اعتبرتُه مثيراً بشكلٍ غريب، وشاب طيّب من ميسوري. كان التواجد حوله أمراً في غاية اللطف. تمكّن نِك من استخراج أمورٍ فيّ كنت أجهل وجودها: الخفة، والمرح، والارتياح. بدا الأمر وكأنه أفرغني من كل شيء وملأني بالريش. يعني ذلك أنه ساعدني على أن أكون الفتاة الهادئة، لكنني أعجز عن أن أكون فتاة هادئة مع أي شخصٍ آخر، ولست أريد ذلك. لا يمكنني القول بأنني لم أستمتع ببعض جوانب هذا الوضع: أكلت فطيرة محلاة، ومشيتُ حافية القدمين، وتوقّفت عن القلق حول أي شيء. شاهدت أفلاماً سخيفة، وأكلت أطعمة مزينة كيميائياً. لم أفكر ماذا يكمن وراء الخطوة الأولى لأي شيء، وكان ذلك هو الأساس.

شربتُ الكوكا من دون أن أقلق بشأن إعادة تدوير العلبة، أو بشأن الحامض الذي يهيج في بطني، هذا الحامض الذي له من القوة بحيث يستطيع محو علامات قطعة نقدية معدنية. ذهبنا لمشاهدة فيلمٍ سخيف، لكني لم أقلق بشأن الإثارة العنيفة، أو عدم وجود عناصر من الأقليات في الأدوار المهمة فيه. لم أقلق كذلك حول ما إذا كان هذا الفيلم يحمل أي معنى. لم أقلق بشأن أي شيء يخبئه المستقبل. لم يكن لأيّ شيء أهمية عندي لأنني كنت أعيش في اللحظة التي أنا فيها، وهكذا تمكنت من الشعور بأنني أصبحتُ أكثر سطحية وسخافة. لكني كنتُ سعيدة كذلك.

لكني، وبخلاف نِك، لم أشعر أبداً بوجودي كشخص، وذلك لأنني كنتُ منتَجاً على الدوام. تعيّن أن تكون آمي الرائعة من النوع اللامع، والقادر على الابتكار، والطيّب، والذكي، والسعيد. نريدك فقط أن تكوني سعيدة. كان راند وماريبيت يرددان ذلك على الدوام، لكنهما لم يوضحا لي كيف. توافرت دروسٌ وفرصٌ ومكاسب كثيرة، لكنهما لم يعلّماني أبداً كيف أكون سعيدة. أتذكر كيف كنت أقف مذهولة أمام الأولاد الآخرين في الحفلات، وكنتُ أراقب الأولاد وهم يمرحون ويقلّدون بعضهم بعضاً، بينما كنتُ أحاول أن أفعل مثلهم، إلا أنني لم أكن أفهم السبب. كنت أجلس هناك بينما الشريط المطّاطي الضيّق لقبعة الحفلة يفصل القسم الأسفل من ذقني إلى قسمين، وبينما تتسلل مجمدات كعكة الحفلة بين ثنايا أسناني، وكنت أفكّر أي مرحٍ يوجد في كل ذلك.

أخيراً، تمكّنت من الفهم، لكن ذلك حدث مع نِك، وذلك لأنه كان مرحاً جداً. بدا الأمر وكأنني أواعد كلب ماء بحري. كان نِك أول شخص مرحٍ بطبيعته ألتقيه، والذي كان يساويني. كان لامعاً ورائعاً ومسلياً وساحراً ومسحوراً. أحبّه الناس، كما أن النساء أحبّته. ظننت في البداية بأننا سوف نكون زوجين مثاليين: أسعد زوجين على الإطلاق. لا يعني ذلك بأن الحب عبارة عن منافسة، لكني لم أفهم معنى أن يكون شخصان معاً من دون أن يكونا أسعد زوجين.

يُحتمل بأنني كنت أسعد حالاً في تلك السنوات القليلة - أي عندما كنتُ أتظاهر بأنني شخصٌ آخر - ممّا كنت عليه قبلاً أو بعد ذلك على الإطلاق. لكني لم أتمكّن من فهم ما يعنيه ذلك.

لكن تحتم أن ينتهي كل ذلك لأنه لم يكن حقيقياً، وتلك الفتاة لم تكن أنا. لم تكن أنا. نِك! ظننتُ بأنك تعرف. ظننت أن الأمر هو جزءٌ من لعبة ما. ظننتُ بأننا نقوم بلعبة الغميضة، لا تسألي، ولا تقولي ما

يجري. حاولتُ جاهدة كي أجعل الأمر سهلاً. لكن الأمر كان لا يطاق. تبيّن لي بأنه لا يستطيع أن يتحمل الاستمرار في لعب دوره كذلك: ذلك المرِح سريع البديهة، وتلك الألعاب الذكية، وكل ذلك الغرام، وكل ذلك التودد. بدأ ذلك البنيان الوهمي ينهار على ذاته. شعرت بالكراهية إزاء نِك لأنه فوجئ عندما عدتُ إلى طبيعتي الحقيقية. كرهته لأنه لم يعرف أن كل ذلك كان مكتوب عليه أن ينتهي، ولأنه آمن بالفعل بأنه تزوج هذه المخلوقة التي كانت محط خيال ملايين الرجال... بدا دهشاً بالفعل، وذلك عندما طلبتُ منه أن يصغي إليّ. لم يتمكن من التصديق بأنني لم أحب تجميل نفسي... وإثارته عندما يطلب مني ذلك. لم يصدق بأنني أسفتُ لأنه لم يأتِ لمشاركة صديقاتي الشراب. ماذا بشأن صفحات يومياتي السخيفة؟ لم أكن بحاجة إلى مشاهدة القردة الراقصة كي أعيدها على مسامع صديقاتي. إنني مرتاحة لأنني أسمح له بأن يكون على حقيقته. كان كل ذلك مجرد سخافة الفتاة الهادئة الأصيلة والمغفلة. يا لتلك الفتاة المثيرة... أقول مجدداً بأنني لم أفهم ما يجري: إذا سمحتِ لرجلٍ بإلغاء خططكِ، أو أن يرفض القيام بأمورٍ لأجلك، فمعنى ذلك بأنك خسرتِ. إنكِ لا تحصلين على ما تريدين. الأمر في غاية الوضوح. يُحتمل، بالتأكيد، أن يكون سعيداً، ويُحتمل أن يقول إنك أكثر الفتيات هدوءاً [إثارةً] على الإطلاق، لكنه يقول ذلك لأنه نال ما يريد. يُضاف إلى ذلك بأنه وصفك بالفتاة الهادئة كي يخدعكِ! هذا هو ما يفعله الرجال: إنهم يحاولون أن يظهر الأمر وكأنك الفتاة الهادئة بحيث تنحني لرغباتهم. يبدو الأمر وكأن بائع سيارات يقول، كم تريد أن تدفع مقابل هذا الجمال؟ لكن إذا لم توافقي على شرائها فإن ذلك الرجل المقيت سوف يستخدم عبارة: " أعني بأنكِ لن تمانعي إذا... " أجل إنني أمانع فعلاً. أنصحكِ أن تقوليها. لا تضيّعي الفرصة أيتها الصغيرة المغفلة...

يعني ذلك أنه كان من المحتّم أن ينتهي الأمر. جعلني الارتباط مع نِك، والشعور بالسعادة معه، أشعر بوجود آمي الحقيقية في كل ذلك، وكانت أفضل بكثير، وأكثر إثارة للاهتمام، وأكثر تعقيداً وتحدياً من آمي الهادئة. أراد نِك آمي الهادئة [المثيرة] على أيّ حال. هل تتمكنون من تخيّل هذا، أي أن يُظهر المرء ذاته الحقيقية لزوجه، ولشريك روحه، والمخاطرة في خسارة حبّه. هكذا بدأت الكراهية. فكّرت في ذلك كثيراً وهكذا بدأ الأمر، على ما أعتقد.

نِك دون

بعد مرور سبعة أيام

تقدمت خطواتٍ قليلة نحو المستودع وذلك قبل اضطراري إلى الاستناد إلى الجدار كي ألتقط أنفاسي.

عرفتُ مسبقاً بأن الأمور تسير نحو الأسوأ. عرفتُ ذلك ما إن فكّرت في مفتاح اللغز: المستودع، المرح عند الظهيرة والشراب. لا ترتبط تلك الأوصاف بي وبآمي. كانت ترتبط بي وبآندي. كان المستودع أحد الأماكن الغريبة الكثيرة التي أقمت علاقة فيها مع آندي. لم تكن أماكن لقاءاتنا كثيرة، ولم نستطع الذهاب إلى المجمّع السكني المكتظ الذي تقطنه. تظهر أسماء الموتيلات [الفنادق الممتدة بمحاذاة الطريق ذات الطابق الواحد] في فواتير بطاقات الائتمان، كما أن زوجتي لا تثق بي كما أنها ليست غبية. (تمتلك آندي بطاقة ائتمان ماستر كارد، لكن بيان الحسابات يذهب إلى والدتها. يؤلمني أن أعترف بذلك). يعني ذلك أن المستودع الواقع خلف منزل شقيقتي كان آمناً جداً بالنسبة إلينا عندما تكون في مكان العمل. يصدق الأمر ذاته على منزل والدي المهجور (يُحتمل بأنك تشعر بالذنب لأنك أحضرتني إلى هذا المكان/ يجب أن أعترف بأنني شعرتُ بالغرابة قليلاً/ لكن الواقع هو أننا لا نمتلك خياراتٍ كثيرة/ لقد اتخذنا القرار: جعلنا هذا المكان فضاءنا الخاص بنا)، وفي أحيانٍ قليلة كان المكان هو مكتبي في الجامعة (أتصوّر نفسي تلميذتك/ مع أستاذٍ بمثل وسامتك وحكمتك/ ينفتح عقلي، ومرة واحدة سيارة آندي بعد أن تقدمنا بها في طريق ترابية في هنيبعل، وذلك بعد أن اصطحبتها في زيارة إلى هناك. كانت تلك الزيارة إعادة إحياء رائعة للزيارة العادية التي قمتُ بها مع آمي (أخذْتني مرة كي أتمكن من سماعك تتحدث/ عن مغامرات أيام الصبا: سروال الجينز القديم والقبعة العريضة).

كان كل مفتاح لغزٍ مخبأً في بقعةٍ شهدت خيانتي لآمي. يعني ذلك أنها استخدمت لعبة البحث عن الكنز لتأخذني في جولة على أماكن خيانتي لها. شعرت بالغثيان عندما تخيّلت آمي وهي تتبعني بسيارتها من دون علمي - إلى منزل والدي المهجور، إلى منزل جو، وإلى هنيبعل سيّئة الذكر، وتراقبني أثناء علاقتي مع هذه الفتاة الشابة والحلوة، بينما ترتعش شفتا زوجتي استياءً وشعوراً بالنصر.

كانت تعرف بأنها سوف تعاقبني بشدة. استعدّت آمي في هذه الوقفة

الأخيرة لتُعلمني كم هي ذكية، وذلك لأن المستودع مليء بكل الأدوات والأجهزة التي أقسمتُ أمام بوني وجيلبين بأنني لم أحصل عليها بواسطة بطاقات الائتمان، والتي أقسمتُ بأنني لا أعرف أي شيء عنها. كانت مضارب الغولف الغالية بشكلٍ غير معقول متواجدة هنا، وكذلك الساعات ولوحات الألعاب، والملابس المصمّمة خصيصاً، متواجدةً كلها في مستودع شقيقتي وكأنها تنتظر شيئاً ما. بدت الأغراض وكأنني قمتُ بتخزينها إلى أن تموت زوجتي، وعندها يمكنني أن
أتسلى بها.

قرعتُ باب المدخل الأمامي لمنزل شقيقتي. فتحت الباب حاملة سيجارة بيدها، وقلت لها إنني أود أن أريَها شيئاً، ثم استدرتُ وسرت أمامها إلى المستودع من دون أن أنطق بكلمة.

قلت وأنا أدلّها على الباب المفتوح: " انظري " .

قالت جو بصوتٍ عالٍ وشرس: " هل اشتريتَ هذه الأغراض كلها... بواسطة البطاقات الائتمانية؟ " وضعت إحدى يديها على فمها، وتراجعت خطوةً إلى الوراء مبتعدةً عني. أدركتُ بأنها اعتقدت، ولو للحظةٍ واحدة بأنني أعترف أمامها.

عجزنا عن محو تلك اللحظة الواحدة من ذاكرتنا. كرهتُ زوجتي لهذا السبب فقط.

قلت: " نصبت لي آمي فخاً. آمي هي التي اشترت كل هذه الأغراض يا جو. نصبت لي فخاً " .

وقعت جو في الفخ. أغمضت جفونها مرة، ثم مرتين، وهزت رأسها قليلاً وكأنها رغبت في أن تخلص نفسها من هذه الصورة: صورة نِك قاتل زوجته.

" تقوم آمي بنصب فخٍ لي في جريمة قتلها. أليس كذلك؟ قادَني مفتاح لغزها الأخير إلى هنا. كلا، لم أعرف شيئاً عن أي غرضٍ من هذه الأغراض. إن هذه الأغراض هي بمثابة تصريحها الأساسي. العرض الآن: نِك يذهب إلى السجن! " شعرت بتصلّبٍ في حنجرتي وبرغبةٍ في التجشؤ. كنتُ على وشك البكاء أو الضحك. ضحكتُ في النهاية وقلتُ: " أعني، حسناً؟ اللعنة " .

إذاً أسرِع، وابدأ بالتحرك، أرجوك افعل/ وهذه المرة سوف أعلّمك أمراً أو أمرين. كانت تلك الكلمات الأخيرة لمفتاح اللغز الأول الذي أعدّته آمي. آه، كيف لم أنتبه لها؟

استمرت جو بالتحديق مذهولةً بالأغراض الموجودة في مستودعها، وقالت: " إذا كانت تنصب لك فخاً، فلماذا تُعلمك بذلك؟ " .

" لأنها فعلت ذلك بطريقة نموذجية. احتاجت على الدوام ذلك التأكيد، والثناء على الدوام. أرادتني أن أعرف بأنني انتهيت. إنها لا تستطيع مقاومة هذا الدافع، لأنها لن تتسلى بغير ذلك " .

قالت جو وهي تقضم أحد أظافرها: " كلا. هناك أمرٌ آخر، وأمرٌ إضافي. هل لمستَ شيئاً هنا؟ " .

" كلا " .

" حسناً. إذاً فالمسألة تصبح... " .

قلتُ: " ماذا تعتقد هي بأنني سوف أفعل عند أعثر على هذه الأغراض، وهذا الدليل التجريمي في مستودع شقيقتي. هذا هو السؤال، وذلك لأنه ما افترضت عن تحركاتي، وبغض النظر عمّا تريدني أن أفعل فإنني سوف أضطر لأن أقوم بعكسه. إذا ظنّت بأنني سوف أُصاب بالذهول وأحاول التخلص من كل هذه الأغراض، فأنا أؤكد لكِ بأنها رتّبت شيئاً يؤدي إلى القبض عليّ " .

قالت جو: " حسناً، لا يمكنك أن تتركها هنا، وسوف تتعرض للاعتقال. هل أنتَ متأكد من أن هذا هو آخر مفتاح لغز؟ أين هي هديّتك " .

" أوه، اللعنة. كلا، يجب أن تكون في مكانٍ ما هنا " .

دخلت بكل حذر إلى المستودع الذي تفوح منه رائحة الرطوبة، وأبقيت يديّ ممدوتين إلى جانبيّ، وسرت بكل دقة على رؤوس أصابعي كي لا أترك آثار أقدام. سرتُ أمام شاشة مسطحة لجهاز تلفزيون، وسرعان ما رأيت المظروف الأزرق الذي تركته آمي فوق صندوق هدايا كبير الحجم، وكان ملفوفاً بورق فضّي اللون. تناولت المظروف والصندوق إلى الخارج حيث الهواء الدافئ. كانت الهدية في الداخل ثقيلة الوزن، وكانت مؤلفة من قطعٍ عدة، وهكذا أصدرت ضجيجاً غريباً عندما وضعتُ الصندوق على الأرض أمام أقدامنا. ابتعدت جو عفوياً إلى الوراء. فتحتُ المظروف وقرأتُ الرسالة:

زوجي العزيز،

هذا هو الوقت الذي اخترته لأخبرك بأنني أعرفك أكثر بكثير مما تتصور. أعرف أنك تعتقد في بعض الأحيان أنك تتحرك في هذا العالم لوحدك، ومن دون أن يشاهدك أحد، ومن دون أن يلاحظك أحد. لكن

إياك أن تصدّق ذلك ولو للحظةٍ واحدة. سبق لي أن أجريت دراسةً عنك. إنني أعرف ما تنوي فعله قبل أن تفعله. أعرف أين كنتَ، وأعرف إلى أين تريد الذهاب. رتّبت لك في ذكرى زواجنا هذه رحلة: اتبع نهرك الحبيب، صعوداً صعوداً صعوداً! لكن لا تقلق بشأن محاولة العثور على هديتك في ذكرى زواجنا. ستأتي الهدية إليك! يمكنك أن ترتاح وتسترخي، لأنك انتهيت.

قالت جو قبل أن أتأوه: " ماذا تعني صعوداً صعوداً؟ " .

" تريد إرسالي في اتجاه منبع النهر " .

" اللعنة عليها. افتح العلبة " .

ركعتُ وانتزعت الغطاء بأظافري، وكأنني كنتُ أتوقع حصول الانفجار. مرّت فترة من الصمت. تطلعت داخل العلبة، رأيت في قعر العلبة دميتين خشبيّتين جنباً إلى جنب. بدا مشهدهما وكأنهما زوجاً وزوجة. ارتدى الزوج ثوب المهرجين وكان يضحك بشكلٍ ساخر، وكان يحمل قصبةً أو عصا. تناولت دمية الزوج بينما تمايلت أطرافه بشدة وكأنه يرقص برشاقة. كانت الزوجة أكثر حسناً، وأكثر دقة، وأكثر صلابة. بدا وجهها مصدوماً، وكأنها شاهدت شيئاً يثير القلق. رأيت تحتها طفلاً صغيراً يُمكن ربطه بشريط مطاطي. كانت هذه الدمى قديمة، وثقيلة، وكبيرة، وكانت كبيرة مثل الدمى المتحركة. تناولت دمية الزوج وأمسكتُ المقبض الذي هو بشكل مضرب بقصد تحريكه، فارتعشت الذراعان والرجلان بحدة.

قالت جو: " إنه أمرٌ يثير الخوف. توقف " .

رأيت تحت الدميتين ورقة زرقاء ومصقولة مطوية مرةً واحدة. رأيت الكتابات بخط يد آمي المتكسر والمؤلف من مثلثات وزوايا:

إنها بداية قصة جديدة ورائعة يا نِك! " هذه هي الطريقة المناسبة لنفعل ذلك! " .

استمتع.

وضعتُ بمساعدة شقيقتي كل مفاتيح الألغاز التي أعدّتها آمي والعلبة التي تحتوي على الدميتين. حدّقنا بهذه الأغراض وكأنها قطعٌ من لغزٍ واحد..

قالت جو: " لماذا أتعبت نفسها بلعبة البحث عن الكنز إذا كانت

تعدّ... خطتها " .

تحولت عبارة خطتها إلى اختزالٍ فوري لعبارة التظاهر باختفائها، ونصب فخ لك لاتهامك بجريمة القتل. بدت العبارة البديلة أقل جنوناً.

" أرادت أن تشغلني لسببٍ واحد، وهو أن تجعلني أعتقد بأنها ما زالت تحبني. إنني ألاحق كل مفاتيح ألغازها الصغيرة في كل الأنحاء معتقداً بأنها ما زالت ترغب في إجراء تعديلات، وأنها تريد بداية جديدة لزواجنا... " .

لكن رسائلها الحالمة والصبيانية أصابتني بالتوتر وأحرجتني. شعرت بإحراجٍ وصل حتى العظم، وهو من النوع الذي سرعان ما يصبح جزءاً من الحمض النووي للشخص، وبالتالي يغيّره. واظبت آمي بعد كل هذه السنين على التلاعب بي. كان بإمكانها كتابة رسائل قليلة كي تستعيدني تماماً. لكني كنت دميتها الصغيرة المربوطة بخيط.

سأعثر عليك يا آمي. إنها كلمات مفعمةٌ بالاشتياق وبالنوايا الخبيثة.

وهكذا لن أتوقف عن التفكير: يبدو الأمر بالتأكيد وكأنني قتلت زوجتي، لكني أتساءل عن السبب.

قالت جو على سبيل الافتراض: " كانت الشرطة ستعتبر أنه من الغريب - وأنت كنتَ اعتبرتَه غريباً - لو أنها ألغت عملية البحث عن الكنز، أي عن التقليد الذي تجريه. سيبدو الأمر وكأنها كانت تعرف بأنها سوف تختفي " .

قلتُ مشيراً بيدي نحو الدمى: " تقلقني هذه كثيراً. إنها غير اعتيادية إلى حد أنها لا بدّ أن تعني شيئاً. أعني لو كانت تريد فقط إبقائي منشغلاً لفترة، لكانت الهدية الأخيرة ستكون أي شيء مصنوعٍ من الخشب " .

مرّرت جو إصبعاً فوق زيّ المهرج للدمية الذكر، وقالت: " تبدو قديمةً تماماً، أو معتقة " . قلبت الملابس رأساً على عقب فانكشف مقبض المضرب للذكر. أما الأنثى فتميزت بفجوةٍ مربعة في رأسها. " هل يُفترض بهذا أن تكون ذات دلالة جنسية؟ تمتلك الدمية الذكر مقبضاً خشبياً كبيراً وكأنه عضو ذكري. أما الدمية الأنثى فلا تمتلك هذا المقبض، ولذلك تمتلك الفجوة " .

" إنها تصريح واضح بما يكفي: يمتلك الرجال أعضاءهم الذكرية، وتمتلك النساء أعضاءً أنثوية.

وضعت جو إصبعاً داخل فجوة الدمية الأنثى، وحركّت إصبعها لتتأكد

من عدم وجود أي شيء مخبأ فيها. " إذاً، ماذا تريد آمي أن تقول؟ " .

" عندما رأيتها لأول مرة فكّرت: اشترت ألعاب أطفال. الأم، والأب، والطفل. هل فعلت ذلك لأنها حامل؟ " .

" وهل هي حامل فعلاً؟ " .

اجتاحتني موجة من الإحساس باليأس، أو على الأصح أن نقول العكس، أي ليست تلك بموجةٍ آتية تجتاحني، بل بموجة بحرية تنحسر: إحساسٌ بشيء ما يبتعد شيئاً فشيئاً ويسحبني معه. لم يعد بإمكاني أن أشعر بالأمل لأن تكون زوجتي حاملاً، لكنني لم أتمكّن من إرغام نفسي على الأمل بأنها ليست كذلك.

تناولت جو الدمية الذكر وحكّت أنفها، وما لبث أن ظهر مصباحٌ صغير: " أنتَ دمية مربوطة بخيط " .

ضحكتُ وقلت: " فكرت بدوري بهذه الكلمات حرفياً، لكن لماذا دمية ذكر ودمية أنثى؟ آمي ليست دميةً مربوطة بخيط، بل هي من يدير الدمى.

" وماذا تعني بعبارة: هذه هي الطريقة المناسبة لنفعل ذلك؟ الطريقة المناسبة لأي شيء؟ " .

" هل لتدميري مدى الحياة؟ " .

" أليست هذه بالعبارة التي اعتادت آمي قولها؟ أو اقتباساً ما من كتب آمي، أو... " هرعت جو إلى حاسوبها وأجرت بحثاً عن هذه هي العبارة المناسبة لنفعل ذلك. لم يتأخر عنوان أغنية فريق مادنس، هذه هي الطريقة المناسبة لنفعل ذلك عن الظهور. قالت جو: " أوه، إنني أتذكر ذلك الفريق. إنه فريق ska [موسيقى تجمع ما بين موسيقى من جامايكا والجاز] مريع " .

قلت مطلقاً ضحكة تنمّ عن سعادة بالغة: " ska ، عظيم " .

تحدثت الأغاني عن سبّاك يُتقن أنواعاً كثيرةً من أعمال تحسين المنازل - بما في ذلك الأعمال الكهربائية والسباكة - والذي يُفضّل قبض أتعابه نقداً.

قلت: " يا الله، إنني أكره أغاني الثمانينيات، وهي كلها بلا معنى " .

قالت جو وهي تومئ: " المغزى هو طفل وحيد " .

تمتمتُ على الفور: " ينتظر في المتنزه " .

قالت جو بعد أن التفتت إليّ وحدقت في عينيّ: " إذا كان ذلك هو المقصود، فماذا يعني؟ إنها أغنية حول رجل مهني يجيد السباكة والأعمال

الأخرى. إنه رجلٌ ربما يتمكن من الدخول إلى منزلك كي يُصلح لك بعض الأشياء، أو يتلاعب ببعض الأشياء. إنه رجلٌ يفضّل قبض أجرته نقداً كي لا تدخل في أي سجلات " .

سألتها: " أتعنين شخصاً يقوم بتركيب كاميرات مراقبة؟ ذهبت آمي إلى خارج المدينة مرات عدة خلال فترة العلاقة. يُحتمل أنها ظنّت بأنها سوف تسجل ما نقوم به على شريط " .

وجّهت جو سؤالاً إليّ...

" كلا. لم نفعل ذلك أبداً في منزلنا " .

قالت جو على سبيل التخمين: " أيمكن أن يكون باباً سرياً ما؟ أو لوحةً سريةً زائفة حيث خبأت شيئاً فيها من شأنه... لا أعرف، تبرئتك؟ " .

" أعتقد بأنك على حق. أجل تستخدم آمي أغنية فريق مادنس [الجنون] لإعطائي مفتاح لغز لحريتي، وذلك لو تمكنت من فك شيفرة رموز موسيقى ska هذه " .

ضحكت جو بعد ذلك وقالت: " يا إلهي، يُحتمل أن نكون نحن المجانين. أعني، هل نحن مجانين؟ إنه جنون بالكامل؟ " .

" إنه ليس الجنون. نصبت فخاً لي. لا توجد طريقة أخرى لتفسير وجود مستودعٍ مليء بالأغراض في الفناء الخلفي لمنزلك. لا يُستبعد أن تقوم آمي بتوريطك في هذا، وتلطيخ سمعتكِ قليلاً في ورطتي هذه. كلا، إن ذلك ليس مستبعداً من آمي. الهدية، والدمى اللعينة، والرسالة الماكرة التي من المفترض أن أفهمها. كلا، لا بد أن الأمر يتعلّق بالدمى. جرّبي العبارة التي تبدأ بكلمة ماريونيت [الدمى المتحركة]! " .

استرخيتُ على الأريكة وتسارعت نبضات قلبي. تعهدت جو القيام بعمل المساعِدة. " أوه، يا إلهي. إنهن دمى بنش وجولي. نِك! لا بد وأننا حمقى. أعني أن تلك العبارة هي علامةٌ مسجلة تخص بانش. هذه هي الطريقة المناسبة لنفعل ذلك! " .

" حسناً. تذكرت الآن عرض الدمى المتحركة القديم. إنه عنيف بالفعل، أليس كذلك؟ " .

" تعقّد الأمر الآن " .

" إنه يتصف بالعنف يا جو، أليس كذلك؟ " .

" أجل. العنف. يا الله، إنها مجنونة تماماً " .

" يقوم بضربها، أليس كذلك؟ " .

تطلعت نحوي وهي تقول: " إنني أتابع القراءة... دعني أكمل. يقوم

بانش بقتل طفلهما. لكن عندما تواجهه جودي فإنه يضربها، حتى الموت " .

شعرت باختناقٍ في حنجرتي.

" لكنه ينجو في كل مرةٍ يقوم فيها بشيء مرعب، ويقول، " هذه هي الطريقة المناسبة لفعل ذلك! " أمسكتْ بانش ووضعته في حضنها، بينما تحسّست أصابعها الأيدي الخشبية وكأنها تُمسك بطفلٍ رضيع. " يبدو مرتاحاً حتى عندما يقوم بقتل زوجته وطفله " .

تطلعت إلى الدمى: " إذاً، فهي تعطيني وصفاً للمكيدة التي سوف أقع فيها " .

" لا أستطيع حتى حصر ذهني حول هذا الموضوع. إنها مجنونة تماماً " .

" جو؟ " .

" أجل، معك حق: لم تُرِدْها أن تحمل، وهكذا غضبتَ وقتلتها مع جنينها الذي لم يرَ النور " .

قلت: " يبدو ذلك، بطريقة ما، تغيّراً هاماً في مسار القضية " .

" تأتي الذروة هنا عندما تتعلم الدرس الذي لم يتعلمه بانش على الإطلاق. يتم القبض عليك بعد ذلك ويجري اتهامك بجريمة القتل " .

قلت: " تفرض ولاية ميسوري عقوبة الإعدام. يبدو بأنها لعبة مسلية " .

آمي إليوت دون

يوم من أيام

أتعرفون كيف اكتشفتُ ما يجري؟ رأيتهما. يبرهن ذلك مدى الغباء الذي وصل إليه زوجي. أحسستُ بالوحدة في ليلة مثلجة من أيام نيسان. كنتُ أتناول مع بليكر شراب آماريتو دافئاً بطعم اللوز، وأقرأ قرب المدفأة. كنتُ مستلقية على الأرض بينما استمرّ الثلج بالتساقط، واستمعت إلى مجموعات أغاني قديمة، أي مثل ما كنتُ أفعل أنا ونِك (هذه المعلومة كانت صحيحة). اجتاحتني موجة من المشاعر الرومانسية: أريد أن أفاجئه في الحانة، وسوف نتبادل أكواب الشراب ونتجول معاً في الشوارع الخارجية بأيدٍ ملفوفةٍ بالقفازات. أعتزم أن نتجوّل في وسط المدينة الذي يلفّه الصمت، وسوف يحشرني بينه وبين جدار، ويقبّلني وسط الثلج المتساقط الذي بدا وكأنه غيوم من السكر. أجل، أردت استعادته بشدة إلى درجة إنني متشوقة لإعادة تكوين تلك اللحظة. إنني على استعداد، مجدداً، للتظاهر بأنني شخص آخر. أتذكّر بأنني فكرت بما يلي: ما زال بإمكاننا إيجاد طريقة لإنجاح علاقتنا. الإيمان. عدتُ معه على طول الطريق إلى ميسوري لأنني كنت أعتقد بأنه سوف يحبني مجدداً بطريقة ما، وسيحبني بعمق وبشدة، وبالطريقة التي تجعل كل شيء يبدو على ما يرام. الإيمان!

وصلتُ إلى هناك في لحظة مغادرتهما معاً. كنت في موقف السيارات اللعين، وعلى بعدِ عشرين قدماً خلفه. لم يلاحظ وجودي أبداً وكأنني كنتُ شبحاً. لم يضع يديه عليها، وعلى الأقل ليس بعد، لكني عرفتُ ذلك. أعرف لأنه كان منتبهاً جداً لوجودها. تبعتهما، وفجأة رأيته يضغط بجسده عليها أمام شجرة - حدث ذلك في وسط المدينة - وقبّلها. فكّرت ببلاهة، نِك يخونني، لكن قبل أن أقول أي شيء توجها إلى شقّتها. انتظرت لفترة ساعة من الزمن، وجلست أمام الباب، ثم شعرت بالبرد الشديد - أظافر زرقاء، وأسنان مصطكة - ثم توجهت إلى المنزل. لم يعرف مطلقاً بأنني أعرف كل شيء عنه.

امتلكتُ شخصيةً جديدة، لكنها لم تكن من اختياري. كنت المرأة العادية المغفلة، والتي تزوجت من رجل عادي فاشل. تمكّن نِك من نزع الروعة عن آمي الرائعة.

أعرف نساءً ينسجن شخصياتهن من الوسطية اللطيفة. لكن حياتهن ليست إلا قائمةً من النقائص: الصديق [العشيق] الذي يقدّر ما لديه،

والجنيهات العشر الإضافية، والرئيس الرافض لكل شيء، والشقيقة المتسترة، والزوج الآثم. كنتُ أتخطى ما أسمعه من قصصهن، وأومئ تعاطفاً ثم أفكّر في مدى الحماقة التي وصلن إليها لأنهن سمحن لكل هذه الأمور بالحدوث، ولأنهن لا يعرفن معنى الانضباط. ها أنا الآن أتحوّل إلى واحدة منهن! انضممت أخيراً إلى النساء اللواتي يمتلكن قصصاً لا تنتهي، والتي تجعل الناس يومئون تعاطفاً ويفكرون: يا لهذه الحمقاء المسكينة.

أمكنني سماع القصة، وكيف أن الجميع يستمتعون بروايتها: كيف أن آمي الرائعة، وهي الفتاة التي لا تقترف أي خطأ على الإطلاق، سمحت لنفسها بأن تتراجع مفلسةً إلى وسط البلاد، وهناك تخلى عنها زوجها بسبب امرأة أكثر شباباً. ألم يكن الأمر متوقعاً، ويقع ضمن المعدلات المعهودة، ومسلياً. لكن ماذا بشأن زوجها؟ انتهى لأن يكون أسعد حالاً من أي وقتٍ مضى. كلا، لا يمكنني أن أسمح بذلك. كلا، أبداً، أبداً. لا أستطيع أن أسمح له بفعل ذلك ويبقى رابحاً. كلا.

هل غيّرت اسمي مقابل هذه التفاهة. تغيّرت السجلات التاريخية - من آمي إليوت إلى آمي دون - وكأن ذلك أمراً عادياً. كلا، لن يربح في النهاية.

بدأتُ، لهذا السبب، بالتفكير في قصةٍ مختلفة، وقصةٍ أفضل، وهي التي من شأنها تدمير نِك لأنه فعل هذا بي. إنها القصة التي من شأنها استعادة مثاليتي. ستجعلني هذه القصة البطلة الخالية من الأخطاء والتي يحبها الآخرون.

يعود السبب إلى أن الجميع يحبون الفتاة الميتة.

تبدو هذه القصة في غاية التطرف، أي إيقاع الزوج في جريمة قتلك. أريدك أن تعرف بأنني أعرف هذا. سيقول كل الذين استغربوا هذه القصة: كان عليها أن تكتفي بالرحيل، وأن تحافظ على ما تبقى لها من كرامة. كان باستطاعتها التوجه إلى الطريق السريعة! لا يمكن لخطأين أن يساويا صواباً! أعرف كل تلك الأمور التي تقولها النساء التافهات، واللواتي يخلطن ما بين الضعف والأخلاقيات.

لا أعتزم طلب الطلاق منه لأن هذا هو ما يحبّه بالضبط، كما أنني لن أسامحه لأنني لا أشعر بضرورة إدارة الخد الآخر. أيمكنني جعل كل هذا أكثر وضوحاً؟ لا يمكنني إيجاد نهاية مرضية، هل ربح الرجل السيئ؟ اللعنة عليه.

مضت سنة كاملة وأنا أشم رائحة... في أطراف أصابعه عندما يأوي إلى السرير إلى جانبي. راقبته وهو يحدّق في نفسه في المرآة، ويزيّن نفسه وكأنه بابون عندما يتهيأ لمواعيده معها. أصغيت كثيراً لأكاذيبه، وأكاذيبه، وأكاذيبه - والتي تراوحت ما بين أكاذيب الأطفال الساذجة وصولاً إلى خرافات روب غولدبيرغ. تمكنت كذلك من تذوق الحلوى على شفتيه الجافتين. لاحظتُ بأنه طعم لم يتواجد على شفتيه من قبل. تحسّست كذلك الشعيرات الصغيرة النابتة على خدّيه والتي يعرف بأنني لا أحبها، لكن يبدو أنها تحبها. عانيت من الخيانة بكل حواسي الخمس، ولمدة تزيد عن سنةٍ كاملة.

يُحتمل بأنني وصلت إلى ما يقرب من حالة الجنون. أعرف بأن المرأة التي تدبر مكيدة لزوجها في جريمة قتلها تكون خارج نطاق ما قد تفعله المرأة العادية.

لكن كان كل ذلك ضرورياً جداً. يتعيّن تلقين نِك درساً. لم يسبق له أن تلقّن درساً! إنه يتعرج في مسارات الحياة مستخدماً ابتسامته الساحرة التي يتميز بها، وبكل مستحقات المرأة التي يحبها، وأكاذيبه وتهربه من المسؤولية، ونقائصه وأنانيته، وكل ذلك من دون أن ينعته أحدٌ بشيء. لكنني أعتقد أن هذه التجربة ستجعل منه إنساناً أفضل، أو على الأقل رجلاً أكثر أسفاً. اللعنة عليه.

اعتقدت على الدوام بأنه يمكنني ارتكاب الجريمة النموذجية. أما الأشخاص الذين يُلقى القبض عليهم فإنهم يلقون هذا المصير لأنهم لا يتحلون بالصبر، ويرفضون التخطيط لأي شيء. ابتسمت مجدداً وأنا أغيّر محول سرعات سيارتي القديمة التي استخدمتها للفرار، إلى السرعة الخامسة (تبعد عني قرطاجة الآن ثمانية وسبعون ميلاً في هذه الطريق الترابية). فعلتُ ذلك استعداداً لتجاوز شاحنة مسرعة. لكني أبتسم لأن هذه السيارة هي دليل على مدى الذكاء الذي أتمتع به: اشتريتها مقابل مبلغ ألف ومئتي دولار نقداً بواسطة شركة إعلانات على الإنترنت. اشتريتها منذ خمسة أشهر كي لا يتذكر أحد عملية الشراء. إنها سيارة فورد فيستا موديل 1992 ، وهي السيارة الأصغر، والأكثر قابلية للنسيان في العالم. التقيت البائع في الليل، وفي موقف السيارات التابع لسلسلة متاجر وال مارت في جونزبورو، أركنساس، وذلك بعد أن استقليت القطار حاملةً في محفظتي رزمة من الأموال النقدية. استغرقت الرحلة ثماني ساعات ذهاباً ومثلها إياباً، هذا بينما

كان نِك منشغلاً في إحدى مغامراته الصبيانية. تناولت الطعام في عربة القطار المخصصة لذلك، وكان مؤلفاً من رزمة من أوراق الخس مع قطعتَي بندورة صغيرتين، وهو الطبق الذي وصفته قائمة الطعام بأنه سلطة. أجلسوني قبالة مزارعٍ حزين عائد إلى قريته بعد أن زار حفيدته الصغيرة للمرة الأولى.

أظهر الزوجان اللذان اشتريت منهما السيارة ميلاً إلى السرية مثلي أنا. بقيت المرأة في السيارة طيلة الوقت وحاملة رضيعاً هادئاً بين ذراعيها، كما راقبتني أنا وزوجها عندما بادلتُ المال بالمفاتيح. (هذه العبارة صحيحة من حيث القواعد اللغوية كما تعرفون: أنا وزوجها). دخلت إلى السيارة بعد أن خرجت منها. جرى الأمر بسرعة. أما في المرآة الخلفية فقد رأيت الزوجين يسيران نحو وال مارت مع ثمن السيارة. ركنتُ السيارة في مواقف سيارات لفترات طويلة في سانت لويس. كنت أتوجه إلى هناك مرتين في الشهر، ثم أركنها في أماكن جديدة. اعتدتُ الدفع نقداً ووضع قبعة كرة القاعدة على رأسي. كان ذلك في منتهى السهولة.

كان ذلك مجرد مثالٍ واحد على الصبر، والتخطيط، والإبداع. إنني راضية تماماً عن نفسي، كما لم يبقَ أمامي سوى ثلاث ساعات للوصول إلى ميسوري أوزارك، وإلى وجهتي، أي إلى مجموعة صغيرة من الحجرات وسط الغابات، وهو مكان يقبلون فيه الأوراق النقدية مقابل بدلات الإيجار الأسبوعية. يُضاف إلى ذلك أن الحجرات مزودة بشبكات التلفزيون السلكي. أنوي الاختفاء هناك في الأسبوع أو الأسبوعين الأولين، وذلك لأنني لا أريد التواجد على الطرقات عند انتشار الأخبار، كما أن هذا المكان هو آخر مكانٍ يُمكن لنِك التفكير بأنني مختبئة فيه، وذلك ما إن يدرك بأنني مختبئة.

يُعتبر هذا القسم من الطريق السريعة بشعاً بشكلٍ خاص، وهو الذي يعاني من محنة وسط أميركا. قطعت مسافة عشرين قدماً أخرى فرأيت بقايا محطة وقود عائلية منعزلة. كانت المحطة خالية ومهملة. اقتربت من المحطة فرأيت الحمّام المخصص للنساء مفتوحاً على مصراعيه. دخلت ولاحظت أن المكان غير مزوّد بالتجهيزات الكهربائية، لكن توجد مرآة معدنية قديمة كما أن صنبور المياه كان مفتوحاً. تناولت في هذا الجو من الحرارة المرتفعة في فترة ما بعد الظهر مقصاً معدنياً وصباغ شعرٍ بني اللون من حقيبتي. استخدمت المقص لانتزاع كتلٍ كبيرة من شعري الأشقر التي وضعتها في كيسٍ بلاستيكي. أحسستُ بالهواء الذي يصفع رقبتي من

الخلف فشعرتُ بالارتياح، وشعرت بأنني خفيفة مثل بالون، وهكذا قمت بلفّ شعري مراتٍ عدة كي أستمتع أكثر. أضفت اللون وتطلعت على ساعتي، ثم وقفت قليلاً عند المدخل وتطلعت على أميال من الأراضي المنبسطة، والتي تتناثر فيها مطاعم المأكولات السريعة وسلاسل الموتيلات. غسلت شعري في المغسلة فشعرت بارتياحٍ ناتجٍ عن الماء الساخن. عدت إلى سيارتي حاملة الكيس البلاستيكي الذي يحتوي على الشعر والأشياء الأخرى. وضعت نظارة ذات إطار معدني، وتطلعت في المرآة العاكسة ثم ابتسمت مجدداً. لم أكن لأتزوج من نِك لو كان مظهري على هذا الشكل عندما التقينا. كان يُمكن تجنب كل ما حدث لو أنني كنت أقل جمالاً.

البند 34 : تغيير المظهر. إشارة [التنفيذ] .

إنني غير متأكدة، على وجه الدقة، من كيفية التحوّل إلى آمي الميتة. إنني أحاول أن أتصوّر ماذا يعني ذلك بالنسبة لي، وماذا سأكون في الأشهر القليلة التالية. أفترضُ أنني سوف أكون أي شخص غير الأشخاص التي كنتها في الماضي: آمي الرائعة. فتاة الثمانينيات الطالبة؛ الساذجة صاحبة الحياء؛ وفتاة هيبورن المعقدة؛ الفتاة الذكية والساخرة؛ وجميلة بوهو (وهي أحدث نسخة من فريزبي غرانولا). الفتاة الهادئة [المثيرة] والزوجة المحبوبة، والزوجة غير المحبوبة، ثم الزوجة المحتقَرة والمنتقمة، وأخيراً آمي اليوميات.

آمل أن تكونوا أحببتم آمي اليوميات، وهي التي كان القصد منها أن تكون محبوبة. كان القصد أن يحبها أشخاصٌ مثلكم، وهي الفتاة التي من السهل أن يحبها الناس. لكني لم أفهم أبداً كيف أن هذه النقطة بالذات تُعتبر إطراءً - أي أن يحبك أي شخص بغضّ النظر عن الظروف. أعتقد أن هذه اليوميات أعطت نتيجة جيدة، لكنها لم تكن بسيطة. اضطررت للمحافظة على شخصية لطيفة وإن كانت ساذجةً قليلاً، وهي شخصية امرأة أحبّت زوجها وتمكنت من ملاحظة بعض أخطائه (وإلا كانت في غاية الحمق)، لكنها مخلصة له كثيراً - وهي تقود القارئ في هذه الأثناء (وفي هذه الحالة رجال الشرطة، وأنا متلهفة كي يعثروا على هذه اليوميات) إلى الاعتقاد بأن نِك كان يخطّط بالفعل لقتلي. كانت هناك مفاتيح ألغازٍ كثيرة ينبغي كشفها، وذلك بالإضافة إلى عددٍ كبيرٍ من المفاجآت!

كان نِك يسخر على الدوام من القوائم التي أعدّها والتي لا نهاية لها. (" يبدو بأنك تريدين أن لا تشعري بالرضا أبداً، وأنت تمتلكين شيئاً ينبغي تحسينه على الدوام، وذلك بدلاً من الاستمتاع باللحظة الحاضرة ") .

لكن مَن هو الشخص الذي ربح هنا؟ أنا ربحت لأن قائمتي، أي القائمة الرئيسة التي أعددتها والتي وضعت لها عنواناً تدمير نِك دون، كانت مليئة - كانت أكثر القوائم كمالاً وصعوبةً في التنفيذ من بين كل القوائم التي تم إعدادها على الإطلاق. ورد في تلك القائمة بند كتابة اليوميات للفترة ما بين العامين 2005 و 2012 . سبع سنوات من كتابة اليوميات، لكني لا أعني كتابتها كل يوم، لكن مرتين شهرياً على الأقل. هل تعرف أيّ انضباطٍ يتطلب هذا؟ هل كانت آمي الفتاة الهادئة تتمكن من القيام بهذا؟ هل تتمكّن من تفحّص أحداث الأسبوع الجارية، وذلك كي تتمكن مقارنتها مع مخططاتي اليومية القديمة، ولكي أتأكد من أنني لم أنسَ شيئاً هاماً، ثم القيام بعد ذلك بتصوّر كيفية تجاوب آمي اليوميات مع كل حادثة؟ كان الأمر مسلياً في معظم الأحيان. كنت أنتظر مغادرة نِك إلى الحانة، أو ذهابه لملاقاة خليلته، وهي التي لا تكف عن كتابة الرسائل النصّية، وعن مضغ اللبان، وهي العشيقة المضجرة بأظافرها المطلية، وسروالها الرياضي الذي يحمل شعارات مكتوبة من ناحية الخلف (إنها ليست كذلك بالضبط، لكن يُمكن أن تكون كذلك)، وهكذا كنتُ أسكب بعض القهوة أو أفتح زجاجةً من الشراب، ثم أختار أحد أقلامي الاثنين والثلاثين وذلك بهدف إعادة كتابة حياتي وتحسينها قليلاً.

يصدق هذا الوضع إلى درجة أنني أشعر في بعض الأحيان بقدرٍ أقل من الكراهية تجاه نِك عندما أبدأ بالكتابة. يُمكن الوصول إلى هذه النتيجة من زاوية الفتاة الهادئة والمرحة. كان نِك يأتي إلى المنزل في بعض الأحيان ورائحة الشراب تفوح منه، أو رائحة معقّم اليدين الذي مسح به جسمه بعد انتهائه من خليلته (لكن المعقّم لا يزيل الرائحة كلياً، بالرغم من أنه يُفترض أن يكون جسمها نظيفاً) ويُطلق نحوي ابتسامة تطفح بالشعور بالذنب، ويُظهر اللطف والوداعة نحوي، وكنت أفكّر: لن أحتمل ذلك كثيراً. كنتُ أتخيّله معها بعد ذلك، وهي مرتدية ثياب البحر، وتسمح له باستغلالها لا لشيء إلا لأنها تتظاهر بأنها فتاة هادئة [مثيرة] ، أي إنها تتظاهر بأنها تهوى الإثارة، وكرة القدم، والتعرض للاستغلال. كنت أفكّر عندها بما يلي، إنني متزوجة من أبله. إنني متزوجة من رجلٌ يفضّل ذلك على الدوام، وهو يسارع عندما يشعر بالملل من هذه التفاهة إلى العثور على فتاةٍ أخرى تتظاهر بأنها الفتاة التي يبحث عنها، كما أنه ليس مضطراً لأن يفعل أي شيء صعبٍ في حياته.

زاد تصميمي قوةً.

بلغ مجموع المدوّنات اثنين وخمسين، وكان صوتها يرافقني طوال الوقت. كتبت عن آمي المدونات هذه بكل عناية، وهي المصمّمة لإغراء رجال الشرطة، وإغراء الجمهور في حال نشر بعض المقاطع من اليوميات. لكن يتعيّن على كل هؤلاء قراءة هذه اليوميات وكأنها نوعٌ من أنواع المأساة القوطية. إنها امرأة رائعة طيبة القلب - حياتها أمامها، وكل شيء مصممٌ لأجلها، وذلك بالرغم من كل ما يقولونه عن النساء اللواتي يلقين حتفهن - لكنها تختار شريكاً لا يناسبها، ولهذا تدفع الثمن الأغلى. يتعيّن عليهم أن يحبوني، أعني أن يحبوها هي.

أعرف بأن والديّ يشعران بالقلق بطبيعة الحال، لكن، كيف أتمكن من الشعور بالأسف لأجلهما، وهما اللذان جعلاني على ما أنا عليه، لكنهما ما لبثا أن تركاني وحيدة؟ لم يسبق لهما أن تقبلا واقع أنهما يكسبان المال من وجودي، وأنني أستحق حصّتي من ذلك المال. لكن والديّ المؤمنَين بالمساواة بين الجنسين سحبا كل ما أمتلكه من مال، وما لبثا أن سمحا لزوجي نِك بإعادتي إلى ميسوري، وكأنني قطعة أثاثٍ يُمكن تحريكها، أو كأنني عروسٌ تحت الطلب يجري تسليمها بالبريد، أو قطعة أرضٍ يمكن مبادلتها. أعطياني ساعة كوكو لعينة لتذكيري بهما. شكراً على خدماتكِ التي استمرت ستة وثلاثين عاماً! إنهما يستحقان الاعتقاد بأنني فارقتُ الحياة، لأن هذا وضعٌ من صنعهما: لا مال لديّ، ولا منزل، ولا أصدقاء، ولهذا يستحقان كل العذاب. يعني ذلك أنه إذا لم يتمكنا من العناية بي وأنا على قيد الحياة فمعنى ذلك أنهما قضيا عليّ، وهذا هو بالضبط ما فعله نِك الذي دمّر شخصيتي الحقيقية بعد أن رفضها قطعةً بعد قطعة، أنتِ مفرطة في الجدية يا آمي، وأنتِ صارمةٌ جداً يا آمي، وأنتِ تبالغين جداً بالتفكير في أي شيء، وتحلّلين كثيراً جداً، ولم تعودي مسليةً بعد الآن، وأنتِ تدفعينني إلى الشعور بأنني عديم الفائدة يا آمي، وأنت تجعلين مشاعري سيئة يا آمي. حطّمني بانتقاداته اللاذعة: استقلاليتي، كبريائي، وتقديري لذاتي. كنتُ أعطي وهو يأخذ ويأخذ. سلخني نِك عن الوجود.

فضّل تلك الساقطة، الساقطة الصغيرة عليّ. يعني ذلك بأنه قضى على روحي، وهو ما يجب اعتباره جريمة. إنها جريمة في الواقع بالنسبة إليّ على الأقل.

نِك دون

بعد مرور سبعة أيام

شعرت بضرورة الاتصال هاتفياً مع تانر، وهو المحامي الذي عيّنته حديثاً، وذلك بعد مرور ساعاتٍ قليلة على تعيينه. عزمتُ على أن أقول له الكلمات التي ستجعله يندم لأنه قَبِل مالي: أعتقد بأن زوجتي أوقعتني في مكيدة. لم أتمكن من رؤية وجهه - لكنني تخيّلته - والعينين المقلوبتين، والوجه المتجهم، والإجهاد الذي يشعر به الرجل الذي لا يسمع شيئاً غير الأكاذيب لكسب معيشته.

قال لي أخيراً بعد مرور فترة صمت: " حسناً. سأكون هناك صبيحة الغد، وسنرى ما يمكننا فعله - سنضع كل شيء على الطاولة - لكنني أريدك في هذا الوقت أن لا تأتي بحركة، هل اتفقنا؟ اذهب إلى النوم ولا تفعل شيئاً " .

عملت جو بنصيحته فابتلعت حبّتين للنوم، وتركتني قبل الساعة الحادية عشرة بقليل من دون أن آتي بحركة حرفياً، وكأنني كرة فوق أريكتها. كنت أخرج بين فترة وأخرى كي أحدّق بالمستودع واضعاً يديّ فوق ردفيّ، وكأنني كنت أقوم بتخويف حيوانٍ مفترس. لم أكن متأكداً من غايتي من وراء كل ذلك، لكنني لم أستطع منعَ نفسي. أمكنني الجلوس لفترة خمس دقائق على الأكثر قبل اضطراري للخروج والتحديق مجدداً.

لكن ما إن عدت إلى الداخل حتى سمعتُ طرقة قوية على الباب الخلفي. يا الله، ليس في منتصف الليل. لكن الشرطة تقرع الباب الأمامي، أليس كذلك؟ أما المراسلون الصحفيون فإنهم لا يعرفون مكان منزل شقيقتي جو حتى الآن (لكن ذلك سوف يتغيّر في غضون أيامٍ أو ساعات). كنت في غرفة المعيشة واقفاً ومتوتراً وحائراً عندما سمعت الطرْقَ الذي زاد عنفاً على الباب. أطلقتُ شتيمة صامتة وحاولت أن أشعر بالغضب بدلاً من الخوف. واجِه الموقف يا دون.

فتحتُ الباب على مصراعيه فرأيتُ آندي. كانت تلك آندي اللعينة واقفةً وكأنها لوحةٌ جميلة. ارتدت آندي ثياباً أنيقة للمناسبة، وكأنها لم تفهم الوضع بعد، أي إنها كانت تضع الأنشوطة حول عنقي.

أدخلتها بعنف إلى الداخل، فحدّقت في يدي التي كانت فوق ذراعها: " إنك تضعينه داخل الأنشوطة يا آندي. أنت تُدخلين عنقي داخل تلك الأنشوطة اللعينة " .

قالت: " أتيت إلى الباب الخلفي " . حدّقت بها، لكنها لم تعتذر بل بقيت باردة الأعصاب. أمكنني بالفعل رؤية ملامح وجهها وهي تتصلب. " احتجت لأن أراك يا نِك. أخبرتك بهذا. قلت لك بأنني محتاجة لأن أراك أو التحدث معك كل يوم، لكنك اختفيتَ هذا اليوم. حوّلني هاتفك إلى البريد الصوتي. حدث ذلك ثلاث مرات " .

" إذا لم أكلمك فإن ذلك يعني بأنني لا أستطيع الكلام يا آندي. حباً بالله كنتُ في نيويورك للبحث عن محامٍ، وهو سوف يحضر إلى هنا في الصباح الباكر " .

" هل وكّلتَ محامياً. هل هذا هو ما أبقاك منشغلاً بحيث لم تتمكن من مكالمتي لعشر ثوانٍ فقط؟ " .

شعرت برغبة في صفعها، لكني أخذتُ نَفَساً عميقاً. يتوجّب عليّ قطع علاقتي مع آندي على الفور. لا يتعلق الأمر فقط بالتحذير الذي وجهه إليّ تانر، لأن زوجتي كانت تعرفني: كانت تعرف بأنني سوف أقوم بأي شيء لتجنب وقوع مواجهة. اعتمدت آمي على غبائي، وذلك كي تستمر العلاقة لفترة أطول، ولكي أقع في المصيدة في نهاية الأمر. يعني ذلك أنني مضطر لإنهاء هذه العلاقة. لكن يتعيّن عليّ فعل ذلك بالطريقة الصحيحة تماماً. اجعلها تعتقد بأن هذا هو الأمر الصائب.

بدأت بالحديث: " أعطاني المحامي في الواقع نصيحةً هامة. إنها نصيحة لا أستطيع تجاهلها " .

كنتُ لطيفاً جداً معها في الليلة الماضية، أي في لقائنا الاضطراري في حصننا المفترض. قدّمتُ لها وعوداً كثيرة، وحاولتُ تهدئتها. لم تتوقع حصول هذا الأمر، ولذلك فإنها لا تستطيع أخذ الأمر ببساطة.

" نصيحة؟ هذا جيد. هل قال لك أن تتوقف عن لعب دور المغفل معي؟ " .

شعرت بأن غضبي يتزايد، وأن الوضع سيكون أقرب شيء إلى عراكٍ في مدرسةٍ ثانوية. يقع رجلٌ بعمر الرابعة والثلاثين في أسوأ ليلة تمر عليه في حياته، بينما يُفرض عليّ ما يشبه اللقاء عند خزائن طلاب المدرسة! والتشاجر مع فتاة مهتاجة. هززتها بقوةٍ مرةً واحدة، بينما استقرت نقطة صغيرة من لعابي على شفتها السفلى.

" أنا... أنتِ لا تفهمين الوضع يا آندي. إنها ليست دعابة ما. إنها حياتي أنا " .

قالت وهي تتطلع نحو يديها: " إن كل ما في الأمر... هو أنني

بحاجة إليك. أعرف بأنني أداوم على قول هذا، لكنني بحاجةٍ إليك بالفعل. لا أستطيع يا نِك. لا أستطيع الاستمرار هكذا. أشعر بأنني أنهار، وأنا خائفةٌ طوال الوقت " .

إنها خائفة. تصورت رجال الشرطة وهم يقرعون الباب، وها أنا هنا مع الفتاة التي عاشرتها في صباح ذلك اليوم اختفت فيه زوجتي. بحثت عنها ولم أذهب إلى شقتها في تلك الليلة الأولى، لكني التقيتها صباحاً، وذلك لأنني أمضيت ساعاتٍ وساعاتٍ وأنا أسمع دقات قلبي خلف أذني محاولاً تشجيع نفسي على التلفظ بهذه الكلمات أمام آمي: أريد الحصول على الطلاق. إنني أحب امرأة أخرى. يتعيّن علينا الانفصال. إنني لا أستطيع التظاهر بأنني أحبك، ولا أستطيع المشاركة في لعبة البحث عن الكنز - سيكون ذلك غلطةً أشد وقعاً في واقع الأمر من خيانتك. (أعرف أن هذا هو أمرٌ قابل للنقاش). لكن بينما كنت أستجمع شجاعتي سبقتني آمي بحديثها الذي قالت فيه إنها ما زالت تحبني (يا للساقطة الكاذبة!) فقدتُ السيطرة على أعصابي بعد ذلك. شعرتُ بأنني التجسيد الأقصى للخداع والجبن، وللمفارقة شعرت بشوقٍ للقاء آندي كي أشعر بالارتياح.

لكن آندي لم تعد بمثابة الترياق لأعصابي، بل على العكس تماماً.

ضمّتني الفتاة بذراعيها حتى في هذه اللحظة متجاهلة كل شيء وكأنها عشبة برية.

قلتُ وأنا أطلق زفيراً، ومن دون أن أسمح لها بالجلوس، أي إنني أبقيتها قرب الباب: " اسمعي يا آندي، إنك عزيزةٌ جداً على قلبي، وأنت واجهتِ الأمر بشكلٍ رائع... " اجعلها ترغب في إبقائك في أمان.

قالت بصوتٍ مرتعش: " أعني... إنني أشعر بالأسف تجاه آمي. إنه أمرٌ يثير الجنون. أعرف بأنه لا يحق لي أن أشعر بالحزن تجاهها، أو حتى بالقلق. إنني أشعر بالذنب إضافة إلى شعوري بالحزن " . أسندتْ رأسها إلى صدري، لكني تراجعتُ إلى الخلف، وأمسكتها بذراعها بعيداً عني بحيث تضطر إلى التطلع نحوي.

قلت مستعيداً كلمات تانر بالضبط: " حسناً. إنه أمرٌ أعتقد أن بإمكاننا إصلاحه " .

قالت: " يجب علينا التوجه إلى الشرطة. إن وجودك معي يفسّر عدم تواجدك في المنزل في ذلك الصباح. يكفي أن نقول لهم ذلك " .

" تواجدتُ معك لنحو ساعة من الزمن في ذلك الصباح. لم ير أحدٌ آمي أو يسمعها بعد الساعة الحادية عشرة من بعد اليوم السابق للحادثة.

يُمكن للشرطة أن تقول إنني قتلتها قبل تواجدي معك " .
" إنه أمرٌ مقزز " .
هززتُ كتفي. فكّرت للحظة أن أخبرها عن آمي - زوجتي تنصب لي مكيدة - لكنني استبعدت الفكرة بسرعة. لا يُمكن أن تلعب اللعبة على المستوى ذاته الذي تلعبه آمي. تريد آندي أن تكون شريكتي في اللعب وسوف تجرّني إلى الهاوية. يعني ذلك أن آمي سوف تكون عبئاً إذا مضت قُدُماً في هذا. وضعت يديّ على ذراعيها مجدداً وتابعت حديثي.

" اسمعي يا آندي. إننا واقعان تحت قدرٍ كبيرٍ من الإجهاد والضغوط، ويعود جزءٌ كبير من هذه الضغوط إلى شعورنا بالذنب. الواقع يا آندي هو أن كلانا يمتلك قلباً طيباً. أعتقد بأننا منجذبان إلى بعضنا بعضاً لأننا نؤمن بقيَمٍ متشابهة، مثل معاملة الناس بالطريقة الصحيحة، والقيام بالأمور الصائبة. لكننا نعرف الآن بأن ما نقوم به هو خطأ " .

تغيّرت ملامحها التي كانت توحي بالانكسار والأمل. اختفت الدموع من عينيها، وتلاشت اللمسة اللطيفة ليظهر على وجهها وميضٌ غريب وظلال أكثر غرابة، وشيء أكثر اسوداداً.

" يتعيّن علينا إنهاء هذه العلاقة يا آندي. أعتقد أن كلانا يعرف ذلك. أعرف أن الأمر في غاية الصعوبة، لكنه الأمر الصائب الذي يمكننا فعله. أعتقد أن هذه هي النصيحة التي يمكننا إعطاؤها لأنفسنا إذا ما فكّرنا في الطريقة الصحيحة. ويتعيّن عليّ القيام بالأمر الصائب " .

" وماذا لو عثروا عليها؟ " لم تقل ميتة أو حية.

" إنه أمرٌ يمكننا مناقشته في حينه " .

" في حينه! وماذا سنفعل حتى ذلك الوقت؟ " .

هززتُ كتفيّ في يأس: " لن نفعل شيئاً حتى ذلك الحين " .

" ماذا تقول يا نِك؟ أتريدني أن أختفي حتى ذلك الحين؟ " .

" إنه اختيارٌ سيئ للكلمات " .

ابتسمتْ بتكلّف وهي تقول: " لكن هذا هو ما تعنيه " .

" أنا آسف يا آندي. لا أعتقد أنه من الصواب بالنسبة إليّ أن أكون معك الآن. إنه أمرٌ خطر بالنسبة إليك، وهو خطرٌ بالنسبة إليّ. إن ذلك لا يتفق مع ضميري. هذا هو ما أشعر به بالضبط " .

سالت الدموع على خدّيها وانفجرت بالقول: " هكذا إذاً؟ لكن هل تعرف ما هو شعوري؟ أشعر بأنني فتاة جامعية ساذجة، والتي بدأتَ بعلاقة معها لأنك ضجرت من زوجتك، وكنتُ أنا مناسبة جداً لك. كان

بإمكانك أن تذهب إلى المنزل، وإلى آمي، وتتناول غداءك معها، وتمرح في حانتك الصغيرة التي اشتريتها بأموالها، ثم تعود لتلتقيني في منزل والدك المحتضر، وتجثم على صدري لأن زوجتك الأنانية لا تسمح لك بفعل ذلك. يا لك من مسكين " .

" آندي. تعرفين أن هذا ليس... " .

" يا لكَ من تافه. أي نوعٍ من الرجال أنت؟ " .

" آندي، أرجوكِ " . استوعِب الموقف يا نِك. " أعتقد أنه بسبب عدم قدرتك على التحدّث عن هذا الأمر فإن كل شيء يبدو أكبر في ذهنك، وأقلّ... " .

" اللعنة عليك. أتعتقد بأنني فتاة مغفلة، أو طالبة تثير الشفقة والتي يمكنك استغلالها؟ وقفتُ إلى جانبك طوال كل هذه الأحاديث عن احتمال كونك قاتلاً. لكن ماذا حدث بعد أن صعُبت الأمور عليك قليلاً؟ كلا. كلا. لستَ مضطراً للتحدث عن الضمير والأمور الصائبة والذنب، وأن تشعر وكأنك تقوم بالأمر الصائب. هل تفهمني؟ يعود كل ذلك إلى أنك رجلٌ مخادع، وجبان، وأناني تافه " .

ابتعدت عني منتحبةً وابتلعت كميةً من الهواء المشبع بالرطوبة، ثم تنهدت فحاولت إيقافها، وأمسكتها بذراعها. " آندي، لا أريد أن تجري الأمور هكذا... " .

" أبعِد يديك عني! أبعِد يديك عني! " .

ابتعدت نحو الباب الخلفي، وتمكنت من توقع ما قد يحدث، لأن نار الكراهية والإحراج كانا يتوهجان في داخلها. أعرف أنها سوف تفتح زجاجة شراب أو اثنتين، وسوف تُخبر إحدى صديقاتها بعد ذلك، أو حتى والدتها، وسوف ينتشر الخبر بعد ذلك مثل العدوى.

أسرعتُ لأقف أمامها ووقفتُ حاجزاً بينها وبين الباب - آندي أرجوكِ - تقدمت نحوي لتصفعني، لكنني أمسكتُ ذراعها دفاعاً فقط. تحركت أذرعنا المتشابكة صعوداً ونزولاً، وكأننا شريكان في رقصةٍ سريعة.

" دعني يا نِك، وإلا أقسم... " .

" ابقي لدقيقة واحدةٍ فقط. أصغي إليّ " .

" اسمع. دعني وشأني! " .

" حرّكت وجهها نحوي وكأنها عزمت على تقبيلي. لكنها عضّتني. تراجعت إلى الخلف ثم خرجت مسرعةً.

آمي إليوت دون

بعد مرور خمسة أيام

يُمكنك أن تدعوني آمي أوزارك. إنني مختفية في حجرات الاختباء (هل تذكرون اسماً أكثر ملاءمة لوضعي؟)، كما أنني أجلس بهدوء، وأراقب كل المزالج والروافع التي وضعتها في أماكنها كي تقوم بعملها.

احتجبتُ عن أنظار نِك، لكنني أفكّر فيه أكثر من أي وقتٍ مضى. رنّ هاتفي المؤقت عند الساعة 10 : 04 من الليلة الماضية. (أجل يا نِك، فأنت لستَ الشخص الوحيد الذي يعرف خدعة " الهاتف النقال السري " القديمة). كانت شركة أجهزة الإنذار على الطرف الآخر من الخط. لم أردّ بطبيعة الحال، لكني أعرف بأن نِك وصل إلى منزل والده في هذا الوقت، أي إلى مكان وجود مفتاح اللغز رقم 3 . سبق لي قبل أسبوعين من اختفائي أن غيّرتُ الرمز، ووضعت رقم هاتفي السري ليكون أول رقمٍ تتصل به الشركة. إنني أتمكن من تخيّل نِك ممسكاً بمفتاح اللغز بيده، وداخلاً إلى منزل والده الذي يعلوه الغبار وتفوح منه رائحة العفونة، ثم وهو يعبث بأرقام رموز جهاز الإنذار... ثم ينتهي الوقت المحدد. بيب بيب بيييب! كان رقم هاتفه الخلوي مدرجاً بوصفه الرقم الاحتياطي إذا لم تتمكن الشركة من الاتصال بي (وبطبيعة الحال فأنا لا أستطيع الرد).

يعني ذلك أنه تسبب بإطلاق جهاز الإنذار، وتحدث مع أحدهم في الشركة المختصة، وهذا يعني أن دخوله إلى منزل والده بعد اختفائي قد دخل في سجلات الشرطة. إنه أمر مفيدٌ للخطة. أعرف بأنها ليست خطةً محكمة تماماً، لكن لا ينبغي لها أن تكون محكمة تماماً. أعرف كذلك بأنني تركت ما يكفي من البراهين لرجال الشرطة لإقامة الدعوى ضد نِك: مسرح الجريمة المصطنع، والدماء التي جرى تنظيفها، وفواتير بطاقات الائتمان. إن كل هذه هي أدلة تأخذها دوائر الشرطة، وحتى أقلّها كفاءة، بعين الاعتبار. أعرف كذلك بأن نويل سوف تنشر أنباء حملي بالسرعة المطلوبة (هذا إذا لم تفعل ذلك فعلاً). أعتقد أن كل ذلك كافٍ، وعلى الأخص ما إن تكتشف الشرطة آندي القادرة (القادرة على الإثارة). يعني ذلك أن كل هذه الإضافات تُعتبر زيادةً في الإذلال. إنها أفخاخٌ مسلية. أحب أن أكون المرأة التي تمتلك أفخاخاً.

تُعتبر إلين آبوت جزءاً من خطتي كذلك، ويُعتبر برنامجها أضخم برنامج عن الجريمة تعرضه القنوات السلكية في البلاد. إنني أعشق إلين

آبوت، وأحب طريقة حمايتها وعطفها الأمومي على النساء المفقودات، وكيفية انقضاضها الشرس على المشتبه بهم في هذه القضايا، وهو الذي عادةً ما يكون الزوج. إنها صوت أميركا في ما يتعلق بأحقية المرأة. هذا هو السبب الذي دفعني إلى الرغبة في أن تتبنى قضيتي. يتعيّن على الجمهور أن يتحوّل ضد نِك. إنني أعتبر ذلك جزءاً من عقوبته مثل ما هو السجن، وذلك لأن العزيز نِكي - الذي يمضي وقتاً في الحرص على أن يحبه الناس - يجب أن يعرف بأن الناس تكرهه. إنني أحب أن تبقيني إلين على علمٍ بالتحقيقات. هل عثرت الشرطة على دفتر يومياتي؟ هل عرفت الشرطة بأمر آندي؟ هل اكتشفت بوليصة التأمين على الحياة التي قمتُ برفع قيمتها؟ هذا هو الجزء الأصعب: انتظار أن يفهم الأغبياء ما يجري.

داومتُ على تشغيل جهاز التلفزيون في حجرتي الصغيرة مرة في كل ساعة، وذلك لأنني كنت متشوقة لمعرفة ما إذا كانت إلين علمت بقصتي. يتعيّن عليها ذلك لأنني لا أرى سبباً في أن لا تفعل. إنني جميلة، ونِك وسيمٌ كذلك، كما أنني أمتلك ورقة آمي الرائعة. ظهرت إلين قبل الظهر بقليل لتعد بتقديم تقريرٍ خاص ومثير. واظبتُ على مشاهدة التلفزيون: هيّا يا إلين، أو أسرعي يا إلين. إننا نمتلك هذا القاسم المشترك في ما بيننا: إننا أشخاصٌ وشخصياتٌ في الوقت ذاته. آمي وآمي. إلين وإلين.

مرّ إعلانٌ عن تامبون، وإعلانٌ آخر عن أحد المنظفات، وإعلان عن لفافة شديدة الامتصاص، وإعلانٌ عن ويندكس. يخيّل للمرء بأن النساء لا يفعلن شيئاً غير التنظيف والنزف.

أخيراً! حان دوري! حان دور عرض برنامجي!

أدركت منذ اللحظة التي ظهرت فيها إلين، وعندما رأيتها تحملق مثل إلفيس بأن البرنامج سوف يكون رائعاً. ظهر عددٌ قليل من صوري الرائعة، كما ظهرت صورة تُظهر نِك بضحكته المثيرة والتي تقول أريدك أن تحبني! وذلك منذ المؤتمر الصحفي الأول. أخبار: جرى بحثٌ غير مثمر عن " المرأة الشابة الجميلة، لكن عملية البحث عنها مستمرة " . أخبار: قضية نِك خاسرة منذ الآن، وهو الذي التقطت له صورٌ جريئة مع إحدى الشابات أثناء عملية البحث التي جرت عني. يبدو أن هذا هو ما جعل إلين تعلق في الفخ، وذلك بسبب حماستها. شاهدت نِك في وضعية غرامه مع تلك الفتاة، ووضعية إنني محبوب جميع النساء، بينما كان وجهه ضاغطاً على وجه تلك المرأة الغريبة وكأنهما رفاق ساعات المرح في إحدى الحانات حيث يقدّم الشراب مجاناً.

يا له من غبي، لكني أحببت وضعه هذا.

ركّزت إلين آبوت على حقيقة أن باحتنا الخلفية تؤدي إلى نهر المسيسيبي مباشرة. تساءلت ما إذا كانت الأنباء قد تسربت - سجّل البحث في حاسوب نِك، وهو الأمر الذي حرصت على أن يتضمن دراسةً عن الأقفال المائية والسدود الموجودة على نهر المسيسيبي، وكذلك البحث في موقع غوغل عن كلمات عوم الأجسام فوق نهر المسيسيبي. لا أعتقد أن هذا الأمر مستحيل، لأنه قد يحدث - لعله بعيد الاحتمال، لكن كانت هناك سابقة - أن يتمكن النهر من جرف جسدي نحو المحيط. شعرت بالحزن على نفسي عندما تخيّلت جسدي النحيل، والعاري، والشاحب وهو يعوم تحت التيار مباشرة بينما تعلق مستعمرة من الحلزونات على ساقي العارية، وشعري يلحق بي، وكأنه كتلة من الأعشاب البحرية إلى أن أصل إلى المحيط وأنزلق نزولاً، نزولاً، نزولاً إلى القعر، وتأخذ جثتي المشبعة بالماء بالتقشّر قطعاً صغيرة وناعمة وهكذا أختفي ببطءٍ في التيار وكأنني لون مائي إلى أن لا يبقى مني سوى العظام.

لكني امرأة رومانسية. يعني ذلك أنه إذا قتلني نِك في الحياة الواقعية فأعتقد بأنه سوف يدسّ جثتي في كيسٍ للنفايات، ويأخذني بسيارته إلى موقع رمي النفايات، وذلك ضمن مساحةٍ يبلغ شعاعها ستين ميلاً. وهكذا يتخلص مني ببساطة، لكنه سيأخذ معه بعض الأغراض - جهاز التحميص المكسور، والذي لا يستأهل الإصلاح، وكومة من أشرطة الفيديو VHS القديمة، وكل ذلك كي يجعل من جولته هذه مجدية.

إنني أتعلم العيش بطريقة تتميز بالكفاءة إلى حدٍّ معقول، وذلك لأنه يتعيّن على الفتاة التوفير عندما تقرر أن تموت. امتلكتُ الوقت للتخطيط، ولتوفير بعض المبالغ نقداً: أعطيت لنفسي مهلة اثني عشر شهراً كانت كافية، وهي المهلة التي امتدت ما بين اتخاذي القرار بالاختفاء والاختفاء فعلياً. هذا هو السبب الذي يجعل معظم الناس يقعون في يد الشرطة بعد ارتكابهم جرائم القتل: إنهم لا يمتلكون الانضباط الكافي للانتظار. إنني أمتلك الآن مبلغ 10 , 200 $ نقداً. لكن لو جمعت مبلغ 1 , 200 $ في شهرٍ واحد لكان أمري انكشف. لكني جمعت هذه الأموال النقدية من بطاقات الائتمان التي أخذتها باسم نِك - وهي البطاقات التي ستجعله يبدو وكأنه مخادعٌ جشع. يُضاف إلى ذلك أنني تمكنت من سحب مبلغ 4 , 400 $ أخرى من حساباتنا المصرفية خلال أشهرٍ عدة: كانت على شكل سحوبات تتراوح في القيمة ما بين 200 $ أو 300 $ ، أي إنها ليست

بالمبالغ التي تثير الانتباه. سرقت كذلك من نِك، أي من جيوبه، تارة 20 $ من هنا، و 10 $ من هناك، حتى تجمّع عندي مبلغٌ، لكن ببطء. يبدو الأمر وكأنك تعد خطة تجميع المال لتناول القهوة الصباحية في مقاهي ستاربكس وتضعه في إناء، لكنك تجد في نهاية العام مبلغ 1 , 500 $. كنتُ أسرق كذلك من الوعاء المخصص للبقشيش عندما أذهب لزيارة الحانة. إنني متأكدة من أن نِك وضع اللوم في هذا النقص على جو، وأن جو وضعت اللوم على نِك، لكن أياً منهما لم يقل أي شيء للآخر لأنهما شعرا بالأسف الشديد تجاه بعضهما بعضاً.

لكنني حريصة بالنسبة إلى المال، وهو الأمر الأهم بالنسبة لي. إنني أمتلك ما يكفي للعيش حتى أقتل نفسي. إنني أنوي الاختباء مدة تكفي لمشاهدة لانس نيكولاس دون وهو يتحول إلى منبوذ في كافة أنحاء العالم، ولأراقب نِك أثناء القبض عليه، وأثناء محاكمته، وأثناء اقتياده إلى السجن مذهولاً في زيّه ذي اللون البرتقالي ومقيّد اليدين بالأصفاد. أحب أن أشاهد نِك وهو يتلوى ويتعرق، ويُقسم بأنه بريء، لكنه يظل عالقاً. أريد بعد ذلك التجول بمحاذاة النهر حيث سألتقي مع جسدي، أي مع جسد آمي الأخرى العائم في خليج المكسيك. سأوقّع على رحلة شراب - الشيء الذي سوف ينقلني إلى النهاية العميقة، لكنه الشيء الذي لا يتطلب التعريف عن الهوية. أنوي أن أتناول كمية كبيرة من الشراب، وكذلك سوف أبتلع حبوباً منومة من دون أن يتطلع عليّ أحدٌ من الناس، وسوف أنحدر بصمتٍ إلى جانب النهر بينما تمتلئ جيوبي بأحجار فرجينيا وولف [الكاتبة البريطانية الشهيرة] . يتطلب الأمر قدراً كبيراً من الانضباط، أعني أن يقوم المرء بإغراق نفسه، لكني أمتلك قدراً لا نهاية له من الانضباط. يُحتمل أن لا تُكتشف جثتي أبداً، أو يُحتمل بأنها سوف تعوم على سطح الماء بعد أسابيع أو أشهر - وستكون متآكلة إلى درجة أنه سوف يتعذر تحديد وقت موتي - وهكذا سأقدم جزءاً أخيراً من الدليل للتأكيد على أن نِك سار على درب الجلجلة، وذلك عند وصوله إلى طاولة السجن حيث سيُحقن بالسم قبل موته.

أحب أن أنتظر كي أراه ميتاً، لكن بالنظر إلى وضع نظامنا القضائي فإن الأمر قد يستغرق سنين عدة، لكني لا أمتلك المال ولا قدرة التحمل للانتظار. إنني مستعدة للانضمام إلى المجموعة التي حملت اسم أمل [التي ماتت قبل أعوام] .

انحرفتُ قليلاً عن موازنتي، وذلك عندما أنفقتُ 500 $ دولار على

أغراضٍ اشتريتها بهدف تحسين منظر حجرتي - أغطية سرير جميلة، ومصباح أنيق، ومناشف. لكني أحاول تقبّل ما يُقدّم إليّ. يقطن رجلٌ على بُعد حجراتٍ قليلة مني، وهو قليل الكلام، ويبدو بأنه كان هيبياً مع غريزلي آدامز قبل أن يتركه، وهو النسخة المحلية من مجموعةٍ أكثر تنوعاً - لحيةً مكتملة وخواتم باللون الفيروزي، وهو الذي يعزف في بعض الليالي على قيثارته [غيتاره] في الفناء الخلفي من حجرته. قال لي إن اسمه جيف، وأعتقد أنه مثل اسمي الذي قلتُ بأنه ليديا. إننا لا نبتسم إلا عندما نلتقي، لكنه يُحضر لي سمكةً بين وقتٍ وآخر. أحضر لي أسماكاً عدة مراتٍ حتى الآن. كانت أسماكاً طازجةً برائحتها، لكنها منظفةً ومن دون رؤوس، وهو يُحضرها لي في حقيبة مثلجة كبيرة. يقول لي وهو يقرع الباب " سمكةً طازجة! " لكنه كان ينصرف إذا لم أفتح الباب على الفور تاركاً الحقيبة أمام مدخل حجرتي. كنت أطهو السمكة في مقلاة مشتراة من أحد متاجر وال مارت، وهي مقلاة ليست سيئة كما أنها مجانية.

سألته: " من أين تحصل على كل ذلك السمك؟ " .

قال لي: " أحصل عليها من المكان الذي تتواجد فيه " .

أما دوروثي التي تعمل في قسم الاستقبال فقد شعرت بالود تجاهي، وهي لذلك تُحضر لي البندورة (الطماطم) من حديقتها، وهي التي تحمل رائحة التراب، أي مثل السمك الذي يحمل رائحة البحيرة. أعتقد أن نِك سوف يكون في السنة القادمة مسجوناً في مكانٍ يحمل فقط رائحة الأماكن المقفلة. إنها روائح متنوعة: مزيل الروائح، والأحذية القديمة، والأطعمة النشوية، والمفارش التي تفوح منها روائح العفونة. أعرف أن أكثر ما يخشاه كان كابوسه الشخصي الخاص به: يكتشف بأنه في السجن، ويدرك بأنه لم يرتكب أي خطأ، لكنه عاجز عن إثبات هذا. دارت كوابيس نِك، ودائماً، حول تعرضه للظلم، وحول احتجازه، وكونه ضحية قوى لا سيطرة له عليها.

كان يستفيق دائماً من كوابيسه هذه، ويجول في أنحاء المنزل، ويرتدي ملابسه ويخرج، ثم يتجول في الطرقات القريبة من منزلنا، ويذهب إلى المتنزه - متنزه ميسوري، أو متنزه نيويورك - ويقصد الأماكن التي يريدها. إنه رجل يحب الأماكن المفتوحة، لكنه ليس مغرماً بها إلى هذا الحد. لا يمكنني اعتباره رجلاً مدمناً على التجول، أو رجلاً يحب التخييم في العراء، وهو لا يعرف كيفية إشعال النار. لا يعرف نِك كذلك كيفية اصطياد السمك وتقديمه لي. لكنه يحب الخيارات، ويحب أن يمتلك حرية الاختيار. إنه يريد أن يعرف بأنه يستطيع الخروج من المنزل، حتى ولو اختار البقاء

في الداخل، والجلوس على الأريكة، ومشاهدة برنامج مصارعة [التي تجري داخل قفص] لفترة ثلاث ساعات.

إنني أتساءل حول ما جرى لتلك الفاجرة الصغيرة. آندي. ظننتُ بأنها سوف تصمد لفترة ثلاثة أيام فقط. لكنها لن تستطيع مقاومة تقاسم معلوماتها مع الغير لفترةٍ أطول. أعرف بأنها تحب تقاسم معلوماتها لأنني إحدى صديقاتها على موقع فيسبوك. أما اسمي في ذلك الموقع فهو اسم مختلق (مادلين إلستر، ها!)، كما أن صورتي مسروقة من صور النساء التي تظهر في إعلانات الرهونات العقارية (شقراء، ومبتسمة، والتي تريد الاستفادة من نسب الفوائد المنخفضة بشكل كبير). طلبت مادلين، بصورة عفوية، أن تصبح صديقة آندي قبل أربعة أشهر، وهكذا قبلت آندي وكأنها حيوان أليف مطيع، لكنه سيئ الحظ. هذه هي الطريقة التي عرفتُ فيها هذه الفتاة الصغيرة بشكلٍ مقبول، وذلك إلى جانب مجموعة أصدقائها المولعين بالتفاصيل، والذين يأخذون فترات نوم عديدة ويحبون اللبن اليوناني، والشراب المصنوع في إيطاليا، ويحبون تبادل هذه المعلومات مع بعضهم بعضاً. أعتقد أن آندي هي فتاة طيبة بمعنى أنها لا تنشر صورها أثناء " احتفالاتها " ، وهي لا تنشر أبداً رسائل تنضح بالفجور. إنني أعتبر ذلك أمراً مؤسفاً، لأنها عندما تنكشف بوصفها عشيقة نِك فإنني أفضل أن تجد وسائل الإعلام صوراً التقطتها بنفسها، أو صوراً وهي تقبّل الفتيات أو وهي تعرض لباس سباحتها. إن ذلك سوف يثبتها بسهولة أكبر بوصفها مخربة البيوت العامرة.

مخربة البيوت العامرة. تعرّض بيتي للاهتزاز، لكنه لم يكن مدمراً بعد عندما بدأتْ بتقبيل زوجي والاقتراب منه، والنوم إلى جانبه في السرير، وإثارته بكل الوسائل وهي تكرر ذلك مرة بعد أخرى. إن ذلك النوع من النساء يعشق كل هذه الأمور. أعرف بأن علاقتهما بدأت منذ سنة. كانا يلتقيان في كل يوم عطلة، كما أنني دققتُ في بيانات بطاقات ائتمانه (البطاقات الحقيقية). كي أعرف ماذا أهداها، لكني اكتشفت بأنه كان بالغ الحذر. تساءلت ما هو شعور المرأة التي يتعيّن أن تُشترى هديتها نقداً. إنها سرقة بحد ذاتها، لأن اسم الفتاة لا يدخل في السجلات، وهو الأمر الذي يعني أن الفتاة لا تستطيع استدعاء سبّاك، أو الإصغاء إلى تذمرات الرجل عن عمله، أو تذكيره مرةً بعد أخرى بجلب طعام للهرة.

أشعر هنا بحاجةٍ لتوضيح الأمور قليلاً. أحتاج إلى أن 1) تقوم نويل بإبلاغ أحدهم عن مسألة حملي؛ 2) عثور رجال الشرطة على دفتر يومياتي؛ 3) قيام آندي بإخبار شخصٍ ما عن العلاقة [مع زوجي] . أعتقد بأنني

أصبحتُ على علمٍ بعاداتها، أي إن الفتاة التي تحكي ما يطرأ على حياتها من أحداث خمس مراتٍ في اليوم، وبحيث يكون ذلك بمتناول الجميع، فلا بد وأنها تفتقد إلى الفهم الحقيقي عما يدعى أسراراً. أعرف بأنها أشارت إشاراتٍ عابرة إلى زوجي في الشبكة:

رأيت السيد الجذّاب هذا اليوم.

(أوه، تابعي!)

(متى يمكننا الالتقاء بهذا الفحل؟)

(بريجيت تحب هذا الأمر!)

إن قبلة من الرجل الحالم تجعل كل شيء يبدو في حالةٍ أفضل.

(رائع إلى درجة يصعب أن يكون ذلك حقيقياً!)

(متى يمكننا الالتقاء مع السيد الحالم؟!)

(بريجيت تحب هذا!)

لكنها متحفظة تماماً إلى درجةٍ مدهشة بالنسبة إلى فتاة من جيلها. إنها فتاة جيدة (للفراش). أمكنني أن أتصور ذلك الوجه الذي هو بشكل قلب مائلاً قليلاً، والحاجب المتغضّن قليلاً. أريد فقط أن تعلم بأنني إلى جانبك يا نِك. إنني هنا لأجلك. يُحتمل بأنها أعدّت له الكعك كذلك.

تعرض كاميرات إلين آبوت في هذه الأثناء صوراً داخل مركز التطوع، وهو مكان يبدو بأنه غير مرتّبٍ قليلاً. تحدثت إحدى المراسلات كيف أن اختفائي قد " هزّ هذه المدينة الصغيرة " . رأيت خلفها طاولة مليئة بمأكولاتٍ بيتية وبعض قطع الكعك من أجل نِكي المسكين. تمكّن هذا المغفل، حتى وهو في هذا الوضع، من اجتذاب نساءٍ للاهتمام به، ولا بد من أنهن نساء يائسات يبحثن عن فرصة، أي إنهن يبحثن عن رجلٍ وسيم لإيقاعه في شباكهن، ولا بأس في احتمال أن يكون قتل زوجته، لكننا لا نعرف ذلك. لا نعرف ذلك على وجه التأكيد. أما الآن فإنه من المريح جداً أن يتواجد شخصٌ لنطبخ له، ولا بأس بقطع مسافة تعادل نحو أربعين ميلاً بالدراجة الهوائية للوصول إلى منزل ذلك الفتى.

يعرض البرنامج الآن، ومجدداً، صورة نِك وهو يبتسم ابتسامة عريضة، وهي الصورة التي التُقطت بالهاتف. أمكنني أن أتصور تلك الفاجرة في مطبخها المنعزل والملتمع - لا بد وأنه مطبخ تذكاري اشترته بأموال النفقة - العجن والقلي وهي تجري محادثة خيالية مع نِك: " كلا، إنني في الثالثة والأربعين في الواقع. كلا، أنا في الواقع! كلا، ليس لي رجالٌ يحومون حولي، حقيقة لا وجود لأولئك الرجال، أما رجال هذه البلدة فلا يثيرون كل ذلك

الاهتمام، ومعظمهم...

أحسستُ بأنني أكاد أنفجر غيرةً إزاء تلك المرأة التي قرّبت خدّها من خدّ زوجي. إنها أجمل مني وأنا في هذا العمر الآن. إنني أتناول الآن ألواح شوكولا هيرشي، وأعوم في البركة لساعاتٍ تحت الشمس الحارقة بينما يحوّل الكلور جلدي إلى قطعة مطاطية وكأنني فقمة. أعرف أن الجلد الذي تعرّض للسمرة هو جلد تعرّض للتلف، وأعرف أنه لا أحد يحب الفتاة التي تمتلك جلداً متغضناً. أمضيت حياتي وأنا منتبهة لحماية جلدي من أشعة الشمس. لكن سمحت لنفسي بالاسمرار قليلاً قبل اختفائي، أما الآن وبعد مرور خمسة أيام، فإنني في طريقي إلى الاسمرار الشديد. تقول لي دوروثي، المديرة المتقدمة في السن قليلاً، وبسرور عندما أحضر لدفع إيجار الأسبوع التالي نقداً: " أنت سمراء مثل ثمرة التوت يا فتاة! " .

تحوّل جلدي إلى لونٍ داكن، أما شعري فأكسبتُه اللون الجرذوني بتسريحته على شكل خوذة، كما أضع نظارة الفتاة الأنيقة. زاد وزني بمقدار اثني عشر باونداً خلال أشهرٍ قليلة قبل اختفائي - وهي الزيادة التي اختفت خلف فستان واسع عاري الكتفين، وذلك لكي لا يلاحظ زوجي الذي لا يكترث بي كثيراً - كما أن وزني زاد بمقدار باوندين. حرصت كذلك على عدم التقاط صورٍ لي في الأشهر التي سبقت اختفائي، وذلك لكي لا يلاحظ الناس إلا آمي الشاحبة والنحيلة. لم أعد كذلك بكل تأكيد. يمكنني كذلك الإحساس بردفيّ يتحركان أحياناً عندما أمشي. ألا يتحدث المثل القديم عن التمايل والقهقهة؟ لكن ذلك المثل لا ينطبق عليّ أبداً. كان جسدي جميلاً وكل شيء متوازناً جداً. لكنني لا أفتقد كل ذلك. لم أفتقد كذلك الرجال الذين يتطلعون نحوي. أعتقد بأنه أمرٌ يدعو للارتياح أن أدخل إلى متجر، وأن أخرج منه من دون مضايقة من رجال يرتدون قمصاناً من دون أكمام، ومن دون أن يتلفظ بعضهم بكلمات تنضح بالكراهية إزاء النساء. أما الآن فإن أحداً لا يخاطبني بكلماتٍ قاسية، لكن في الوقت ذاته لا أحد يبدو لطيفاً نحوي. يُضاف إلى ذلك أن أحداً لا يخرج عن حدّه معي، أو على الأقل لا يخرج عن حدّه كثيراً في الواقع، أي كما كان يحدث في الماضي عادةً.

إنني الآن نقيض آمي.

نِك دون

بعد مرور ثمانية أيام

وضعت مع طلوع الشمس مكعباً من الثلج على خدّي. لكن بعد مرور ساعاتٍ عدة ما زلت أشعر بتلك العضّة التي تركت علامتين عميقتين. لم أكن قادراً على اللحاق بآندي، وهو الأمر الذي يمثّل مخاطرة أكثر سوءاً من فورة غضبها، لكني تمكنت في النهاية من ترك رسالة صوتية في هاتفها.

استوعِب، يجب أن تستوعب الأمر.

" آندي. إنني آسف جداً. لم أكن أعرف ماذا سأفعل، ولم أعرف ماذا يجري. أرجوكِ سامحيني. أرجوكِ " .

ما كان يجدر بي ترك رسالةٍ صوتية، لكني فكّرت بعد ذلك: يُحتمل بأنها تلقت المئات من رسائلي الصوتية من دون أن تمحوها، وهذا أمرٌ مؤكد. يا الله، ماذا يحدث لو أنها عرضت قائمة بهذه الرسائل الأكثر قذارة، وبذاءة، وغراماً... إن أي امرأة تعرضت للأذى قد تدينني حتى الموت بسبب تلك الرسائل. لكن معرفة أنني أخون زوجتي هو شيء، وسماع صوتي التعليمي القوي، وأنا أحدّث تلميذة شابة عن ذلك الشيء الضخم والصلب، هو شيء آخر.

احمرّ خداي في ضوء الشمس، كما أن مكعب الثلج ذاب كلياً.

جلست فوق درج المدخل الأمامي لمنزل جو، وبدأت بمحاولات الاتصال بآندي كل عشر دقائق، لكني لم أُفلح. عجزت عن النوم بينما كانت أعصابي متعبة. اقتربت بوني بسيارتها في الممر، وذلك عند الساعة 6 : 12 صباحاً. لم أقل شيئاً أثناء اقترابها مني حاملة بيديها كوبين من الفلّين.

" مرحباً يا نِك. أحضرتُ لك بعض القهوة. أتيت كي أطمئن عليك " .

" أراهن على هذا " .

" يُحتمل أنك تشعر بالاضطراب بسبب الأنباء عن الحمل " . تعمّدت التركيز على سكب مكعبات التحلية [المبيّضة] في كوب قهوتي، أي بالطريقة التي أحبها، ثم ناولتني الكوب. قالت لي وهي تشير إلى خدّي: " ما هذا؟ " .

" ماذا تعنين؟ " .

" أعني يا نِك، ماذا حدث لوجهك؟ توجد منطقة كبيرة زهرية اللون... " انحنت نحوي وأمسكت ذقني. " يبدو وكأنها عضة " .

" لا بد وأنها حساسية. إنني أصاب بالحساسية عندما أشعر بالإجهاد "

.

" مم - ممم " . حرّكت القهوة في كوبها. " أنت تعرف بأنني أقف إلى جانبك. أليس كذلك يا نِك؟ " .

" صحيح " .

" إنني أقف إلى جانبك بالفعل. أتمنى لو أنك تثق بي. إنني أكاد أقترب من مرحلة عدم تمكّني من مساعدتك إذا لم تثق بي. أعرف أن هذا يبدو وكأنه كلام رجال الشرطة، لكنها الحقيقة " .

جلسنا في صمتٍ شبه ودّي وارتشفنا قهوتنا.

قالت بمرح: " اسمع. أردتك أن تعرف قبل أن تسمع بهذا من مصادر أخرى. وجدنا محفظة آمي " .

" ماذا؟ " .

" أجل. لم نجد فيها نقوداً، بل بطاقة هويتها، وهاتفها الخلوي. وجدناها في هنيبعل من بين كل الأماكن. كانت على ضفة النهر، وإلى الجنوب من مكان رسو قاربٍ بخاري. أما افتراضنا فكان على الشكل التالي: أراد أحدهم أن يبدو الأمر وكأن المحفظة ألقاها المجرم في النهر في طريقه خارج البلدة عندما كان ماراً فوق الجسر متوجهاً إلى إيلينوي " .

" أراد أحدهم أن يبدو الأمر وكأن... " .

" لم تغرق هذه المحفظة أبداً، وذلك لأنها ما تزال تحمل بعض البصمات في أعلاها، أي قرب السحّابة. يحدث أحياناً أن تبقى البصمات حتى في المياه، لكن... سأوفر عليك سماع النقاط العلمية، وسوف أكتفي بالقول إن نظريتنا تقول إن هذه المحفظة وضعها أحدهم على ضفة النهر ليتأكد من أن شخصاً ما يعثر عليها " .

قلت: " يبدو بأنكِ تقولين لي هذا لسببٍ محدد " .

" البصمات التي عثرنا عليها هي بصماتك أنت يا نِك. لكن الأمر ليس غريباً جداً. يُمسك الرجل محفظة زوجته في كل الأوقات. لكن مع ذلك... " ضحكت وكأنها عثرت على فكرةٍ عظيمة. " لكن، يجب أن أسأل: هل ذهبتَ إلى هنيبعل منذ مدة قريبة. هل كنتَ هناك؟ " .

قالت ذلك بثقة كبيرة، لكن خطرت فكرة في ذهني: هل خبأت الشرطة جهاز تتبّع في مكانٍ ما تحت سيارتي، وذلك في صباح اليوم الذي ذهبتُ فيه إلى هنيبعل؟

" لماذا، وبالتحديد، أتوجه إلى هنيبعل للتخلص من محفظة زوجتي؟ " .

" لنفرض بأنك قتلتَ زوجتك، ورتّبتَ مسرح الجريمة في منزلك، وذلك

في محاولةٍ منك أن تدفعنا للتفكير بأن شخصاً غريباً قد هاجمها. لكنك أدركت عندها بأننا بدأنا بالاشتباه بك، وهكذا أردتَ زرع شيء لتحويل الانتباه عنكَ مجدداً. هذه هي الفرضية، لكن يوجد في هذه المرحلة بعض رجالي من الذين يعتقدون بأنك فعلتَها بكل تأكيد، ولهذا فهم سوف يتمسكون بأي نظرية يجدونها مناسبة. إذاً دعني أساعدك: هل كنتَ في هنيبعل مؤخراً؟ " .

هززتُ رأسي نفياً، وقلت: " تحتاجين إلى التحدث مع محاميّ. تانر بولت " .

" تانر بولت؟ هل أنت متأكد من أن هذه هي الطريقة التي تريد اتّباعها يا نِك؟ أشعر بأننا كنا منصفين معك حتى الآن، وكنا صريحين جداً معك. بولت، إنه... إنه الملاذ الأخير. إنه الرجل الذي يلجأ إليه المذنبون " .

" هاه. حسناً. اتضح لي بأنني المشتبه به الرئيس لديكم يا روندا. أنا مضطر للدفاع عن نفسي " .

" دعنا نكون معاً عندما يأتي. هل تمانع؟ تحدث عن كل شيء " .

" بالتأكيد. هذه هي خطتنا " .

قالت بوني: " يمتلك الرجل خطة. إنني أتطلع إلى معرفتها. وقفتْ، لكنها نادتني وهي تبتعد: " يمكنك استخدام محلول ويتش هازل لأنه نافع للحساسية " .

رنّ جرس المنزل بعد مرور ساعةٍ من الزمن، وهكذا وقف تانر بولت في بذلته ذات اللون الأزرق الشاحب. شعرت بأنه يرتدي هذه البذلة في كل مرة يتجه فيها جنوباً. كان يتفحص الحيّ وينظر إلى السيارات في الممرات، ويقيّم المنازل. ذكّرني الرجل بآل إليوت بطريقة ما، وهما اللذان يتفحصان ويحلّلان في كل الأوقات. إنه الذهن الذي يفتقد إلى مفتاح الإيقاف عن التشغيل.

قال تانر قبل أن ألقي التحية عليه: " دعني أرَ، أشِر إليّ نحو المستودع، لكن لا تأتي معي، ولا تقترب منه مجدداً. ستقول لي كل شيء بعد ذلك " .

جلسنا حول طاولة المطبخ - أنا وتانر، وجو التي استيقظت لتوها وأمسكت بأول فنجانٍ لها من القهوة. وضعتُ كل مفاتيح ألغاز آمي فوق الطاولة فبدت وكأنها أوراق قراءة الحظ بشكلها المرعب.

انحنى تانر نحوي فلاحظت بأن عضلات عنقه متوترة. قال لي: " حسناً يا نِك. ابدأ بعرض قضيّتك. رتّبت زوجتك هذا الأمر كله. اعرِض القضية! " وكز الطاولة بسبابته، وقال: " لأنني لن أمضي قُدُماً... في تلك القصة الغريبة حول نصب مصيدة لك إلا إذا أقنعتني، وإلا إذا كانت ناجحة " .

أخذتُ نَفَساً عميقاً بينما استجمعتُ أفكاري. أدركت في هذا الوقت بأنني أجيد الكتابة أكثر مما أجيد الكلام. قلت له: " أريدك أن تعرف أمراً هاماً عن آمي قبل أن نبدأ: إنها في غاية الذكاء. يعمل ذهنها على الدوام، كما أنه لا يعمل على مستوى واحدٍ فقط. إنها مثل التنقيب عن الآثار الذي لا ينتهي: يعتقد المرء بأنه وصل إلى الطبقة الأخيرة، لكنه عندما يهوي بمعوله مرة أخرى فإنه يكتشف نفقَ منجمٍ تحت تلك الطبقة. يكتشف المرء عند ذلك متاهةً من الأنفاق وحفراً لا قعر لها " .

قال تانر: " حسناً. إذاً... " .

" أما الأمر الثاني الذي أريدك أن تعرفه عن آمي فهو أنها على صواب. إنها واحدة من أولئك الأشخاص الذين لا يخطئون، وهي تحب إعطاء الدروس، وإنزال العقوبة " .

" صحيح، حسناً، وإذاً... " .

" دعني أخبرك قصة، وهي قصة سريعة جرت منذ نحو ثلاث سنوات، أي عندما كنا متجهين بالسيارة إلى ماساشوستس. كانت حركة السير مزدحمة بشكلٍ مريع، لكن أحد سائقي الشاحنات تجاوز آمي - لم ترغب في السماح له بذلك - لكنه ظهر ثانية وقطع عليها الطريق. لم يكن الأمر خطراً، لكنه كان مخيفاً جداً للحظةٍ من الزمن. أنت تعرف تلك الكتابات التي تظهر على الناحية الخلفية من الشاحنات: كيفَ أقود؟ دفعتني آمي إلى الاتصال برقم الهاتف، وإعطاء الشركة رقم لوحة التسجيل. ظننتُ أن الأمر انتهى عند هذا الحد. لكن بعد مرور شهرين من الزمن، وفقط شهرين، دخلت إلى غرفة نومنا فرأيت آمي وهي تتحدث على الهاتف. روت آمي قصةً كاملة: كانت تقود بصحبة طفل يبلغ عامين من عمره، ثم كرّرت رقم اللوحة، كما أن السائق كاد يدفع بسيارتها إلى خارج حدود الطريق. قالت إنها تتصل للمرة الرابعة. قالت كذلك إنها دققت في خطوط الشركة بحيث تتمكن من انتقاء الطريق السريعة الصحيحة كي تتجنب الحوادث. فكّرت آمي في كل شيء. كانت فخورةً حقاً. قالت إنها تريد طرد ذلك الرجل من عمله " .

تمتمت جو: " يا الله يا نِك " .

قال تانر: " إنها قصة مفيدة جداً... يا نِك " .

" إنها مجرد مثال " .

قال تانر: " أريدك الآن أن تساعدني على جمع هذه معاً. تكتشف آمي بأنك خنتها، وتقوم بتزييف قصة موتها، وهي تجعل مسرح الجريمة المزعومة يبدو مريباً إلى درجةٍ تكفي لإثارة الدهشة. أغرقتك بعد ذلك ببطاقات الائتمان وبالتأمين على الحياة، وبمخبئك السري [الذي ملأته بالأغراض]...

" اختارت شجاراً جرى بيننا في الليلة التي سبقت اختفاءها، وهي فعلت ذلك بينما كانت واقفةً قرب نافذةٍ مفتوحة بحيث تتمكن جارتنا من سماعنا " .

" ماذا كان سبب الشجار؟ " .

" إنني رجل مغفلٌ وأناني. كان مثل كل الشجارات التي حدثت بيننا في السابق. لكن الأمر الذي لم تسمعه جارتنا فهو اعتذار آمي بعد ذلك الشجار - وذلك لأن آمي لم ترغب في أن تسمع جارتنا ذلك الاعتذار. أذكر بأنني فوجئت لأن ذلك كان أسرع صلحٍ جرى بيننا على الإطلاق. لكنها أرعبتني في ذلك الصباح ببكائها بصوتٍ عالٍ " .

رأيتها مرةً أخرى إلى جانب الموقد وهي تلعق السكر المسحوق بإبهامها، وكانت تدندن لنفسها. تخيّلت نفسي، وأنا أقترب منها وأهزّها حتى...

قال تانر: " حسناً، وماذا بشأن عملية البحث عن الكنز؟ ما هي نظريتك من هذه الناحية؟ " .

كان كل مفتاح لغز مفتوحاً فوق الطاولة. تناول تانر بعضاً منها ثم أوقعها.

قلت له: " إنها مجرد أفخاخٍ إضافية. إنني أعرف زوجتي. صدّقني. كانت تعرف بأنه يتعيّن عليها إجراء عملية البحث عن الكنز، وإلا فسوف يبدو الأمر مريباً. وهكذا أجرته، وبطبيعة الحال امتلك هذا المفتاح ثمانية عشر معنى مختلفاً. انظر إلى هذا المفتاح الأول " .

أتصوّر نفسي تلميذتك،
مع أستاذ بهذه الوسامة والحكمة
ينفتح ذهني (دون أن أذكر...!)
لو كنتُ تلميذتك فلن تكون هناك حاجة للزهور

لربما موعدٌ مسروقٌ خلال ساعات عملك
أسرِع إذاً، وابدأ بالعمل، أرجوك
سأعلّمك هذه المرة شيئاً أو اثنين.

" هذه هي آمي بالضبط. إنني أقرأ هذه وأفكّر: عجباً، زوجتي تغازلني. كلا إنها لا تفعل. إنها تشير في الواقع إلى مغامرتي مع آندي. هذا هو الفخّ الأول. ذهبت إلى هناك، أي إلى مكتبي برفقة جيلبين، وماذا وجدتُ هناك؟ وجدت لباساً داخلياً نسائياً. لا يقترب ذلك اللباس من قياس آمي، لكن رجال الشرطة واظبوا على سؤالي عن القياس الذي ترتديه آمي، ولم أعرف السبب في ذلك الحين " .

قال تانر عابساً: " لكن آمي لم تعرف بأن جيلبين سوف يكون معك " .

قالت جو مقاطعةً: " إنه رهان رائع. كان مفتاح اللغز الأول جزءاً من مسرح الجريمة الحقيقي - ولذلك سيعرف رجال الشرطة عنه - كما أنها ضمّنته كلمات ساعات عملك.

سأل تانر: " إذاً من هي صاحبة اللباس الداخلي؟ " جفلت جو عند سماعها كلمات اللباس الداخلي.

قلت: " مَن يعلم؟ افترضت بأنه يخصّ آندي، لكن... يُحتمل بأن آمي اشترته. أما النقطة الأساسية هنا فهي أن اللباس ليس من قياس آمي. دفع ذلك اللباس الجميع إلى الاعتقاد بأن شيئاً غير لائق حدث في مكتبي مع امرأةٍ غير زوجتي. هذا هو الفخ الثاني " . سأل تانر: " لكن ماذا كان سوف يحدث لو أن رجال الشرطة لم يكونوا معك عند ذهابك إلى المكتب؟ أو لو أن أحداً لم يلاحظ وجود اللباس الداخلي؟ " .

" إنها لا تكترث بهذا يا تانر! إنها تستمتع بعملية البحث عن الكنز هذه مثل أي شيء آخر. لكنها لا تحتاجها، إلا أنها حرصت على المبالغة في إجرائها كي تتأكد من وجود مليون مفتاح لغزٍ لعين قيد التداول. أقول لك مجدداً بأنه يتعيّن عليك أن تعرف زوجتي: إنها من النوع الذكوري في تصرفاتها " .

قال تانر: " حسناً. ما هو مفتاح اللغز الثاني؟ " .

تصوّرَني: إنني مجنونة بك
مستقبلي ليس غامضاً من دونك
أتيت بي إلى هنا كي أتمكن من سماع دردشتك

عن مغامرات أيام صباك: الجينز المتغضن وقبعتك المموهة
لا آبه بأي شخصٍ آخر، إنهم غير موجودين بالنسبة إلينا
دعنا نختلس قبلة... ونتظاهر بأننا تزوجنا لتونا.

قلتُ: " إنها تتحدث هنا عن هنيبعل. زرت هذا المكان مرة برفقة آمي، وهكذا فهمتُ المفتاح، لكن يوجد مكان آخر كذلك حيث أقمتُ... علاقةً مع آندي " .

قال تانر: " ألم تتسلم تحذيراً نتيجةً لذلك؟ " .

" كلا، ليس بعد. كنتُ أفكر كثيراً في الرسائل التي كتبتها آمي لي. يا الله. تعرفني هذه الفتاة جيداً. إنها تعرف بالضبط ما أود سماعه، مثل أنت لامع، أنت ذكي. كم كان من المسلي بالنسبة إليها أن تتمكن من التلاعب بي بالرغم مما حدث، وحتى بواسطة المكالمات البعيدة. أعني بأنني كنتُ... يا الله، كنت واقعاً بغرامها مجدداً " .

شعرت للحظةٍ من الزمن بتضخمٍ في حنجرتي. أما القصة الساذجة فهي عن طفل صديقتها إنسلي المقرف وهو نصف عارٍ. أدركت آمي بأن ذلك كان ما أحبّه، أي أن نعود معاً كما كنا: لا أتحدث عن اللحظات الكبيرة، ولا عن اللحظات المفرطة في الرومانسية، لكني أتحدث عن دعاباتنا المبطنة. إنها الآن تستخدم كل ذلك ضدي.

قلت: " وجدت الشرطة للتو محفظة آمي في هنيبعل. إنني متأكد جداً من أن شخصاً ما يمكنه أن يتذكر رؤيتي هناك. اللعنة، لقد دفعتُ تذكرة الرحلة بواسطة بطاقة الائتمان التي أحملها. يعني ذلك تواجد جزء آخر من الدليل، وآمي متأكدة من إمكان ربطي مع ذلك الجزء من الدليل " .

قال تانر: " لكن ماذا يحدث لو أن الشرطة لم تعثر على المحفظة؟ " .

قالت جو: " لا يغيّر ذلك شيئاً. إنها تُبقي نِك في حالة بحثٍ دائم بينما تسلّي نفسها. إنني متأكدة من أنها كانت سعيدة لمجرد معرفتها بتلك الجولة التي تترافق مع الشعور بالذنب بالنسبة إلى نِك، وعلى الأخص عندما يقرأ كل هذه الرسائل اللطيفة في حين يعرف بأنه مخادع، وأنها مفقودة " .

حاولت أن لا أجفل عند سماعي كلمة مخادع بنبرة استياء.

قال تانر بإلحاح: " لكن ماذا لو كان جيلبين مع نِك عند ذهابه إلى

هنيبعل؟ وماذا لو كان جيلبين مع نِك طوال ذلك الوقت، وهكذا عرف بأن نِك لم يضع المحفظة في ذلك الحين؟ " .

" تعرفني آمي جيداً بما يكفي لتتأكد من أنني سوف أستبعد جيلبين. إنها تعرف بأنني لا أريد أن يراقبني أحد الغرباء وأنا أقرأ هذه الرسالة، وبحيث يتمكن من معرفة ردة فعلي " .

" حقاً؟ وكيف عرفتَ ذلك؟ " .

هززتُ كتفي: " إنني أعرف فحسب " . إنني أعرف. أعرف فحسب.

قلت وأنا أدفع الرسالة إلى يد تانر: " مفتاح اللغز الثالث " .

يُحتمل بأنك تشعر بالذنب لأنك أحضرتني إلى هنا
أعترف بأنني شعرت بالغرابة قليلاً
لكن لم يكن بأيدينا خيارات كثيرة
اتخذنا قراراً: جعلنا هذا المكان فضاءنا.
دعنا نجلب حبّنا إلى هذا المنزل الصغير بنيّ اللون
أعطني بعض الدعم أيها الزوج المحب!

" أترى، لقد أسأت تفسير هذه الكلمات، وفكرت بأن عبارة أحضرتني إلى هنا تعني قرطاجة، لكنها كانت، ومجدداً، تشير إلى منزل والدي، و... " .

قال تانر: " إنه مكان آخر أقمت فيه علاقة مع تلك الفتاة آندي " . التفت إلى شقيقتي وقال: اعذريني على بذاءة كلماتي " .

حرّكت جو يدها بما معناه بأنها لا تأبه لذلك.

تابع تانر كلامه: " إذاً يا نِك. يوجد لباس داخلي في مكتبك حيث عاشرت آندي، وهو يشكّل دليلاً ضدك، وهناك محفظة آمي في هنيبعل حيث عاشرت آندي أيضاً، وهو دليلٌ آخر، وهناك كنزٌ آخر من بطاقات الائتمان السرية في المستودع حيث كررت الأمر نفسه مع آندي " .

" آه، أجل. أجل، هذا صحيح " .

" إذاً، ماذا يوجد في منزل والدك؟ " .

آمي إليوت دون

بعد مرور سبعة أيام

إنني حامل! شكراً لكِ يا نويل هوثهورن. إن العالم كله يعرف الآن بهذه القصة أيتها البلهاء الصغيرة. لكن منذ اليوم الذي قامت فيه بعملها المثير (إنني أتمنى لو أنها لم تحوّل الأنظار عن خطتي، لكن الفتيات البشعات يُمكن أن يتحدثن بصوتٍ صارخ)، تضخّمت كثيراً الكراهية تجاه نِك. أتساءل كيف أن بإمكانه أن يتنفس في ظل كل ذلك الغضب الذي يتزايد من حوله.

أدركت أن المفتاح الذي يوصل إلى التغطية الواسعة، والمستمرة على مدار الساعة، والمطاردة التي لا تنتهي والتي تقوم بها إلين آبوت سوف تكون قصة الحمل. يعني ذلك أن آمي الرائعة ما زالت مغرية كما هي. أما آمي الرائعة المهزومة فهو أمر لا يُقاوم. يحب الأميركيون كل ما هو سهل، لكن من السهل جداً أن يحب المرء النساء الحوامل - إنهن مثل البطات أو الأرانب أو الكلاب. لكن ما يحيّرني هو أن تلك المختالات الواثقات بأنفسهن، والمعجبات بأنفسهن، يلقين معاملة خاصة.

أتعرفون ما هو الصعب؟ التظاهر بالحمل.

أريدك أيها القارئ أن تنتبه جيداً هنا لأن ما سأقوله هو في غاية الأهمية. بدأ الأمر مع صديقتي البلهاء نويل. يمتلئ الغرب الأوسط بهذا النوع من الأشخاص: الأشخاص الذين هم في غاية اللطف. يُحتمل بأنهم في غاية اللطف لكنهم يتميزون بأرواحٍ مصنوعةٍ من البلاستيك - أي إنها سهلة القولبة، وسهلة المحو. تتألف المجموعة الموسيقية لتلك المرأة من مؤلفات بوتري بارن. أما رفوف مكتبتها فمليئة بكتب سخيفة مثل: الإيرلنديون في أميركا. كرة قدم ميزو: تاريخ في صور. إننا نتذكر 11 أيلول. غباء القطط. أدركت في البداية أنني بحاجة إلى صديقة مرنة لتنفيذ خطتي، أي إلى شخصٍ يمكنني حشو ذاكرته بقصص مريعة حول نِك، وشخصٍ يتعلق بي بشكلٍ كامل، أي امرأة يسهل التلاعب بها، والتي لا تفكّر كثيراً في أي شيء أقوله لها، وذلك لأنها تعتبر أنني أعطيتها امتياز إسماعها إياه. كانت نويل هي الخيار الواضح، وهكذا عندما أخبرتني بأنها حاملٌ مجدداً - يبدو بأنها لا تعتبر أن ثلاثة أولاد تكفي - أدركت عندها بأنه يمكنني أن أحمل بدوري.

بحثٌ على شبكة الإنترنت: كيفية تجفيف مرحاضك تمهيداً لإجراء

إصلاحات.

دُعيت نويل لتناول الليموناضة، وكمية كبيرة منها.

تبولت نويل في مرحاضي الجاف، والذي قُطعت عنه المياه، وهكذا شعرت وإياها بالحرج الشديد!

شعرت أنا بالحرج بسبب ذلك الوعاء الزجاجي الصغير. يعني ذلك أن البول في مرحاضي وجد طريقه إلى الوعاء الزجاجي.

أنا، الفتاة التي تمتلك سجلاً من الخوف من الإبر والدماء.

أنا، الفتاة التي تخبئ الوعاء الزجاجي في محفظتها، والتي أخذت موعداً مع الطبيب (أوه، لا أستطيع إجراء فحص دم، وذلك لأنني أخاف كثيراً من الإبر... لا بأس في إجراء فحص بول، شكراً لك).

أنا، التي أدخلت الحمل في سجّلها الطبي.

أنا، التي هرعت إلى نويل حاملة معي الأخبار السارة.

عظيم. حصل نِك على دافعٍ آخر، ولا بد أن أكون السيدة اللطيفة الحامل والمفقودة. أعرف أن والديّ يتعذبان كثيراً. لا تستطيع إلين آبوت مقاومة كل هذا الإغراء. لكن للحقيقة أقول بأنه من المثير أن يتم اختياري أخيراً، وبشكلٍ رسمي، لأكون موضوع برنامج إلين من بين مئاتٍ من القضايا الأخرى. يبدو الأمر وكأنه منافسة المواهب: تفعل ما تستطيع، ثم يخرج الأمر عن يدك ليستقر نهائياً في أيدي الحكّام.

لكن هل تكره نِك وتحبني أنا. كم كنت أتمنى مع ذلك لو أن والديّ لا يتلقيان كل هذه المعاملة الخاصة. شاهدتهما في التغطية الإخبارية. كانت والدتي نحيلة جداً بحيث تبدو أوتار عنقها مثل فروع شجرة طويلة ورفيعة، لكنها ملوية على الدوام. شاهدت والدي متورد الخدّين نتيجة الخوف، بينما بدت عيناه واسعتين قليلاً، وابتسامته متحفظة. إنه رجلٌ وسيم في العادة لكنه أخذ يبدو وكأنه شخصية كاريكاتورية، أو مثل دمية مهرجٍ ممسوس. أعرف بأنه يجدر بي أن أشعر بالأسف تجاههما، لكن لا أفعل. لم أكن بالنسبة إليهما أكثر من رمزٍ على أي حال، أي الفتاة المثالية المتحركة. كُنت آمي الرائعة من لحمٍ ودم. لا تعبثي بشيء لأنك آمي الرائعة، وأنتِ ابنتنا الوحيدة. تترافق مسؤولية غير منصفة مع كون الشخص الولد الوحيد لأبويه - ينشأ هذا الولد مع معرفة أنه من غير المسموح له تخييب الآمال، ومن غير المسموح له حتى أن يموت. لا يوجد بديل لذلك الولد الوحيد لأنه كل شيء. يشعر المرء بالحماس لأن يكون من دون أخطاء، كما أنه يسكر بالسلطة الممنوحة له. هذا هو ما يجعل الحكام المستبدين على

ما هم عليه.

توجهت هذا الصباح إلى مكتب دوروثي للحصول على زجاجة صودا. يتألف ذلك المكتب من غرفة ذات جدران تغطيها الألواح الخشبية. يبدو أن الطاولة لا تخدم أي غرض غير حمل مجموعة دوروثي من كرات الثلج التي جُلبت من أماكن لا تستحق إحياء ذكراها: شواطئ الخليج، آلاباما؛ وهيلو، أركنساس. لكني عندما أرى كرات الثلج هذه فإنني لا أرى الفردوس، بل أرى ريفيين متحمسين، ويعانون من حروق الشمس، وهم يقودون أطفالاً غير أذكياء وباكين، ويصفعونهم بيد بينما يمسكون باليد الأخرى أكواباً كبيرة من الفلين غير القابل للتحلل بالطرق الطبيعية، والتي تحتوي على شراب مستخرج من الذرة.

تمتلك دوروثي واحداً من الملصقات التي شاعت في سنوات السبعينيات من القرن الماضي والتي تمثّل قطة في شجرة - يمكنك البقاء هناك! وضعت دوروثي ملصقها بكل إيمان. إنني أحب أن أتصورها وهي تهرع إلى إحدى عاهرات وليامسبيرغ المعجبات بأنفسهن، واللواتي يسرحن شعرهن على طريقة بيتي بايج ويضعن نظارات ذات زوايا حادة، واللواتي يمتلكن، للمفارقة، الملصق ذاته. أحب الإصغاء إليهن وهن يتفاوضن مع بعضهن بعضاً. يتراجع الأشخاص من هذه النوعية إذا جوبهوا بالصراحة التي هي بمثابة حجر كريبتو [الذي يدمر كل ما يقع عليه]. تمتلك دوروثي لوحةً أخرى ملصقةً بالجدار إلى جانب آلة الصودا، وهي تُظهر طفلاً رضيعاً نائماً فوق مرحاض - كان متعباً إلى درجة أنه عجز عن التبول. فكّرت في سرقة هذه اللوحة، وذلك عن طريق دس ظفرٍ تحت الشريط اللاصق الأصفر اللون، وذلك بينما أشغل دوروثي بحديثي معها. أراهن بأنني أستطيع الحصول على مبلغٍ محترمٍ من المال إذا عرضتها في eBay - لأنني أحب الحصول على مزيد من السيولة - لكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك لأنه يخلف أثراً إلكترونياً، علماً بأنني قرأت الكثير عن هذا الأمر في مجموعة متنوعة من كتب الجرائم الواقعية. أعرف أن الآثار الإلكترونية سيئة: لا تستخدِم هاتفاً خلوياً مسجلاً باسمك، وذلك لأن أبراج الشبكات الخلوية تتمكن من تحديد موقعك. لا تستخدِم البطاقات المصرفية الآلية ATM أو بطاقات الائتمان. أنصحك أن تستخدم الحواسيب العامة فقط غير الخاضعة للمراقبة. لكن انتبه من ذلك العدد الكبير من الكاميرات التي يُمكن أن تتواجد في أي شارع، وعلى الأخص قرب مصرف، أو قرب تقاطع طرقاتٍ مزدحم، أو قرب

الحانات. لا يعني ذلك أن هذه الحانات تتواجد هنا، كما لا تتواجد أي كاميراتٍ كذلك في مجمع الحجرات الذي أنزل فيه. أعرف ذلك لأنني سألتُ دوروثي متظاهرةً بأن ذلك هو قضية تتعلق بالسلامة فقط.

قالت لي: " إن زبائننا هم من نوع الأخ الأكبر. لا يعني ذلك بأنهم مجرمون، لكنهم لا يحبون الظهور " .

كلا. لا يبدو لي بأنهم يتقبلون ذلك، فصديقي جيف يخرج في ساعاتٍ غير معتادة ليعود بكمياتٍ مريبة من الأسماك غير المسجلة، والتي يخزنها في صناديق مثلجة كبيرة الحجم. إنه مريب [تفوح منه رائحة السمك] بكل ما في الكلمة من معنى. أما في الطرف الأقصى من مجمع الحجرات فيوجد زوجان في الأربعينيات من أعمارهما تقريباً، لكن الإجهاد يبدو عليهما، وهكذا فإنهما يبدوان في الستينيات من أعمارهما على الأقل. إنهما يبقيان في الداخل في معظم الأوقات، وذلك باستثناء جولات بين وقتٍ وآخر إلى غرفة الغسيل - وهما يتحركان فوق موقف السيارات الذي تؤلف الحصى أرضيته بينما يحملان ملابسهما في أكياس النفايات. يبدو الأمر وكأنهما يقومان بنوعٍ من أنواع التنظيفات العامة. اعتادا قول مرحباً، مرحباً، ويقولان الكلمة مرتين مع إيماءاتٍ بالرأس، ثم يتابعان طريقهما. يضع الرجل في بعض الأحيان شالاً حول رقبته، لكن يبدو بأنه لا يميّز شيئاً ولا حتى أنا. يُضاف إلى ذلك النزلاء المعتادون، وهم عدد لا بأس به من النساء العازبات اللواتي ينتشرن في المكان، وعادة ما تظهر عليهن الكدمات. تبدو بعضهن محرجات، بينما يبدو الحزن المريع على بعضهن الآخر.

حضرت إحدى هؤلاء البارحة، وكانت فتاةً شقراء، وشابةً جداً، وعيونها عسلية، لكن شفتها مشقوقة. جلست أمام مدخل حجرتها - التي تجاور حجرتي - تدخن سيجارة، لكن عند التقاء نظراتنا انتصبت واقفة بكل فخر وبذقنٍ بارزة. لم يظهر بأنها آسفة على شيء. فكّرت في نفسي: يجب أن أكون مثلها. أريد أن أدرس تصرفاتها: إنها المرأة التي يمكن أن أكونها ولو لفترةٍ وجيزة - الفتاة القوية التي تعرضت للاستغلال، والتي تختبئ إلى حين مرور العاصفة.

أمضيت ساعاتٍ قليلة في مشاهدة البرامج التلفزيونية الصباحية - باحثةً عن أي أخبار تتعلق بقضية آمي إليوت دون - ثم ارتديت البيكيني الضيّق تمهيداً للذهاب إلى بركة السباحة. أردت العوم قليلاً، وأخذ استراحة من تفكيري الذي لا يهدأ. كانت أخبار الحمل مرضية، لكن بقي هناك

الكثير جداً من الأخبار التي لا أعرفها. وضعتُ خطتي بطريقةٍ محكمة، لكن كانت هناك بعض الأمور خارج سيطرتي، وهي التي تفسد عليّ رؤيتي في كيفية المضي في هذا الأمر. لم تقم آندي بدورها بعد. يُحتمل كذلك أن العثور على دفتر اليوميات يحتاج إلى بعض المساعدة من الخارج. يُضاف إلى ذلك أن الشرطة لم تتحرك بعد لإلقاء القبض على نِك، كما أنني لا أعرف ما اكتشفَته، وأنا لا أحب ذلك. شعرتُ بدافعٍ لإجراء مكالمةٍ هاتفية على الخط الخاص بالمعلومات السرية، وذلك كي أدلهم على الاتجاه الصحيح. قررت بعد ذلك أن أنتظر أياماً إضافية. أشرتُ على ثلاثة أيام بدءاً من اليوم في الروزنامة المعلقة على الجدار. كتبت على مكان اليوم الثالث اتصلي اليوم. فعلت ذلك، لكي أعرف المدة التي صممت على انتظارها. أعرف أنه ما إن يجدوا اليوميات حتى تتحرك الأمور بسرعةٍ أكبر.

كان الحر شديداً خارج الحجرات، كما أن الحشرات الطنانة الطائرة قدِمت بأعدادٍ كبيرة. تزدان عوامتي المنفوخة بالهواء برسومات حوريات البحر، والملونة باللون الزهري، لكنها صغيرة جداً بالنسبة إليّ، وهكذا مددتُ ساقي في الماء، وأبقتني عائمة في غير اتجاه محدد لمدة ساعةٍ من الزمن. إنه أمرٌ أدركت بأنني أحب القيام به.

رأيت رأساً أشقر الشعر وهو يتهادى صعوداً وهبوطاً فوق موقف السيارات، وما لبثت الفتاة ذات الشفة المشقوقة أن ظهرت من خلال بوابة السياج حاملة بيدها إحدى مناشف الحمام الموجودة في الحجرات، لكنها مناشف صغيرة. حملت بيدها كذلك علبةً من سجائر ميريت، وكتاباً، و SPF 120 . يبدو بأنها تفضّل سرطان الرئة على سرطان الجلد. جلست، ودهنَت المستحضر بكل عناية، وهو الأمر الذي لم تكترث له النساء المستهترات اللواتي يحضرن إلى هذا المكان - واللواتي يسرفن في وضع زيوت الأطفال، وهكذا يتركن آثاراً دهنية على المقاعد الموجودة فوق العشب.

أومأت الفتاة نحوي بالطريقة التي يقوم بها الرجال الذي يجلسون بالقرب من بعضهم بعضاً في مشارب الحانات. كانت تقرأ كتاب راي برادبوري المغامرات المريخية. يبدو بأن هذه الفتاة تحب قصص الخيال العلمي. تلجأ النساء اللواتي تعرضن للإساءات إلى ملاذٍ للهروب بطبيعة الحال.

قلت لها على طريقة الأحاديث البريئة التي يتبادلها الناس على الشاطئ: " إنه كتابٌ جيد " .

وضعت نظارة شمس سميكة ورخيصة ثم قالت: " تركه أحدهم في

حجرتي. أما الكتاب الثاني فكان الجَمال الأسود " .

" كتابٌ جيد هو الآخر. هناك كتاب أفضل منهما مع ذلك، وهو الجواد الأسود " .

تطلعت نحوي من دون أن تنزع النظارة التي بدت مثل قرصين سوداوين يشبهان أعين النحلة. تنحنحتْ قليلاً.

عادت إلى كتابها، وكأنها تريد أن تقول إنني مشغولة بالقراءة الآن، وهو المشهد الذي يُشاهد عادةً في الطائرات المزدحمة. بدا الأمر وكأنني الشخص الفضولي والمزعج الجالس بقربها، والمرأة التي تحتضن سنّادة اليدين وتقول أشياءً مثل: " هل أنت في جولة عملٍ أم عطلة؟ " .

قلت: " أنا نانسي " . إنه اسم جديد غير ليديا، وهو اسم غير مناسب في هذه الأماكن المقيدة، لكنه خطر في ذهني. يتحرك عقلي في بعض الأحيان بسرعةٍ فائقة لينقذني. كنت أفكر في شفة الفتاة المشقوقة، وفي مظهرها الكئيب. فكّرت بعد ذلك بالإساءة التي يُمكن أن تكون تعرّضتْ لها، ثم قفز تفكيري بعد ذلك إلى أوليفر! وهي مقطوعتي الموسيقية المفضلة عندما كنت طفلة، وإلى المنكوبة التي تدعى نانسي، وهي التي أحبّت رجُلَها الذي يميل إلى العنف واستمرت تحبّه إلى أن قتلها. فكّرت بعد ذلك في السبب الذي جعل من والدتي التي تؤمن بمساواة المرأة، وأنا، نشاهد أوليفر! وذلك بالنظر إلى أن عبارة " طالما يحتاجني " ما هي في جوهرها إلا أنشودة غنائية تمجّد العنف الأسري. فكّرت بعد ذلك في أن آمي اليوميات قُتلت كذلك على يد رجُلِها، وهي تشبه كثيراً، في واقع الأمر... " .

قلت: " أنا نانسي " .

" غريتا " .

انتهى التعارف.

" أنا مسرورة بلقائك يا غريتا " . تابعت العوم. سمعت من خلفي صوت ولاعة سجائر غريتا، وما لبثتْ سحابة الدخان أن طافت فوق رأسي وكأنها رذاذ.

مضت أربعون دقيقة، لكن غريتا بقيت جالسة على حافة البركة ممددةً ساقيها في الماء. قالت لي: " إنها حارة. أعني المياه " . امتلكت غريتا صوتاً أجش وقوياً، وربما بسبب السجائر وغبار البراري.

" إنني أحب مياه الاستحمام " .

" إنها ليست منعشة كثيراً " .

" لكن مياه البحيرات ليست أبرد بكثير " .

قالت: " لا أستطيع السباحة في أي منهما " .

لم يسبق لي أن التقيت شخصاً لا يجيد السباحة. قلتُ كاذبة: " إنني أجيد السباحة قليلاً، وأجدّف مثل الكلاب " .

حركت ساقيها، فاهتزت طوافتي قليلة، ثم سألتني: " كيف هو الوضع هنا؟ " .

" إنه ظريف وهادئ " .

" هذا جيد لأن هذا هو ما أحتاج إليه بالضبط " .

التفتّ كي أنظر إليها. رأيت عقدَين من الذهب يزيّنان عنقها، ولاحظت وجود جرحٍ دائري بحجم إجاصة بالقرب من ثديها الأيسر، ووشماً على شكل نبات النفل فوق حدود البيكيني الذي ترتديه. كانت بذلة سباحتها جديدة، وبلون الأحمر الكرزي ورخيصة الثمن. يبدو بأنها اشترته من متجر اللوازم البحرية حيث اشتريت عوامتي.

سألتها: " هل أنتِ بمفردك؟ " .

" أجل " .

لم أكن متأكدة من سؤالي التالي. هل توجد شيفرة معينة تستخدمها النساء اللواتي تعرضن للإساءة مع بعضهن بعضاً، وربما لغة خاصة لا أعرفها؟

" هل واجهتِ متاعب مع رجل؟ " .

حرّكت أحد حاجبيها في ما يبدو بأنها إشارة موافقة.

قلتُ: " وأنا كذلك " .

قالت: " وكأن أحداً لم يحذّرنا " . غطست يدها في الماء، وتركت الماء يتقاطر منها. " كان ذلك أول الأمور التي حدّثتني بها والدتي عندما توجهت إلى المدرسة لأول مرة: ابتعدي عن الصبيان. إما أنهم يلقون الحجارة عليك، وإما أنهم يتطلعون على تنورتك.

" يمكنك صنع قميص وكتابة هذا الشعار عليه " .

ضحكت وقالت: " معكِ حق. يصح هذا على الدوام. تعيش والدتي في قريةٍ تقع في تكساس. أفكّر كثيراً في الانضمام إليها. يبدو أن السعادة تخيّم على الجميع هناك " .

" قرية للنساء؟ " .

" إنها تشبه ما يسمى الكومونة. اشترت مجموعة من النساء الأرض هناك وأسّسن مجتمعاً لهن أو ما يشبه ذلك. لا يُسمح للرجال بالدخول.

تبدو هذه فكرة عظيمة بالنسبة لي، أي عالم من دون رجال " . ملأت راحة يدها بالماء مجدداً، ثم رفعت نظارتها ومسحت وجهها بالماء. " يبدو أنه من سوء حظي بأنني لا أحب النساء " .

أطلقت تلك الضحكة المعتادة من النساء المسنات والغاضبات. قالت بعد ذلك: " هل يوجد هنا رجلٌ مغفلٌ يمكنني أن أبدأ بمواعدته؟ يبدو بأن هذا هو النمط الذي أسير عليه، أي إنني أهرب من رجلٍ كي أعلق برجلٍ آخر " .

قلت: " الحجرات هنا نصف فارغة في معظم الوقت. يوجد هنا رجلٌ ملتحٍ يدعى جيف، وهو لطيف جداً بالفعل. مكث هنا فترة أطول من تلك التي أمضيتها أنا " .

سألتني: " كم ستمكثين هنا؟ " .

ترددتُ قليلاً. كان من الغريب أن لا أعرف المدة التي سوف أمضيها هنا. خطّطتُ للبقاء حتى إلقاء القبض على نِك، لكني لا أعرف ما إذا كانوا سيلقون القبض عليه سريعاً.

قالت غريتا مخمنةً: " هل ستبقين إلى أن يتوقف عن البحث عنكِ؟ " .

" صحيح، إنه شيء من هذا القبيل " .

تفحصتني عن قرب ثم عبست. شعرت بتوترٍ في معدتي. انتظرتها حتى تقولها: تبدين مألوفةً لديّ.

قالت غريتا: " إياك أن تعودي إلى رجلٍ مع جروحٍ لم تلتئم. لا تعطِه هذا الشعور بالارتياح " . وقفت وجمعت أغراضها، ثم جفّفت ساقيها بالمنشفة الصغيرة.

قالت: " أمضينا يوماً جيداً " .

رفعت إبهامي، وذلك لسببٍ لا أعرفه. لم يسبق لي أن فعلتُ هذا في حياتي.

قالت لي: " تعالي إلى حجرتي عندما تنتهين، هذا إذا أردتِ. يمكننا مشاهدة التلفزيون معاً " .

جلبت بندورة طازجة من دوروثي، وحملتها في راحة يدي، وكأنني أحمل هدية ملتمعة إلى احتفال بمناسبة منزلٍ جديد. تقدمت غريتا إلى الباب، لكنها بالكاد رحّبت بي وكأنني كنت أزورها على مدى سنوات، لكنها ما لبثت أن انتزعت البندورة من يدي.

قالت لي: " أتيتِ في الوقت المناسب. إنني أحضّر بعض الشطائر. اجلسي " . أشارت نحو السرير - لا توجد لدينا غرف جلوس هنا - ثم توجّهت إلى مطبخها الصغير والمزوّد بلوحة تقطيع الخضار البلاستيكية، والسكّين غير الحاد، وهما مماثلان لتلك الموجودة عندي. بدأت بتقطيع البندورة. رأيت طبقاً مليئاً باللحم على طاولة المطبخ بينما ملأت الرائحة الشهية الغرفة. وضعت غريتا شطيرتين على أطباقٍ ورقية، وأطباقٍ أخرى ضمّت بعض الأسماك، وسارت بها إلى غرفة النوم. تولت غريتا التقليب بين المحطات التلفزيونية، أي بين ضجيجٍ وضجيج. جلسنا على طرف السرير جنباً إلى جنب لمشاهدة برامج التلفزيون.

قالت غريتا: " قولي لي أن أتوقف إذا رأيتِ شيئاً يستحق المشاهدة "
.

تناولت قضمةً من شطيرتي، لكن قطعة بندورة انزلقت من جانب الشطيرة لتستقر فوق فخذي.

سكان غابات بيفرلي، فجأة سوزان، هيرمجدو.

إلين آبوت مباشر. ملأت صورتي الشاشة الصغيرة، وقصتي في الطليعة مجدداً. أبدو متألقة.

سألتْ غريتا من دون أن تتطلع إليّ: " هل شاهدتِ هذا؟ " تكلمت وكأن اختفائي كان إعادة لبرنامجٍ تلفزيوني ناجح. " اختفت هذه المرأة في الذكرى الخامسة لزواجها. يتصرف الزوج منذ البداية بطريقة غريبةٍ حقاً، وهو يضحك ويقوم بكل تلك التفاهات. تبيّن بأنه عمد إلى تضخيم بوليصة التأمين على حياتها، والآن اكتشفوا أنها كانت حاملاً. لكن الرجل لم يرغب بالطفل " .

تغيّرت الصورة على الشاشة إلى صورةٍ أخرى تمثّلني أنا مع آمي الرائعة.

التفتت غريتا نحوي: " هل تتذكرين تلك الكتب؟ " .

" بالطبع! " .

" هل تحبين تلك الكتب؟ " .

قلت: " يحب الجميع تلك الكتب. إنها لطيفة جداً " .

ردّت غريتا باستهجان: " إنها زائفة جداً " .

ظهرت على الشاشة صورة قريبة لي.

انتظرتها كي تقول كم أنا جميلة.

قالت: " إنها ليست سيئة بالنسبة إلى امرأة في مثل عمرها. أتمنى أن

أبدو هكذا عندما أصل إلى سن الأربعين " .

انطلقت إلين في سرد قصتي للمشاهدين بينما بقيت صورتي على الشاشة.

قالت غريتا: " تبدو لي أنها ابنة ثرية ومدللة. إنها مغرورة من الطراز الأول " .

كان كلامها غير منصفٍ على الإطلاق، وذلك لأنني لم أترك لأي شخص أي دليل يؤدي إلى ذلك الاستنتاج. كنتُ حريصة منذ انتقالي إلى ميسوري - حسناً، منذ أن بدأت بوضع خطتي - على إظهار تواضعي، وبساطتي، وسروري، وكل تلك الأشياء التي يتوقعها الناس من الناس. كنت ألوّح لجيراني، وكنت أقوم بمهماتٍ لصالح أصدقاء مو، حتى إنني أحضرت ذات مرة زجاجة كولا وقدّمتها إلى ستكس بكلي الملوث الثياب على الدوام. قمتُ كذلك بزيارة والد نِك، وذلك كي تتمكن الممرضات من الشهادة على لطفي. كنت أزور بيل دون كي أهمس في ذهنه المشوش: إنني أحبك، تعالَ لتسكن معنا. فعلتُ ذلك كي أرى ما إذا كان والد نِك هو بالفعل ما يدعوه موظفو كومفورت هيل، الهائم، وهو الذي يخرج على الدوام ليهيم على وجهه. أحببت فكرة أن يأتي بيل دون، وهو التجسيد الحي لكل ما يخشاه نِك الذي يشعر باليأس، إلى منزلنا مرةً بعد أخرى.

سألتُها: " لكن كيف تبدو لكِ مغرورة؟ " .

هزّت كتفيها. عرضت محطة التلفزيون إعلاناً تجارياً لمعطّر هواء. ظهرت امرأة وهي تقوم برشّ ذلك المعطّر بحيث تشعر أسرتها بالسعادة. ظهر بعد ذلك إعلان تجاري آخر عن بطانات رقيقة جداً للملابس الداخلية بحيث تسمح للمرأة ارتداء فستان، والرقص، ولقاء الرجل الذي من أجله ستقوم برشّ معطّر الهواء.

التنظيف والنزف. النزف والتنظيف.

قالت غريتا: " يمكنكِ أن تلاحظي ذلك. إنها تبدو مثل مغرورة ثرية ومليئة بالسأم. إنها مثل كل المغرورات الثريات اللواتي يستخدمن أموال أزواجهن لتأسيس شركاتٍ صغيرة ومتاجر بطاقات، وكل هذه التفاهات، ومتاجر الألبسة " .

أعرف عدة صديقاتٍ لي في نيويورك من اللواتي يمتلكن متاجر متنوعة كهذه. تحب صديقاتي قول إنهن يعملن، وذلك بالرغم من أنهن لا يفعلن شيئاً غير القيام بالأمور المسلية: إطلاق اسم على الكعك [الذي يوضع في قوالب صغيرة من الورق] ، وإرسال طلبية الأوراق، وارتداء الفستان المحبب

الذي يُباع في متجرهن الخاص بهن.

قالت غريتا: " إنها بالتأكيد واحدة منهن، أي من أولئك المغرورات الثريات الشهيرات " . ذهبت غريتا إلى الحمّام، فما كان مني إلا أن تسلّلت إلى مطبخها، وفتحتُ ثلاجتها، ثم بصقتُ في الوعاء الذي يحتوي على الحليب، والوعاء الآخر الذي يحتوي على عصير البرتقال، وكذلك الوعاء الذي يحتوي على سلطة البطاطا، وما لبثت أن عدت إلى السرير على أطراف أصابعي.

سمعت صوت تدفق المياه. عادت غريتا وقالت: " لكن كل ذلك لا يعني أنه يحق له أن يقتلها. تبقى في النهاية امرأةً أساءت اختيار رجُلَها " .

تطلعت غريتا نحوي مباشرة وانتظرتها حتى تقول: " اسمعي. انتظري لحظة... " .

لكنها عادت للتطلع نحو التلفزيون، وغيّرت وضعيتها بحيث استلقت على بطنها مثل ما يفعل الأطفال، بينما أسندت ذقنها بيديها، وبحيث واجهت صورتي على الشاشة مباشرة.

قالت غريتا: " أوه. اللعنة. انظروا الآن. بدأ الناس الآن يكرهون هذا الرجل " .

استمرّ البرنامج فشعرت ببعض التحسّن، لأنه كان أقرب ما يكون إلى تبجيل آمي.

ظهرت كامبل ماكينتوش، وهي صديقة طفولتي لتقول: " آمي هي مثال المرأة العطوفة والحنونة. أحبّت أن تكون زوجة، وأنا أعرف بأنها كانت ستكون والدةً عظيمة. لكن نِك، تعرفون بأن نِك مخطئ بطريقةٍ ما. إنه باردٌ ومنعزل ومقتصد، حتى ليشعر المرء بأنه يعرف مقدار الأموال التي تمتلكها آمي " .

(كذبت كامبل في هذا المجال: كانت تحوم حول نِك، وهي أحبته كثيراً. لكنني متأكدة بأنها أحبت فكرة أنه تزوجني من أجل أموالي فقط " .

جاءت بعد ذلك شاونا كيلي، وهي إحدى سكان قرطاجة الشمالية: " اعتبرت بأنه من الغريب جداً، في الواقع، أن يكون غير مكترث أبداً بعملية البحث عن زوجته. تعرفون بأنه كان يدردش، ويمضي الوقت في هذه الأثناء، وكان يحوم حولي ويغازلني، وأنا التي لم يكن يعرفني من قبل. حاولتُ تحويل الحديث نحو آمي، إلا أنه لم يُظهر أي اهتمام " .

(إنني متأكدة من أن هذه الفاجرة الكبيرة في السن واليائسة لم

تحاول أبداً تحويل الحديث نحوي).

حان الآن دور ستيفن " ستكس " بكلي، وهو صديق نِك دون القديم: " كانت في غاية اللطف، وحلوة، ومحببة. أما نِك فلم يُظهر بأنه قلقٌ كفاية بشأن اختفاء آمي. هكذا هو الرجل دائماً، أي إنه لا يفكر إلا في نفسه. أعرف بأنه مغرورٌ قليلاً، وكأنه كان ناجحاً جداً في نيويورك ويستحق أن ننحني له " .

(إنني أحتقر ستكس بكلي، وبالمناسبة، ماذا يعني هذا الاسم الذي يحمله؟)

ظهرت بعد ذلك نويل هوثهورن، فبدت وكأنها حصلت على أخبارٍ جديدة: " أعتقد بأنه قتلها، لكن أحداً لن يقول ذلك، أما أنا فسوف أقولها. أساء إليها، وأرعبها، ثم قتلها في آخر الأمر " .

(يا للصديقة الوفيّة).

أطلقت غريتا نحوي نظرةً جانبية بينما تحرّك خدّاها إلى الأعلى نتيجة ضغط يديها، كما انعكست أنوار جهاز التلفزيون على وجهها.

قالت لي: " أتمنى أن لا يكون ذلك صحيحاً، أعني أنه قتلها. أحب أن أعتقد بأنها توجهت إلى مكانٍ ما، أو أنها هربت منه، أو أنها تختبئ في مكانٍ آمنٍ بالنسبة إليها " .

حركّت ساقيها إلى الخلف وإلى الأمام، وكأنها سابحةٌ ماهرة. لكني لم أستطِع التأكد مما إذا كانت تلمّح إلى شيء ما.

نِك دون

بعد مرور ثمانية أيام

انتهينا من تفتيش كل زاوية وكل فجوة في منزل والدي، وهو الأمر الذي لم يستغرق وقتاً طويلاً، وذلك لأن المنزل كان فارغاً بشكلٍ مثيرٍ للشفقة. كانت الخزانات والدواليب فارغة. أقدمتُ كذلك على إزاحة زوايا السجادات متوقعاً اكتشاف شيءٍ ما. تفحصت كذلك الغسالة وجهاز التجفيف، وحتى أنني مددتُ يدي إلى مدخنته، كما وصل الأمر بي أن تطلعت خلف خزّانات المراحيض.

قالت جو: " إن ما قمتَ به هو أقرب شيء إلى عمل العرّاب " .

" لو قمتُ بعمل العرّاب لكنا وجدنا ما أتينا لأجله ولخرجنا ونحن نطلق النار " .

وقف تانر في وسط حجرة المعيشة في منزل والدي، وأمسك طرف ربطة عنقه التي هي بلون الزمرد. علق الغبار والأوساخ على ثيابي وثياب جو، لكن ثياب تانر البيضاء بقيت ملتمعة بشكلٍ لافت. بدأت وكأنها احتفظت ببعض فتنة ثياب نيويورك المتوهجة. كان يحدّق في زاوية إحدى الخزانات بينما كان يعضّ شفته ويستمر بالإمساك بربطة عنقه. كان يفكّر. يحتمل أن الرجل أمضى سنواتٍ عديدة في إتقان هذه الوضعية: أصمت أيها الزبون، إنني أفكّر.

قال أخيراً: " لا أحب هذا الوضع، كما لدينا قضايا عالقة كثيرة هنا، لكنني لا أريد التوجه إلى رجال الشرطة إلى أن نهدأ، ونهدأ جداً. كان ردّ فعلي الأولي هو أن نستبق الوضع، أي الإبلاغ عن الأشياء الموجودة في المستودع قبل أن تواجهنا الشرطة بها. لكننا لا نعرف ما ترغب آمي أن نعثر عليه هنا، كما أننا لا نعرف عقلية آندي... نِك، أيمكنك تخمين ما هي عقلية آندي؟ " .

هززتُ كتفي: " إنها ماكرة " .

" أعني أن ذلك يجعلني متوتراً، ومتوتراً جداً. إننا في وضعٍ شديد الحرج أساساً. إننا مضطرون إلى إبلاغ رجال الشرطة عن المستودع. يتعيّن علينا أن نكون حاضرين في بداية اكتشاف الأغراض في المستودع. لكن أريد أن أشرح لكم ماذا سوف يحدث عندما نفعل ذلك. إن ما سيحدث هو التالي: سوف يلاحقون جو. يوجد كذلك خياران. أولهما: جو شريكة ومتواطئة، وهي ساعدتك في إخفاء هذا الأغراض في مكان تمتلكه، وهي في

أغلب الاحتمالات تعرف بأنك قتلتَ آمي " .

قلت: " انتظِر قليلاً. لا يُمكن أن تكون جاداً " .

قال تانر: " نِك، سيقف الحظ إلى جانبنا مع تلك الفرضية. يُمكن لرجال الشرطة تفسير هذا بأي طريقةٍ يشاؤون. ما رأيك بهذه الفرضية التالية: جو هي التي سرقت بطاقة هويتك، وهي التي حصلت على بطاقات الائتمان التي تمتلكها، وهي التي اشترت كل تلك الأغراض التافهة الموجودة في المستودع. أما عندما اكتشفتها آمي فقد حصلت المواجهة، وهكذا قامت جو بقتل آمي " .

قلت: " يعني ذلك أن نستبق كل ذلك، ونخبرهم عن المستودع، ونقول بأن آمي دبّرت لي فخاً " .

" أعتقد أن تلك هي فكرة سيئة عموماً، أما الآن فهي فكرة سيئة بالفعل إذا لم تقف آندي إلى جانبنا، وذلك لأننا مضطرون لإبلاغهم بشأن آندي " .

" لماذا؟ " .

" لأننا إذا توجهنا إلى الشرطة مع قصتك التي تقول إن آمي دبرت لك فخاً... " .

" لماذا تواظب على القول قصّتي أنا. يبدو الأمر وكأنني اختلقتها " .

" ها. إنها نقطة جيدة. يعني ذلك أنه إذا فسّرنا لرجال الشرطة كيف أن آمي دبّرت فخاً لك فسوف نضطر للتفسير سبب تدبيرها لفخ لك. لماذا: لأنها ضبطتكَ مع صديقة جميلة وشابةٍ جداً " .

سألته: " هل نحن مضطرون لقول هذا لهم؟ " .

" دبرت لك آمي فخاً يربطك مع جريمة قتلها، لأنها... كانت... ماذا، هل كانت تشعر بالسأم؟ " .

عضضتُ على شفتي.

" يتعيّن علينا توضيح الدافع الذي امتلكته آمي. لا ينجح الأمر بغير ذلك. لكن تبقى المشكلة أننا إذا أهديناهم آندي على طبقٍ من ذهب في حين لم يقتنعوا بنظرية نصب فخ، فمعنى ذلك أننا قدّمنا لهم دافعك لارتكاب الجريمة. مشاكل مالية، أولاً. زوجة حامل، ثانياً. عشيقة، ثالثاً. إنها ثلاثة دوافع لارتكاب جريمة. يعني ذلك سقوط قضيتك، وسوف ترغب النساء الوقوف في الصف لتمزيقك بأظافرهن " . بدأ يجوب الغرفة جيئة وذهاباً. " أما إذا لم نفعل شيئاً فإن آندي سوف تلجأ إليهم من تلقاء نفسها... " .

سألته: " إذاً ماذا سنفعل؟ " .

" أعتقد أن رجال الشرطة سوف يسخرون منا إذا قلنا لهم الآن بأن آمي نصبت فخاً لك. يبدو ذلك واهياً. إنني أصدّقك، لكن الأمر يبدو في غاية الضعف " .

بدأت بالقول: " لكن مفاتيح ألغاز البحث عن الكنز... " .

قالت جو: " نِك، حتى أنا لم أفهم تلك المفاتيح، وذلك لأنها تتواجد كلها في ملعبك أنتَ وآمي. تقول، أنت وحدك، بأنها سوف تؤدي بك إلى... أوضاعٍ تجريمية. أعني، وبكل جدية: الجينز المجعد والقبعة يعنيان هنيبعل؟ " .

أضاف تانر: " منزل والدك، والذي هو باللون الأزرق " .

شعرت بالشك الذي يسيطر على تانر. كنتُ بحاجةٍ ماسة كي أوضح له حقيقة شخصية آمي. أعني أكاذيبها، وأحقادها، وانتقامها. أحتاج إلى دعم أشخاصٍ آخرين عندما أقول إن زوجتي لم تكن آمي الرائعة، بل آمي المنتقمة.

قال تانر أخيراً: " دعنا نرى إذا كان بإمكاننا الاتصال بآندي اليوم " .

سألتْ جو: " أليس انتظارنا مخاطرة؟ " .

أومأ تانر وهو يقول: " إنها مخاطرة بالفعل. يتعيّن علينا التحرك بسرعة. أما إذا ظهر دليلٌ آخر، فإن الشرطة سوف تحصل على مذكرة تفتيش للمستودع، لكن إذا لجأت آندي إلى الشرطة... " .

قلتُ: " إنها لن تفعل ذلك " .

" لقد عضّتكَ يا نِك " .

" إنها لن تفعل. إنها غاضبة الآن، لكنها... لا أصدق بأنه سوف تفعل هذا بي، وهي تعرف بأنني بريء " .

" نِك، قلتَ إنك كنتَ مع آندي لمدة تقرب من ساعةٍ من الزمن في صباح اليوم الذي اختفت فيه آمي، أليس كذلك؟ " .

" أجل. كنتُ معها من حوالي الساعة العاشرة والنصف وحتى ما قبل الثانية عشرة بقليل " .

" إذاً، أين كنتَ ما بين الساعة السابعة والنصف وحتى العاشرة؟ قلتَ إنك غادرت المنزل عند الساعة السابعة والنصف، أليس كذلك؟ أين ذهبتَ؟ " .

عضضتُ شفتي.

" أين ذهبتَ يا نِك. أريد أن أعرف " .

" الأمر ليس مهماً إلى هذه الدرجة " .
صرخت جو فجأة: " نِك! " .
" فعلتُ ما أفعله في بعض الصباحات. تظاهرت بأنني أغادر المنزل وقدتُ السيارة إلى أكثر الأماكن عزلةً في حيّنا، وأنا... أعرف مرآباً غير مقفل في أحد تلك المنازل " .
قال تانر: " ماذا حدث بعد ذلك؟ " .
" كنت أقرأ المجلات " .
" عذراً. لم أفهم " .
" إنني أقرأ أعداداً قديمة من المجلة التي كنتُ أعمل فيها " .
لم يفارقني الحنين إلى مجلتي، ولذلك خبأت نسخاً منها وكأنني أخبّئ مجلات الصور العارية، وأقرأها سراً، وذلك لأنني لم أرغب أن يشعر أحد بالأسف تجاهي.
رفعتُ نظري فرأيت تانر وجو يشعران بالأسف لأجلي.

قدتُ السيارة ظهراً عائداً إلى منزلي. استقبلني شارع مليء بعربات المحطات التلفزيونية الإخبارية بينما مكث المراسلون في باحة منزلي. لم أتمكّن من الدخول إلى الممر المؤدي إلى مرآبي، لذلك اضطررت إلى تركها أمام المنزل. أخذتُ نَفَساً عميقاً، وهُرعتُ للخروج من السيارة. انقضّ المراسلون عليّ مثل الطيور الجائعة التي تحوم حول فريستها. تجمّع المراسلون في مجموعات تتفرق أحياناً وتتجمّع في أحيان أخرى. هل كنتَ تعرف يا نِك بأن آمي كانت حاملاً؟ نك، ما هو دليلك على أنك لم تكن موجوداً في المنزل؟ نِك، هل قتلتَ آمي؟
أخيراً، تمكنت من الدخول إلى المنزل، وأقفلتُ باب غرفتي. كانت هناك نافذة في كل جانبٍ من جانبَي الباب، لكني استجمعت شجاعتي، وأنزلتُ الستائر بسرعة بينما كانت آلات التصوير تلتقط صوراً لي، كما انهالت عليّ الأسئلة. نِك، هل قتلتَ آمي؟ ما إن أسدلت الستائر حتى بدا الأمر مثل تغطية طائر الكنار في الليل: يتعيّن توقيف كل الضجيج في الخارج.
توجهت إلى الطابق العلوي، وأسرعت بأخذ حمامٍ منعش. أغمضتُ عينيّ وتركت مهمة تذويب الأوساخ التي تجمعت عليّ من منزل والدي إلى الرذاذ، لكن عندما فتحتهما مجدداً كان أول شيء رأيته هو شفرة آمي ذات اللون الزهري الموضوعة في المكان المخصّص للصابون. شعرت بأنها نذير شؤم وانتقام. كانت زوجتي مجنونة. يعني ذلك بأنني كنت متزوجاً من

امرأةٍ مجنونة. أعتقد أن هذا هو لسان حال كل مغفل: تزوجت مريضة نفسياً. لكني حصلتُ، بالرغم من ذلك، على بعض الرضا: تزوجت بالفعل من امرأة مريضة نفسياً حقاً. تعرّف يا نِك على زوجتك: المضطربة عقلياً الرقم واحد في العالم. لم أكن مغفلاً بالقدر الذي تصورته. أجل، كنتُ مغفلاً، أما الخيانة فقد كانت استباقية إلى حد كبير، أي إنها كانت رد فعلٍ لاواعٍ على الارتباط لفترة خمس سنوات مع امرأة مجنونة: كان من الطبيعي، والحالة هذه أن أنجذب إلى فتاة طيبة أصيلة وغير معقدة. يبدو الأمر مثل الأشخاص الذين يعانون من نقصٍ في الحديد الذين يشتهون اللحم الأحمر.

رنّ الجرس بينما كنت أجفّف الماء عن جسمي. خرجت من الحمام فسمعت أصوات المراسلين تتصاعد مجدداً: هل تصدقين الكلام الذي يقوله صهرك يا ماريبيت؟ كيف هو شعورك بوصفك جداً يا راند؟ أتعتقدين بأن نِك قتلَ ابنتك يا ماريبيت؟

وقف المراسلون جنباً إلى جنب أمام مدخل منزلي متجهمي الوجوه وبظهورٍ متصلبة. كان هناك نحو اثني عشر صحفياً وبعضهم من الباحثين عن الفضائح، لكن المرء يستنتج من ضجيجهم بأن العدد هو ضعف ذلك. هل تصدقين الكلام الذي يقوله صهرك يا ماريبيت؟ كيف هو شعورك بوصفك جَدّاً يا راند؟ دخل آل إليوت وهما يتمتمان عبارات الترحيب وبعيونٍ منخفضة. أقفلت الباب أمام الكاميرات. وضع راند يده على ذراعي، لكنه ما لبث أن أرجعها بعد أن رمقته ماريبيت بنظرة تأنيب.

" آسف، كنت أستحم " . كانت المياه ما زالت تتقاطر من شعري فتبلّل القسم الأعلى من كمي قميصي. كان شعر ماريبيت ملتمعاً بينما كانت ثيابها متجعدة. تطلعت نحوي وكأنني إنسانٌ مجنون.

سألتني: " تانر بولت؟ هل أنت جاد؟ " .

" ماذا تعنين؟ " .

" أعني يا نِك هل أنت جاد بشأن تانر بولت. إنه لا يتوكل إلا في قضايا الأشخاص المذنبين " . اقتربت مني أكثر وأمسكتني بذقني: " ما هذا الذي على خدّك؟ " .

" إنها الحساسية ونتيجة التوتر " . أبعدتُ وجهي عنها. " ليس صحيحاً ما تقولينه عن تانر يا ماريبيت، ليس صحيحاً أبداً. إنه الأفضل في المهنة وأنا أحتاجه الآن. إن كل ما تفعله الشرطة هو تضييق الخناق عليّ " .

قالت ماريبيت: " يبدو أن هذا هو ما يجري بالتأكيد. يبدو أن هذه

هي آثار عضة " .

" إنها الحساسية " .

أطلقت ماريبيت تنهيدةً حزينة، ثم تحولت إلى غرفة المعيشة. سألتني: " إذاً هل جرى هنا كل ما حدث؟ " ظهرت سلسلة من التغضنات في وجهها، وظهرت كذلك تحت عينيها، وبدا خدّاها مترهلَين أما شفتاها فكانتا تنطقان بالكآبة.

" نعتقد أن بعض المواجهة والشجار حدثا في المطبخ كذلك " .

لمست ماريبيت الأريكة واختبرتها ثم رفعتها بوصاتٍ قليلة، وما لبثت أن تركتها ثم قالت: " بسبب وجود الدماء. أتمنى أن لا تكون رتّبتَ كل شيء. جعلتَ الأمر يبدو وكأن شيئاً لم يحدث أبداً " .

قال راند: " ماريبيت. إنه مضطر للعيش هنا " .

" ما زلت لا أفهم كيف. أعني، ماذا يحدث لو أن الشرطة لم تعثر على كل شيء؟ ماذا لو... لا أعرف. يبدو أنهم تخلّوا عن جهودهم. أعتقد أنه من الأفضل لو تركوا المنزل وشأنه. أعني أن يكون مفتوحاً للجميع " .

قال راند وهو يقرص يدها: " إنني متأكد من أنهم حصلوا على كل شيء. لماذا لا نسأل إذا كنا نستطيع تفحّص الأشياء التي تخصّ آمي، وبحيث نتمكن من أخذ شيء يخصها، ما رأيك؟ " . تطلع نحوي قبل أن يتابع: " هل تسمح بهذا يا نِك؟ إن حصولنا على أشياء تخصّها هو أمرٌ يريحنا " . التفت بعد ذلك إلى زوجته: " مثل تلك الكنزة الزرقاء التي حاكتها نانا لها " .

" لا أريد تلك الكنزة اللعينة يا راند! " .

أبعدتْ يده عنها، وبدأت تجوب الغرفة جيئةً وذهاباً متفحصةً بعض الأغراض. دفعت الأريكة بأحد أصابعها. سألتْ بعد ذلك: " هل هذه هي الأريكة يا نِك؟ هل هي الأريكة التي قالوا إنها كانت مقلوبة، وما كان يجدر بها أن تكون كذلك؟ " .

" هذه هي الأريكة " .

توقفت ماريبيت عن الحركة، وركلتها ثانية، وراقبتها عندما ظلت منتصبة في مكانها.

تطلع راند نحوي مبتسماً ابتسامةً ذات معنى وقال: " ماريبيت. أعتقد بأن نِك متعبٌ حقاً، أي مثلنا جميعاً. أعتقد بأنه يجب علينا أن نفعل ما جئنا لأجله و... " .

" هذا ما جئت لأجله يا راند، وليس من أجل كنزة آمي تلك، تلك

الكنزة التافهة التي تريدني أن أضمها وكأنني في الثالثة من عمري. أريد ابنتي، ولا أريد كنزتها. إن أغراضها لا تعني شيئاً بالنسبة إليّ. أريد أن يقول لنا نِك ماذا يجري بحق الجحيم، لأنني أشتمّ رائحة نتنة من هذا الأمر. لم يسبق لي أبداً أن شعرت أنني بمثل هذه الحماقة في حياتي أبداً " . بدأت بالبكاء ومسحتُ دموعها. بدا من الواضح أنها غاضبة من نفسها لأنها بكت. قالت لي: " وضعنا آمي أمانةً بين يديك. وثقنا بك يا نِك. لا أريد منك سوى أن تخبرنا الحقيقة! " وضعت سبابتها المرتجفة تحت أنفي. " هل هذا صحيح؟ ألم ترغب بذلك الطفل؟ ألم تعد تشعر بالحب تجاه آمي؟ هل آذيتها؟ " .

شعرت برغبةٍ في صفعها. نشأت آمي على يد ماريبيت وراند، وهي نتاجهما، وهما اللذان كوّناها. أردت أن أقول لها هذه الكلمات ابنتك هي الوحش هنا، لكني لم أستطع، وعلى الأقل ليس قبل إبلاغ الشرطة. هذا هو السبب الذي أبقاني صامتاً ومفكراً بما يُمكن أن أقوله. ظهرتُ مثل مراوغ يرفض التعاون. " ماريبيت، لا يمكنني أبداً... " .

" لا يمكنني أبداً، لا يمكنني أبدا، هذا هو كل ما نسمعه من فمك اللعين. أتعرف شيئاً. إنني أكره حتى التطلع نحوك بعد الآن. إنني فعلاً أكره ذلك. إنك تُخفي عنا أمراً مريباً، وهناك أمرٌ ما ناقصٌ فيك يجعلك تتصرف بالطريقة التي تصرفت بها. لكني لن أسامحك أبداً، حتى ولو تبيّن بأنك بريء بالكامل، وذلك لأنك واجهتَ الأمر بعدم اكتراث. هل تعتقد بأنك فقدتَ مظلة لعينة! إنك تفعل هذا بعد كل ما تخلّت عنه آمي لأجلك، وكل ما فعلته لأجلك، وهذا ما كسبَته في المقابل. يبدو... أنت... إنني لا أصدقّك يا نِك. هذا هو ما أتيت إلى هنا كي أقوله لك. إنني لا أثق بك، بعد الآن " .

بدأت ماريبيت بالنحيب فأدارت وجهها، وخرجت من الباب الأمامي، بينما أخذ المصورون يلتقطون صوراً لها بحماسة. ركبتْ في السيارة، وما لبث مراسلان أن انحنيا على زجاج النافذة، وطرقا عليه بأصابعهما، وذلك في محاولةٍ منهما لحثّها على قول شيء ما. تمكنا نحن الجالسون في غرفة المعيشة من سماعهما وهما يرددان اسمها مرة بعد أخرى. ماريبيت... ماريبيت...

بقي راند في مكانه ووضع يديه في جيوبه محاولاً التفكير في الدور الذي يجدر به أن يلعبه. تردد صوت تانر - يجدر بنا إبقاء آل إليوت إلى جانبنا - في أذني وكأنه صوت جوقة يونانية.

فتح راند فمه، لكني قاطعته على الفور. " راند، قل لي ماذا يمكنني أن أفعل " .

" قُلها يا نِك " .

" أقول ماذا؟ " .

" لا أريد أن أسأل، وأنت لا تريد أن ترد. أفهم ذلك. لكني أريد أن أسمعك تقول بأنك لم تقتل ابنتي " .

ضحك لكن تساقطت دمعاته في الوقت ذاته. قال راند: " يا الله، أكاد أفقد صوابي " . تورد خدّاه وبدا وكأنه أصيب بضربة شمسٍ نووية. " لا أستطيع فهم كيفية حدوث هذا. لا أستطيع فهم الأمر! " حافظ راند على ابتسامته. تدحرجت دمعة على ذقنه، وما لبثت أن سقطت على ياقة قميصه. " فقط قُلها يا نِك " .

" لم أقتل ابنتك يا راند، أو أتسبب لها بأذى بأي طريقة كانت " .

استمر راند بالتحديق بي. " هل تصدّق بأنني لم أوذها جسدياً؟ " .

ضحك راند مجدداً وقال: " هل تعرف ما كنتُ سأقوله؟ كنتُ على وشك القول إنني لم أعد أعرف ماذا أصدّق بعد الآن. لكني فكّرت بعد ذلك بأن هذه جملةٌ قالها شخصٌ آخر. كانت هذه جملة من أحد الأفلام السينمائية، وليست جملةً يُمكن أن أقولها. تساءلت للحظة ما إذا كنتُ أمثّل في فيلم؟ أيمكنني التوقف عن الاشتراك في تمثيل فيلم؟ أدركت بعد ذلك بأنني لا أستطيع. لكن يُمكن للمرء أن يفكّر للحظة، سأقول شيئاً مختلفاً، وسيتغيّر كل ذلك. لكني أعرف بأنه لن يتغيّر، أليس كذلك؟ " .

هزّ رأسه بسرعة على طريقة جاك رسل، وما لبث أن استدار وتبع زوجته إلى السيارة.

شعرت بالقلق بدلاً من الشعور بالحزن. بدأت بالتفكير، وحتى مع بقاء آل إليوت داخل باحة المنزل: يتعيّن علينا اللجوء إلى الشرطة بسرعة، وبسرعة كبيرة. يجدر بنا أن نفعل ذلك قبل أن يبدأ آل إليوت بالتحدث عن فقدان ثقتهم بي علناً. يتعيّن علي أن أبرهن أن زوجتي ليست كما تتظاهر أمام الناس. إنها ليست آمي الرائعة، بل هي آمي المنتقمة. بعثتُ رسالة نصيّة إلى تومي أوهارا، وهو الرجل الذي اتصل ثلاث مرات بالخط الهاتفي الخاص بالمعلومات السرية عن اختفاء آمي، والرجل الذي اتهمته آمي باغتصابها. جمع تانر بعض المعلومات عنه: لم يكن بذلك الإيرلندي المفتول العضلات الذي تصورته بسبب اسمه، وليس برجل مطافئ، أو رجل شرطة. عمل الرجل في تحرير موقع مرح وتسلية على شبكة الإنترنت. كان

مركزه في بروكلين وكان موقعاً محترماً، أما صورة اشتراكه فقد أظهرت رجلاً هزيلاً يضع نظارة ذات إطار داكن، كما ظهر شعره الأسود الكث، وابتسامته الساخرة، في حين ظهر قميصه بكميه القصيرين والذي كُتب عليه اسم فريقٍ يدعى بينغو.

ردّ الرجل بعد رنةَ هاتفه الأولى. " نعم؟ " .

" أنا نِك دون. سبق لك أن اتصلتَ بشأن زوجتي. آمي دون. آمي إليوت. أريد التحدث معك " .

مرّت فترة صمت. انتظرته حتى يُقفل الخط في وجهي، أي كما فعلت هيلاري هاندي.

" اتصِل بي بعد عشر دقائق " .

فعلتُ ذلك. سمعت أصوات أشخاصٍ في حانة [مشرِب]، وأنا أعرف هذه الأصوات جيداً: تمتمات الشاربين، وقرقعات مكعبات الثلج، وأصوات الأشخاص المطالبين بمزيدٍ من الشراب، أو الذين يلقون التحية على الأصدقاء. شعرت بحنين إلى حانتي.

قال لي: " حسناً، شكراً. أريد الذهاب إلى المشرب، يبدو أن المحادثة تتطلب شراباً قوياً " . أخذ صوته يميل بازدياد لأن يكون أكثر قرباً وأكثر عمقاً: تمكنت من تصوره ممسكاً بكوب شرابه في حين ألصق فمه بالهاتف.

بدأت بالكلام: " وصلتني رسائلك " .

" حسناً، إنها ما زالت مفقودة، أليس كذلك؟ أعني آمي؟ " .

" أجل " .

قال لي: " أيمكنني أن أسأل ماذا حدث برأيك؟ أعني لآمي؟ " .

اللعنة، أريد تناول كأس شراب. توجهت إلى مطبخي - أفضل الأماكن من بعد حانتي - وسكبت كوب شرابٍ لنفسي. أحاول في هذه الفترة أن أكون أكثر حرصاً بشأن الشراب، لكني استمتعتُ كثيراً: طعم الشراب الاسكتلندي، والغرفة الداكنة المعزولة عن الشمس الساطعة في الخارج.

أجبت: " أيمكنني أن أسألك عن السبب الذي دفع بك للاتصال " .

قال: " كنت أتابع التغطية الإخبارية عن الموضوع. تبدو في وضعٍ سيئ " .

" أنا كذلك بالفعل. لكن أردت التحدث معك لأنني ظننت بأن... محاولتك الاتصال هي أمرٌ مثيرٌ للاهتمام، وذلك بالنظر إلى تهمة الاغتصاب " .

قال: " آه. إذاً أنت على علمٍ بالأمر " .

" أعني بأنك متهمٌ بالاغتصاب، لكني لا أصدّق بالضرورة أنك مغتصِب. أردت الاستماع إلى ما لديك قوله " .

" أجل " . سمعته وهو يبتلع جرعة أخرى من ذلك الشراب الاسكتلندي، ثم حرّك مكعبات الثلج بعد ذلك. " سمعت بالقصة في إحدى نشرات الأخبار ذات ليلة. أعني بأنني سمعت قصتك، وقصة آمي. كنت في السرير أتناول طعاماً تايلاندياً. كنت منشغلاً قليلاً. لكني صُدمت عندما سمعتُ الخبر. كانت هي بعد كل هذه السنوات الطويلة " . نادى تومي النادل طالباً كوب شرابٍ آخر. " قال المحامي إنه يجب أن لا أتحدث معك، لكن... ماذا يمكنني أن أقول؟ إنني رجلٌ في منتهى الطيبة. لا يمكنني أن أخذلك. يا الله، أتمنى لو أن التدخين في الحانات ما زال مسموحاً. إنها محادثة تستدعي وجود الشراب الاسكتلندي والسجائر " .

قلت له: " أخبرني عن تهمة الاعتداء. الاغتصاب " .

" قلت لك يا صاحبي بأنني شاهدت التغطية الإخبارية عن الحدث، ويبدو أن وسائل الإعلام تهاجمك بشدة. أعني بأنك الرجل المطلوب " . يعني ذلك أنه يتعيّن عليّ الابتعاد، وذلك لأنني لا أريد تلك الفتاة في حياتي ثانية، ولو حتى بشكلٍ هامشي. لكن اللعنة على كل ذلك. أتمنى لو أن أحداً يدعمني لو كنتُ مكانك " .

قلت: " إذاً أريدك أن تدعمني " .

" أولاً، وقبل كل شيء، أسقطَت التهم - أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟ " .

" أعرف. هل فعلتَها؟ " .

" اللعنة عليك، بالطبع لم أفعل شيئاً. هل فعلتَها أنت؟ " .

" كلا " .

" هذا جيّد " .

طلب تومي بعد ذلك قدَحاً من الشراب الاسكتلندي. " دعني أسألك: هل كان زواجك يسير على ما يرام؟ هل كانت آمي سعيدة؟ " .

بقيتُ صامتاً.

" لا يتعيّن عليك الإجابة، لكن يمكنني التخمين بأنه لم يكن كذلك. لم تكن آمي سعيدة، ومن دون أن أعرف السبب . يمكنني التخمين إلا أنني لن أسأل. لكني أعرف أنه لا بد وأن تعرف هذا: تحب آمي أن تلعب دوراً عندما لا تكون سعيدة " .

" وما هو معنى ذلك؟ " .

قال تومي: " إنها تُنزل العقاب، وعادة ما يكون قاسياً " . سمعته وهو يضحك عبر الهاتف. " أعني أنه يتعيّن عليك أن تأتي لمقابلتي. لا أحب أن أبدو مثل مغتصبٍ من الطراز الأول. إنني أبدو مثل رجل هزيل، أما كل إنجازاتي فتقتصر على أغنية كاريوكي بعنوان " شقيقتي المسيحية " حيث أبكي بصوتٍ عالٍ. يُضاف إلى ذلك أنني أبكي في الجزء الثاني من فيلم العرّاب. أفعل هذا في كل مرة " . سعل تومي بعد أن بلع ريقه. بدا لي أن هذه هي اللحظة المناسبة كي أحثّه على الكلام بصراحة.

سألته: " وماذا بشأن فريدو؟ " .

" فريدو، آه أجل، فريدو المسكين " .

" لقد تجاوزه بكثير " .

يحب معظم الرجال اللغة الإيطالية الممزوجة مع الفرنسية والإسبانية التي يتكلمها الشبان المتأنقون. كان ما نقوم به يماثل ما نجده في الأفلام عند مناقشة طريقة لعبٍ عظيمة في إحدى مباريات كرة القدم الشهيرة. كان كلانا يعرف ما سوف يُقال، وهكذا فإن حقيقة أن كلانا يعرفه أدى إلى إلغاء مقدارٍ كبير من دردشة مرضيةٍ للطرفين.

تناول جرعة أخرى من شرابه وقال: " كان الأمر في غاية السخافة " .

" أخبِرني عنه؟ " .

" أفترض بأنك لا تقوم بتسجيل حديثنا، أو أي شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟ ألا يستمع أحد إلى حديثنا؟ إنني لا أريد أن يحدث ذلك " .

" يجري الحديث فيما بيننا فقط. أنا إلى جانبك؟ " .

" التقيت آمي خلال حفلة. حدث ذلك منذ نحو سبع سنوات، وكانت مثيرةً جداً. كانت مبتهجةً جداً، وغريبةً بعض الشيء و... مثيرة. حدث انسجامٌ ما بيننا كما تعرف، لكنني لا أنسجم مع فتياتٍ كثيرات، وعلى الأقل ليس مع فتياتٍ مثل آمي. فكّرت كثيراً... حسناً، في البداية، في أنني تعرضت للاستغلال. تساءلت عن المكسب في كل ذلك. لكننا بدأنا المواعدة، واستمرينا في ذلك عدة أشهر، ربما شهرين أو ثلاثة أشهر. اكتشفت المكسب بعد ذلك: إنها ليست الفتاة التي ظننت بأنني أواعدها. كان بإمكانها سرد أشياء مضحكة، لكنها لا تحب في واقع الأمر الأشياء المضحكة. كانت تفضّل أن لا تضحك أبداً، وفي الواقع كانت تفضّل أن لا أضحك أنا بدوري، أو أن أكون هزلياً، وهو أمرٌ مستغرب لأن تلك كانت مهنتي، لكنها اعتبرتها مجرد مضيعة للوقت. أعني أنني لا أستطيع التفكير حتى في السبب الذي جعلها تبدأ بمواعدتي أساساً، وذلك لأنه كان من الواضح أنها لا تحبّني

حتى. هل هذا منطقي؟ " .

أومأت، وابتلعتُ جرعة من الشراب. " أجل. يبدو هذا منطقياً " .

" وهكذا بدأت بتقديم الأعذار لعدم التواجد معها كثيراً. لم أقطع العلاقة كلياً، وذلك لأنني كنتُ مغفلاً، وهي كانت رائعة. كنتُ آمل أن يتغيّر الوضع، لكن، وكما تعلم، كنتُ أقدّم الأعذار بشكلٍ منتظمٍ تقريباً: أنا منشغلٌ جداً في عملي، أو لديّ مهلةً أخيرة لإنجاز العمل، أو جاء صديقي إلى المدينة، أو صديقي مريض، أو ما يشبه ذلك. بدأت بمواعدة هذه الفتاة الأخرى، وكنت أراها كثيراً، لم يكن الأمر هاماً جداً، أو هذا ما اعتقدته. لكن آمي عرفت بالأمر. أما كيف علمت فما زلت لا أدري، لكن كل ما أعرفه هو أنها وضعت شقتي تحت المراقبة. لكن... اللعنة... " .

" ما رأيك بتناول جرعة من الشراب؟ " .

تناول كلانا جرعة من الشراب.

" جاءت آمي إلى شقتي ذات ليلة - وكان مضى على مواعدتي للفتاة الأخرى نحو شهرٍ من الزمن - جاءت آمي كعادتها في كل مرة. حملت معها قرصاً مدمجاً يحتوي على نسخة غير أصلية من فيلمٍ كوميدي كان يعجبني، ويدور حول عملٍ سري يجري في دورهام، كما أحضرت معها كيساً من شرائح اللحم المقلية. شاهدت فيلم القرص المدمج، وما لبثت أن وضعت ساقها فوق ساقي وأخذت بالتودد إليّ، و... آسف إنها زوجتك. إن ما أريد قوله هو هذا: عرفت تلك الفتاة كيفية التأثير بي، وهكذا انتهينا... " .

" ماذا حدث بعد ذلك " .

" حضر بعد ذلك رجلا شرطة إلى منزلي، وقالا بأنني قمتُ بعملية اغتصاب، وأن الفتاة عانت من " جروح مألوفة مع الاغتصاب بالقوة " . يُضاف إلى ذلك وجود علامات رباطٍ على رسغيها. فتّش الشرطيان الشقة فوجدا وثاقين في الطرف الأعلى من سريري تشبهان ربطتَي عنق، وكانتا مربوطتين مع المفرش. كانت ربطتا العنق، وأنا أقتبس هنا، " تتوافق مع علامات الربط "" .

" هل أوثقتها؟ " .

" كلا، أُخذتُ على حين غرة تماماً. أعتقد جازماً بأنها ربطتهما بينما كنتُ في الحمام. أعني بأنني كنتُ في ورطةٍ كبيرة. كنتُ في وضعٍ بالغ السوء. لكنها أسقطت التُّهم فجأة، وما لبثت أن تسلمت بعد أسبوعين من الزمن رسالةً مطبوعةً وغير موقّعة جاء فيها: ربما تفكّر مرتين في المرة

التالية " .

" ألم ترها ثانيةً؟ " .

" لم أسمع بها مطلقاً بعد ذلك " .

" لم تعمد بعد ذلك إلى اتهامها بأي شيء؟ " .

" آه، كلا. اللعنة، كلا. شعرت بالسرور لأنها تركتني. كنتُ في سريري أتناول وجبة طعامي التايلاندية في الأسبوع الماضي، وأشاهد النشرة الإخبارية. تحدثت النشرة عن آمي، وعنك، وعن الزوجة المثالية، وعن ذكرى زواجكما. أقسم بأنني بدأت بالتعرّق. فكّرت في نفسي: إنها آمي التي تدرجت إلى الجريمة. يا للسماء. إنني جادٌّ يا صاحبي. إنني أراهن بأنها دبّرت هذا الأمر لك. إنها مكيدة محكمة بإتقان، ولا بد من أنك خائفٌ جداً " .

آمي إليوت دون

بعد مرور ثمانية أيام

تبلّلت بالماء بسبب القوارب المجهزة بأجهزة امتصاص الصدمات، وكنا أمضينا ما قيمته خمسة دولارات من الوقت، وذلك لأن الفتاتين المراهقتين المذهولتين بالصمت فضلتا تصفّح مجلات الشائعات وتدخين السجائر بدلاً من إخراجنا من الماء. يعني ذلك بأننا أمضينا ثلاثين دقيقة في قواربنا التي تستمد قدرتها على الدفع من محركات آلات جزّ العشب. كانت القوارب تتصادم ببعضها بعضاً وتقوم بدوراتٍ حادة. استمر ذلك إلى أن شعرنا بالسأم، ورغبنا بالمغادرة من تلقاء أنفسنا.

شكّلتُ مع غريتا، وجيف طاقماً غريباً في مكانٍ غريب. نشأت صداقة ما بين غريتا وجيف في غضون يومٍ واحد، وهي فترةٌ معتادة بين الناس في هذا المكان حيث لا يجدون ما يفعلونه غير ذلك. أعتقد أن غريتا تفكّر في جعل جيف ضحيتها الجديدة. أعتقد كذلك بأن جيف لن يمانع في ذلك لأنه معجبٌ بها. أعرف أن غريتا أجمل مني في هذه الأيام، وفي هذا المكان. إنها جميلة ورخيصة، وهي ترتدي الآن ملابس سباحة (بيكيني) وسروال جينز قصير، كما أنها ربطت قميصاً احتياطيةً في جيبها الخلفية، وذلك في حال أرادت الدخول إلى متجر (يبيع قمصاناً ذات أكمامٍ قصيرة، وأعمالاً خشبية محفورة، وأحجاراً للزينة) أو مطعمٍ (لشراء شرائح اللحم، والمشاوي، أو قطع الحلوى). أرادت غريتا أن نلتقط صوراً من الغرب القديم، لكن ذلك لن يحدث لأسبابٍ غير عدم رغبتي بالوقوع تحت رحمة القمل الذي يتواجد في البحيرات.

اتفقنا بعد ذلك على ممارسة جولاتٍ قليلة للعبة الغولف في ميدانٍ صغير. كان العشب الاصطناعي مقطعاً إلى قطعٍ عديدة، كما أن التماسيح وطواحين الهواء التي كانت تُدار آلياً كانت ساكنةً. قام جيف بالعمل من تلقاء نفسه، وأدار طاحونة الهواء، بينما قام بفتح فم التمساح وإغلاقه. كانت بعض الحُفر غير صالحةٍ للعب، وذلك لأن العشب نبت فيها وأصبح مثل السجاد. أما المنزل الصغير فقد تداعى على نفسه. أخذنا نسير بين ميادين اللعب من دون ترتيب معيّن. لم يكترث أحد منا كذلك في النقاط التي نحرزها.

كان من شأن ذلك إزعاج آمي القديمة بشكلٍ كبير: العشوائية التي تسيطر على كل شيء، وعدمية كل شيء. لكنني تعلمت على التحوّل، وأنا

أنفّذ ذلك بشكلٍ جيد. إنني أحرز نجاحاً كبيراً في التجوّل من دون وجود هدفٍ معيّن. يعني ذلك بأنني الفتاة الرقم واحد في التطواف العشوائي، وزعيمة عصابة من المراهقين الذين فشلوا في الحب. وهكذا تجولنا في هذه الجزء المنعزل الذي يضم أدوات كثيرة للترفيه، وكان كل واحد منا يحاول أن يتعافى من خيانة الشخص الذي أحبّه سابقاً. لاحظت أن جيف (الرجل الذي خانته زوجته، والمطلّق، والعالق في دعوى حضانة أولاد) عبس عندما مررنا أمام آلة اختبار الحب: يقوم الشخص بالضغط على المقبض المعدني ثم يراقب الحرارة وهي ترتفع " بمقدارٍ بسيطٍ جداً " نحو " شريك الروح " . ذكّرتني هذه المعادلة الغريبة - القبضة الساحقة تعني الحب الحقيقي - بغريتا التي تفوح منها رائحة الخيانة، والتي عادة ما تضع إبهامها فوق الجرح الموجود فوق صدرها وكأنه زرّ يمكن أن تضغط عليه.

قالت لي غريتا: " أنتِ متقدمة " . كانت تجفف كرتها بسروالها القصير، وسبق لها أن ذهبت مرتين إلى بركة لمياه الصرف التي تحتوي على مياه قذرة.

أخذتُ مركزي، وتمايلتُ مرةً أو مرتين، ثم قذفت طابتي الحمراء الملتمعة مباشرة نحو فتحة بيت الطيور. اختفت الطابة للحظة ثم عاودت ظهورها منزلقةً قبل سقوطها في الفجوة. اختفت ثم عاودت الظهور. اجتاحتني موجة من القلق. كان كل شيء يعاود الظهور في مرحلةٍ ما، وحتى أنا. شعرت بالقلق لأنني أعتقد بأن خططي قد تغيّرت.

سبق لي أن غيّرت خططي مرتين فقط حتى الآن. شملت المرة الأولى البندقية. أردت الحصول على بندقية، لكن في صباح اليوم الذي اختفيت فيه كنت أنوي إطلاق النار على نفسي. لم أخطّط لإطلاق النار على أي مكان خطرٍ في جسدي: مثل ساقي أو رسغي. كنتُ سأترك ورائي رصاصة تحتوي على آثار من لحمي ودمي. كان الأمر سوف يبدو وكأن صراعاً قد نشب في المكان! أي إن شخصاً ما أطلق الرصاص عليها! لكني أدركت بعد ذلك بأن هذا هو أمرٌ فوق طاقة احتمال البشر، وحتى بالنسبة لي أنا. كنتُ سأشعر بالألم لأسابيع عدة، لكني لا أطيق الألم (أما ذراعي التي جرحتها فهي الآن بحالةٍ أفضل. أشكر اهتمامكم). لكني ما زلت معجبة بفكرة البندقية، لأنها تشمل ماك غوفين رائعة. لا أريد أن يبدو الأمر وكأن آمي التي أُطلق عليها الرصاص، بل آمي الخائفة. ارتديتُ ملابس أنيقة وتوجهت إلى المركز التجاري في يوم الفالنتين، وذلك كي يذكرني الناس. لم أتمكن من الحصول على بندقية، لكن الأمر ليس مهماً بسبب تغيّر الخطط.

أما المرة الأخرى التي تغيّرت فيها الخطط فكانت أكثر تطرفاً. قررتُ بأنني لا أريد أن أموت.

وضعتُ خطةً لقتل نفسي، لكنني لم أتمكّن من استيعاب هذا الظلم. ليس من العدل أن أضطر للموت. إنني لا أتكلم هنا عن الموت الحقيقي، لأنني لا أريد ذلك، وبسبب عدم كوني الشخص الذي أقترف أي خطأ.

لكن المشكلة الآن هي المال، والأمر في منتهى السخافة، أي أن يكون المال من بين كل الأمور الأخرى هو المشكلة بالنسبة إليّ. لكنني أمتلك الآن مبلغاً محدداً وهو 9 , 132 $. لكنني سوف أحتاج إلى مبلغٍ أكبر. توجهت هذا الصباح لكي أدردش مع دوروثي . حملت على عادتي منديلاً في يدي، وذلك لكي لا أخلف بصماتٍ ورائي (قلتُ لها بأنه منديل جدتي، كما حاولت أن أترك انطباعاً غامضاً لديها عن تبديد ثروة عائلة جنوبية، وأقرب شيء إلى بلانش دوبوا). انحنيتُ على طاولتها بينما كانت تحدثني، وبكل تفصيلٍ بيروقراطي، عن مسيّلٍ للدم لا تستطيع أخذه - تُعتبر هذه المرأة موسوعةً بكل ما يتعلّق بالأدوية المرفوضة - لكنني قلت لها، ولمجرد اختبار الوضع: " أعرف ما تعنين، لكنني لست متأكدة من تمكّني من الحصول على قيمة الإيجار لأسبوعٍ أو أسبوعين تاليين " .

تطلعتْ نحوي، ثم تطلعتْ نحو جهاز التلفزيون الذي كان يعرض برنامجاً عن أشخاصٍ يصرخون ويبكون كثيراً. أبدت المرأة نحوي اهتماماً يماثل ما تبديه الجدّات، وقالت إنها سوف تسمح لي بالبقاء إلى أجَلٍ غير مسمى. أضافت أن نصف عدد الحجرات فارغٌ على أي حال، وأنه لا ضرر في ذلك.

قالت دورورثي من دون أن تحوّل نظرها عن جهاز التلفزيون: " من الأفضل لكِ أن تحصلي على وظيفة " . قدّم أحد المتسابقين خياراً خاطئاً، وهكذا خسر الجائزة. أطلقت دوروثي صوتاً يعبّر عن ألمها. واه، واه، واه.

" وظيفة مثل ماذا؟ ما هو نوع الوظيفة التي يمكنني الحصول عليها في مكانٍ كهذا؟ " .

" يمكنك العمل في التنظيف، أو في رعاية الأولاد " .

لكن كان من المفترض بي أن أكون زوجة تتلقى أجرها. يا للمفارقة التي يمثّلها وجود ملصقات كُتب عليها اصمدوا.

أعرف أن المرء ليس مضطراً لوضع ميزانية في ولاية ميسوري المتواضعة. لا يمكنني الخروج وشراء سيارة جديدة لأنني أريد ذلك، لكن لم أكن مضطرةً أبداً للتفكير في الأمور اليومية، مثل تجميع القسائم وشراء

الأشياء العادية ومعرفة كم يبلغ ثمن الحليب مسبقاً. لم يحرص والداي على تعليمي كل هذا، وهكذا تركاني غير محضّرة للعيش في العالم الحقيقي. أما أبلغ مثالٍ على ذلك فكان عندما اشتكت غريتا من أن المتجر الذي يقع على ضفة النهر يتقاضى منها خمسة دولارات مقابل غالونٍ واحدٍ من الحليب. جفلتُ عندما سمعت هذا، لأن البائع الشاب هناك يتقاضى مني عشرة دولارات عن الغالون الواحد. اعتقدت أن ذلك ثمن كبير، لكن لم يخطر في ذهني أبداً بأن ذلك المراهق الذي يمتلئ وجهه بالبثور إنما يطرح رقماً كي يعرف ما إذا كنتُ سأقبله.

هذا هو السبب الذي دفعني إلى وضع ميزانية، لكن ميزانيتي التي تقول الإنترنت بأنها سوف تكفيني من ستة إلى تسعة شهور تكاد تنتهي. يبدو بأنني سوف أنتهي بدوري.

أدركت بأنني كنت أنا الفائزة في لعبة الغولف فور انتهائنا منها. إنني أفوز بطبيعة الحال لأنني أحسب النتيجة في ذهني. توجهنا بعد ذلك إلى كشكٍ مجاورٍ يبيع النقانق، وما لبثتُ أن تسللت إلى الزاوية كي أُخرج حزامي الذي أرتديه تحت قميصي، والمزود بسحابة، وهو الذي أحتفظ فيه بمالي، لكني عندما تطلعت خلفي لاحظتُ أن غريتا تبعتني. رأتني غريتا قبل أن أتمكن من إعادة الحزام إلى مكانه.

قالت مداعبةً: " ألم تسمعي بعد بأشياء تدعى محفظة، أو بأكياس المال؟ " . يشكّل ذلك مشكلة بالنسبة إلى شخصٍ هارب يحتاج إلى مبالغ نقدية كبيرة، لكن هذا الشخص الذي يتنقل من مكانٍ إلى مكان لا يمتلك مكاناً كي يحتفظ فيه بأمواله النقدية. لكن ما أثار ارتياحي هو عدم إصرار غريتا على متابعة الموضوع، وذلك لأنها تعرف بأن كلانا ضحية هنا. جلسنا وسط أشعة الشمس على كرسي معدني مخصص للنزهات، وتناولنا شطائر النقانق، وأقراصاً بيضاء ملفوفةً حول أسطواناتٍ من الفوسفات ذات مظهرٍ أخضر بحيث تبدو سامة. كان يُمكن لها أن تكون أطيب شيء أكلتُه على الإطلاق، وذلك لأنني آمي الميتة، أي إنني لا أكترث.

قالت غريتا: " احزري ماذا وجد لي جيف؟ عثر على كتابٍ آخر من المؤلف الذي كتب المغامرات المريخية " .

قال جيف: " راي برادبورو " . لكنني فكّرت في أن الاسم الصحيح هو برادبوري.

قالت غريتا: " أجل، صحيح. سيأتي الشر إلينا *Something Wicked*

This Way Comes . إنها رائعة " . تلفظت بهذه الجملة الأخيرة وكأنها كل ما يُقال عن أي كتاب: إما رائع وإما سيئ. إما أن أحبه وإما لا أحبه. لا مجال هنا لأي مناقشاتٍ عن أسلوب الكتابة، أو المغزى، أو الأوصاف الدقيقة، أو التركيب. إما أن يكون الكتاب جيّداً أو سيئاً، أي تماماً مثل النقانق.

قال جيف: " قرأتُ هذا الكتاب عندما انتقلتُ إلى هنا. إنه رائع ومخيف " . لاحظ بأنني أراقبه فأبدى علامات الانزعاج، وبدت عيناه مثل عينَي رجل مجنون، أما لسانه فقد بدا متلهفاً. إنه ليس النوع الذي أفضّله - تلك الشعيرات الدقيقة في وجهه تبدو شائكة، كما أنه يتصرف بالأسماك بطريقة مريبة، لكنه يبدو وسيماً بالإجمال، بل وحتى جذاباً. يُضاف إلى ذلك أن عينيه دافئتان، وليس مثل عينَي نِك الزرقاوين والجامدتين. تساءلتُ كيف سيبدو الأمر إذا ما عاشرته. سيكون لقاءً لطيفاً وبطيئاً. سيضغط جسده على جسدي وسوف يرسل أنفاسه في أذني بينما تدغدغ شعيراته خديَّ، أي ليس بالطريقة المنعزلة التي يتبعها نِك، حيث بالكاد يتصل جسدانا، وهما يشكّلان زاويةً قائمة من الخلف، وشكل حرف L من الأمام، وما يلبث أن يغادر على الفور تقريباً ويأخذ دشاً ويتركني مرتعشة...

قال جيف: " هل أكلت الهرة لسانكِ؟ " إنه لا يناديني باسمي أبداً، وكأن ذلك هو اعترافٌ منه بأن كلانا يكذب، بل يقول هذه السيدة، أو هذه المرأة الجميلة، أو أنتِ. تساءلتُ عما يُمكن أن يناديني في السرير. يُحتمل أن يقول حبيبتي.

" إنني أفكّر فقط " .

قال وهو يبتسم مجدداً: " آه - أوه " .

قالت غريتا: " أنا متأكدة من أنك كنتِ تفكرين في شاب " .

" ربما " .

قالت: " اعتقدتُ بأننا نبتعد عن المغفلين لفترةٍ ما لكي نهتم بشؤوننا الخاصة " . كنت متعبة في الليلة الماضية، أي بعد أن شاهدتُ إلين آبوت. تأثرت إلى درجة أنني فضّلت عدم العودة إلى حجرتي، وهكذا تشاركنا في شرب ست علَبٍ من الشراب، وتصورنا أن حياتنا المنعزلة هذه وكأنها رمزٌ للفتيات المستقيمات اللواتي يعشن في مجمّع والدة غريتا المخصص للنساء، وحيث يقمن بتربية الدجاج، ويعلقن الغسيل على الحبال كي يجفّ في الشمس. كانت الفتيات هدفاً سهلاً للمغازلة اللطيفة والبريئة من جانب السيدات الأكبر سناً من ذوات الجلد المتغضن والضحكات المثيرة. ترتدي

الفتيات كذلك سراويل الجينز السميكة والصنادل السميكة، كما أنهن لا يقلقنَ أبداً بشأن زينتهن أو شعرهن أو أظافرهن، أو بشأن حجم صدرهن أو أردافهن، ولا يضطررن أبداً إلى لعب دور زوجاتٍ متفهمات، أو الصديقة المساندة، والتي تحب كل ما يفعله رجلها.

قال جيف: " لا أعتقد أن كل الرجال مغفلون " . أصدرتْ غريتا صوتاً يدل على عدم اهتمامها.

عدنا إلى حجراتنا مع إحساسٍ شديد بالخفة. شعرت وكأنني بالونٌ مائي تُرك في الشمس. كان كل ما أريده هو الجلوس تحت مكيّف الهواء المثبت على نافذتي وأن أستمع إلى صوته الذي لا ينقطع، وأشعر بالبرودة التي يبعثها في جلدي وأنا أشاهد برامج التلفزيون. عثرت على قناة لا تبث إلا إعادة للبرامج القديمة التي كانت شائعة في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، مثل كوينسي، وسفينة الغرام، وثمانية تكفي، لكن قبل كل شيء يأتي برنامج إلين آبوت، وهو برنامجي المفضّل!

لم يظهر أي جديد على الإطلاق. صدّقوني بأن إلين لا تكف عن التساؤل، وهي استضافت لهذا الغرض مجموعة من الغرباء الذين صادفتهم في الماضي، والذين أقسموا بأنهم أصدقائي، وجميعهم كان عندهم أشياء لطيفة ليقولوها عني، وشمل هذا حتى الأشخاص الذين لم يحبوني كثيراً. يبدو أن سبب ذلك هو الحنين لحياة أخرى.

سمعتُ طرقةً على الباب، لكني كنتُ أعرف أن غريتا وجيف قد وصلا. أطفأت جهاز التلفزيون. وقف الاثنان عند الباب من دون أن يكون لهما هدفٌ معيّن.

سأل جيف: " ماذا تفعلين؟ " .

قلتُ كاذبةً: " إنني أقرأ " .

وضع على طاولة مطبخي صندوقاً يحتوي على ست علبٍ من الشراب، وكانت غريتا تسير خلفه. " أوه، ظننتُ بأننا سمعنا صوت جهاز التلفزيون " .

تضيق هذه الحجرة الصغيرة على ثلاثة أشخاص. وقفا عند المدخل فتسببا بموجةٍ من التوتر التي اجتاحتني، وتساءلت عن السبب الذي جعلهما يقومان بسد الباب - تابعا الحركة بعد ذلك وما لبثا أن حجبا عني الطاولة الصغيرة قرب السرير. تحتوي هذه الطاولة على حزام المال الذي يضم ثمانية آلاف دولارٍ نقداً. يتوزع هذا المبلغ على فئات المئة، والخمسين، والعشرين دولاراً. أما الحزام فهو في غاية البشاعة، وهو حزام سميك بلون

الجلد. أعرف أنه لا يمكنني أن أحمل كل ما لديّ من المال مرةً واحدة، لذلك فإنني أترك بعضاً منه مبعثراً في أنحاء الحجرة، لكني أحاول أن أصطحب معظمه، وعندما أفعل ذلك فإنني أنتبه جيداً لأنني أعرف أنني فتاة تسير على الشاطئ بحزام سميك. لكن جزءاً غريباً مني يستمتع بإنفاق المال، لأنه في كل مرة أمسك فيه برزمة من المال من فئة عشرين دولاراً، فإن ذلك يعني وجود مبلغ أقل من المال لتخبئته والقلق من ضياعه أو سرقته.

ضغط جيف على زرّ تشغيل التلفزيون، وما لبثت إلين آبوت - وآمي - أن ظهرتا على الشاشة. أومأ جيف وأطلق ابتسامة وكأنها لنفسه.

سألتْ غريتا: " أتريدين مشاهدة... آمي؟ " .

لا أستطيع التأكيد ما إذا كانت استخدمت فاصلةً في جملتها: أتريدين المشاهدة، آمي؟ أو أتريدين مشاهدة آمي؟

" كلا. جيف لماذا لا تجلب قيثارتك [غيتارك] ونجلس كلنا أمام المدخل؟ " .

تبادل جيف وغريتا نظرة ذات معنى.

قالت غريتا: " آووو... لكنك كنتِ تشاهدين ذلك البرنامج، أليس كذلك؟ " أشارت إلى الشاشة حيث ظهرتُ أنا ونِك في حفلٍ لجمع التبرعات. كنت أرتدي عباءة، وكان شعري مرفوعاً كتلةً واحدة. ظهرت أقرب شيء إلى ما أبدو عليه الآن، لكن من دون الشعر.

قلتُ: " إنه برنامجٌ مضجر " .

قالت غريتا قبل أن تجلس على سريري: " أوه. لا أظن بأنه مضجرٌ على الإطلاق " .

فكّرت في مدى حمقي عندما أدخلتُ هذين الشخصين إلى الحجرة، ولأنني افترضت أنه بإمكاني التحكّم بهما في حين أنهما من نوع الحيوانات المفترسة، أي الأشخاص الذين تعودوا العثور على زاويةٍ يدخلون منها، واستغلال نقطة ضعف، ولا يكفون عن طلب أشياءٍ وأشياء، وذلك في حين أنني جديدة على كل هذه الأمور. التطلب. إن أولئك الناس الذين يقتنون فهوداً في باحات منازلهم الخلفية، وحيوانات الشمبانزي في غرف معيشتهم - لا بد وأنهم يشعرون هكذا عندما تمزقهم حيواناتهم الأليفة التي يحبونها.

" أتعرفان. هل تمانعان... أشعر بدوخة. أعتقد أنني جلستُ في الشمس كثيراً " .

بدت الدهشة على وجهيهما كما شعرا بأنهما أُهينا قليلاً. تساءلت ما

إذا كنت قد أسأت الفهم - وأنهما شخصان بريئان، والأمر يقتصر على إصابتي بالرهاب تجاههما. أحب كثيراً أن أصدّق ذلك.

قال جيف: " بالتأكيد، بالتأكيد " . خرجا من حجرتي بينما تناول جيف علبة شراب في طريقه. لكن بعد مرور دقيقة سمعتُ صوت إلين آبوت خارجاً من حجرة غريتا. كانت تتلفظ بتلك الأسئلة التي تفوح بالاتهام. لماذا... لماذا لم... كيف تفسّر...

لماذا سمحتُ لنفسي بعقد صداقةٍ مع أي شخصٍ هنا؟ لماذا لم أبقَ وحدي؟ كيف أفسّر تصرفاتي إذا عثروا عليّ؟

لا أسمح بأن يعثروا عليّ. أما إذا عثروا عليّ في يومٍ من الأيام فسوف أكون أكثر امرأةٍ مكروهةٍ في هذا الكوكب. سأتحوّل من كوني جميلةً، ولطيفة، وسيئة الحظ، وحاملاً وقعت ضحية منافقٍ أناني ومخادع، إلى كوني ساقطة تمكنت من استغلال النوايا الطيبة لدى جميع المواطنين الأميركيين. لا أشكّ لحظةً في أن إلين آبوت سوف تخصّص لي البرنامج تلو البرنامج، ولا شك في أن المتصلّين الغاضبين سوف ينفسّون عن كراهيتهم لي: " إنها مجرد مثال آخر على الفتاة الثرية المغرورة التي تفعل ما يحلو لها من دون أن تفكّر في مشاعر الآخرين يا إلين. أعتقد بأنها يجب أن تختفي إلى الأبد - في السجن! " سيمضي الأمر هكذا. سبق لي أن قرأت معلومات متضاربة في شبكة الإنترنت حول موضوع العقوبات التي تطال من تظاهر بأنه مات، أو نصب مكيدة لشريك حياته لهذا الموت، لكني أعرف أن الرأي العام سيكون قاسياً جداً. إن كل ما سأفعله بعد انكشاف أمري - مثل إطعام اليتامى، ومعانقة المصابين بداء الجذام - لن يجدي نفعاً عندما أموت، وذلك لأنني سوف أكون معروفة على أنني تلك المرأة التي زيّفت موتها ونصبت فخاً لزوجها. تذكّروا ذلك.

لا يمكنني السماح بحدوث هذا.

ما زلتُ مستيقظة بعد مرور ساعات، وكنت أفكّر في العتمة عندما اهتزّ الباب بطرقاتٍ خفيفة، وكانت طرقةُ جيف. فكّرت قليلاً، ثم فتحتُ الباب وأنا متحضرة للاعتذار بسبب وقاحتي التي أبديتها من قبل. رأيته ممسكاً بلحيته ومحدقاً في ممسحة الأرجل، ثم تطلع نحوي بعينين من لون العنبر.

قال لي: " قالت دوروثي بأنك تبحثين عن عمل " .

" أجل. أعتقد ذلك " .

" لديّ عملٌ لهذه الليلة، وسأدفع لكِ خمسين دولاراً " .
لا تقبل آمي إليوت مغادرة حجرتها مقابل خمسين دولاراً، لكن ليديا و / أو نانسي تحتاج إلى عمل، ولذلك أنا مضطرة للقبول.
هزّ كتفيه وقال: " إنها ساعات قليلة مقابل خمسين دولاراً. لا فرق عندي، لكن فكّرت في أن أعرضه عليكِ " .
" وما هو ذلك العمل؟ " .
" صيد السمك " .

كنتُ متأكدة من أن جيف سوف يقود شاحنةً صغيرة، لكنه قادني إلى سيارة فورد لامعة وذات بابٍ خلفي. كانت سيارة تثير الشفقة، وهي من النوع الذي يناسب طالبٍ تخرّج حديثاً ويمتلك خططاً كبيرة وميزانية متواضعة، أي إنها لا تناسب رجلاً بالغاً لقيادتها. ارتديت بذلة سباحة تحت فستاني الفضفاض، وذلك بحسب ما طلبَ مني. (قال جيف بلطف: " لا ترتدي البيكيني، بل البذلة الكاملة، أي تلك التي يمكنك السباحة فيها بالفعل " . لم يسبق لي أن شاهدته قرب بركة السباحة، لكنه يعرف جيّداً ثياب السباحة التي أرتديها، وهو أمرٌ يحمل الإطراء ويبعث على القلق في الوقت ذاته).
ترك نوافذ السيارة مفتوحة بينما كنا نسير من خلال التلال المكسوة بالأشجار، وفوق الطريق المغطاة بالحصى، حيث كان الغبار يغلّف شعري القصير. بدا الأمر وكأنه مشهد من شريط فيديو لموسيقى الريف: الفتاة التي ترتدي فستاناً فضفاضاً تمدّ رأسها إلى خارج النافذة كي تشعر بنسيم الليلة الصيفية في ولاية حمراء state red . رأيتُ النجوم. كان جيف يدندن بين وقتٍ وآخر.
ركن جيف السيارة بالقرب من مطعم يقف على دعائم مثبتة في البحيرة، وكان مطعماً يقدم المشاوي ويشتهر بأكواب الشراب الضخمة التي تحمل أسماء بذيئة: جاتور جوس، وباس ماوث بليتز. عرفت ذلك من الأكواب المرمية التي تعوم بمحاذاة كل شواطئ البحيرة، وكلّها كانت متكسرة بألوانها الشاحبة التي تحمل شعار المطعم: سلّور كارل. يتميّز مطعم سلّور كارل بمنصةٍ فوق الماء حيث يتمكن الزبائن من حمل حفنات من البسيسة المطحونة من الماكينات ورميها إلى مئات الأفواه المفتوحة لأسماك السلور الضخمة التي تنتظر في الأسفل.
" ماذا سنفعل بالضبط يا جيف؟ " .

" أنتِ تنصبين الشِّباك وأنا أقتل السمك " . خرج وتبعته حول السيارة المليئة بصناديق التبريد. سنضعها هنا وسط مكعبات الثلج ثم نبيعها بعد ذلك " .

" نبيعها؟ لكن مَن يشتري سمكاً مسروقاً؟ " .

أطلق ابتسامة تشبه ابتسامة هرةً كسولة وقال: " لديّ مجموعة خاصة من الزبائن " .

أدركتُ بعد ذلك هذه الحقيقة: إنه ليس غريزلي آدامز، عازف القيثارة، وليس الرجل المحب للسلام والذي لا يأكل اللحوم أبداً. إنه لصٌّ ينتمي إلى الطبقة العاملة، والذي يريد الاعتقاد بأنه أكثر تطوراً بكثير من ذلك.

تناول شبكة صيد، وصندوقاً من طعوم ناين لايفز (الحيوات التسع)، وسطلاً بلاستيكياً ملوّثاً.

إنني لا أرغب أبداً في أن أكون جزءاً من هذا الاقتصاد السمكي غير الشرعي، لكني مهتمة به بشكلٍ أو بآخر، إذاً كم من النساء يمكنهن القول بأنهن جزء من شبكةٍ لتهريب الأسماك؟ " لكني أمتلك الجرأة. امتلكت الجرأة منذ أن متّ. تلاشت كل الأشياء التي كرهتها أو خشيتها. يمتلك الشبح تلك الحرية.

نزلنا إلى أسفل التلة فوصلنا إلى منصة مطعم سلور كارل، ثم وقفنا فوق المنصات التي تصدر صوتاً عند دخول الماء إليها بعد مرور أحد القوارب ذات المحركات، صوتاً تشبه ذلك الذي يطلقه جيمي بوفيت.

ناولني جيف شبكة وقال: " يتعيّن أن نفعل هذا بسرعة - اقفزي إلى الماء واسحبي الشبكة، ثم أمسكي بالسمك، ثم قومي بقلب الشبكة نحوي. ستكون ثقيلة وزلقةً مع ذلك، ولذا أريدك أن تتحضري جيداً. لا أريد صراخاً ولا أي حركة " .

" لن أصرخ. لكني لا أريد الغطس في الماء. يمكنني أن أفعل ذلك وأنا واقفة على المنصة " .

" يتعيّن عليك أن تخلعي فستانك على الأقل، وإلا سوف تفسدينه " .

" إنني على ما يرام هكذا " .

بدا منزعجاً للحظة. إنه المدير وأنا مجرد موظفة، وأنا لم أصغِ إليه لغاية الآن - لكنه ما لبث أن استدار بتواضع، وخلع قميصه وناولني صندوق طعام الهررة من دون أن يواجهني مباشرة، أي وكأنه كان يشعر بالخجل. أمسكت الصندوق فوق المياه من الجانب الضيّق، وعلى الفور

رأيت مئة من الظهور المقوسة اللامعة تتقدم نحوي، وكأنها جمهرة من الثعابين، وكانت ذيولها تقطع سطح الماء بشراسة، وما لبثت الأفواه أن انفتحت من تحتي. كانت الأسماك تتحرك فوق بعضها بعضاً وتبتلع ثمار البندق، وما لبثت أن وجّهت وجوهها نحوي طلباً للمزيد، وكأنها حيوانات أليفة مدربة.

طويت الشبكة حتى منتصف مجموعة الأسماك وجلست على المنصة بقوةٍ كي أتمكن من تثبيت نفسي عندما أرفع محصول السمك إلى الأعلى. امتلأت الشبكة عندما سحبتها بنصف دزينة من أسماك السلور المالسة وذات الشوارب، وكانت تحاول يائسة العودة إلى المياه بينما كانت شفاهها المنفرجة تنفتح وتنغلق ما بين مربعات النايلون، لكن قوة دفعها الجماعية أدت إلى تمايل الشبكة صعوداً وهبوطاً.

" ارفعي، ارفعي يا فتاة! " .

دفعت بركبتي إلى أسفل الشبكة وتركتها هناك بينما اقترب جيف وأمسك سمكةً بيديه الاثنتين المحميّتين بقفازاتٍ خاصة مصنوعة من قماشٍ قابل للامتصاص يساعد على إحكام قبضة اليد. حرّك يديه نزولاً نحو ذيل السمكة، ثم أرجحها وكأنها هراوة، وما لبث أن سحق رأسها على طرف المنصة. تفجرت الدماء، وما لبثت أن تدحرجت قطعة صغيرة وحادة من السمكة فوق فخذيّ، بينما اصطدمت قطعة لحم بشعري. رمى جيف السمكة في السطل ثم، تناول سمكة أخرى بطريقةٍ شبه آلية.

عملنا وسط الهمهمات والتمتمات لفترة نصف ساعة، وتمكّنا من ملء أربع شبكات إلى أن تعبتْ أذرعنا وامتلأت صناديق التبريد. تناول جيف السطل الفارغ، وملأه من ماء البحيرة، وأفرغه على الأحشاء، ثم على أوعية الأسماك. التهمت أسماك السلور أحشاء رفيقاتها التي ماتت. بقيت المنصة على نظافتها بهذه الطريقة. سكب جيف آخر سطلٍ من المياه فوق أقدامنا الملوثة بالدماء.

سألته: " لماذا تقوم بتحطيم رؤوس الأسماك؟ " .

قال لي: " لا يمكنني تحمّل أي شيء يعاني. أتحبين القيام بغطسة سريعة؟ " .

قلت: " كلا. أنا مرتاحة هكذا " .

" لا يمكنك البقاء هكذا في سيارتي. أعرف بأنك لستِ مرتاحة لأن الفضلات العالقة بك هي أكثر مما تتصورين " .

ركضنا فوق المنصة نحو الشاطئ الصخري القريب. شققتُ طريقي

بصعوبة في المياه التي وصلت إلى كاحلي، بينما تمكن جيف من الركض بخطوات كبيرة فتطايرت المياه من تحت قدميه، وما لبث أن قذف بنفسه إلى الأمام بذراعين مفتوحتين. تركته ليبتعد عني، وفككت الحزام الذي يحتوي على المال، ولففتُ فستاني الواسع من حوله، ثم تركته عند حافة المياه ووضعت نظاراتي من فوقه. انحنيت حتى تمكنت من الإحساس بالمياه الدافئة التي وصلت إلى فخذيّ، وبطني، ورقبتي، ثم حبستُ أنفاسي وغطست في المياه.

سبحت بعيداً وبسرعة، ومكثت في المياه أكثر مما يجب، وذلك كي أعرف طبيعة مشاعري في حالة الغرق - أعرف بأنني أستطيع التحمل إذا ما اضطررت إلى ذلك - وعندما خرجت من الماء شهقت شهقة تمكنت من التحكم فيها، رأيت جيف مندفعاً بسرعة نحو الشاطئ، وهكذا اضطررت إلى السباحة بسرعة مثل خنزير بحر كي أعود إلى حزامي الذي يحتوي على مالي، وأتسلق الصخور قبله.

نِك دون

بعد مرور ثمانية أيام

أجريت اتصالاً هاتفياً مع هيلاري هاندي، وذلك فور إنهاء اتصالي مع تومي. إذا كان " قتلي " آمي كذبة، وقصة " اغتصاب " تومي أوهارا لآمي كذبة أخرى، فلماذا لا تكون قصة " ملاحقة " هيلاري هاندي لآمي كذبة هي الأخرى؟ يُمكن لشخص مضطربٍ أن يكسر لها أسنانها في مكانٍ ما، أي مثل القاعات الرخامية في ويكشاير.

قلت ما إن رفعت سماعة الهاتف: " أنا نِك دون، زوج آمي إليوت. أنا مضطرٌّ للتحدث معك " .

" لماذا؟ " .

" أنا بحاجةٍ إلى معلومات إضافية بالفعل. أعني معلوماتٍ بشأن... " .

" لا تقل صداقة " .

" كلا، لن أفعل. إن كل ما أريده هو سماع ما لديك قوله. لا أتصل بكِ لأنني أعتقد بأن لكِ علاقة - أي علاقة - مع زوجتي، ومع وضعها، في الوقت الحالي. لكني أود في الواقع معرفة ما حدث معك. أريد الحقيقة، وذلك لأنني أعتقد بأنكِ قادرة على تسليط الضوء على... نمط السلوك الذي تعتمده آمي " .

" عن أيّ نوعٍ من الأنماط تتحدث؟ " .

" أتحدث عن نمط سلوكها عندما تحدث أشياء سيئة جداً للأشخاص الذين يصيبونها بالتوتر " .

تنفّست بشدة في سماعة الهاتف. قالت: " لم أكن مستعدة قبل يومين للتحدث معك. لكني كنت وقتها أتناول الشراب مع بعض الصديقات، وكان جهاز التلفزيون شغالاً، ثم ظهرتَ أنت، وكان الحديث عن كون آمي حاملاً. شعر جميع من كنتُ معهم بالغضب منك. شعروا بالكراهية تجاهك. فكّرت في ذلك الوقت، أعرف ما معنى ذلك، وذلك لأنها ليست ميتة، أليس كذلك؟ أعني أنها ما زالت مفقودة؟ لم تظهر جثة.

" هذا صحيح " .

" إذاً دعني أخبرك شيئاً عن آمي، عندما كانت في المرحلة الثانوية من دراستها، وما حدث في ذلك الوقت. انتظر قليلاً " . سمعتُ على الطرف الآخر من الخط أصوات أفلام لرسومٍ متحركة - كانت أصواتاً ممطوطة وموسيقى أشبه بالصفارات - لكن، وفجأةً، لم أعد أسمع أي شيء.

سمعت بعد ذلك أصواتاً متذمرة. اذهب وشاهد البرامج في الطابق السفلي. في الطابق السفلي من فضلك.

" سأخبرك عن السنة الأولى. كنتُ أنا فتاةً قادمةً من ممفيس في حين كان جميع الحاضرين من الساحل الشرقي. أقسم لك بذلك. شعرت بأن ذلك شيئاً غريباً كما تعلم. كانت الفتيات في ويكشاير، وبدا الأمر وكأنهن نشأن جماعياً - اللهجة، والملابس، والشعر. لم يكن الوضع وكأنني منبوذة، بل شعرت... بعدم الأمان بالتأكيد. أتذكر في اليوم الأول بأن الجميع كانوا يعرفونها ويتحدثون عنها. كانت هي آمي الرائعة - كنا قرأنا جميعاً تلك الكتب عندما كبرنا - لكن يُضاف إلى ذلك أنها كانت رائعةً بالفعل. أعني أنها كانت... " .

" أجل، أعرف " .

" حسناً. لم يتأخر الوقت حتى أظهرت اهتماماً بي. بدا الأمر وكأنها تأخذني تحت جناحيها أو ما يشبه ذلك. كانت تكرر دعابتها بأنها هي آمي الرائعة، ولذلك كنت مرافقتها سوزي، وهكذا بدأت بمناداتي سوزي، ولم يتأخر الوقت حتى بدأ الجميع بمناداتي بذلك الاسم، ولم أمانع في ذلك أبداً. أعني بأنني كنتُ أعتَبر متملقة: كنت أحضر لها الماء إذا كانت عطشى، وكنت أغسل لها ثيابها إذا ما احتاجت إلى تنظيف ملابسها الداخلية. انتظر قليلاً " .

تمكنت مجدداً من سماع حفيف شعرها على سماعة الهاتف. سبق أن أحضرت ماريبيت معها ألبوم الصور الذي يضم كل صور آل إليوت، وذلك في حال احتجنا إلى صورٍ إضافية. عرضت عليّ ماريبيت صورة تمثّل آمي وهيلاري وهما تبتسمان مع تلاقي خدّيهما. تمكنت من تصوّر هيلاري هذه الأيام، وهي التي تمتلك الشعر الأشقر ذاته الذي يماثل لون شعر زوجتي، والشعر الذي يحيط بوجهٍ يوحي بالبساطة، مع عينين عسليتين.

" جايسون، إنني أتحدث على الهاتف - أعطِهم بعض المصاصات، ليس ذلك صعباً " .

" أنا آسفة، فأولادي خارج المدرسة كما أن زوجي لم يتعود أبداً، أبداً، الاهتمام بهم، وهكذا يبدو مشوشاً قليلاً بشأن ما يمكنه أن يفعله معهم خلال الدقائق العشر التي أتحدث معك فيها على الهاتف. إنني آسفة. إذاً... إذاً. حسناً، كنتُ أنا سوزي الصغيرة، وهكذا استمرينا في هذه اللعبة خلال الأشهر القليلة - آب، أيلول، تشرين الأول - وكان ذلك ممتعاً بالفعل. كنا معاً في كل الأوقات مثل ما يحدث في الصداقات العميقة. حدثت بعد

ذلك بعض الأشياء الغريبة مرةً واحدة، والتي علمتُ بأنها أزعجتها " .

" ماذا حدث؟ " .

التقانا شاب من مدرستنا التوأم في حفل الخريف الراقص، لكنه في اليوم التالي اتصل بي أنا هاتفياً بدلاً من آمي. إنني متأكدة من أنه فعل ذلك لأنها كانت مرعبة جداً، لكن مهما كان من أمر... وبعد مرور أيامٍ قليلة ظهرت علامات نصف الفصل. كانت علاماتي أعلى قليلاً من علاماتها. كانت نسبة الفرق في العلامات تعادل 4 . 5 مقابل 4 . 0 . دعتني إحدى صديقاتنا بعد وقتٍ قصير لتمضية عيد الشكر مع أسرتها، لكنها وجّهت الدعوة لي وليس إلى آمي. إنني متأكدة من أن هذا حدث لأن آمي كانت تخيف الناس. لم تكن مرافقتها أمراً سهلاً لأن المرء يشعر معها بأنه مضطر لإثارة انطباعها. لكنني شعرت بأن الأمور تتغيّر قليلاً. لاحظت بأنها منزعجة بالفعل، وذلك بالرغم من عدم اعترافها بذلك.

" طلبت آمي مني القيام ببعض الأمور. لم أدرك مغزى ذلك في حينه، لكنها بدأت بنصب الأفخاخ لي. سألتني ما إذا كانت تستطيع صبغ شعري باللون الأشقر كي يصبح مثل لون شعرها، وذلك لأن لون شعري بني فاتح، وهو بذلك سوف يبدو أجمل، لأن اللون سوف يبدو أفتحَ قليلاً. بدأت بعد ذلك بالشكوى من والديها. أعني أنها كانت دائمة الشكوى من والديها، لكنها في هذا الوقت زادت من هجومها عليهما - كيف أنهما يحبانها بوصفها فكرة، وليس كما هي في الواقع - وهكذا كانت تقول بأنها تريد أن تتلاعب بأعصاب والديها. طلبت مني الاتصال بمنزل والديها، وأن أُبلغهما بأنني آمي الرائعة الجديدة. كنا نستقل القطار في بعض أيام العطلات الأسبوعية إلى نيويورك، وكانت تطلب مني الوقوف خارج منزلهما، كما طلبت مني في إحدى المرات أن أُهرع إلى والدتها كي أقول لها بأنني سوف أقضي على آمي لأكون آمي الجديدة، أو بعض ما يشبه هذه التفاهات " .

" وهل فعلتِ ذلك؟ " .

" كانت تلك إحدى الألعاب التي كانت تقوم بها الفتيات، وذلك قبل تواجد الهواتف الخلوية وألعاب الكمبيوتر. كانت تلك طريقة لتمضية الوقت، والقيام بأمور مخادعة مثل هذه على الدوام. كانت كلها أموراً تتميز بالحمق. تسابقنا في إثبات المدى الذي تصل إليه جرأتنا وغرابة أفكارنا " .

" ماذا حدث بعد ذلك؟ " .

" بدأت بعد ذلك بالابتعاد عني، وأظهرت البرودة. ظننت أنها لم تعد

تحبني، وهكذا بدأت الفتيات في المدرسة ينظرن إليّ بطريقة غريبة. استُبعدتُ من حلقة الفتيات الجذابات، لكنهم استدعوني في أحد الأيام لمقابلة مديرة المدرسة. قالت لي المديرة بأن آمي تعرضت لحادثٍ فظيع، ولوت كاحلها، وكسرت ذراعها وأحد أضلاعها. وقعت آمي من فوق الدرج، وهي تقول بأنني أنا الذي دفعتها. انتظر قليلاً.

عودوا إلى الطابق السفلي الآن. اذهبوا إلى الطابق السفلي. اذهبوا إلى الأسفل.

" آسفة، عدتُ إليك. أنصحك أن لا تنجب أولاداً " .

سألتها: " إذاً قالت آمي بأنك أنتِ التي دفعتِها؟ " .

" أجل. قالت بأنني فعلت ذلك لأنني كنت مجنونة. كنتُ مهووسة بها، وأردت أن أكون سوزي، لكن كوني سوزي لم يعد يكفي، لذلك يجب أن أكون آمي. امتلكت آمي كل الأدلة التي دفعتني إلى تكوينها عبر الأشهر القليلة الماضية. أعتقد جازمةً بأن والديها رأوني وأنا أحوم حول المنزل. يعني ذلك نظرياً بأنني تحرشت بوالدتها. كان شعري مصبوغاً باللون الأشقر، كما اشتريت ملابس بألوان ثياب آمي، وكانت هي الثياب التي اشتريتها عندما كنتُ برفقتها، لكن لا يمكنني إثبات ذلك. يُضاف إلى ذلك أن كل أصدقائها أتوا كي يصفوا كيف أن آمي كانت خائفة مني خلال الشهر الماضي. لكن كل ذلك كان مجرد تفاهات، إلا أنني ظهرتُ بمظهر فتاةٍ مجنونة تماماً. كنت مثل فتاة مجنونةٍ بالكامل. تمكّن والداها في هذه الأثناء من الحصول على أمر حجز حرية الحركة ضدي. لكني أقسمتُ بأنني لست السبب، إلا أنني وصلتُ إلى حالةٍ من التعاسة إلى درجة أنني أردت ترك المدرسة على أيّ حال. هذا هو السبب الذي دفعنا إلى عدم معارضة أمر الطرد من المدرسة. أردتُ أن أبتعد عنها في ذلك الوقت. أعني أن الفتاة هي التي كسرت أضلاعها. كنتُ خائفة لأن هذه الفتاة الصغيرة التي تبلغ الخامسة عشرة من عمرها نجحت في تدبير كل هذا. أي إنها نجحت في خداع أصدقائها، ووالديها، وأساتذتها " .

" هل حدث كل هذا بسبب فتى، وبعض العلامات ودعوة لتمضية عيد الشكر؟ " .

" وصلتني رسالة بعد نحو شهرٍ من عودتي إلى ممفيس. لم تكن الرسالة موقّعة بل مطبوعة، لكن كان من الواضح أن آمي هي التي أرسلتها. كانت الرسالة عبارة عن قائمةٍ بالطرق التي خذلتها بها. كانت كلها عبارة عن تفاهات: نسيتِ أن تنتظريني مرتين بعد حصة اللغة الإنجليزية.

نسيتِ مرتين بأنني أعاني من الحساسية ضد الفريز [الفراولة].

" يا إلهي " .

" لكنني أشعر بأن السبب الحقيقي لم يكن من بين الأمور التي أوردتها " .

" ماذا كان السبب الحقيقي؟ " .

" أشعر بأن آمي أرادت أن يصدّق الناس بأنها مثالية. لكنني عرفتها من خلال صداقتنا. أدركتُ أنها ليست مثالية. أتعرف؟ كانت لامعة، وساحرة، وكل هذه الأمور، لكنها كانت محبة للسيطرة كذلك، بل وللاستحواذ بشكلٍ مَرَضي، كما أنها ممثلة من الدرجة الأولى وكاذبة قليلاً. أما أنا فلم أمانع بكل ذلك، لكن الأمر لم يكن كذلك معها. تخلصت مني لأنني كنت أعرف بأنها ليست مثالية. جعلني كل ذلك أتساءل عنك " .

" تتساءلين عني؟ لماذا؟ " .

" يرى الأصدقاء معظم نقائص بعضهم بعضاً. لكن الأزواج يرونها كلها. إذا تمكنت آمي من معاقبة صديقةٍ لها على مدى أشهر قليلة عن طريق رمي نفسها من فوق الدرج، فما الذي يُمكن لها أن تفعله مع رجلٍ كان أحمق بما يكفي كي يتزوجها؟ " .

اضطررت إلى إنهاء المكالمة عندما رفع أحد أولاد هيلاري الهاتف الموازي وبدأ بأداء أغنية شائعة في روضات الأطفال. أجريت اتصالاً مع تانر على الفور، وأخبرته بالمكالمات التي أجريتها مع هيلاري وتومي.

قال تانر: " إذاً تجمعت لدينا عدة روايات. هذا عظيم! " أحسستُ، بطريقةٍ ما، بأن هذا ليس عظيماً إلى هذه الدرجة. " هل علمتَ شيئاً عن آندي؟ " .

لم أعلم شيئاً.

قال لي: " كلّفتُ أحد رجالي بانتظارها أمام شقتها " .

" لم أكن أعلم بأن لديك رجالاً " .

قال متجاهلاً كلامي: " إن ما نحتاجه بالفعل هو العثور على آمي. لا أظن أن فتاةً مثلها تتمكن من الاختباء لفترةٍ طويلة. ألديكَ تصور ما؟ " .

تصورتها جالسةً على شرفة فندق راقٍ يطل على المحيط وقد لفّت نفسها برداء أبيض اللون بسمك سجادة، وتتجرع شراباً لذيذاً، هذا في حين تتابع أخبار تدميري على شبكة الإنترنت، أو في محطات التلفزة السلكية. تصورتها كذلك وهي تستمتع مبتهجةً بهذه التغطية المستمرة لأخبار آمي

إليوت دون، وكذلك بحضور مأتمها. تساءلت ما إذا كانت واعية بما يكفي لتدرك بأنها سرقت صفحة من مارك تواين.

قلت: " أتصورها قرب المحيط " . توقفت بعد ذلك وشعرت وكأنني مضطرب نفسياً. " كلا. لا يمكنني تصورها في أي مكان. أعني يمكن أن تكون في أي مكان. لا أعتقد بأننا سوف نراها إلا إذا قررت هي أن تعود " .

تنفس تانر بانزعاج وقال: " يبدو ذلك مستبعداً، لذلك أقترح أن نحاول العثور على آندي ونرى أين هي. أعتقد أن مجال المناورة قد ضاق هنا " .

حان بعد ذلك وقت العشاء، ثم غابت الشمس بعد ذلك، وهكذا أصبحت وحيداً مجدداً في منزلي الذي يبدو وكأنه مسكون. فكّرت في كل أكاذيب آمي، وما إذا كانت قصة حملها إحدى هذه الأكاذيب. أجريت حساباتي وتبيّن لي بأنني عاشرت آمي بشكلٍ متقطع بحيث كان الأمر ممكناً. لكن لا بد وأنها علمت بأنني أجريت حساباتي.

هل هذه حقيقة أم كذبة؟ أما إذا كانت كذبة، فمعنى ذلك أن المقصود هو تدميري.

افترضتُ على الدوام بأن آمي وأنا سوف نُنجب أطفالاً. كان ذلك أحد أسباب زواجي من آمي. أتذكر الآن المرة الأولى التي تصورت فيها هذا الأمر. لم يكن ذلك أبعد من مرور شهرين على بداية خروجنا معاً: كنتُ خارجاً من شقتي في كيبس باي قاصداً أحد المتنزهات المفضلة عندي، والواقع عند النهر الشرقي (إيست ريفر). قادتني الطريق إلى المرور بمحاذاة مربع ليغو الذي يتواجد فيه مقر الأمم المتحدة، ورأيت أعلام مختلف الدول التي ترفرف عالياً وسط الرياح. فكّرت بأن الطفل سيحب هذا المنظر. رأيت كل تلك الألوان المختلفة وانشغلت ذاكرتي في لعبة ربط كل علمٍ مع البلد الذي يمثّله. هذا علم فنلندا، وذاك علم نيوزيلندا. لاحظت كذلك علم موريتانيا والابتسامة التي يوحي بها. أدركت بعد ذلك بأنني لا أفكّر في أي ولد، بل في ولدنا أنا وآمي التي سوف تحب ذلك. تصورت ولدنا منبطحاً على الأرض وهو يقلّب صفحات موسوعة قديمة، وهو الأمر الذي سبق لي أن فعلته، لكن ولدنا لن يكون وحيداً لأنني سوف أنبطح إلى جانبه كي أساعده في معرفته الجديدة بالأعلام، وهي الدراسة التي تبدو أقلّ شبهاً بدراسة أعلام الدول مما هي دراسة في الانزعاج، وهو الأمر الذي

كان سوف يناسب موقف والدي تجاهي، لكن ليس موقفي تجاه ابني. تصورت آمي وهي تنضم إلينا على الأرض منبطحةً على بطنها بينما ترفع قدميها في الهواء وتشير إلى علم بالاو بدائرته الصفراء البعيدة قليلاً عن مركز العلم والموجودة على خلفية زرقاء واضحة. إنني متأكد من تفضيلها لهذه الألوان.

كان الفتى منذ ذلك التصور حقيقياً (أحياناً أتصوره فتاة، لكنه كان صبياً في الغالب). كان أمراً حتمياً. عانيتُ أيضاً من ذلك الحنين للأبوة، والذي كان يأتي بشكلٍ منتظم ليفرض نفسه بقوة. لكن بعد مرور أشهرٍ على حفل زفافنا أمضيتُ لحظةً غريبة أمام خزانة الأدوية، وفكّرت في حينها: إنها تريد أولاداً، أليس كذلك؟ يتعيّن عليّ أن أسأل. يتعيّن عليّ أن أسأل بطبيعة الحال. لكن عندما طرحتُ السؤال، مداورةً وبطريقةٍ غامضة، قالت بالطبع، سوف ننجب أولاداً، بطبيعة الحال، في يومٍ من الأيام. لكنها كانت تقف في كل يوم أمام المغسلة لتبتلع الحبة. فعلت ذلك طوال ثلاث سنوات بينما كنت أقترب من طرح الموضوع، إلا أنني عجزتُ عن التلفظ بهذه الكلمات بالفعل أريد أن ننجب طفلاً.

بدا لي بعد صرفي من العمل بأن ذلك قد يحدث. توافرت الفرصة أمامنا فجأة في حياتنا. تطلعت آمي نحوي ذات يوم بينما كنا نتناول طعام الفطور، وقالت لي بأنها أوقفت أخذ الحبة [منع الحمل]. هكذا حدث الأمر، أي إنها بقيت من دون أن تتناول الحبة لمدة ثلاثة أشهر ولم يحدث شيء. يُضاف إلى ذلك أنها أخذت موعداً لنا كي نبدأ بطلب المساعدة الطبية، وذلك بعد مرور ثلاثة أشهر من عودتنا إلى ميسوري. لكن ما إن تبدأ آمي بمشروعٍ ما حتى تمضي فيه من دون أي تردد. قالت لي: " سنخبرهم بأننا نحاول منذ سنة " . وافقت بغباءٍ معها، وذلك بالرغم من أننا بالكاد كنا نلمس بعضنا بعضاً في ذلك الوقت، لكننا استمرينا في الاعتقاد بأن وجود طفلٍ هو أمرٌ جيد، بل بالتأكيد إنه أمرٌ جيد " .

قالت لي ونحن في طريقنا إلى سانت لويس: " يتعيّن عليك القيام بدورك أنت الآخر. أعني بأنه يجب عليك إعطاء الحيوانات المنوية " .

" أعرف ذلك، لكن لماذا تقولينها بهذه الطريقة " .

" ظننتُ بأنك فخورٌ جداً، أي إنك متفاخر ولا تهتم إلا بنفسك " .

كنتُ في واقع الأمر مزيجاً سيئاً من هاتين الميزتين، لكني دخلت إلى مركز الخصوبة وكان عبارة عن غرفة صغيرة وغريبة من نوعها ومخصصة للاستمناء الذاتي: كانت مكاناً دخله مئات الرجال لا لشيء إلا للاستمناء،

وتنظيف البندقية، و...، و...، و...، و...، و...، و...

(ألجأ في بعض الأحيان إلى استخدام المرح للدفاع الذاتي).

احتوت الغرفة على كرسي بذراعين ومغلّفٍ بالفينيل، وجهاز تلفزيون، وطاولة تحمل كيساً يحتوي على مواد خلاعية وعلبة من المناديل. كان كيس المواد الخلاعية مؤلفاً من أشياء كانت شائعة في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، كما أن العمل كان بمستوى عادي (برز هنا موضوع آخر: مَن يختار المواد الخلاعية لمراكز الخصوبة؟ ومَن يقرر ما إذا كان الرجال لن يخرجوا من تلك الغرفة من دون أن يشكّلوا إهانة لكل النساء المتواجدين خارج الغرفة، ولكل الممرضات، والأطباء، وللزوجات اللواتي يتمسكن بالأمل بالرغم من اضطرابات الهورمونات التي يعانين منها؟).

زرت الغرفة في ثلاث مناسبات مختلفة، وذلك لأن المراكز تحب الحصول على كمياتٍ احتياطية، هذا بينما لم تفعل آمي شيئاً. كان من المفترض بها أن تبدأ بأخذ الحبوب لكنها لم تفعل، وكذلك لم تفعل أموراً أخرى. كانت هي التي ستصبح حاملاً، وهي التي سوف تقدم جسمها للطفل، ولذلك توقفت عن حثّها طوال عدة أشهر، لكني راقبتُ زجاجة الحبوب لأعرف ما إذا كان مستواها قد انخفض. لكن أخيراً، وبعد أن شربت عدة علبٍ في إحدى الليالي الشتائية، صعدت درج منزلنا، وخلعت ملابسي التي غطّاها الثلج، ثم تسللت إلى السرير بجانبها، وكان وجهي قريباً من كتفها أي إن أنفاسي كانت تلامسها، وكنت أدفئ مقدمة أنفي ببشرتها. همست بهذه الكلمات - دعينا نفعل هذا يا آمي. دعينا ننجب طفلاً - لكنها قالت لا. كنت أتوقع نوعاً من الحذر الذي يشوبه التوتر - نِك، هل سأكون أماً صالحة؟ - لكن كان كل ما حصلت عليه هو لا باردة. كانت كلمة لا من دون أي ثغرات. لم يكن الأمر مثيراً، ولم يكن مهماً، بل مجرد شيء لم تعد تهتم له بعد الآن. قالت مبررةً موقفها: " لأنني أدركت بأنني سأعلق بكل الأعمال الصعبة، بدءاً من تغيير الحفاضات، ومروراً بالمواعيد مع الأطباء والانضباط، بينما أنت ستكون مرتاحاً ولن تفعل شيئاً، وستكون الأب الذي لا يهتم إلا بالمرح. سأقوم أنا بكل الأعمال لأجعلهم أناساً صالحين، بينما لن تفعل أنت أي شيء، لكنهم سوف يحبونك وسوف يكرهونني أنا " .

أبلغت آمي بأن ما تقوله غير صحيح، لكنها لم تصدقني. أبلغتها بأن الأمر لا يقتصر على رغبتي في إنجاب ولد، بل بحاجتي إلى إنجاب ذلك الولد. يتعيّن عليّ معرفة بأنني قادرٌ على حبّ شخصٍ ما مهما كانت

الظروف ومن دون شروط، وأنه بإمكاني جعل مخلوقٍ صغير يشعر، وعلى الدوام بأنه مرحّبٌ به في كل الأوقات. قلتُ لها إنه يمكنني أن أصبح من نوعٍ آخر من الآباء يختلف عن النوع الذي كان ينتمي إليه والدي. قلت لها إنه بإمكاني تربية ولدٍ لا يشبهني.

رجوتها، لكنها بقيت على موقفها. تلقيت إنذاراً بالبريد بعد مضي سنةٍ من الزمن: ستتخلص العيادة من حيواناتي المنوية إلا إذا اتصلنا بهم. تركت الرسالة فوق طاولة المائدة لتكون تحذيراً مفتوحاً. رأيت هذه الرسالة في سلة المهملات بعد مضي ثلاثة أيام. كان ذلك آخر اتصالٍ بيننا بشأن هذا الموضوع.

مضى على مواعدتي لآندي ثلاثة أشهر في ذلك الوقت، وهكذا لم أمتلك الحق بالانزعاج. لكن ذلك لم يمنع شعوري بالحنين، ولم يمنعني من أن أحلم بشأن ولدنا أنا وآمي. شعرت بأنني مرتبطٌ به. لكن الحق يُقال بأن آمي وأنا قادران على إنجاب طفلٍ رائع.

تراقبني الدمى المتحركة بعيونها السوداء القلقة. تطلعت من خلال نافذتي فرأيت عربات المحطات الإخبارية متجمعةً قرب بعضها بعضاً، وهكذا توجهت إلى الخارج في تلك الليلة الدافئة. حان الوقت الآن للتنزه قليلاً. يُحتمل أن يكون أحد المراسلين الباحثين عن الفضائح يلاحقني، لكنني لم أكترث لذلك. سرت عبر حيّنا ومشيت لفترة خمس وأربعين دقيقة في ريفر رود (طريق النهر)، ثم خرجت إلى الطريق السريع الذي يمر في منتصف قرطاجة. كانت تلك فترة ثلاثين دقيقة صاخبة ومتوترة. مررت بالقرب من وكالات بيع السيارات ورأيت الشاحنات المعروضة بشكلٍ مغرٍ وكأنها قطع حلوى، ومررت بمحاذاة سلسلة من مطاعم المأكولات السريعة، وكذلك بمحاذاة متاجر بيع المشروبات ومحلات البقالة الصغيرة، وكذلك بمحطات الوقود، وذلك إلى أن وصلت إلى مخرجٍ يؤدي إلى وسط المدينة. لم أصادف أي شخصٍ آخر يسير على قدميه، ولم أرَ سوى وجوهٍ كانت أقرب إلى ملامح وجوهٍ غير واضحة المعالم تمر من أمامي داخل السيارات.

اقترب الوقت من منتصف الليل. مررت من أمام الحانة. شعرت بدافعٍ للدخول لكني لم أفعل بسبب الحشود. أعتقد أنه لا بد وأن يعسكر مراسل أو اثنين خارج الحانة. كنت سأفعل الأمر ذاته لو كنت مكانهما. لكني أردت أن أكون في حانةٍ ما محاطاً بالناس وأمرح قليلاً، وأتمكن هكذا من التنفيس عن مشاعري. سرت لفترة خمس عشرة دقيقة أخرى حتى

وصلت إلى آخر منطقة في وسط المدينة، ومررت من أمام حانة رخيصة وأكثر حداثة والتي تتلوث مراحيضها بالقيء في ليالي السبت. كانت تلك إحدى الحانات التي يقصدها أشخاص من مستوى آندي، ومن يعلم لربما أقدم أحدهم على اصطحابها إلى هذا المكان. أما إذا رأيتها هنا فإنني سوف أعتبر ذلك من حسن حظي. سأتمكن عندها من معرفة مزاجها، وإن عن بُعد. أما إذا لم تكن هنا فإنني سوف أكتفي بتناول بعض الشراب.

دخلت إلى عمق الحانة بقدر ما استطعت. لم أجد أثراً لآندي على الإطلاق. كان وجهي مغطى جزئياً بقبعة تشبه تلك التي يستخدمها لاعبو كرة القاعدة. سمعت بالرغم من ذلك بعض الأصوات بينما كنت أمرّ بين حشد الشاربين: استدارت الرؤوس نحوي فجأةً، واتسعت الأعين عند تعرّفها على هويتي. ذلك هو الرجل، أليس كذلك؟

كنا آنذاك في منتصف شهر تموز. تساءلت ما إذا كنتُ سوف أصبح رمزاً للشر عند قدوم شهر تشرين الأول، أو ما إذا كنت سأرتدي ثياب عيد البربارة، وذلك وسط حشدٍ من الناس من ذوي الشعر الأشقر، أو مثل كتاب آمي الرائعة يتأبطه أحد الفتيان. قالت لي جو بأنها تلقت نصف دزينة من المكالمات تسأل ما إذا كانت الحانة تمتلك قمصاناً رسمية للبيع. (لا نمتلك قمصاناً كهذه ولله الحمد).

جلست، وطلبتُ كوباً من الشراب الاسكتلندي من النادل الذي كان في مثل عمري تقريباً. حدّق النادل بي للحظةٍ طويلة جداً، ويبدو أنه تساءل ما إذا كان سيُحضر ما طلبته أم لا. وضع في النهاية، وإن بتردد، كوباً صغيراً أمامي وهو يتذمر. صوّب الرجل راحة يده نحوي عندما أخرجتُ محفظتي. قال لي: " لا أريد مالك يا رجل. لا أريده أبداً " .

تركت النقود لهذا المغفل على الطاولة على أي حال.

حدّق نحوي عندما حاولت أن أشير له بطلب كوب شرابٍ آخر. هزّ رأسه، وانحنى نحو المرأة التي كان يتحدث معها. تطلعت المرأة نحوي بحذر بعد ثوانٍ قليلة، وتظاهرت بأنها تتمطى. قلبت شفتها وهي تومئ. إنه هو. نِك دون. لكن النادل لم يعُد إليّ أبداً.

لم يكن بإمكاني أن أصرخ به أو أهدّده: اسمع أيها المغفل، هل ستحضر لي ذلك الشراب اللعين أم ماذا؟ لم أتمكن من أن أكون ذلك المغفل الذي يعتقدونه. استمريت في الجلوس وتحملت الأمر. لم أغادر بل جلست مع كوبي الفارغ أمامي، وتظاهرت بأنني أفكّر بعمق. ألقيت نظرة على هاتفي المؤقت، وذلك تحسباً لاحتمال أن تكون آمي قد فكّرت

بالاتصال بي. لم أجد شيئاً. تناولت بعد ذلك هاتفي الحقيقي ولعبت لعبة سوليتير [ورق الشدة]، وتظاهرت بأنني منشغلٌ بها. هذا ما فعلته زوجتي بي، أي إنها حوّلتني إلى رجلٍ يعجز عن الحصول على كوب شراب في بلدته. يا الله كم كرهتها.

" هل طلبتَ شراباً اسكتلندياً؟ " .

رأيت فتاةً بعمر آندي تقريباً تقف أمامي. كانت فتاةً آسيوية جذابةً ذات شعرٍ أسود يصل إلى كتفيها.

" عذراً؟ " .

" ماذا كنتَ تشرب؟ هل كان ذاك شراباً اسكتلندياً؟ " .

" أجل. لكني لم أستطع الحصول... " .

تركتني على الفور وتوجهت إلى طرف الحانة. رأيتها وهي تشير إلى النادل وهي تبتسم ابتسامة توحي بطلب المساعدة. كانت فتاة اعتادت تأكيد حضورها، لكنها ما لبثت أن عادت حاملة كوباً كبيراً من الشراب الاسكتلندي.

أشارت لي وقالت: " خذه " . فعلتُ ذلك، وما لبثنا أن شربنا أنخاب بعضنا بعضاً. رفعت بيدها كوب شرابها الفوار والصافي. تلامس كوبا شرابنا ثم قالت: " أيمكنني أن أجلس؟ " .

" لا أعتزم المكوث طويلاً، والواقع... " تطلعت من حولي كي أتأكد أن أحداً لا يوجه نحونا كاميرا هاتفه. قالت مبتسمةً وهي تهزّ كتفيها: " حسناً إذاً. يمكنني أن أتظاهر بأنني لا أعرفك يا نِك دون، لكني لا أعتزم إهانتك، وبالمناسبة فإنني أساندك. أعرف بأنك تعرضت لصدمةٍ كبيرة " .

" شكراً لكِ. إنه زمنٌ غريب " .

" إنني جادة في ما أقول. أعتقد بأنك تعرف كيف يتحدثون في المحاكم كثيراً عن تأثير تحقيقات مسرح الجريمة؟ يشاهد أعضاء هيئة المحلفين أفلاماً كثيرة عن تحقيقات كهذه إلى درجة أنهم يعتقدون بأن العلم يمكنه إثبات أي شيء " .

" أجل " .

" حسناً، أنا أعتقد كذلك بوجود تأثير الزوج الشرير. شاهد الجميع أفلاماً كثيرة عن جرائم وقعت فعلاً حيث يكون الزوج دائماً، ودائماً هو القاتل، وهكذا يفترض الناس بصورة آلية بأن الزوج هو الرجل الشرير " .

قلت: " كلامك صحيح بالضبط. شكراً لكِ. هذا هو الوضع بالضبط. أما إلين آبوت... " .

قالت صديقتي الجديدة: " اللعنة على إلين آبوت. إنها امرأة تكره الرجال، وهي تمثل فساد النظام القضائي " . رفعت كوبها مجدداً.

سألتها: " ما اسمك؟ " .

" الشراب الاسكتلندي؟ " .

" يا له من اسمٍ رائع " .

تبيّن لي بعد ذلك أن اسمها هو ريبيكا. تمتلك الفتاة بطاقة ائتمانٍ جاهزة، وساقين رائعتين. (كوباً آخر؟ كوباً آخر؟ كوباً آخر؟) كانت الفتاة من موسكاتين، أيوا (بلدة أخرى تقع على ضفاف المسيسيبي)، وانتقلت إلى نيويورك بعد أن درست لتصبح كاتبة (أي مثلي أنا). عملت بصفتها سكرتيرة تحرير في ثلاث مجلات مختلفة - مجلة للعرائس، ومجلة للأم العاملة، ومجلة للمراهقات - وكل هذه المجلات انهارت في السنوات القليلة الماضية، ولذلك فهي تعمل الآن في موقع تدوين على شبكة الإنترنت يُعنى بالجرائم ويُدعى هو دون إت [مَن فَعَلها]. قالت لي وهي تقهقه بأنها أتت إلى المدينة كي تحاول إجراء مقابلة معي. شعرت بأنني أحب ثقتها الشديدة بنفسها التي تشبه تلهّف ولدٍ جائع: دعوني أسافر جواً إلى قرطاجة - لأن شبكات البلاد الرئيسة فشلت في الوصول إليه، لكنني متأكدة من أنني قادرة على الوصول إليه!

قالت لي: " انتظرتك خارج منزلك كما فعل الآخرون، ثم انتظرتك أمام مركز الشرطة، ثم قررت أنني بحاجة إلى تناول شراب. رأيتك، فجأة، وأنت تدخل. يبدو الأمر مثالياً، وغريباً، أليس كذلك؟ " كانت تمسك بطوقٍ ذهبي صغير تتسلى به على الدوام بينما كان شعرها مرفوعاً خلف أذنيها.

قلت: " أنا مضطرٌ للذهاب " . جاءت كلماتي هذه ثقيلة وكأنها إهانة.

قالت ريبيكا: " لكن لم تخبرني عن سبب مجيئك إلى هنا. أعتقد أن هذا يتطلب قدراً كبيراً من الجرأة، لأنك أتيت من دون صديق، أو أي نوعٍ من المساندة. أراهن بأنك تلقيتَ قدراً كبيراً من النظرات الغاضبة " .

هززتُ كتفي: ليس ذلك بالأمر الهام.

" يصدر الناس أحكامهم على كل شيء تقوم به من دون أن يعرفوك. فعلوا هذا عندما رأوا صورتك المأخوذة بالهاتف الخلوي في المتنزه. أعني بأنك مثلي لربما: تربيتَ لكي تكون مهذباً. لكن أحداً لا يريد معرفة القصة الحقيقية. إنهم لا يريدون إلا... النيل منك. أليس كذلك؟ " .

" سئمت من قيام الناس بإصدار الأحكام عليّ لأنني أناسب قالباً

معيّناً " .

رفعت حاجبيها بينما تأرجحت أقراط أذنيها.

فكّرت في آمي التي تجلس في مركز قيادتها المجهول، ومهما كان ذلك المكان، وهي تنشغل في الحكم عليّ من كل زاوية، وتكتشف من بعيد بأنني ضعيف. هل تترقب رؤية أي شيء يجعلها توقف عملها الجنوني هذا؟

تابعتُ حديثي: " أعني أن الناس تعتقد بأن زواجنا كان مزعزعاً، لكن واقع الأمر هو أنها أعدّت لي لعبة البحث عن الكنز، وذلك قبل اختفائها مباشرة " .

أرادت آمي بذلك واحداً من أمرين: أرادت أن تعلّمني درساً وأن أتعذب بسبب إساءاتي نحوها؛ وإما أنها أرادت أن أتعلم درساً كي أحبّها بالطريقة التي تستأهلها وأن أكون زوجاً صالحاً، ومطيعاً، ومؤدباً، وولداً صغيراً.

قلت مبتسماً: " يا لها من لعبة بحثٍ عن كنزٍ رائعة " . هزّت ريبيكا رأسها مع بعض العبوس. " اعتادت زوجتي تحضير لعبة البحث عن الكنز في مناسبات عيد زواجنا. كان كل مفتاح لغزاً يؤدي إلى مكانٍ خاص حيث أجد مفتاح اللغز التالي، وهكذا دواليك. آمي... " حاولت ملء عيني بالدموع كي أمسحها. أشارت عقارب الساعة الموضوعة فوق الباب إلى 12 : 37 من بعد منتصف الليل. " لكنها خبّأت كل مفاتيح الألغاز لهذه السنة قبل اختفائها " .

" فعلت ذلك قبل اختفائها في ذكرى زواجكما؟ " .

" كان ذلك هو السبب الذي أبقاني متماسكاً، وجعلني أشعر بأنني أقرب إليها " .

تناولت ريبيكا كاميرا مزودة بغطاء وقالت: " دعني أجري مقابلةً معك مع أخذ بعض الصور " .

" إنها فكرة سيئة " .

قالت: " سأعطي قصتك السياق اللازم، وهذا ما تحتاجه بالضبط يا نِك. أقسم لك. السياق. إنك تحتاجه بشدة. هيا، إنها مجرد كلماتٍ قليلة " .

هززتُ رأسي وقلت: " إن ذلك هو في منتهى الخطورة " .

" يمكنك أن تقول ما قلته الآن بالضبط. إنني جادة يا نِك. إنني نقيض إلين آبوت، وأنا على العكس منها. إنك تحتاجني في حياتك " . رفعت الكاميرا بينما كان ضوءها الأحمر الصغير موجهاً نحوي.

" أقول لك بجدٍّ أن توقفيها " .

" ساعِد هذه الفتاة في الحصول على مقابلة مع نِك دون؟ سيترسخ عملي المهني، وستكون بذلك قد فعلتَ عملاً خيّراً في هذه السنة. أرجووووك؟ ما مِن ضررٍ في هذه المقابلة التي لن تستغرق أكثر من دقيقةٍ واحدة، دقيقة واحدة فقط. أقسم بأنني سأجعلها تبدو جيدة " .

أشارت إلى حجرة صغيرة قريبة منا حيث سنكون بعيدين عن مرأى أي أحمق. أومأت، وغيّرنا مكان جلوسنا، وهكذا استهدفني الضوء الأحمر للكاميرا طوال الوقت.

سألتها: " ماذا تريدين أن تعرفي؟ " .

" أخبرني عن لعبة البحث عن الكنز. يبدو ذلك رومانسياً، ومختلفاً، ومثيراً " .

سيطِر على القصة يا نِك. سيطِر على الجمهور، وعلى الزوجة. فكّرت في نفسي الآن. إنني رجلٌ يحب زوجته وسوف يعثر عليها. إنني رجلٌ يحب زوجته، وأنا الرجل الصالح. أنا رجلٌ يُعتمد عليه. إنني رجلٌ غير مثالي، لكن زوجتي مثالية، وأنا سوف أكون مطيعاً، ومطيعاً جداً منذ الآن فصاعداً.

يمكنني أن أفعل ذلك بسهولة أكبر من التظاهر بالحزن. سبق لي أن قلت بأنه يمكنني العمل في ضوء النهار. شعرت مع ذلك بتوترٍ في حنجرتي ما إن تهيأت للتلفظ بهذه الكلمات.

" إن زوجتي هي فتاة ممتازة، وهي أفضل فتاة التقيتها على الإطلاق. كم من الرجال يستطيعون قول ذلك؟ تزوجت أفضل فتاة التقيتها في حياتي " .

أيتها الساقطة، أيتها الساقطة، أيتها الساقطة. عودي إلى المنزل حيث يمكنني أن أقتلك.

آمي إليوت دون

بعد مرور تسعة أيام

استيقظتُ مع شعورٍ بالتوتر. إنني معزولة عن العالم، ولا يُمكن لأحد أن يعثر عليّ في هذا المكان. كان ذلك هو تفكيري عندما استيقظت. كان الأمر أشبه باندفاعةٍ من الكلمات وكأنها ومضة في دماغي. لا تجري التحقيقات بالسرعة المطلوبة، لكن وضعي المالي يجري في الاتجاه المعاكس. يُضاف إلى ذلك أن فضول جيف وغريتا يتزايد على الدوام.

لاحظت شيئاً بشأن جيف وذلك السباق نحو الشاطئ، ونحو فستاني الملفوف حول الحزام الذي يحتوي على مالي. لاحظت بحذرٍ كيف أن غريتا تواظب على إثارة موضوع إلين آبوت. دفعني كل ذلك إلى الشعور بالتوتر. أم هل إنني أشعر بالرهاب؟ أعرف بأنني أبدو مثل آمي اليوميات: هل يريد زوجي أن يقتلني، أم إنني أتخيّل ذلك يا ترى!؟!؟ أشعر، وللمرة الأولى بالأسف حيالها.

أجريت مكالمتين مع الخط الساخن المخصّص لآمي دون، وتحدثت مع شخصين مختلفين وقدّمتُ إخباريتين مختلفتين. لا أعرف سرعة وصول هاتين الإخباريتين إلى الشرطة - بدا لي أن المتطوعين غير مكترثين بالمرة. قدت السيارة إلى المكتبة بمزاجٍ غامضٍ. يتعيّن عليّ أن أجمع أمتعتي والمغادرة بعد الانتهاء من تنظيف الحجرة بالمنظفات، ومسح بصماتي عن كل الأشياء التي لمستها، وإزالة كل شعرة. يتعيّن عليّ محو آمي (وليديا ونانسي) والمغادرة. سأكون آمنة إذا غادرتُ هذا المكان. أعتقد بأنه حتى إذا كانت غريتا وجيف يشتبهان في حقيقة من أكون فإنني سأكون بخير إذا لم يقبضوا عليّ بالفعل. تشبه آمي إليوت دون رجل الثلج - المطلوب والفولكلوري - بينما هما مثل مخادعَين من الأوزراك [قبيلة هندية]، واللذين تُستبعد قصتهما الغامضة على الفور. سأغادر هذا اليوم، وهذا ما قررته عندما سرت منحنية الرأس إلى المكتبة الباردة والخالية تقريباً، والتي تحتوي على ثلاثة حواسيب لا يشغلها أحد، وهكذا دخلت على الشبكة للوصول إلى نِك.

كانت أخبار نِك مكررة منذ بداية البحث عني - الحقائق ذاتها تمرّ في دورة مرة بعد أخرى. كانت الحدة ترتفع أكثر فأكثر، لكن من دون معلوماتٍ جديدة. لكني اكتشفت شيئاً مختلفاً في هذا اليوم. أدخلت اسم نِك في محرّك البحث، وما لبثت المدونات أن انطلقت والتي أعلنت أن زوجي قد ثمل، وأجرى مقابلة تتصف بالجنون. أجرت المقابلة إحدى الفتيات

والتي تحمل كاميرا مزودة بغطاء في إحدى الحانات. يا إلهي، هذا الأحمق لا يتعلم أبداً.

اعتراف نِك دون على شريط فيديو!!!

اعترافات نِك دون الثمل!!!

زادت سرعة خفقان قلبي، وشعرت بتوترٍ في حلقي. دمّر زوجي نفسه مجدداً.

بدأ شريط الفيديو وظهر نِك. ظهرت عيناه المثقلتان بالنعاس واللتان تظهران عندما يثمل، كما ظهر جفناه المثقلان، وكذلك ابتسامته العريضة. كان يتحدّث عني، وبدا كإنسان. بدا سعيداً وهو يقول: " زوجتي هي أكثر الفتيات اللواتي التقيتهن إثارة. كم من الرجال يمكنهم أن يقولوا إنهم تزوجوا أكثر الفتيات إثارة من بين الفتيات اللواتي التقوا بهن " .

شعرت بتوترٍ في معدتي لأنني لم أتوقع هذا على الإطلاق، لكني كدتُ أبتسم.

سألته الفتاة التي لم تظهر على الشاشة: " وما هو المثير فيها؟ " بدا صوتها عالٍ وكأنها تخطب في أحد نوادي النساء.

بدأ نِك الحديث عن البحث عن الكنز، وكيف أن ذلك كان جزءاً من تقاليدنا، وكيف أنني أتذكر النكات المضحكة، لكن ذلك كان كل ما تبقى مني، ولهذا فإنه يعتزم إتمام البحث عن الكنز، وقال إن هذه هي مهمته.

قال: " وصلت إلى النهاية في هذا الصباح " . كان صوته أجشَّ، وكان يتحدث مع وجود حشدٍ من الناس. أعرف بأنه سيذهب إلى المنزل ويتغرغر بالمياه المالحة، أي كما كانت تطلب منه والدته على الدوام. كان سيطلب مني، لو كنت معه في المنزل، تسخين المياه وتحضيره له، وذلك لأنه يعجز عن تقدير كمية الملح المناسبة. " وهكذا أدركتُ الكثير. إنها الشخص الوحيد في العالم الذي يمتلك القدرة على إدهاشي، أليس كذلك؟ إنني أعرف ما سيقوله أي شخصٍ آخر، وذلك لأنهم يقولون الأمر ذاته. إننا نشاهد العروض ذاتها، ونقرأ النصوص ذاتها، ونقوم بإعادة تدوير كل شيء. لكن آمي تمتلك شخصيتها المثالية الخاصة بها. إنها تمتلك هذه القدرة عليّ أنا " .

" أين تتواجد الآن برأيك يا نِك؟ " .

نظر زوجي إلى الأسفل وتطلع إلى طوق زواجه وأداره مرتين.

" هل أنتَ بخير يا نِك؟ " .

" لا، إذا كنتِ تريدين الحقيقة؟ خذلتُ زوجتي كلياً، وأخطأت معها كثيراً. لكني آمل أن لا يكون فات الأوان، بالنسبة لي، وبالنسبة لنا " .

" يبدو بأنك وصلتَ إلى نهاية الطريق، عاطفياً على الأقل " .

نظر نِك نحو الكاميرا مباشرة، وقال: " أريد زوجتي. أريدها أن تكون معي، وهنا " . أخذ نفَساً عميقاً قبل أن يتابع: " لا أجيد إظهار عواطفي كثيراً. أعرف ذلك، لكني أحبها. أريدها أن تكون بخير، ويجب أن تكون بخير، لأنني أمتلك الكثير لتعويضها " .

" مثل ماذا؟ " .

ضحك نِك تلك الضحكة الغامضة التي أعتبرها، وحتى في هذا الوقت، جذابة. كنت أطلق على هذه الضحكة في أيامنا الماضية ضحكة برنامج الحوارات: اشتملت هذه الضحكة على النظرة السريعة إلى الأسفل، وعلى حكّ زاوية الفم بإبهامه بين وقتٍ وآخر، وعلى تلك القهقهة التي يستخدمها نجوم السينما الجذابون قبل بداية روايتهم لقصة عظيمة.

ابتسم قبل أن يقول: " أشياء ليست من شأنك، وذلك لأنه لديّ الكثير لتعويضها. لم أكن ذلك الزوج الذي كان من الممكن أن أكونه. مرّت علينا سنواتٍ عدة صعبة وأنا... فقدتُ صوابي، وتوقفت عن المحاولة. أعني بأنني سمعت تلك العبارة ألف مرة: لقد توقفنا عن المحاولة. يعرف الجميع أن هذه العبارة تعني نهاية الزواج، وهذا هو معناها. لكني توقفت عن المحاولة، وهكذا أنا، لكني لم أكن الرجل الذي يتعيّن عليّ أن أكونه " . بدت جفون نِك ثقيلة من النعاس، وبدا حديثه غير متوازنٍ بما يكفي. بدا أنه تجاوز مرحلة الانتشاء، لكن ما زالت تنقصه جرعة واحدة قبل أن يثمل. تورد خدّاه باللون الزهري بسبب جرعات الشراب. توهجت أطراف أصابعي، وتذكرت حرارة جلده بعد تناوله عدة جرعاتٍ من الشراب.

" إذاً كيف ستعوّضها؟ " ترنحت الكاميرا للحظةٍ من الزمن، بينما كانت الفتاة تتناول كوب شرابها.

" تسألين كيف سأعوّضها. أولاً، سأعثر عليها وأحضرها إلى المنزل. يمكنك أن تراهني على ذلك. أما بعد ذلك؟ سأعطيها ما ستطلبه مني، ومهما كانت طبيعته، وذلك منذ الآن فصاعداً. وصلت الآن إلى نهاية البحث عن الكنز فوجدتني راكعاً، وشاعراً بالإهانة. لم يسبق لزوجتي أن كانت بهذا الوضوح كما هي الآن، كما أنه لم يسبق لي أن كنت أكثر ثقةً بما يتعيّن عليّ فعله " .

" إذا تمكنت من التحدث إلى آمي الآن، فماذا ستقول لها؟ " .

" أحبك. سأعثر عليكِ، وسوف... " .

شعرت أنه على وشك أن يقول تلك العبارة التي قالها دانيال داي لويس في فيلم آخر الموهيكان: " ابقَيْ على قيد الحياة... سوف أعثر عليك " . أعرف أنه ليس باستطاعته مقاومة ابتعاده عن الصدق بسطرٍ سريع من حوارٍ ورد في أحد الأفلام. شعرت بأنه يكاد يقترب من ذلك، لكنه تمكن من كبح جماح نفسه.

" أحبك إلى الأبد يا آمي " .

يا لصدق المشاعر القلبية، وكم أن هذا يختلف كثيراً عن طبيعة زوجي.

وقف ثلاثة من الريفيين البدناء بشكلٍ يثير الاشمئزاز، والذين كانوا فوق دراجات مزودة بمحركات، بيني وبين قهوتي الصباحية. امتدت أقفيتهم إلى ما يتجاوز دراجاتهم، لكنهم طلبوا مع ذلك المزيد من الكعك الممزوج بالبيض الخاص بمطاعم ماكدونالدز. وقف هؤلاء الأشخاص الثلاثة في الصف، وعلى متن دراجاتهم المركونة داخل المطعم التابع لسلسلة ماكدونالدز.

لم أكترث لذلك في الواقع، بل على العكس من ذلك. كنتُ مبتهجةً تماماً بالرغم من هذا التأخير الذي طرأ على خطتي. استمرت شبكة الإنترنت في عرض شريط الفيديو بطريقة تثير الملل، كما أن ردود الفعل كانت إيجابية بشكلٍ يثير الدهشة. أبدت هذه الردود تفاؤلاً حذراً: يُحتمل أن هذا الرجل لم يقتل زوجته بعد كل شيء. وردت هذه العبارة بحرفيتها في معظم الردود. حدث كل ذلك لأن نِك خلع عنه ستار الحذر، وأبدى بعض العاطفة. لم يعتقد أي شخص شاهد شريط الفيديو هذا بأنه كان يتظاهر فقط. لم يكن كل ذلك مجرد تمثيلية في تحمل الألم قام بها أحد الهواة. زوجي يحبني، أو على الأقل أحبّني في الليلة الماضية. أحبّني بينما كنت أخطّط لتدميره في حجرتي الصغيرة التي تفوح منها رائحة الرطوبة المنبعثة من المناشف.

لكن ذلك ليس كافياً. أعرف ذلك بطبيعة الحال، لكن لا يمكنني تغيير خطتي. لكن ذلك يعطيني على الأقل فترة للاستراحة. أنهى زوجي لعبة البحث عن الكنز وهو واقعٌ في الحب. يبدو كذلك بأنه يشعر باكتئابٍ عميق: أقسم بأنني رأيت على أحد خدّيه بقعةً من الحساسية.

عدتُ إلى حجرتي فوجدت دوروثي تطرق على بابي. كان شعرها رطباً

نتيجة الحرارة ومسرحاً إلى الخلف، فبدت وكأنها أحد وسطاء وال ستريت الذين لا يمكن الوثوق بهم. اعتادت هذه المرأة مسحَ شفتها العليا، ثم التفتت نحوي، وهي تلعق بعد ذلك العرق عن أصابعها، وهكذا تدسّ سبابتها في فمها وكأنها كوز ذرة.

قالت لي: " هذه هي الغائبة " .

تأخرت في دفع إيجار حجرتي. كان مدة التأخير يومين. لكنني كدتُ أضحك: إنني أكره دفع الإيجار.

" إنني آسفة جداً يا دوروثي. سأجيئك في غضون عشر دقائق " .

" سأنتظر إذا لم يكن لديكِ مانع " .

" إنني غير متأكدة من أنني سوف أبقى. يُحتمل أنني سأضطر إلى المغادرة " .

" ستبقين مدينة لي بإيجار يومين. ثمانون دولاراً من فضلك " .

دخلت إلى حجرتي، وفككتُ حزامي الواهي الذي يحتوي على مالي. قمتُ بعدّ الأموال النقدية فوق سريري في هذا الصباح، وأخذتُ وقتي في التحديق في كل ورقة مالية. يعني ذلك بأنني قمتُ بعملية تعرية لأموالي. توصلت في النهاية إلى أنه بقيَ لديّ، لسببٍ ما، 8 , 849 $. يبدو أن كلفة المعيشة أصبحت باهظة.

فتحت الباب وناولتُ دوروثي المال (فبقيَ لديّ 8 , 769 $) . رأيتُ غريتا وجيف جالسَين تحت سقيفة مدخل حجرة غريتا، وكانا يراقبان مرور المال من يدي إلى يدها. لم يكن جيف يعزف على قيثارته، كما أن غريتا لم تكن تدخّن. بدا أنهما واقفان تحت السقيفة كي يتمكنا من مراقبتي بصورة أوضح. لوّح الاثنان نحوي بما معناه مرحباً يا حلوة. لوّحت لهما بدوري وإن بتردد. أغلقتُ الباب وبدأت بجمع أغراضي.

استغربت ذلك القدر الصغير من الممتلكات التي أمتلكها في هذا العالم، وذلك لأنني امتلكتُ في الماضي أشياءً كثيرة. إنني لا أمتلك خفاقة بيض، أو إناءً للحساء. أمتلك أغطية ومناشف، إلا أنني لا أمتلك بطانية محترمة. أمتلك كذلك مقصاً بحيث أتمكّن من تشذيب شعري. ابتسمت عند هذه النقطة، لأن نِك لم يكن يمتلك مقصاً ولا كبّاسة عندما انتقلنا معاً إلى هذه المنطقة. أتذكّر كذلك كيف أنه يعتبر نفسه متحضّراً من دون أن يمتلك مقصاً. قال لي إنه ليس متحضراً بطبيعة الحال، لكنه ما لبث أن انقضّ عليَّ وحملني بذراعيه، ثم ألقاني على السرير، وما لبث أن جثم فوقي. ضحكتُ لأنني كنتُ ما زلت فتاةً مثيرة. ضحكت في ذلك الوقت

لأنني فكرت في معنى هذه العبارة.

يتعيّن على الفتاة أن لا تتزوج رجلاً لا يمتلك مقصاً محترماً. هذه هي نصيحتي، لكنها تؤدي أحياناً إلى أشياء سيئة.

طويت ملابسي ووضعتها في حقيبة ظهري الصغيرة. كانت ملابسي هي القطع الثلاث التي اشتريتها واحتفظت بها في سيارتي التي هربتُ بها، وذلك قبل شهرٍ من الزمن، ولكي لا أضطر إلى أخذ كل شيء من منزلي. وضعت فرشاة أسناني التي أستخدمها خلال تنقلاتي، وروزنامتي، ومشطي، وأنبوب المرهم، والحبوب المنومة التي اشتريتها. أضِف إلى ذلك بذلات سباحتي الرخيصة. استغرق توضيب جميع أغراضي وقتاً قليلاً.

وضعت قفازاتي المطاطية، وبدأت بمسح كل شيء. نزعت كذلك سدادات البالوعات للتخلص من أي شعرة عالقة. لا أعتقد بأن غريتا وجيف يعرفان مَن أكون حقيقة، لكنهما إذا كان يعرفان هذه الحقيقة فإنني لا أرغب في ترك أي برهان. قلتُ لنفسي طيلة ذلك الوقت، هذا هو ما يحصل عليه المرء عندما يلجأ إلى الاستكانة، وهذا هو ما يحصل عليه المرء عندما لا يفكّر طيلة الوقت. أنتِ تستحقين أن يُقبض عليكِ أيتها الفتاة التي تتصرف بغباءٍ كبير. ماذا سيحدث لو أنكِ تركتِ شعراً في مكتب الاستقبال. ماذا سيحصل لو تواجدت بصمات في سيارة جيف، أو في مطبخ غريتا. ماذا سيحصل بعد ذلك، وعلى الأخص لأنك اعتقدتِ بأنك الشخص الذي لا يقلق لشيء؟ تصورت رجال الشرطة وهم يفتشون الحجرات من دون أن يعثروا على شيء، ثم يحصل ما يحدث في الأفلام، أي عندما تظهر إحدى شعراتي، والتي تكون قد تقلبت فوق الأرض الإسمنتية لبركة السباحة.

انتقل تفكيري بعد ذلك إلى زاوية أخرى: بالطبع لن يحضر أي شخصٍ إلى هنا للبحث عنكِ هنا. لكن كل ما يستطيعه رجال الشرطة هو ادعاء بعض المحتالين بأنهم رأوا آمي إليوت دون الحقيقية في إحدى الحجرات الرخيصة، والتي تتواجد في مكانٍ غير معروف. يحتاج الأشخاص الصغار إلى أن يشعروا بأنهم كبار، وهو أمرٌ يفترضونه افتراضاً.

سمعتُ طرقةً قويةً على الباب. كانت تلك الطرقة أشبه ما يكون بطرقةِ والدٍ على باب ابنه قبل أن يفتح الباب على مصراعيه: أنا صاحب هذا المكان. وقفتُ في وسط غرفتي وفكّرت في عدم الإجابة. بانغ، بانغ، بانغ. فهمتُ الآن السبب الذي يدفع بعددٍ كبيرٍ من أفلام الرعب إلى استخدام هذه الوسيلة - أي تلك الطرْقة الغامضة على الباب - وذلك لأنها

تعادل كابوساً. لا يعرف الطارق مَن يقف في الجهة الأخرى من الباب، ومع ذلك يعرف بأنه سوف يفتحه في النهاية. أعتقد بأنك ستفكر فيما أفكّر فيه الآن: لا يقوم الشخص الشرير بالقرع على الباب أبداً.

مرحباً يا حلوة. نعرف أنك في داخل الغرفة، افتحي!

نزعت قفازاتي المطاطية، وفتحتُ الباب، فرأيت جيف وغريتا يقفان في سقيفة مدخل غرفتي والشمس تلسع ظهريهما، لذلك كانت ملامح وجهيهما في الظل.

سأل جيف: " مرحباً أيتها السيدة الجميلة. أيمكننا الدخول؟ " .

قلتُ في محاولة مني الظهور بمظهر الفتاة المتضايقة والراغبة في الدردشة: " أنا، في الواقع... كنت على وشك الذهاب لرؤيتكما. سأغادر هذه الليلة - غداً أو هذه الليلة. وصلتني مكالمة من المنزل، وأنا مضطرة للعودة إليه " .

" أتقصدين منزلكِ في لويزيانا، أم منزلك في السفانا؟ " يبدو بأنها كانت تتحدث عني مع جيف.

" لويز... " .

قال جيف: " لا يهم. دعينا ندخل للحظة. أتينا لتوديعك " .

تقدّم نحوي. فكّرت في الصراخ أو إغلاق الباب بشدة، لكني فكرت في أن الأمرين لن ينتهيا على خير. كان من الأفضل لي التظاهر بأن كل شيء على ما يرام، والأمل بأن يكون ذلك صحيحاً.

أغلقت غريتا الباب وراءهما واستندت إليه بينما جال جيف في غرفة النوم الصغيرة هذه، ودخل إلى المطبخ، ثم تحدث عن الطقس، كما فتح الأبواب والخزائن.

قال جيف: " يتعيّن عليك أخذ كل شيء. ستحتفظ دوروثي بالعربون إذا لم تفعلي ذلك. إنها صارمة في هذه الأمور " . فتح باب البراد، وتطلع نحو علب حفظ المأكولات والثلاجة. " لم تتركي حتى علبة صلصة واحدة. اعتقدتُ على الدوام بأن ذلك أمرٌ غريب، لأن الصلصة لا تفسد " .

فتح الخزانة وتناول مفرش السرير الذي طويته ثم هزّ الأغطية. قال: " إنني أهز الأغطية دائماً، دائماً، وذلك للتأكد من أنها لا تحتوي على أي شيء بداخلها، مثل جوارب أو لباساً داخلياً أو أي شيء تملكينه " .

فتح درج طاولة سريري، وركع وتطلع عميقاً فيه. قال واقفاً ومبتسماً: " يبدو بأنكِ قمتِ بعملٍ جيد " . فرك يديه في سروال الجينز الذي يرتديه وتابع: " يبدو أنك أخذتِ كل شيء " .

تفحّصني جيف بدءاً من عنقي إلى قدميّ، ثم من قدميّ إلى عنقي. قال: " أين هو يا حلوة؟ " .

" أينَ ماذا؟ " .

هزّ كتفيه وقال: " مالكِ. لا تصعّبي الأمر علينا. أنا وهي نحتاج إلى ذلك المال " .

بقيت غريتا صامتةً خلفي.

" أمتلك نحو عشرين دولاراً " .

قال جيف: " إنك تكذبين. دفعت نقداً كل شيء، وحتى الإيجار. رأتكِ غريتا مع ذلك الحزام المحشو بالمال. أعطِنا إياه وسوف ندعك تذهبين، ولن نرَ بعضنا ثانية " .

" سأستدعي رجال الشرطة " .

وقف جيف في حالة انتظار وكان مكتوف اليدين واضعاً إبهاميه تحت إبطيه: " هيا افعلي ذلك. نحن ننتظر " .

قالت غريتا: " نعرف أن نظارتك مقلدة. إنها ليست أكثر من زجاج "
.

لم أقُل شيئاً بل حدّقت فيها على أمل أن تتراجع. بدا لي أن هذين الشخصين متوترين بما يكفي إلى حد أنهما قد يغيّرا رأيهما، أي يوجد احتمال أنهما يتلاعبان بأعصابي، وهكذا ننتهي إلى أن نضحك معاً نحن الثلاثة. يعني ذلك أنها تعرف اللعبة، لكنها وافقت على التظاهر بالتصرّف هكذا.

قالت غريتا: " أما شعرك فإن جذوره بدأت بالظهور وهي باللون الأشقر، وهي أجمل بكثير من صباغ الشعر الذي تضعينه، والذي يشبه شعر جرذ الهامستر، وبالمناسبة فإن تسريحة شعركِ مريعة. يعني ذلك بأنك تختبئين من شيء لا أعرفه. لا أعرف ما إذا كنتِ تختبئين فعلاً من رجل أم ماذا، لكني أعرف أنكِ لن تستدعي الشرطة. يعني ذلك أنه من الأفضل لك أن تعطينا المال " .

سألتها: " هل أقنعكِ جيف بهذا؟ " .

" أنا التي أقنعتُ جيف بالموضوع " .

توجهت نحو الباب الذي كانت غريتا تسدّه وقلت: " دعوني أخرج " .

" أعطِنا المال " .

أمسكت قبضة الباب، وما لبثت غريتا أن استدارت نحوي ودفعتني نحو الجدار. صفعت وجهي بإحدى يديها ورفعت فستاني باليد الأخرى ثم

انتزعت الحزام الذي يحتوي على المال.

" لا تفعلي ذلك يا غريتا. توقفي عن هذا! إنني جادة! " .

أحسست براحة يدها الحارة والمالحة فوق وجهي، والتي سدّت أنفي. أحسست كذلك بأن أحد أظافرها يخدش عيني. دفعتني مجدداً نحو الجدار الذي اصطدم رأسي به بينما ضغطت أسناني نزولاً على طرف لساني. جرى كل هذا الشجار بطريقةٍ هادئة جداً.

أمسكت بيدي طرف الحزام الذي يضم المشبك [الإبزيم] لكنني عجزت عن مواجهتها بسبب الدمع الغزير الذي سال من عيني، وما لبثت أن جذبت قبضة يدي تاركةً آثاراً حارقةً من أظافرها على مفاصلي. دفعتني مجدداً، وفتحت السحابة، وراحت تتلاعب بالأوراق النقدية.

قالت غريتا: " يا الله. يبدو أن المبلغ يصل إلى " - بدأت بالعد - أكثر من ألف، أو ألفين، وربما ثلاثة آلاف. يا الله. اللعنة يا فتاة! هل سرقتِ مصرفاً؟ " .

قال جيف: " يُحتمل بأنها اختلسته " .

كان من الممكن لو كنت في أحد الأفلام السينمائية أن أدفع راحة يدي إلى أنف غريتا، وأوقعها أرضاً مدماةً وغائبة عن الوعي، وأسدّد لكمةً نحو جيف. لكن الواقع هو أنني لا أعرف كيفية المجابهة، وهما شخصان ويبدو أن الأمر لا يستأهل كل هذا العناء. يمكنني أن أركض نحوهما، لكنهما سوف يمسكانني من معصميّ بينما أحاول أن أصفعهما ومواجهتهما مثل طفل. يُحتمل كذلك أن يغضبا بالفعل ويضرباني بشكلٍ مبرح. إنني أخاف أن يُقدم أحد على أذيَّتي، وذلك لأن أحداً لم يضربني من قبل. إنني أخاف من تعرضي للأذى على يد شخصٍ آخر.

قال جيف مجدداً: " قلتِ بأنك تريدين إبلاغ الشرطة. هيا اتصلي بهم " .

همستُ بصوتٍ منخفض: " اللعنة عليك " .

قالت غريتا: " آسفة بشأن ما حصل، لكن كوني أكثر حرصاً في المكان التالي الذي تتوجهين إليه. هل اتفقنا؟ لا يجب عليك أن تظهري وكأنك فتاة تتجول بمفردها وتختبئ عن الآخرين " .

قال جيف: " ستكونين على ما يرام " .

ربّت على ذراعي عند مغادرتهما.

رأيت ربع دولار وعشرة سنتات على طرف سريري، وكان ذلك كل ما أمتلكه من نقودٍ في هذا العالم.

نِك دون

بعد مرور تسعة أيام

صباح الخير! جلستُ في السرير وكان حاسوبي المحمول إلى جانبي، وكنتُ مستمتعاً بالعروض المباشرة لمقابلتي المرتجلة. كانت مقلة عيني اليسار تهتز قليلاً، وربما كان ذلك نتيجة للشراب الاسكتلندي الرخيص، لكني شعرت بالراحة في بقية أنحاء جسمي. عرضت في الليلة الماضية السطر الأول في عملية إغراء زوجتي للعودة إليّ. أنا آسف، سأعوّض لك، وسأقوم بأي شيء تريدينه منذ الآن فصاعداً. سأدع العالم يعرف مدى تمايزك.

قلتُ كل ذلك لأنه سيُقضى عليّ إلا إذا قررت آمي الظهور مجدداً. أما المخبر الذي وظّفه تانر (وهو رجل نحيلٌ وأنيق المظهر، وليس ذلك المخبر الذي يحب الشراب والذي كنتُ آمل أن أراه) فلم يأتِ بجديد حتى الآن - أخفت زوجتي نفسها بطريقة مثالية، ولهذا ينبغي عليّ إقناع آمي بالعودة إليّ عن طريق الإطراء والإذعان.

أما إذا كانت التعليقات تدل على شيء فإن ذلك يعني بأنني فعلت الشيء الصائب، وذلك بدليل أن التعليقات كانت إيجابية، بل إيجابية جداً:

أعجوبة رجل الثلج!

كنتُ أعرف بأنه رجلٌ طيب.

In vino veritas !

يُحتمل أنه لم يقتلها بعد كل شيء.

يُحتمل أنه لم يقتلها بعد كل شيء.

يُحتمل أنه لم يقتلها بعد كل شيء.

يُضاف إلى ذلك بأنهم توقفوا عن مناداتي باسم لانس.

أما خارج منزلي فقد كان المصورون والصحافيون في حركةٍ لا تهدأ، وأرادوا الحصول على تصريح من الرجل الذي يُحتمل بأنه لم يقتلها بعد كل شيء. كانوا يصرخون أمام ستائري المسدلة: اسمع يا نِك، اخرج وأخبرنا عن آمي. اسمع يا نِك، أخبرنا عن البحث عن الكنز. كان ذلك بالنسبة إليهم مجرد خطوة في سجلهم المهني، لكن ذلك كان أفضل من أن يصرخوا نِك، هل قتلتَ زوجتك؟

لكني سمعتهم، وبشكلٍ مفاجئ، وهم يصرخون باسم جو - يبدو أنهم أحبوا جو، وذلك لأنها لا تخفي مشاعرها، أي إن المرء يعرف متى تكون جو حزينة، أو غاضبة، أو قلقة. يعني ذلك أنه كان من السهل على المرء

أن يعرف القصة بأكملها من تعابير وجهها. هل إن شقيقك بريء يا مارغو؟ مارغو، أخبرينا عن... تانر، هل إن موكلك بريء؟ تانر...

رنّ جرس المنزل ففتحت الباب مختبئاً وراءه، وذلك لأنني كنتُ ما زلتُ في حالة اضطراب. كان شعري أشعث، وسروالي القصير في حالةٍ يرثى لها، وهما مظهران يدلان على أمورٍ كثيرة. أما في الليلة الماضية، أي عندما أجريت المقابلة أمام الكاميرا فقد كنتُ أبدو كالمغرم بشكلٍ يثير الإعجاب، وكالطفل المنتشي، veritastic vino in ، لكنني أبدو الآن مثل رجلٍ ثملٍ. أقفلتُ الباب وانتظرت وصول تعليقين أكثر إيجابية عن أدائي في المقابلة.

بادرني تانر بالقول: " إياك، إياك أن تفعل شيئاً كهذا مرةً ثانية. ما خطبك يا نِك. أشعر بضرورة تقييدك كالأطفال. هل وصل بكَ الحمق إلى هذه الدرجة؟ " .

" هل رأيتَ كل التعليقات التي وردت على الإنترنت؟ أحبّ الناس تلك المقابلة. إنني أغيّر وجهة نظر الرأي العام مثل ما قلتَ لي " .

قال: " لا يمكنك أن تفعل شيئاً كهذا في بيئة غير خاضعة للتحكم " . أضاف بلهجةٍ أقرب ما تكون إلى غناء فتاة صغيرة: " ماذا لو كانت تلك الفتاة تعمل لصالح إلين آبوت؟ ماذا يحدث لو بدأت في طرح الأسئلة التي هي أصعب من ماذا تريد أن تقول لزوجتك أيها المتأنق الذي يشبه رأسه فطيرة اليقطين؟ " بدا وجهه الأسمر أقرب إلى اللون البرتقالي فأصبح مثل لوحة ألوان مشعة.

" وثقت بفطرتي. إنني صحافي يا تانر، لذلك يتعيّن عليك أن تثق بقدرتي على ملاحظة التفاهات. كانت لطيفة بالفعل " .

استرخى على الأريكة ووضع قدميه على تلك الأريكة التي لا تنقلب أبداً من تلقاء ذاتها. قال: " هكذا إذاً كانت زوجتك ذات مرة، وهكذا كانت آندي ذات مرة. كيف حال خدّك؟ " .

كان خدّي ما زال يؤلمني، وبدا أن العضة تنخزني عندما ذكّرني بها. التفتُّ نحو جو لعلها تعطيني بعض الدعم.

قالت جو وهي تجلس قبالة تانر: " لم تكن تلك فكرة موفقة يا نِك. كنتَ محظوظاً، ومحظوظاً بالفعل - جرت المقابلة بشكلٍ جيدٍ بالفعل، لكن كان يُمكن أن لا تكون كذلك " .

" إنكم تبالغون في ردة الفعل. ألا يمكننا الاستمتاع بلحظة صغيرة من الأخبار الطيّبة؟ لا أطلب منكما سوى ثلاثين ثانية من الأخبار الطيبة خلال الأيام التسعة الماضية؟ مِن فضلكما " .

تعمّد تانر التطلع إلى ساعته: " حسناً. ابدأ " .

وجّه نحوي سبّابته وأحدث صوتاً، صه صه، أشبه بالضجيج الذي يصدره البالغون عندما يقاطعهم الأطفال. خفض سبابته ببطء ثم وضعها فوق سطح ساعته.

" حسناً، ثلاثون ثانية، هل استمتعتَ بها؟ " توقف قليلاً كي يعرف ما إذا قلتُ شيئاً، وكان ذلك أشبه بلحظة الصمت التي يعطيها أستاذ بعد أن يسأل أحد طلابه المشاغبين: هل انتهيتَ من الكلام؟ " يتعيّن علينا أن نتكلم. إننا في مكانٍ يحمل فيه التوقيت الممتاز أهمية حاسمة " .

" أوافقك على ذلك " .

قوّس نحوي أحد حاجبيه وقال: " حسناً، شكراً. أريد التوجه إلى الشرطة، وفي أسرع وقتٍ ممكن كي نبلغهم بمحتويات المستودع. لكن بينما عامة الناس... " .

فكرت في عبارة عامة الناس. لا يتعلق الأمر بعامة الناس *polli hoi* . إنه شيء علّمتني إياه آمي.

" .. . تميل إلى أن تحبك مجدداً، أو اعذرني، ليس مجدداً. عثر الصحافيون أخيراً على منزل جو، لكنني لا أشعر بالطمأنينة لعدم كشف ذلك المستودع، ومحتوياته لوقتٍ أطول بكثير. هل إن آل إليوت هم...؟ " .

قلت: " لا يمكننا الاعتماد على دعم آل إليوت بعد الآن. لا يمكننا ذلك إطلاقاً " .

مرّت فترة صمت أخرى. يبدو بأن تانر قرر عدم توجيه المزيد من الإرشادات لي، أو حتى أن يسألني عما حدث.

سيطر عليّ شعورٌ بالاستبعاد، والغضب، والجهوزية وقلت: " إذن، نحن بحاجة إلى الهجوم " .

قالت جو: " لا أريدك يا نِك أن تدع هذه النقطة الإيجابية تدفعك إلى الشعور بأنك غير قابل للتدمير " . سحبت بعض حبوب تخفيف الصداع من محفظتها ووضعتها في يدي ثم أضافت: " تخلص من صداعك. يتعيّن عليك أن تكون جاهزاً هذا اليوم " .

قلت لها: " سأكون على ما يرام " . ابتلعتُ الحبوب ثم التفتّ إلى تانر وقلت: " ماذا سنفعل الآن. دعنا نضع خطةً ما " .

قال تانر: " عظيم، إليك خطتي. تبدو فكرتي غير تقليدية بشكلٍ كبير، لكن هذه هي طريقتي. سنجري غداً مقابلةً مع شارون شايبر " .

" واو... هل أنتَ متأكد؟ " امتلكت شارون شايبر أقصى ما يُمكن أن

أطلبه من مهارة: إنها المرأة الإعلامية الأكثر تمايزاً (من الأعمار ما بين 30 - 55) والعاملة هذه الأيام في الشبكات التلفزيونية (التي تصل إلى شريحةٍ من الناس هي أكبر من تلك التي تصل إليها المحطات السلكية)، والتي تمتلك طاقة على البرهنة بأنه يمكنني إقامة علاقات محترمة مع النساء. اشتُهرت هذه المرأة بالخوض بين حين وآخر في متاهات الصحافة المتعلقة بالجرائم الحقيقية، لكنها حين تفعل فإنها تبدو على صوابٍ بشكلٍ مذهل، وهي التي ضمّت تحت جناحيها قبل عامين من الزمن أماً شابةً سبق لها أن سُجنت لأنها هزّت طفلها الرضيع حتى الموت. قدّمت شارون شايبر قضية دفاع قانونية، وعاطفية، بالكامل على مدى ليالٍ متتالية. عادت المرأة بعد ذلك إلى منزلها في نبراسكا، وتزوجت مرةً أخرى، وهي تنتظر مولوداً في هذه الأيام.

" هذا أكيد. اتصلت بي بعد انتشار شريط الفيديو " .

لم أستطع تجاهل الفرصة التي سنحت أمامي فقلت: " إذن، قدّم لنا شريط الفيديو مساعدة " .

" أعطاك ذلك الشريط اندفاعةً مثيرةً للاهتمام: كان من الواضح بأنك الفاعل قبل عرض الشريط، لكن الآن توجد فرصة ضئيلة لأن لا تكون الفاعل. لا أعرف كيف أظهرتَ بأنك صادقٌ أخيراً... " .

قالت جو: " لأن ما حدث ليلة البارحة أفاد هدفاً حقيقياً، وهو استعادة آمي. كانت تلك مناورة هجومية. لكن في الماضي لم تظهر سوى عاطفة ضعيفة، وفي غير محلها، وغير صادقة " .

وجّهتُ نحوها ابتسامة تعبّر عن شكري.

قال تانر: " حسناً. أريدك أن تتذكر بأن ذلك يخدم هدفاً معيّناً. إنني لا أضيّع وقتي هنا يا نِك: يتعدى الأمر كونه غير تقليدي. كان معظم المحامين سيرفضون الدفاع عن قضيتك. لكن أردتُ المحاولة. تمكنت وسائل الإعلام من ملء بيئة الوسط القانوني. لكن مع وجود الإنترنت، والفايس بوك، ويو تيوب، فلم يعد هناك من وجود بعد الآن لأمورٍ مثل هيئة محلفين غير منحازة، ولا لسجلٍ نظيف. يعني ذلك أنه ما بين ثمانين وتسعين بالمئة من قضيتك تتقرر نتيجتها قبل دخولك إلى المحكمة. إذاً لماذا لا نستخدم كل تلك الوسائل كي نتحكم بالقصة. لكن ذلك يشكّل مخاطرة. إنني أرغب أن نقوم بالتخطيط المسبق لكل كلمة، وكل التفاتة، وكل جزءٍ من المعلومات. لكن يتعيّن عليك أن تتصرف بشكلٍ طبيعي، وأن تكون محبوباً، وإلا سيعطي كل ذلك ردة فعلٍ عكسية " .

قلت: " أوه. يبدو ذلك أمراً بسيطاً، وأنه معلبٌ مئة بالمئة، ومع ذلك فهو صادق بالكامل " .

" يتعين عليك أن تكون حذراً جداً بالكلمات التي تتلفظ بها، ونحن سوف نبلغ شارون بأنك لن تجيب على أي أسئلة. لكنها ستطرح عليك أسئلة على أي حال، إلا أننا سوف نعلمك كيف تقول هذه العبارات، بسبب بعض التصرفات المنحازة التي قامت بها الشرطة المعنية بهذه القضية، فإنني في الواقع، وللأسف، لن أتمكن من الإجابة عن هذا السؤال في الوقت الحاضر، وبالقدر الذي أريده - وأن تقولها بشكلٍ مقنع " .

" يعني ذلك أن أكون كلباً ناطقاً " .

قال تانر مجدداً: " بالتأكيد. يتعين أن تكون مثل كلبٍ ناطق لا يرغب في الدخول إلى السجن. يتعيّن علينا إقناع شارون شايير بتبني قضيّتك يا نِك، ونحن ماهرون في ذلك. يُعتبر كل ذلك غير تقليدي بالمرة، لكن هذه هي طريقتي " . يبدو أنه أحب ذلك الشعار الذي يردّده في كل مناسبة. صمت قليلاً، وما لبث أن غضّن جبهته، وهكذا قام بأداء حركته التي تدل على تظاهره بالتفكير. يبدو أنه على وشك أن يضيف شيئاً لا يعجبني.

" ماذا هناك؟ " .

" يتعيّن عليك أن تُخبر شارون عن آندي - لأن هذا الأمر سوف يظهر أخيراً. ستظهر هذه العلاقة في نهاية الأمر " .

" حسناً، هل تريدني أن أدمّر كل شيء في وقتٍ بدأ الناس يشعرون فيه بأنهم يميلون إليّ؟ " .

" أقسِم لك يا نِك، كم من القضايا تسلمتها؟ ينجح الأمر دائماً، بطريقةٍ ما، وبشكلٍ ما. إننا نتمكن بهذه الطريقة من التحكّم بالأمر. أخبِرها عن آندي وقدّم اعتذارك. اعتذِر فعلاً وكأن حياتك تعتمد على هذا. أقمتَ علاقة وأنتَ رجل، ورجلٌ ضعيف وغبي. لكنك تحب زوجتك وتريد تعويضها. ستجري المقابلة وسوف تُذاع في الليلة التالية. سيُفرض حظرٌ على نشر محتواها، وهكذا لا تستطيع الشبكة استغلال قضية آندي في إعلاناتها. يُمكنها فقط استخدام كلمة مفاجأة [أو قنبلة] .

" إذاً، هل أخبرتَهم مسبقاً عن آندي؟ " .

قال: " يا إلهي، كلا. قلتُ لهم: إننا نمتلك مفاجأة لطيفة لعرضها عليكم. يمكنك أن تجري المقابلة، وسوف يكون لدينا أربعاً وعشرين ساعة تقريباً. لكن قبل عرض المقابلة على شاشة التلفزيون سوف نُخبر بوني

وجيلبين عن آندي، وعمّا اكتشفناه في المستودع. يا لهذه المفاجأة، سوف نضع الأمر كله بين أيديكم: آمي حيّة وهي توقع نِك في فخ! إنها مجنونة، وغيورة، وهي توقع نِك في فخ! أوه، أين الإنسانية هنا! " .

" لماذا لا نُخبر شارون شايبر إذاً؟ أعني عن نصبِ آمي فخ لي؟ " .

" السبب الأول. إذا اعترفتَ بشأن آندي وتتوسل المسامحة، فسوف تكون الأمة على استعدادٍ لمسامحتك، وسوف تشعر بالأسف تجاهك - يحب الأميركيون رؤية المخطئين وهم يعتذرون. لكن لا يمكنك الكشف عن أي شيء يجعل زوجتك تبدو بشكلٍ سيئ. لا يريد أحد مشاهدة الزوج الخائن وهو يلوم زوجته على أي شيء. دع شخصاً آخر يفعل ذلك بدلاً عنك في وقتٍ ما من اليوم التالي: كشفت مصادر مقربة من الشرطة بأن زوجة نِك - الزوجة التي أقسم إنه يحبها من كل قلبه - تنصب له فخاً! سيكون ذلك عرضاً تلفزيونياً رائعاً " .

" ما هو السبب الثاني؟ " .

" الأمر معقّدٌ بشكلٍ يصعب تفسير الكيفية التي توقعك آمي بها في الفخ. لا يمكنك أن تفعل ذلك مرةً واحدة، وسيكون ذلك عرضاً تلفزيونياً سيئاً " .

قلت: " أشعر بالاشمئزاز " .

قالت جو: " نِك، يقتصر الأمر... " .

قلت: " أعرف، أعرف لا بد من إجراء المقابلة. لكن أيمكنكما تخيّل أن أقوم بكشف سري الأكبر أمام العالم بأسره؟ أعرف أنه لا بد لي من فعل ذلك. أعتقد أن الأمر سيكون ناجحاً بالنسبة لنا. إنه الطريقة الوحيدة التي قد تُقنع آمي بالعودة. إنها تريد تعريضي للمهانة علناً... " .

قاطعني تانر بالقول: " للعقاب. تبدو كلمة مهانة وكأنك تشعر بالأسف تجاه نفسك " .

تابعت كلامي: " .. . والاعتذار علناً، لكن ذلك سوف يكون مريعاً جداً " .

" لكن أريد أن أكون صريحاً هنا قبل أن نتابع. إن إبلاغ الشرطة القصة بأكملها - أي قيام آمي بإيقاع نِك في الفخ - يُعتبر مخاطرةً في حد ذاتها. إن معظم رجال الشرطة، وعندما يركّزون على مشتبهٍ به، لا يرغبون في تبديل مواقفهم على الإطلاق، ولذلك فهم لا يتقبلون أيّ خياراتٍ أخرى. يعني ذلك تواجد مخاطرة في إبلاغهم عن كل شيء وفي قيامهم بإبعادنا عن مركز الشرطة ثم اعتقالك. لكن ذلك يعني، ولو نظرياً بأننا

أعطيناهم لمحةً موجزةً عن دفاعنا. يعني ذلك إمكانية قيامهم بالتخطيط الدقيق لتدمير ذلك الدفاع خلال المحاكمة " .

قالت جو: " حسناً، انتظر قليلاً. يبدو ذلك سيئاً جداً بالفعل يا تانر. يبدو سيئاً إلى درجة لا يُنصح بها " .

قال تانر: " دعيني أُكمل. أولاً، أعتقد بأنك على صواب يا نِك. أعتقد أن بوني غير مقتنعة بأنك قاتل. أعتقد أيضاً بأنها تعتبر بأنها ستكون منفتحة لسماع نظرية بديلة. إنها تمتلك سمعةً جيدة بوصفها شرطية ومنصفة بالفعل، وكذلك هي معروفة بامتلاكها بديهةً سليمة. تكون عندي شعور جيد عنها عندما تكلمت معها. أعتقد بأن الدليل يوجّهها نحوك، لكني أعتقد بأن فطرتها تدلها على غياب شيء ما. أما الأهم من ذلك كله فهو إذا ما ذهبنا إلى المحاكمة، فإنني لن أستخدم نظرية نصب آمي لمكيدة كوسيلة دفاعية على أي حال " .

" ماذا تعني؟ " .

" سبق أن قلت لك بأن الأمر في غاية التعقيد، كما أن الشهود سيعجزون عن متابعته. إذا لم يكن الأمر ناجحاً من الناحية التلفزيونية فلن ينجح عند هيئة المحلفين. يتعيّن علينا استخدام الطريقة التي يفهمها المحلفون. إنها حبكة في غاية البساطة: لا يتمتع رجال الشرطة بالكفاءة، لذلك يمضون في اعتقالك بناءً على أدلةٍ ظرفية، أما إذا كنتَ غير ملائم لتلك الأدلة الظرفية، فإن الأمر كله يصبح ثرثرة فقط " .

قلتُ: " ثرثرة... يعطيني هذا قدراً كبيراً من الثقة " .

أطلق تانر ابتسامة: " إن المحلّفين يحبونني يا نِك. إنني واحد منهم " .

" إنك تمثّل نقيض كل واحدٍ منهم يا تانر " .

" يمكنك أن تعكس هذه العبارة. إنهم يعتبرون أنفسهم مثلي تماماً " .

سيكون كل شيء نفعله منذ الآن فصاعداً تحت أعين المصورين الباحثين عن الفضائح. اضطرنا هذا الأمر لمغادرة المنزل برفقة جو وتانر وسط أصوات كاميرات التصوير. (لم يكفّ تانر عن توجيه النصح لي، " لا تنظر إلى الأسفل " ، " لا تبتسم، لكن لا تُظهر الخجل. لا تسرع كذلك، بل تابع السير ودعهم يأخذون الصور، وأقفِل الباب قبل أن تشتمهم، ويمكنك بعد ذلك أن تشتمهم كما تريد " .) كنا متوجهين في ذلك الوقت إلى سانت لويس حيث ستُجرى المقابلة، وحيث سأتحضّر لها مع بيتسي،

زوجة تانر، وهي مذيعة أخبار تلفزيونية سابقة قبل أن تتحول إلى محامية. كانت هي اسم بولت الثاني في مكتب بولت وبولت.

كان ذلك موكباً مخيفاً: تانر وأنا، وتتبعنا جو التي يتبعها نصف دزينة من عربات المحطات الإخبارية، لكن ما إن ابتعدنا قليلاً وبدا أمامنا قوس سانت لويس الكبير حتى توقفتُ عن التفكير في الصحفيين الباحثين عن الفضائح [الذين يعملون لصالح الصحف الصفراء] .

وصلنا إلى جناح آل تانر في الشقق الفندقية، وشعرت بأنني مستعدٌّ للعمل على تحضير المقابلة. شعرت بالرغبة في سماع مقطوعتي الموسيقية المفضلة: الشريط المنسّق الذي يُظهرني وأنا أستعد للمواجهة الكبرى. تساءلت عن المكافئ الذهني للسرعة.

فتحت لنا الباب سيدة سوداء رائعة يبلغ طولها ستة أقدام.

" مرحباً نِك. أنا بيتسي بولت " .

تصورت بيتسي بولت في ذهني فتاة جنوبية بيضاء وشقراء قصيرة القوام.

" لا تقلق. يُدهش الجميع عندما يرونني " . ضحكت بيتسي وهي تراقبني وتصافحني. " يبدو أن تانر وبيتسي يصلحان ليكونا على غلاف دليل المبتدئين الرسمي، أليس كذلك؟ " .

ردّ تانر مصححاً بينما كان يطبع قبلةً على خدّها: " اسمه كتيّب المبتدئين " .

قالت بيتسي: " أرأيت؟ إنه يعرف بالفعل " .

تقدّمتنا بيتسي إلى تلك الشقة الرائعة والمؤلفة من غرفة معيشة تدخلها الشمس عبر نوافذ تمتد على طول الجدران، وغرف نومٍ تبرز من كل جهة. أقسمَ تانر بأنه لا يتمكّن من المكوث في قرطاجة، أيٍ في فندق دايز إن، وذلك احتراماً لوالدَي آمي، لكن شككتُ أنا وجو بأنه لا يتمكن من المكوث في قرطاجة لأن أقرب فندق من فئة خمس نجوم يتواجد في سانت لويس.

بدأنا بحديثٍ عادي: دردشة حول أسرة بيتسي، والكلية التي تعلمت فيها، وسجلّها المهني الممتاز والرائع. توزّع الشراب على الجميع بعد ذلك (الصودا والكلاماتو واللذان اعتبرتهما مع جو بأنهما بادرة تكلّف من تانر، وهو يعتقد بأنها مراوغة تعطيه تأثيراً أكبر علينا، وهو أمر يشبه وضعي نظارات زائفة عندما كنت في الجامعة). جلست أنا وجو على الأريكة المصنوعة من الجلد، بينما جلست بيتسي قبالتنا وضمّت ساقيها إلى جانبٍ

واحد، فأصبحت مثل العلامة القاطعة المائلة، أي مثل جميلة / مهنية. كان تانر يجول وراءنا منصتاً جيئة وذهاباً.

قالت بيتسي: " حسناً إذاً يا نِك. سأكون صريحة معك، أليس كذلك؟ " .

" أجل " .

" سأتحدث عن وضعك عندما كنتَ في التلفزيون. إذا استبعدنا الردود التي وردت على الإنترنت على موقع مَن فَعَلها. كوم. في الليلة الماضية، فقد كنتَ مريعاً " .

قلت: " كان ذلك هو السبب الذي جعلني أتحوّل إلى الصحافة المطبوعة. أنظر إلى الكاميرا فيجمُد وجهي " .

قالت بيتسي: " هكذا بالضبط. كنتَ تبدو مثل الرجل الذي يعمل في تجهيز الجنازات، أي إنك كنتَ جامداً جداً. لكن لديّ طريقة لإصلاح ذلك " .

سألتها: " أتعنين تناول الشراب؟ أعتقد أن هذا نجح معي في موقع التدوين " .

قالت بيتسي: " لن ينجح ذلك هنا " . بدأت بعد ذلك بتجهيز كاميرا فيديو ثم تابعت: " أعتقد أنه من الأفضل لنا إجراء تجربة في البداية. سأكون أنا شارون، وسوف أطرح عليك الأسئلة التي يُحتمل أن تطرحها، وأنت ستجيب بطريقة طبيعية. سنعرف بهذه الطريقة مقدار ما ينقصك من أداء. ضحكت مجدداً ثم قالت: " انتظر قليلاً " . كانت ترتدي فستاناً ضيقاً أزرق اللون، وما لبثت أن تناولت من محفظتها الجلدية الكبيرة عقداً من اللآلئ. كان ذلك هو الزي الذي تعتمده شايبر. " تانر؟ " .

تقدّم زوجها ليثبّت العقد، وما إن انتهى حتى ابتسمت بيتسي ابتسامة عريضة، وقالت: " أنا مع الأصالة المطلقة، هذا عدا عن لهجتي الجيورجية، وكوني سوداء اللون " .

قلت: " إنني أرى شارون شايبر بالذات أمامي " .

وضعت الكاميرا في وضع تشغيل وجلست قبالتي، وزفرت، وتطلعت نحو الأسفل، ثم نظرت نحو الأعلى. قالت بيتسي بصوت شارون الإذاعي: " نِك، لاحظنا وجود بعض التناقضات في هذه القضية. أيمكنك بدايةً أن تحدّث المشاهدين عما جرى منذ اليوم الذي اختفت فيه زوجتك؟ " .

قاطعنا تانر بالقول: " اسمع يا نِك تحدث فقط عن الفطور الذي تشاركتما فيه بمناسبة الزواج، لكن من دون تحديد التسلسل الزمني، كما لا

أريدك أن تتحدث أبداً عما حدث قبل الفطور أو بعده. سيكون تركيزك فقط على هذا الفطور الأخير الرائع الذي تشاركتما فيه. اتفقنا؟ هيا " .

" أجل " . تنحنحتُ بعد ذلك. ثم بدأ ضوء الكاميرا الأحمر بالوميض، بينما أظهرت بيتسي ملامحها الصحفية الساخرة. " آه. كانت تلك ذكرى زواجنا الخامسة كما تعلمين. نهضت آمي باكراً وحضّرت الفطائر المحلاة... " .

امتدت ذراع بيتسي وشعرت على الفور بوخزةٍ في خدّي.

" ما هذا بحق السماء؟ " قلت ذلك محاولاً فهم ما يجري. لكني لاحظت أن حبة حلوى حمراء قد استقرت في حضني. رفعتها بيدي.

" سأرشقك بحبة الحلوى هذه في كل مرةٍ تشعر فيها بالتوتر، وفي كل مرةٍ تحوّل فيها ذلك الوجه الجميل إلى قناعٍ لمتعهد دفن الموتى " . شرحت بيتسي الأمر، وكأن الأمر برمته منطقي تماماً.

" وهل يُفترض أن يخفف ذلك من توتري؟ " .

قال تانر: " ينجح الأمر هكذا. هذه هي الطريقة التي علّمتني بها. أعتقد أنها استخدمت الحصى معي " . تبادل الزوجان ابتسامات أهذا أنت! التي يتبادلها المتزوجون عادةً. لاحظتُ على الفور: كانا الزوجين المتألقين على الدوام في برامجهما الحوارية الصباحية.

قالت بيتسي: " ابدأ الآن، لكن تحدث بالتفصيل عن الفطائر المحلاة. هل هي المفضلة لديك، أم لديها هي؟ ماذا كنتَ تفعل في ذلك الصباح لزوجتك بينما كانت تحضّر الفطائر المحلاة؟ " .

" كنتُ نائماً " .

" ماذا اشتريت لها ليكون هديتها بالمناسبة؟ " .

" لم أشترِ شيئاً بعد " .

" أوه. هكذا إذاً " . تحولت بنظرها نحو زوجها، وقالت: " إذاً يمكنك إغداق المديح الصادق على تلك الفطائر المحلاة، هل فهمت؟ تحدث كذلك عن الهدية التي كنت تنوي شراءها في هذه المناسبة. أعرف أنك لم تكن تعتزم العودة إلى المنزل من دون هدية " .

بدأنا من جديد، فوصفت تقليدنا في إعداد الفطائر المحلاة، والذي لم يكن تقليدنا في الواقع. وصفت كذلك حرص آمي على انتقاء الهدايا (صفعتني هنا إحدى حبات الحلوى في أنفي مباشرة، ولذلك أرخيت فكّي على الفور) وتحدثت كيف أنني، ذلك المغفل، (نصحتني بيتسي أن ألعب دور الزوج الأحمق) كنت أحاول التفكير في شيء مذهل.

قلت: " لا يتعلق الأمر في أنها أحبّت الهدايا الثمينة أو المبهرجة " .

وجّه تانر نحوي طابةً ورقية.

" ماذا؟ " .

" إنك تتحدث بصيغة الماضي. يتعيّن عليك أن تتوقف عن التحدث بصيغة الماضي اللعينة عن زوجتك " .

تابعت بيتسي: " فهمت بأنه حدثت بعض المشاجرات بينك وبين زوجتك " .

" مرّت سنواتٍ عدة صعبة، فَقَدنا وظائفنا نحن الاثنان " .

قال تانر: " هذا جيّد، أجل! كلاكما فَقَدَ وظيفته " .

" عدنا إلى هنا للمساعدة بالاعتناء بوالدي المصاب بالألزهايمر، وكذلك بوالدتي الراحلة والتي كانت مصابة بالسرطان. يُضاف إلى كل ذلك أنني كنتُ أعمل جاهداً للعثور على وظيفة جديدة " .

قال تانر: " هذا جيّد يا نِك. هذا جيّد " .

قالت بيتسي: " تأكد من أن تذكر مدى قربك من والدتك " . قالت ذلك بالرغم من أنني لم أتحدث معها عن والدتي أبداً. " لن يُقدم أحد على تكذيب هذا، أليس كذلك؟ كلا، يمكنك قول أمي الأعز على قلبي، أو شيئاً يشبه سوني الأعز " .

" كلا. كنت قريباً جداً من والدتي " .

قالت بيتسي: " هذا جيد. اذكرها كثيراً إذن. يمكنك أن تقول إنك تمتلك الحانة مع شقيقتك - أذكر دائماً شقيقتك عندما تتحدث عن حانتك. إذا كنت تمتلك المطعم وحدك فأنت لاعب، أما إذا كنتَ تمتلكه مع شقيقتك التوأم التي تحبها فأنت... " .

" إيرلندي " .

" تابِع " .

بدأت بالقول: " وهكذا تطور الأمر... " .

قال تانر: " كلا، لأن ذلك يوحي بالتطور نحو أسرةٍ مثالية " .

" إذاً خرجنا عن هدفنا قليلاً، لكني اعتبرت بأن ذكرى زواجنا الخامسة مناسبةً لإحياء علاقتنا... " .

قال تانر: " قُل إعادة الالتزام بعلاقتنا، لأن إحياء تعني أن شيئاً قد مات " .

" إعادة الالتزام بعلاقتنا... " .

سألت بيتسي: " إذاً كيف تتلاءم إقامة علاقة مع فتاة بعمر الثالثة والعشرين مع هذه الصورة المشرقة؟ " .

وجّه تانر حبة حلوى نحوها، وقال: " يبدو أن ذلك يخرج قليلاً عن الذوق يا بيتس " .

" أنا آسفة يا رجال، لكنني امرأة، وذلك يفوح بالتفاهة، وكأنها تفاهة على بُعد ميلٍ واحد. إعادة الالتزام بالعلاقة، من فضلك. كانت الفتاة ما تزال في الصورة عندما اختفت آمي. ستكرهك النساء يا نِك إلا إذا عرفت كيفية استرضائهن. كن في صف المواجهة، ولا تتلكأ. يمكنك أن تضيف تلك العبارة إلى: فَقَدنا وظائفنا، وانتقلنا إلى هنا في حين كان والداي يحتضران. أصابتني مصيبة بعد ذلك، ومصيبة كبيرة. فقدتُ أثر من أكون، وللأسف الشديد، تطلب الأمر فقدان آمي كي أدرك ذلك. يتعيّن عليك الاعتراف بأنك أحمق، وأن الحق كلّه يقع عليك " .

قلت: " إذاً حدث معي ما يُفترض بأن الرجال يفعلونه عموماً " .

تطلعت بيتسي نحو السقف ويبدو عليها الانزعاج. " إنه موقف أنصحك يا نِك أن تكون حذراً جداً بشأنه " .

آمي إليوت دون

بعد مرور تسعة أيام

أنا مفلسة وهاربة في الوقت ذاته. إنها مأساة فظيعة، فيما عدا جلوسي في سيارتي التي هي من نوع فستيفا المركونة في طرف موقف السيارات التابع لمجمّع المطاعم السريعة الكبيرة والواقعة على ضفاف نهر المسيسيبي، في حين إن رائحة الملح واللحم المتصاعدة تطوف مع النسائم الدافئة. حلّ وقت الظهيرة - لأنني أهدرت عدة ساعات - لكنني غير قادرة على التحرك. تبدو لي السيارة أصغر شيئاً فشيئاً مع مرور الساعات، لكني مضطرة للتكوّر على نفسي، وكأنني جنين، أو أنني سوف أستسلم للنوم. أعرف أنني لن أستطيع النوم في هذه الليلة. أقفلت أبواب السيارة، لكني أنتظر طرقة مفاجئة على نافذة السيارة. أعرف أنني سوف أرفع نظري لأرى إما قاتلاً تسلسلياً بأسنانه المعوجة، وكلامه المعسول (ألن يكون ذلك من سخرية الأقدار، أي أن أُقتل بالفعل؟) أو ربما سأرى أحد رجال الشرطة الذي سيطلب مني إبراز بطاقة هويتي (ألن يكون ذلك أسوأ بالنسبة إليّ، أي أن أُكتشف في موقفٍ للسيارات وكأنني متشردة؟) أضواء لوحات المطعم المتلألئة لا تنطفئ أبداً، أي إن موقف السيارات مضاءٌ وكأنه ملعبٌ لكرة القدم - فكّرت في الانتحار مجدداً. فكّرت كذلك في كيفية تمضية سجين محكومٍ بالإعدام أربعاً وعشرين ساعة تحت الأنوار الكاشفة، وهي فكرة مريعة. أما علامة خزان وقود سيارتي فوقفت عند ما دون علامة الربع، وهي فكرة مريعة أكثر: لا يمكنني أن أقود سيارتي إلا لنحو ساعة من الزمن وفي أيّ اتجاه، لذلك يتعيّن عليّ اختيار هذا الاتجاه بحذر. يقودني الاتجاه جنوباً إلى أركنساس، والاتجاه شمالاً يقودني إلى آيوا، أما الاتجاه غرباً فيعيدني إلى الأوزارك. يمكنني كذلك التوجه شرقاً وعبور النهر نحو إلينوي. سأجد النهر بانتظاري أينما توجهت. هل يا ترى أنا الذي أتبعه أم هو الذي يتبعني؟

أدركتُ، وفجأةً، ما يتعيّن عليّ عمله.

نِك دون

بعد مضي عشرة أيام

أمضينا النهار الذي ستجري فيه المقابلة بأكمله ونحن مجتمعين في غرفة النوم الاحتياطية في جناح آل تانر. حضّرنا الأقوال التي سأدلي بها، وأصلحنا من مظهري قليلاً. أعربت بيتسي عن قلقها بشأن ملابسي، كما أن جو شذّبت الشعر النابت فوق أذنيّ مستخدمةً مقص الأظافر بينما حاولت بيتسي إقناعي باستخدام بعض مواد التجميل - مسحوق البودرة - لتخفيف اللمعية. تحدثنا جميعاً بصوتٍ منخفض لأن فريق عمل شارون كان متمترساً في الخارج، أي إن المقابلة سوف تجري في غرفة المعيشة التابعة للجناح والتي تطل على قوس سانت لويس، والذي هو بوابة الغرب. لكنني لست متأكداً من الهدف من وراء إنشاء هذا المعلم المعماري فيما عدا أنه يمثّل وسط البلاد والقول: أنتم هنا.

قالت بيتسي أخيراً وهي تتقدم نحوي حاملةً معها علبة: " تحتاج إلى القليل من مسحوق البودرة يا نِك. يتعرّق أنفك عندما تشعر بالتوتر. خسر نكسون في الماضي جولةً انتخابية بسبب العرق المتصبب من أنفه " . أشرف تانر على هذه العملية بأكملها، وكأنه قائد فرقة موسيقية. كان يقول: " لا تضعي كمية كبيرة من ذلك المسحوق في تلك الجهة يا جو. بيتس، كوني حذرة مع ذلك المسحوق. الكمية القليلة أفضل من الكمية الكثيرة " .

قالت: " كان من الأفضل لو استخدمنا البوتوكس، لأن البوتوكس يكافح التعرّق مثل ما يكافح التجاعيد. يأخذ بعض زبائني سلسلة من حقَن البوتوكس قبل المحاكمة، وهذا يوحي لي ببعض الأشياء. إن القليل من البودرة اللطيفة والدقيقة هو أمرٌ يحمل أهمية في حال وصلنا إلى المحاكمة.

قلت: " أجل. أريد أن يعرف رجال الصحافة بأنني آخذ علاج البوتوكس في حين أن زوجتي كانت مختفية، مختفية الآن " . كنت أعرف بأن آمي لم تكن ميتة، لكنني عرفت كذلك بأنها بعيدة عن متناول يدي بحيث إن الاحتمال ليس بعيداً. كانت زوجتي في صيغة الماضي " .

قال تانر: " نجحتَ في التصحيح، لكن في المرة القادمة افعل ذلك قبل أن تخرج الكلمة من فمك " .

رنّ هاتف تانر عند الساعة الخامسة من بعد الظهر تماماً. تطلع تانر

على شاشة الهاتف، وقال: " بوني " . حوّل المكالمة إلى البريد الصوتي وقال: " سأتصل بها فيما بعد " . لم يرغب تانر في معرفة معلوماتٍ جديدة، أو أي شيء عن التحقيقات، أو الشائعات والتي تجبرنا على صياغة رسالتنا. وافقته على موقفه: لم أرغب أن أفكّر في بوني في هذا الوقت بالذات.

قالت جو: " هل أنت متأكد من أننا لسنا بحاجة لمعرفة ما تريد أن تقوله لنا؟ " .

قلت: " إنها تريد التلاعب بي مجدداً، لكننا سوف نتصل بها. يمكنها أن تنتظر ساعاتٍ قليلة " .

أعدنا الثقة إلى أنفسنا، وكان ذلك بمثابة تطميناتٍ جماعية بأن تلك المكالمة لا تستدعي القلق. خيّم الصمت على الغرفة لفترة نصف دقيقة.

قالت جو أخيراً: " أجدني مضطرة إلى القول بأنني متلهفة إلى حدٍّ غريب للالتقاء مع شارون شايبر. إنها سيدة راقية جداً. لكن ليس مثل كوني شانغ " .

ضحكت لهذه المفارقة. أحبّت والدتنا شارون شايبر وكرهت كوني شانغ - لم تسامحها أبداً على إحراجها والدة نيويت جينغ ريتش على شاشة التلفزيون. حدث ذلك لأن نيويت شتمت هيلاري كلنتون ووصفتها بالساقطة. إنني لا أتذكر المكالمة الفعلية، لكني أتذكر الغضب الذي شعرت به والدتنا إزاءها.

دخلنا عند الساعة السادسة مساءً إلى الغرفة التي وُضع فيها كرسيّان متواجهان، بينما بدا القوس الكبير في الخلفية. تم اختيار هذا التوقيت الدقيق لأن القوس الكبير سيضيء لكن لن يكون هناك ذلك الوهج الذي يترافق مع مغيب الشمس على النوافذ. فكّرت بأن هذه هي إحدى اللحظات الأكثر أهمية في حياتي، وهو الأمر الذي تساهم فيه زاوية أشعة الشمس. أشار نحونا منتج لا أعرف اسمه، ووصف لي بلهجةٍ متعالية ما يجدر بي توقعه. يُمكن أن تُطرح الأسئلة مرات عدة، وذلك لجعل المقابلة تبدو سهلة إلى أقصى حدٍّ ممكن، وكذلك من أجل إتاحة الفرصة لشارون لعرض ردّات فعلها. قال لي بأنه لا يمكنني التحدث مع محاميّ قبل إعطاء أي جواب. قال لي إنه بإمكاني إعادة صياغة إجاباتي، لكن من دون تغيير جوهر الإجابة. قدّم لي بعض الماء قبل الوقوف أمام الميكروفون.

بدأنا بالتحرك نحو المقعد لكن بيتسي وكزتني في ذراعي. تطلعت إلى الأسفل فرأيتُ كيساً من حبوب الحلوى. قالت لي: " تذكّر... " .

فُتح، فجأةً، باب الجناح على مصراعيه ودخلت شارون شايبر، وكانت

رشيقةً في مشيتها وكأنها محمولة فوق سربٍ من البجع. كانت امرأة جميلة، وامرأة لربما لم تظهر بمظهر الفتيات أبداً. كانت امرأة لربما لا تتعرق أبداً. كان شعرها كثيفاً وداكناً، أما عيناها فكانتا عسليتين وواسعتين وتبدوان أنثويتين أو شريرتين.

قالت جو هامسة بحماس وكأنها تقلّد والدتنا: " إنها شارون! " .

التفتت شارون نحو جو وأومأت بمهابة، ثم تقدمت لتحيّتنا. قالت بصوتٍ دافئ وعميق وبعد أن أمسكت بكلتا يدَيْ جو: " أنا شارون " .

قالت جو: " كانت والدتنا تحبك " .

قالت شارون بصوتٍ دافئ: " يسرّني أن أسمع ذلك " . التفتت نحوي وكانت على وشك أن تتكلم عندما نهض المنتج وهمس بأذنها. انتظر المنتج قليلاً ليعرف ردة فعل شارون، ثم همس لها مجدداً.

قالت شارون: " أوه. أوه يا إلهي " . كانت الابتسامة قد اختفت من بين شفتيها عندما التفتت نحوي مجدداً.

آمي إليوت دون

بعد مرور عشرة أيام

أطلقتُ نداءً من خلال مكالمة هاتفية. لا يُمكن أن يبدأ اللقاء حتى هذا المساء - هناك تعقيدات متوقعة - ولذلك أمضي الوقت بترتيب نفسي والتحضّر لهذا الاجتماع.

نظّفت نفسي في حمّام مطعم ماكدونالدز - استخدمت السائل الأخضر على مناشف ورقية مبتلة - وارتديت فستاناً فضفاضاً ورخيصاً. فكّرت في ما سأقوله. أشعر أنني مقيدة أكثر من أي وقتٍ مضى. ازدادت حياتي التعيسة تعاسةً: الغسّالة المشتركة التي تحتوي على الملابس الداخلية الرطبة لأحد الأشخاص، والتي تعلق في الأعلى على الدوام قبل أن تنتزعها أيدٍ مترددة؛ وكذلك طرف سجادة حجرتي التي تظل رطبة على الدوام لسببٍ غير مفهوم؛ وكذلك الحنفية التي تقطر ماءً على الدوام في الحمّام.

بدأتُ قيادة السيارة عند الساعة الخامسة تماماً وتوجّهت إلى موقع اللقاء في كازينو على النهر يُدعى متنزه الهورس شو. ظهر المكان فجأة بلوحة النيون المضيئة في وسط غابة غير كثيفة. دخلت وسط الأدخنة - وهو شعار لم أضعه قيد التنفيذ - وركنتُ السيارة، ثم ألقيت نظرة على المكان: كان تجمعاً لكبار السن الذين يروحون ويجيئون كالحشرات المنكسرة معتمدين على المعدّات المساعدة على المشي، أو على العصي، ويحركون خزانات الأوكسجين نحو الأضواء الساطعة. رأت فتياناً يرتدون ملابس أنيقة يسيرون بتعجّلٍ وسط مجموعات المسنّين، وهم فتيان سبق لهم أن شاهدوا عدداً كبيراً من أفلام [لاس] فيغاس من دون أن يعرفوا كم أن منظرهم يدعو للحزن، وذلك في محاولاتهم تقليد مظهر رات باك الجذاب ببذلات رخيصة وسط غابات ميسوري.

مررتُ من تحت لوحة إعلانية متوهجة - لليلتين فقط - للتذكير بالموسيقى التي كانت رائجة في خمسينيات القرن الماضي. كان الكازينو مبرداً من الداخل. أصدرت آلات النقد أصواتها، في حين ترددت الأصوات الإلكترونية المبهجة، والتي لا تتلاءم أبداً مع الأوجه الجامدة والمترهلة للناس الذين يجلسون أمام الماكينات ويدخنون السجائر من فوق أقنعة الأوكسجين المتدلية أمامهم. إنهم يُسقطون فلساً إثر فلسٍ، إثر فلسٍ، إثر فلس. لكن المال الذي يهدرونه يذهب أخيراً إلى المدارس العامة التي تعاني نقصاً في تمويلها، وهي المدارس التي يلتحق بها أحفادهم الذين يشعرون بالملل.

تتساقط الفلوس واحداً بعد آخر. مرّت بجانبي مجموعة من الأولاد الفاسدين، والذكوريين الذين تبتلّ شفاههم من فرط جرعات الشراب. لم يلاحظ الفتيان وجودي، وربما بسبب بدانتي النسبية، وشعري المسرّح على طريقة دوروثي هاميل [بطلة التزلج الشهيرة] . كان الفتيان يتحدثون عن الفتيات، دعونا نُحضر بعض الفتيات، لكن الفتيات الوحيدات، ما عداي أنا، اللواتي رأيتهن كنّ شقراوات. أعرف أن هؤلاء الفتيان سوف يستوعبون خيبة آمالهم، ويحاولون عدم قتل السائقين الآخرين عندما يعودون إلى منازلهم.

انتظرت في مشربٍ صغير يقع إلى أقصى يسار مدخل الكازينو، وذلك وفقاً للخطة التي وضعتها، واكتفيت بمشاهدة فرقة من الفتيان الكبار وهي تغني أمام مجموعة من الحضور الكبار في السن الذين كانوا يصفقون، ويدسون أصابعهم المليئة بالعُقَد في أوعية مليئة بالفستق الذي يقدّم إليهم مجاناً. ترنّح المغنون تحت بذلاتهم الواسعة وداروا ببطء وبحذر حول أوراقٍ بديلة. بدا المشهد وكأنه رقصٌ يقوم به الموتى.

بدا الكازينو فكرة جيدة في البداية، وذلك نظراً لبعده عن الطريق السريعة، ولأنه مليء بالشبان الثملين والرجال المسنّين، وهما الفئتان اللتان لا تتطلعان بتركيزٍ كثير. لكني أشعر بتململٍ وضغطٍ شديدين، كما تطلعتُ بحذر شديد نحو الكاميرات الموزعة على كل الزوايا، والأبواب التي يُمكن أن تنغلق في أيّ لحظة.

كنتُ على وشك المغادرة عندما رأيتُه يسير باختيال.

" آمي " .

أجريت اتصالاً مع ديزي المخلص طالبة مساعدته وتشجيعه لي. لم أفقد الاتصال مع ديزي أبداً، وهو الذي - بالرغم مما أخبرت نِك، ووالديّ - لا يزعجني أبداً. ديزي هو الرجل الآخر الذي يسكن على ضفاف المسيسيبي. كنت أعرف دائماً بأنه يمكنني الاعتماد على مساعدته لي عندما أحتاجها. يرتاح المرء عندما يعرف بوجود شخصٍ واحدٍ على الأقل يمكنه الاستفادة منه لأي شيء. ينتمي ديزي إلى فئة الفرسان البيض، وهو يحب النساء الواقعات في مشاكل. كنت أسأله في السنوات التي تلت مغادرتنا لمدرسة ويكشاير عن آخر صديقة له، وكان يقول لي دائماً، وبغض النظر عن الفتاة: " أوه، إنها لا تبلي حسناً مع الأسف " . لكني أعرف أن ذلك من حظ ديزي الذي يعاني من اضطرابات ناجمة عن الأكل، ومن الإدمان على الأدوية المزيلة للألم، ومن اكتئاب شديد. يُضاف إلى ذلك أن أكثر

أوقاته سعادةً هي تلك التي يكون فيها إلى جانب سريره، أي ليس فوق السرير تماماً، بل جالساً بقربه مع طبق يحتوي على المرق، وآخر يحتوي على العصير voice starched gently a and . يا للمسكين.

إنه هنا الآن يسير ببذلة بيضاء تناسب منتصف الصيف (يغيّر ديزي ملابسه في كل شهر - يعني ذلك أن ما هو مناسب لشهر حزيران لن يصلح لشهر تموز - كنت معجبة على الدوام بهذا النظام والدقة التي يعتمدها آل كولينغز في ارتداء الثياب). يبدو ديزي أنيقاً، لكن مظهري ليس كذلك. أعرف بأن نظارتي تبدو رطبة بالإضافة إلى كتل اللحم الإضافية التي تلف خصري.

قال وهو يلمس خدي ويجذبني نحوه: " آمي " . لم يكن ذلك احتضاناً، لأن ديزي لا يحتضن، لكن الأمر أشبه ما يكون بإحاطة شيء مفصلٍ على قياسي فقط. " حبيبتي. لا يمكنك أن تتصوري ما شعرت به عندما تلقيت تلك المكالمة. أحسستُ بأنني قد أصاب بالجنون. فكّرت بالتعويض لكِ عما مضى! حلمتُ بذلك، وأنك قد تكونين، بطريقةٍ ما على قيد الحياة. جاءت تلك المكالمة بعد ذلك. هل أنتِ بخير؟ " .

قلت: " أنا بخير الآن. أشعر بالأمان الآن، لكن الأمر كان مريعاً في الماضي " . انفجرتُ بالبكاء بعد ذلك، وهو الأمر الذي لم يكن من ضمن خطتي، لكنني شعرت بأن الدموع تريحني، وهي تناسب موقفي الراهن تماماً، ثم سمحت لنفسي بالتصريح كلياً عن مخاوفي. كنتُ أقطر إحباطاً: التوتر الذي يصاحب تنفيذ الخطة الموضوعة، والخوف من إلقاء القبض عليّ، خسارتي لكل ما أملك من مال، والخيانة، والعنف الذي تعرضت له على يد الرجل، والعزلة التي أحسّ بها بسبب اعتمادي على نفسي للمرة الأولى في حياتي.

إنني أبدو أجمل بعد البكاء لفترة تقرب من الدقيقتين. أما إذا تجاوزت فترة البكاء هذه المدة فإن أنفي يمتلئ بالسوائل، ثم أشعر بضرورة تنظيفه، لكن قبل ذلك فإن شفتيّ تبدوان أكثر امتلاءً، وعينيّ تبدوان أوسع قليلاً، كما يظهر التورد على خديّ. بدأت بالعد وأنا أبكي مستندةً على كتف ديزي المريح، مسيسيبي واحد، مسيسيبي اثنان. عدت إلى ذلك النهر مجدداً، ثم سيطرت على الدموع بعد مرور دقيقة وثمانية وأربعين ثانية.

قال ديزي: " آسف لعدم تمكّني من الحضور قبل الآن يا حبيبتي " .

قلت بلهجة احتجاج: " أعرف بأن جاكلين تبقيك منشغلاً على الدوام " . لكن لطالما كانت والدة ديزي موضوعاً مثيراً للحساسية في علاقتنا.

تفحّصني قليلاً، وقال: " تبدين مختلفةً جداً. امتلأ وجهك على الأخص كثيراً، كما أن مظهر شعرك غير الأنيق... " لكنه انتبه أخيراً. " آمي. لا أستطيع أن أكون أكثر امتناناً لأي شيء. أخبريني ماذا حدث " .

رويت له قصةً مختلقة عن تعرضّي للسيطرة والغضب، وعن القسوة المألوفة في الغرب الأوسط، وعن الحمل المزيّف، وعن السيطرة الحيوانية. تحدثت عن الاغتصاب والحبوب والشراب وقبضات الأيدي. تحدثت كذلك عن كعوب أحذية رعاة البقر عندما تصدم الأضلاع، والخوف والخيانة، وعن اللامبالاة من الوالدين، وعن العزلة، وآخر كلمات التهديد التي سمعتها من نِك: " لا يمكنك أن تتركيني أبداً. سأقتلك. سأجدك في أي مكانٍ تذهبين إليه. أنتِ ملكي " .

أخبرته عن اضطراري للاختباء طلباً لسلامتي وسلامة طفلي الذي لم يولد بعد، وكيف أنني أحتاج إلى مساعدة ديزي الذي أصبح الآن منقذي. أعرف أن قصتي تُشبع عطف ديزي على النساء المستضعفات، كما أعرف بأنني أكثرهن استضعافاً. أخبرته منذ وقتٍ طويل، أي عندما كنتُ في المدرسة الداخلية عن زيارات والدي الليلية إلى غرفة نومي عندما أكون مرتدية ثياب نومي الفضفاضة ذات اللون الزهري، وكذلك عن تحديقي في السقف إلى أن ينتهي من زيارته. أحبّني ديزي منذ أن رويت له تلك الكذبة، وأعرف بأنه يتخيّل أنه يقيم علاقة معي، وكيف أنه سوف يكون لطيفاً ومطمئِناً عندما يكون معي ويمسّد لي شعري. أعرف بأنه يتخيلني وأنا أبكي برفقٍ عندما أستسلم له.

" لا يمكنني العودة إطلاقاً إلى حياتي القديمة يا ديزي. سيقتلني نِك، وأنا لن أشعر بالأمان إطلاقاً. لكني لا أريد له أن يدخل السجن. إن كل ما أريده هو الاختفاء، لكني لم أظن بأن الشرطة ستعتقد بأنه هو الذي فعلها " .

تطلعت مع بعض الحبور نحو الفرقة التي تغني على المسرح حيث يقوم رجل نحيلٌ في السبعينيات من عمره بالغناء عن الحب. رأيت شاباً مستقيم الظهر بشاربٍ مشذبٍ. رمى بكوبه نحو صندوق نفايات كانت بالقرب من المكان الذي نجلس فيه، لكنه لا يصيب الهدف bricks (وهي عبارة تعلمتها من نِك). تمنيت عند ذلك لو أنني انتقيت مكاناً أفضل. يتطلع الشاب نحوي الآن، ثم التفت جانباً بحالةٍ من الاضطراب المبالغ فيه. أما لو كنت ما أراه شخصية من الرسوم المتحركة لكانَ حكّ رأسه، وهو الأمر الذي سيصدر عنه صوتٌ حاد. فكّرت لسبب أجهله بأنه ربما يكون

من رجال الشرطة. أدرت ظهري له.

قال ديزي: " إن آخر شخصٍ يجب أن تقلقي بشأنه هو نِك. يمكنك أن تتركي القلق لي، وأنا سأهتم به " . مدّ يده كما كان يفعل في الماضي. إنه الشخص الذي أشكو له همّي، وكانت هذه حركة معتادة ما بيننا عندما كنا في سنّ المراهقة. كنتُ أتظاهر بأنني أضع شيئاً في راحة يده، ثم ما يلبث أن يُغلق أصابعه عليه، وهكذا كنت أشعر بالتحسّن على الفور.

قال لي: " كلا، لن أهتمّ بهذا الشأن. إنني آمل أن يموت نِك بسبب ما فعله معك. هذا ما يحصل في مجتمعٍ عاقل " .

قلتُ: " حسناً، إننا في مجتمعٍ غير عاقل، ولهذا أنا مضطرة للاختباء. أتعتقد بأن ذلك هو أمرٌ مريعٌ بالنسبة لي؟ " لكني كنتُ أعرف الجواب مسبقاً.

" حبيبتي، بالطبع إن الأمر ليس كذلك لأنك اضطررت إلى الاختباء. كان من الجنون أن تفعلي أي أمرٍ آخر " .

لم يسألني أي شيء عن الحمل، لكني كنت أعرف بأنه لن يفعل.

قلت: " أنت الشخص الوحيد الذي يعرف بالأمر " .

" سأعتني بكِ. ماذا أستطيع أن أفعل؟ " .

تظاهرت بأنني أعارض ذلك، ومضغتُ شفتي السفلى، ثم نظرتُ بعيداً قبل أن أعود إلى النظر نحو ديزي. " أحتاج إلى المال للعيش قليلاً. فكّرت في البحث عن وظيفة، لكن... " .

" أوه، لا تفعلي ذلك. تتواجدين في كل مكان يا آمي - في كل نشرات الأخبار، وكل المجلات. يعني ذلك أن شخصاً ما سوف يتعرّف عليك، وحتى مع هذه " . لمس شعري. " التسريحة الرياضية الجديدة. أنتِ امرأة جميلة، لكن من الصعب جداً على المرأة الجميلة أن تختفي " .

قلت: " أعتقدُ، للأسف، بأنك على حق. لكنني لا أريدك أن تعتقد بأنني أقوم باستغلال الموقف، فكل ما في الأمر هو أنني لا أعرف إلى أين ألتجئ... " .

اقتربت النادلة، وكانت سمراء تماماً تتخفى وكأنها سمراء جميلة، ووضعت أكواب شرابنا على الطاولة. أدرتُ وجهي عنها فرأيت ذلك الشاب الفضولي ذا الشارب وهو يقف في مسافة أقرب من ذي قبل، وكان يراقبني بشبه ابتسامة. أعتقد بأنني خرجت الآن من لعبتي التي بدأتها. ما كانت آمي القديمة لتأتي إلى هذا المكان. شعرت بأن ذهني مشوش بعد أن

شربت زجاجة كوك للحمية، وشعرت برائحة جسدي.

قلت للنادلة: " طلبتُ منكِ إحضار شراب مع الصودا " .

ابتسم ديزي ابتسامة ذات معنى.

سألته مع معرفتي المسبقة بالجواب: " ماذا؟ " .

" إنه الشراب الذي أتناوله في الربيع. أما الآن فإنني أشرب جاك مع الزنجبيل " .

" إذن سنحضر لك واحدة، بينما سأتناول أنا شراب [الجنّ] " .

" كلا، لا بأس بذلك، لا تقلقوا " .

ظهر ذلك الشاب الأحمق في مجال بصري. " هل ذلك الشاب، أعني الشاب ذا الشارب - لا تنظر الآن - يحدّق بي؟ " .

ألقى ديزي نظرة سريعة ثم هزّ رأسه، ثم قال: " إنه يراقب... المغنّين " . تلفظ بهذه الكلمات بارتياب. فتح ذراعيه نحو الكازينو بأكمله، وقال: " أنتِ لا تحتاجين فقط إلى بعض النقود. ستتعبين سريعاً من هذا التخفي. إنك لا تتمكنين من التطلع إلى أي شخص مباشرة، والعيش بين أناسٍ أفترض بأنه لا يجمعك معهم أي شيء مشترك. ستعيشين دون المستوى الذي يليق بكِ " .

" سيكون الحال هكذا للسنوات العشر التالية، وذلك إلى أن أكبر في السن إلى حدٍّ تتلاشى معه هذه القصة وأشعر بأنني مرتاحة " .

" ها! هل أنتِ مستعدة لفعل ذلك لعشر سنين؟ آمي؟ " .

" صه، لا تتلفظ بهذا الاسم " .

" كاتي، أو جيني، أو ميغان، أو أي اسم لا يلفت الأنظار " .

عادت النادلة فأعطاها ديزي ورقة من فئة عشرين دولاراً وصرفها. سارت النادلة مبتسمة، وحملت ورقة العشرين وكأنها تحمل رواية. تناولت جرعة من الشراب. أعتقد أن الطفل لن يمانع في ذلك.

قال ديزي: " لا أعتقد بأن نِك سوف يتمسك بالتهم إذا ما عدتِ " .

" ماذا؟ " .

" أتى إلى منزلي لمقابلتي. أعتقد بأن اللوم كله يقع عليه... " .

" هل ذهب لرؤيتك؟ متى حدث ذلك؟ " .

" جاء في الأسبوع الماضي، أي قبل أن أتحدث إليك، حمداً لله " .

أظهر نِك اهتماماً بي في هذه الأيام العشرة الماضية أكثر مما أظهره خلال السنوات القليلة الماضية. كنتُ أتطلع على الدوام إلى رجلٍ يكون على استعداد للمواجهة من أجلي - أعني مواجهةً شرسة ودموية. ذهب نِك

لمفاوضة ديزي، وهذه هي بداية جيدة.

سألته: " ماذا قال لك؟ كيف بدا لك؟ " .

" بدا وكأنه أحمق من الدرجة الأولى. أراد أن يُلصق التهمة بي. أخبرني قصة تتصف بالجنون عن كيف أنني... " .

أحببت دائماً تلك الكذبة التي تتحدث عن محاولة ديزي قتل نفسه لأجلي. تأثّر كثيراً بانفصالنا، ولذلك كان مزعجاً ومثيراً للاشمئزاز بالفعل، وكان يحوم حول حرم الجامعة على أمل أن أعود إليه، وهكذا حاول الانتحار لهذا السبب.

" ماذا قال نِك عني؟ " .

" أعتقد أنه يعرف أنه لا يستطيع أن يؤذيك أبداً، كما أن العالم بأسره يعرف أنه يهتم بك. يتعيّن عليه أن يدعك تعودين بأمان، وأنه يُمكن أن يعطيك الطلاق للزواج بالرجل الذي يناسبك " . تناول جرعة من شرابه. " أخيراً " .

" لا يمكنني أن أعود يا ديزي، وحتى لو صدّق الناس كل شيء عن الأذى الذي ألحقه بي نِك. سأظل المرأة التي يكرهونها، وذلك لأنني خدعتهم. سأكون أكبر منبوذة في هذا العالم " .

قال ديزي: " ستكونين منبوذتي أنا، وسأظل أحبك مهما حدث، وأنا سأحميكِ من كل شيء. لا يتعيّن عليك القلق بشأن كل ذلك " .

" لا أعتقد أنه سيكون بإمكاننا الاختلاط اجتماعياً مع أي شخص بعد الآن " .

" يمكننا مغادرة البلادة إذا رغبتِ في ذلك. يمكننا أن نعيش في إسبانيا، أو إيطاليا، أو في أي مكانٍ آخر تريدينه. سنمضي أيامنا في أكل ثمار المانغو تحت أشعة الشمس، والنوم حتى وقتٍ متأخر، وأن نلعب لعبة الكلمات المتقاطعة (سكرابل)، وأن نقلب صفحات الكتب، والسباحة في مياه المحيط " .

" لكن، ماذا سيحدث عندما أموت. سأكون مجرد خبر، أو صورة غامضة وهامشية عن امرأة غريبة. كلا يا ديزي. لديَّ كبريائي " .

" لا يمكنني السماح لك بالعودة إلى حياة تعيشينها في موقفٍ للشاحنات، لن أفعل ذلك. تعالي معي وسوف ندعكِ تقيمين في منزلٍ يقع على ضفاف البحيرة، وهو منزل منعزل جداً. سأحضر لكِ كل ما تحتاجينه من بقالة وغيرها، وفي أي وقت. يمكنك أن تختبئي إلى أن نقرر ما يجدر بنا أن نفعله " .

كان منزل ديزي على البحيرة منزلاً كبيراً، كما أن إحضار البقالة يعني أنه أصبح عشيقي. أمكنني الإحساس بالرغبة الصادرة عنه مثل الحرارة. كان يتململ قليلاً تحت بذلته، ويريد أن يحقق رغبته. كان ديزي من الذين يحبون جمع الأشياء: امتلك أربع سيارات، وثلاثة منازل، ومجموعاتٍ من البذلات والأحذية. كان يحب التأكد من وجودي في مكانٍ أمين. امتلك ديزي خيال الفارس الأبيض: يسرق الأميرات اللواتي تعرضن للإهانة ويضعهن تحت حمايته المبالغ فيها في قلعة لا يُمكن لأحدٍ غيره اختراقها.

" آمي. تعتقد الشرطة بأنكِ ميتة " .

" كلا. أريد الاعتماد على نفسي منذ الآن فصاعداً. أيمكنني الحصول على بعض النقود منك؟ " .

" ماذا لو رفضتُ تقديم المال؟ " .

" سأعرف عند ذلك بأن عرضك المساعدة لم يكن صادقاً، وأنك مثل نِك، وأنك لا تريد سوى التحكّم بي بأي طريقةٍ كانت " .

صمتَ ديزي للحظات، وتجرّع شرابه بتوترٍ ظاهر، ثم قال: " يا له من كلامٍ بشعٍ يصدر عنك " .

" بل يا لها من طريقة تصرّف بشعة " .

قال لي: " إنني لا أتصرف بتلك الطريقة. إنني قلقٌ بشأنك. جرّبي منزل البحيرة، وإذا شعرتِ بأنك مقيّدة بوجودي، أو إذا شعرتِ بأنكِ غير مرتاحة، فيمكنك أن ترحلي. أما أسوأ ما يُمكن أن يحدث لك فهو حصولك على أيامٍ قليلة من الراحة والاسترخاء " .

تقدم الشاب ذو الشارب فجأةً إلى طاولتنا، بينما ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيه. سألني: " لا أفترض يا سيدتي بأنك إحدى قريبات عائلة إنلو، أليس كذلك؟ " .

قلت قبل أن ألتفت إلى الناحية الأخرى: " لا " .

" آسف. قلتُ هذا لأنك تشبهين إحدى... " .

قاطعه ديزي بالقول: " إننا من كندا، والآن أعذرنا " . أغمض الشاب عينيه وتمتم بكلمةٍ تنمّ عن الدهشة، ثم سار عائداً إلى المشرب، لكنه استمرّ في التحديق بي.

قال ديزي: " يتعيّن علينا المغادرة. تعالي إلى منزل البحيرة. سآخذك الآن إلى هناك " . وقفَ بعد أن أنهى كلامه.

يمتلك منزل ديزي عند ضفاف البحيرة مطبخاً كبيراً، وكذلك غرفاً. يمكنني التجوّل في أنحاء المنزل، وفي أرجاء غرفه الواسعة. أعرف أن المنزل

لا بد وأنه مزوّد بأجهزة الوا - فاي والتلفزيون السلكي، وكل ذلك للوفاء باحتياجات مركز تواجدي، وذلك بالإضافة إلى حوض استحمامٍ واسع، وكذلك إلى رداء استحمام فاخر وسرير لا يهدد بالتحطم في أي لحظة.

سيحتوي المنزل على ديزي كذلك، لكن أعرف أنه بإمكاني التحكّم بديزي كذلك.

استمر الشاب في المشرب في التحديق بي، وإن فعل ذلك بدرجة أقل ودية.

انحنيتُ قليلاً وقبّلت ديزي بلطفٍ في شفتيه. كان لا بد وأن يبدو ذلك وكأنه قراري أنا. " أنت رجل رائع. إنني آسفة لأنني وضعتك في هذا الموقف " .

" أريد التواجد في هذا الموقف يا آمي " .

كنا في طريقنا للخروج وسرنا أمام مشربٍ يوحي بالكآبة، وأمام شاشات تلفزيون موزعة في مختلف الزوايا، عندما رأيت تلك الساقطة.

كانت الساقطة تعقد مؤتمراً صحفياً.

بدت آندي صغيرة جداً وبريئة. بدت كمربية أطفال، لكن ليس كمربية أطفال ساقطة ومثيرة، بل كفتاة مثل الفتيات اللواتي يتواجدن على الطرقات، والفتاة التي تلعب مع الأولاد فعلاً. أعرف أن هذه ليست آندي الحقيقية لأنني تبعتها في الحياة الحقيقية. ترتدي آندي في الحياة الحقيقية بلوزاً مريحة تظهر نهديها، وسروالَ جينزٍ ضيّق، في حين أن شعرها طويل ومتموّج.

لكنها ترتدي الآن فستاناً مجعداً تمتد أزراره على مدى طوله، بينما جمعت شعرها وراء أذنيها. بدت وكأنها كانت تبكي، ويستطيع المرء أن يستنتج ذلك من البقع الصغيرة زهرية اللون تحت عينيها. بدت آندي متعبةً ومتوترة، لكنها بدت جميلةً جداً. كانت أجمل ممّا كنتُ أتصورها من قبل، لكن لم يسبق لي أن رأيتها بهذا القرب. لاحظت كذلك أن وجهها مليء بالنمش.

قالت إحدى النساء لصديقتها التي بدت وكأنها فتاة ملهى رخيصة: " أوه، اللعنة " .

ردّت الصديقة: " أوه، لا. بدأت أشعر بالتعاطف مع الرجل " .

" تتواجد عندي أشياء في الثلاجة أقدمُ من تلك الفتاة. يا لها من بلهاء " .

وقفت آندي خلف ميكروفون، وتطلعت إلى الأسفل على أوراق تحمل تصريحها وترتعش بين يديها فبانت رموشها الداكنة. لاحظت أن شفتها العليا رطبة لأنها التمعت تحت أضواء الكاميرا. مرّرت آندي سبابتها كي تمسح العرق من على شفتها. " أحم. أريد التصريح بما يلي: أقمت علاقةً مع نِك دون من نيسان 2011 وحتى شهر تموز من هذه السنة، أي عندما اختفت زوجته آمي دون. كان نِك أستاذي في جامعة قرطاجة الشمالية. نشأت بيننا صداقة، وما لبثت أن تطورت العلاقة إلى ما يتجاوز ذلك " .

توقفت آندي هنا وتنحنحت، وما لبثت امرأة أكبر سناً مني بكثير، والتي كانت واقفةً وراءها، أن ناولتها كوباً من الماء الذي تجرعته بسرعة بينما كان الكوب يهتز في يدها.

" إنني أشعر بخجلٍ عميق لأنني أقمت علاقة مع رجل متزوج. إن هذا الأمر يخالف القيَم التي أؤمن بها. اعتقدتُ فعلاً أن ما شعرت به كان حباً... " بدأت بالبكاء هنا بينما ارتعش صوتها ثم أكملت: " مع نِك دون، وأنه يحبّني. أبلغني بأن علاقته مع زوجته قد انتهت، وأنه سوف يطلّقها في وقتٍ قريب. لكنني لم أعرف بأن آمي دون كانت حاملاً. إنني أتعاون مع رجال الشرطة في التحقيقات التي يجرونها حول اختفاء آمي دون، وأنا سأفعل كل ما في وسعي للمساعدة " .

كان صوتها رقيقاً وطفولياً. رفعتْ عينيها نحو جدار الكاميرات التي انتصبت أمامها فبدت مصدومة، ونظرت إلى الأسفل. ظهرت دائرتان حمراوان حول خدّيها.

بدأت بالتنهد: " أنا... أنا " أما والدتها - لا بد وأن تلك المرأة هي والدتها لأنهما تتشاركان في العيون الواسعة - فقد وضعت ذراعها فوق كتفها. تابعت آندي القراءة: " أنني آسفة جداً وأشعر بخجلٍ كبير لما فعلته. أريد أن أعتذر لأسرة آمي على الدور الذي قمتُ به وسبب لها الألم. إنني أتعاون مع رجال الشرطة في التحقيق. أوه، سبق لي أن قلتُ ذلك " .

أطلقت آندي ابتسامة صغيرة وخجولة، وما لبث رجال الصحافة أن ضحكوا تشجيعاً لها.

قال المرأة ذات الشعر الأشقر: " يا للصغيرة المسكينة " .

إنها ساقطة صغيرة، وهي لا تستحق الشفقة. لا أصدّق أن أحداً يجب أن يشفق عليها. إنني أرفض تصديق ذلك حرفياً.

تابعت آندي: " إنني طالبة في الثالثة والعشرين من عمري، ولا أطلب سوى حصولي على بعض الخصوصية كي أتجاوز هذه الأوقات المؤلمة جداً " .

" أتمنى لكِ حظاً طيباً " ، تمتمتُ بينما كانت آندي تبتعد وكان أحد رجال الشرطة يرفض الإجابة عن أي سؤال بينما كانا يبتعدان عن الكاميرا. انتبهتُ بعد ذلك إلى أنني أنحني نحو اليسار وكأنني أتبعها.

قالت المرأة الأكبر سناً: " يا للمسكينة الوديعة التي بدت مرتعبةً جداً " .

" أعتقد بأنه كان على علاقةٍ فعلية معها " .

" كانا على علاقة على مدى سنةٍ من الزمن " .

" يا للعار " .

وكزني ديزي واتسعت حدقتا عينيه وكأنه يسألني: هل كنت أعرف بهذه العلاقة؟ هل أنا على ما يرام؟ كان وجهي قناعاً من الغضب - يا للمسكينة الوديعة، هذه الحمقاء. لكن كان بإمكاني التظاهر بهذا بسبب هذه الخيانة. أومأتُ، وابتسمت ابتسامة خافتة. كنا على وشك المغادرة عندما رأيت والديّ وهما يمسكان أيدي بعضهما بعضاً بطبيعة الحال، وكانا يصعدان نحو منصة الميكروفون أحدهما خلف الآخر. بدت والدتي وكأنها قصّت شعرها لتوها. تساءلت ما إذا كان يجدر بي الانزعاج لأنها خصصت وقتاً في فترة اختفائي هذه لتجميل نفسها. أما عندما يموت أحدهم ويفعل أقاربه الأمر ذاته فإننا نسمعهم وهم يقولون كان فلان الفلاني يريد ذلك. لكنني لا أريد ذلك.

تكلمت والدتي فقالت: " سيكون تصريحنا مختصراً، ولن نجيب عن أي أسئلة بعده. أولاً، أشكركم على عواطفكم التي أظهرتموها تجاه أسرتنا. يبدو أن العالم بأسره يحب آمي كما نفعل نحن. آمي: إننا نفتقد صوتك الدافئ ومرحك الذي ينضح بالطيبة، وبديهتك السريعة، وطيبتك الغامرة. إنكِ رائعةٌ بالفعل. سنعيدك إلى أسرتنا، وأنا أعرف بأننا سنفعل ذلك. ثانياً، لم نكن نعرف حتى هذا الصباح بأن صهرنا، نِك دون، كان متورطاً في علاقة غرامية. كان منذ بداية هذا الكابوس أقل اكتراثاً، وأقل اهتماماً، وأقل قلقاً مما ينبغي له أن يكون. اعتقدنا أن كل ذلك كان نتيجة الصدمة التي تعرّض لها. لكن مع هذه المعلومات الجديدة فإن اعتقادنا قد تغيّر. إننا نسحب مساندتنا التي قدّمناها إلى نِك تبعاً لهذه المعلومات الجديدة. إننا نأمل مع تقدّم التحقيقات أن تعود آمي إلينا. يتعيّن أن تستمر قصتها لأن العالم بأسره جاهزٌ لقراءة فصلٍ جديدٍ عنها " .

سمعت أحدهم وهو يقول آمين.

نِك دون

بعد مرور عشرة أيام

انتهى العرض التلفزيوني واختفت آندي ومعها آل إليوت عن الشاشة. أطفأ المنتج الذي يعمل مع شارون جهاز التلفزيون بعد إشارةٍ منها. كان جميع الحاضرين في الغرفة يتطلعون نحوي منتظرين سماع تفسيرٍ ما من الرجل الواقف في وسط الغرفة. وجّهت شارون نحوي ابتسامة تشجيعية كبيرة، لكنها كانت ابتسامة غاضبة أجهدت البوتوكس في شفتيها، لكن وجهها تجعّد في الأماكن غير المناسبة.

قالت بصوتٍ هادئ ومؤثر: " حسناً؟ ماذا كان ذلك؟ " .

تدخل تانر هنا. " كانت هذه هي المفاجأة المذهلة. كان نِك، وما زال، مستعداً بالكامل لكشف تصرفاته ومناقشتها. إنني آسف بشأن التوقيت، لكني أعتقد أن هذا أفضل لك، بطريقةٍ ما يا شارون. يمكنك تلقي أول رد فعلٍ من نِك " . قالت شارون: " يجدر بك أن تقول شيئاً هاماً يا نِك " . أضافت من دون أن توجّه كلامها إلى شخصٍ معيّن: " أحضروا له ميكروفوناً. سنبدأ الآن " .

تبيّن لي بأن شارون شايبر تعشقني. سمعتُ عندما كنتُ في نيويورك شائعات بأنها خانت زوجها ثم عادت إليه، وكانت تلك قصة سرت مكتومة داخل الأوساط الصحفية. حدث ذلك منذ نحو عشر سنوات، لكني أعتقد بأن الدافع نحو المسامحة ما زال موجوداً عندها. كان الأمر كذلك بالفعل عندما ابتسمتْ، ودلّلَت، وتملقت، وداعبت. زمّت شايبر شفتيها الممتلئتين والملتمعتين نحوي بصدقٍ عميق - رأيت يداً مذعنةً تحت ذقنها - وطرحت عليّ أسئلتها الصعبة. لكني تمكنت، للمرة الأولى، من الإجابة عنها بالطريقة المناسبة. إنني لست كاذباً من الطراز الرفيع والمُبهر الذي تنتمي إليه آمي، لكني لا أكون مقصراً عندما أضطر إلى ذلك. يدل مظهري الآن على الزوج الذي يحب زوجته، والذي يخجل من خيانته لها مع استعداده ليكون زوجاً مستقيماً. كنتُ متوتراً وعجزتُ عن النوم في الليلة الماضية، لذلك لجأتُ إلى شبكة الإنترنت وشاهدتُ هوغ غرانت في لينو العام 1995 ، وكان يعتذر للأمة بسبب علاقته مع إحدى الساقطات. كان الرجل يتمتم، ويتلعثم، ويرتبك وكأن جلده أصغر بمقياسين من مقياسه الصحيح. لكنه لم يقدّم أعذاراً: " أعتقد أن المرء يعرف في هذه الحياة الأشياء الصائبة التي ينبغي

عليه القيام بها، والأعمال السيئة التي ينبغي عليه تجنبها، لكني قمتُ بعملٍ سيئ... والباقي تعرفونه " . اللعنة، كان الرجل صالحاً، وبدا وديعاً، ومتوتراً، ومرتعشاً بحيث يرغب المرء بالإمساك بيده ليقول له، ليس الأمر بتلك الأهمية يا صاحبي، ولا داعي لتضرب نفسك. هذا هو التأثير الذي أتمناه لنفسي. شاهدت ذلك الشريط مراتٍ عدة إلى أن وصل بي الأمر إلى حد استعارة اللهجة البريطانية.

كنتُ المثل الأقصى للرجل المخادع: الزوج الذي أصرّت آمي على القول إنه لا يستطيع الاعتذار، لكني تمكنت من الاعتذار أخيراً مستخدماً الكلمات والمشاعر المستعارة من أحد الممثلين.

لكن الأمر نجح هكذا. شارون، فعلتُ أمراً سيئاً، وهو أمرٌ لا يُسامح عليه. لا يمكنني تقديم أي أعذار عن ذلك الأمر. خذلتُ نفسي - لم أفكر بنفسي أبداً كمخادع. إنه أمرٌ لا عذر له، ولا يُسامح عليه، وكل ما أريده هو عودة آمي إلى المنزل بحيث أتمكن من قضاء ما تبقى لي من حياة في التعويض لها، وفي معاملتها بالطريقة التي تستحقها.

أوه. إنني بالتأكيد أحب أن أعاملها بالطريقة التي تستحقها.

لكن ما أريد قوله لك يا شارون: لم أقتل آمي. إنني لا أؤذيها على الإطلاق. أعتقد أن ما يحدث هنا هو ما أطلق عليه [على سبيل الدعابة] في ذهني، تأثير إلين آبوت، وهو النوع المخجل وغير المسؤول من الإعلام. تعودنا كثيراً على رؤية هذه الجرائم بحق النساء، والتي تعدّ بهدف التسلية، وهو أمرٌ يدعو للاستياء. لكن، هل نستطيع تقرير من هو المذنب في هذه العروض؟ إنه الزوج على الدوام. أعتقد كذلك أن الجمهور، ورجال الشرطة إلى حدٍّ ما مدفوعون إلى الاعتقاد بأن الأمر كذلك على الدوام. تم الافتراض منذ البداية، وعملياً بأنني قتلتُ زوجتي - لأن ذلك هو القصة التي نتلقاها مرةً بعد مرة - لكن ذلك خاطئ كلياً، وخاطئ أخلاقياً. لم أقتل زوجتي. أريدها أن تعود إلى المنزل.

أعرف أن شارون تنتظر فرصةً لتصوير إلين آبوت على أنها ساقطة شهوانية من الطراز الأول. إنني أعرف شارون، تلك المحترفة الصحافية على مدى عشرين عاماً، وكذلك مقابلاتها مع عرفات وساركوزي وأوباما، ستشعر بالإهانة لمجرد وجود إلين آبوت. إنني (أو كنتُ) صحافياً، وأنا أعرف التقليد المتبع، وهكذا عندما قلت تلك الكلمات - تأثير إلين آبوت - لاحظت فمَ شارون المرتعش، وحاجبَيها المرفوعَين، وطلعتها المضيئة. كان ذلك هو المظهر المعتاد عندما يدرك المرء التالي: لقد حصلت على الزاوية التي أريدها.

أمسكت شارون كلتا يدَي مع نهاية المقابلة، وكانت يداها باردتين وقاسيتين، وسبق لي أن قرأت بأنها لاعبة غولف متحمسة، ثم تمنّت لي حظاً طيباً. قالت: " سأبقيك تحت رقابتي يا صديقي " . طبعت شارون قبلةً على خد جو بعد ذلك. سارت شارون مبتعدة عنا ـ ولاحظتُ أن القسم الخلفي من فستانها كان ميداناً لدبابيس التثبيت التي تهدف إلى منع قماش الفستان في المقدمة من التهدّل.

أعلنت جو عندما توجهت إلى الباب: " فعلتَ ذلك بطريقةٍ متقنةٍ تماماً. تبدو مختلفاً كلياً عن الماضي. تبدو مسيطراً على الوضع من دون أن تكون مزهواً، حتى أن فكّك يبدو أقل... بروزاً " .

" أصلحتُ الموقف " .

" أجل، أوشكتَ على ذلك. أراك في المنزل " . لكنها لكمتني بتودد على كتفي.

أتبعتُ مقابلة شارون شايبر بأمرين عاجلين - الأمر الأول برقية، وكان الآخر على شبكة الإنترنت. ستُذاع المقابلة مع شايبر غداً، وسرعان ما ستتبعها مقابلات أخرى مع قدرٍ كبيرٍ من الاعتذارات وتبكيت الضمير. تحولتُ الآن إلى سيّد الموقف، لكن لم يعد بمقدوري لعب دور الزوج الذي يُحتمل أن يكون مذنباً، أو الزوج المعزول عاطفياً، والزوج المخادع الخالي من المشاعر. كنتُ أنا الزوج الذي يعرفه الجميع - أي إنني كنتُ الرجل الذي كانه عددٌ كبير من الرجال (والنساء): مارستُ الخداع، وأشعر بالمهانة، وأنا مستعد للقيام بما يلزم لإصلاح الوضع لأنني رجلٌ حقيقي.

أعلن تانر بينما كنا نستعد للمغادرة: " إننا في وضعٍ مريح. أعتقد أن مغامرتك مع آندي لن تبدو مريعة بالقدر الذي كنا نخشاه، وذلك بفضل المقابلة مع شارون. إن كل ما علينا فعله هو البقاء في المقدمة منذ الآن فصاعداً " .

اتصلت جو. كان صوتها رقيقاً وعالياً.

" حضر رجال الشرطة، وأبرزوا مذكرة تفتيش للمستودع... إنهم في منزل والدي كذلك. إنهم... إنني خائفة " .

كانت جو في المطبخ تدخن سيجارة عند وصولنا. أدركت بعد أن تطلعت إلى منفضة السجائر التي تعود إلى زمن السبعينيات بأنها بدأت في تدخين علبتها الثانية. رأيت فتى بتسريحة شعرٍ قصيرة جالساً بقربها على أحد مقاعد المشرب العالية.

قالت لي: " هذا هو تايلر. نشأ في تينيسي، ويمتلك جواداً يدعى كسترد... " .

قال تايلر: " كستر " .

" كستر لكنه يعاني من حساسية للفستق. لا أعني الحصان لكن تايلر. أوه، وهو يعاني من...، وهي الإصابة ذاتها التي يعاني منها لاعبو كرة القاعدة، لكنه لا يعرف كيف أُصيب بها " . أخذت جو نَفَساً من سيجارتها. لاحظتُ أن عينيها تدمعان قليلاً. " جاء إلى هنا منذ وقتٍ طويل " .

حاول تايلر أن يبدو بمظهرٍ حازم، لكنه انتهى أخيراً إلى التطلع نحو حذائه اللامع.

ظهرت بوني خلف المنزل من خلال الأبواب الزجاجية المنزلقة. قالت: " إنه يومٌ حافلٌ يا رجال. أتمنى يا نِك لو أنك كلّفت نفسك عناء إعلامنا بأنه لديك عشيقة، إذاً لكنتَ وفرت علينا قدراً كبيراً من الوقت " .

قال تانر: " إننا مسرورون لمناقشة ذلك، وكذلك التحدث عن محتويات المستودع، وهما موضوعان كنا على وشك إعلامكم بهما. أقول لكِ بصراحة إنه لو أنكم تكرمتم بإبلاغنا عن آندي، لكنتم وفرتم قدراً كبيراً من الألم عليها. لكنكم فضّلتم عقد المؤتمر الصحافي والحصول على تعاطف الرأي العام. إن وضع تلك الفتاة في هذا الموقف هو أمرٌ يدعو للاستياء " .

قالت بوني: " هذا صحيح. إذاً المستودع. أتريدون أن تأتوا معي جميعاً؟ " أدارت ظهرها لنا وتقدّمتنا فوق الطريق المليئة بأعشاب آخر الصيف إلى المستودع. لاحظت أن كتلة من نسيج العنكبوت عالقة بشعرها وكأنها طرحة عروس. أشارت نحوي بنفاد صبر عندما لاحظت بأنني لا أتبعها. قالت: " هيا، لن أعضّك " .

كان المستودع مضاءً بعدة مصابيح نقالة، وهكذا بدا مخيفاً أكثر من أي وقتٍ مضى.

" متى كانت آخر مرة دخلتَ فيها إلى هنا يا نِك؟ " .

" أتيت إلى هنا منذ وقتٍ قريبٍ جداً، أي عندما قادتني عملية البحث عن الكنز التي أعدّتها زوجتي إلى هذا المكان. لكن هذه ليست أغراضي، وأنا لم ألمس أي شيء... " .

قاطعني تانر هنا: " يمتلك موكّلي وأنا نظرية جديدة مثيرةً جداً " . لكن سرعان ما ضبط تانر اندفاعه. إن الكلام الذي يصلح أن يُقال أمام كاميرات التلفزة يبدو مريعاً وغير مناسب هنا. شعرنا جميعاً برهبة الموقف.

قالت بوني: " أوه، مثيرةً، لكن كيف هي مثيرة؟ " .

" كنا على وشك إبلاغكم... " .

قالت: " حقاً؟ يا للتوقيت المناسب. ابقوا هناك من فضلكم. لاحظت أن الباب معلقٌ بمفصلاته بينما كان قفلٌ مكسور يتدلى جانباً. كان جيلبين في الداخل منهمكاً بأخذ جردة بالأغراض الموجودة.

قال جيلبين وهو يتفحص المقابض المعدنية اللامعة: " ألم تلعب بمضارب الغولف هذه؟ " .

" كل هذه الأغراض ليست لي، كما أنني لم أضع أياً منها هنا " .

قالت بوني فجأةً: " إن هذا أمرٌ يثير الضحك، لأن كل شيء هنا يتوافق مع المشتريات التي حصلتَ عليها بواسطة بطاقات الائتمان التي هي ليست لك بدورها. يبدو هذا، ماذا يمكن أن نسميه، أيمكننا تسميته بكهف رجل؟ أو كهف رجلٍ قيد التحضير، والذي يعود لزوجٍ ينتظر رحيل زوجته إلى الأبد كي يحصل، يا نِك، على بعض أوقات التسلية " . تناولت بوني ثلاثة صناديق كبيرة من الكرتون المقوى ووضعتها أمام أقدامي.

" ما هذه؟ " .

فتحت بوني الصناديق باشمئزاز مستخدمة أطراف أصابعها المغطاة بالقفازات. تواجدت داخل الصناديق عشرات أقراص الفيديو المدمجة الخلاعية، وظهرت أجسادٌ من جميع الألوان والأحجام معروضة على أغطية الأقراص.

قال جيلبين مقهقهاً: " لا بد أن أعطيك إياها يا نِك. أعني أن كل رجل يمتلك احتياجاته... " .

قالت بوني: " يحب الرجال أن يتطلعوا كثيراً. هذا ما كان يقوله لي زوجي السابق على الدوام عندما أمسكه وهو يخونني " .

قال جيلبين: " يحب الرجال التطلع كثيراً، لكن أقول لك يا نِك بأن هذه التفاهات جعلتني أحمرّ خجلاً. جعلتني هذه أشعر بالإثارة قليلاً، أو على الأقل بعضها، علماً بأنني لا أشعر بالإثارة بسهولة كبيرة " . عرض أمامي بعض أقراص الفيديو هذه فبدت وكأنها مجموعة بشعة من أوراق اللعب. كانت معظم العناوين توحي بالعنف يُضاف إلى ذلك سلسلة تدعى إنزال الألم بالساقطة، الجزء الأول وحتى 18 ، وكل واحدة منها تعرض صوراً لنساء يتلوين ألماً، بينما يقوم رجال ضاحكون ومثارون بتعذيبهن.

حوّلت نظري جانباً.

ابتسم جيلبين وقال: " أوه. انظروا كيف شعر بالإحراج " .

لكني لم أردّ عليه لأنني رأيت جو وهي تُنقل إلى القسم الخلفي من سيارة شرطة.

التقينا بعد ساعةٍ من الزمن في مركز الشرطة. نصحني تانر بعدم الذهاب لكني أصرّيت. اعتمدت على كبريائه الذي يناقض كل الأعراف الموروثة، وغرور راعي البقر صاحب الملايين. إننا عازمون على إبلاغ رجال الشرطة بالحقيقة. حان الوقت لذلك.

يمكنني أن أتحمّل إزعاجهم لي، لكن لا يمكنني تحمّل إزعاجهم لشقيقتي.

قال لي: " سأوافق معك على هذا لأنني أعتقد أن إلقاء القبض عليك هو أمرٌ حتمي مهما فعلنا يا نِك " . إذا ما أبلغناهم بأننا على استعداد للكلام، فلربما نتمكن من انتزاع بعض المعلومات التي يمتلكونها ضدّك في هذه القضية. أعني أنهم يحتاجون بغياب الجثة إلى الحصول على اعتراف، وهكذا يريدون إغراقك بالأدلة. يُحتمل أن يعطينا ذلك ما يكفي للبدء في تجهيز دفاعنا " .

قلت: " تعني أن نعطيهم كل شيء، أليس كذلك؟ سنعطيهم كل مفاتيح الألغاز والدمى وآمي " . شعرت بالرعب وبالرغبة في الرحيل. أمكنني تخيّل رجال الشرطة وهم يقومون الآن بإزعاج شقيقتي تحت ضوء مصباح.

قال تانر: " إذا ما تركتَ لي الكلام، وإذا تكلمتُ أنا عن الفخ المنصوب، فلن يستطيعوا استخدام ذلك ضدنا في المحاكمة... أما إذا استخدمنا وسيلتين مختلفتين للدفاع " .

أقلقني كثيراً أن يعتبر محاميّ أن الحقيقة غير قابلة للتصديق تماماً.

التقانا جيلبين عند درج مركز الشرطة حاملاً زجاجة كوك بيديه لغدائه المتأخر. لاحظت ظهره المتعرق عندما استدار كي يتقدمنا. كانت الشمس قد غابت منذ فترة طويلة، لكن الرطوبة بقيت كما هي. حرّك ذراعيه مرة فتحرك قميصه قليلاً، لكنها بقيت ملتصقة بظهره.

قال لنا: " ما زال الجو حاراً. يُفترض أن تزيد الحرارة قريباً " .

كانت بوني تنتظرنا في غرفة الاجتماعات، وهي الغرفة ذاتها التي دخلتها في الليلة الأولى، أي ليلة اختفاء آمي. جمعت شعرها الخفيف بضفيرة على الطريقة الفرنسية، وشبكته خلف رأسها بما بدا تسريحة ملفتة للنظر، كما أنها وضعت أحمر شفاهٍ على فمها. تساءلت ما إذا ما كانت تواعد شخصاً ما. كان وضعها أشبه ما يكون بـ التقيني بعد منتصف الليل.

سألتها وأنا أسحب كرسياً: " ألديكِ أولاد؟ " .

بدت دهشة، لكنها رفعت أحد أصابعها وقالت: " واحد " . لم تقل لي

اسماً، أو عمراً، أو أي شيءٍ آخر. كانت بوني في وضعية العمل الجاد، وهكذا حاولت أن تجعلنا ننتظر.

قال تانر: " أنتِ أولاً. أخبرينا ما لديك " .

قالت بوني: " بالتأكيد. حسناً " . شغّلت جهاز تسجيل وتجاهلت المقدمات التقليدية. " تدّعي يا نِك بأنك لم تشترِ، أو تلمس أي من الأغراض الموجودة في المستودع الذي يقع ضمن أملاك شقيقتك " .

أجاب تانر بدلاً عني: " هذا صحيح " .

" تتواجد بصمات أصابعك يا نِك في كل الأمكنة، وعلى كل غرضٍ موجود في المستودع تقريباً " .

" هذا كذب! لم ألمس شيئاً. لم ألمس أي شيء هناك! لكن في ما عدا هديتي لذكرى زواجنا، وهي التي تركتها آمي في الداخل " .

لمس تانر ذراعي، وقال: هل لك أن تصمت؟

" نِك، تتواجد بصمات أصابعك على أقراص الفيديو الخلاعية، وعلى مضارب الغولف، وعلى عُلب الساعات، وحتى على جهاز التلفزيون " .

أدركت الأمر أخيراً، أي كيف أن آمي كانت تستمتع بهذا: نومي العميق الذي يريحني (لطالما اعتقدت بأنها لو كانت أكثر استرخاء، أي أكثر شبهاً بي، فإن حالة الأرق التي تعاني منها سوف تختفي تماماً) قد تحوّل ضدي. فهمت الآن ما جرى: تركع آمي على ركبتيها، في حين يدفئ شخيري خدّيها، بينما تضغط بطرف إبهامي هنا وهناك، ويجري كل ذلك على مدى أشهر. كان بإمكانها أن تفعل أي شيء معي على ما أعتقد. أتذكّر أنها كانت تحدّق بي في صباح، بعد استيقاظي، وكان النعاس يُطبق شفتيّ. قالت لي: " أتعرف بأنك تنام نوم المُدَانين، أو المخدّرين " . كان كلامها صحيحاً في الحالين، ومن دون أن أعلم شيئاً.

قال جيلبين: " أتريد أن تفسّر لنا وجود بصماتك؟ " .

قال تانر: " أخبرونا ما تبقى لديكم " .

وضعت بوني حافظة أوراقٍ جلديةٍ سميكة على الطاولة لتفصل ما بيننا، وكانت متفحمة على طول أطرافها. " أتعرف ما هذه؟ " .

هززتُ كتفيّ، وهززتُ رأسي.

" إنها مذكرات زوجتك " .

" آه، لا. لم تكتب آمي يومياتها " .

قالت بوني: " فعلت ذلك يا نِك في الواقع. فعلتْ ذلك على مدى سبع سنوات " .

" حسناً " .

شعرتُ بأن أمراً سيئاً على وشك الوقوع. أظهرت زوجتي، مجدداً، بأنها ذكية.

آمي إليوت دون

بعد مرور عشرة أيام

قدنا سيارتي عبر حدود الولاية إلى إلينوي، وقصدنا منطقة مريعة تشتمل على بلدة نهرية منهارةٍ اقتصادياً. أمضينا ساعة من الزمن في تنظيف السيارة ثم تركناها، وتركنا مفاتيح التشغيل في مكانها. أعتقد أنه بإمكاننا أن نطلق على ما فعلناه اسم دائرة العذاب [للسيارة]: شخصان من أركنساس استخدما السيارة من قبلي وكانا مهملَين؛ آمي أوزارك كانت غامضة بكل وضوح؛ وعلى أمل أن يقوم أحد الفقراء في الاستمتاع بها قليلاً بدوره.

قدنا السيارة بعد ذلك في طريق عودتنا إلى ميسوري فوق تلالٍ متموجة إلى أن تمكنت من رؤية بحيرة هانافان الملتمعة بين الأشجار. يحب ديزي اعتبار هذه المنطقة قديمة، أي مثل الساحل الشرقي القديم، وذلك لأن أسرته تقيم في سانت لويس، لكنه مخطئ تماماً. لم يُطلق على بحيرة هانافان هذا الاسم تيمناً بأحد رجال الدولة في القرن التاسع عشر، أو تيّمناً باسم أحد أبطال الحرب الأهلية. إنها، في واقع الأمر، بحيرة خاصة صنعتها الآلات في العام 2002 ، وذلك بفضل جهود أحد مطوّري حقول النفط، ويدعى مايك هانافان، والذي تبيّن بأنه يضطلع بمهمة أخرى وهي التخلّص من النفايات الخطرة بطريقة غير قانونية. أما سكان المنطقة الغاضبون فقد جهدوا للعثور على اسمٍ جديد لبحيرتهم. إنني متأكدة من أن اسم بحيرة كولينغز قد اقتُرح لهذه الغاية.

بقيتُ، لهذا السبب، غير متحمسة، وذلك بالرغم من البحيرة التي خُطّط لها بطريقة جيدة، والتي يستطيع عددٌ قليل ومنتخَب من المواطنين الإبحار فيها من دون زوارق مزودة بمحركات، وبالرغم من وجود منزل ديزي الضخم والذي ينمّ عن الذوق الرفيع. كانت هذه هي المشكلة مع ديزي على الدوام. يمكن للمرء أن يكون من ميسوري أو لا يكون، لكن لا يجب أن يتظاهر بأن بحيرة كولينغز هي بحيرة كومو.

استند إلى سيارته الجاغوار، ووجّه نظره عالياً نحو المنزل بحيث أتمكن بدوري من التوقف قليلاً لتفحصّه.

قال لي: " صمّمنا هذا المنزل بحسب إحدى الشاليهات السويسرية الصغيرة، والتي مكثت فيها برفقة والدتي عندما كنا في برييزيسي. إن ما نفتقده هو سلسلة الجبال " .

فكّرت في نفسي إن ما ينقص المنزل كبيرٌ جداً، لكني وضعت يدي

على ذراعه وقلت: " أرِني المنزل من الداخل. لا بد وأن يكون فخماً جداً " .

قام ديزي بدور المرشد السياحي ضاحكاً لفكرة السنتات الخمس التي عرضتها عليه. رأيت مطبخاً فخماً يتألف كله من الغرانيت والكروم، وغرفة معيشة تمتلك مدفأتين منفصلتين والتي تؤدي إلى فسحةٍ خارجية (أي ما يُطلق عليه سكان الغرب الأوسط اسم الشرفة) تطل على الغابات المحيطة والبحيرة. توجد كذلك غرفة في الطابق السفلي مخصّصة للتسلية وتحتوي على طاولة سنوكر، ولوحة نبلات، ونظام صوت، ومشربٍ منزلي، كما تمتلك الغرفة شرفتها الخارجية الخاصة بها (أو ما يطلق عليه سكان الغرب الأوسط اسم الشرفة الأخرى). يتواجد كذلك بالقرب من غرفة التسلية حمام ساونا، وإلى جانبه قبو للنبيذ. أما في الطابق العلوي فيوجد خمس غرف نوم، وقال لي إنه خصّص لي الغرفة الثانية الكبرى.

قال لي: " أعدت طلاء هذه الغرفة. أعرف بأنك تحبين اللون الزهري الفاتح " .

لم أعد أحب اللون الزهري الفاتح. كنت أحبّه عندما كنت في مرحلة الدراسة الثانوية. قلت بصوت نابع من القلب: " أنت رائع يا ديزي. شكراً لك " . أعرف أن كلمات الشكر التي تصدر عني مصطنعة. إنني لا أتلفظ بها في العادة. يفعل الناس عادةً ما هو مطلوب منهم، ثم ينتظرون منك أن تغرقهم بكلمات التقدير - يشبهون بذلك موظفي اللبن المثلج الذين يمسكون بأيديهم أكواب جمع البقشيش.

لكن ديزي يستقبل كلمات الشكر، وكأنه هرة تستمتع بتنظيفها، ويكاد ظهره يتقوّس من فرط البهجة. لكن المناسبة الآن تستأهل الشكر.

وضعت حقيبتي في غرفتي وحاولت أخذ استراحة لهذا المساء. كنت بحاجةٍ لمعرفة ردّ فعل الناس على اعتراف آندي، وما إذا كانت الشرطة ألقت القبض على نِك - لكن يبدو أن حاجتي لتقديم الشكر لم تنتهِ بعد. يريد ديزي التأكد من أنني سأظل مدينة له إلى الأبد. أطلق نحوي سلسلة من الابتسامات المفاجئة، كما أمسك بيدي (لدي شيء آخر أريدك أن تريه)، وما لبث أن أعادني إلى الطابق السفلي (أتمنى بالفعل أن تعجبكِ هذه) وأدخلني إلى ردهة خارج المطبخ (استغرقت قدراً كبيراً من العمل، لكنها تليق به).

قال لي مجدداً عندما فتح الباب: " أتمنى فعلاً أن تعجبكِ هذه " .

عرفت على الفور بأنني دخلتُ إلى بيتٍ زجاجي لزراعة النباتات.

رأيت نبات التوليب، ومئاتٍ منها وبجميع الألوان. تزهر التوليب في منتصف شهر أيار في منزل ديزي القائم على البحيرة. توجد فتاة شديدة الخصوصية في غرفتهم الخاصة.

قال ديزي: " أعرف بأنك تفضلين التوليب، لكن موسمها قصيرٌ جداً. حللتُ هذه المشكلة لأجلك، وهكذا سوف تزهر طيلة أيام السنة " .

وضع يده حول خصري ووجّهني نحو الأزهار بحيث يمكنني أن أتفحصها بالكامل.

قلت محاولةً إضفاء بعض الوميض إلى عينيّ: " التوليب طيلة أيام السنة " . كانت التوليب أزهاري المفضلة أيام الدراسة الثانوية. كان الجميع يفضّلون أزهار التوليب، أي إنها كانت أقحوان الجيربيرا التي راجت في أواخر أعوام الثمانينيات من القرن الماضي. تحوّل إعجابي الآن إلى الأوركيديا، وهي أساساً على النقيض تماماً من التوليب.

همس ديزي في أذني بينما كانت أزهار التوليب تتمايل تحت الرذاذ المتساقط آلياً من الأعلى: " هل فكّر نِك ذات مرة بشيء مثل هذا لأجلك؟ " .

قلت بصدق: " لا يتذكر نِك أبداً بأنني أحب التوليب " .

كانت هذه البادرة حلوة إلى أبعد الحدود. إنها غرفة أزهاري الخاصة بي، وكأنني في قصة خرافية. لكني أشعر مع ذلك ببعض التوتر: لم أتصل بديزي إلا منذ أربع وعشرين ساعة، وهذه ليست نباتات مزروعة حديثاً، كما أن رائحة الطلاء الجديد لا تفوح من غرفة النوم. جعلني كل ذلك أتساءل: الزيادة في رسائله خلال السنة الماضية، ولهجة التودد التي تنضح بها... منذ متى وهو يخطط لإحضاري إلى هنا؟ وكم من الوقت يعتقد بأنني سوف أمكث هنا. أيعتقد بأنني سوف أبقى للتمتع بالتوليب التي تزهر في كل يوم على مدار السنة.

قلت: " يا إلهي. ديزي، يشبه ذلك قصة خرافية " .

قال لي: " إنها قصّتك الخرافية. أريدك أن تتعرفي على ما يمكن أن تكون عليه الحياة " .

يتواجد الذهب على الدوام في القصص الخرافية. انتظرته حتى يعطيني كدسة من المال، أو بطاقة ائتمانٍ رقيقة، أو أي شيء يمكنني استخدامه. قمنا بجولاتٍ عديدة في أرجاء المنزل وحوله بحيث أمكنني إطلاق أصوات آه، وأوه، حول التفاصيل التي فاتتني في المرة الأولى، ثم عدنا إلى غرفة نومي. تمتلئ الغرفة بمفارش الحرير والساتان وبالألوان الزهرية الفاخرة، وبكل

الألوان التي تميّز غرف الفتيات. تطلعت من خلال النافذة فلاحظت الجدار العالي الذي يحيط بالمنزل.

قلت بصوتٍ يشوبه التوتر: " ديزي. أيمكنك إعطائي بعض المال؟ " .

تظاهر بأنه فوجئ بطلبي هذا، وقال لي: " لم تعودي الآن بحاجةٍ إلى المال، أليس كذلك؟ لا يُطلب منك دفع إيجارٍ هنا، كما أن المنزل سوف يزوّد بالأطعمة. يمكنني كذلك أن أجلب لك الثياب. أريدك أن تكوني أنيقة على الدوام " .

" أعتقد بأنني سأشعر بالتحسّن إذا ما امتلكتُ بعض المال. أعني إذا حدث شيء ما، أو إذا ما اضطررت إلى مغادرة المكان بسرعة " .

فتح محفظته وتناول منها ورقتين من فئة عشرين دولاراً، ودسّها بلطفٍ في يدي. قال بلهجةٍ متسامحة: " خذي " .

تساءلت ما إذا كنت قد ارتكبت غلطةً كبيرة جداً.

نِك دون

بعد مرور عشرة أيام

ارتكبتُ غلطة لأنني أشعر بالزهو. ما هذه اليوميات بحق السماء، وهي التي قد تدمرني. أمكنني، سلفاً، رؤية غلاف رواية تتحدث عن جريمة حقيقية: صورة زفافنا بالأبيض والأسود، والخلفية الحمراء بلون الدماء، والنصّ المكتوب على الغلاف: بما في ذلك ست عشرة صفحة من الصور التي لم يسبق رؤيتها من قبل، واليوميات الحقيقية لآمي إليوت دون - الصوت من وراء القبر. سبق لي أن رأيت الكتب التي تُدخل السرور على قلب آمي، والتي تتحدث عن جرائم وقعت فعلاً، وهي الكتب التي اكتشفتها في منزلنا هنا وهناك. اعتقدتُ في ذلك الوقت بأنها كانت تريد أن تتسلى قليلاً، وأن تمنح نفسها بعض الوقت للاسترخاء بالقراءة.

كلا. كانت تدرس خطتها في واقع الأمر.

سحب جيلبين كرسياً وجلس عليه في وضعٍ معكوس، ثم انحنى نحوي قليلاً مكتوف اليدين. كان مظهره يشبه منظر رجال الشرطة الذين يظهرون في الأفلام. اقترب الوقت من منتصف الليل، أي إن الوقت تأخر كثيراً.

قال لي: " أخبرنا عن مرض زوجتك في هذه الأشهر القلية الماضية " .

" مرض؟ آمي لم تمرض أبداً. يُحتمل بأنها كانت تصاب بالرشح مرةً في السنة " .

تناولت بوني الكتاب وانتقلت إلى صفحة سبق لها أن أشارت إليها. " حضّرتَ في الشهر الماضي بعض الشراب لك ولآمي، وجلستم على شرفة منزلكم الخلفية. كتبت هنا بأن الشراب كان حلواً إلى درجةٍ غير معقولة، كما وصفت ما تعتقد بأنه ردة فعلٍ للحساسية: تزايدت نبضات قلبي، كما أن لساني كان لزجاً وعالقاً في قعر فمي. شعرت بتصلبٍ في ساقيّ بينما كان نِك يصعد الدرج " . وضعت بوني إصبعها على المكان الذي وصلت إليه في صفحة اليوميات، ورفعت نظرها لتعرف ما إذا كنت أصغي إليها. " كتبت عندما استيقظتْ في صباح اليوم التالي: أشعر بصداعٍ في رأسي وبتوترٍ في معدتي، لكن الأغرب من هذا كله هو لون أظافري الذي تحوّل إلى الأزرق الفاتح. لكن، عندما تطلعت في المرآة لاحظت أن شفتيّ أخذتا اللون ذاته. يُضاف إلى ذلك أنني لم أتمكن من التبوّل لفترة يومين، وشعرتُ بضعفٍ شديد " .

هززتُ رأسي استياءً، لأنني تعلقتُ كثيراً ببوني، وهكذا فإنني لم أتوقع

سوى الأفضل منها.

أدارت بوني رأسها نحوي فرأيت الحبر الأسود الداكن وخط آمي المتصل، والمتكسر وكأنه الخط البياني لمؤشّر الحمى. قالت: " أليس هذا خطّ يد بوني.

" أجل، أعتقد ذلك " .

" هذا هو رأي خبير الخط المعتمد لدينا " .

قالت بوني هذه الكلمات بلهجة متفاخرة، فأدركت ما يلي: " هذه هي القضية الأولى التي استدعت من هذين الشرطيين الاستعانة بخبراء من الخارج بحيث تطلبت التواصل مع خبراء محترفين يقومون بأعمال رائعة مثل تحليل الخطوط.

" أتعرف ما علمناه كذلك يا نِك عندما عرضنا صفحة اليومية هذه على خبيرنا الطبي؟ " .

قلت بسرعة: " التسمم " . عبس تانر في وجهي بما معناه، اهدأ قليلاً.

تمتمت بوني على مدى لحظةٍ من الزمن لأن هذه لم تكن المعلومات التي يُفترض بي تقديمها.

" أجل يا نِك. شكراً لك: إنه تسممٌ بسائل منع الجليد. هذا مفهوم جداً. إنها محظوظة لأنها نجت " .

قلت: " لم تنجُ، لأن ذلك لم يحدث أبداً، وكما قلتِ إن ذلك موجود في النصوص، وهو مأخوذٌ من البحث في شبكة الإنترنت " .

عبست بوني لكنها لم تتقبّل كلامي. " لا ترسم اليوميات صورة مشرقة عنك يا نِك " . وضعت إصبعها على الصفحة كي تتابع قصتها: " الإساءة - لقد عاملتها بقسوة. الضغط - كنتَ سريعاً في إظهار غضبك، والعلاقات الجنسية التي وصلت إلى حد الاغتصاب. كانت خائفةً جداً منك في النهاية إلى حد أن متابعة القراءة تؤلمني. تقول آمي عن البندقية التي نتساءل عنها إنها أرادت شراءها لأنها خائفةٌ منك. كتبت في آخر صفحة يومية لها: هذا الرجل قد يقتلني. هذا الرجل قد يقتلني، وهذه هي كلماتها هي " .

شعرت باختناقٍ في حنجرتي. أحسست كذلك بأنني على وشك التقيؤ. شعرت بالخوف أكثر من أي شيء آخر، لكنني شعرت بعد ذلك بالغيظ. يا للساقطة اللعينة، الساقطة اللعينة والفاجرة إلى أبعد الحدود.

قلت: " يا للملاحظة الذكية والمناسِبة التي انتهت إليها " . وضع تانر يده على يدي كي يُسكتني.

قالت بوني: " يبدو وكأنك تريد قتلها مجدداً، والآن " .

قال جيلبين: " لم تفعل أي شيء غير الكذب علينا يا نِك. قلتَ لنا بأنك كنتَ على الشاطئ في ذلك الصباح، لكن جميع الذين تحدثنا معهم قالوا بأنك تكره الشاطئ. تقول كذلك بأنه ليس لديك أدنى فكرة عن المشتريات التي ابتيعت بواسطة بطاقات ائتمان وصلت إلى حدّها الأقصى، ولدينا الآن مستودع مليء بهذه المشتريات، وكلها تحمل بصماتك عليها. يتواجد لدينا زوجة تعاني مما يبدو تسمماً بمادة مانعة للجليد، وذلك قبل أسابيع قليلة من اختفائها. أعني، هيا يا رجل " . توقف قليلاً ليرى تأثير كلامه عليّ.

سأل تانر: " أيوجد أي شيء آخر ذي أهمية؟ " .

قالت بوني: " يمكننا أن نأخذك إلى هنيبعل حيث ظهرت محفظة زوجتك بعد أيامٍ قليلة من اختفائها. قال أحد الجيران بأنه سمعكما أنتما الاثنين وأنتما تتجادلان في الليلة التي سبقت اختفاءها. قال الرجل إن الشجار دار حول حَملٍ لم ترغب به أنت، وحول حانةٍ افتتحتها بأموال زوجتك، والتي ستعود إليها في حال الطلاق. يُضاف إلى ذلك، بطبيعة الحال، عشيقةً سرية لمدةٍ تزيد عن السنة " .

قال جيلبين: " يمكننا مساعدتك الآن، وعلى الفور، أما عندما نلقي القبض عليك فلن يكون بإمكاننا مساعدتك " .

سأل تانر: " أين عثرتم على دفتر اليوميات؟ هل كان في منزل والد نِك؟ " .

قالت بوني: " أجل " .

أومأ تانر نحوي: هذا ما لم نجده. " دعيني أخمّن: اتصل شخصٌ مجهولٌ بكما " .

لم يتكلم أحد من الشرطيّين.

سألتُ: " أيمكنني أن أسأل في أي مكانٍ في المنزل بالضبط عثرتم عليها؟ " .

قال جيلبين: " عثرنا عليها في الفرن. أعرف بأنك اعتقدتَ بأنك أحرقتها. بدأت النار تشتعل فيها، لكنها كانت خفيفة جداً ولذلك اختنقت النار، أي إن الأطراف الخارجية منها هي التي احترقت فقط، لحسن حظّنا " .

الفرن، لا بد وأنه مزحة أخرى من إعداد آمي! كانت آمي تُبدي الدهشة على الدوام عن مدى قلة فهمي للأمور التي يُفترض أن يفهمها الرجال. سبق لي عندما فتشت منزل والدي أن تطلعت إلى فرن والدي

القديم، ورأيت أنابيبه وأسلاكه والسدادات وما لبثت أن تراجعت مذعوراً.

قلتُ: " لم تكن هناك. أراد أحدهم أن تعثروا عليها " .

رسمت بوني ابتسامة على الجهة اليسرى من فمها. استرخت إلى الوراء، وانتظرت وكأنها نجمة إعلانٍ تلفزيوني عن الشاي المثلّج. أومأت نحو تانر إيماءة غاضبة بما معناه: حان دورك الآن.

قال تانر: " آمي إليوت دون حيّة، وهي توقِع نِك دون في فخ جريمة قتلها " . شبكتُ يديّ ونهضت منتصباً، وحاولت أن أفعل أي شيء يعطيني بعض المنطق. حدّقت بوني بي، لكنني احتجتُ إلى غليون، ونظارة، كي أنزعها من أجل إحداث التأثير، كما احتجتُ إلى مجموعة من الموسوعات لتكون تحت تصرفي. شعرت بنوعٍ من الحبور، لكنني أمرتُ نفسي بعدم الضحك.

عبست بوني: " ماذا يعني ذلك مجدداً؟ " .

كرّر وكيلي: " آمي حيّة وبصحة جيدة، وهي تعدّ فخاً لتوقع نِك به " .

تبادل الشرطيان نظرة، ثم انحنيا على الطاولة: أيمكنك تصديق هذا الرجل؟

سأل جيلبين وهو يفرك عينيه: " ولماذا تفعلُ ذلك؟ " .

" لأنها تكرهه. هذا واضحٌ جداً. كان زوجاً مريعاً جداً " .

تطلعت بوني نحو الأسفل، وأطلقت زفرة عميقة. " إنني بالتأكيد أتفق معك في هذه النقطة " .

قال جيلبين في الوقت ذاته: " أوه، بحق السماء " .

قالت بوني بعد أن انحنت قليلاً: " هل هي مجنونة يا نِك؟ إن ما تقوله هو نوعٌ من الجنون. أتسمعني؟ كان الأمر سيستغرق ستة أشهرٍ، أو سنة، لإعداد كل هذا. كان من المفترض أن تكرهك وأن تتمنى أذيتك - الأذى الأقصى والجاد والمرعب - طيلة سنة كاملة. أتعرف كم هو من الصعب المحافظة على ذلك النوع من الحقد لهذه المدة الطويلة؟ " .

إنها تقدر على ذلك. آمي قادرةٌ على ذلك.

قالت بوني: " لماذا لم تقنع بطلب الطلاق منك؟ " .

أجبت بينما تطلع بي تانر مجدداً: " لأن الطلاق لا يكفيها... إنها تريد الإحساس بتحقيق العدالة " .

قال جيلبين: " بحق السماء يا نِك، ألم تتعب من كل ذلك؟ لقد رأينا كلمات زوجتك: أعتقد بأنه سوف يقتلني " .

قال لهما أحدهم في مرحلةٍ ما: استخدِما اسم المشتبه به كثيراً لأن ذلك يُشعره بالارتياح، وبأنه شخصٌ معروف. إنها الفكرة ذاتها كما في المبيعات.

سألت بوني: " هل حضرتَ إلى منزل والدك مؤخراً يا نِك؟ وعلى الأخص في التاسع من تموز؟ " .

اللعنة. هذا هو السبب الذي غيّرت آمي لأجله رموز جهاز الإنذار. اجتاحتني موجة أخرى من الاستياء تجاه آمي التي تلاعبت بي مرتين. لم يقتصر الأمر فقط على خداعي وإقناعي بأنها تحبني، بل أجبرتني على توريط نفسي. يا للفتاة الشريرة. أحسستُ برغبةٍ في الضحك، لكن يا الله كم أكرهها، لكن المرء مجبرٌ على الإعجاب بتلك الساقطة.

قال تانر: " استخدمت آمي مفاتيح ألغازها لإجبار موكّلي على الذهاب إلى أماكن مختلفة حيث تركت الأدلة - هنيبعل حيث يوجد منزل والده - بحيث يدينُ نفسه. أحضرت أنا وموكلي مفاتيح الألغاز. إننا نقدمّها إليكم بكل احترام " .

تناول تانر الرسائل التي تحتوي على مفاتيح الألغاز، ورسائل الحب ونشرها أمام الشرطيين وكأنه ينشر أوراق لعب. شعرت بأنني أتعرّق بينما انهمكا في قراءتها، وتمنيت لو أنهما ينظران إلى الأعلى ليقولا لي بأن كل شيء قد توضّح الآن.

سألت بوني بصوتٍ هادئ ومحسوب وكأنها والدة تشعر بالإحباط: " حسناً. هل تقول بأن آمي كرهتكَ كثيراً إلى درجة أنها أمضت أشهراً بأكملها كي تنصب لك فخاً في جريمة مقتلها؟ " .

لم تتغيّر تعابير وجهي.

قالت: " لا توحي هذه بأنها صادرةٌ عن امرأة غاضبة يا نِك. أجهدت نفسها لتعتذر منك، ولتقترح عليك أن تبدآ من جديد، ولكي تقول لك كم تحبك: أنت دافئ - أنت شمسي. أنت لامع، وأنت ذكي " .

" يا لدهاء تلك المرأة " .

قالت بوني: " أقول مجدداً يا نِك بأن هذه هي ردة فعلٍ غريبة صادرة عن رجلٍ بريء. ها نحن الآن نقرأ كلمات في غاية اللطف، ولعلها كانت آخر كلمات زوجتك، وها أنت تبدو غاضباً. إنني أتذكّر تلك الليلة الأولى: آمي مختفية وأنت تأتي إلى هنا. وضعناك في هذه الغرفة بالذات لمدة خمس وأربعين دقيقة، لكن بانت عليك ملامح الضجر. شاهدناك على شاشات المراقبة عندما أوشكتَ على الاستسلام للنوم " .

قال تانر: " لا علاقة لكل هذا بأي شيء... " .

" كنتُ أحاول البقاء هادئاً " .

قالت بوني: " بدوتَ هادئاً، وهادئاً جداً. أعني بأنك تصرفتَ منذ البداية... بطريقةٍ غير مناسبة. كنتَ خالياً من المشاعر ووقحاً " .

" هذه طبيعتي ألا ترين؟ إنني رزين إلى حدٍّ بعيد. تعرف آمي هذا عني... وهي كانت تشتكي منه طوال الوقت. كانت تقول إنني لست متعاطفاً بما يكفي، وإنني أنكمش على نفسي بحيث أعجز عن مواجهة العواطف الصعبة - الحزن والإحساس بالذنب. كانت تعرف بأنني سوف أبدو مشتبهاً به. يا للسماء! تكلّموا مع هيلاري هاندي. هل ستفعلون ذلك؟ تحدثوا مع تومي أوهارا. أنا تكلمت معهما! سيقولان لكما كيف هي " .

قال جيلبين: " سبق لنا أن تكلمنا معهما " .

" وماذا وجدتما؟ " .

" قامت هيلاري هاندي بمحاولتَي انتحار في السنوات التي تلت دراستها الثانوية. أما تومي أوهارا فقد أُدخل مرتين إلى مركز إصلاح " .

" يُحتمل أن ذلك حدث بسبب آمي " .

قالت بوني: " أو لأنهما شخصين مضطربَين بشدة، ويشعران بالذنب. والآن دعونا نعود إلى البحث عن الكنز " .

قرأ جيلبين بصوتٍ عالٍ مفتاح اللغز الثاني بصوتٍ تعمد أن يكون رتيباً.

أتيت بي إلى هنا كي أتمكن من سماع دردشتك

عن مغامرات أيام صباك: الجينز المتغضن وقبعتك المموهة

لا آبه بأي شخصٍ آخر، إنهم غير موجودين بالنسبة إلينا

دعنا نختلس قبلة... ونتظاهر بأننا تزوجنا لتونا.

قالت بوني: " أتقول بأن هذا كُتب بهدف إجبارك على الذهاب إلى هنيبعل؟ " .

أومأت.

قالت: " لم تُذكر هنيبعل في أي مكانٍ هنا، وحتى ليس هناك من إشارةٍ إليها " .

" كانت القبعة المموهة دعابة متبادلة فيما بيننا وتدور حول... " .

قال جيلبين: " أوه، دعابة متبادلة " .

سألت بوني: " وماذا بشأن مفتاح اللغز الثاني، أي المنزل الصغير بنيّ اللون؟ " .

قلت: " أرادت إرسالي إلى منزل والدي " .

بدا وجه بوني صارماً مجدداً: " نِك، منزل والدك أزرق اللون " . التفتت إلى تانر بعينين مقلوبتين بما معناه: أهذا هو ما تريد إعطائي إياه؟

قالت بوني: " يبدو لي أنك تدس " الدعابات الكامنة " في مفاتيح الألغاز هذه. أعني أنك تريد التحدث عما هو مناسب لك: اكتشفنا بأنك كنتَ في هنيبعل، لذلك أردت أن تقول إن هذا المفتاح يعني، سراً، اذهب إلى هنيبعل " .

قال تانر: " توجد هنا الهدية الأخيرة " . سحب الصندوق ووضعه على الطاولة، وتابع: " هذا ليس مفتاحاً في غاية الذكاء. أعني دميتَيْ بانش وجودي. تعرفان بالتأكيد بأن بانش قتَل جودي وطفلها. اكتشف موكلي هذا اللغز، ولذلك أردنا التأكد من حصولكما عليه " .

قلبت بوني الصندوق ووضعت قفازاتٍ في يديها ورفعت الدمى إلى الأعلى، ثم قالت: " إنها ثقيلة، وصلبة " . تفحصت بوني تخريم فستان الدمية التي تمثّل المرأة التي هي نقيض الذكر. رفعت دمية الرجل وتفحصت المقبض الخشبي السميك بأطراف أصابعها.

جمُدت قليلاً وعبست بينما كانت دمية الرجل بين يديها. قلبت بوني بعد ذلك الدمية الأنثى رأساً على عقب بحيث ارتفع قميصها.

" لا تمتلك هذه مقبضاً " . التفتت نحوي وأكملت: " هل كان هناك مقبض؟ " .

" وكيف لي أن أعرف؟ " .

قالت: " أعني مقبضاً بمقياس اثنين إلى أربعة، بحيث يكون سميكاً جداً ومحززاً للسماح بقبضةٍ محكمة؟ أعني مقبضاً، مثل مضربٍ لعين؟ " .

حدّقت بي وأمكنني معرفة ما كانت تفكر به: أنت لاعب، وأنت مضطرب عقلياً. أنت قاتل.

آمي إليوت دون

بعد مرور أحد عشر يوماً

أنا الليلة على موعد مع مقابلة نِك مع شارون شايبر المنتظرة. أعتزم مشاهدة هذه المقابلة مع زجاجة من الشراب ذي النوعية الجيدة، وبعد أخذٍ حمّامٍ ساخن. أعتزم كذلك تسجيل هذه المقابلة، وذلك كي أتمكّن من تدوين أكاذيبه. أريد كذلك تدوين كل مبالغة، وأنصاف الحقائق، وكل أكذوبة، وكل وقاحة تلفظ بها، وذلك كي أُحكم الطوق على غضبي الشديد عليه. خفّ هذا الغضب كثيراً بعد تلك المقابلة - تلك المقابلة العشوائية التي جرت بين مخمورين، وأنا لا أستطيع السماح لهذا أن يحدث. لا أرغب في تخفيف موقفي لأنني لست مغفلة. إنني متشوقة بالرغم من ذلك لسماع أفكاره حول آندي بعد اعترافاتها. جاء دوره الآن.

أريد مشاهدة المقابلة وحيدة، لكن ديزي يحوم حولي طيلة اليوم، وهو يدخل إلى كل غرفة ألجأ إليها ويخرج منها، وكأنه موجة من الطقس السيئ الذي لا فكاك منه. لا يمكن أن أطلب منه أن يغادر لأنني أمكث في منزله. حاولت ذلك مسبقاً ولم أنجح. يقول لي إنه يريد تفحص التمديدات الصحية في الطابق السفلي، أو إنه يريد تفحّص الثلاجة ليعرف الأنواع التي يجب أن تُشترى.

فكّرت في أن هذا الوضع سوف يستمر. ستكون حياتي على هذه الشاكلة. إنه يظهر في أي وقتٍ يريده ويمكث المدة التي يريدها، ويمشي متثاقلاً ويحادثني، ثم ما يلبث أن يجلس ويشير إليّ بالجلوس ليفتح بعد ذلك زجاجة من الشراب، وما نلبث أن نتشارك بوليمة، وليس هناك من طريقة لوقف كل ذلك.

قلت: " إنني متعبة فعلاً " .

ردّ عليّ وهو يشير إلى سرواله: " تساهلي قليلاً مع الرجل الذي يهتم بك " .

يعلم ديزي عن إجراء المقابلة مع نِك، ولذلك فهو يغادر ويعود حاملاً معه كل المأكولات التي أحبّها: جبنة المانشيغو، وحلوى الشوكولا، وكذلك زجاجة باردة من شراب سانسير. جلب ديزي معه كذلك، شرائح خبزٍ وجبنة حارة مقلية، وهي التي كنت أحبها عندما كنتُ آمي أوزارك. سكب لي بعض الشراب، لكن تكوّنت لدينا اتفاقية صامتة تقضي بعدم مناقشة أيّ تفاصيل حول الطفل، وذلك لأن كلانا يعلم كثرة الإجهاض في

أسرتنا، وكيف أنه من المريع بالنسبة لي أن أتحدث عن هذا الموضوع.

قال لي: " يهمني كثيراً سماع ما يقوله ذلك الخنزير " . أعرف أن ديزي نادراً ما يستخدم شتائم معينة، لكنه يستخدم كلمة خنزير وهي كلمة تخرج أكثر سميةً من بين شفتيه.

تناولنا غداءً خفيفاً أعدّه ديزي بنفسه بعد ساعة من الزمن، كما شربنا الشراب الذي أحضره. أعطاني قطعة صغيرة من الجبنة المقلية وبعض حلوى الشوكولا. أعطاني ديزي كذلك عشر قطع من الشرائح المقلية، وما لبث أن أعاد الباقي إلى الكيس. قال لي إنه لا يحب رائحتها لأنها تضايقه، لكنه في الواقع لا يحب وزني الزائد. جلسنا في هذا الوقت جنباً إلى جنب على الأريكة، ووضعنا دثاراً رقيقاً فوقنا، لأن ديزي زاد قوة جهاز مكيّف الهواء بحيث بدا الجو أقرب إلى الخريف منه إلى شهر تموز. أعتقد بأنه فعل ذلك كي يزيد من نشاطه، وكي نضطر إلى أن نجلس جنباً إلى جنب تحت الدثار. بدا لي بأنه يتخيّل صورتنا نحن الاثنين في شهر تشرين الأول. اشترى لي ديزي هدية - هي كنزة ذات لون بنفسجي كي أرتديها - لاحظتُ بأنها تتناسب مع لون الدثار، ولون كنزة ديزي بلونها الأخضر الداكن.

قال ديزي: " أتعرفين شيئاً. دأب الرجال الذين يثيرون الشفقة على إيذاء النساء القويات اللواتي يهدّدن ذكوريتهم. لدى هؤلاء نفسياتٍ هشة. إنهم يحتاجون إلى ممارسة تلك السيطرة... " .

إنني أفكر في نوعٍ آخر من السيطرة. أفكّر في السيطرة التي تختبئ تحت قناع الاهتمام: خذي كنزةً تقيكِ من البرد يا حبيبتي. ارتديها الآن كي تتناسب مع الألوان التي أرتديها.

أعرف أن نِك لا يفعل هذا على الأقل. يدعني نِك أفعل ما أريد.

إن كل ما أريده هو أن يجلس ديزي بهدوء وسكون، لكنه يبدو متململاً ومتوتراً وكأن خصمه موجود في الغرفة معنا.

" صه " . قلت ذلك عندما ظهر وجهي الجميل على الشاشة، ثم ظهرت صورة أخرى، وصورة غيرها فبدت مثل الأوراق المتساقطة، أي مثل عرض صور آمي.

قالت شارون بصوتها الذي يترافق مع عرض الصور: " كانت هي الفتاة التي تتمنى كل فتاةٍ أخرى أن تكون مثلها. جميلة، مشرقة، وملهمة وثرية جداً " .

" كان هو الرجل الذي يُعجب به كل الرجال " .

تمتم ديزي: " لا، ليس هذا الرجل " .

" ... وسيم، ومرِح، ولامع، وساحر " .

" لكن في الخامس من تموز انهار عالمهما الذي بدا نموذجياً، وذلك عندما اختفت آمي إليوت دون في ذكرى زواجهما الخامسة " . توالت الملخصات بعد ذلك، وعُرضت صورٌ تمثّلني أنا، وآندي، ونِك. ظهرت كذلك صورٌ كثيرة عن اختبارات الحمل والفواتير غير المدفوعة. يبدو أنني قمت بعملٍ جيّد. بدا الأمر وكأنني أرسم جدارية، ولا ألبث أن أتراجع قليلاً وأفكّر: يا للدقة المتناهية.

" لكن نِك دون يكسر جدار الصمت لمحطتنا فقط، وهو سيتحدث ليس فقط عن اختفاء زوجته لكن عن عدم إخلاصه وعن كل تلك الشائعات " .

شعرت بميلٍ عاطفي تجاه نِك لأنه كان يضع ربطة العنق المفضلة عندي والتي اشتريتها له، والتي يعتقد أو اعتقد بأن ألوانها اللامعة تليق بالفتيات. أما اللون فهو أرجواني مزركش يحوّل لون عينيه إلى اللون البنفسجي تقريباً. لاحظتُ كذلك أنه تخلص من وزنه الزائد في منطقة بطنه في خلال الشهر الذي انقضى: تلاشى بطنه، كما أن الانتفاخات في وجهه تلاشت بدورها، أما ذقنه فبدت أقل انثلاماً، لكن شعره أصبح أقصر قليلاً، لكن من دون أن يقوم بقصّه. تخيّلت جو وهي تحوم حوله قبل البدء بالتصوير مباشرة، أي إنها تلعب دور ماما مو، فتحوم حوله وتمرّر إبهامها فوق نقطةٍ معينة تقع قرب ذقنه. إنه يضع ربطة العنق التي اخترتها له، لكن عندما رفع ذراعه ليشير إلى شيء ما لاحظت بأنه يضع حول معصمه الساعة التي اشتريتها له بمناسبة عيد ميلاده الثالث والثلاثين، والتي هي من نوع بولفا سبايس فيو، والتي لم يحملها أبداً لأنها لا تتناسب مع شخصيته، وذلك بالرغم من أنها تناسبه تماماً.

قال ديزي بلهجةٍ هجومية: " يدل مظهره المتأنق تماماً على رجلٍ يعتقد بأن زوجته مفقودة. أنا مسرورٌ لأنه لم ينسَ تجميل أظافره " .

قلت وأنا أنظر إلى أظافر ديزي اللامعة: " لا يحب نِك تجميل أظافره " .

قالت شارون: " دعنا ندخل في صلب الموضوع يا نِك. هل لك علاقة مع اختفاء زوجتك؟ " .

قال نِك وهو ينظر إلى شارون مباشرة: " كلا. كلا. إطلاقاً، وأقول كلا مئة بالمئة. لكن دعيني أقول يا شارون بأنني أبعد ما يكون عن الزوج

البريء، وغير المُلام، أو الصالح. كنت سأقول، لولا أنني أخشى على آمي، بأن هذا هو أمرٌ جيّد بطريقة ما، لكن اختفاءها... " .

" اعذرني يا نِك، لكن عدداً كبيراً من الناس سيجدون صعوبةً في تصديق بأنك قلتَ ذلك عندما اختفت زوجتك " .

" إنه أكثر المشاعر رهبةً في العالم، وأنا أريدها أن تعود إلى المنزل بأي ثمن. إن كل ما أريد قوله هو أن هذا الأمر فتح عينيّ على أشياء كثيرة، لكنه كان في غاية الصعوبة بالنسبة إليّ. يكره المرء الاعتقاد بأنه رجلٌ بغيض إلى درجة أن الأمر يستتبع حدوث أمرٍ كهذا لانتزاعه من دوامة الأنانية، ولإيقاظه على واقع بأنه أكثر الرجال حظاً في هذا العالم. أعني بأنه لديّ هذه المرأة التي كانت نظيرتي، والشخص الأفضل، من كل الزوايا، لكني سمحت للأمور التي تقلقني - مثل فقدان وظيفتي، وعدم قدرتي على الاهتمام بأسرتي، والتقدّم في السن - بوضع غشاوةٍ على كل ذلك " .

قال ديزي: " أوه، من فضلك... " لكني قمتُ بإسكاته. إن قيام نِك بالاعتراف أمام العالم أنه ليس بالرجل الصالح يُعتبر موتاً مصغّراً، وليس صيغةً تنويعيةً منه.

" دعيني أقولها يا شارون. دعيني أقولها الآن: لقد خدعتها. قمتُ بالتقليل من احترام زوجتي. لا أريد أن أكون الرجل الذي صرتُ إليه، لكن بدلاً من العمل على إصلاح نفسي اخترت الطريق الأسهل. قمتُ بخيانتها مع شابة صغيرة بالكاد تعرفني. يعني ذلك بأنه أمكنني التظاهر بأنني رجلٌ كبير. أمكنني التظاهر بأنني الرجل الذي أريد أن أكونه - ذكياً وواثقاً وناجحاً - وذلك لأن هذه الشابة لا تعرف عني غير هذه الصفات. لم تَرَني هذه الشابة في منتصف الليل وأنا أبكي في الحمام لأنني فقدتُ وظيفتي. إنها لا تعرف كل عيوبي ومثالبي. كان من الجنون أن أعتقد بأن زوجتي لن تحبّني إن لم أكن مثالياً. أردت أن أكون بطل آمي، لكن عندما فقدتُ وظيفتي خسرتُ معها احترامي لنفسي، لكن لا يمكنني أن أكون بطلاً بعد الآن. إنني أعرف يا شارون الصواب من الخطأ. لكن ما اقترفته كان خطأً " .

" ماذا عساك تقول لزوجتك لو كانت موجودة هنا، وقادرة على أن تراك وتسمعك هذه الليلة؟ " .

" كنتُ سأقول لها: آمي، أنا أحبك. أنتِ أفضل امرأة عرفتها على الإطلاق. إنك أفضل مما أستحق، وإذا عدتِ سوف أمضي ما تبقى لي من

حياة في تعويضك عمّا فات. سنجد طريقة لوضع كل هذا الرعب وراءنا، وسوف أكون أفضل رجلٍ في العالم بالنسبة إليك. أرجوكِ عودي إليّ يا آمي " .

وضع نِك، وللحظةٍ من الزمن، باطن سبابته في وسط ذقنه. كانت هذه علامتنا السرية التي استخدمناه يوم أقسمنا على أن لا نخدع بعضنا بعضاً - بدا الفستان رائعاً حقاً ومتينٌ في ذلك الوقت. إنني مخلصٌ الآن مئة بالمئة - أنا ملكك الآن ولن أخونك.

انحنى ديزي أمامي ليحول بيني وبين الشاشة، ولكي يتناول شراب السانسير. قال لي: " أتريدين المزيد يا حبيبتي؟ " .

" صه " .

أوقف ديزي العرض، وقال: " آمي، إنك امرأة طيبة القلب. أعرف أنك ستضعفين أمام... توسلاته. لكنه يكذب في كل شيء يقوله " .

يقول نِك ما أريد سماعه بالضبط. أخيراً.

دار ديزي حولي بحيث يحدّق في وجهي تماماً، وهكذا منعني من رؤية الشاشة كلياً. " يقوم نِك بالتظاهر فقط. إنه يريد أن يظهر بمظهر الرجل الطيب والتائب. إنني أعترف أنه قام بعملٍ متقنٍ من الدرجة الأولى. لكن مظهره هذا ليس حقيقياً. إنه لم يذكر حتى أنه ضربك وأساء إليك. لا أعرف مدى سيطرة هذا الرجل عليك، لا بد وأنها نوع من أنواع متلازمة ستوكهولم " .

قلت: " أعرف ذلك " . إنني أعرف بالضبط ما يُفترض بي قوله إلى ديزي. " أنت على حق. أنت على حق تماماً. لم أشعر بأنني آمنة منذ وقتٍ طويل يا ديزي، لكني ما زلتُ... أراه، و... إنني أقاوم هذا، لكنه ألحق الأذى بي... على مدى سنوات " .

قال وهو يعبث بشعري ويقترب مني كثيراً: " يُحتمل أنه من الأفضل أن تتوقفي عن المشاهدة " .

قلت: " لا، لا تطفئ الجهاز. يتعيّن عليّ أن أواجه هذا، ومعك أنت. يمكنني أن أفعل ذلك معك " . وضعتُ يدي في يده. والآن توقف عن الكلام.

لا أريد إلا أن تعود آمي إلى المنزل بحيث أتمكن من قضاء ما تبقى من عمري في تعويضها عمّا فات، ومعاملتها بالشكل الذي تستحقه.

سامَحني نِك. آذيتك وآذيتني، لكن دعنا نتصالح. ماذا لو كانت إشارته

حقيقية؟ يريد نِك أن أعود إليه بحيث يتمكن من معاملتي بالطريقة الصحيحة، ومن تمضية ما تبقى من حياته في معاملتي بالطريقة اللائقة. يبدو ذلك معقولاً جداً. يمكننا العودة إلى نيويورك، وعلى الأخص مع الارتفاع الشديد في مبيعات كتب آمي الرائعة، وذلك منذ اختفائي - تذكّرتْ ثلاثة أجيالٍ من القراء أحبّتني كثيراً. سيتمكن هكذا والداي اللذان يتميزان بالجشع، والغباء، وانعدام المسؤولية، من إعادة المال الذي أقرضتهما إياه، ومع الفائدة كذلك.

شعرتُ برغبةٍ في العودة إلى حياتي القديمة، أو إلى حياتي القديمة مع مالي القديم لكن مع نِك الجديد. أريد أن أعود إلى نِك الحب - الشرف - الطاعة. يُحتمل بأنه تعلّم درسه. يُحتمل كذلك أنه سوف يكون كما كان من قبل. كنت مستغرقة في أحلام اليقظة - عندما كنتُ محتجزة في حجرة أوزارك، ومحتجزة في منزل ديزي الواسع، ولذلك امتلكتُ الوقت الكافي لأحلام اليقظة. كنتُ أحلم بنِك في تلك الأيام الماضية. كنت أعتقد بأنني كنت سأحلم بتعرّض نِك للتعذيب في السجن، لكني لم أفعل ذلك كثيراً في المدة الأخيرة. إنني أفكّر في تلك الأيام الماضية عندما كنا نستلقي جنباً إلى جنب في السرير عاريين تماماً فوق المفرش القطني البارد، وكان يكتفي بالتحديق بي، ثم يمرّر إصبعاً فوق فكّي من ذقني صعوداً حتى أذني، وهو الأمر الذي يجعلني أتلوى بسبب الدغدغة في شحمة أذني، وبعد ذلك عبر منحنيات أذني وحتى أعلى صدغي. كان يقوم بعد ذلك بالإمساك بإحدى خصلات شعري، أي كما فعل في المرة الأولى التي تبادلنا فيها القُبَل، ثم يقوم بنقل الخصلة إلى النهاية ويسحبها برفقٍ مرتين. بدا الأمر وكأنه يدق جرساً. كان يقول لي: " أنت أفضل من أي قصةٍ في كتاب، وأنتِ أفضل من أي شيء يُمكن للمرء أن يفعله للتعويض " .

ألقاني نِك أرضاً. أعرف أن نِك ليس ديزي الذي يُحضر لي الأشياء (أزهار التوليب، والشراب) ليجعلني أقوم بالأمور التي يريدها (أن أحبّه). لكن نِك لا يريد إلا أن أكون سعيدة. هذا هو كل شيء، وهو أمرٌ في منتهى الصفاء. يُحتمل أنني أسأت تفسير ذلك على أنه الكسل. لا أريد إلا أن تكوني سعيدة يا آمي. كم من المرات قال لي ذلك، لكني فسّرت الأمر على الشكل التالي: لا أريد إلا أن تكوني سعيدة يا آمي، لأن ذلك يعني جهداً أقل بالنسبة إليّ. لكن، لربما كنتُ غير منصفة. حسناً لم أكن غير منصفة لكني كنت مشوّشة. امتلكَ كل الأشخاص الذين عرفتهم برامج محددة. إذاً، كيف لي أن أعرف؟

إن هذا صحيح بالفعل. هل استلزم الأمر هذا الوضع المريع كي ندرك ذلك. نناسب أنا ونِك بعضنا بعضاً. إنني كبيرة كثيراً أكثر من اللازم، وهو صغيرٌ كثيراً. إنني أشبه أجمةً متضايقة كثيراً من الاهتمام المبالغ فيه الذي أغدقه والداي عليّ. أما هو فرجلٌ من بين مليون شخص، ويعاني من ملايين الطعنات الأبوية، كما أن أجَمَتي تتسع لها.

أشعر بأنني مضطرة للعودة إلى المنزل، إليه.

نِك دون

بعد مرور أربعة عشر يوماً

استيقظتُ فوق أريكة شقيقتي مع شعورٍ بصداعٍ شديد وبدافعٍ لقتل زوجتي. كان ذلك الشعور معتاداً في الأيام التي تلت المقابلة حول اليوميات مع الشرطة. تخيّلت بأنني عثرتُ على آمي مختبئةً في إحدى حمامات المياه المعدنية الواقعة في الساحل الغربي وهي تتجرع عصير الأناناس جالسةً فوق أريكة. تخيّلتُ أن كل همومها تطوف بعيداً عنها وعالياً نحو السماء الزرقاء، بينما أقف أنا أمامها مانعاً أشعة الشمس من الوصول إليها إلى أن ترفع نظرها. تخيّلت بعد ذلك يديّ حول رقبتها الممتلئة بما فيها من أوتار وتجاويف ونبض، والتي تنتفض بسرعةٍ في البداية قبل أن تتباطأ، بينما ننظر لبعضنا بعضاً قبل أن نتوصل إلى تفاهمٍ ما في النهاية.

أعرف أنه سوف يلقى القبض عليّ، وإذا لم يحدث ذلك اليوم فسوف يحدث بعد غد. أما أنا فاعتبرت سماح الشرطة لي بالخروج من مركز الشرطة على أنه علامة طيبة، لكن تانر عارضني بقوله: " تُعتبر الإدانة صعبة جداً من دون وجود جثة. إنهم يجمعون الأدلة. أريدك أن تمضي هذه الأيام في القيام بأي شيء تريده، لأنه ما إن يُلقى القبض عليك حتى نصبح مشغولين جداً " .

تمكنت من سماع قرقعة فِرَق التصوير في رواحهم ومجيئهم خارج نافذتي. كانوا رجالاً يتبادلون تحية الصباح وكأنهم يبدأون عملهم في أحد المصانع. ترددت قرقعة كاميرات التصوير وكأنها أصوات سربٍ من الجراد، وذلك بعد أن صوّبت عدساتها إلى مدخل منزل جو. أقدم أحدهم على تسريب نبأ الكشف عن " مخبأ " الأغراض في حديقة منزل شقيقتي، وكذلك نبأ اعتقالي الوشيك. لم يجرؤ أحدنا على القيام بأي شيء وحتى لمس الستائر.

دخلت جو إلى الغرفة مرتدية سروالاً قصيراً من الفلانيل (الصوف الناعم)، وقميصاً قصير الأكمام مكتوباً عليه Surfers Butthole ، وحاملةً حاسوبها المحمول على أحد ذراعيها. قالت: " يكرهك الجميع مجدداً " .

" اللعنة " .

" سرّب أحدهم في الليلة الماضية المعلومات المتعلقة بالمستودع، وبمحفظة آمي ودفتر يومياتها. يقول الجميع الآن: نِك كاذب، نِك قاتل، نِك

قاتلٌ كاذب. يُضاف إلى ذلك أن شارون شايبر أصدرت بياناً لتوها تقول فيه إنها صُدمت كثيراً وشعرت بالإحباط نتيجة الاتجاه الذي تأخذه هذه القضية. أوه، يعرف الجميع كذلك بشأن تلك الأقراص المدمجة التي تحتوي على الصور الخلاعية - اقتلوا الساقطات " .

" قوموا بإيذاء الساقطات " .

قالت: " اعذرني. قوموا بإيذاء الساقطة. وهكذا نرى بأن نِك هو قاتلٌ كاذب - وشهواني سادي. تميل إلين آبوت لأن تصبح شرسةً جداً. إنها تحارب الخلاعة عند السيدات " .

قلت: " هي كذلك طبعاً. إنني متأكد من أن آمي تدرك ذلك تماماً "
.

قالت وكأنها تريد إيقاظي من النوم: " نِك؟ هذا سيئ جداً " .

قلت: " لا يهم يا جو ما يفكّر فيه الآخرون. يتعيّن علينا أن نتذكر ذلك. إن ما يهمنا الآن هو ما تفكّر فيه آمي، أي ما إذا لانت تجاهي "
.

" نِك. أتعتقد فعلاً بأنها قادرة على الانتقال من كراهيتك الشديدة إلى الوقوع في حبك مجدداً؟ " .

كانت تلك المرة الخامسة لحديثنا في هذا الموضوع.

" أجل يا جو إني أعتقد ذلك. لا تمتلك آمي جهازاً لكشف الكذب. إذا قلتِ لها بأنها تبدو جميلة فإنها تعرف بأنها الحقيقة. أما إذا قلتِ لها بأنها لامعة، فهي لا تعتبر ذلك إطراء لأن ذلك من حقها. إذاً، أعتقد بأن جزءاً كبيراً منها يعتقد حقيقة بأنني إذا استطعت رؤية خطأ تصرفاتي، فإنني بالطبع يمكن أن أقع في حبّها مجدداً. لماذا، بحق السماء، لا أستطيع أن أحبها؟ " .

" لكن ماذا يحدث لو أحضرت معها جهاز كشف الكذب؟ " .

" تعرفين يا جو. إنها بحاجة إلى الشعور بالفوز. إنها ليست غاضبة لخيانتي لها بقدر ما غضبت لأنني فضّلت عليها فتاة أخرى. إنها تريد استعادتي فقط لتبرهن بأنها الفائزة. ألا توافقين على ذلك؟ يصعب عليها مقاومة رؤيتي، وأنا أتوسلها كي تعود بحيث أتمكن من إعطائها التقدير اللازم. ألا تعتقدين ذلك؟ " .

قالت لي وكأنها تتمنى لي حظاً طيباً في أوراق الحظ: " أعتقد أنها فكرة جيدة " .

" اسمعي. إذا كانت لديكِ فكرة أفضل فيمكنك إعطائي إياها الآن " .

كانت هذه الطريقة اللاذعة التي نتحدث بها. لكننا لم نكن نفعل ذلك من قبل. ضايقت الشرطة جو بقسوة بعد اكتشافها أمر المستودع، أي كما توقع تانر تماماً: هل كانت تعرف؟ هل قدمت المساعدة؟

توقعتها أن تعود إلى المنزل هذه الليلة كي تكيل لعناتها وغضبها، لكن كان كل ما لاحظته هو ابتسامة خجولة عندما مرّت بمحاذاتي في طريقها إلى غرفتها في المنزل الذي رهنته مرتين لتغطية أجور تانر.

أعرف بأنني وضعت شقيقتي في وضعٍ مالي وقانوني صعب بسبب قراراتي المتسرعة. دفع هذا الوضع بأكمله جو إلى الشعور بالاستياء تجاهي وإلى شعوري بالخجل، وهو مزيج قاتل لشخصين محتجزَين في حيّزٍ ضيّق.

حاولت تغيير موضوع الحديث: " فكّرت في الاتصال بآندي هاتفياً بعد أن... " .

" أجل، سيكون ذلك فكرة رائعة يا نِك. يمكنها بعد ذلك العودة إلى إلين آبوت " .

" لم تلجأ آندي إلى إلين آبوت، وهي التي عقدت مؤتمراً صحفياً تبنّته إلين آبوت. إنها ليست شريرة يا جو " .

" عقدت ذلك المؤتمر الصحفي لأنها غاضبة جداً منك. أتمنى لو أنك استمريتَ في علاقتك معها " .

" هذا جيد " .

" ماذا يمكنك أن تقول لها؟ " .

" إنني آسف " .

تمتمت: " إنك آسفٌ بالفعل " .

" إنني... أكره الطريقة التي انتهت بها علاقتنا " .

قالت جو بصوت ينضح بالصبر المفرط: " عضّتك آندي في آخر مرة رأتك فيها. لا أعتقد أن أياً منكما يمتلك أي شيء ليقوله للآخر. أنت المشتبه به الرئيس في التحقيقات المتعلقة بالجريمة، وهكذا لم تعد قادراً على إجراء انفصالٍ سهل. أليس كذلك يا نِك؟ " .

تزايد شعور الاستياء فيما بيننا، وهو شيء لم أفكر إطلاقاً بأنه قد يحدث. تجاوز الأمر الإجهاد الأساسي، وتجاوز الخطر الذي وضعته في جوار جو. كانت الثواني العشر في الأسبوع الماضي، أي عندما فتحت باب المستودع، وتوقعت أن تقوم جو بقراءة أفكاري على عادتها، لكن ما قرأتْه هو أنني قتلتُ زوجتي: لم أتمكن من تجاوز ذلك، ولا هي فعلت. لاحظتها وهي تنظر إليّ بين حينٍ وآخر بالطريقة الباردة ذاتها التي كانت تنظر بها

إلى والدنا: مجرد ذكرٍ فاشلٍ يشغل فراغاً. إنني متأكدٌ كذلك بأنني نظرت إليها من خلال عينَي والدي البائستَين: مجرد امرأة تافهة تنظر إليّ باستياء.

وقفت وشددت على يدها، وما لبثت أن فعلت ذلك بدورها.

قلت لها: " أعتقد أنه يتوجب عليّ الذهاب إلى المنزل " . شعرتُ بموجةٍ من الغثيان. " لا يمكنني تحمّل هذا أكثر. لا أستطيع أن أتحمّل احتمال إلقاء القبض عليّ " .

تناولتُ مفاتيحي، وفتحت الباب، قبل أن تتمكن من منعي، لكن الكاميرات بدأت بالتصوير وانطلقت الصيحات من الحشد المتجمع، والذي كان أكبر مما خشيته من قبل: مرحباً يا نِك، هل قتلتَ زوجتك؟ مرحباً يا مارغو، هل ساعدتِ شقيقك على إخفاء الأدلة؟

قالت مارجو غاضبة: " يا لكم من تافهين " . وقفت إلى جانبي متضامنة معي بسروالها القصير، وقميصها ذي الأكمام القصيرة. رأيت عدداً من المحتجين الذين يحملون لافتات. لوّحت إحدى النساء ذات الشعر الأشقر الخشن والنظارات بإحدى اللافتات التي كُتب عليها: نِك، أين آمي؟

علت الصيحات اليائسة أكثر فأكثر، وهي صيحات استهدفت شقيقتي: مارغو، هل إن شقيقك قاتل زوجته؟ هل قتل نِك زوجته وطفلها؟ هل أنتِ من المشتبه بهم يا مارغو؟ هل قتل نِك زوجته؟ هل قتل نِك طفله؟

وقفتُ محاولاً الثبات في مكاني ورافضاً السماح لنفسي بالتراجع إلى داخل المنزل. أحسستُ فجأة بأن جو تنحني ورائي وهي تدير سدادة المياه قرب الدرج. أدارت خرطوم المياه بكل سعته، والذي كان يُطلق نافورةً مستمرة من المياه - وما لبثت أن بلّلت جميع المصورين والمحتجين والصحفيات الجميلات اللواتي يرتدين بذلات التلفزيون الجاهزة، ورشّت عليهم المياه وكأنهم حيوانات.

أعطتني شقيقتي بذلك غطاءً يسمح لي بالتقدم. انطلقتُ إلى سيارتي وقدتها تاركاً الصحافيين يقطرون ماء أمام باحة المنزل الأمامية، بينما استغرقت جو بالضحك من كل قلبها.

استغرقتُ عشر دقائق لأسير بسيارتي من مدخل المنزل إلى مرآبي. سرت ببط وخطوة خطوة بين حشد كبيرٍ من الناس الغاضبين - تواجد عشرون شخصاً من المحتجين أمام منزلي، وذلك إضافةً إلى فرق التصوير. كانت جارتي جان تيفيرر واحدةً منهم. حدّقنا في عينَي بعضنا بعضاً، لكنها ما لبثت أن وجّهت لافتتها نحوي: أين هي آمي يا نِك؟

دخلت في نهاية الأمر، وأغلقتُ باب المرآب. جلست وسط الحرارة الخانقة لهذه الحجرة الإسمنتية وأخذت بالتنفس.

أحسستُ أن كل الأمكنة التي أتواجد فيها هي مجرد سجن. تُفتح الأبواب وتغلق، ثم تنفتح وتغلق من دون أن أشعر بالأمان أبداً.

أمضيت ما تبقى من يومي في تخيّل كيف بإمكاني أن أقتل آمي. كان ذلك كل ما أفكّر فيه: العثور على طريقة لإنهائها. تخيّلت نفسي منشغلاً في تحطيم دماغ آمي. لكن يتعيّن عليّ إعطاءها حقّها: يُحتمل أنني كنت غافلاً في هذه السنوات القليلة الماضية، لكنني استيقظت تماماً الآن. أحسستُ بالحماسة تدب فيّ من جديد وكأنني في الأيام الأولى من زواجي.

أردت أن أفعل شيئاً وأن أدفع بالأمور كي تحدث، لكن لم يكن لديّ ما أفعله. غادرتْ فرق التصوير بحلول المساء، لكن لم أتمكن من المخاطرة بمغادرة المنزل. أردت التنزه قليلاً وقررت البدء بالمشي. كنت متوتراً إلى درجة خطيرة.

شعرت بأن آندي دمرتني، وأن مارييبت قد انقلبت ضدّي، كما أن جو فقدَت قدراً كبيراً من الثقة بي. يُضاف إلى ذلك أن بوني نصبت لي فخاً. سكبتُ كوب شراب لي، وشربت جرعةً، وضغطتُ بأصابعي على حلقات الكوب ثم قذفته على الجدار، وشاهدتُ الزجاج وهو يتطاير مثل الألعاب النارية، وسمعت صوت تحطمه الضخم، وشممتُ رائحة الشراب. أحسستُ بالغضب يجتاح حواسي الخمس. يا للساقطات.

حاولت في جميع مراحل حياتي أن أكون رجلاً محترماً، والرجل الذي يحب النساء ويحترمهن، ورجلاً من دون مشاكل. لكنني انتهيت إلى التفكير في أفكارٍ سيئة عن شقيقتي التوأم، وحول والدة زوجتي، وحول عشيقتي. وصل بي الأمر حتى إلى تخيّل تحطيم جمجمة زوجتي.

سمعتُ طرقةً على الباب، وكانت طرقاتٍ عالية ويائسة أثارت الاضطراب فيّ وأيقظتني من كابوسي.

فتحتُ الباب على مصراعيه مستعداً لمقابلة الغضب بالغضب.

رأيت والدي واقفاً في مدخل منزلي وكأنه شبحٌ مريع استدعته الكراهية التي أشعر بها. كان يتنفس ويتعرّق بشدة. لاحظت أن كمّ قميصه ممزق، وأن شعره كان أشعث، لكن عينيه مليئتان بالانتباه الغامض المعتاد والذي جعلهما تبدوان في غاية التعقل.

قال لي بلهجةٍ غاضبة: " هل هي هنا؟ " .

" مَن يا أبي، مَن هو الشخص الذي تبحث عنه؟ " .

" أنت تعرف الشخص الذي أبحث عنه " . سار بمحاذاتي وتوجه عبر غرفة المعيشة تاركاً خلفه آثاراً من الوحل. لاحظت أنه استجمع قبضتيه، إلا أنه بدا أن شيئاً ما يجذبه إلى الأمام وهو الأمر الذي يضطره إلى الاستمرار في السير كي لا يقع. استمر والدي في ترداد كلمة ساقطة، ساقطة، ساقطة. فاحت منه رائحة النعناع. أعني النعناع الحقيقي وليس المصنّع، ورأيت آثاراً خضراء على سرواله، وكأنه كان يدوس متخبطاً في حديقة أحدهم.

استمر في ترداد عبارة، يا للساقطة الصغيرة، الساقطة الصغيرة. عبَرَ غرفة الطعام ودخل إلى المطبخ وأشعل مصابيح الأنوار. رأيت حشرة وهي تتسلق الجدار.

تبعته محاولاً تهدئته، أبي، أبي، لماذا لا تجلس، أبي هل تريد كوباً من الماء، أبي... أسرع بالنزول إلى الطابق السفلي، بينما تساقطت كتل الوحل من حذائه. استجمعتُ قبضتَي يديّ لأن ذلك السافل سيظهر ليزيد الأمور سوءاً.

" أبي! اللعنة يا أبي! لا يوجد أحدٌ غيري. أنا هنا فقط " . فتح باب غرفة الضيوف على مصراعيه ثم عاد إلى غرفة المعيشة. تجاهلني تماماً - " أبي! " .

لم أرغب في لمسه، وكنت خائفاً من أن أصيبه. كنت خائفاً من أن أبكي. منعته من إكمال طريقه بينما كان يحاول التوجّه إلى الطابق السفلي وغرفة النوم. وضعت إحدى يديّ على الجدار، بينما وضعتُ اليد الأخرى على عمود الدرابزين، أي إنني شكلتُ حاجزاً بشرياً. " أبي! انظر إليّ " .

جاءت كلماته وكأنها البصاق: " قُل لها، قُل لتلك الساقطة الصغيرة والبشعة بأن الأمر لم ينتهِ بعد. إنها ليست أفضل مني، قل لها ذلك. إنها لا تناسبني أبداً. لا يُمكن لها أن تكوّن رأياً. إن تلك الساقطة البشعة يجب أن تتعلم... " .

أقسم بأنني رأيت بياضاً ناصعاً لفترة ثانيةٍ واحدة، وكانت لحظة من الصفاء التام والصارخ. توقفت عن محاولة منع وصول صوت والدي لمرةٍ واحدة، وسمحت له بالتردد في أذنيّ. لم أكن ذلك الرجل: إنني لا أكره وأخشى كل النساء، وكنت أكره امرأةً واحدةً فقط. أما إذا احتقرتُ آمي وحدها، وركزت كل غضبي وحقدي على امرأةٍ واحدةٍ فقط تستأهل كل هذه الكراهية، فإن ذلك لا يجعلني مثل والدي، بل يجعلني عاقلاً.

ساقطة صغيرة، ساقطة صغيرة، ساقطة صغيرة.

إن أكثر ما جعلني أكره والدي هو أنه جعلني أحب تلك الكلمات.

ساقطة لعينة، ساقطة لعينة.

أمسكته من ذراعه بقوة وقدته إلى السيارة، ثم أغلقت الباب بشدة. استمر في تكرار معزوفته طوال الطريق إلى كومفورت هيل. وصلت إلى مركز الرعاية، وإلى المدخل المخصّص لسيارات الإسعاف، ومشيت معه جنباً إلى جنب وفتحت الباب، ثم جذبته من ذراعه ومشيت معه إلى الداخل.

استدرتُ بعد ذلك وتوجهت إلى المنزل.

ساقطة لعينة، ساقطة لعينة. لكن لم يكن هناك أي حل أمامي سوى التوسل. لم تترك لي زوجتي الساقطة أي وسيلة أخرى، وغير التوسّل إليها للعودة إلى المنزل. فعلت ذلك عن طريق الصحافة، والإنترنت، والتلفزيون. لكن بالرغم من كل ذلك لم يكن لدي غير الأمل بأن تراني زوجتي وأنا ألعب دور الزوج الطيب الذي يتلفظ بالكلمات التي أرادتني أن أقولها: الاستسلام التام. أنتِ على حق، وأنا المخطئ على الدوام. عودي إليّ (أيتها الساقطة). عودي إلى المنزل بحيث أتمكّن من قتلك.

آمي إليوت دون

بعد مرور ستة وعشرين يوماً

عاد ديزي مجدداً. إنه يتواجد هنا في كل يومٍ تقريباً في هذه الأيام، وهو يحوم مبتسماً حول المنزل، ويقف في المطبخ، بينما تضيء الشمس الغاربة نصفه الجانبي المقابل لها بحيث أتمكن من الإعجاب به، كما يجذبني بيده إلى غرفة أزهار التوليب بحيث أتمكن من شكره مجدداً، ولكي يتمكن من تذكيري كم أنا آمنة ومحبوبة.

يقول لي بأنني آمنة ومحبوبة، وذلك بالرغم من أنه لا يسمح لي بالمغادرة، وهو الأمر الذي لا يُشعرني بأنني آمنة ومحبوبة. لم يترك معي مفاتيح سيارة، ولا مفاتيح المنزل، ولا مفتاح الشيفرة الأمنية للبوابة. أشعر بأنني سجينة بكل معنى الكلمة، علماً أن البوابة تعلو خمسة عشر قدماً، كما أنه لا يوجد أيّ سلالم في المنزل (لأنني بحثتُ جيداً). أفترضُ بأنه يمكنني جرّ عدة قطع من الأثاث قرب الجدار كي أضعها فوق بعضها بعضاً، ثم أتسلقها لأقفز إلى الجهة الأخرى. يمكنني أن أعرج أو أزحف بعيداً، لكن ذلك ليس أهم ما في الأمر. الأمر الهام هو أنني ضيفته المحترمة والمحبوبة، لكنه من المفترض أن يتمكن الضيف من المغادرة في أي وقتٍ يريد. أثرت الموضوع منذ أيامٍ قليلة. " ماذا يحدث لو أنني اضطررتُ للمغادرة، وعلى الفور؟ " .

لكنه ردّ عليّ باختصار: " يُحتمل أنه يتعيّن عليّ الانتقال إلى هنا. يمكنني عندها أن أتواجد هنا في كل الأوقات، وأضمن بقاءكِ آمنة. أما إذا حدث شيء فيمكننا المغادرة معاً " .

" ماذا يحدث لو أن والدتك شكّت بالأمر، وأتت إلى هنا، واكتشفت بأنك تخبئني؟ سيكون الأمر مريعاً " .

إنني أتحدث عن والدته. أشعر بأنني سوف أموت إذا ما حضرت والدته إلى هنا، وذلك لأنها ستقوم بالإبلاغ عني على الفور. تحتقرني تلك المرأة، وكل ذلك بسبب الحادث الذي وقع في أيام دراستي الثانوية. لكن كان ذلك منذ زمنٍ بعيد، وهي ما تزال تحقد عليّ منذ ذلك الحين. خدشتُ وجهي في ذلك الوقت وأبلغتُ ديزي بأنها هاجمتني (تلك المرأة تحب السيطرة، وهي باردةٌ جداً تجاهي، ولعلها محقة في ذلك). لم يتكلما مع بعضهما بعضاً لمدة شهرٍ من الزمن، لكن يبدو أنهما اتفقا على هذا.

قال لي: " لا تمتلك جاكلين مفتاح الشيفرة. إنه بيت البحيرة الخاص

بي أنا " . توقف عن الكلام قليلاً وتظاهر بأنه يفكر. " يتعيّن عليّ الانتقال للسكن هنا بالفعل. أعتقد أنه ليس من المناسب لكِ أن تمضي ساعاتٍ كثيرة وحيدة " .

لكني لستُ وحدي، وعلى الأقل ليس إلى ذلك الحد. تمكنا من وضع روتين لنا في مدة أسبوعين فقط. إنه الروتين الذي فرضه ديزي، سجّاني الثري، والمداهن المدلل. يصل ديزي في وقت الظهيرة تماماً، وتفوح منه رائحة الغداء المكلف الذي استمتع به مع جاكلين في أحد المطاعم الفخمة، وهو ذلك النوع ذاته من المطاعم التي سيأخذني إليها إذا ما انتقلنا للسكن في اليونان. (هذا هو الخيار الآخر الذي قدّمه إليّ مراراً: يمكننا الانتقال إلى اليونان. يعتقد ديزي، لسبب ما، بأن أحداً لن يتعرّف عليّ في إحدى قرى الصيد الصغيرة في اليونان حيث زارها مرات عديدة في فصول الصيف، وحيث أعلم بأنه يتخيّلنا ونحن نرتشف الشراب، ونمارس الحب بتكاسل عند غروب الشمس بينما تمتلئ بطوننا بالمأكولات البحرية، وعلى الأخص الأخطبوط منها). تفوح منه رائحة الغداء عند دخوله، والتي تنتشر عن طريق أنفاسه. أعتقد أنه وضع قطعةً من كبد الإوز خلف أذنيه (تفوح رائحة غامضة من والدته على الدوام، وأعتقد بأنها مزيج من الطعام والجنس. إنها الرائحة المميزة لآل كولينغز، وهي ليست بالاستراتيجية السيئة).

دخل ديزي فجعل لعابي يسيل في فمي. إنها الرائحة ذاتها. أعطاني شيئاً لذيذاً كي آكله، لكن ليس لذيذاً إلى درجة الطعام الذي تناوله: إنه يريد جعلي نحيلة، وذلك لأنه هكذا يفضّل أن تكون نساؤه المتشردات. أحضر لي ديزي فاكهة خضراء، وثمار الأرضي شوكي، وسرطاناً بحرياً صغيراً، وأي شيء يتطلب تحضيراً متأنياً ويعطي سعرات حرارية أقل. عدت إلى وزني الطبيعي تقريباً، كما أن شعري بدأ بالنمو من جديد، وهكذا فإنني أرفعه إلى الخلف مستخدمة عصبة رأسٍ أحضرها لي. أعدت صبغ شعري باللون الأشقر مستخدمة صباغ الشعر الذي أحضره لي. قال لي: " أعتقد بأن شعورك سوف يتحسن عندما تعودين للظهور كما كنتِ من قبل يا حبيبتي " . أجل، إنه يفعل ذلك كي أكون مرتاحة، وليس لأنه يريدني أن أبدو كما في السابق، أي آمي في نحو العام 1987 .

تناولت غدائي بينما كان يحوم حولي منتظراً سماع المجاملات. (أتمنى أن لا أعود مجبرةً على قول تلك الكلمات - شكراً لك - مجدداً. لا أذكر أبداً بأن نِك توقف للسماح لي - إجباري - على شكره). أنهيت غدائي ثم قام بترتيب المكان بحسب معرفته. إننا شخصان لم يعتادا التنظيف

بنفسيهما. يعني ذلك بأن المنزل بدأ يبدو وكأنه مسكون، مع لطخات في أسطح الطاولات، والغبار في أسفل النوافذ.

انتهى الغداء وبدأ ديزي بالعبث معي لفترة: شعري، وجلدي، وثيابي، وذهني.

قال لي وهو يجمع شعري وراء أذني بالطريقة التي يحبها: " انظري إليكِ " . بدأ بعد ذلك بفكّ أعلى أزرار قميصي، ثم أزاح قسمها الأعلى بحيث يتمكن من النظر في تجويف أعلى كتفي. بدا الأمر بذيئاً. " كيف تمكن نِك من أذيتك، وكيف أنه لم يحبك، وكيف خانك؟ " كان يثير هذه النقاط باستمرار، وهو بذلك وضع إصبعه على الجرح. " أليس من الأفضل أن ننسى كل شيء عن نِك، وعن كل تلك السنين الخمس المريعة والانتقال من هنا؟ تعرفين بأنك تمتلكين هذه الفرصة، أي للبدء من جديد مع الرجل الذي يناسبك. كم من الناس يستطيعون قول ذلك لكِ؟ " .

أريد بالفعل أن أبدأ من جديد مع الرجل المناسب، أي مع نِك الجديد. أعرف أن الأمور تبدو سيئة بالنسبة إليه، وحتى مخيفة. لكني وقعتُ في مصيدة.

قال لي: " إذا ما غادرتِ هذا المكان من دون أن أعرف مكان وجودك فإنني سوف ألجأ إلى الشرطة. لن يكون لي خيارٌ آخر لأنني أريد التأكد من وجودك بأمان، وأن نِك لا... يحتجزك في مكانٍ ضد إرادتك ويسيء إليك " .

إنه التهديد المبطّن بالقلق.

أتطلع الآن نحو ديزي باستياء خالص. أشعر أحياناً بأن جلدي ينضح بالنفور منه، لكنني أجهد لإخفاء ذلك الشعور. نسيت كل شيء يتعلق به. نسيت ذلك الاستغلال، والإغراء، والتخويف الدقيق. إنه الرجل الذي يعتبر الذنب مثيراً. أما إذا لم يحصل على ما يريده فإنه يُشهر ما لديه كي ينفذ ما يريده. أعرف أن نِك، على الأقل، كان رجلاً بحيث لا يفعل ذلك. أما ديزي فهو يستمر في الدفع بأصابعه الرفيعة إلى أن أعطيه ما يريد.

ظننتُ في البداية بأنه بإمكاني السيطرة على ديزي، لكني لم أتمكن من ذلك. أشعر بأن شيئاً سيئاً سوف يحدث.

نِك دون

بعد مرور ثلاثة وثلاثين يوماً

مرّت الأيام الطويلة عبثاً، وما لبثت أن اصطدمت بجدار. خرجت لأشتري بعض البقالة في صباح أحد أيام شهر آب. عدت إلى المنزل لأجد تانر في غرفة معيشتي مع بوني وجيلبين. رأيت على الطاولة مضرباً طويلاً وسميكاً ومحززاً بدقة عند موضع الأصابع.

قالت بوني: " وجدنا هذا المضرب في أسفل النهر بالقرب من منزلك عندما أجرينا أول عملية تفتيش. لم نعتبر بأنه يدل على شيء في البداية في واقع الأمر. ظننا بأنه مجرد شيء غريب على ضفة النهر، لكننا نحتفظ بأي شيء مثل هذا نعثر عليه في عملية البحث. لكن بعد أن عرضتَ علينا دمى بانش وجودي تغيّر الأمر. عرضنا المضرب على المختبر لفحصه " .

قلتُ بنبرة غير مكترثة: " ثم ماذا؟ " .

وقفت بوني ونظرت في عينيّ مباشرة. كانت لهجتها حزينة عندما قالت لي: " تمكنا من الكشف عن بقع دماء آمي على المضرب. صُنّفت هذه القضية الآن على أنها جريمة قتل. إننا نعتقد بأن المضرب كان السلاح الذي استُخدم في الجريمة " .

" ماذا تقولين يا روندا! " .

قالت: " حان الوقت يا نِك. حان الوقت " .

بدأ الآن الجزء التالي.

آمي إليوت دون

بعد مرور أربعين يوماً

وجدت بعض الحبال القديمة وزجاجة شرابٍ فارغة كالتي استخدمتها في مشروعي. وجدتُ كذلك بعض الفيرموت بطبيعة الحال. إنني جاهزة.

الانضباط. يتطلب هذا بعض الانضباط والتركيز، لكني مستعدة تماماً لهذه المهمة. لبستُ الملابس المفضلة لدى ديزي: الزهرة الدقيقة. سرّحت شعري بخصلٍ محلولة وتعطرت. لاحظت بأن جلدي قد شحُب قليلاً بعد شهرٍ من مكوثي داخل المنزل. لم أضع سوى مقدار قليلٍ جداً من مواد التجميل: لمسة صغيرة من الماسكارا (تجميل الرموش)، واللون الزهري على الخدّين، ومادة شفافة لتلميع الشفتين. ارتديت فستاناً ضيقاً زهري اللون سبق له أن اشتراه لي، لكن من دون حمالة صدر، ولا لباسٍ داخلي. لم أنتعل حذاءً وذلك بالرغم من البرودة الشديدة الناتجة عن أجهزة تكييف الهواء. جهزت المفرقعات التي تُطلق أصواتاً مستمرة، وعطّرت الهواء، وهكذا أستقبلته بكل سرور عند وصوله من دون دعوة. أحطته بذراعيّ، وأخفيتُ وجهي فوق عنقه. أظهرت له الودّ بشكلٍ متزايد في هذه الأسابيع القليلة الماضية، لكن هذا الالتصاق كان جديداً.

فوجئ، وأظهر السرور إلى درجةٍ كدت أشعر معها بالخجل، وقال: " ما هذا يا حبيبتي؟ " .

همستُ في أذنه: " عانيت الليلة الماضية من أسوأ كابوس. كان الكابوس حول نِك واستيقظت. كان كل ما أريده هو أن تكون هنا. أمضيت الصباح بأكمله... متمنية أن تكون هنا " .

" يمكنني أن أتواجد هنا دائماً إذا أردتِ ذلك " .

قلت: " أريد ذلك " . أدرتُ وجهي نحوه وسمحتُ له بتقبيلي. جعلتني قبلته أشعر بالاشمئزاز لأنها متأنية ومترددة، أي مثل حركة السمكة. كان ذلك هو ديزي الذي يحترم امرأةً مغتصبة وأسيئت معاملتها. قبّلني مجدداً بشفتين باردتين ورطبتين، وبالكاد وضع يديه عليّ، لكني أريد أن ينتهي كل ذلك. أريد الانتهاء من الأمر، وهكذا جذبته نحوي وفتحتُ شفتيه بلساني. أردتُ أن أعضّه.

تراجع فجأةً، وقال: " آمي، لقد عانيتِ الكثير. لكن ذلك في غاية التسرّع. لا أريدك أن تفعلي هذا بسرعة إذا أردتِ أن تفعليه. لكن إذا لم تكوني متأكدة " .

قلت: " إنني متأكدة. أظن بأنني متأكدة من ذلك منذ أن كنا في السادسة عشرة من أعمارنا، لكني كنتُ خائفةً قليلاً " .

لا يعني ذلك شيئاً، لكني أعرف بأنه سوف يؤثّر فيه كثيراً.

قبّلته مجدداً ثم سألته ما إذا كان يريد أخذي إلى غرفة نومنا.

بدأ بنزع ملابسي عني ببطء في غرفة النوم، وأخذ بتقبيل تلك الأجزاء من جسدي التي لا علاقة لها بالجنس - كتفي، وأذني - بينما أبعدتُه بلطفٍ عن رسغيَّ وكاحليّ.

ابتعد عني متورد الخدّين بينما تدلّت خصلة من شعره فوق جبهته، أي كما كان يبدو عندما كنا في أيام دراستنا الثانوية. قال لي: " هل أنتِ متأكدة؟ " كان الوضع يشبه ما كان عليه أيام كنت أسكن وحدي، وذلك بالرغم من كل التقدم الذي أحرزه ديزي.

قال وهو يبتعد عني: " أتبكين يا حبيبتي " . قبّل إحدى دموعي.

قلت: " إنني سعيدة فقط " . أعرف أن هذه هي الكلمات التي تقولها هذه الأصناف من النساء.

قلت له إنني حضّرت بعض أكواب الشراب. أعرف أن ديزي يحب أنواع الشراب القوية في أوقات ما بعد الظهر، لكن عندما تحرّك ليرتدي قميصه أصريت عليه أن يبقى في السرير.

قلتُ: " أريد أن أفعل شيئاً لأجلك، ولأجل التغيير " .

هُرعتُ إلى المطبخ، وتناولت كوبين كبيرين من الشراب. وضعتُ في كوبي شراباً وحبة زيتونٍ واحدة. ووضعتُ في كوبه ثلاث حباتٍ من الزيتون، وبعضاً من الشراب، وآخر ما تبقى عندي من الحبوب المنومة، أي ثلاث حبات مسحوقة.

أحضرتُ الشراب، وبدأ العناق وتمريغ الأنوف. شربت كوبي أثناء كل ذلك. إنني أمتلك دافعاً يتعيّن عليّ إطفاء ناره.

سألته بعد أن تناول جرعة واحدة: " ألا تحبه؟ لطالما تصورت بأنني زوجتك التي تحضّر لك الشراب. أعرف أن هذا يبدو سخيفاً " .

عبستُ قليلاً.

" أوه يا حبيبتي. إياكِ أن تكوني سخيفة. كنت أستمتع وآخذ وقتي فقط. لكن... " جرع كل محتويات الكوب دفعةً واحدة وتابع: " إذا كان ذلك يريحك أكثر! " .

شعر ديزي بنشوة المنتصر، وكان مثل كل الرجال. شعر بالنعاس وما

لبث أن بدأ بالشخير.
سأتمكّن من البدء إذاً.

الجزء الثالث: الفتى يستعيد الفتاة (أو الفتاة تستعيد الفتى)

نِك دون

بعد مرور أربعين يوماً

أطلقوا سراحي بكفالة بانتظار المحاكمة. اعتقلتُ ثم أُطلق سراحي. أحسستُ بإذلال الدخول إلى السجن والخروج منه. يُضاف إلى ذلك جلسة الاستماع المخصّصة للكفالة، وعملية أخذ البصمات والصوَر، والاستدارة، وتغيير أماكن الجلوس والتوجيه. دفعتني كل هذه الأمور ليس إلى الشعور وكأنني حيوان بل جعلتني أشعر وكأنني منتَج. كانوا يصنعون نِك دون القاتل. ستمرّ شهور قبل أن تبدأ محاكمتي (محاكمتي: أشعر بالتهديد القوي الذي تمثّله هذه الكلمة، والتي ستحوّلني إلى رجلٍ مجنون وضاحك من الدرجة الأولى). كان من المفترض أن أشعر بأنني ألقى معاملةً خاصة لأنني أُطلقتُ بكفالة: لم أحرّك ساكناً في منزلي حتى عندما اتضّح لي بأنني سوف أُعتقل، وهكذا استبعدوا احتمال فراري. انتظرت أن تتحدث عني بوني بكلامٍ طيب. اضطررت، لهذا السبب أن أمكث في منزلي لأشهرٍ إضافية قليلة قبل أن تقوم الولاية بنقلي من السجن وإعدامي.

أجل، كنتُ محظوظاً. كنتُ رجلاً محظوظاً جداً.

استغربتُ أن نكون في منتصف شهر آب، وفكّرت في الصيف الذي ما زال مخيّماً. كيف يُمكن أن يحدث كل هذا ولم يحن الخريف بعد؟ لكن الطقس شديد الحرارة. كانت والدتي تُطلق عليه وصف طقس القمصان. كانت والدتي دائمة الاهتمام براحة أولادها أكثر من اهتمامها بدرجة الحرارة ذاتها. أطلقت الأوصاف التي تناسب مختلف أوضاع الطقس لوصف الملابس على مدار السنة: طقس القمصان، طقس السترات، طقس المعاطف، طقس البلوزات مع القبعات. أما بالنسبة لي فإن هذه السنة ستكون سنة طقس الأصفاد، وربما طقس زيّ السجناء، أو لربما طقس بذلة الاعدام، وذلك لأنني لم أخطّط للذهاب إلى السجن. سأقتل نفسي قبل ذلك.

وظّف تانر فريقاً مؤلفاً من خمسة رجال تحرٍّ من أجل اقتفاء أثر آمي، لكنهم لم يتمكنوا من معرفة أي شيء حتى الآن. يبدو الأمر وكأنه محاولة الإمساك بالماء. قمتُ في كل يوم من أيام الأسبوع بجزءٍ صغيرٍ مما اعتزمتُ القيام به: تصوير رسالة بشكل مقطع فيديو إلى آمي وإرسالها عن طريق موقع تدوين مَن فعلها التابع لريبيكا. (بقيت ريبيكا، على الأقل، مخلصة). ارتديت أثناء تصوير مقاطع الفيديو هذه الملابس التي اشترتها لي آمي، كما سرّحتُ شعري بالطريقة التي تحبها، ثم حاولتُ معرفة ما يجول

في ذهنها. كان غضبي تجاهها مثل سلكٍ مسخّن.

ركّز أعضاء فِرق التصوير أنفسهم في باحة منزلي في معظم الصباحات. كنا مثل جنودٍ في جبهاتٍ متقابلة ومرتكزين في نقاطٍ تقع ضمن نطاق الرماية لأشهرٍ عدة، أي إننا كنا نتطلع نحو بعضنا بعضاً عبر المنطقة المحايدة، وهكذا يتولد شعورٌ غامضٌ بالأخوة. كان هناك شاب ذو صوت يشبه صوت الرجل القوي في الرسوم المتحركة، وهو شابٌّ أحسستُ بأنني متعلقٌ به من دون أن أراه. كان هذا الشاب يواعد فتاة أعجبته بشدة. كان صوته يتسلّل من خلال نوافذي في كل صباح وهو يحلّل لقاءاتهما، وبدا لي بأن كل شيء يجري على ما يرام بينهما. أردت معرفة كيف ستنتهي القصة بينهما.

أنهيتُ تسجيل رسالتي المسائية التي سأرسلها إلى آمي. ارتديت في ذلك الوقت قميصاً أخضر اللون كانت تحب أن أرتديه. سردت قصة التقائنا للمرة الأولى في حفلة بروكلين. تحدثت عن بدء تعارفي معها، حبة زيتونٍ واحدة، وهو الأمر الذي كنت أحسّ حياله بالخجل في كل مرة كانت آمي تتحدث عنه. تحدثت كذلك عن خروجنا من الشقة هرباً من جوّها الخانق إلى الجو البارد في الخارج بينما شبكت يدها بيدي. تحدثت كذلك عن تلك القبلة التي تبادلناها وسط سحابة من مسحوق السكّر الناعم. كانت تلك هي واحدة من تلك القصص القليلة التي كنا نرويها بالطريقة ذاتها. رويت هذه القصة بالنغمة ذاتها التي تُروى بها قصص ما قبل النوم: مهدئة، ومألوفة، ومتكررة. كنتُ أنهي كل رسالة بالخاتمة المتكررة، عودي إلى المنزل، إليّ، يا آمي.

أطفأت آلة التصوير، واسترخيت في الأريكة (تعودت أن أصوّر وأنا جالسٌ على الأريكة التي تقع تحت ساعة الكوكو الخبيثة، والتي لا يمكن توقّع حركاتها، وذلك لأنني أعرف بأنني إذا لم أُظهِر ساعة الكوكو فإنها سوف تتساءل ما إذا تخلصت من ساعة الكوكو العائدة لها، وهكذا سوف تستنتج بأن ذلك صحيح، وعندها لن تنفع كل الكلمات اللطيفة التي قد تخرج من فمي، وسوف ترد بصمت: " ومع ذلك تخلص من ساعة الكوكو العائدة لي "). كان الكوكو، في واقع الأمر، على وشك الخروج، وسوف يبدأ الزنبرك التابع لها بالقرقعة من فوق رأسي - وهو صوت يصيبني بالتوتر في النهاية، وهذا في وقتٍ أصدر فيه أعضاء فِرق التصوير المتواجدين في الخارج أصواتاً جماعية عالية تشبه صوت الأمواج القادمة من المحيط. يعني ذلك أن أحدهم حضر إلى هنا. سمعتُ أصواتاً صادرة عن فرق التصوير الجديدة

والتي تشبه صرخات طيور النورس عندما تحط بقربها إناثٌ جديدة.

فكّرت في نفسي، حدث خطبٌ ما.

رنّ جرس الباب ثلاث مرات متتابعة: نِك - نِك! نِك - نِك! نِك - نِك!

لم أتردد لأنني توقفت عن التردد على مدى الشهر الماضي: واجِه المتاعب بأقصى سرعة.

فتحتُ الباب.

رأيت زوجتي واقفةً أمامي.

عادت.

وقفت آمي إليوت دون حافية القدمين على مدخل بيتي مرتدية فستاناً رقيقاً زهري اللون يكاد يلتصق بها وكأنها مبلّلة بالمياه. لاحظت وجود حلقاتٍ باللون البنفسجي الداكن حول كاحلَيها. شاهدتُ كذلك حبلاً متدلياً من أحد رسغيها النحيلين. بدا الحبل وكأنه قُطع من دون اكتراث بمقصٍ غير حاد. كان وجهها مليئاً بالخدوش، وشفتاها متورمتين.

لاحظتُ عندما فتحت ذراعيها نحوي بأن القسم الأوسط من جسمها ملوثٌ بالدماء المتجمدة. حاولتْ أن تتكلّم. فتحت فمها مرةً، ومرتين، ثم صمتت. بدت مثل حورية بحرٍ مرمية على الشاطئ.

" قالت متأوهةً في النهاية: " نِك! " تردّد ذلك النواح في أرجاء كل المنازل الفارغة، وما لبثت أن ارتمت على ذراعيّ.

أردت أن أقتلها.

أحسستُ بأنه لو كنا وحدنا لكانت يداي توجهتا إلى مكانهما حول رقبتها، ولكانت أصابعي تمكنت من تحديد التغضنات في جلدها. أردت الاستمتاع بتلك النبضة القوية تحت أصابعي... لكننا لم نكن وحدنا بل كنا أمام كاميرات التصوير، كما أن المصورين عرفوا هوية هذه المرأة الغريبة. استعاد المصورون نشاطهم في الوقت ذاته الذي بدأت فيه ساعة الكوكو بترداد قرقعاتها، كما ترددت أسئلة قليلة، ثم انطلق بعد ذلك سيلٌ من الضجيج والأضواء. صوّبت الكاميرات عدساتها علينا، بينما كان المراسلون يقتربون بميكروفوناتهم. كان الجميع ينادون باسم آمي، ويصرخون. كانوا يصرخون بالفعل. فعلت آمي الأمر المناسب في هذه الظروف. قرّبتها نحوي وصرختُ باسمها: " آمي! يا إلهي! يا إلهي! يا حبيبتي! " قرّبت وجهي من عنقها، وغمرتها بذراعيّ بشدة وسمحت للكاميرات بالتصوير لمدة خمس عشرة ثانية، ثم همستُ في داخل أذنها: " أيتها الساقطة اللعينة " . قمتُ

بعد ذلك بتمسيد شعرها واحتضنت وجهها بيدين محبّتين ثم سحبتها إلى داخل المنزل.

انطلقت جوقة خارج باب منزلنا مطالبةً بصوتٍ واحد: آمي! آمي! آمي! رمى أحدهم حفنةً من الحصى على نافذتنا. آمي! آمي! آمي!

اعتبرت زوجتي بأنه ينبغي عليها مواجهة الأمر، فلوّحت بيدٍ غير مكترثة نحو المحتشدين في الخارج. التفتت نحوي بعد ذلك بابتسامةٍ منتصرة - الابتسامة التي تضعها ضحايا الاغتصاب على وجوهها، وكذلك الناجيات من سوء المعاملة، واللواتي أحرقن السرير في الأفلام التلفزيونية القديمة، والابتسامة التي توحي بأن الشرير قد تلقى أخيراً نصيبه من العدالة، مع علمنا بأن البطلة ستتمكن من متابعة حياتها! يكفي الآن.

أشرتُ نحو الحبل، والشعر الأشعث، والدماء المتجمدة. " إذاً ما هي قصتك أيتها الزوجة؟ " .

قالت وهي تنشج: " لقد عدت. تمكنت من العودة إليك " .

تقدمت لتحيطني بذراعيها، لكني ابتعدتُ عنها.

" ما هي قصتك يا آمي؟ " .

قالت هامسة بشفةٍ سفلية مرتعشة: " ديزي. أخذني ديزي كولينغز. حدث هذا في ذلك الصباح، صباح ذكرى زواجنا. رنّ الجرس فأخذت بالتفكير... لا أعرف، ظننت أنها الأزهار التي أرسلتها أنت " .

جفلتُ. تمكنت آمي من العثور على طريقة لتحكم قبضتها من جديد. إنها تعرف بأنني نادراً ما أرسل الأزهار إليها، في حين إن والدها كان يرسل الأزهار إلى والدتها في كل أسبوعٍ منذ زواجهما. يعني ذلك أنه أرسل لها 2 , 444 باقة أزهار، مقابل أربع فقط أرسلتها أنا.

تابعت كلامها: " أزهارٌ أو... أي شيء آخر. لم أفكر، لهذا السبب، وفتحت الباب على مصراعيه. رأيت ديزي واقفاً أمامي مع تلك النظرة في عينيه. رأيت نظرة تصميمٍ في عينيه. بدا الأمر وكأنه تحضّر لهذه اللحظة منذ زمنٍ طويل. كنتُ أحمل المقبض في يدي... مقبض دمية جودي. هل وجدتَ الدميتين؟ " تطلعت نحوي بينما سالت الدموع في عينيها. بدت جميلة جداً.

" أوه، وجدتُ كل شيء تركتِه لي يا آمي " .

" كنتُ ممسكةً بالمقبض العائد لدمية جودي - وقعت على الأرض في وقتٍ سابق - عندما فتحتُ الباب، وحاولتُ أن أضربه. تعاركنا وضربني

بالمقبض. ضربني بقوة، لم أستفِق إلا... " .

" نصبتِ لي فخاً يدينني بالجريمة ثم اختفيتِ " .

" يمكنني تفسير كل شيء يا نِك " .

حدّقتُ بها للحظةٍ طويلة وقاسية. لاحظتُ وجود أيامٍ تحت الشمس الحارة، وهي ممددةٌ فوق رمال الشاطئ واضعةً يدها على صدري، كما أنني تذكرت حفلات العشاء العائلية التي أُقيمت في منزل والديها بينما يقوم راند بإعادة ملء كوب شرابي على الدوام ويربّت على كتفي، كما تذكرت منظرنا ممدّدَين فوق سجادة في شقتنا الصغيرة في نيويورك وعندما نتحدث ونحدّق في مروحة السقف المتكاسلة، كما تخيّلت والدة طفلي، والحياة الرائعة التي خطّطتُ ذات مرة لنعيشها سوياً. استغرق كل ذلك لحظةً استمرت لنبضتين، والتي تمنيت خلالها لو أنها كانت تقول الحقيقة.

قلت: " إنني في الواقع أشكّ في مقدرتك على تفسير كل شيء. لكني أحب أن أشاهدك وأنتِ تحاولين " .

" جرّبني الآن " .

حاولتْ أن تمسكني بيدي، لكني أبعدتها عني. سرتُ مبتعداً عنها، وأخذتُ نَفَساً، ثم استدرتُ كي أواجهها. أعرف أنه يتعيّن عليّ مواجهة زوجتي على الدوام.

" هيا يا نِك. جرّبني الآن " .

" حسناً، بالتأكيد. لماذا كان كل مفتاح لغزٍ في لعبة البحث عن الكنز مخبأً في مكانٍ أقمتُ فيه... علاقةً مع آندي؟ " .

تأوهت ونظرت نحو الأرض. كان كاحلاها يؤلمانها. " لم أعرف عن آندي حتى رأيتها على شاشة التلفزيون... وذلك بينما كنتُ مربوطةً بسرير ديزي، وحيث كنتُ مخبّأة في بيته المبني على ضفاف بحيرة " .

" إذاً، هل كان كل ذلك... صدفة؟ " .

قالت لي: " كانت تلك هي الأماكن التي كانت تعني شيئاً بالنسبة إلينا " . تدحرجت دمعة من فوق خدّها. " أما مكتبك فكان المكان الذي أعدتَ فيه إطلاق حنينك للصحافة " .

أخذتُ نَفَساً عميقاً.

" هنيبعل، أي حيث فهمتُ أخيراً كم تعني لك تلك المنطقة. أما منزل والدك حيث واجهتَ الرجل الذي آذاك كثيراً؛ ومنزل والدتك والذي هو الآن منزل جو، وهما الشخصان اللذان جعلا منك رجلاً صالحاً. لكن... لن أُفاجأ أبداً إذا ما أحببت أن تتشارك هذه الأمكنة مع شخصٍ " -

أحنت رأسها هنا - " وقعتَ بالحب معه. أعرف بأنك تحب التكرار " .

" لكن لماذا يتواجد في كل مكانٍ من هذه الأمكنة أدلةً تورطني في جريمة قتلك؟ ملابس نسائية داخلية، ومحفظتكِ، ودفتر يومياتك. فسّري لي يومياتك يا آمي بكل أكاذيبها " .

اكتفت بالابتسام وهزّت رأسها، وكأنها تشعر بالأسف لأجلي. قالت: " كل شيء، يمكنني تفسير كل شيء " .

تطلعت في ذلك الوجه الملطّخ بالعرق والدموع، ثم تطلعت على بقع الدماء. سألتها: " آمي. أين ديزي؟ " .

هزّت رأسها مجدداً بينما ظهرت ابتسامة صغير حزينةٌ على وجهها.

تحركتُ لأطلب الشرطة، لكن الطرقة التي سمعتها على الباب أوحت لي بأنها وصلت بالفعل.

آمي إليوت دون

ليلة العودة

ما تزال حيوانات ديزي المنوية في داخلي بعد المرة الأخيرة التي اغتصبني فيها، وهكذا فإن الاختبارات الطبية ستمضي على ما يرام. أما رسغيَّ المجروحين بالحبل، ومهبلي المتضرر، وكل الجروح الأخرى، وبالاختصار جسمي، فقد كان كما أريده بالضبط. قال لي أحد الأطباء، وهو كبيرٌ في السنّ قليلاً، وذو أنفاسٍ رطبة وأصابع ثخينة والذي يقوم بفحص حوضي - الكشط والتمتمة في الوقت ذاته - بينما التحرية روندا بوني تُمسك بيدي. بدا الأمر وكأنها تمسكها بكلّابات. لم يكن الوضع مريحاً أبداً. أطلقتْ ابتسامة عريضة ذات مرة عندما ظنّت أنني لا أتطلع نحوها. إنها تشعر بالإثارة الكاملة لأن نِك ليس بالرجل الشرير إطلاقاً. أجل، أعرف أن النساء الأميركيات يتأوهن جميعاً في هذه الأثناء.

حضر رجال الشرطة إلى منزل ديزي على وجه السرعة وهناك وجدوه عارياً، ومستنزفاً، ووجدوا تلك النظرة المصعوقة على وجهه بينما كان يقبض بيديه على خصلاتٍ قليلةٍ من شعري، أما السرير فكان مشبعاً بالدماء. أما السكين التي استخدمتها معه ومع قيودي، فسوف تكون على الأرض في مكانٍ قريب حيث أسقطتها بذهول. مشيتُ حافية القدمين من دون أن أحمل معي شيئاً من المنزل غير مفاتيح السيارة والبوابة، ثم ركبت سيارته الجاغوار القديمة بينما كانت دماؤه ما تزال تغطي يدي. عدتُ إلى منزل زوجي مثل ما يعود حيوانٌ أليف إلى المنزل بعد طول غياب. لم أفكّر في أي شيء غير العودة إلى نِك. أبلغني ذلك الطبيب المسن أنباءً طيبة. لم يحدث لي أي ضررٍ دائم، كما أنه ليست هناك من حاجة لإجراء عملية كشط وتنظيف، لأنني أجهضت باكراً جداً. استمرت بوني في الإمساك بيدي وفي التمتمة، يا إلهي، هل أنتِ مستعدة للإجابة عن أسئلةٍ قليلة بعد كل ما مررتِ به؟ وهكذا بهذه السرعة، انتقلت من المواساة إلى الأمور العملية. أعتقد أن النساء البشعات يمتلكن ميلاً نحو التمييز الشديد في العادة، أو أنهنّ وقحات بصورةٍ كبيرة.

أنتِ آمي الرائعة التي نجت من عملية خطفٍ شرسة تخلّلتها اعتداءاتٍ متكررة. آمي الرائعة التي قتلت خاطفها، وتمكنت من العودة إلى زوجها الذي اكتشفت بأنه يخدعها. أنتِ:

أ) تضعين نفسك أولاً، وتطلبين بعض الوقت لاستجماع نفسك.

ب) تستجمعين نفسكِ لوقتٍ أطول قليلاً حتى تتمكني من مساعدة الشرطة.

ج) تقرّرين أي مقابلةٍ تبدأين بإعطائها - يُحتمل أن تخرجي بشيء مفيد من هذه المحنة، مثل عقدٍ حول كتاب.

الجواب الصحيح: ب. تضع آمي الرائعة الآخرين أولاً.

سُمح لي بتنظيف نفسي في غرفةٍ خاصة في المستشفى، كما بدّلت ملابسي إلى مجموعة ثيابٍ قدّمها لي نِك من المنزل - سروال جينز مجعد بسبب طويه لمدةٍ طويلة، وبلوزةٍ جميلة تفوح منها رائحة الغبار. انتقلت أنا وبوني بالسيارة من المستشفى إلى مركز الشرطة بصمتٍ شبه تام. سألتها بصوتٍ ضعيفٍ عن والديّ.

قالت بوني: " ينتظرانك في مركز الشرطة. بكيا عندما أخبرتهما. بكيا من الفرح والارتياح. سنسمح لكم بالعناق قبل أن نطرح أسئلتنا. لا تقلقي " .

كانت الكاميرات جاهزة في مركز الشرطة. بدا موقف السيارات بأنواره الساطعة، ربما أكثر من اللازم، أقرب ما يكون إلى ملعبٍ رياضيٍ فسيح. ليس لموقف السيارات هذا أقسام تحت الأرض، وهكذا تمكّنا من المضي قُدُماً وبشكلٍ مباشر، بينما كان الجمهور المتحمس يُطبق علينا: رأيت شفاهاً رطبة، ولعاباً، بينما كان جميع الموجودين يطرحون الأسئلة بأصواتٍ عالية، كما سطعت أنوار الفلاشات بقرقعاتها. اندفع الحشد نحونا كتلةً واحدة متقدماً بوصاتٍ قليلة نحو اليمين، ثم إلى اليسار، وذلك عندما حاول الجميع الوصول إليّ.

قلت لبوني: " لا يمكنني أن أفعل ذلك " . رأيت راحة يدٍ ثخينة وهي تضرب زجاج السيارة، بينما كان مصورٌ آخر يحاول الحفاظ على توازنه. أمسكتُ يدها الباردة. " هذا كثيرٌ جداً " .

ربتت على كتفي وقالت، انتظري. فُتحت أبواب مركز الشرطة وهُرع كل رجال الشرطة الموجودون في المبنى إلى الدرج واصطفوا على الجانبين من حولي، أي إنهم شكّلوا حرس شرفٍ خاصٍ بي. ركضتُ أنا وروندا بعد أن أمسكنا بأيدي بعضنا بعضاً وكأننا زوجين تزوجا حديثاً، ومضينا مسرعَين نحو والديّ اللذين كانا ينتظران في المدخل، وهكذا حصل الجميع على الصور التي تظهرني وأنا أعانق والدتي التي همست لي يا للفتاة الحلوة، يا للفتاة الحلوة، يا للفتاة الحلوة، بينما كان والدي يتنهد بصوتٍ عالٍ حتى

كاد يختنق.

دُفعت في طريقي، وكأنني لم أحصل على ما يكفي من الدفع. وضعوني في حجرةٍ صغيرة مزودة بمقاعد مكتبية مريحة وإن كانت رخيصة، وهي من النوع الذي يبدو على الدوام وكأن بقايا الطعام القديمة أثّرت في قماشها. رأيت إحدى الكاميرات وهي تومض في إحدى زوايا الغرفة التي تفتقد إلى النوافذ. لم تكن هذه الحجرة مثل ما تصورتها، أي إنها لم تصمّم كي أشعر بالأمان فيها.

أحاطت بي بوني وشريكها جيلبين، وموظفَّين في مكتب التحقيقات الاتحادي جاءا من سانت لويس، لكنهما بقيا صامتَين. أعطوني الماء ثم بدأت بوني بطرح أسئلتها.

بوني: حسناً يا آمي. أولاً أريد أن أشكرك على موافقتك على التحدث معنا بعد كل ما مررتِ به. لكن من المهم جداً في قضيةٍ كهذه أن ندوّن كلّ شيء بينما تحتفظ الذاكرة به. لا يمكنك أن تتصوري كم أن هذا مهمٌّ جداً. يعني ذلك بأنه من المناسب جداً أن نتحدّث الآن. أما إذا استطعنا تدوين كل هذه التفاصيل فسوف يكون بإمكاننا إقفال هذه القضية، ويمكنك عندها أنتِ ونِك استعادة حياتكما معاً.

آمي: أحبّ ذلك بالتأكيد.

بوني: أنتِ تستأهلين ذلك. يمكننا أن نبدأ، إذا كنتِ جاهزة، بالتسلسل الزمني للأحداث: في أي وقتٍ وصل ديزي إلى مدخل منزلك؟ هل تذكرين؟

آمي: وصل نحو العاشرة صباحاً، أو بعد ذلك بقليل لأنني أتذكر سماع آل تيفيرر وهم يتحدثون في طريقهم إلى دار العبادة.

بوني: ماذا حدث بعد أن فتحتِ الباب؟

آمي: شعرت على الفور بأن هناك خطباً ما. أولاً، دأب ديزي على كتابة الرسائل إليّ طيلة حياتي. لكن بدا لي أن حماسته قلّت كثيراً مع مرور السنين. بدأ يعتبر نفسه صديقاً قديماً، ولأن الشرطة لا تتمكن من فعل أي شيء حيال ذلك، تأقلمت مع الوضع. لم أشعر أبداً بأنه ينوي إنزال أي أذًى فعلي بي بالرغم من أنني لم أشعر بالارتياح لكوني قريبة منه إلى هذا الحد. أعني جغرافياً. أعتقد أن هذا هو ما أعاد إليه حماسه القديم، أي معرفته بأنني قريبة منه جداً. دخل إلى منزلي بكل... لطفٍ. كان متوتراً قليلاً، لكنه كان مصمماً. كنت في الطابق العلوي وعلى وشك

أن أقوم بكيّ فستاني. شاهدتُ عندها على الأرض المقبض الخشبي الكبير لدمية جودي. أعتقد بأنها سقطت منها في وقتٍ سابق. عجبتُ لذلك لأنني خبّأت الدميتين في المستودع. تناولت المقبض، وكنت ممسكةً به في يدي عندما فتحتُ الباب.

بوني: لديك ذاكرةً مدهشة.

آمي: شكراً لكِ.

بوني: ماذا حدث بعد ذلك؟

آمي: اقتحم ديزي المنزل ثم جال في غرفة المعيشة، وكان مهتاجاً بشدة وقال، ماذا أعددتِ لذكرى زواجكما؟ شعرتُ بالرعب لأنه عرف بأن اليوم هو ذكرى زواجنا. بدا غاضباً لأجل ذلك، وما لبث أن مدّ ذراعه وأمسكني برسغي واضعاً يديّ وراء ظهري ثم تعاركنا. قاومت بشدة.

بوني: ماذا حدث بعد ذلك؟

آمي: ركلته وأفلتّ منه للحظة من الزمن، فهربتُ إلى المطبخ. تعاركنا هناك كذلك، لكنه ما لبث أن ضربني بمقبض جودي الكبير، فوقعت على الأرض، ثم ضربني بعد ذلك مرتين أو ثلاث مرات. أتذكر بأنني لم أتمكن من رؤية أي شيء، وشعرت بدوار، كما أن رأسي كان ينتفض. حاولتُ الإمساك بالمقبض، لكنه طعنني في ذراعي بسكّينه الصغيرة التي كان يحملها. ما زالت آثار الطعنة موجودة. أترين؟

بوني: أجل. إن ذلك مدونٌ في أوراق فحوصاتك الطبية. كنتِ محظوظة لأن الجرح اخترق اللحم فقط.

آمي: لا أشعر بأنه جرحٌ في اللحم فقط، صدّقيني.

بوني: إذاً طعنكِ؟ كانت زواية...

آمي: لستُ متأكدة ما إذا كان فعل ذلك قصداً، أم إنني اندفعت بنفسي نحو السكّين عَرَضاً، وذلك لأنني فقدتُ توازني. أتذكّر بأن المقبض قد سقط على الأرض، ثم نظرتُ إلى الأسفل ورأيت دمي الذي سال نتيجة الجرح وهو يتجمّع حول العصا. أعتقد بأنني غبتُ عن الوعي في ذلك الوقت.

بوني: أين كنتِ عندما استيقظتِ بعد ذلك.

آمي: استيقظت وأنا مربوطة في غرفة المعيشة.

بوني: هل صرختِ لتحاولي لفتَ انتباه الجيران؟

آمي: صرختُ بالطبع. أعني، هل سمعتني؟ تعرضت للضرب، والطعن، وللتقييد على يد رجلٍ كان مهووساً بي على مدى عقودٍ من الزمن، وهو

الذي حاول ذات مرة قتل نفسه في غرفة نومي.

بوني: حسناً، حسناً، يا آمي. أنا آسفة. لم أقصد بهذا السؤال أن ألومك. إن كل ما أردناه هنا هو الحصول على الصورة الكاملة لما حدث، وبحيث نتمكن من إقفال التحقيقات، ولكي تتمكني من متابعة حياتك. أتريدين المزيد من الماء، أو القهوة، أو أي شيء آخر؟

آمي: أريد أي شيء ساخن لأنني أشعر بالبرد.

بوني: لا بأس، أيمكننا تقديم كوب قهوةٍ لها؟ إذاً ماذا حدث بعد ذلك؟

آمي: أعتقد أن خطته الأساسية كانت إخضاعي وخطفي، ثم ترتيب الأمر وكأنه هروب زوجة، لأنه عندما استيقظت كان انتهى من تنظيف الدماء في المطبخ، كما أنه رتّب أغراض الزينة التي وقعت من فوقها على الأرض عندما هربتُ إلى المطبخ. تخلّص ديزي من العصا، لكن الوقت داهمه. أعتقد بأن الأمر حدث على الشكل التالي: رأى الفوضى في غرفة المعيشة - لذلك فكّر، أتركها كما هي. فتح باب المدخل، ثم أوقعَ مزيداً من الأغراض في غرفة المعيشة. قَلَب الأريكة. هكذا كان المشهد في غاية الغرابة: نصف حقيقي ونصف زائف.

بوني: هل زرع ديزي أشياء تورط الآخرين في الجريمة في كل موقعٍ من مواقع لعبة البحث عن الكنز: مكتب نِك، هنيبعل، وفي منزل والده، وفي مستودع جو؟

آمي: لا أعرف ماذا تقصدين.

بوني: هناك لباسٌ داخلي لامرأة، لكنه ليس قياسك أنتِ، في مكتب نِك.

آمي: أعتقد بأن اللباس يعود للفتاة التي كان... يواعدها.

بوني: لم يكن بقياسها كذلك.

آمي: حسناً، لا أعرف. يُحتمل بأنه كان يواعد أكثر من فتاةٍ واحدة.

بوني: عثرنا على دفتر يومياتك في منزل والده. كانت محترقة جزئياً في الفرن.

آمي: هل قرأتِ اليوميات؟ إنها مريعة. إنني متأكدة من أن نِك كان يريد التخلص منها - أنا لا ألومه لأنكم أطبقتم عليه بسرعة.

بوني: إنني أتساءل عن السبب الذي دفع به للذهاب إلى منزل والده ليحرقها.

آمي: يمكنك أن تسأليه. (لحظة صمت). كان نِك يتردد إلى المنزل

كثيراً ليكون وحده. إنه يحب عزلته. إنني متأكدة، لهذا السبب، بأن ذلك لم يكن غريباً. أعني بأنه لا يستطيع فعل ذلك في منزلنا لأنه مسرح الجريمة - مَن يعرف متى يعود رجالكم ويعثروا على شيءٍ بين الرماد. أما في منزل والده فهو يتمتع ببعض الخصوصية. ظننت في البداية بأنها خطوة ذكية من جانبه، وذلك بالنظر إلى أن رجال الشرطة تسرعوا في إدانته.

بوني: دفتر اليوميات هامٌّ جداً. تزعم اليوميات وجود إساءة، ومخاوف بأن نِك لم يرغب بالطفل، وأنه قد يقتلك.

آمي: كنت أتمنى لو أن هذه اليوميات قد احترقت بالفعل. (فترة صمت). دعيني أكون صريحة معكِ: تتضمن هذه اليوميات بعض الشجارات التي دارت بيني وبين نِك في هذه السنوات القليلة الماضية. إنها لا ترسم الصورة الأعظم لزواجي من نِك، لكن يتعيّن عليّ الاعتراف: ما كنتُ لأكتب هذه اليوميات إلا إذا كنت سعيدةً جداً، أو إذا كنتُ غير سعيدة حقاً، وإلى أقصى الحدود، وأردتُ التنفيس عن مشاعري و... يمكنني أن أشطح قليلاً عندما أكون أنا التي أدير الأمور. أعني أن مقداراً كبيراً من هذه اليوميات يتضمن حقائق بشعة - دَفَعني بالفعل في إحدى المرات، كما قال بأنه لا يريد إنجاب طفل، كما أنه عانى بالفعل من مشاكل مالية. لكن، هل كنتُ خائفةً منه؟ يتعيّن عليّ أن أعترف، ويؤلمني أن أعترف، لكن ذلك هو أحد شطحاتي الأدبية. أعتقد أن المشكلة هي أنني تعرضت للمطاردة عدة مرات - كانت تلك قضية دامت لمدى الحياة، كما أن بعض الأشخاص تعلقوا بي بهوس، ولهذا أُصبتُ بالرهاب قليلاً.

بوني: هل حاولتِ شراء بندقية؟

آمي: حسناً، شعرتُ بخوفٍ كبير. إنني آسفة، لكن لو تتعرفين إلى تاريخ حياتي ستفهمين.

بوني: توجد مدوّنةٌ تتحدث عن ليلة شراب عندما عانيتِ مما يبدو وكأنه تسممٌ بمادة مانعةٍ للجليد.

آمي: (فترة صمت طويلة). أجل، يبدو الأمر غريباً. مرضتُ بالفعل.

بوني: حسناً، دعينا نعود الآن إلى موضوع البحث عن الكنز. هل أخفيتِ دميتَي بانش وجودي في المستودع؟

آمي: أجل.

بوني: تركّز قدرٌ كبير من تحقيقاتنا على مسألة ديون نِك، وبعض المشتريات المكلفة التي حصل عليها بواسطة بطاقات الائتمان، وكشفنا عن كل الأغراض المخبأة في المستودع. بماذا فكّرتِ عندما فتحتِ باب المستودع،

ورأيتِ كل هذه الأشياء؟

آمي: تواجدتُ عندها في منزل جو. لكني لست مقربة بشكلٍ خاص من جو، وهكذا شعرتُ بأنني أتطفل على شيء لا يعنيني. أتذكر بأنني فكّرت في ذلك الوقت بأن هذه هي أغراضها التي جلبتها معها من نيويورك. شاهدت ذلك على التلفزيون - أجبرني ديزي على مشاهدة كل شيء - وأنها تتطابق مع مشتريات نِك، و... كنت أعرف بأن نِك يعاني من بعض المشاكل المالية، وأعرف بأنه مسرف. أعتقد بأنه كان محرجاً، وهو لا يمكنه القيام بمشترياتٍ على هواه، ولذلك أخفاها عني إلى أن يتمكن من بيعها على شبكة الإنترنت.

بوني: تبدو دميتا بانش وجودي غريبتين قليلاً لهدية ذكرى الزواج.

آمي: أعرف ذلك! أعرف ذلك الآن. لا أتذكر كامل السبب الذي دفعني إلى شراء بانش وجودي. تصورت رؤية زوجٍ وزوجة وطفل وكلها من الخشب، وكنت حاملاً. قلّبت في مواقع شبكة الإنترنت، ورأيت شعار بانش: هذه هي الطريقة الفضلى لنفعل ذلك! اعتبرت بأن هذا الشعار في غاية الظرافة، لكني لم أعرف معناه.

بوني: إذاً كنتِ مربوطة. كيف نقلكِ ديزي إلى السيارة؟

آمي: قاد السيارة إلى داخل المرآب ثم أنزل الباب. سحبني، ووضعني في صندوق السيارة، ثم قادها بعيداً.

بوني: هل صرختِ في ذلك الوقت؟

آمي: أجل. صرختُ بشدة. لكن لو كنتُ أعرف بأن ديزي سوف يغتصبني في كل ليلة على مدى الشهر التالي ثم يضطجع إلى جانبي مع زجاجة، وحبةٍ منومة بحيث لا يضطر للصحو بسبب نشيجي، ولو كنت أعرف أن رجال الشرطة سوف يستجوبونه بالفعل من دون الحصول على أي دليل، وأنهم سوف يكتفون بالجلوس من دون عمل أي شيء، لكنت صرختُ بصوتٍ أقوى. أجل، كنت فعلتُ ذلك.

بوني: أقدّم إليك اعتذاري مجدداً. أيمكنكم إحضار بعض المناديل الورقية للسيدة دون من فضلكم؟ أين القهوة. شكراً. حسناً، إلى أين توجهتم من هناك يا آمي؟

آمي: قدنا السيارة نحو سانت لويس، وأنا أتذكر بأننا توقفنا في هنيبعل وسمعنا صفارة مركبٍ بخاري. أعتقد أنه رمى محفظتي في هنيبعل بالذات. إن ذلك هو أمرٌ آخر فعله بحيث يبدو الأمر وكأنه تلاعب.

بوني: إن ذلك هامٌّ جداً. يبدو أن هناك مصادفات غريبة كثيرة في

هذه القضية. أعني مثل رمي ديزي لمحفظتك في هنيبعل بالذات، أي حيث ذهب نِك. اعتقدنا بدورنا بأن نِك رمى المحفظة هناك. لكن، كيف قررتِ تخبئة هدية في المكان ذاته الذي خبأ نِك فيه الأغراض التي اشتراها بموجب بطاقات ائتمان سرية.

آمي: حقاً؟ يتعيّن عليّ أن أقول لكم بأن كل هذا لا يبدو مصادفةً بالنسبة إليّ. يبدو لي أن مجموعة من رجال الشرطة الذين قرروا بأن زوجي مذنب، وها هم يرون الآن بأنني حيّة، أي إنه من الواضح بأنه ليس مذنباً. إنهم يبدون مثل كبار المغفلين الذين يسعون إلى التغطية على مسؤوليتهم. لكن بدلاً من تقبّلهم المسؤولية، ولأن القضية تُركت بين أيدٍ لا تتمتع بالكفاءة أبداً، فإنه كان من المحتمل بأن يكون نِك الآن على لائحة المحكوم عليهم بالإعدام، وأنا مقيّدة بسريرٍ حيث أتعرض للاغتصاب في كل يوم من الآن وحتى أموت.

بوني: إنني آسفة، يبدو...

آمي: أنقذتُ نفسي، وهو الأمر الذي أنقذ نِك، وهو الأمر الذي أنقذ عدداً من رجالكم الحمقى.

بوني: إنها نقطة في غاية الأهمية يا آمي. إنني آسفة، وهكذا إننا... أمضينا وقتاً طويلاً في هذه القضية، إننا نريد معرفة كل التفاصيل التي فاتتنا كي لا نكرّر أخطاءنا. لكنك على حق تماماً لأننا لم ننظر إلى الصورة الكبيرة وهي: أنتِ بطلة. أنت بطلة بالكامل.

آمي: شكراً لك. أقدّر قولكِ هذا.

نِك دون

ليلة العودة

توجهت إلى مركز الشرطة لإحضار زوجتي. استقبلني رجال الصحافة وكأنني رئيس فاز لتوه بالأغلبية الساحقة، أو كأنني أول رجلٍ سار على القمر. تعيّن عليّ مقاومة رفع يديّ المتشابكتين فوق رأسي علامةً على النصر الساحق. فكّرت، أفهم بأننا نتظاهر بأننا أصدقاء الآن.

دخلت إلى مسرحٍ بدا وكأنه احتفال في عطلة انتهى إلى الفوضى - رأيت عدة زجاجات من الشراب فوق إحدى الطاولات، وكانت محاطةً بأكواب بلاستيكية صغيرة. تلقيت ترحيباً مبالغاً فيه من جميع رجال الشرطة. بدا الأمر وكأنهم لم يكونوا الأشخاص الذين يحاكمونني قبل يومٍ واحدٍ من الزمن. لكن تعيّن عليّ الاستمرار في هذه اللعبة. كان عليّ إدارة ظهري لتلقي الصفعات. أوه أجل، إننا رفاق الآن.

إن كل ما يهم هو أن آمي بخير. تمرنت مراراً على قول هذه الكلمات، وتعيّن علي أن أبدو ذلك الزوج المرتاح الذي يهتم بزوجته إلى حد المبالغة، وذلك إلى أن أعرف إلى أين تتجه الأحداث، أو إلى أن أتأكد بأن الشرطة تمكنت من رؤية الحقيقة وسط كل هذه الأكاذيب الشائكة، والتي تبدو راسخة. إلى حين يُلقى القبض عليها. سأمضي على هذا النحو إلى أن يُلقى القبض عليها، وعندها يمكنني أن أشعر بالارتياح التام - نتيجة تمدّد ذهني وانقباضه، أي زاوية هيتشكوك الخاصة بي - فكرت عند ذاك: قتلتْ زوجتي رجلاً.

قال رجل الشرطة الشاب الذي عيّنوه كرجل ارتباط مع أسرتنا: " طعنَته " . (أرجو أن لا أرتبط أبداً مع أي شخص، ولأي سبب). كان هو ذلك الشاب ذاته الذي اشتكى مراراً أمام جو عن حصانه، وعن شفته وعن حساسيته تجاه الفستق. " قطعتْ له الوريد الوداجي. قطعته ونزف لفترة ستين ثانية " .

تُعتبر فترة الثواني الستين فترة طويلة ليعرف المرء بأنه يموت. أمكنني أن أتصوّر ديزي وهو يحيط عنقه بيديه، ويتحسّس دماءه وهو يندفع من بين أصابعه مع كل نبضةٍ من نبضات قلبه. تخيّلته مع خوفه المتزايد ونبضات قلبه المتسارعة... والتي ما تلبث أن تتباطأ ثانية ويعرف ديزي بأن التباطؤ هو أسوأ بكثير. أما آمي فتقف طوال هذا الوقت بعيدة عن متناول يده، وتتفحصه بتلك النظرة الموبّخة والمستاءة لطالبة علم أحياء في

مدرسة ثانوية والتي تشاهد جنين حيوان يقطر دماً، بينما تمسك المبضع بيدها.

قال الشاب: " جرحَتْه بسكين جزارٍ قديمة. اعتاد الرجل الجلوس بقربها على السرير، وكان يقطع لها شرائح اللحم ويطعمها إياها " . بدا أنه مستاء من إطعامه إياها أكثر مما هو مستاء من عملية طعنها له. " انزلقت السكين ذات يوم من الطبق، لكنه لم يلحظ ذلك أبداً... " .

سألته: " كيف أمكنها استخدام السكين إذا كانت مربوطة بالسرير على الدوام؟ " .

تطلع الشاب نحوي، وكأنني أخبرته نكتةً عن والدته. " لا أعرف يا سيّد دون. إنني متأكدٌ من حصولهم على التفاصيل في هذا الوقت. أما أهم من كل ذلك فهو أن زوجتك أصبحت بأمان " .

يا الله. سرق هذا الشاب شعاري.

شاهدت راند وماريبيت من خلال مدخل الغرفة حيث عقدنا أول مؤتمرٍ صحفي منذ ستة أسابيع. رأيتهما يستندان إلى بعضهما بعضاً كما تعودا على الدوام. قبّل راند رأس ماريبيت، أما هي فقد مرّغت أنفها على صدره. شعرت بموجة غضبٍ إلى حد أنني كدتُ أرميهما بكبّاسة أوراق. أيها الأحمقان المغرمان اللذان أنتجا ذلك الشيء الذي يجلس في آخر الغرفة، وأطلقتماه في وجه العالم. يا لروعة ذلك الوحش الأصيل! هل عاقبهما أحد على ذلك؟ كلا، لم يتقدم شخصٌ واحد للتساؤل عن شخصيتيهما، لكنهما لم يتقنا أي شيء غير إغداق الحب والدعم، وهكذا فإن آمي سوف تُعاد إليهما، وسوف يحبها الجميع أكثر فأكثر.

كانت زوجتي من قبل مضطربة عصبياً إلى أبعد الحدود. لكن كيف ستصبح الآن؟

تقدّم بحذر يا نِك. تقدّم بحذرٍ كبير.

رآني راند فأشار إليّ بالانضمام إليهما. صافحني أمام عددٍ قليلٍ من المراسلين الذين سُمح لهم بالدخول. أما ماريبيت فبقيت على موقفها: كنت ما أزال بالنسبة إليها الرجل الذي خان ابنتها. أومأتْ باقتضاب ثم أدارت وجهها.

اقترب راند مني بحيث تمكنت من شمّ علكته التي هي بطعم النعناع. " أقول لك يا نِك بأننا مرتاحون جداً لعودة آمي. إننا مدينون لك باعتذار، واعتذارٍ كبير. سندع آمي تقرر ما تريده بشأن زواجكما، لكنني أريد على الأقل الاعتذار عمّا آلت إليه الأمور. يتعيّن عليك أن تفهم... " .

قلت: " إني أفهم. إنني أفهم كل شيء " .

دخل تانر وبيتسي معاً قبل أن يتمكن راند من الاعتذار، أو المضي بالحديث أبعد من ذلك. ظهرا وكأنهما عارضان في أحد إعلانات مجلة فوغ - الملابس الفضفاضة والقمصان المزينة بقطعٍ ذهبية وساعات وخواتم ذهبية ملتمعة - لكن تانر انحنى نحو أذني وهمس، دعنا نرى أين وصلنا، وما لبثت جو أن أسرعت بالدخول بعيونٍ وأسئلة قلقة: ماذا يعني هذا؟ ماذا حدث لديزي؟ هل ظهرت فجأة أمام منزلك؟ ماذا يعني كل هذا؟ هل أنت بخير؟ ماذا سيحدث بعد ذلك؟

كان ذلك اجتماعاً غريباً من نوعه، أعني جوّ هذا الاجتماع: لم يكن اجتماع إعادة لمّ الشمل، ولم تكن الغرفة مثل غرفة الانتظار في المستشفيات. كان الجو احتفالياً لكنه مشوبٌ بالقلق مثل ذلك الذي يسود في قاعة ألعاب مقفلة، والتي لا يمتلك أحد جميع قواعدها. واظب المراسلان الوحيدان اللذان سمح لهما آل إليوت بالدخول إلى هذه القاعة المحظورة على توجيه الأسئلة إليّ: ما هو مدى عظمة شعورك لاستعادة آمي؟ ما هو مدى روعة شعورك الآن؟ كم أنت مرتاحٌ يا نِك لأن آمي عادت؟

إنني مرتاحٌ جداً وسعيد جداً. قمت بصياغة هذا الشعار العادي بنفسي في إطار العلاقات العامة. فُتح الباب على مصراعيه، ودخلت جاكلين كولينغز منه. كانت شفتاها مزمومتين وكأنهما خط أحمر، بينما كان وجهها مخططاً بالدموع.

قالت لي: " أين هي؟ تلك الساقطة الكاذبة الصغيرة. أين هي؟ قتلتْ ابني. ابني " . بدأت بالبكاء بينما التقط المراسل عدة صورٍ لها.

سأل أحد المراسلين بصوتٍ جامد. ما هو شعورك إزاء اتهام ابنك بالخطف والاغتصاب؟

ردّت بسرعة: " ما هو شعوري؟ هل أنت جادٌّ بالفعل؟ هل يجيب الناس عن أسئلةٍ كهذه؟ أقدمتْ تلك الفتاة الشريرة عديمة المشاعر على التلاعب بابني طوال حياته - اكتب ذلك - تلاعبت به، وكذبت عليه وأخيراً قتلته، والآن ما زالت تستغله بعد أن مات... " .

قالت ماريبيت: " سيدة كولينغز. إننا والدَا آمي " . حاولتْ بعد ذلك أن تلمس كتف جاكلين، لكن هذه الأخيرة منعتها. " إنني آسفة لآلامك " .

كانت جاكلين أطول من ماريبيت. حملقت جاكلين فيها وقالت: " لكنك لستِ آسفة لخسارتي. لكنكِ لستِ آسفة لخسارتي " .

قالت ماريبيت: " إنني آسفة بشأن... كل شيء " . وقف راند إلى

جانبها، وكان أطول من جاكلين.

سألت جاكلين: " ماذا ستفعلين بابنتكِ؟ " التفتت نحو رجل الشرطة الذي يعمل كضابط ارتباط مع أسرتنا والذي حاول أن يسيطر على الوضع. " ماذا سيفعلون مع آمي؟ إنها تكذب وتقول إن ابني خطفها. إنها تكذب. قتلتْه. قتلته بينما كان نائماً، ويبدو أن أحداً لا يأخذ هذا على محمل الجد " .

قال الشاب: " إن كل الأمور تؤخذ على محمل الجد يا سيدتي " .

سأل المراسل: " أيمكنني الحصول على تصريح يا سيدة كولينغز؟ " .

" أدليتُ بتصريحي للتو. آمي إليوت دون قتلت ابني. لم يكن ذلك دفاعاً عن النفس، لقد قتلته " .

" أتمتلكين أي برهانٍ على ذلك؟ " .

لم تمتلك أي برهانٍ بطبيعة الحال.

سجّل المقال الذي كتبه المراسل إرهاقي كزوج (أوحى وجهه المُرهَق بالليالي الكثيرة التي شعر فيها بالخوف) وكذلك الارتياح الذي شعر به آل إليوت (يتعلّق الوالدان ببعضهما بعضاً أثناء انتظار عودة ابنتهما الوحيدة إليهما بشكلٍ رسمي). علّق المقال كذلك على عدم كفاءة رجال الشرطة (كانت قضيةً ترافقت مع التحيّز ومليئة بالطرق المسدودة والتحولات الخاطئة، وذلك مع تركيز قسم الشرطة على الرجل الذي لم يقترف ذنباً). اقتصر ذكر جاكلين كولينغز على سطرٍ واحدٍ في المقالة: بعد مناقشة شاقة مع والدَي إليوت أُخرجت جاكلين كولينغز المليئة بالمرارة من الغرفة زاعمةً أن ابنها كان بريئاً.

أُخرجت جاكلين كولينغز بالفعل من الغرفة إلى غرفة أخرى حيث دُوّنت إفادتها، وهكذا استُبعدت من معظم القصة التي حملت عنوان: العودة المنتصرة لآمي الرائعة.

عادت الأمور سيرتها الأولى بعد عودة آمي إلينا. الصور والدموع، والعناق والضحكات لأجل كل الغرباء الذين أرادوا أن يروا ويعرفوا: كيف جرت الأمور؟ آمي، كيف كان شعورك عندما هربتِ من خاطفكِ وعدتِ إلى زوجك؟ نِك، ما هو شعورك عندما استعدتَ زوجتك، وعند استعادتك لحريتك دفعةً واحدة؟

بقيتُ صامتاً معظم الوقت. كنتُ أفكّر في الأسئلة الخاصة بي، وهي الأسئلة ذاتها التي فكّرت فيها على مدى سنوات، وهي التي كانت بمثابة اللازمة المنذرة بالسوء في زواجنا: بماذا تفكرين يا آمي؟ ما هو شعورك؟

مَن أنتِ؟ ماذا فعلنا لبعضنا بعضاً؟ ماذا سنفعل؟

أبدت آمي قدراً كبيراً من اللطف والرقي عندما رغبت بالعودة إلى سريرنا الزوجي في منزلنا مع زوجها الذي خانها. اتفق الجميع على ذلك، وتبعتنا وسائل الإعلام وكأننا نسير في موكب عرسٍ ملكي. مررنا عبر شوارع قرطاجة المكتظة والمليئة بمطاعم المأكولات السريعة المتألقة بأضواء النيون الساطعة، ووصلنا إلى ماك مانشن الذي يقع على ضفة النهر. يا للرشاقة والشجاعة التي تمتلكهما آمي، وهي أميرة القصص الرومانسية. أما أنا فكنتُ بطبيعة الحال مثل ذلك الأحدب التابع المطيع الذي يحني ظهره ويزحف لما تبقى له من أيام، أو إلى حين يُلقى القبض عليها، هذا إذا ما ألقيَ القبض عليها على الإطلاق.

قلقت كثيراً لمجرد إطلاق سراحها، لكن الأمر تجاوز القلق، ووصل إلى حد الصدمة الكاملة. رأيتهم وهم يخرجون من غرفة الاجتماعات حيث استجوبوها لمدة أربع ساعات ثم أطلقوا سراحها: رأيت موظفَيْ مكتب التحقيقات الاتحادي بشعرهم القصير الذي يثير القلق، ووجهيهما الخاليين من التعابير؛ أما جيلبين فقد بدا وكأنه ابتلع أكبر غداء شرائح لحمٍ في حياته، بينما كانت بوني هي الوحيدة بشفتين مزمومتين وبعض العبوس. حدّقت بي عندما مرّت بمحاذاتي، وقوّست أحد حاجبيها، ثم مضت في طريقها.

عدت بسرعة مع آمي إلى منزلنا، وجلسنا في غرفة المعيشة بينما تطلعت نحونا بليكر [الهرة] بعينين ملتمعتين. أما خارج الستائر فقد بقيت أضواء كاميرات المحطات التلفزيونية والتي أغرقت غرفتنا بوهجٍ برتقالي مبهج بشكلٍ غريب. بدا منظرنا وكأننا جالسان وسط أضواء الشموع في جوٍّ رومانسي. كانت آمي جميلةً بالكامل. أحسستُ بالكراهية تجاهها، وكنت خائفاً منها.

بدأتُ بالكلام: " لا يمكننا في واقع الأمر أن ننام في المنزل ذاته... " .

أمسكت يدي وقالت: " أريد أن أمكث معك. أريد أن أكون مع زوجي. أريد أن أعطيك الفرصة لتكون ذلك الزوج الطيب الذي تريد أن تكونه. إنني أسامحك " .

" أنتِ تسامحيني؟ آمي، لماذا عدتِ؟ هل عدتِ بسبب ما قلته في المقابلات؟ أم ما قلته في أشرطة الفيديو؟

قالت: " ألم يكن هذا ما أردته أنت؟ ألم يكن ذلك هو الهدف من

أشرطة الفيديو؟ كانت الأشرطة جميلةً جداً إلى حد أنها ذكّرتني بما تشاركنا به في السابق، والذي كان رائعاً " .

" إن ما قلته في الأشرطة كانت الأمور التي أردتِ أنتِ سماعها " .

قالت آمي: " أعرف. هل هذا كل ما تعرفه عني! " ابتسمت بينما كانت بليكر تتكور على نفسها. التقطتها وربتت عليها، لكن قرقرتها كانت حادة جداً. " فكّر في هذا يا نِك. إننا نعرف بعضنا بعضاً الآن أكثر من أي شخصٍ آخر في هذا العالم " .

صحيح أنني امتلكتُ الشعور ذاته في الشهر الماضي، وذلك عندما لم أكن أتمنى السوء لآمي. كان ذلك الشعور ينتابني في لحظاتٍ غريبة - في منتصف الليل في طريقي إلى الحمّام، أو في الصباح وأنا أسكب لي طبقاً من الحبوب - كنت عندها أحسّ بشيء من الإعجاب، بل أكثر من ذلك، بشيءٍ من الغرام تجاه زوجتي. أحسستُ هذا في أعماق أعماقي. أحسستُ بلهفةٍ لأسمع ما في تلك المذكرات بالضبط، وهي تغريني بالعودة إليها، وحتى وهي تتوقع تحركاتي الخاطئة... عرفتني هذه المرأة معرفة تامة. عرفتني أكثر من أي شخصٍ آخر في هذا العالم. اعتقدتُ طوال هذا الوقت بأننا غرباء، لكن تبيّن لي أننا نعرف بعضنا بعضاً في أعماق أعماقنا، وفي عظامنا، وفي دمائنا.

كان ذلك رومانسياً، ورومانسياً إلى حدٍّ كارثي.

" لا يمكننا المتابعة من حيث كنا يا آمي " .

قالت لي: " كلا، ليس من حيث كنا. سنبدأ من حيث نحن الآن. سنبدأ من حيث تحبني ولن تخطئ بحقي ثانية " .

قلت: " أنتِ مجنونة، ومجنونة بالفعل إذا ما اعتقدتِ بأنني سوف أبقى. قتلتِ رجلاً " . أدرت ظهري نحوها، ثم تخيّلتها ممسكةً بسكين في يدها بينما تزمّ شفتيها لأنني أمتنع عن إطاعتها. استدرتُ نحوها ثانيةً. أجل يتعيّن عليّ أن أواجه زوجتي.

" فعلتُ ذلك كي أهرب منه " .

" قتلتِ ديزي كي يكون لكِ قصة جديدة، ولكي تتمكني من العودة، ولكي تكوني آمي المحبوبة، ولكي لا تتحملي اللوم مجدداً لما فعلتِه. ألا تلاحظين المفارقة يا آمي؟ إنها ما كنتِ تكرهينه فيّ على الدوام - أي إنني لم أواجه عواقب أعمالي، أليس كذلك؟ حسناً، ها أنا بخير، ولا أواجه أيّ عواقب. لكن ماذا بشأنك أنتِ؟ أنتِ قتلتِ رجلاً، رجلاً أفترضُ بأنه أحبك وكان يساعدكِ، والآن تريدينني أن أحلّ مكانه وأحبك وأساعدك، و... لا

أستطيع. لا أستطيع ولا أريد أن أفعل ذلك " .

قالت لي: " نِك، أعتقد بأنك تلقيتَ بعض المعلومات السيئة. إن ذلك لا يفاجئني بسبب كل الشائعات التي راجت. لكن ينبغي علينا أن ننسى كل ذلك إذا كان علينا أن نمضي قُدُماً، وأنا أعرف بأننا سوف نمضي قُدُماً. يريد جميع الأميركيين أن نمضي قُدُماً. إنها القصة التي يريدها العالم الآن، والتي نريدها نحن. ديزي هو رجلٌ شرير، ولا أحد يريد الأشخاص الشريرين. إنهم يريدون أن يحبوك يا نِك. إن الطريقة الوحيدة المفتوحة أمامك الآن كي تحصل على حبّ الناس هي البقاء معي. إنها الطريقة الوحيدة " .

" أخبريني ماذا حدث يا آمي. هل كان ديزي يساعدك على الدوام؟ " .

انفجرت غضباً عند سماعها هذه الكلمات، لأنها ليست بحاجة للحصول على المساعدة من أي رجل. قالت بغضب: " بالطبع لا! " .

" أخبريني، لا بأس في ذلك. أخبريني كل شيء، لأننا لا نستطيع أن نمضي أنا وأنتِ مع هذه القصة الزائفة. سأواجهك في كل خطوةٍ في الطريق. أعرف بأنكِ فكّرتِ في كل شيء. إنني لا أحاول حملك على الوقوع في خطأ ما. تعبتُ من محاولة التفوق عليكِ في التفكير، وهذا ليس من ضمن قدراتي. كل ما أريد هو معرفة ماذا حدث. كنتُ على بعد خطوة من الموت يا آمي. عدتِ وأنقذتني، وأنا أشكرك على هذا. هل تسمعينني. أشكرك، لذلك لا تقولي بعد ذلك بأنني لم أفعل. إنني أشكرك. لكني أريد أن أعرف. تعرفين بأنني أريد أن أعرف " .

قالت لي: " اخلع ملابسك " .

أرادت آمي أن تتأكد من عدم حملي لجهاز تسجيل في ثيابي. خلعتُ ملابسي أمامها، ونزعتُ كل زر، ثم تفحصّتني. مرّرت يدها فوق ذقني وصدري، ثم إلى أسفل ظهري. تحسّست مؤخرتي، ثم دسّت يدها بين ساقيّ... لكن شيئاً لم يحدث.

قالت: " تأكدت من أنك لا تحمل شيئاً " . قصدت أن تقول ذلك كدعابة، أو ككلامٍ لبقٍ، أو أن يكون ذلك إشارةً إلى عبارة وردت في أحد الأفلام السينمائية، والتي ضحكنا معها في السابق. لكن عندما لم أقل شيئاً تراجعت قليلاً، وقالت: " لطالما أحببت أن أنظر إليك وأنت عارٍ. يجعلني ذلك أشعر بالسعادة " .

" أعتقد أنه ما مِن شيء يجعلك سعيدة. أيمكنني ارتداء ملابسي؟ " .

" كلا. لا أريد أن أقلق من احتمال وجود أسلاك أو أجهزة تنصت في الأردان أو في الحواشي. يتعيّن علينا كذلك الذهاب إلى الحمّام وفتح المياه، وذلك تحسباً لإمكان وجود أجهزة تنصت في المنزل " .

قلت: " يبدو بأنك شاهدتِ أفلاماً كثيرة " .

" ها! لم أتوقع سماع شيء كهذا منك " .

وقفنا في حوض الاستحمام وفتحنا المياه. انطلقت المياه على ظهري العاري وما لبثت أن بلّلت الجزء الأمامي من قميص آمي إلى أن خلعته. نزعت آمي كل ملابسها في ما بدا أنه عملية تعرٍّ مرحة، ثم رمت هذه الثياب على عمود الدشّ، وهي فعلت ذلك بالطريقة المرحة ذاتها التي رمت بهذه الثياب فوق عمود الدشّ في المرة الأولى التي تقابلنا فيها - إنني على استعدادٍ لكل شيء - استدارت نحوي بعد ذلك، وانتظرتها كي تدير شعرها حول كتفيها كما كانت تفعل عندما كانت تغازلني، لكن شعرها كان قصيراً جداً.

قالت لي: " تعادلنا الآن. لم يكن من الإنصاف أن أكون الشخص الوحيد الذي يرتدي ثيابه " .

" أظن بأننا تجاوزنا الرسميات يا آمي " .

انظر فقط إلى عينيها، ولا تلمسها، ولا تدعها تلمسك.

تحركت نحوي ووضعت إحدى يديها على صدري، وسمحت للمياه بالتقاطر. لعقت إحدى قطرات المياه عن شفتها العليا وابتسمت. كانت آمي تكره رذاذات المياه، ولم تحب أبداً أن يتبلل وجهها، ولم تحب كذلك أن تحسّ بجريان المياه على جسدها. أعرف كل ذلك لأنني كنت متزوجاً بها، كما سبق لي أن خدشتها وضايقتها عدة مرات تحت مياه الدشّ، لكنها كانت تصدّني على الدوام. (أعرف أن ذلك يبدو مثيراً يا نِك، لكنه ليس كذلك في الواقع. إنه شيء لا يفعله الناس إلا في الأفلام). لكنها تتظاهر الآن بالعكس وكأنها نسيت أنني أعرفها. تراجعت قليلاً.

" أخبريني كل شيء يا آمي. لكن قولي لي أولاً: هل كان هناك طفل حقاً؟ " .

كانت قصة الطفل مجرد كذبة، وكان ذلك أكثر الأجزاء كآبةً بالنسبة إليّ. إن كون زوجتي قاتلةً هو أمرٌ مرعب، ومقزز، لكن كذبة الطفل كان من المستحيل تحمّلها. كانت قصة الطفل كذبة، والخوف من منظر الدماء

كان كذبة. كانت زوجتي كذبة بمعظمها طوال السنة الماضية.

سألتها: " كيف أوقعتِ بديزي؟ " .

" وجدت حبلاً في إحدى زوايا الطابق السفلي. استخدمت سكيناً حادة محززةً لتقطيعه إلى أربعة أجزاء... " .

" هل سمح لك الاحتفاظ بسكين؟ " .

" كنا أصدقاء. هل نسيت؟ " .

كانت على حق. لكنني فكّرت في القصة التي روتها لرجال الشرطة، وهي قصة احتجاز ديزي لها. نسيت فعلاً. كانت راوية قصصٍ ماهرة.

" عندما كان ديزي يغيب عني كنت أربط هذه الأجزاء بالشدة التي أستطيع احتمالها حول معصميّ وكاحليّ بحيث تترك هذه التغضنات " .

عرضت عليّ تلك الخطوط المتقعة حول معصميها والتي بدت مثل الأساور.

" تناولت زجاجة شراب واستخدمتها في كل يوم بحيث يبدو القسم الداخلي من مهبلي... حسناً، وكأنه كان ضحية اغتصاب. سمحت له في النهاية بمعاشرتي بحيث أحمل حيواناته المنوية، وذلك بعد أن دسستُ بعض الحبوب المنومة في شرابه " .

" هل سمح لك بالاحتفاظ بالحبوب المنومة؟ " .

تنهدت بمعنى أنني لم أكن أتابع مجرى القصة.

" حسناً، كنتما صديقين " .

" ثم قمت... " شرحت لي بالإشارات كيف أنها قطعت وريده الوداجي في عنقه.

" كان ذلك في غاية السهولة. أليس كذلك؟ " .

قالت لي: " لا يتطلب الأمر سوى أن تقرر ذلك، وتنفذ بعد ذلك. نفّذ كل نقطة بكل انضباط، مثل كل الأمور. لكنك لم تفهم ذلك مطلقاً " .

أحسستُ بأن مزاجها أصبح أكثر تصلباً. لم أُظهر إعجاباً بها بما يكفي.

قلت: " أخبريني المزيد. قولي لي كيف فعلتِ ذلك " .

بردت المياه بعد مرور ساعة من الزمن، وهكذا أقفلت آمي باب مناقشتنا.

قالت لي: " يتعيّن عليك الاعتراف بأن هذه كانت فكرة لامعة جداً " .

حدّقت بها.

أضافت: " أعني بأنه يتعيّن عليك أن تعجب قليلاً بالفكرة " .

" كم من الوقت استغرق ديزي لينزف حتى الموت؟ " .

قالت: " حان وقت النوم. لكن يمكننا التحدث أكثر في الغد إذا أردتَ ذلك. أما الآن فيجب أن ننام، معاً. أعتقد أن هذا هامٌّ كخاتمة. لكن الواقع أن هذا هو هام جداً لنقيض الخاتمة تماماً " .

" آمي. سأمكث الليلة لأنني لا أريد مواجهة كل الأسئلة التي ستثور إذا لم أمكث هنا. لكني سوف أنام في الطابق السفلي " .

أمالت رأسها إلى جهةٍ واحدة وتفحّصتني ملياً.

" نِك، ما زال بإمكاني إنزال ضررٍ كبيرٍ بك. تذكّر ذلك " .

" ماذا؟ أيمكنك إنزال سوءٍ بي أكبر مما فعلتِ سلفاً؟ " .

" أوه، بكل تأكيد " .

" أشك في ذلك يا آمي " .

بدأتُ بالسير نحو الباب.

قالت: " ما رأيك في محاولة القتل؟ " .

توقفتُ على الفور.

" كانت هذه خطتي الأساسية في الأصل: سأكون الزوجة المسكينة والمريضة والتي عانت من نوبات متكررة ومفاجئة من المرض، ثم تبيّن أن كل تلك الكوكتيلات التي كان زوجها يحضّرها لها... " .

" أي مثل ما هو مكتوبٌ في اليوميات " .

" لكنني قررت بأن محاولة القتل ليست كافية أبداً بالنسبة إليك. يتعيّن أن يكون الأمر أكبر من ذلك. لكني لم أتمكن من محو فكرة التسمّم من رأسي. أحببتُ فكرة إعدادك للجريمة، ومحاولتك الجبانة أولاً، ولهذا مضيتُ بها " .

" أتتوقعين أن أصدّق ذلك؟ " .

" ما رأيك بكل ذلك القيء. إنه شيء مرعب: زوجة بريئة ومرتعبة قد تفكر في الاحتفاظ ببعض ذلك القيء تحسباً لإمكان أن تحتاجه. لا يمكنك أن تلومها لأنها مصابة بالرهاب قليلاً " . ابتسمت ابتسامةً تنمّ عن الرضا، وتابعت: " إنني أحتفظ على الدوام بخطة احتياطية للخطة الاحتياطية " .

" هل سمّمتِ نفسكِ فعلاً؟ " .

" نِك، أرجوك. هل تشعر بالصدمة؟ لقد قتلتُ نفسي " .

قلت: " أريد أن أتناول شراباً " . غادرتُ الغرفة قبل أن تتمكن من

الكلام ثانيةً.

سكبتُ لنفسي بعض الشراب الاسكتلندي، وجلست في أريكة وسط غرفة المعيشة. لاحظت من خلف الستائر أن أضواء الكاميرات المتوهجة تضيء باحة المنزل. ستنتهي هذه الليلة قريباً، لكني بدأت باعتبار فترة الصبح فترة كئيبة مع معرفتي بأنها سوف تتكرر مرةً بعد أخرى.

رفع تانر سماعة الهاتف بعد الرنّة الأولى.

قلت: " قتلَتْه. قتلتْ ديزي لأنه كان يزعجها... بالأساس، وكان يناورها. أدركت أن بإمكانها أن تقتله، لأن ذلك كان وسيلتها الوحيدة للعودة إلى حياتها القديمة، وهكذا يمكنها أن تضع عليه اللوم كله. لقد قتلته يا تانر، وهي أخبرتني بذلك. اعترفت هي بذلك " .

" لا أفترض بأنك تمكنتَ من... تسجيل الاعتراف بطريقةٍ ما، مثل الهاتف الخلوي أو ما يشبه ذلك " .

" كنا عاريين تحت المياه الجارية، وهي همست لي بكل شيء " .

قال لي: " أعتقد بأنني لا أريد أن أسأل. أنتما أكثر الأشخاص تورطاً من بين الذين التقيتهم، لكني متخصص بالأشخاص المتورطين " .

" ماذا يجري في مركز الشرطة؟ " .

تنهد وقال: " أحكمتْ رواية كل شيء. تدعو قصّتها للضحك، لكنها ليست أكثر سخافة من قصّتنا. تستغل آمي أكثر شعارات المضطربين نفسياً موثوقية " .

" وما هو ذلك الشعار؟ " .

" كلما كبرت الكذبة كلما زادت احتمالات تصديقها " .

" ما هذا يا تانر. لا بد من وجود شيء ما " .

تقدمت نحو الدّرَج كي أتأكد من عدم وجود آمي في أي مكانٍ قريب. كنت أتحدث همساً على الهاتف، لكن الحذر واجبٌ مع ذلك لأنه يتعيّن عليّ أن أكون حذراً من الآن فصاعداً.

" يتعيّن علينا أن نكون في منتهى الحذر من الآن فصاعداً يا نِك. أظهرتكَ بمظهرٍ سيئ جداً: تقول إن كل شيء ورد في اليوميات صحيح، وإن كل الأغراض الموجودة في المستودع هي لك، وإنك اشتريتها بواسطة بطاقات الائتمان لكنك محرجٌ جداً للاعتراف بذلك. إنها مجرد فتاة ثرية صغيرة، وماذا ستعرف عن حصول زوجها على بطاقات ائتمان باسم زوجها؟ لكن يا إلهي، ماذا بشأن تلك الأقراص المدمجة! " .

" أخبرَتني أنه لا وجود لأي جنين أبداً، وهي زيّفت الأمر مستخدمةً

بول نويل هوثهورن " .

" لماذا لم تقل ذلك. هذا كثير! سنعتمد إذاً على نويل هوثهورن " .

" لا تعرف نويل بهذه القصة " .

سمعتُ تنهيدة عميقة في الطرف الآخر من الخط، لكنه لم يكلّف نفسه عن السؤال عن كيفية حدوث ذلك. قال لي: " سنفكّر في الأمر، وسوف نتابع البحث، ولا بد أن يستجد شيء ما " .

" لا يمكنني البقاء في هذا المنزل مع هذا الشيء. إنها تهددني بـ... " .

" بمحاولة القتل عن طريق السائل المانع للجليد. أجل، سمعت ذلك خلال تلك المعمعة " .

" لا يمكنهم إلقاء القبض عليّ لهذا السبب، أليس كذلك؟ تقول إنها ما تزال تحتفظ ببعض القيء ليكون دليلاً. لكن، هل بإمكانهم فعلاً... " .

قال لي: " دعنا لا نتحدث كثيراً عن هذا. أسمعتَ يا نِك؟ أريدك أن تكون لطيفاً في هذه الفترة. أكره أن أقولها لك. إنني أكره ذلك فعلاً، لكن هذه هي نصيحتي القانونية لك في هذا الوقت: كن لطيفاً " .

" كن لطيفاً؟ هل هذه هي نصيحتك؟ يقول فريق الدفاع المؤلف من رجلٍ واحد: كن لطيفاً؟ اللعنة " .

أقفلت الخط مع موجة غضبٍ شديدة.

فكّرت في نفسي، سأقتلها. سأقتل تلك الساقطة بالتأكيد.

استغرقت في أحلام اليقظة التي كثيراً ما لجأتُ إليها على مدى السنوات القليلة الماضية، أي عندما جعلتني أمتلك أسوأ المشاعر: حلمتُ بضربها بمطرقة، وتحطيم رأسها حتى تتوقف عن الكلام. توقفت أخيراً مع الكلمات التي كرّرتها على مسامعي: عادي، مضجر، متوسط الذكاء، غير مدهش، غير مقنع، وغير مؤثر. كانت - غير - هي الأهم أساساً. ضربتها في ذهني بمطرقة حتى أصبحت مثل الدمية المتكسرة، وكررتُ كلمة غير، غير، غير، إلى أن توقفت. لم يعد ذلك كافياً لذلك أعدتُها إلى حالتها الأولى وبدأت بقتلها ثانيةً: طوّقتُ عنقها بأصابعي، أعرف أنها كانت تسعى للخصوصية، ثم ضغطتُ بأصابعي، وضغطتُ أكثر، إلى أن توقف نبضها...

" نِك؟ " .

استدرتُ لأجد آمي واقفة في أسفل الدرج وقد ارتدت ثياب نومها وأحنت رأسها إلى جهة واحدة.

" كن لطيفاً يا نِك " .

آمي إليوت دون

ليلة العودة

استدار نحوي. بدا مرتعباً عندما رآني واقفةً هناك، وهذا وضعٌ مفيد لأنني لن أسمح له بالمغادرة. يُحتمل أن يعتقد بأنه كان يكذب عندما قال كل تلك الأشياء اللطيفة لإغرائي بالعودة إلى المنزل. لكن ما أعرفه يختلف عن ذلك. أعرف أن نِك لا يمكنه أن يكذب هكذا. أعرف بأنه عندما كان يتمرّن على التلفظ بتلك الكلمات. فهمتُ كل شيء الآن الحقيقة. بينج! لأنه لا يمكن للمرء أن يكون واقعاً في الحب مثل ما كنا من دون أن يخترق هذا الحب العظام. أعرف أن الحب الذي انغمسنا فيه يقبل التأجيل، لكنه ينتظر إعادة الظهور مجدداً، مثل أفضل أنواع السرطان.

ألم تقتنِع بكلامي هذا؟ ما رأيكَ بهذه؟ كذب بالفعل. لم يكن يقصد أي شيء قاله. حسناً، اللعنة عليه، لأنه قام بعملٍ جيد، وذلك لأنني أريده على هذا النحو بالذات. إنه الرجل الذي كان يتظاهر بأنه هو. أعرف أن النساء تحب ذلك الرجل، وأنا أحب ذلك الرجل. هذا هو الرجل الذي أريد أن يكون زوجي. هذا هو الرجل الذي وقّعتُ عليه. هذا هو الرجل الذي أستحقه.

يعني ذلك أن بإمكانه الاختيار بين أن يحبني حقيقةً بالطريقة التي كان يحبني فيها ذات مرة، وإلا فسوف أجعله يجثو على ركبتيه ليكون الرجل الذي تزوجته، لكني ضجرتُ من ألاعيبه.

قلتُ: " كن لطيفاً " .

بدا مثل طفل، وطفلٍ شرس. وجّه نِك لكمةً إلى إحدى راحتيه.

" كلا يا آمي " .

" يمكنني تدميرك يا نِك " .

" فعلتِ ذلك سلفاً يا آمي " . رأيت موجة الغضب التي اجتاحته وبدأ بالارتعاش. " لماذا بحق السماء تريدين أن أكون معك؟ إنني مضجر، وعادي، وغير مدهش، وغير مقنع، أي إنني لست من مستواكِ. أمضيتِ السنوات القليلة الماضية وأنتِ تقولين لي ذلك " .

قلت: " فعلتُ ذلك لأنك توقفتَ عن المحاولة. كنتَ رائعاً جداً معي. كنتَ رائعاً عندما بدأنا معاً، ثم توقفتَ عن المحاولة. لماذا فعلتَ ذلك؟ " .

" لم أعد أحبّك " .

" لماذا؟ " .

" إنك لم تعودي تحبينني. إننا زوجان مريضان وسامّان ومتعارضان يا آمي. لم نكن على طبيعتنا الحقيقية عندما أحببنا بعضنا بعضاً، أما عندما عدنا إلى طبيعتنا ظهرت المفاجأة! كنا كالسم. إننا نكمّل بعضنا بعضاً بأكثر الطرق بشاعة وشراً. أنتِ لا تحبينني حقيقةً يا آمي، حتى إنك لستِ معجبة بي. طلّقيني. طلّقيني، ودعينا نحاول أن نكون سعداء " .

" لن أطلّقك يا نِك، لن أفعل ذلك. إنني أقسم لك بأنه إذا حاولتَ المغادرة، فإنني سوف أكرّس حياتي لجعل حياتك مريعة بقدر ما يمكنني ذلك. أنت تعرف أنه بإمكاني جعل حياتك مريعة " .

بدأ يروح ويجيء وكأنه دبٌّ في قفص. " فكّري في ذلك يا آمي، وكيف سيكون الأمر سيئاً لنا نحن الاثنين: الشخصان الأكثر احتياجاً في العالم عالقان مع بعضهما بعضاً. سأطلقك إن لم تطلقيني " .

" حقاً " .

" سأطلّقك، لكن يتعيّن عليك أن تطلّقيني أولاً. أعرف ما تفكرين فيه سلفاً يا آمي. تعتقدين بأن ذلك لا يجعل القصة جيدة: قتلتْ آمي الرائعة أخيراً خاطفها المجنون والمغتصِب وعادت إلى المنزل وإلى... طلاقٍ مضجر. تعتقدين بأن ذلك ليس انتصاراً " .

إنه ليس انتصاراً بالفعل.

" لكن فكّري بالأمر على هذا النحو: إن قصتك ليست قصة ناجية عادية من الموت، أو فيلماً تلفزيونياً في نحو العام 1992 . إنها ليست كذلك. أنتِ امرأة صلبة وحيوية ومستقلة يا آمي. قتلتِ خاطفك، ومضيتِ بعد ذلك في تنظيف المنزل: تخلصتِ كذلك من زوجك الغبي الذي خانك. ستكونين موضع ترحيبٍ مِن قِبل النساء. أنتِ لستِ بالفتاة الصغيرة والخائفة، بل امرأة شريرة، والتي تحب أن تترك وراءها أرضاً محروقة. فكّري في ذلك. تعرفين بأنني على صواب: ولّت فترة المسامحة، وكان ذلك في الماضي. فكّري في كل النساء - زوجات السياسيين، والممثلات - وحتى في جميع النساء الأخريات اللواتي تعرضن للخيانة واللواتي لا يبقين مع أزواجهن في هذه الأيام. لم يعد الشعار السائد هو تمسكّي برجلك بعد الآن، بل طلّقي ذلك الخائن " .

شعرت تجاهه بموجة من الكراهية لأنه ما زال يحاول التملص من زواجنا حتى بعد أن أبلغته - ثلاث مراتٍ حتى الآن - بأنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، لكنه ما زال يعتقد بأنه يمتلك القوة.

سألته: " وإذا لم أطلّقك، فهل ستطلّقني؟ " .

" لا أريد أن أكون متزوجاً من امرأة مثلك، بل أريد الزواج من امرأةٍ عاقلة " .

مجرد تفاهة.

" فهمت. تريد العودة إلى طبيعتك الخاسرة، والسخيفة؟ تريد المغادرة هكذا، وبكل بساطة؟ كلا! لن تتمكن من أن تكون رجلاً أميركياً عادياً متوسطاً مع جارة مضجرة. جرّبت ذلك مسبقاً. أتذكر يا حبيبي؟ حتى ولو أردتَ ذلك لا يمكنك أن تفعل ذلك الآن. ستُعرف على أن ذلك الرجل الأحمق المغازل الذي ترك زوجته المختطفة والمغتصبة. أتعتقد أن أي امرأة لطيفة سوف تلمسك؟ لن تحصل إلا على... " .

أشار نحوي بإصبعه التي اخترقت الهواء: " المضطربات نفسياً؟ ساقطات مضطربات نفسياً؟ " .

" لا تنعتني هكذا " .

" أتعني ساقطةً ومضطربة نفسياً؟ " .

سيكون الأمر سهلاً بالنسبة إليه أن يشطبني بتلك الطريقة. سيعجبه كثيراً أن يطردني من حياته بهذه السهولة.

قلت: " يوجد سببٌ لكل شيء أقوم به يا نِك. إن كل شيء أقوم به يأخذ قدراً من التخطيط والدقة والانضباط.

" أنتِ ساقطة مضطربة نفسياً وجميلة، وأنانية، ومتلاعبة، ومنضبطة... "
.

قلت: " أنت رجل عادي، وكسول، ومضجر، وجبان، وتخاف النساء. كنتَ ستبقى هكذا من دوني أنا إلى درجةٍ مقرفة. لكني حوّلتك إلى رجلٍ آخر. كنتَ أفضل رجلٍ معي. أنت تعرف ذلك. أما المرة الوحيدة في حياتك التي أحببتَ فيه نفسك فكانت عندما تظاهرتَ بأنك الشخص الذي قد أعجب به. من أنت من دوني؟ أنتَ والدك " .

كوّر قبضتَي يده وقال: " لا تقولي ذلك يا آمي " .

قلت له بأقوى صوتٍ عندي وكأنني أتحدث مع كلبٍ صغير: " أتعتقد بأنه لم يتعرض للأذى على يد امرأة، أي مثل ما حصل معك تماماً؟ أتعتقد بأنه لم يظن بأنه يستأهل شيئاً أفضل من ما حصل عليه، أي مثلك تماماً؟ هل تعتقد فعلاً بأن والدتك كانت خياره الأول؟ ولماذا إذاً كرهك كثيراً؟ " .

تقدم نحوي وقال: " اخرسي يا آمي " .

" فكّر يا نِك وسوف تعرف بأنني على حق: حتى ولو عثرت على فتاة جميلة ولطيفة، فسوف تفكّر بي في كل يوم. أخبرني، ألن تفعل ذلك؟

" .

" لن أفعل " .

قلتُ بصوتي الطفولي والمؤثر حتى إنني أبرزت شفتي السفلى: " إذاً لماذا نسيت آندي القادرة والصغيرة عندما فكّرتَ بأنني أحببتك مجدداً؟ رسالة حب واحدة يا حبيبي؟ هل كانت رسالة حب واحدة كافية؟ أم رسالتان؟ أعني رسالتين تحملان قَسَمي بأنني أحببتك وأردت العودة إليك مجدداً، وأنني أعتقد بأنك عظيم جداً بعد كل شيء - هل كان ذلك كافٍ بالنسبة إليك؟ أنت بارع، وأنت دافئ، وأنت متألق. أنت مثير للشفقة جداً. أتعتقد بأنك قادرٌ على أن تعود رجلاً طبيعياً مرةً ثانية؟ ستجد لنفسك فتاةً أخرى، لكنك سوف تفكّر بي مع ذلك، ولن تكون مرتاحاً على الإطلاق، وستكون مقيداً بحياتك العادية المضجرة مع زوجة عادية وولدين عاديين. ستفكّر بي وسوف تنظر إلى زوجتك، وسوف تفكّر: يا لها من ساقطةٍ حمقاء " .

" اخرسي يا آمي. إني أعني ما أقول " .

" أنت مثل والدك تماماً. إننا جميعاً ساقطات يا نِك، أليس كذلك؟ إما ساقطاتٍ حمقاوات، وإما مضطرباتٍ عقلياً " .

أمسكني بذراعي وهزّني بعنف.

" إنني الساقطة التي تجعل منك رجلاً أفضل يا نِك " .

توقف عن الكلام عند هذا الحد، لكنه استخدم كل طاقته لإبقاء يديه إلى جانبه. كانت عيناه مليئتين بالدموع. إنه يرتجف.

" إنني الساقطة التي تجعلك رجلاً " .

انتقلت يداه، فجأةً، إلى عنقي.

نِك دون

ليلة العودة

بدأت نبضات قلبها تخفق تحت أصابعي، وبالطريقة التي تخيّلتها تماماً. ضغطتُ بقوةٍ أكبر أجبَرَتْها على الركوع على الأرض. أصدرت أصواتاً مختنقة، وخدشت رسغيّ. ركعنا نحن الاثنين وجهاً لوجه لفترة عشر ثوانٍ.

أيتها الساقطة المجنونة اللعينة.

سقطت دمعة كانت على ذقني واستقرّت على الأرض.

أيتها الساقطة القاتلة الشريرة والمجنونة.

حدّقت عينا آمي الزرقاوان بي من دون أن ترمشا.

برزت أغرب خاطرة من أعماق ذهني، وشقّت طريقها من حيث لا أدري، وأعمتني: إذا قتلتُ آمي، فمَن سأكون؟

رأيت وميضاً أبيض اللون. تركت زوجتي وكأنها قطعة حديد ساخنة كالجمر.

سقطت على الأرض، ولهثت، ثم عطست. أما عندما تمكنت من التنفس مجدداً فقد فعلت ذلك بشكلٍ متقطع أشبه ما يكون بصأصأةٍ غريبة كادت تكون مثيرة.

مَن سأكون عندها؟ لم يكن ذلك التساؤل اتهامياً. لم يستوجب هذا التساؤل جواباً يتسم بالتقوى: ستكون قاتلاً يا نِك. ستكون شريراً مثل آمي تماماً. ستكون مثل ما تخيّلك الجميع. كلا. كان السؤال مفعماً بالعاطفة وعملياً إلى درجةٍ مرعبة: مَن سأكون إذا لم تكن آمي موجودة لأتفاعل معها؟ كانت على صواب: كنت الأشد تأثيراً كرجل عندما أحببتها، ولم أكن الأفضل عندما أكرهها. عرفتُ آمي طوال سبع سنواتٍ فقط، لكن لا يمكنني العودة إلى الحياة من دونها. كانت على صواب: لا يمكنني العودة إلى حياة عادية. عرفت ذلك قبل أن تنطق بكلمة واحدة. سبق لي أن تصورت نفسي مع امرأةٍ عادية - فتاة حلوة وعادية تسكن إلى جواري - تخيّلت نفسي كذلك وأنا أخبر هذه المرأة العادية قصة آمي، والحدّ الذي وصلت إليه، أي معاقبتي قبل العودة إليّ. سبق لي أن تخيّلت هذه الفتاة اللطيفة والعادية وهي تقول شيئاً لا يثير الاهتمام مثل أوه، لا لا، أوه يا إلهي، وعرفتُ سلفاً أن جزءاً مني سيتطلع إليها ويفكّر: لم تقتلي أبداً لأجلي. لم توقعيني في فخ أبداً. لن تعرفي أبداً كيف تبدئين بما فعلته آمي. لا يمكنك أبداً أن تهتمي بي إلى هذا الحد. لا يتمكن الطفل المدلّل لدى والدته،

والذي يسكن في داخلي أن يجد السلام مع هذه المرأة العادية، ولن يطول الأمر حتى لا تعود عادية، بل ستكون دون الوسط، وعندها سوف يتصاعد صوت والدي - ساقطة حمقاء - في داخلي وسوف يتولى توجيهي من هناك.

كانت آمي على صوابٍ تماماً.

يُحتمل، لهذا السبب، أن لا تتواجد نهاية سعيدة لي.

كانت آمي سامة، لكني لم أتمكن من تصوّر وجود عالمٍ يخلو منها كلياً. مَن سأكون إذا انتهت آمي؟ لا تتواجد خيارات تهمّني بعد الآن. لكن يجب إعادتها إلى رشدها. أما أفضل نهاية لها فهي أن تكون في السجن. ستكون محتجزة في حجرة حيث لا تستطيع إنزال الأذى بي، لكن حيث أستطيع زيارتها بين وقتٍ وآخر. أو على الأقل أن أتخيّلها. ستبقى مني نبضة متروكة في مكانٍ ما.

لا أشك في أنني المسؤول عن وجودها في هذا الوضع. كانت تلك مسؤوليتي، ومثل ما يرجع الفضل لآمي في جعلي على الصورة الأفضل، فكذلك يجب أن أتحمل اللوم لأنني جعلت الجنون يُزهر في نفسها. كان هناك مليون رجلٍ بإمكانهم أن يحبوا آمي، ويحترموها، ويطيعوها ويعتبروا أنفسهم محظوظين لأنهم فعلوا ذلك. إنهم رجال حقيقيون واثقون من أنفسهم، والذين لا يجبرونها على التظاهر بأنها أي شيء غير ذاتها الكاملة، والصلبة، والمتطلبة، واللامعة، والخلاقة، والمدهشة، والجشعة، والمصابة بجنون العظمة.

إنهم رجال قادرون على أن يكونوا مطيعين.

إنهم رجالٌ قادرون على الإبقاء على تعقّلها.

كان يُمكن لقصة آمي أن تأخذ مليون صيغة أخرى، لكنها التقتني، وحدثت أشياء سيئة. لكن منع هذه الأشياء السيئة من الاستمرار هي في متناول يدي.

ليس بقتلها، لكن بإيقافها عند حدّها.

ووضعِها في إحدى حجراتها.

آمي إليوت دون

خمسة أيام بعد العودة

أعرف. أعرف الآن، وبالتأكيد، بأنه يجب عليّ أن أكون أكثر حذراً حول نِك. إنه ليس مطيعاً كما كان في الماضي. تغيّر شيء ما فيه، وأصبح مثل مفتاحٍ للتيار الكهربائي، والمفتاح الذي ضغط عليه شيء ما. أحببت هذا، لكني يجب أن أكون أكثر حذراً.

أحتاج إلى إجراءٍ وقائي مثير.

أحتاج إلى بعض الوقت لوضعه في مكانه. أعني هذا الإجراء. لكني فعلتُ هذا من قبل. أعني التخطيط. أما في هذا الوقت فيمكننا العمل على إعادة بناء العلاقة. يمكننا العمل على إعادة بناء الواجهة. سيمكننا التمتع بزواجٍ سعيد إذا كان يستطيع أن يتحمّل ذلك.

قلتُ له في الصباح الذي تلا الليلة التي كاد أن يقتلني فيها: " يتعيّن عليك أن تحاول أن تحبّني مجدداً " . صادف هذا اليوم عيد ميلاد نِك الخامس والثلاثين، لكنه لم يذكر شيئاً عن الأمر. يبدو أن زوجي نال ما يكفي من الهدايا التي أرسلتها له.

قلت له: " أسامحك عمّا حدث الليلة الماضية. كان كلانا تحت قدرٍ كبيرٍ من الضغوط. لكن يتعيّن عليك الآن أن تحاول مجدداً " .

" أعرف ذلك " .

قلت له: " يتعيّن أن تكون الأمور مختلفة عن ذي قبل " .

قال: " أعرف ذلك " .

إنه لا يعرف بالضبط، لكنه سوف يعرف قريباً.

دأب والداي على زيارتي يومياً. أغدق عليّ راند وماريبيت ونِك كل الاهتمام. أعطوني الوسائد. أراد الجميع إعطائي الوسائد: شعر الجميع بوطأة نفسيةٍ كبيرة تركتها عملية اغتصابي وإجهاضي واللذين أديا إلى شعوري بصداعٍ وحساسية دائمين. أعاني كذلك من ضعفٍ مزمنٍ بالعظام، ولذلك يجب أن أُحمَل بلطفٍ براحات الأيدي لئلا تنكسر عظامي. جعلني ذلك أقوم بإسناد قدميّ على الأريكة المشؤومة، وأطأ بكل حذر أرض المطبخ حيث نزفت دمائي. يتعيّن على الجميع الاهتمام بي جيداً.

أشعر أنه من الغرابة بمكان أن أشاهد نِك مع أي امرأةٍ غيري. يبدو لي بأن نِك على وشك أن يتمتم لاشعورياً على الدوام - يبدو بأن رئتيه تنفجران بكلماتٍ حولي، كلماتٍ اتهامية.

أدرك أنني بحاجةٍ إلى نِك. إنني أحتاجه فعلاً ليدعم قصتي. أحتاجه ليوقف اتهاماته وإنكاره لي والاعتراف بأن كل شيء يعود إليه: بطاقات الائتمان، والأغراض في المستودع، وبوليصة التأمين المضخمة. أما إذا لم يحدث ذلك فإنني سوف أحمل معي ظلال الشك إلى الأبد. أمتلك عدداً قليلاً من النقاط العالقة، وتلك النقاط هي الناس. الشرطة، ورجال مكتب التحقيقات الاتحادي الذين يدققون بقصتي. أعرف أن بوني تود لو تعتقلني. لكن سبق لرجال الشرطة أن أفسدوا كل شيء، وهكذا ظهروا كالحمقى، وهم لا يستطيعون لمسي إن لم يكن معهم أيّ برهان. أعرف أن لديهم نِك الذي يُقسم بأنه لم يفعل الأشياء التي أُقسم بأنه فعلها. أعرف أن هذا الأمر ليس هاماً جداً، لكنه أكثر أهمية ممّا أحب.

حضّرت نفسي كذلك في حال ظهور جيف وغريتا، صديقيّ في أوزارك، واللذين قد يبحثان عن إمكان الحصول على الشهرة أو المال. سبق لي أن أبلغتُ رجال الشرطة: لم يقُد ديزي السيارة إلى منزله مباشرة. قلت لهم بأنه أبقاني معصوبة العينين ومكمومة الفم ومخدرة لأيامٍ عدة - أعتقد أنها كانت أياماً عدة - في إحدى الغرف، وربما كانت غرفةً في موتيل [فندق على الطريق العام]. يُحتمل كذلك أنها كانت شقة. لا يمكنني أبداً أن أتأكد من ذلك، لأن كل شيء كان غامضاً بالنسبة لي. كنتُ خائفة جداً، كما تعرفون، وذلك بالإضافة إلى الحبوب المنومة. أما إذا أبرز جيف وغريتا وجهيهما البشعين وتمكّنا، بطريقةٍ ما من إقناع رجال الشرطة بإرسال فريق تقني إلى مجمع هايد أواي، وتمكّن هذا الفريق من العثور على إحدى بصماتي، أو شعرة من شعري هناك، فإن هذا، ببساطة، يحلّ جزءاً واحداً من اللغز. أما كل الأجزاء الباقية فهي مجرد مجموعة من الأكاذيب.

يعني ذلك أن نِك هو المعضلة الوحيدة، لكن لن يمرّ زمن طويل حتى أستعيده إلى جانبي. كنتُ ذكية عندما لم أترك أي دليل آخر. يُحتمل أن لا يصدّقني رجال الشرطة بالكامل، لكنهم لن يفعلوا شيئاً. أعرف من اللهجة الوقحة التي ألاحظها في صوت بوني بأنها سوف تعيش في غضبٍ دائم من الآن فصاعداً، وكلما زاد انزعاجها كلما تجاهلها الناس. تمتلك بوني تلك النظرة التي توحي بأنها على صواب، لكن يمكنها أن تدفن رأسها في الرمال.

أجل، خفّت وتيرة التحقيقات، لكن بالنسبة إلى آمي الرائعة فإن العكس هو الصحيح تماماً. تقدّم الناشر الذي يعتمده والدي بالتماس لإصدار

كتاب جديد من آمي الرائعة. رضخ والداي للطلب مقابل مبلغ مالي محترم. عادا مجدداً إلى استغلال شخصيتي وكسب المال لنفسيهما. غادر والداي قرطاجة في هذا الصباح، وقالا إنه من المهم بالنسبة إلى نِك ولي (بحسب القواعد اللغوية الصحيحة) أن نمضي بعض الوقت وحيدين ونتجاوز كلّ ما مرّ معنا. لكنني أعرف الحقيقة. إنهما يريدان الانصراف إلى العمل. قالا لي بأنهما يحاولان إيجاد " الأسلوب المناسب " . إنه أسلوب يجري على هذا الشكل: خُطفت ابنتنا وتعرضت للاغتصاب تكراراً على يد وحشٍ اضطرت إلى طعنه في عنقه... لكن ذلك ليس بالطريقة المناسبة لجني المال.

لا أكترث أبداً بشأن إعادة بناء إمبراطوريتهما البائسة، وذلك لأنني أتلقى في كل يوم اتصالات تحثّني على رواية قصتي. قصّتي أنا: قصّتي، قصّتي، قصّتي. يبقى عليّ أن أنتقي أفضل عقدٍ معروضٍ عليّ والبدء بالكتابة. لكن يتعيّن عليّ كسب نِك إلى جانبي بحيث نتفق على طريقة إنهاء القصة نهاية سعيدة.

أعرف أن نِك لا يحبني الآن، لكنه سوف يفعل. إنني أؤمن بذلك فعلاً. تظاهَرْ بالأمر حتى يصبح حقيقة، أليس ذلك مثَلاً؟ إنه يتصرف في هذا الوقت مثل نِك القديم، وأنا أتصرّف مثل آمي القديمة، لكننا نتصرّف مثل ما كنا نفعل عندما كنا سعيدَين، أي عندما لم نكن نعرف بعضنا بعضاً بالعمق الذي نمتلكه الآن. وقفت البارحة في الشرفة الخلفية وراقبتُ الشمس وهي تطلع من فوق النهر. كان نسيم آب البارد يهبّ بغرابة في ذلك الصباح، لكن عندما استدرتُ شاهدت نِك وهو يتفحصني من خلال نافذة المطبخ. رفع كوب قهوته بما معناه: أتريدين كوب قهوة؟ أومأتُ، ولم يمضِ وقتٌ طويل قبل وقوفه إلى جانبي. امتلأ الهواء برائحة العشب. شربنا القهوة وراقبنا المياه معاً. كان الجو طبيعياً وملائماً.

يرفض نِك النوم إلى جانبي حتى الآن، وهو الذي فضّل النوم في غرفة الضيوف في الطابق السفلي كما يُبقي الباب مغلقاً. لكنني واثقة من قدرتي على التغلب على مقاومته على حين غرة في يومٍ من الأيام، وعندها سوف يفقد طاقته في تلك المعركة الليلية، وسوف يأتي إلى السرير معي. سأستدير لكي أواجهه وأضغط بجسدي عليه، وسوف ألتفّ حوله مثل عريشة صاعدة إلى أن أغزو كل جزءٍ منه، وأجعله ملكي.

نِك دون

ثلاثون يوماً بعد العودة

تظن آمي بأنها تسيطر على الوضع، لكنها مخطئة جداً، أو أنها سوف تكون مخطئة جداً.

إننا نعمل معاً، بوني وجو وكذلك أنا على هذه القضية. أما رجال الشرطة، ورجال مكتب التحقيقات الاتحادي، وجميع الآخرين فتوقفوا عن إظهار الاهتمام. لكن بوني اتصلت البارحة على نحوٍ مفاجئ. لم تعرّف عن نفسها عندما رفعتُ السماعة، لكنها بدأت بالحديث وكأننا أصدقاء منذ زمنٍ طويل: ألديك مانعٌ بالخروج لتناول فنجان قهوة؟ اصطحبتُ جو والتقينا بوني في بانكيك هاوس. كانت في المطعم عند وصولنا. وقفت وابتسمت ابتسامةً باهتة، وهي التي لقيت انتقاداتٍ كثيرة من الصحافة. ألقينا التحية وتصافحنا وتعانقنا. أشارت بوني لنا بعد ذلك بالجلوس.

كان أول شيء قالته بعد إحضار الطعام: " لديّ ابنة واحدة تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً. اسميتها ميا على اسم ميا هام، كما أنها وُلدت في اليوم الذي فزنا فيه بكأس العالم. هذه هي ابنتي " .

رفعتُ حاجبيّ: هذا مشوّق. أخبريني المزيد.

" سألتَني عن الأمر ذات يوم، لكنني لم... كنتُ فظةً معك. كنتُ متأكدة من براءتك، ثم... كان كل شيء يدل على أنك لم تكن بريئاً، وأشعرني هذا بالصدمة لأنني خُدعتُ إلى هذه الدرجة. دفعني ذلك إلى عدم رغبتي في التلفظ باسم ابنتي أمامك " . سكبت لنا القهوة من الترمس.

قالت: " إذاً، اسمها ميا " .

قلت: " حسناً، شكراً لكِ " .

" كلا. أعني... لا بأس " . أخرجت زفيرها نحو الأعلى فتطايرت خصلات شعرها المتدلية فوق جبينها. " أعني: أعرف أن آمي أوقعتك في فخ، وأعرف بأنها قتلت ديزي كولينغز. أعرف ذلك. لكني لا أستطيع إثبات الأمر " .

قالت جو: " لكن ماذا يفعل الآخرون بينما تعملين أنتِ بجد على هذه القضية؟ " .

" ليس هناك قضية، لأن الجميع تركوها، وعلى الأخص جيلبين الذي تركها كلياً. لكنني تلقيت أمراً من المراجع العليا بأن أقفل هذا الملف. أعني إغلاقه كلياً. إننا نبدو في غاية الحمق والجهل والبساطة في وسائل

الإعلام القومية. لا يمكنني فعل أي شيء إلا إذا تلقيت شيئاً منك يا نِك. ألديك أي شيء؟ " .

هززتُ كتفي: " أمتلك أنا كل ما لديكِ. اعترفتْ لي، لكن... " .

قالت: " هل اعترفتْ؟ حسناً يا نِك، سوف نزوّدك بجهاز تسجيل " .

" لا ينجح ذلك. لن ينجح أبداً. إنها تفكّر في كل شيء. أعني بأنها تعرف الإجراءات التي تسير عليها الشرطة جيداً. إنها تدرس كل شيء بعناية يا روندا " .

سكبت بعض العصير المركّز فوق بسكويت الوفل. غرزتُ أسنان شوكتي في صفار البيضة المنتفخة، بشكلٍ دائري تماماً.

" أكاد أجنّ عندما تناديني روندا " .

" إنها تدرس الأمور جيداً أيتها السيدة التحرية بوني " .

أخرجت زفيرها إلى الأعلى، فتطايرت خصلات شعرها مجدداً. تناولت قضمةً من فطيرتها المحلاة وقالت: " لا يمكنني الحصول على أي اعترافٍ مسجلٍ عند هذه النقطة " .

قالت جو: " اسمعي، لا بد من وجود طريقة ما أمامكم. لماذا يا نِك تمكث في ذلك المنزل بحق السماء إن لم يكن بإمكانك الحصول على أي شيء؟ " .

" يستغرق الأمر بعض الوقت يا جو. يتعيّن عليّ حملها على الثقة بي مجدداً. إذا بدأت بإبلاغي الأمور بصورةٍ عفوية، أي عندما نكون عاريين تماماً... " .

فركت بوني عينيها، وأبلغت جو: " هل أنا مضطرة حتى أن أسأل؟ " .

قالت جو: " إنهما يتبادلان الحديث تحت مياه الدشّ على الدوام. ألا تستطيعين تركيب جهاز تنصت في مكانٍ ما من الدش؟ " .

قلت: " إنها تهمس في أذني من فوق المياه الجارية " .

قالت بوني: " إنها تدرس الأمور بشكلٍ جيد. إنها تفعل ذلك حقاً. تفحصت تلك السيارة التي قادتها عائدةً بها، أعني سيارة الجاغوار التي يمتلكها ديزي. قلت للرجال أن يتفحصوا الصندوق حيث أقسمتْ بأن ديزي وضعها فيه وخطفها. ظننت بأننا لن نجد شيئاً هناك، وعندها سنُثبت بأنها كاذبة. يبدو بأنها تمرغت في الصندوق يا نِك. تمكنت كلابنا من شمّ رائحتها. عثرنا كذلك على ثلاث شعرات شقراء اللون. كانت شعرات شقراء وطويلة. كانت شعراتها قبل أن تقوم بقصّه. كيف فعلت ذلك... " .

" إنه بُعد النظر. إنني متأكد من أنها تمتلك كيساً مليئاً بشعرها،

وذلك تحسباً لاحتمال ترك بعضه في مكانٍ ما يدينني. إنها قادرة على فعل ذلك " .

" يا الله، أيمكنكم أن تتخيلوا بأنها أم. لا يمكنكم مجاراتها، لأنها ستظل متقدمةً عنكم ثلاث خطوات، كما هي الحال على الدوام " .

" أيمكنكِ أن تتخيليها زوجةً يا بوني؟ " .

قالت: " سوف تنهار. ستنهار في مرحلةٍ ما " .

قلت: " إنها لن تنهار. ألا يمكنني الشهادة ضدّها؟ " .

قالت بوني: " أنت لا تمتلك مصداقية. تأتي مصداقيتك الوحيدة من آمي، وهي التي أنقذتك وحدها. يمكنها أن تدمرك بمفردها كذلك. وإذا استطاعت تمرير قصة المادة المانعة للجليد... " .

قلت: " يتعيّن عليّ إيجاد القيء، وإذا ما استطعت التخلّص منه، وكشفنا المزيد من كذباتها... " .

قالت جو: " يتعيّن علينا تفحّص اليوميات. تصوروا سبع سنوات من المدوّنات؟ لا بد من وجود تناقضات " .

قالت بوني: " طلبنا من راند وماريبيت تفحّصها، وملاحظة أي شيء غريبٍ فيها. يمكنكما أن تخمّنا كيف كانت ردة فعلهما. ظننتُ أن ماريبيت ستقلع عينيّ " .

قالت جو: " ماذا بشأن جاكلين كولينغز، أو تومي أوهارا، أو هيلاري هاندي؟ إنهم يعرفون جميعاً آمي الحقيقية. لا بد من أن يعرفوا شيئاً " .

هزّت بوني رأسها. " صدّقوني بأن ذلك غير كافٍ. إنهم جميعاً أقلّ مصداقيةً من آمي. يتعلق الأمر بالرأي العام، لكن قسم الشرطة الآن لا يهتم إلا بالرأي العام " .

كانت على صواب. ظهرت جاكلين كولينغز في عددٍ قليلٍ من برامج المحطات السلكية، وأصرّت على براءة ابنها. كانت تبدأ المقابلة على الدوام بشكلٍ طبيعي، لكن حب الأم عندها عمل ضدها: كانت تبدو بعد وقتٍ قصير على أنها الأم الحزينة الحريصة على التمسّك بالأفضل لصالح ابنها، وكلما زاد إشفاق مضيفيها عليها كلما زمجرت وصرخت، وهو الأمر الذي أفقدها تعاطف الآخرين معها. استغنت البرامج عنها بعد وقتٍ قصير. اتصل بي بعد ذلك تومي أوهارا وهيلاري هاندي وعبّرا عن غضبهما لأن آمي بقيت خارج نطاق العقاب، وقالا إنهما مصمّمان على رواية قصتهما، لكن أحداً لا يريد سماعها لأنها آتية من أشخاص لعبا دوراً ماضياً في حياتها. قلت لهما أن يصمتا تماماً الآن لأننا نعمل على هذه القضية. قلت لهما

إن هيلاري، وتومي، وجاكلين، وبوني وجو وأنا سوف نسيطر على الوضع. قلت لنفسي إن هذا صحيح.

سألتُ: " ماذا لو تمكّنا من استمالة آندي على الأقل؟ أي إذا أقنعناها بالشهادة بأن الأمكنة التي خبأت فيها آمي مفاتيح أسرارها هي الأمكنة ذاتها، كما تعرفون، التي مارسنا فيها علاقة جنسية؟ تمتلك آندي مصداقية، والناس يحبونها " .

عادت آندي إلى طبيعتها المرحة بعد عودة آمي. عرفتُ ذلك من الصور التي تنشرها الصحف الشعبية. عرفتُ من هذه الصحف كذلك بأنها تواعد رجلاً من عمرها، وهو شاب لطيف وأشعث الشعر ويضع سماعات أذن تتدلى من عنقه. يبدو الاثنان مع بعضهما بعضاً لطيفين، وشابيْن، وبصحةٍ جيدة. حملت لهما الصحافة تقديراً كبيراً. أما أفضل عنوانٍ رئيسٍ عنهما فقد كان: الحب يعثر على آندي هاردي! وهو عنوان تورية يشير إلى أحد أفلام ميكي روني الذي يعود إلى العام 1938 ، والتي لم يفهمها سوى نحو عشرين شخصاً. بعثتُ إليها برسالةٍ نصية: أنا آسف، لكل شيء. لم أتلقَ رداً منها. إنني أعني ذلك بإخلاص.

هزّت بوني كتفيها: " يا للمصادفة. أعني يا للمصادفة الغريبة، لكن... إنها ليست مدهشة بالشكل الكافي الذي يمكّننا من المضي قُدُماً، وعلى الأقل ليس في هذا الجو. يتعيّن عليك إقناع زوجتك لإخبارك شيئاً مفيداً يا نِك. أنت فرصتنا الوحيدة هنا " .

وضعت جو كوب قهوتها بقوة وقالت: " لا أصدّق بأننا نعقد هذه المحادثة. نِك، لا أريدك أن تبقى في ذلك المنزل بعد الآن. أنت لست شرطياً سرياً وهذه ليست وظيفتك. أنت تعيش مع قاتلة. أريدك أن ترحل على الفور. إنني آسفة، لكن من يهتم لأنها قتلتْ ديزي؟ لا أريد لها أن تقتلك. أعني بأنه في يومٍ من الأيام سوف تقوم بتحضير الجبن المشوي لها، أما الأمر التالي الذي سأسمعه فهو رنين الهاتف ثم يبلغني المتصّل بأنك سقطتَ سقطةً مريعة من السطح، أو شيئاً من هذا القبيل. غادِر المنزل " .

" لا يمكنني المغادرة، ليس بعد على الأقل، وهي لن تسمح لي بالمغادرة أبداً. إنها تحب هذه اللعبة كثيراً " .

" إذاً توقف عن اللعب " .

لا أستطيع مغادرة المنزل. أعتقد بأنني دخلتُ في هذه اللعبة جيداً. سأبقى قريباً جداً منها إلى أن أتمكّن من تركيعها. إنني الوحيد الباقي الذي

يستطيع فعل ذلك. ستخطئ في يومٍ من الأيام، وسوف تخبرني شيئاً أستطيع الاستفادة منه. تقدمتُ منذ أسبوع إلى غرفة نومنا. لم نتعاشر، وبالكاد تلامسنا، لكن كنا زوجة وزوجة في سريرٍ زوجي، وهو الأمر الذي يرضي آمي في الوقت الحاضر. داعبتُ شعرها. تناولتُ خصلة من شعرها بين إصبعي وإبهامي، وجذبتها إلى النهاية وسحبتها. بدا الأمر وكأنني ذكّرتها بشيءٍ ما، ونحن أحببنا ذلك. لكن ذلك يمثّل مشكلة.

تظاهرنا بأننا نحب بعضنا بعضاً، كما قمنا بأشياء كنا نقوم بها عندما كنا نحب بعضنا بعضاً. بدا الأمر أشبه شيء بالحب في بعض الأحيان، وذلك لأننا دخلنا في الإيقاع. استعدنا قليلاً أيام غرامنا الأولى. لكن عندما نسيت - كنت أنسى في بعض الأحيان للحظةٍ وجيزة طبيعة زوجتي - كنتُ أخرج معها. أو مع الفتاة التي كانت تتظاهر بأنها هي. أما الواقع فهو أن زوجتي امرأةٌ قاتلة، لكنها تكون مرحة فعلاً في بعض الأحيان. أيمكنني إعطاء مثال واحد؟ عندما fly in lobsters مثل ما كنا نفعل في الأيام الماضية، وتظاهرت بأنها تلاحقني به بينما تظاهرت أنا بالاختباء، ثم تشاركنا معاً، وفي الوقت ذاته، بدعابة آني هال. كان الأمر رائعاً وبالطريقة التي يُفترض فيها أن يكون، وذلك إلى درجة أنني اضطررتُ معها إلى مغادرة الغرفة للحظة. كان قلبي ينبض بشدة في أذنيّ. اضطررتُ كذلك إلى تكرار تعويذتي: آمي قتلت رجلاً، وسوف تقتلك إذا لم تكن حريصاً، وحريصاً جداً. أعرف أن زوجتي المرحة والجميلة والقاتلة سوف تؤذيني إذا ما أغضبتها، وهكذا أصبحتُ عصبياً في منزلي: أحضّر لنفسي شطيرة، وأقف في المطبخ عند الظهر، وألعق زبدة الفستق عن السكّين. ألتفتُ لأجد آمي واقفة معي في الغرفة ذاتها - يا لتلك القدمين الناعمتين والهادئتين (مثل أقدام الهرة) وأرتعش. أما أنا، نِك دون، والرجل الذي اعتاد نسيان تفاصيل كثيرة، فقد أصبحتُ الرجل الذي يكرّر الأحاديث، وذلك كي أتأكد من عدم التلفظ بأي كلمة تغضبها، وعدم جرح مشاعرها أبداً. إنني أدوّن كل شيء يتعلق بها في كل يوم، والأشياء التي تعجبها، والأشياء التي لا تعجبها، وذلك في حال أرادت امتحاني. إنني زوجٌ رائع لأنني خائفٌ جداً من احتمال قيامها بقتلي.

لم نتحدث أبداً عن الرهاب الذي أُصبتُ به، وذلك لأننا نتظاهر بأننا نحب بعضنا بعضاً، كما أنني أتظاهر بأنني لا أخافها. لكنها ألمحت إلى هذه الأمر مراتٍ عدة: أتعرف يا نِك بأنه يمكنك أن تنام معي في السرير، أعني أن تنام بالفعل. سيكون الأمر على ما يرام. أعدك بذلك. إن ما حدث مع ديزي كان حادثاً منعزلاً. أغمِض عينيك ونَم.

لكني أعرف بأنني لن أنام ثانيةً أبداً. لا يمكنني أبداً أن أغمض عينيّ عندما أكون إلى جانبها. يبدو الأمر وكأنني إلى جانب عنكبوت.

آمي إليوت دون

ثمانية أسابيع بعد العودة

لم يُلقِ أحدٌ القبض عليّ. توقف رجال الشرطة عن استجوابهم لي. أشعر الآن بالأمان، لكنني سوف أشعر بأمانٍ أكبر بعد وقتٍ قصيرٍ جداً.

أما سبب شعوري بالارتياح فهو كالتالي: نزلتُ إلى الطابق السفلي بالأمس لتناول طعام الفطور. رأيت الوعاء الذي أحتفظ فيه بالقيء فوق طاولة المطبخ، لكنه كان فارغاً. تخلّص نِك - السيّد نظافة - من ذلك القدر الضئيل من الدليل الذي احتفظتُ به. رمشتُ إحدى عينيّ، ثم رميت بالوعاء في سلة القمامة.

لا أعتقد أن هذا الوعاء يترافق مع أيّ أهمية الآن.

يعود ذلك إلى أن أشياء جميلة تحدث لي الآن.

حصلت على عقد كتاب: يعني ذلك بأنني امتلكتُ، رسمياً، التحكّم في قصّتنا. تبدو القصة رمزية إلى حدٍّ مدهش. أليست هذه حال كل الزيجات على أيّ حال؟ أليست هي لعبةٌ مطولة من هو قال، وهي قالت؟ حسناً، هي تقول، والعالم سوف يستمع، وسوف يضطر نِك للابتسام والموافقة. سأكتب عنه بالطريقة التي أريده أن يكون عليها: رومانسياً ومتفكراً، وتائباً جداً جداً، وسأكتب بشأن بطاقات الائتمان، والمشتريات والمستودع. سيقول هو كل ذلك في كتاب إذا عجز عن قول ذلك بصوتٍ عالٍ. سيأتي بعد ذلك في جولةٍ وسوف يبتسم ويبتسم.

أعطيت كتابي عنواناً بسيطاً: رائعة. سيُحدث هذا الكتاب تساؤلاتٍ أو دهشة عظيمة، وسوف يكون مدوياً. أعتقد أن ذلك يلخّص قصّتي.

نِك دون

تسعة أسابيع بعد العودة

وجدت الوعاء الذي يحتوي على القيء. خبّأتْه في عمق الثلاجة، وداخل علبة تحتوي على البروكلي. كانت العلبة مغطاة بمياه متجلدة. أعتقد بأن الوعاء تواجد في ذلك المكان منذ أشهر عدة. أعرف أن هذه كانت دعابة بينها وبين نفسها: لن يأكل نِك خضاره، ولن يقوم نِك بتنظيف الثلاجة مطلقاً، لن يفكّر نِك بالبحث هنا.

لكن نِك فعل ذلك.

تبيّن بأن نِك يعرف كيفية تنظيف الثلاجة، ويعرف نِك حتى كيفية إزالة الجليد: سكبتُ القيء في مياه الصرف، وتركت الوعاء على طاولة المطبخ كي تراه.

رَمت آمي الوعاء في سلة القمامة، لكنها لم تتلفظ بأي كلمة عن الأمر.

يبدو أن شيئاً ما لا يسير على ما يرام. لا أعرف ما هو، لكنه شيء يسير، بقوةٍ، على غير ما يرام.

أشعر بأن حياتي تسير نحو خاتمتها. توكّل تانر بقضيةٍ جديدة. اكتشف أحد المطربين في ناشفيل بأن زوجته تخونه، لكن جثّتها اكتُشفت في اليوم التالي بين نفايات مطعم هارديز الواقع قرب منزله. عُثر كذلك على مطرقةٍ تحمل بصماته بقربها. استخدَمني تانر في دفاعه. أعرف أن الأمر يبدو سيئاً، لكن الحال كان هكذا بالنسبة إلى نِك دون، وأنتم تعرفون كيف انتهت القضية. تصورته وهو يغمزني من خلال عدسة الكاميرا. كان يرسل لي في بعض الأحيان رسائل نصية: هل أنت بخير؟ أو: هل من جديد؟

لم يحدث أي شيء جديد.

كنا نلتقي نحن الثلاثة، بوني وجو وأنا سراً في مطعم بانكيك هاوس، وهناك تفحّصنا الرمال المتحركة في قصة آمي، وحاولنا العثور على شيء يمكننا الاستفادة منه، وكان ذلك عملية بحثٍ قمنا بها في الأيام الماضية. وجدنا نقداً متحمساً هنا وهناك: " كتبتُ تعليقاً هنا حول دارفور، هل كان ذلك الموضوع في العام 2010 ؟ " (أجل، عثرنا على مقطعٍ إخباري يعود إلى العام 2006 ، وفيه يناقش جورج كلوني هذا الموضوع). أما الأفضل من بين أسوأ ما كتبته فكان: " مازحَتني آمي في مدونة تعود إلى تموز من العام

2008 ، بشأن قتل أحد المشرّدين، لكني شعرت بأن النكات المتعلقة بالمشردين المقتولين لم تكن موضوعاً هاماً حتى العام 2009 " . ردّت بوني: " أعطني العصير المركّز أيها الباحث عن الغرائب " .

تفرّق الناس ومضوا يعيشون حياتهم. لكن بوني وجو بقيَتا.

حدث شيء بعد ذلك. مات والدي في إحدى الليالي خلال نومه. أطعمَته امرأة آخر وجبةٍ له بالملعقة، كما أن امرأة أخرى رتّبت له سريره في آخر استراحة له في السرير، وقامت امرأة أخرى بتنظيفه بعد وفاته، بينما اتصلت بي امرأة أخرى لتنقل لي الخبر.

قالت لي بتعاطفٍ مفتعل: " كان رجلاً طيباً " .

قلت لها: " كلا، لم يكن كذلك " . ضحكت المرأة كما لم تضحك منذ شهرٍ من الزمن.

ظننتُ أن مزاجي سوف يتحسّن عندما يختفي هذا الرجل من على وجه الأرض، لكني أحسستُ، في واقع الأمر، بفراغٍ كبير ومخيفٍ في أعماقي. أمضيتُ حياتي في المقارنة ما بيني وبين والدي، وها هو رحل الآن ولم يبقَ عندي غير آمي كي أتنافس معها. لم أذهب مع جو بعد انتهاء المراسم التي كانت مقتضبة جداً، لكنني توجهت إلى المنزل مع آمي كما أمسكتُ بيدها وقرّبتها مني. أجل، ذهبتُ إلى المنزل مع زوجتي.

فكّرت في نفسي، يجب أن أغادر هذا المنزل، يجب أن أنتهي من آمي إلى الأبد. أريد تدمير كل شيء بحيث لا أتمكّن من العودة أبداً.

مَن سأكون من دونكِ؟

يتعيّن عليّ أن أكتشف ذلك. يتعيّن عليّ أن أروي قصّتي الخاصة. إن هذا واضحٌ وضوح الشمس.

حملت حاسوبي المحمول في صباح اليوم التالي، وبينما كانت آمي في غرفتها تنقر على مفاتيح حاسوبها لتخبر العالم بالقصة التي أطلقت عليها اسم الرائعة، نزلت إلى الطابق السفلي وحدّقت في الشاشة البيضاء المتوهجة.

فتحتُ الصفحة الأولى من كتابي الذي أعدّه.

أنا الرجل المخادع، والضعيف، والجبان الذي يخاف من النساء، أنا هو بطل قصّتك. يعود ذلك إلى أن المرأة التي خدعتها - زوجتي، آمي إليوت دون - هي امرأة مضطربة عقلياً ومجرمة.

أجل. قرأتُ ذلك.

آمي إليوت دون

عشرة أسابيع بعد العودة

يستمر نِك بالتظاهر معي. إننا نتظاهر معاً بأننا سعداء وهانئَين بالحب. لكنني أسمعه وهو ينقر على حاسوبه في وقتٍ متأخرٍ من الليل. إنه يكتب. يكتب وجهة نظره من القصة، وأنا أعرف ذلك. أعرف ذلك من الانطلاق المحموم للكلمات من فمه، ومن سرعة النقر على المفاتيح حتى يبدو الأمر وكأن مليون حشرة تطير في وقتٍ واحد. حاولت التطفل أثناء نومه (بالرغم من أنه ينام مثلي الآن، أي نوماً صعباً وقلقاً، وهكذا أنام الآن). لكنه تلقّن درسه، وعرف بأنه لم يعُد نِكي المحبوب الذي لا يرتكب أغلاطاً - لم يعُد يستخدم تاريخ ميلاده أو تاريخ ميلاد والدته، أو ميلاد بليكر لتكون كلمة سر. عجزتُ عن الدخول إلى ملفات حاسوبه.

ما زلتُ أسمعه وهو ينقر من دون فترة توقف. أمكنني أن أتخيّله منحنياً فوق لوحة المفاتيح رافعاً كتفيه بينما يعلق لسانه ما بين أسنانه، وأدركت بأنني كنتُ على حق في حماية نفسي، ولأخذ الاحتياطات الخاصة بي.

إنه لا يكتب قصة حب.

نِك دون

عشرون أسبوعاً بعد العودة

لم أغادر المنزل. أردت أن يكون ذلك مفاجأةً لزوجتي، وهي التي لا تُفاجأ أبداً. أردتُ إعطاءها النصّ قبل خروجي لإتمام عقدٍ حول الكتاب. أردت أن تشعر بذلك الرعب المستمر الناتج عن معرفتها بأن العالم على وشك أن يقلب الطاولة على رأسها، وأنها لا تستطيع عمل أي شيء حيال ذلك. كلا، فهي قد لا تدخل السجن أبداً، كما أن موقفي سوف يناقض موقفها، لكن قضيتي هي التي سوف تكون المقنعة، وذلك لأنها تترافق مع تردداتٍ عاطفية، هذا إن لم تترافق مع تردداتٍ قانونية.

يُمكن لجميع الناس الوقوف إلى جانب أحد الطرفين: فريق نِك مقابل فريق آمي. يُمكن للأمر حتى أن يتحول إلى ما يشبه اللعبة، وعندها يمكننا بيع بعض القمصان السخيفة.

شعرتُ بضعفٍ في ساقيّ عندما توجهت لإخبار آمي: لم أعد جزءاً من قصّتها.

عرضتُ عليها النصّ بعنوانه الساطع: الساقطة المجنونة. إنها دعابة ضمنية صغيرة. أعرف أن كلانا يحب النكات الضمنية. انتظرتها أن تنهض لتخدش خدّي، وتمزّق ثيابي، وحتى أن تعضّني.

قالت بحبور: " أوه! يا للتوقيت الممتاز " . أطلقتْ نحوي ابتسامةً عريضة، وقالت: " أيمكنني أن أريك شيئاً؟ " .

حملتها على أن تعيد الكرّة أمامي. بلّلتْ آمي لوحة الاختبار ببولها بعد أن قرفصتْ أمامي في أرض الحمّام، وشاهدته عند سقوطه على لوحة الاختبار التي تحولت على الفور إلى اللون الأزرق الذي يدل على وقوع الحمل.

هُرعتُ بها إلى السيارة متوجهين إلى عيادة الطبيب، وراقبت منظر الدماء التي تقاطرت منها، وذلك لأنها لا تخاف من منظر الدماء في واقع الأمر - وانتظرنا ساعتين من الزمن لمعرفة نتيجة الاختبار.

تبيّن أن آمي حامل.

قلتُ: " مِن الواضح بأنني لست والد الطفل " .

ابتسمت بدورها، وقالت: " أوه، إنه طفلك " . حاولتْ أن تقترب مني

وكأنها تريد أن أضمّها بذراعيها. " مبروك أيها الوالد " .

يستحيل أن يكون الأمر صحيحاً. قلت: " آمي... " لم ألمس زوجتي منذ عودتها. فهمتُ الأمر بعد ذلك: علبة المناديل الورقية، الكرسي المريح، جهاز التلفزيون والأقراص المدمجة الخلاعية، وحيواناتي المنوية الموجودة في مكان ما في إحدى ثلاجات المستشفى. سبق لي أن تركت على الطاولة رسالة تأمر بالتخلص منها. تذكرت تلك الرحلة الآثمة والمضطربة، واختفاء الرسالة، وكل ذلك لأن زوجتي تحرّكت، على عادتها، لكن تحرّكها لم يكن للتخلص من هذه الحيوانات المنوية، بل للاحتفاظ بها تحسباً لبروز الحاجة إليها.

شعرتُ بموجةٍ من الحبور - لم أستطع مقاومتها - لكن ذلك الحبور كان مغلّفاً برعبٍ مخيف.

قالت لي: " أريد أن أقوم ببعض الأمور للحفاظ على أمني يا نِك. أشعر بأنني مضطرة إلى القول إنه يستحيل عليّ الوثوق بك. سيتعيّن عليك، بدايةً وبطبيعة الحال، محو كتابك، وأن تضع تلك المسألة الأخرى جانباً، كما أننا نحتاج إلى إقرارٍ بحيث يجب أن تُقسم بأنك أنت الذي أحضرتَ الأغراض إلى المستودع وخبّأتها هناك، وأنك ظننتَ ذات مرة بأنني أوقِع بك، لكنك الآن تحبّني وأنا أحبّك، وأن كل شيء على ما يرام " .

" ماذا سيحدث إذا رفضتُ ذلك " .

وضعت يدها على بطنها الصغير المنتفخ قليلاً ثم عبست. " أعتقد أن ذلك سوف يكون مريعاً " .

أمضينا سنواتٍ عادية ونحن نتواجه في محاولتنا السيطرة على الزواج، وعلى قصة حبّنا، وقصة حياتنا. لكن يبدو أنني خسرت الرهان أخيراً، وبالكامل. تمكنتُ أنا من تكوين نصٍّ، بينما تمكنتْ هي من تكوين حياة.

يمكنني أن أسعى للحصول على حق الوصاية، لكنني أعرف مسبقاً بأنني سأخسر. أما آمي فسوف تستمتع بالمعركة، والله وحده يعلم ماذا أعدّت لها. لكني أعرف، في الوقت الذي سوف تنتهي فيه هذه المعركة، بأنني لن أكون أكثر من والدٍ يرى ولده مرةً كل أسبوعين. سأتمكّن كذلك من التفاعل مع ولدي في غرفٍ غريبة بوجود مراقبٍ إلى جانبي يرتشف القهوة وهو يراقبني. يُحتمل حتى أن لا يحصل هذا الأمر. فكّرتُ كذلك، وفجأةً، بأنني تمكّنت من معرفة الاتهامات - التحرّش أو الإساءة - ولن أرى طفلي أبداً. أعرف كذلك بأن ولدي سوف يُبعد عني، بينما والدته تهمس بالأكاذيب في أذنه الصغيرة الزهرية اللون.

قالت لي: " إنه صبي بالمناسبة " .

إنني سجين بالنتيجة. انتصرت عليّ آمي إلى الأبد، أو إلى الأمد الذي تريده هي، وذلك لأنني مضطرٌّ لإنقاذ ابني، ومحاولة تخليصه وإنقاذه من كل الشوائب التي تسبّبت بها آمي. إنني مستعدٌّ للتخلي عن حياتي من أجل ولدي، وسأفعل ذلك بكل سرور. سأربي ولدي ليكون رجلاً صالحاً.

حذفتُ قصّتي.

رفعتْ بوني السمّاعة بعد الرنّة الأولى.

قالت: " هل نلتقي في بانكيك هاوس بعد عشرين دقيقة؟ " .

" كلا " .

أبلغتُ روندا بوني بأنني سوف أصبح والداً، ولذلك لم يعد بإمكاني المساعدة في أيّ تحقيقات - وأنني كنت أخطّط في الواقع لسحب أي تصريح تقدمت به حول اعتقادي الخاطئ بأن زوجتي قد نصبت فخاً لي، وأنني مستعدٌّ للاعتراف بالدور الذي لعبتُه في بطاقات الائتمان.

مرّت فترة صمتٍ طويلة على الخط، ثم قالت: " آه، آه " .

أمكنني تصوّر بوني وهي تمرر يدها خلال شعرها الأسود، وتعضُّ على القسم الداخلي من خدّها.

قالت لي أخيراً: " أريدك أن تهتم بنفسك كثيراً يا نِك. أسمعت؟ أريدك أن تهتم بالصغير كذلك " . ضحكتُ بعد ذلك: " أما آمي فإنني لا أكترث بشأنها أبداً " .

توجهت إلى منزل جو كي أخبرها شخصياً. حاولت أن أضع ما حدث في إطار الأخبار السعيدة. لا يمكن للمرء أن ينزعج أبداً بشأن الطفل. يُمكن للمرء أن يكره الوضع، لكن لا يمكنه أن يكره طفلاً.

ظننت في البداية أن جو سوف تضربني، لكنها وقفت قريبة مني بحيث أمكنني الإحساس بأنفاسها. وكزتني بسبابتها.

همست لي: " إنك تبحث عن عذرٍ للبقاء في المنزل. أعتقد بأنكما أدمنتما على بعضكما بعضاً. ستكوّنان أسرةً، وأنت تعرف ذلك؟ ستنفجرون. ستنفجرون بكل قوة. أيُحتمل بالفعل أنه يمكنك أن تفعل ذلك لفترة الثماني عشرة سنةً القادمة؟ ألا تعتقد بأنها ستقتلك؟ " .

" إنها لن تفعل ذلك طالما أكون الرجل الذي تزوجته. لم أكن هكذا لفترة طويلة، لكن يمكنني أن أكون " .

" ألا تعتقد بأنك سوف تقتلها؟ يُحتمل أن تتحول إلى ما يشبه أبي؟ "

.

" ألا ترَي يا جو؟ هذه هي ضمانتي لعدم التحول إلى والدي. يتوجب أن أكون أفضل زوجٍ ووالدٍ في العالم " .

انفجرت جو بالبكاء، وهي المرة الأولى التي رأيتها تبكي فيها منذ أن كانت طفلة. جلستْ على الأرض وكأن ساقيها لم تعد تحملانها. جلستُ بقربها وأحنيتُ رأسي على رأسها. تمكنت أخيراً من التغلب على آخر تنهيداتها ثمّ نظرت نحوي. " أتذكر عندما قلت لك يا نِك بأنني سوف أحبك إذا؟ وأنني سوف أحبك بغض النظر عمّا يأتي بعد إذا من كلمات؟ " .

" أجل " .

" حسناً، ما زلت أحبك. لكن ذلك يقطّع نياط القلب " . أطلقت تنهيدة مريعة أشبه ما يكون بتنهيدة طفل. " لم يكن يُفترض بالأمور أن تسير على هذا النحو " .

قلت محاولاً تلطيف الأمر: " إنه تحولٌ غريب من نوعه " .

" ألن تحاول التفريق في ما بيننا؟ " .

قلت: " كلا. تذكّري بأنها تحاول أن تكون شخصاً أفضل " .

أجل، تمكنت أخيراً من الوقوف مع آمي على قدم المساواة. استيقظتُ في صباح يوم وأنا إلى جانبها، وتفحّصت مؤخرة جمجمتها. حاولت أن أقرأ أفكارها. لم أشعر، هذه المرة، بأنني أحدّق في الشمس. شعرتُ بأنني أرتفع إلى مستوى الجنون ذاته الذي بلغته زوجتي. أمكنني الإحساس بأنها تغيّرني مجدداً: كنت ولداً قليل الخبرة، وأصبحتُ رجلاً صالحاً وسيّئاً بعد ذلك. أما الآن، وأخيراً، أصبحتُ بطلاً. إنني على وشك الانطلاق في قصة حربٍ لا نهاية لها لزواجنا. إنها قصة يمكنني التعايش معها. إنني لا أستطيع تصوّر قصّتي من دون آمي. إنها خصمي إلى الأبد.

إننا ذروةٌ طويلة ومرعبة.

آمي إليوت دون

عشرة أشهر، أسبوعان، وستة أيامٍ بعد العودة

قيل لي إن الحب يجب أن لا يكون مشروطاً. هذه هي القاعدة العامة، وجميع الناس يقولون هذا. لكن إذا كان الحب من دون حدود، ولا قيود، ولا شروط، فلماذا يتعيّن على كل إنسان أن يحاول القيام بالأمر الصائب؟ إذا كنت أعرف بأنني سوف ألقى الحب بغض النظر عما يُمكن أن يحدث، فما هو التحدي في ذلك؟ يُفترض بي أن أحب نِك بالرغم من كل عيوبه، كما يُفترض أن يحبني نِك بالرغم من مراوغاتي. لكن من الواضح بأن أحداً منا لا يفعل ذلك. يدفعني هذا الوضع إلى الاعتقاد بأن الجميع مخطئون جداً، وأن الحب يجب أن يترافق مع شروط عدة. يتعيّن على الحب أن يتطلّب من الشريكين أن يكونا على أفضل حالةٍ لهما في كل الأوقات. إن الحب غير المشروط هو حبٌّ غير منضبط، وكما رأينا جميعاً فإن الحب غير المنضبط هو حبٌّ كارثي.

يمكنك أن تقرأ المزيد من أفكاري في كتابي الرائعة. إنه الكتاب الذي سوف يصدر قريباً!

لكن هناك ما هو أهم: الأمومة. قال لي الطبيب إن موعد الولادة هو يوم غد. يصادف يوم غد ذكرى زواجنا. السنة السادسة. هل هناك من توقيتٍ أنسب من هذا؟ فكّرت في إعطاء نِك زوجاً من الأصفاد، لكنه قد لا يعتبر بأن الأمر مسلياً بعد. يبدو التفكير في هذا الأمر في منتهى الغرابة: قبل سنةٍ من هذا اليوم كنتُ أحاول تحطيم زوجي. أما الآن فيبدو بأنني على وشك الانتهاء من إعادة جمعه مجدداً.

أمضى نِك كل أوقات فراغه خلال هذه الأشهر الماضية في تمسيد بطني بزبدة الكاكاو، وفي البحث عن السوائل المناسبة لتدليك قدميّ، وفي القيام بكل الأمور التي يتوجب على الآباء المستقبليين أن يفعلوها. أظهر نِك كذلك اهتماماً مفرطاً بي. إنه يتعلم أن يحبّني من دون شروط، وتحت كل الظروف. أعتقد بأننا أصبحنا أخيراً في طريقنا نحو السعادة. أدركت ذلك مؤخراً.

إننا على وشك أن نصبح أروع وأفضل أسرة مؤلفة من الزوج والزوجة والأولاد في العالم.

لكن يتعيّن علينا أن نحافظ عليها. أعتقد بأن نِك لم يفهم الأمر كما ينبغي. مسّد نِك هذا الصباح شعري، وسألني ما إذا كان يستطيع أن

يفعل لي أي شيء غير ذلك. قلتُ له: " أدهشتني يا نِك. لماذا تتصرّف معي بهذه الروعة؟ " .

كان من المفترض أن يقول: أنتِ تستحقين ذلك. إنني أحبّكِ.

لكنه قال: " لأنني أشعر بالأسف لأجلك " .

" لماذا؟ " .

" لأنه يتعيّن عليك الاستيقاظ في كل صباح لتكوني كما أنتِ " .

إنني أتمنى فعلاً لو لم يقل لي ذلك، كما أنني أفكّر بما قاله لي على الدوام، ولا أستطيع أن أكّف عن هذا التفكير.

لا أجدني مضطرة لإضافة أي شيء. إن كل ما أريده هو التأكد بأنني أمتلك الكلمة الأخيرة. أعتقد بأنني استحققتُ ذلك.

المؤلفة في سطور

غيليان فلين مؤلفة كتاب أماكن داكنة *Places Dark* الذي كان من بين قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في صحيفة نيويورك تايمز، ومن ضمن لائحة الكتب المفضلة لدى المراجعين في صحيفة نيويوركر، وكتاب *Weekend* الذي كان من ضمن الكتب المفضّلة للصيف في صحيفة *Today* ، وأفضل كتاب لعام 2009 في صحيفة *Weekly Publishers* ، وكذلك أفضل خيار للرواية في صحيفة شيكاغو تريبيون؛ وكتاب *Objects Sharp* الفائز بجائزة داجر، والذي رُشّح كذلك لجائزة أفضل رواية أولى في جائزة، ونخبة BookSense ، وكذلك نخبة كتب Barnes & Noble Discover . عملت المؤلفة كذلك ككاتبة وناقدة في *Entertainment Weekly* ، ونُشرت كتبها في ثمانية وعشرين بلداً. تعيش الكاتبة الآن في شيكاغو مع زوجها وابنها.

انتهى

---

[1] إحدى شخصيات السلسلة التفزيونية الخاصة بالأطفال *The Year Without a Santa Claus* يمتاز بتسريحة شعر شبه عامودية.